





إهداء 2005  
الأستاذ الدكتور / أحمد حمدي محمود  
القاهرة

كتاب الشعب

# إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الأول

دار الشعب

٩٢ شارع نصر الدين، القاهرة ١١٨١٠





# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

أحمد الله أولاً ، حمداً كثيراً متوالياً ، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين .  
وأصلي وأسلم على رسله ثانياً ، صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين . وأستخيرہ تعالي  
ثالثاً فيما أنبعث له عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين . وأنتدب لقطع تعجبك رابعاً  
أيها العاذل المتغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين ، المسرف في التفریع والإنكار من بين  
طبقات المنكرين النافلين

فلقد حلّ عن لساني عقدة الصمت ، وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ، ما أنت  
مشار عليه من العمي عن جليلة الحق ، مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل ، والتشبيب  
على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ، ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم ، إلي العمل  
بمقتضى العلم : طمعاً في نيل ما تعبده الله تعالي به من تركية النفس وإصلاح القلب ، وتداركا  
لبعض ما فرط من إضاعة العمر يأساً من تمام التلافي والجبر ، وانحيازاً عن غمار من قال فيهم

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيا علوم الدين فأنيئت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم الملحدین عن دركها فرجعت بكلامها .  
أحمد وأستبكين له من مظالم أقضت الظهور بأفئدتها ، وأعبدته وأستعين به لعظام الأمور وعظامها . وأشهد أن  
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بمحصول الدرجات وظلالها ، وافية من حلول الدرجات وأهوالها .  
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الايمان من ظلمة القلوب وضلالها ، وأسمع به وفر الآذان وجلا  
به رين القلوب بصفتها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها .

( وبعد ) فلما وفق الله تعالى لا كمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين في سنة إحدى وخمسين « هـ »  
تعذر الوقوف على بعض أحاديثه ، فأخرت تبينه الى سنة ستين ، فظفرت بكثير مما عذب عني علمه ، ثم شرعت في  
تبينه في مصنف متوسط حجمه ، وأنا مع ذلك متبالي في إكمال غير متعرض لتركه وإهماله . إلى أن ظفرت  
بأكثر ما كنت لم أقف عليه ، وتكرر السؤال من جماعة في إكمالها ، فأجبت وبادرت إليه ، ولكنني اختصرته في  
غاية الاختصار ، ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار . فاختصرت فيه علي ذكر طرف الحديث ومجايه ومخرجه وبيان

« هـ » أي بعد السبعائة ، وكان رحمه الله إذ ذاك في السابعة والعشرين من عمره . اهـ مصححه

صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه<sup>(١)</sup>: « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِعِلْمِهِ »

ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجسم النفير؛ بل شمل الجاهل، من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر، والجهل بأن الأمر إبداء، والخطب جد، والآخرة مقبلة، والدنيا مدبرة، والأجل قريب، والسفر بعيد، والزاد طفيف والخطر عظيم، والطريق سد، وماسوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد، وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الفوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد.

فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء؛ وقد شغرت منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان، واستغواهم الطغيان، وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغوفاً، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً، حتى ظل علم الدين مندرساً، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً. ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستمين به القضاة على فصل الخصام، عند تهاوش الطعام؛ أو جدل يتدفع به طالب المباحة إلى الغلبة والإغرام؛ أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام؛ إذ لم يروا ماسوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام، وشبكة للحطام.

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح، مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً

صحته أو حسنه أو ضعف مخرجه، فإن ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة، بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة وللناظرة، وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول. والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسئول.

فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه، وإلا عزوته إلى من خرجته من بقية السنة، وحيث كان في أحد السنة لم أعزه إلى غيرها إلا لفرض صحيح، بأن يكون في كتاب الزم مخرجه الصحة، أو يكون أقرب إلى لفظه في الأحياء. وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فإن كان في باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة، وربما ذكرته فيه ثانياً وثالثاً لفرض أو لذهول عن كونه تقدم، وإن كرره في باب آخر ذكرته ونهيت على أنه قد تقدم، وربما لم أنه على تقدمه لذهول عنه. وحيث عزوت الحديث لمن خرجته من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه، بل قد يكون بلفظه، وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات. وحيث لم أجده ذلك الحديث ذكرت ما يغني عنه غالباً، وربما لم أذكره.

وسيته « الملقى عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الأحياء من الأخبار » جعله الله خالصاً لوجهه الكريم، ووسيلة إلى التعميم المقيم.

#### أحاديث الخطبة

(١) حديث أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه؛ الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف



وحكمة، وعلما وضياء ونوراً، وهداية ورشداً، فقد أصبح من بين الخلق مطوياً؛ وصار نسياً منسياً  
ولما كان هذا ثلماً في الدين ملماً، وخطباً مدلهماً، رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب  
مهما، إحياءاً لعلوم الدين، وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضاحاً لما نهى العلوم النافعة  
عند النبيين والسلف الصالحين

وقد أسسته على أربعة أرباع، وهى : ربيع العبادات، وربيع العادات، وربيع المهلكات،  
وربيع المنجيات . وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم، لا تكشف أولاً عن العلم الذى  
تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>  
«طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» وأميز فيه العلم النافع من الضار، إذ قال صلى الله عليه  
وسلم: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ» وأحقق ميل أهل العصر عن شائكة الصواب، واتخذهم  
بلامع السراب، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن الباب  
ويشتمل ربيع العبادات على عشرة كتب :

كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة  
وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب أسرار الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة  
القرآن، وكتاب الأذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد فى الأوقات  
وأما ربيع العادات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال  
والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب  
السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب آداب  
المعيشة وأخلاق النبوة

وأما ربيع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب :

كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين : شهوة  
البطن، وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد، والحسد

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم : ابن ماجه من حديث أنس وضعه احمد والبيهقي وغيرهما

(٢) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع : ابن ماجه من حديث جابر باسناد حسن

وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر ،  
والمعجب ، وكتاب ذم الغرور

وأما ربيع المنجيات ، فيشتمل علي عشرة كتب :

كتاب التوبة ، وكتاب الصبر والشكر ، وكتاب الخوف والرجاء ، وكتاب الفقر والزهد ،  
وكتاب التوحيد والتوكل ، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا ، وكتاب النية والصدق  
والإخلاص ، وكتاب المراقبة والمحاسبة ، وكتاب التفكير ، وكتاب ذكر الموت  
فأما ربيع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ، ودقائق سننها ، وأسرار معانيها ،  
ما يضطر العالم العامل اليه ، بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه . وأكثر ذلك مما  
أهمل في فن الفقييات

وأما ربيع العادات ، فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق ، وأغوارها ، ودقائق  
سننها ، وخفايا الورع في مجاريها ، وهي مما لا يستغنى عنها متدين

وأما ربيع المهلكات ، فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القراءان بإمانيته وتركه النفس عنه  
وتطهير القلب منه ، وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه  
الذي منه يتولد ، ثم الآفات التي عليها تترتب ، ثم العلامات التي بها تتعرف ، ثم طرق المعالجة  
التي بها منها يتخلص . كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات والأخبار والآثار

وأما ربيع المنجيات ، فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين  
والصديقين ، التي بها يتقرب العبد من رب العالمين ، وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها ،  
وسببها الذي به تجتلب ، وثمرتها التي منها تستفاد ، وعلامتها التي بها تتعرف ، وفضيلتها التي  
لأجلها فيها يرغب ، مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل

ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتباً ، ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة  
أمور : (الأول) حل ما عقده وكشف ما أجهله . (الثاني) ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه  
(الثالث) إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه . (الرابع) حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه  
(الخامس) تحقيق أمور غامضة اعتاصت علي الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً ، إذ الكل  
وإن تواردوا علي منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه  
لأمر يخصه ويفعل عنه رفقاؤه ، أو لا يفعل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراد في الكتب

أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف . فهذه خواص هذا الكتاب ، مع كونه حاوياً لمجامع هذه العلوم

وإنما حملني علي تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران :

(أحدهما وهو الباعث الأصلي) : أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهم كالضروري ؛ لأن العلم الذي يُتَوَجَّه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة ، وعلم المكاشفة ، وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط ، وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به . والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب ، وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ، ومطمح نظر الصديقين ، وعلم المعاملة طريق اليه ؛ ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والارشاد اليه . وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيحاء على سبيل التمثيل والاجمال ، علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ، والعلماء ورثة الأنبياء ، فالهم سبيل إلى المدول عن نهج التأسى والافتداء

ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر ، أعني العلم بأعمال الجوارح ، وإلى علم باطن ، أعني العلم بأعمال القلوب . والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة ، والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملوكوت إما محمود وإما مذموم . فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين : ظاهر ، وباطن ، والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة ، والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود ، فكان المجموع أربعة أقسام ، ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام

(الباعث الثاني) : أتى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى ، المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات . وهو مرتب علي أربعة أرباع ، والمزني بزى المحبوب محبوب ، فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً في استدراج القلوب . ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب ، فوضعه على هيئة تقويم النجوم ، موضوعاً في الجداول والرقوم ، وسماه تقويم الصحة ، ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة ، والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد ، أم من التلطف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد



فثمره هذا العلم طب القلوب والأرواح، المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد، فأين منه  
الطب الذي يعالج به الأجساد، وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد؟ فنسأل الله  
سبحانه التوفيق للرشاد والهدى، إنه كريم جواد .

# كتاب العالم

## كتاب العلم

وفيه سبعة أبواب

(الباب الأول) في فضل العلم والتعليم والتعلم . (الباب الثاني) في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم ، وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين ، وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا . (الباب الثالث) فيما تعدد العامة من علوم الدين وليس منها ، وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره . (الباب الرابع) في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل . (الباب الخامس) في آداب المعلم والمتعلم . (الباب السادس) في آفات العلم والعلماء ، والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . (الباب السابع) في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار

### الباب الأول

في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهد من النقل والعقل

### فضيلة العلم

شواهدا من القرآن قوله عز وجل: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ) . فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه ، وثنى بالملائكة ، وثالث بأهل العلم . وناهيك بهذا شرفا وفضلا ، وجللا ونبلا . وقال الله تعالى (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) . قال ابن عباس رضى الله عنهما: «للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام» . وقال عز وجل: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) . وقال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) . وقال تعالى: (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) . وقال تعالى: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ) (تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم . وقال عز وجل: (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) يَبَيِّنُ أَنْ عَظَمَ



قدر الآخرة يعلم بالعلم . وقال تعالى : ( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ )  
وقال تعالى : ( وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ )  
ردّ حكمه في الوقائع إلى استنباطهم ، وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله  
وقيل في قوله تعالى ( يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ ) يعني العلم  
( وَرِيشًا ) يعني اليقين ( وَلِبَاسُ التَّقْوَى ) يعني الحياء

وقال عز وجل : ( وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ) . وقال تعالى : ( فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ  
بِعِلْمٍ ) . وقال عز وجل : ( بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) . وقال تعالى : ( خَلَقَ  
الْإِنْسَانَ عَالِمَهُ الْبَيِّنَاتِ ) . وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان

( وأما الأخبار ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي  
الدِّينِ وَيُلْهِمَهُ رُشْدَهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ » . ومعلوم أنه لارتبة  
فوق النبوة ، ولا شرف فوق شرف الورثة لتلك الرتبة . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « يَسْتَغْفِرُ  
لِلْعَالَمِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » . وأي منصب يزيد على منصب من تشغل ملائكة السموات  
والأرض بالاستغفار له ، فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له . وقال صلى الله عليه  
وسلم <sup>(٤)</sup> « إِنَّ الْحِكْمَةَ تَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا ، وَتَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ حَتَّى يُدْرِكَ مَدَارِكَ الْمُلُوكِ » .  
وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى  
وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « خَصَلْتَانِ لَا يَكُونَانِ فِي مُنَافِقٍ : حُسْنُ سَمْتٍ ، وَفِقَةٌ فِي  
الدِّينِ » . ولا تشيكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان ، فانه ما أراد به الفقه الذي ظننته ،

### ﴿ كتاب العلم — الباب الأول ﴾

- ( ١ ) حديث من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده : متفق عليه من حديث معاوية دون قوله ويلهمه رشده . وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير
- ( ٢ ) حديث العلماء ورثة الأنبياء : أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء
- ( ٣ ) حديث يستغفر للعالم ما في السموات وما في الأرض : هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم
- ( ٤ ) حديث الحكمة تزيد الشريف شرفاً - الحديث : أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في بيان العلم وعبد الغني الأزدي في آداب المحدث من حديث أنس بإسناد ضعيف
- ( ٥ ) حديث خصلتان لا يجتمعان في منافق - الحديث : الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب

وسياتى معنى الفقه . وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا ، وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برىء بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَفْضَلُ النَّاسِ الْمُؤْمِنُ الْعَالِمُ الَّذِي إِنْ أَحْتَجَّ إِلَيْهِ نَفَعَ ، وَإِنْ اسْتَعْنَى عَنْهُ أَغْنَى نَفْسُهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « الْإِيمَانُ عُرْيَانٌ وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى وَزِينَتُهُ الْحَيَاءُ وَتَمَرَّتُهُ الْعِلْمُ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ ، أَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ فَدَلُّوا النَّاسَ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَأَمَّا أَهْلُ الْجِهَادِ فَجَاهَدُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « لَمَوْتُ قَبِيلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ » . وقال عليه الصلاة والسلام <sup>(٥)</sup> « النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فُقِّهُوا » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ بِدِمِ الشُّهَدَاءِ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> « مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنَ السَّنَةِ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا إِلَيْهِمْ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٨)</sup> « مَنْ حَمَلَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيهًا عَالِمًا » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٩)</sup> « مَنْ تَفَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَمَّهُمْ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » . وقال صلى الله

( ١ ) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث : البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على أبي الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا

( ٢ ) حديث الإيمان عريان - الحديث : الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف

( ٣ ) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد - الحديث : أبو نعيم في فضل العلماء العقوف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف

( ٤ ) حديث لموت قبيلة أيسر من موت عالم - الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء : وأصل الحديث عند أبي الدرداء

( ٥ ) حديث الناس معادن - الحديث : منفق عليه من حديث أبي هريرة

( ٦ ) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء - ابن عبد البر : من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف

( ٧ ) حديث من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شافعاً وشهيداً يوم القيامة - ابن عبد البر : في العلم من حديث ابن عمر وضعفه

( ٨ ) حديث من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيهاً عالماً - ابن عبد البر : من حديث أنس وضعفه

( ٩ ) حديث من تفقه في دين الله كفاه الله همه - الحديث : الخطيب في التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي باسناد ضعيف

عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام : يا إبراهيم إني عليم أحب كلَّ عليم ». وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « ألعالم أمين الله سبحانه في الأرض »  
وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس : الأئمراء والفقهاء ». وقال عليه السلام <sup>(٤)</sup> « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يُقربني إلى الله عز وجل فلا بُوركي لي في طلوع شمس ذلك اليوم ». وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ». فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوة ، وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم ، وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ، ولولاه لم تكن عبادة

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في الدين ، وفقه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه ». وقال صلى الله عليه

(١) حديث أوحى الله إلى إبراهيم بإبراهيم إني عليم أحب كل عليم : ذكره ابن عبد البر تعليقاً ، ولم أظفره بأسناد

(٢) حديث العالم أمين الله في الأرض ؛ ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف

(٣) حديث صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس - الحديث : ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٤) حديث إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل : الحديث : الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية وابن

عبد البر في العلم من حديث عائشة بأسناد ضعيف

(٥) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي : الترمذي من حديث أبي أمامة وقال

حسن صحيح

(٦) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب : أبو داود والترمذي

والنسائي وابن حبان ، وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم

(٧) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء : ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بأسناد ضعيف

(٨) حديث ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين - الحديث : الطبراني في الأوسط وأبو بكر الأجرى في

كتاب فضل العلم وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف ، وعند الترمذي و

ابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف . فقه أشد على الشيطان من ألف عابد

وسلم<sup>(١)</sup> «خَيْرُ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ ، وَخَيْرُ الْعِبَادَةِ الْفَقَهُ» . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> «فَضْلُ الْمُؤْمِنِ الْعَالِمِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْعَابِدِ بِسَبْعِينَ دَرَجَةً» . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> «إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ كَثِيرٍ فَقَهَاؤُهُ قَلِيلٌ قُرْأُوهُ وَخُطَبَاؤُهُ قَلِيلٌ سَأَلُوهُ كَثِيرٌ مُعْطَوْهُ ، أَلْعَمَلُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعِلْمِ ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فَقَهَاؤُهُ كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ قَلِيلٌ مُعْطَوْهُ كَثِيرٌ سَأَلُوهُ ، أَلْعِلْمُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ» . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> «بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْعَابِدِ مِائَةٌ دَرَجَةٍ بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حُضْرُ الْجَوَادِ الْمُضَرَّرِ سَبْعِينَ سَنَةً» . و«قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ<sup>(٥)</sup> أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: أَلْعِلْمُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقِيلَ: أَيُّ الْعِلْمِ تُرِيدُ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلْعِلْمُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَقِيلَ لَهُ: نَسْأَلُ عَنِ الْعَمَلِ وَتَجِيبُ عَنِ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ يَنْفَعُ مَعَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ ، وَإِنَّ كَثِيرَ الْعَمَلِ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ» . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> «يَبْعَثُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَبْعَثُ الْعُلَمَاءَ ثُمَّ يَقُولُ: يَا مَشَرَّ الْعُلَمَاءِ إِنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ إِلَّا لِعِلْمِي بِكُمْ ، وَلَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ إِلَّا عَذْبَكُمْ ، أَذْهَبُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» . نَسْأَلُ اللَّهَ حَسَنَ الْخَاتِمَةِ

(وَأَمَّا الْآثَارُ) : فَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسُكَيْلٍ : يَا كَمِيلُ : الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مُحْكُومٌ عَلَيْهِ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ

(١) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه - ابن عبد البر : من حديث أنس بسند ضعيف ، والشرط الأول عند أحمد من حديث معجب بن الأدرع ناسد جيد ، والشرط الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٢) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة : ابن عدى من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف ، ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف

(٣) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه : الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه . وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف

(٤) حديث بين العالم والعابد مائة درجة : الأصفهاني في الترهيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال : سبعون درجة ، بسند ضعيف . وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة

(٥) حديث قيل له يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فقال العلم بالله - الحديث : ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف

(٦) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء - الحديث : الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف

النفقة والعلم يزكو بالانفاق . وقال عليّ أيضاً رضى الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، وإذا مات العالم تلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه . وقال رضى الله تعالى عنه نظماً :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم      على الهدى لمن استهدى أدلاء  
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه      والجاهلون لأهل العلم أعداء  
فقر بعلم تعيش حياً به أبداً      الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود : ليس شيء أعزّ من العلم : الملوك يحكم على الناس ، والعلماء يحكم على الملوك . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك ، فاختار العلم ، فأعطى المال والملك معه . وسئل ابن المبارك من الناس ؟ فقال : العلماء ، قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد ، قيل فمن السّفلة ؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين . ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم . فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله ، وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه ، ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه ، ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ، ولا بأكله فإن الثور أوسع بطناً منه ، ولا ليجامع فإن أخس المصاير أقوى على السفاد منه ، بل لم يخلق إلا للعلم . وقال بعض العلماء : ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم ، وأي شيء فاته من أدرك العلم !

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَدًا أُوتِيَ خَيْرًا مِنْهُ فَقَدْ حَقَّرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى » . وقال فتح الموصلى رحمه الله : أليس للمريض إذا منع الطعام والشراب يموت ؟ قالوا بلى ، قال : كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت . ولقد صدق ، فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته ، كما أن غذاء الجسد الطعام ، ومن فقد العلم فقلبه مريض ، وموته لازم ، ولكنه لا يشعر به ، إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه ، كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا ، فاذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه ، وتحسر تحسراً عظيماً لا ينفعه ، وذلك كإحساس الآمن من خوفه ، والمفقق من سكره ، بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف ، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء ، فإن الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا

وقال الحسن رحمه الله : يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء .  
 وقال ابن مسعود رضى الله عنه : عليكم بالعلم قبل أن يرفع ، ورفعته موت رواته ، فوالذي نفسى  
 بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم ، فإن  
 أحداً لم يولد عالماً وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : تذاكرُ العلم بعض ليلة أحب  
 إلى من إحيائها . وكذلك عن أبي هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله . وقال الحسن في  
 قوله تعالى : ( رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ) : إن الحسنة في الدنيا هي العلم  
 والعبادة ، وفي الآخرة هي الجنة . وقيل لبعض الحكماء : أى الأشياء تقتنى ؟ قال : الأشياء التى  
 إذا غرقت سفينتك سبحت معك ، يعنى العلم ، وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت . وقال  
 بعضهم : من اتخذ الحكمة لجأماً اتخذها الناس إماماً ، ومن عُرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار  
 وقال الشافعى رحمه الله عليه : من شرف العلم أن كل من نسب اليه ولو فى شىء حقير  
 فرح ، ومن رفع عنه حزن . وقال عمر رضى الله عنه : يأيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه  
 رداءً يحبه ؛ فمن طلب باباً من العلم رداه الله عز وجل برائه ؛ فإن أذنب ذنباً استعقبه ثلاث مرات  
 لثلاً يسلبه رداءه ذلك وإن تناول به ذلك الذنب حتى يموت . وقال الأحنف رحمه الله : كاد العلماء  
 أن يكونوا أرباباً ؛ وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره . وقال سالم بن أبى الجعد : اشتراى  
 مولاى بثلمائة درهم وأعتقنى ، فقلت بأى شىء أحترف ؟ فاحترفت بالعلم ، فما تمت لى سنة حتى  
 أتانى أمير المدينة زائراً فلم آذن له

وقال الزبير بن أبى بكر : كتب إلى أبى بالعراق : عليك بالعلم فانك إن افتقرت كان لك  
 مالا ؛ وإن استغنيت كان لك جمالا . وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه ؛ قال : يا بنى جالس العلماء  
 وزاحمهم بركبتك ؛ فإن الله سبحانه يحىى القلوب بنور الحكمة كما يحىى الأرض بوابل السماء .  
 وقال بعض الحكماء : إذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ، ويفقد وجهه ولا ينسى  
 ذكره . وقال الزهري رحمه الله : العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال

## فضيلة التعلم

(أما الآيات) فقله تعالى: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) .  
وقوله عز وجل: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)  
(وأما الأخبار) فقله صلى الله عليه وسلم<sup>١</sup>: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>٢</sup>: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا، بِمَا يَصْنَعُ» . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>٣</sup>: «لَأَنْ تَعْدُو فَتَعْلَمَ بِأَبَا مِنْ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ» . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>٤</sup>: «بَابٌ مِنَ الْعِلْمِ يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>٥</sup>: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ» وقال صلى الله عليه وسلم<sup>٦</sup>: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» وقال عليه الصلاة والسلام<sup>٧</sup>: «الْعِلْمُ، خَزَائِنُ مَفَاتِيحِهَا السُّؤَالُ؛ أَلَا فَاسْأَلُوا فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ فِيهِ أَرْبَعَةٌ: السَّائِلُ، وَالْعَالِمُ وَالْمُسْتَمِعُ، وَالْمُحِبُّ لَهُمْ» . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>٨</sup>: «لَا يَنْبَغِي لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى

- (١) حديث من سلك طريقاً يطلب فيه علماً - الحديث : مسلم من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع : أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال
- (٣) حديث لأن تعدو فتعلم باباً من الخير خير من أن تصلي مائة ركعة : ابن عبد البر من حديث أبي ذر وليس إسناده بذلك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر
- (٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا : ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد الله موقوفا على الحسن البصري ولم أره مرفوعاً إلا بلفظ خير له من مائة ركعة ، رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث أبي ذر
- (٥) حديث اطلبوا العلم ولو بالصين : ابن عدى والبيهقي في المدخل والشعب من حديث أنس قال البيهقي متنه مشهور وأسانيده ضعيفة
- (٦) حديث العلم خزان مفااتيحها السؤال - الحديث : رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعاً بإسناد ضعيف
- (٧) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت علي جهله : الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة المعلمين من حديث جابر بسند ضعيف
- (\*) انظر تخريجها في صفحة ٣ ج ١

جَهْلِهِ وَلَا لِلْعَالِمِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى عِلْمِهِ ». وفي حديث أبي ذر رضى الله عنه<sup>(١)</sup> « حُضُورُ مَجْلِسِ عَالِمٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ ، وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ ، وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ » فقيل يارسول الله : ومن قراءة القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « وَهَلْ يَنْفَعُ الْقُرْآنُ إِنْ لَا بَالِ لِعِلْمٍ ؟ » وقال عليه الصلاة والسلام<sup>(٢)</sup> : « مَنْ جَاءَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُخَيَّرَ بِهِ الْإِسْلَامَ فَيَبْتِغِيهِ وَيَبَيِّنَ الْأَنْبِيَاءَ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَةً وَاحِدَةً »

(وأما الآثار) فقال ابن عباس رضى الله عنهما: ذلت طالبا فعززت مطلوبيا. وكذلك قال ابن أبى مليكة رحمه الله: ما رأيت مثل ابن عباس: إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها؛ وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا؛ وإذا أفتى فأكثر الناس علما. وقال ابن المبارك رحمه الله: عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة! وقال بعض الحكماء: إني لا أرحم رجلا كرحمتي لأحد رجلين: رجل يطلب العلم ولا يفهم؛ ورجل يفهم العلم ولا يطلبه. وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: لأن أتعلم مسألة أحب إليّ من قيام ليلة. وقال أيضا: العالم والمتعلم شريكان في الخير؛ وسائر الناس همج لا خير فيهم. وقال أيضا: كن عالما أو متعلما أو مستمعا، ولا تكن الرابع قتهلك

وقال عطاء: مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو. وقال عمر رضى الله عنه: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه. وقال الشافعي رضى الله عنه: طلب العلم أفضل من النافلة. وقال ابن عبد الحكم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر، فجمعت الكتب لأصلي، فقال: يا هذا ما الذي قت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية. وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله

## فضيلة التعليم

(أما الآيات) فقوله عز وجل: (وَلْيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ). والمراد هو التعليم والارشاد، وقوله تعالى: (وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ

(١) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات

من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر

(٢) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث: الدارمي وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث

الحسن، فقيل هو ابن علي وقيل هو ابن يسار البصري فيكون مرسلا



لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ) وهو إيجاب للتعليم . وقوله تعالى : ( وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) وهو تحريم للكتمان ، كما قال تعالى في الشهادة : ( وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ) وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَا آتَى اللَّهُ عَالِمًا عِلْمًا إِلَّا وَأَخَذَ عَلَيْهِ مِنَ الْمِيثَاقِ مَا أَخَذَ عَلَى النَّبِيِّينَ أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُوهُ » . وقال تعالى : ( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ) . وقال تعالى : ( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ) . وقال تعالى : ( وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ )

(وأما الأخبار) فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضى الله عنه إلى اليمن <sup>(٢)</sup> «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها» . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> «من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقاً» وقال عيسى صلى الله عليه وسلم : «من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات» . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> «إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين : ادخلوا الجنة ، فيقول العلماء : بفضل علمنا تعبّدوا وجهادوا ، فيقول الله عز وجل : أنتم عندي كبعض ملائكتي ، اشفعوا تشفعوا ، فيشفعون ثم يدخلون الجنة » . وهذا إنما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم ، لا العلم اللازم الذي لا يتعدى

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> «إن الله عز وجل لا ينتزع العلم انتزاعاً من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء ، فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم

(١) حديث ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين - الحديث : أبو نعيم في فضل

العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلفيات نحوه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث قل لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حجر النعم : أحمد

من حديث معاذ ، وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعل

(٣) حديث من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقاً : رواه أبو منصور الديلمي في مسنده

الفرديوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(٤) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة - الحديث : أبو العباس

الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٥) حديث إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً من الناس - الحديث : متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو

حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ إِلَّا رُؤُسَاءُ جُهَاثًا إِنْ سُئِلُوا أَفْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ عِلِمَ عِلْمًا فَكَتَمَهُ أَجْمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « نِعَمَ الْعَطِيَّةُ وَنِعَمَ الْهَدِيَّةُ كَلِمَةُ حِكْمَةٍ تَسْمَعُهَا فَتَطْوِي عَلَيْهَا ثُمَّ تَحْمِلُهَا إِلَى أَخٍ لَكَ مُسْلِمٍ تُعَامُّهُ أَيَّاهَا تَعْدِلُ عِبَادَةَ سَنَةٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَمَا وَلَاهُ أَوْ مُعَلِّمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا »

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَهْلُ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ لِيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « مَا أَفَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ فَائِدَةً أَفْضَلَ مِنْ حَدِيثٍ حَسَنٍ بَلَغَهُ فَبَلَغَهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « كَلِمَةٌ مِنَ الْخَيْرِ يَسْمَعُهَا الْمُؤْمِنُ فَيَعْمَلُهَا وَيَعْمَلُ بِهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ » . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه ، والثاني يعلمون الناس ، فقال : « أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَعْلَمُونَ النَّاسَ ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا » ثم عدل إليهم وجلس معهم

( ١ ) حديث من علم علماً فكتمه أجم يوم القيامة بليجام من نار : أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان

والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذى حديث حسن

( ٢ ) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها - الحديث : الطبرانى من حديث ابن عباس نحوه باسناد ضعيف

( ٣ ) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها - الحديث : الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذى حسن غريب

( ٤ ) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر

ليصلون على معلم الناس الخير : الترمذى من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي نسخة حسن صحيح

( ٥ ) حديث ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن - الحديث : ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر

مرسلاً نحوه ، ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزیده هدي أو زرده عن ردى

( ٦ ) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها - الحديث : ابن المبارك في الزهد والرقائق من

رواية زيد بن أسلم مرسلاً نحوه ، وفي مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف : كلمة

حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة

( ٧ ) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله - الحديث : ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْفَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا بُقْعَةٌ قِيلَتْ الْمَاءُ فَأَنْبَتَ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا بُقْعَةٌ أُمْسَكَتِ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ قِيَعَانُ لَا تُمَسِّكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا » . فالأول ذكره مثلاً للمتفع بعلمه ، والثاني ذكره مثلاً للنافع ، والثالث للمحروم منهما .

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : عِلْمٌ يَنْتَفَعُ بِهِ » الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْخَيْرِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : عَلَى خُلَفَائِي رَحْمَةُ اللَّهِ ، قِيلَ : وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ ؟ قَالَ : الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنتِي وَيُعَلِّمُونَهَا عِبَادَ اللَّهِ » (وأما الآثار) فقد قال عمر رضى الله عنه : من حدث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : مُعَلِّمُ النَّاسِ الْخَيْرَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَوْتُ فِي الْبَحْرِ . وقال بعض العلماء : العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه ، فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فكث لا يسأله إنسان ، فقال : اكرؤا لى لأخرج من هذا البلد ، هذا بلد يموت فيه العلم ! وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضى الله عنه : دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت : ما يبكيك ؟ قال : ليس أحد يسألنى عن شيء !

( ١ ) حديث مثل ما بعثنى الله به من العلم والهدى - الحديث : متفق عليه من حديث أبى موسى

( ٢ ) حديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث - الحديث : مسلم من حديث أبى هريرة

( ٣ ) حديث الدال على الخير كفاعله : الترمذى من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود

والترمذى وصححه عن أبى مسعود البدرى بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله

( ٤ ) حديث لا حسد إلا في اثنتين - الحديث : متفق عليه من حديث ابن مسعود

( ٥ ) حديث على خلفائى رحمة الله - الحديث : ابن عبد البر فى العلم والمروى فى ذم الكلام من حديث الحسن قنبل هو

ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلًا وابن السنى وأبى نعيم فى رياضة المتعلمين من

حديث على نحوه

وقال بعضهم . العلماء سُرج الا زمنة ، كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره .  
وقال الحسن رحمه الله : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم . أى أنهم بالتعليم يخرجون الناس  
من حدّ البيهيمية الى حدّ الانسانية . وقال عكرمة : إن لهذا العلم ثمناً . قيل : وما هو ؟ قال :  
أن تضعه فيمن يُحسن حملَه ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ : العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله  
عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم ؛ قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من  
نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة .

وقيل : أول العلم الصمت ؛ ثم الاستماع ؛ ثم الحفظ ؛ ثم العمل ؛ ثم نشره . وقيل : علم  
علمك من يجهل ، وتعلم ممن يعلم ما تجهل ؛ فانك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت ، وحفظت  
ما علمت .

وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورأيته أيضاً مرفوعاً : <sup>(١)</sup> تعلّموا العلم فإن تعلّمه لله  
خشيةٌ ، وطلبه عبادة ، ومدارسه تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله  
لأهله قربة ، وهو الأنيس في الوحدة ، والصاحب في الخلوة ، والدليل على الدين ؛ والمصبر على  
السراء والضراء ، والوزير عند الإخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به  
أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم ، أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم ،  
وترغب الملائكة في خلّتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيطان البحر  
وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ، ونور  
الأبصار من الظلم ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى ،  
والتفكر فيه يعدل بالصيام ، ومدارسه بالقيام ، به يطاع الله عز وجل ، وبه يعبد ، وبه  
يوحد ، وبه يعجد ، وبه يتورّع ، وبه توصل الأرحام . وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام  
والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ، ويحرمه الأشقياء . نسأل الله تعالى حسن التوفيق

(١) حديث معاذ تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة - الحديث بطوله : أبو الشيخ وابن حبان في  
كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له اسناد قوى

في الشواهد العقلية :

إعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ، ومالم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال ، فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيدا حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها والفضيلة مأخوذة من الفضل وهو الزيادة ، فاذا تشارك شيان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال: فضله وله الفضل عليه، مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء ، كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة ، فلو فرض حمار اختص بسلمة زائدة لم يقل إنه أفضل ، لأن تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى ، وليست من الكمال في شيء ، والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه . فاذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الأوصاف ، كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات ، بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الإطلاق ، والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة ، فانه وصف كمال الله سبحانه ، وبه شرف الملائكة والأنبياء ، بل الكيس من الخيل خير من البليد ، فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة .

واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره ، وإلى ما يطلب لذاته ، وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا . فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره ، والمطلوب لغيره الدرام والدنانير ، فانهما حيران لا منفعة لهما ، ولو لا أن الله سبحانه وتعالى يترقضاء الحاجات بهما لكانا والحصاب بمثابة واحدة . والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ، ولذة النظر لوجه الله تعالى . والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن ، فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ، ومطلوبة للمشي بها ، والتوصل إلى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذا في نفسه ، فيكون مطلوبا لذاته ، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها ، وذريعة إلى القرب من الله تعالى ، ولا يتوصل إليه إلا به . وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدي السعادة الأبدية ، وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها ،

ولن يتوصل اليها إلا بالعلم والعمل ، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل . فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم ، فهو إذن أفضل الأعمال ، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته ، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين ، والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى . هذا في الآخرة

وأما في الدنيا فالعز والوقار ، ونفوذ الحكم على الملوك ، ولزوم الاحترام في الطباع ، حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم محبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة ، بل البهيمة يطعمها توفر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها .

هذه فضيلة العلم مطلقاً . ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت لامحالة فضائلها بتفاوتها وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه ، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل ، فكان تعليمه إفادة للأفضل . وبيانه : أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة ، وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلاً ، لا لمن يتخذها مستقراً ووطناً ، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال آدميين ، وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام :

(أحدها) أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة : الزراعة وهي للمطعم ، والحياكة وهي للملبس ، والبناء وهو للمسكن ، والسياسة وهي للتأليف والاجتماع ، والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها .

(الثاني) ماهي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة ، فإنها تخدم الزراعة ، وجملة من الصناعات بأعداد آلاتها كالحلابة والغزل ، فإنها تخدم الحياكة بإعداد عملها (الثالث) ماهي متممة للأصول ومزينة : كالطحن والخبز للزراعة ، وكالتقارة والخياطة للحياكة ، وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملة ، فإنها ثلاثة أضرب أيضاً : إما أصول كالقلب والكبد والدماغ ، وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة ، وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها ، وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ،

ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات .  
ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناعات .

والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجى في الدنيا والآخرة  
على أربع مراتب : الأولى وهي العليا : سياسة الأنبياء عليهم السلام ، وحكمهم على الخاصة  
والعامة جميعاً في ظاهريهم وباطنيهم . والثانية : الخلفاء والملوك والسلاطين ، وحكمهم على  
الخاصة والعامة جميعاً ، ولكن على ظاهريهم لا على باطنيهم . والثالثة : العلماء بالله عز وجل  
وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء ، وحكمهم على باطن الخاصة فقط ، ولا يرتفع فهم العامة على  
الاستفادة منهم ، ولا تنتهي قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع . والرابعة :  
الوعاظ ، وحكمهم على بواطن العوام فقط . فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة : إفادة  
العلم ، وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة  
المسعدة ، وهو المراد بالتعليم

وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات ، لأن شرف الصناعة يعرف  
بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية  
على اللغوية ، إذ تدرك الحكمة بالعقل ، واللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع ؛ وإما بالنظر  
إلى عموم النفع : كفضل الزراعة على الصياغة ؛ وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف : كفضل  
الصياغة على الدباغة ، إذ محل أحدهما الذهب ، ومحل الآخر جلد الميتة .

وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء  
الذكاء ، والعقل أشرف صفات الإنسان كما سيأتي بيانه ، إذ به تقبل أمانة الله ، وبه يتوصل إلى  
جوار الله سبحانه

وأما عموم النفع فلا يستراب فيه ، فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة  
وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم ، وأشرف  
موجود على الأرض جنس الانس ، وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه ، والمعلم مشغول بتكميله  
وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل  
فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى ، ومن وجه خلافة الله تعالى ، وهو من أجل خلافة الله ،

فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته ، فهو كالحازن لأنفس خزائنه ، ثم هو مأذون له في الإنفاق منه على كل محتاج إليه . فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تزيينهم إلى الله زلفى ، وسياقتهم إلى جنة المأوى ؟ جعلنا الله منهم بكرمه ! وصلى الله على كل عبد مصطفى .

## الباب الثاني

في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما ، وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة

## بيان العلم الذي هو فرض عين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : « اَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ \* »

واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم ، ففترقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ، ولا نطيل بنقل التفصيل ، ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصده ، فقال : المتكلمون : هو علم الكلام ، إذ به يدرك التوحيد ، ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته . وقال الفقهاء : هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل ، وعَنَوْا به ما يحتاج إليه الآحاد ، دون الوفائع النادرة . وقال المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها . وقال المتصوفة : المراد به هذا العلم : فقال بعضهم : هو علم العبد بحاله ، ومقامه من الله عز وجل ، وقال بعضهم : هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان . وقال بعضهم : هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك ، وصرفوا اللفظ عن عمومه . وقال أبو طالب المكي : هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » إلى آخر الحديث ، لأن الواجب هذه الخمس ، فيجب العلم بكيفية العمل فيها ، وبكيفية الوجوب .

(١) حديث بنى الاسلام على خمس : متفق عليه من حديث ابن عمر \* راجع تخريجه في ص ١٥



والذى ينبغى أن يقطع به المحصل ولا يسترىب فيه ما سنذكره ، وهو : أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة ، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد ، وفعل ، وترك . فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا ، فأول واجب عليه تعلم كلتى الشهادة وفهم معناهما ، وهو قول : لا إله إلا الله محمد رسول الله . وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويمتدده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس ، وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان ، إذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ، فاذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت ، وكان العلم الذى هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما ، وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت ، بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله عز وجل غير عاص له

وإنما يجب غير ذلك بموارض تعرض ، وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص ، بل يتصور الانفكاك عنها ، وتلك العوارض إما أن تكون في الفعل ، وإما في الترك ، وإما في الاعتقاد .

أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره الى وقت الظهر ، فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة ، فإن كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم ، فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه ، فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ، ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل ، فلا يجب قبل الزوال ، وهكذا في بقية الصلوات .  
فإن عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم ، وهو يعلم أن وقته من الصبح الى

### ﴿ الباب الثانى ﴾

(١) حديث اكفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل مشهور في كتب السير والحديث ، فعند مسلم قصة ضام بن ثعلبة

غروب الشمس ، وأن الواجب فيه النية والامساك عن الأكل والشرب والوقاع ، وأن ذلك يتبادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين .

فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه ، لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ، ولكن لا يلزمه في الحال ، إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام ، فإن لم يملك الا الابل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الابل ، وكذلك في سائر الأصناف .

فإذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج ، مع أن فعله على التراخي ، فلا يكون تعلمه على الفور ، ولكن ينبغي لعلماء الاسلام أن ينهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا ، حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة ، فعنه ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ، ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله ، فإن فعل ذلك نفل ، فعلمه أيضا نفل ، فلا يكون تعلمه فرض عين . وفي تحريم السكوت على التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه ، وهكذا التدريج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين .

وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال ، وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ، ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ، ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن ، فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال ، فإعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه ، وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه ، كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير أو جالسا في القصب أو ناظرا الى غير ذى محرم ، فيجب تعريفه بذلك ، وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه ، حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه ، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه .

وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر ، فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى إزالة الشك ، فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم ، وأنه مرئي ، وأنه ليس محلا للحوادث ، الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات ، فقد مات على الاسلام إجماعا . ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع ، وبعضها يخطر بالسمع من أهل البلد ،

فان كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع ، فينبغي أن يصاب في أول بلوغه عنها بتلقين الحق ، فانه لو ألقى اليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه ، وربما عسر ذلك ، كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربا ، وجب عليه تعلم الحذر من الربا . وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين . ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب ؛ فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين

وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضا ، ولكن في حق من يتصدى له ، فاذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد ، فيلزمه أن يتعلم من علم ربح المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه ؛ وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شَحْ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » . ولا ينفك عنها بشر . وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات ، وإزالتها فرض عين . ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ، ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها ، فان من لا يعرف الشر يقع فيه ، والعلاج هو مقابلة السبب بضده ، وكيف يمكن دون معرفة السبب والسبب ؟ وأكثر ما ذكرناه في ربح المهلكات من فروض الأعيان ، وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني .

ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة الى ملة أخرى : الإيمان بالجنة والنار ، والحشر والنشر ، حتى يؤمن به ويصدق ، وهو من تنمة كلتي الشهادة ، فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغى أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها ، وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار . فاذا انتهت لهذا التدرج علمت أن المذهب الحق هو هذا ، وتحققت أن كل عبد هو في مجارى أحواله في يومه وليته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجديد لوازم عليه ، فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النواذر ، ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا . فاذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعروف بالألف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ »

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع - الحديث : البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف

علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير . فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه ، والله أعلم

## بيان العلم الذي هو فرض كفاية

أعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم ، والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدد تنقسم إلى شرعية وغير شرعية ، وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ، ولا التجربة مثل الطب ، ولا السماع مثل اللغة . فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ماهو محمود والى ماهو مذموم والى ماهو مباح . فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب ، وذلك ينقسم الى ماهو فرض كفاية ، والى ماهو فضيلة وليس بفريضة

أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغني عنه في قوام أمور الدنيا : كالطب ، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان ، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث وغيرها . وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عن يقوم بها حرج أهل البلد ، وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين ، فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات ، فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات : كالزراعة والحياكة والسياسة بل الحجابة والخياطة ، فإنه لو خلا البلد من الحجاج تسارع الهلاك اليهم ، وخارجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك ، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله ، وأعد الأسباب لتعاطيه ، فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله

وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك ما يستغني عنه ، ولكنه يفيد زيادة قوة في التقدير المحتاج اليه

وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات ، وعلم الشعبة والتليسات  
وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها ، وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه  
وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان ، فهي محمودة كلها ، ولكن قد يلتبس بهما ما يظن

أنها شرعية وتكون مذمومة ؛ فتقسم الى المحمودة والمذمومة أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتمات ، وهي أربعة أضرب :

الضرب الأول : الأصول - وهي أربعة : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه السلام ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة . والاجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة ، فهو أصل في الدرجة الثالثة ، وكذا الأثر ، فانه يدل على السنة ، لأن الصحابة رضی الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل ، وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه ، وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن ، فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم ، وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ، ولا يليق بانه بهذا الفن

الضرب الثاني : الفروع - وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بعمان تنبه لها العقول فأتسع بسببها الفهم حتي فهم من اللفظ الملفوظ به غيره ، كما فهم من قوله عليه السلام : ( « لَا يَقْضِي الْقَاضِي وَهُوَ غَضَبَانٌ » ) أنه لا يقضى إذا كان حاقنا أو جائنا أو متألمًا بعرض . وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه ، والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثاني ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة ، وما هو مرضى عند الله تعالى ، وما هو مكروه ، وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب ، أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ، ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها ، وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب والضرب الثالث : المقدمات - وهي التي تجرى منه مجرى الآلات : كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع ، إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب ، وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة . ومن الآلات علم كتابه الخط ، إلا أن ذلك ليس ضروريا ، إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أميًا . ولو تصور

(١) حديث لا يقضي القاضي وهو غضبان : متفق عليه من حديث أبي بكرة

(٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميًا أي لا يحسن الكتابة : ابن مردويه في التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة ، وابن جبان والدارقطني والحاكم والبيهقي وصححه من حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي ، والبخاري من حديث البراء : وأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب

استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ، ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا

الضرب الرابع : المتهمات - وذلك في علم القراءان ، فإنه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف ، والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده أيضا على النقل ، إذ اللغة بمجرد ما تستقل به ، والى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، والنص والظاهر ، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض ، وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ، ويتناول السنة أيضا .

وأما المتهمات في الآثار والأخبار ، فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم ، وأسماء الصحابة وصفاتهم ، والعلم بالعدالة في الرواة . والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى ، والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند ، وكذلك ما يتعلق به . فهذه هي العلوم الشرعية ، وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات .

فان قلت : لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا ؟ فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب ، وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق ، فأخرجهم من الأصاب إلى الأرحام ، ومنها إلى الدنيا ، ثم إلى القبر ، ثم إلى العرض ، ثم إلى الجنة أو إلى النار ، فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم ، وهذه منازلهم . وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للزود ، فلو تناولوها بالعدل لا تقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ، ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات ، فمسّت الحاجة إلى سلطان يسوسهم ، واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به . فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات ، فكان الفقيه من علم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم ، لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا . ولعمري إنه متعلق أيضا بالدين ، ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا ، فان الدنيا مزرعة الآخرة ، ولا يتم الدين إلا بالدنيا ، والملك والدين توأمان . فالدين أصل والسلطان حارس ، ومالا أصل له فهدوم ، ومالا حارس له فضائع ، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان ، وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه

وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى ، بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به ، فكذلك معرفة طريق السياسة . فعلوم أن الحج لا يتم إلا بيزرة تحرس

من العرب في الطريق ، ولكن الحج شيء وسلك الطريق إلى الحج شيء ثان ، والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شيء ثالث ، ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع . وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة . ويدل على ذلك ما روى مسنداً <sup>(١)</sup> « لا يُفتي النَّاسُ إِلَّا ثَلَاثَةً : أَمِيرُهُ أَوْ مَأْمُورُهُ أَوْ مُتَكَلِّفُهُ » . فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتين ، والمأمور نائبه ، والمتكلف غيرهما ، وهو الذي يتقصد تلك المهدة من غير حاجة . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتي كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه ، وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة . وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي ، فان من تقصد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال .

فان قلت : هذا إن استقام لك في أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ، ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام . فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة : الاسلام ، والصلاة ، والزكاة ، والحلال والحرام . فاذا تأملت منتهي نظر الفقيه فيها ، علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة . وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر .

أما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد ، وفي شروطه ، وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان ، وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبواب السيوف والسلطنة عنه حيث قال : <sup>(٢)</sup> « هَلَّا شَقَّقْتَ عَنْ قَلْبِهِ » للذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف ، بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف ؛ مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ، ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والخيرة ، ولكنه مشير على صاحب السيف ، فان السيف ممتد إلى رقبته ، واليد ممتدة إلى ماله ، وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادامت له رقبته وماله ، وذلك في الدنيا ، ولذلك

(١) حديث لا يفتي الناس إلا ثلاثة - الحديث : ابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ :

لا يقص على الناس ، وإسناده حسن

(٢) حديث هلا شققت عن قلبه : مسلم من حديث أسامة بن زيد

قال صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> « أُمرتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ » جعل أثر ذلك في الدم والمال . وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال ، بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها ؛ وليس ذلك من فن الفقه ، وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجاً عنه .  
وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أولها إلى آخرها ، مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير ، وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة ، كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ، ولكن الفقيه يفتي بالصحة ، أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير . فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ، ولو تعرض له لكان خارجاً عنه .

وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى إذا امتنع عن أدائها أخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطاً للزكاة ، فحكى ذلك لأبي حنيفة رحمه الله ، فقال : ذلك من فقهه ، وصدق فإن ذلك من فقه الدنيا ؛ ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية ، ومثل هذا هو العلم الضار

وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ، ولكن الورع له أربع مراتب :  
الأولى - الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة ، وهو الذي يخرج بتركه الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية ، وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر .  
الثانية - ورع الصالحين ، وهو التوقي من الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات ، قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « دَعِ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « الْإِيْثْمُ حَزَازُ الْقُلُوبِ »

(١) حديثُ أُمرتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر وابن عمر

(٢) حديثُ دَعِ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ : الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي

(٣) حديثُ الْإِيْثْمُ حَزَازُ الْقُلُوبِ : البيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن مسعود ورواه للعبدني في مسنده موقوفاً عليه



الثالثة - ورع المتقين ، وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه الى الحرام ؛ قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَالًا بِأَسْرِهِ مَخَافَةً يَمَّا بِهِ بَأْسٌ » وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة ، والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجات النشاط والبطر المؤدى الى مقارفة المحظورات

الرابعة - ورع الصديقين ، وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى مالا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل ؛ وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى الى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه ، إلا الدرجة الأولى ، وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدر في العدالة ، والقيام بذلك لا ينفي الاثم في الآخرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « لَوْ ابْصَرْتُ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوَكَ وَإِنْ أَفْتَوَكَ » . والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها ، بل فيما يقدر في العدالة فقط ، فإذا جمع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة ، فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل ، كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام ، وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر . وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول : إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة . كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به ، فكيف يظن أنه علم الظاهر واللعمان والسلم والإجارة والصرف ؛ ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها الى الله تعالى فهو مجنون ، وإنما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات ، والشرف هو تلك الأعمال

فإن قلت : لم سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضاً يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد ، وذلك يتعلق به أيضاً صلاح الدين ، وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين ؟ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق ، وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : ( أحدها ) أنه علم شرعي

(١) حديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأسره - الحديث : الترمذى وحسنه وابن ماجه

والحاكم وصححه من حديث عطية السعدي

(٢) حديث استفت قلبك وإن أفتوك : أحمد من حديث وابصة

إذ هو مستفاد من النبوة ، بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع . و(الثاني) أنه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة ألبتة لا الصحيح ولا المريض ؛ وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقولن . و(الثالث) أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ، ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب ، فالحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق الحمودة المنجية في الآخرة ، والمذموم يصدر من المذموم ، وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب . وأما الصحة والمرض فنشؤهما صفاء في المزاج والأخلاط ، وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب ، فهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه ، وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضاً شرف علم طريق الآخرة

فإن قلت : فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلاً يشير الى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله ، فاعلم أنه قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة .

فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن ، وذلك غاية العلوم ، فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة . وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر : من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم : بدعة أو كبر . وقيل : من كان محباً للدين أو مصرّاً على هوى لم يتحقق به ؛ وقد يتحقق بسائر العلوم ، وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئاً ؛ وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته \* فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والمقرين ؛ أعنى علم المكاشفة . فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتركيبته من صفاته المذمومة ؛ وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة . كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة ؛ فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات ، وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ، ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين ، وكيفية معاداة الشياطين للإنسان ، وكيفية ظهور الملك للأنبياء ، وكيفية وصول الوحي إليهم ، والمعرفة بملكوت السموات والأرض ، ومعرفة القلب ، وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ، ومعرفة الآخرة والجنة والنار ، وعذاب القبر ، والنصراط ، والميزان والحساب ، ومعنى قوله تعالى :

( أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ نَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ) ومعنى قوله تعالى : ( وَإِنَّ الدَّارَ  
الْآخِرَةَ لَهِيَ الْخَيْرَآنُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ،  
ومعنى القرب منه والنزول في جواره ، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملائكة الأعلى ومقارنة  
الملائكة والنبين ، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب  
الدرى في جوف السماء ، إلى غير ذلك مما يطول تفصيله ، إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد  
التصديق بأصولها مقامات شتى ، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعده الله لعباده  
الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأنه ليس مع الخلق من  
الجنة إلا الصفات والأسماء . وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من  
ألفاظها ، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته .  
وبعضهم يدعى أموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل . وبعضهم يقول : حد معرفة الله عز وجل  
ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام ، وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم . فنعنى بعلم المكاشفة  
أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جليلة الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجرى مجرى العيان الذى  
لا يشك فيه . وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها  
بقاذورات الدنيا ، وإنما نعنى بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصفيل هذه المرآة عن هذه  
الخبائث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله ، وإنما تصفيتها  
وتطهيرها بالكف عن الشهوات ، والاقتداء بالأنبياء صلوات الله عليهم في جميع أحوالهم ،  
فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلأأ فيه حقائقه ، ولا سبيل إليه إلا بالرياضة  
التي يأتى تفصيلها في موضعها ، وبالعلم والتعليم . وهذه هى العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا  
يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله ، وهو المشارك فيه ، على سبيل المذاكرة  
وبطريق الأسرار . وهذا هو العلم الخفى الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله : (١) « إِنَّ مِنْ  
الْعِلْمِ كَثِيرَةٍ الْمَسْكُونُونَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يَجْهَلْهُ إِلَّا  
أَهْلُ الْأَعْتَرَارِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، فَلَا تَحْفَرُوا عَالِمًا آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمًا مِنْهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
لَمْ يَحْفَرْهُ إِذْ آتَاهُ إِيَّاهُ »

(١) حديث من العلم كثرة المسكونون - الحديث : أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين له في التصوف من

حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف .

وأما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب .  
 أما ما يخدم منها فكالصبر والشكر ، والخوف والرجاء ، والرضا والزهد والتقوى والقناعة  
 والسخاء ، ومعرفة المنة الله تعالى في جميع الأحوال ، والاحسان وحسن الظن ، وحسن الخلق  
 وحسن المعاشرة ، والصدق والاخلاص . فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي  
 بها تكتسب ، وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى ، وما زال حتى يعود ،  
 من علم الآخرة

وأما ما يذم مخوف الفقر ، وسخط المقدور ، والغل والحقد ، والحسد والنش ، وطلب  
 العلوّ وحب الثناء ، وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع ، والكبر والرياء ، والغضب والأنفة ،  
 والعداوة والبغضاء ، والطمع والبخل ، والرغبة والبذخ ، والأشر والبطر ، وتعظيم الأغنياء  
 والاستهانة بالفقراء ، والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة ، والاستكبار عن الحق والخوض فيما  
 لا يعني ، وحب كثرة الكلام ، والصلف والتزين للخلق ، والمداهنة والعجب ، والاشتغال  
 عن عيوب النفس بعيوب الناس ، وزوال الحزن من القلب ، وخروج الخشية منه ، وشدة  
 الانتصار للنفس إذا نالها الذل ، وضعف الانتصار للحق ، واتخاذ إخوان العلانية على عداوة  
 السر ، والأمن من مكر الله سبحانه في سلب ما أعطى ، والاتكال على الطاعة ، والمكر  
 والخيانة والمخادعة ، وطول الأمل والقسوة والفظاظة ، والفرح بالدنيا والأسف على فواتها ،  
 والأنس بالخلق والوحشة لفراقهم ، والجفاء والطيش والعجلة ، وقلة الحياء وقلة الرحمة . فهذه  
 وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ، ومنابت الأعمال المحظورة .

وأضدادها وهي الأخلاق الحمودة منبع الطاعات والقربات ؛ فالعلم بحدود هذه الأمور  
 وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة ، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة .  
 فالعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة ؛ كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك  
 بسيف سلاطين الدنيا يحكم فتوى فقهاء الدنيا . فنظر الفقهاء في فروض العين ، بالإضافة إلى صلاح  
 الدنيا ؛ وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة . ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن  
 الاخلاص مثلاً أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه ، مع أنه فرض عينه  
 الذي في إهماله هلاكه في الآخرة . ولو سأله عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك

مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضى الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها، وإن احتيج لم تحل البلد عن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها، فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا، وفي حفظه ودرسه ويفعل عما هو مهم نفسه في الدين، وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية، ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه، والظن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدّم عليه فرض العين، بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات؛ فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً يشتغل به، ويتهاونون على علم الفقه لاسيما الخلافات والمجذليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع.

فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة، وإهمال مالا قائم به؟ هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحياسة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء، هيئات هيئات! قد اندرس علم الدين بتليس علماء السوء، فآله تعالى المستعان، واليه الملاذ في أن يعيدنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن، ويضحك الشيطان!

وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب، كان الامام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل كذا وكذا؛ فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوي؟ فيقول: إن هذا وفق لما أغفلناه. وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر عنزتهما وكانا يسألانه. وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> لما قيل له: كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجد في كتاب ولا سنة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «سَلُوا الصَّالِحِينَ وَاجْعَلُوهُ شُورَى بَيْنَهُمْ». ولذلك قيل: علماء الظاهر زينة الأرض والملك؛ وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت. وقال الجنيد رحمه الله: قال لي السري شيخى يوما: إذا قت من عندي فن تجالس؟ قلت المحاسبي فقال: نعم خذ من علمه وأدبه وودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على المتكلمين، ثم لما

(١) حديث قيل له كيف نفعل إذا جاء أمر لم نجد في كتاب الله ولا سنة رسوله - الحديث: الطبراني من

حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعفه الجمهور

وليت سمعته بقول : جعلك الله صاحب حديث صوفيا ، ولا جعلك صوفيا صاحب حديث .  
أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه .  
فان قلت : فلم لم تورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو  
محمودان ؟ فاعلم أن حاصل مايشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقراءان والأخبار  
مشتملة عليه ، وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه ، وإمامشاغبة  
بالتعلق بمناقضات الفرق لها ، وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترُّهات وهذيانات تردريها  
الطباع ، وتمحها الأسباع ، وبعضها خوض فيما لايتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر  
الأول ، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ، ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدع  
الصارفة عن مقتضى القراءان والسنة ، ونبغت جماعة لفقوا لها شهاباً ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً ،  
فضار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه ، بل صار من فروض السكفيات ، وهو القدر الذي  
يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة ، وذلك إلى حد محدود سنذكره في الباب الذي  
يلي هذا ، إن شاء الله تعالى .

وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء :

(أحدها) الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ، ولا يُمنع عنهما إلا من يُخاف عليه أن  
يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة ، فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما إلى البدع ، فيصان  
الضعيف عنهما لا لعينهما ، كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خوفاً عليه من الوقوع في النهر ، وكما  
يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه ، مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم .  
(الثاني) المنطق ، وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ، ووجه الحد وشروطه ، وهما داخلان  
في علم الكلام

(الثالث) الإلهيات ، وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته ، وهو داخل في  
الكلام أيضاً . والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم ، بل انفردوا بمذاهب بعضها  
كفر وبعضها بدعة . وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين ،  
وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة ، فكذلك الفلاسفة

(الرابع) الطبيعيات ، وبعضها مخالف للشرع والدين الحق ، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد

في أقسام العلوم ، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها ، وهو شبيه بنظر الأطباء ، إلا أن الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح ، وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك . ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج اليه ، وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها . فإذا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة ، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع ، كما حدثت حاجة الانسان إلى استئجار البذرة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ، ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج ، فذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضى الله عنهم ..

فليعلم المتكلم حدّه من الدين ، وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج ، فإذا تجرّد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج ، والمتكلم اذا تجرّد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ، ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً ، وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام ، وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان ، وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة ، فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام ، بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً عليه وممانعاً عنه ، وإنما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى : ( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ )

فان قلت : فقد رددت حدّ المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشوش المبتدعة ، كما أن حدّ البذرة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ، ورددت حدّ الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شرّ بعض أهل العدوان عن بعض ، وهاتان ربتان نازلتان بالاضافة إلى علم الدين ، وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون ، وهم أفضل الخلق عند الله تعالى ، فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالاضافة إلى علم الدين ؟

فاعلم أن من عرف الحق بالرجال ، حار في متاهات الضلال ، فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق ، وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين

الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم ، فقد أجمع الذين عرّضت بذكرهم على تقديمهم ، وأهمهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ، ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه ، بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها . وما فضل أبو بكر<sup>(١)</sup> رضي الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشيء وقر في صدره ، كما شهد له نبيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . فليكن حرصك في طلب ذلك السرّ ، فهو الجواهر النفيس والدرّ المكنون ، ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفضيحه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها ، فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كلهم علماء بالله أننى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد ، إلا بضعة عشر رجلا . ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم ، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل : اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه . إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة . ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود : مات تسعة أعشار العلم ، فقليل له : أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة ؟ فقال : لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى ؛ أفتري أنه أراد صنعة الكلام والجدل ؟ فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره ؟ وهو الذي سد باب الكلام والجدل ، وضرب ضييعا بالدرة لما أورد عليه سؤالا في تعارض آيتين في كتاب الله ، وهجره وأمر الناس بهجره .

وأما قولك : إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون ، فاعلم أن ما يُنال به الفضل عند الله شيء ، وما يُنال به الشهرة عند الناس شيء آخر ، فلقد كان شهرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة ، وكان فضله بالسر الذي وقر في قلبه . وكان شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة ، وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة أعشاره بموته ؛ وبقصده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته ، وعدله وشفقته على خلقه ، وهو أمر باطن في سره . فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة ، فتكون الشهرة فيما هو المهلك ، والفضل فيما هو سرّ لا يطلع عليه أحد . فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء ،

(١) حديث ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام - الحديث : الترمذي الحكيم في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني ولم أجده مرفوعا



وقد اتقسموا : فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وقتواه وذبه عن سنة نبيه ، ولم يطلب به رياء ولا سمعة ، فأولئك أهل رضوان الله تعالى ، وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ، ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم ، فإن كل علم عمل ، فإنه فعل مكتسب ، وليس كل عمل علماً ، والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثاباً على علمه من حيث إنه عامل لله سبحانه وتعالى به ، والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضياً عند الله سبحانه ومثاباً ، لا من حيث إنه متكفل بعلم الدين ، بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم المكاشفة ، وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلاً وضبطه للناس ، ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة ، فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعاً . فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة في حزب علماء الله ، أو عمال الله تعالى ، أو في حزيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما ؛ فهذا أم عليك من التقليد لجرد الاشتهار كما قيل :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به \* في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على أنا سنقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتجوا مذاهبهم ظاهرياً ؛ وأنهم من أشد خصمائهم يوم القيامة ، فأنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى ؛ وقد شوهدهم من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة ، فأنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه ، بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ، ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى ، والصوارف والدواعي متيقنة ، ولا حاجة إلى ذكرها

ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعناً فيهم ، بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلاً مذاهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم .

فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق ، أعني الذين كثر أتباعهم في المذاهب ، خمسة : الشافعي ، ومالك ، وأحمد بن حنبل ، وأبو حنيفة ، وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى . وكل واحد منهم كان عابداً ، وزاهداً ، عالماً بعلوم الآخرة ، وفقياً في مصالح الخلق في الدنيا ، ومريداً بفقهه وجه الله تعالى . فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة ، وهي التشهير والمبالغة

في تفاريع الفقه ، لأن الخصال الأربع لاتصلح إلا للآخرة ، وهذه الخصلة الواحدة تصلح  
للدنيا والآخرة ، إن أريد بها الآخرة قلّ صلاحها للدنيا ، شمروا لها وادّعوا بها مشابهة أولئك  
الأنمة ، وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين

فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربع ، فان معرفتهم بالفقه ظاهرة :  
أما الامام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ماروي أنه كان يقسم الليل ثلاثة  
أجزاء : ثلثا للعلم ، وثلثا للعبادة ، وثلثا للنوم . قال الربيع : كان الشافعي رحمه الله يحتم القرآن في  
رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة . وكان البويطي أحد أصحابه يحتم القرآن في رمضان  
في كل يوم مرة . وقال الحسن الكرايسي : بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحو من  
ثلث الليل فارأيت ي زيد علي خمسين آية ، فاذا أكثر فمائة آية ، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل  
الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ فيها وسأل النجاة  
لنفسه وللمؤمنين ؛ وكأنا جمع له الرجاء والخوف معا . فانظر كيف يدل اقتصراره على خمسين  
آية على تبحره في أسرار القرآن وتدبره فيها . وقال الشافعي رحمه الله : ماشبعت منذ ست عشرة  
سنة ، لأن الشعب يثقل البدن ، ويقسى القلب ، ويزيل الفطنة ، ويحلب النوم ، ويضعف صاحبه  
عن العبادة . فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشعب ، ثم في جدّه في العبادة إذ طرح الشعب  
لأجلها ، ورأس التعبد تقليل الطعام . وقال الشافعي رحمه الله : ما حلفت بالله تعالى لأصادق ولا  
كاذبا قط . فانظر إلى حرمة وتوقيره لله تعالى ، ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه

وسئل الشافعي رضي الله عنه عن مسألة فسكت ، فقيل له : ألا تجيب رحمك الله ! فقال :  
حتى أدري الفضل في سكوتي أوفي جوابي . فانظر في مراقبته للسانه مع أنه أشدّ الأعضاء  
تسلطا على الفقهاء ، وأعصاها عن الضبط والقهر . وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا  
لنيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير : خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما  
من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم ، فالتفت الشافعي إلينا وقال :  
نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به ، فان المستمع شريك القائل ،  
وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ، ولو ردّت كلمة السفيه  
لسعد رادها كما شقي بها قائلها . وقال الشافعي رضي الله عنه : كتب حكيم إلى حكيم : قد

أوتيت عامسا فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعى رحمه الله : من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب . وقال الحميدى : خرج الشافعى رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم ، ف ضرب له خباء في موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه ، فابرح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الحملى مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إنسان إليه فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوه الشافعى رحمه الله أشهر من أن تحكى ، ورأس الزهد السخاء ، لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه ، فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه ، وهو معنى الزهد .

ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همهته بالآخرة ما روى أنه روى سفيان بن عيينة حديثا في الرقائق فغشى على الشافعى ، فقيل له : قد مات ، فقال : إن مات فقد مات أفضل زمانه . وما روى عبد الله بن محمد البلوى قال : كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد ، فقال لى عمر : ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه : خرجت أنا وهو والحارث بن ليلى إلى الصفا ، وكان الحارث تلميذا لصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت ، فقرأ هذه الآية : ( هَذَا يَوْمٌ لَا يَخْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ) فرأيت الشافعى رحمه الله وقد تغير لونه ، واقشعر جلده ، واضطرب اضطرابا شديدا ، وخر مغشيا عليه ، فلما أفاق جعل يقول : أعوذ بك من مقام الكاذبين ، وإعراض الغافلين ، اللهم لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت لك رقاب المشتاقين ، الهى هب لى جودك وجلانى بسترک ، واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ! قال ثم مشى وانصرفنا ، فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوصا للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى : يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة . فالتفت فاذا أنا برجل ينبعہ جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره ، فالتفت إلى فقال : هل لك من حاجة ؟ فقلت : نعم تعلمنى مما علمك الله شيئا . فقال لى : اعلم أن من صدق الله نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد فى الدنيا قرّت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا ، أفلا أزيدك ؟ قلت نعم . قال : من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان : من أمر بالمعروف واثمر ، ونهى عن المنكر وانهى ، وحافظ

على حدود الله تعالى . ألا أزيدك ؟ قلت : بلى . فقال : كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا ،  
واصدق الله تعالى في جميع أمورك تنجح مع الناجين . ثم مضى ، فسألت من هذا ؟ فقالوا :  
هو الشافعي . فانظر إلى سقوطه مغشيا عليه ، ثم إلى وعظه ، كيف يدل ذلك على زهده وغاية  
خوفه ؛ ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل ، فانه ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ  
عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) . ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والاجارة  
وسائر كتب الفقه ؛ بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار ؛ إذ حكم  
الأولين والآخرين مودعة فيهما .

وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم الماثورة عنه : روى أنه  
سئل عن الرياء فقال على البديهة : الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا  
إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعي رحمه الله تعالى : إذا أنت خفت  
على عملك العجب فانظر رضا من تطلب ، وفي أي ثواب ترغب ، ومن أي عقاب ترهب ،  
وأي عافية تشكر ، وأي بلاء تذكر ، فانك إذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في  
عينك عملك . فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال  
الشافعي رضي الله عنه : من لم يضمن نفسه لم ينفعه علمه . وقال رحمه الله : من أطاع الله تعالى  
بالعلم نفعه سره . وقال : ما من أحد إلا له محب ومبغض ، فاذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة  
الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا ، وكان يسأل الشافعي  
رضي الله عنه عن مسائل في الورع ، والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه

وقال للشافعي يوما : أيها أفضل : الصبر ، أو المحنة ، أو التمكن ؟ فقال الشافعي رحمه الله :  
التمكن درجة الأنبياء ولا يكون التمكن إلا بعد المحنة ، فاذا امتحن صبر ، وإذا صبرمكن ،  
ألا تري أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكّنه ، وامتحن موسى عليه السلام ثم  
مكّنه ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكّنه ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكّنه وآتاه ملكا ؟  
والتمكن أفضل الدرجات ، قال الله عز وجل : ( وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ) وأيوب  
عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكّن ، قال الله تعالى : ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) الآية ،  
فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تهجره في أسرار القرآن ، وإطلاعه على مقامات

السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء ، وكل ذلك من علوم الآخرة  
وقيل للشافعي رحمه الله : متى يكون الرجل عالما ؟ قال : إذا تحقق في علم فعلمه وتعرض  
لسائر العلوم فنظر فيما فاته ، فعند ذلك يكون عالما ، فانه قيل لجالينوس : إنك تأمر للداء الواحد  
بالأدوية الكثيرة الم جمعة ، فقال : إنما المقصود منها واحد ، وإنما يجعل معه غيره لتسكن  
حدته لأن الأفراد قاتل . فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى  
وعلوم الآخرة .

وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى ، فيدل عليه ما روى عنه انه قال : وددت أن  
الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلى شيء منه . فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم  
له ، وكيف كان منزّه القلب عن الالتفات إليه ، مجرد النية فيه لوجه الله تعالى ! وقال الشافعي  
رضي الله عنه : ماناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطيء . وقال : ما كملت أحدا قط إلا أحببت  
أن يوفق ويسدّد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ ، وما كملت أحدا قط وأنا  
أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه . وقال : ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها  
منى إلا هبته واعتقدت محبته ، ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقطت من عيني ورفضته .  
فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة . فانظر كيف تابعه الناس من  
جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ، ثم كيف خالفوه فيها أيضا ! ولهذا قال أبو ثور  
رحمه الله : ما رأيت ولا رأى الرايون مثل الشافعي رحمه الله تعالى .

وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه : ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي  
رحمه الله تعالى . فانظر إلى إنصاف الداعي ، وإلى درجة المدعو له ، وقس به الأقران والأمثال  
من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء  
بهؤلاء . ولكثرة دعائه له قال له ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟ فقال  
أحمد : يا بني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدين ، وكالغاية للناس . فانظر هل لهُذين من  
خلف ؟ وكان أحمد رحمه الله يقول : مامس أحد بيد محبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة .  
وقال يحيى بن سعيد القطان : ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله  
عز وجل عليه من العلم ، ووقفه للسداد فيه .

ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله ، فإن ذلك خارج عن الحصر . وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين .

وأما الامام مالك رضي الله عنه فإنه كان أيضاً متحلياً بهذه الخصال الخمس ، فإنه قيل له : مات قول يمالك في طلب العلم ؟ فقال : حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمشي فالزمه . وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغاً ، حتى كان إذا أراد أن يحدث تواضعاً وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث . فقيل له في ذلك ، فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال مالك : العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية . وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى .

وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : « الجدل في الدين ليس بشيء » . ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله : إني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها : لأدرى . ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدرى . ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه : إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ، وما أحد أمن عليّ من مالك . وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المسكوك ثم دسّ عليه من يسأله ، فروى على ملأ من الناس : « ليس على مسكوكه طلاق » فضر به بالسياط ، ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله : ما كان رجل صادقاً في حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف .

وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له : هل لك من دار ؟ فقال لا ولكن أحدثك : سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول : نسب المرء داره . وسأله الرشيد : هل لك دار ؟ فقال : لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها داراً ، فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الشخص قال لمالك رحمه الله : ينبغي أن تخرج معنا فإني عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن ، فقال له : أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم

« اخْتِلَافُ أُمِّي رَحْمَةً »<sup>(١)</sup> : وأما الخروج معك فلا سبيل اليه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :<sup>(٢)</sup> « الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » وقال عليه الصلاة والسلام :<sup>(٣)</sup> « الْمَدِينَةُ تَنْفِي خَبْئَهَا كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبْئَ الْأَحْدِيدِ » وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فديعوها . يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعتني إلى ، فلا أوتر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهكذا كان زهد مالك في الدنيا . ولما حملت اليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لا تنشار علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ، ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا ، وليس الزهد فقد المال ، وإنما الزهد فراغ القلب عنه . ولقد كان سلمان عليه السلام في ملكه من الزهاد . ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعي رحمه الله أنه قال : رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر مارأيت أحسن منه ، فقلت لما لك رحمه الله : ما أحسنه ! فقال : هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله ، فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها ، فقال إني أستحي من الله تعالى أن أطأ ترربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة . فانظر إلى سخائه إذ ذهب جميع ذلك دفعة واحدة ، وإلى توقيره لترربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم وجهه الله تعالى واستحقاقه للدنيا ما روى عنه أنه قال : دخلت على هرون الرشيد فقال لي : يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ . قال فقلت : أعز الله مولانا الأمير : إن هذا العلم منكم خرج ، فإن أتم أعزتموه عز ، وإن أتم أذلتموه ذل ، والعلم يؤتى ولا يأتى . فقال صدقت ، اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس ، وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى لمقد كان أيضا عابدا ، زاهدا ، عارفا بالله تعالى ، خائفا منه ، مريدا وجهه الله تعالى بعلمه

فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال : كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبي سليمان أنه كان يحجى الليل كله . وروى أنه كان يحجى نصف الليل فمر يوما في طريق فأشار إليه إنسان وهو يمشي ، فقال لآخر : هذا هو الذي يحجى الليل

(١) حديث اختلاف أمي رحمة : ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقا وأسنده في للدخل من حديث

ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابي لكم رحمة ، وإسناده ضعيف

(٢) حديث المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون : متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير

(٣) حديث المدينة تنفي خبئها - الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

كله ، فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله ؛ وقال أنا أستحي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته

وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال : أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه ، فأراد أن يكون حاكما على بيت المال فأبى ، فضربه عشرين سوطا . فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب . قال الحكم بن هشام الثقفي : حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة ، وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختر عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال : أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها ! وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة : قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم ، قال : فما رضى أبو حنيفة ، قال : فلما كان اليوم الذي توقع أن يوتي بالمال فيه صلى الصبح ثم تنشي بثوبه فلم يتكلم ، فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه ، فقال بعض من حضر : ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة ، أي هذه عادته ، فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ، ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته ؛ وقال لابنه : إذامت ودفتمونى فخذ هذه البكرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له : خذ وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة . قال ابنه : ففعلت ذلك ، فقال الحسن : رحمة الله على أيك فلقد كان شحيحا على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال : أنا لا أصلح لهذا ، فقيل له : لم ؟ فقال : إن كنت صادقا فما أصلح لها ، وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء .

وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفة بالله عز وجل ، فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا . وقد قال ابن جريج : قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان ابن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي : كان أبو حنيفة طويلا الصمت دائم الفكر ، قليل المحادثة للناس . فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني ، والاشتغال بمهمات الدين ، فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله . فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة وأما الامام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء ، وسفيان أقل أتباعا من أحمد ، ولكن اشتغارهما بالورع والزهد أظهر . وجميع هذا الكتاب



مشحون بحكايات أفعالها وأقوالها ، فلا حاجة إلى التفصيل الآن ، فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة . وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يشمرها مجرد العلم بفروع الفقه ، من معرفة السلم والإجارة والظهار والإيلاء واللعان ، أو يشمرها علم آخر أعلى وأشرف منه ؟ وانظر إلى الذين ادّعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا ؟

## الباب الثالث

فما بعده العامة من العلوم المحدودة وليس منها . وفيه بيان الوجه الذي قد يكون بين بعض العلوم المذمومة ، وبين تدبيل أسامي العلوم ودوائمتها والعام والتوحيد والتذكير والحكمة ، وبين النادر المحدود من العلوم السريعة والناموس المذموم منها

## بيان علة ذم العلم المذموم

لعلك تقول : العلم هو معرفة الشيء على ماهو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء عاماً ويكون مع كونه عاماً مذموماً ؟ فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة :

الأول - أن يكون مؤدياً إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات ، وهو حق ، إذ شهد القراءان له ، وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين . وقد «سُحر»<sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك ، وأخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر « وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسائية في مطالع النجوم ، فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ، ويرصد

## الباب الثالث

( ١ ) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم : متفق عليه من حديث عائشة

به وقت مخصوص من المطالع ، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ، ويحصل من مجموع ذلك ، بحكم إجراء الله تعالى العادة ، أحوال غريبة في الشخص المسحور . ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة ، ولكنها ليست تصلح إلا للإضرار بالخلق ، والوسيلة إلى الشرّ شرّ ، فكان ذلك هو السبب في كونه علماً مذموماً ، بل من أتبع ولياً من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يحز تنبيهه عليه ، بل وجب الكذب فيه ، وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشئ على ماهو عليه ، ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر

الثاني - أن يكون مضرّاً بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم ، فانه في نفسه غير مذموم لذاته ، إذ هو قسمان : قسم حسابي ، وقد نطق القراءان بأن مسير الشمس والقمر محسوب ، إذ قال عز وجل : ( الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ) وقال عز وجل : ( وَالْقَمَرَ قَدَرًا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ) . والثاني الأحكام ، وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب ، وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ماسيحدث من المرض ، وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعاداته في خلقه ، ولكن قد ذمه الشرع ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا ، وَإِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي بَعْدِي ثَلَاثًا : حَيْفُ الْأَئِمَّةِ ، وَالْإِيمَانُ بِالنُّجُومِ ، وَالتَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا . وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه مضر بأكثر الخلق ، فانه إذا أُلقي اليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة ، وأنها الآلهة المدبرة ، لأنها جواهر شريفة سماوية ، ويعظم وقعها في القلوب ، فيبقى القلب ملتفتاً إليها ، ويرى الخير والشرّ محذورا أو مرجواً من جهتها ، وينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب . فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط ، والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مستخرات بأمره سبحانه وتعالى . ومثال نظر الضعيف إلى

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا - الحديث : رواه الطبراني من حديث ابن مسعود باسناد حسن

(٢) حديث أخاف على أمتي بعدى ثلاثاً حيف الأئمة - الحديث : ابن عبد البر من حديث أبي عبيد بن جراح باسناد ضعيف

حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر إلى سواد الخط يتجدد، فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها إلى مشاهدة الأصابع، ثم منها إلى اليد، ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد، ثم منها إلى الكاتب القادر المريد، ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة، فأكثر نظر الخالق مقصور على الأسباب القريبة السافلة، مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب. فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم. و (ثانيها) أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظنا، فالحكم به حكم تجهل، فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم، فلقد كان ذلك معجزة لأدريس عليه السلام فيما يحكي، وقد اندرس وانحى ذلك العلم وانحق، وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق، لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عتيها إلا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها، فان اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة، وإن لم يقدر أخطأ، ويكون ذلك كتخمين الانسان في أن السماء تنطر اليوم مهما رأى النجم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك، وربما يحسب النهار بالشمس ويذهب النجم، وربما يكون بخلافه، ومجرد النجم ليس كافيا في محي المطر، وبقية الأسباب لا تدري، وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على مألفه من العادة في الرياح، ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها، فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطيء، ولهذا العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا. و (ثالثها) أنه لا فائدة فيه، فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا ينفي، وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الانسان في غير فائدة، وذلك غاية الخسرات، فقد «مر»<sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل علامة، فقال بماذا؟ قالوا بالشعر وأنساب العرب، فقال: «لَيْتُمْ لَيْتُمْ لَيْتُمْ لَيْتُمْ». وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> «إِنَّمَا الْعِلْمُ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ». فإذا الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر، وخوض في جهالة من غير فائدة، فان ما قدر كائن والاحترار منه غير ممكن، بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه، وأكثر أدلته بما يطلع عليه،

(١) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا رجل علامة - الحديث:

ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعته وفي آخر الحديث «إِنَّمَا الْعِلْمُ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ» الى آخره، وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو،

وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ولا خطريه  
السبب الثالث - الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم ، فهو مذهب في حقه  
كتعلم دقيق العلوم قبل جليها ، وخفيها قبل جليها ، وكالبحث عن الأسرار الإلهية ، إذ تطلع  
الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ، ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء  
والأولياء ، فيجب كف الناس عن البحث عنها ، وردهم إلى مناطق به الشرع ، ففي ذلك مقنع  
للموفق ، فكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ، ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في  
الدين مما صار إليه . ولا ينكر كون العلم ضاراً لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلو  
اللطيفة بالصبي الرضيع ، بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور ، فلقد حكى أن بعض الناس  
شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال : لا حاجة لك إلى دواء  
الولادة فإنك ستموتين إلى أربعين يوماً وقد دل النبض عليه ، فاستشعرت المرأة الخوف  
العظيم وتنفس عليها عيشها ؛ وأخرجت أموالها وفرقتها ؛ وأوصت ، وبقيت لا تأكل ولا  
تشرب حتى انقضت المدة ؛ فلم تمت ، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له لم تمت ؛ فقال الطبيب : قد  
عامت ذلك فجاءها الآن فأنها تلد . فقال : كيف ذاك ؟ قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم  
رحمها فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت ؛ فخوفها بذلك حتى هزلت وزال المانع من  
الولادة . فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم . ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه  
وسلم : <sup>(١)</sup> « نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ » . فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بجائناً عن علوم  
ذمها الشرع وزجر عنها ، ولازم الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم ، واقتصر على اتباع السنة ،  
فالسلامة في الاتباع ، والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ، ولا تكثر اللجج برأيك  
ومعقولك ، ودليلك وبرهانك ، وزعمك أني أبحت عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه ، فأى  
ضرر في التفكير في العلم ، فإن ما يعود عليك من ضرره أكثر ، وكم من شيء تطلع عليه فيضرك  
اطلاعت عليه ضرراً يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته

واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعد منها ما لا يعرفها ،  
فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية ، فلا تتحكم على سنتهم بمعقولك

(١) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع : ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ  
نعوذوا . وقد تقدم .

فتهلك ، فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضى عقله أن يطليه حتى ينبيه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن ، فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن ، فهكذا الأمر في طريق الآخرة ، وفي دقائق سنن الشرع وآدابه . وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الإحاطة بها ، كما أن في خواص الأحجار أموراً عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها ، حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد . فالمعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقاها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقي إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله ، أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقائير . وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرفة إليها ، وإنما كانت التجربة تنطرق إليها لو رجع الينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى ، وعن الأعمال المبعدة عنه ، وكذا عن العقائد ، وذلك مما لا يطعم فيه ، فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، ويفهمك موارد إشاراته ، فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ، ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ مِنْ الْعِلْمِ جَهْلًا ، وَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيًّا » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلاً ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الإضرار . وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « قَلِيلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ » وقال عيسى عليه السلام : « ما أكثر الشجر وليس كلها بشعر ، وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب ، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع ! »

## بيان ما بدل من ألفاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسماء المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول ، وهي خمسة

- ( ١ ) حديث إن من العلم جهلاً - الحديث : أبو داود من حديث بريدة وفي إسناده من يحل
- ( ٢ ) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم - لم أحده أصلاً وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء وقال : الغفل ، بدل العلم ، ولم يخرج له ولده في مسنده

**الفاظ : الفقه، و العلم، والتوحيد، والتذكير والحكمة،** فهذه أسام محدودة ، والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ، ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة ، فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسام عليهم .

**اللفظ الأول : الفقه -** فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل ، إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى ، والوقوف على دقائق عللها ، واستكثار الكلام فيها ، وحفظ المقالات المتعلقة بها ، فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه . ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال ، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب . ويدل ذلك عليه قوله عز وجل : ( لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ) . وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعقاق واللعان والسلم والاجارة ، فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف ، بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجربين له . وقال تعالى : ( لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ) وأراد به معاني الايمان دون الفتاوى . ولعمري إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد ، وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا ، قال تعالى : ( لَا تُمْ أَشَدَّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ) الآية ، فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه . فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى ، أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم ، وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « عُلَمَاءُ حُكَمَاءَ قُفَّهَاءَ » للذين وفدوا عليه . وسئل سعد بن ابراهيم الزهرى رحمه الله : أى أهل المدينة أفقه ؟ فقال : أتقاهم لله تعالى ، فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه ، والتقوى ثمرة العلم الباطنى دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِالْفَقِيهِ كُلِّ الْفَقِيهِ ؟ قَالُوا بلى ، قَالَ : مَنْ لَمْ يُقْنِطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وَلَمْ يَدَعْ الْقُرْءَانَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى مَاسِوَاهُ » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه

(١) حديث علماء حكماء قفهاء : أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن

الحارث باسناد ضعيف

(٢) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه - الحديث : أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السفي

وابن عبد البر من حديث علي وقال ابن عبد البر أكثرهم يوقفونه عن علي

وسلم: <sup>(١)</sup> (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أغتبق أربع رقاب) قال فالتفت إلى زيد الرقاشي وزيد النيمري وقال: لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا، إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان، وتندبر القراء ونتفقه في الدين، ونعد نعم الله علينا تفقها، فسمي تدبر القراء وعد النعم تفقها. قال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٢)</sup> «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقراء وجوها كثيرة» وروى أيضا موقوفا على أبي الدرداء رضي الله عنه مع قوله (ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا) وقد سأل فرقد السنجي الحسن عن الشيء فأجابه فقال: إن الفقهاء يخالفونك، فقال الحسن رحمه الله: تكلمت أمك فريد، وهل رأيت فقيها بعينك! إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم، ولم يقل في جميع ذلك: الحافظ لفروع الفتاوى. ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة، ولكن كان بطريق العموم والشمول، أو بطريق الاستنباع، فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر. فبان من هذا التخصيص تليس بعث الناس على التجرد له والأعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب، ووجدوا على ذلك معينا من الطبع، فإن علم الباطن غامض، والعمل به عسير، والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر، فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع.

اللفظ الثاني: العلم — وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عبادة وخلقه، حتى إنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله: لقد مات تسعة أعشار العلم، فعرفه بالآلف واللام، ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وتعالى. وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها، فيقال: هو العالم على الحقيقة، وهو الفحل في العلم. ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء، ولا يعدونه في زمرة أهل العلم. وهذا أيضا تصرف بالتخصيص، ولكن ماورد

(١) حديث أنس لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غداة إلى طلوع الشمس الحديث: أبو داود بإسناد حسن

(٤) حديث لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله — الحديث: ابن عبد البر من حديث شداد

ابن أوس وقل لا يصح مرفوعا

من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته . وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية ، فيعد بذلك من نخول العلماء ، مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره ، وصار ذلك سببامهلكا خلقت كثير من أهل الطلب للعلم .

اللفظ الثالث : التوحيد — وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ، ومعرفة طريق المجادلة ، والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم ، والقدرة على التشديق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات ، وتأليف الازمات ، حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد ، وسمى المتكلمون ، العلماء بالتوحيد ، مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول ، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمهارة ، فأما ما يشتمل عليه القراءان من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع ، فلقد كان ذلك معلوما للكل . وكان العلم بالقراءان هو العلم كله ؛ وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به ، وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط ، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله . فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل . ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق ، وترك الغضب عليهم ، والرضا والتسليم لحكم الله تعالى . وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه : أنطاب لك طيبيا ؟ فقال : الطيب أمرضني . وقال آخر لما مرض ف قيل له : ماذا قال لك الطيب في مرضك ؟ فقال : قال لي : إني فعال لما أريد . وسيأتي في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك . والتوحيد : جوهر نفيس ، وله قشران : أحدهما أبعد عن اللب من الآخر ، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصناعة الحراسة للقشر ، وأهملوا اللب بالكلية . فالقشر الأول : هو أن تقول بلسانك : لا إله إلا الله . وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصاري ، ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره . والقشر الثاني : أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول ، بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده ، وكذلك التصديق به ، وهو توحيد عوام الخلق . والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة . والثالث وهو اللباب : أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط ، وأن يعبد



عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ، ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى ، فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده . قال الله تعالى : ( أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ) وقال صلى الله عليه وسلم : « أَبْغَضُ إِلَهٍ عُبدَ في الأَرْضِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْهَوَى »<sup>(١)</sup> . وعلى التحقيق : من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه ، إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه ، فيتبع ذلك الميل ، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهواء . ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم ، فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره ! فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام ، وهو مقام الصديقين . فانظر إلى ماذا حول وبأى قشر قنع منه ، وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي ؟ وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول : وجهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا ، وهو أول كذب يفتح الله به كل يوم إن لم يكن وجهه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص ، فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة ، وما صرفه إلا عن سائر الجهات ؛ والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجها إليه ، تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار ؛ وإن أراد به وجه القلب ، وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله ، وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ، ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ، ومتوجه بالكلية إليها ، فمتى وجهه وجهه للذي فطر السموات والأرض ؟ وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد ، فالوحيد هو الذي لا يرى إلا الواحد ، ولا يوجه وجهه إلا إليه ، وهو امتثال قوله تعالى : ( قُلِ اللَّهُ بُمُ ذَرُّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ) وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى ، وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب ، وهو معدن التوحيد ومنبعه

اللفظ الرابع : الذكر والتذكير - فقد قال الله تعالى : ( وَذَكَرْ فَإِنَّ اللَّهَ كَرِيْمٌ تَنَفُّعُ الْمُؤْمِنِينَ ) . وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة ، كقوله صلى الله عليه وسلم « إِذَا مَرَرْتُمْ

(١) حديث أبغض إله عبد عند الله في الأرض هو الهوى : الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف

(٢) حديث إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا - الحديث : الترمذي من حديث أنس وحسنه

بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَأَرْتَعُوا، قِيلَ: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ مَجَالِسُ الذِّكْرِ « وفي الحديث <sup>(١)</sup> » إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَلَائِكَةٌ سَيَّاحِينَ فِي الدُّنْيَا سِوَى مَلَائِكَةِ الْخَلْقِ إِذَا رَأَوْا مَجَالِسَ الذِّكْرِ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَأَهْلُمُوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ فَيَأْتُونَهُمْ وَيَحْفُضُونَ بِهِمْ وَيَسْتَمِعُونَ ، أَلَا فَادْكُرُوا اللَّهَ وَذَكِّرُوا أَنْفُسَكُمْ » فنقل ذلك إلى مآثرى أكثر الوعاظ في هذا الزمان ، يواظبون عليه ، وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهي بدعة ؛ وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصص ، وقالوا : <sup>(٢)</sup> لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصص .

وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال : ما أخرجني إلا القاص ولولاه لما خرجت . وقال ضمرة : قلت لسفيان الثوري : نستقبل القاص بوجوهنا ؟ فقال : ولوا البدع ظهوركم . وقال ابن عون : دخلت على ابن سيرين فقال : ما كان اليوم من خبر ؟ فقلت : نهى الأمير القصاص أن يقصوا ، فقال : وفق للصواب . ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصاً يقص ويقول : حدثنا الأعمش ، فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه ، فقال القاص : يا شيخ ألا تستحي ! فقال : لم ؟ أنا في سنة وأنت في كذب ، أنا الأعمش وما حدثتك ! وقال أحمد : أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال .

وأخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرج ، إذ كان يتكلم في علم الآخرة ، والتفكير بالموت ، والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخاطر الشيطان ووجه الحذر منها ، ويدكر بآلاء الله ونعمائه ، وتقصير العبد في شكره ، ويعترف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرفها ونكت عهدها ، وخطر الآخرة وأهوالها . فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روى الحث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال : <sup>(٣)</sup> « حُضُورُ مَجْلِسٍ ذِكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ ، وَحُضُورُ مَجْلِسٍ عِلْمٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةٍ »

(١) حديث إن لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق - الحديث : منفق عليه من حديث أبي هريرة

دون قوله في الهواء ، ولا ترمذى سياحين في الأرض ، وقال مسلم سيرة

(٢) حديث لم تكن القصص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابن ماجه من حديث عمر باسناد حسن

(٣) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة : تقدم في الباب الاول

أَلْفِ مَرِيضٍ، وَحُضُورُ مَجْلِسٍ عِلْمٍ أَفْضَلُ مِنْ شُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ . فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : وَهَلْ تَنْفَعُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ إِلَّا بِالْعِلْمِ ؟ « وَقَالَ عطاء رحمه الله : مجلسُ ذكرٍ يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللّهُ . فقد اتخذ المذخر فون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ، وتقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم ، وذهلوا عن طريق الذكر المحمود ، واشتغلوا بالقصص التي تتطرق اليها الاختلافات والزيادة والنقص ، وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها ، فإن من القصص ما ينفع سماعه ، ومنها ما يضر وإن كان صدقاً . ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب ، والنافع بالضرار ، فمن هذا نهى عنه . ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أحوج الناس إلى قاص صادق !

فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم ، وكان القاص صادقاً صحيح الرواية ، فليست أرى به بأساً . فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها ، أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطي عليها ، فإن العاصي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذراً فيه ، ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر ، فكلنا بصدد المعاصي ، فلا غرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني ، ويفيده ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري . فبعد الاحتراز عن هذين المذورين فلا بأس به ، وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة ، وإلى ما يشتمل عليه القرآن ، ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ، ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق ، فهذه من نزغات الشيطان ، فإن في الصدق مندوحة عن الكذب ، وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع ؟ قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع : هذا الذي يبغضك إلى ، لا قضيت حاجتك أبداً حتى تتوب ! وقد كان جاءه في حاجة . وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات <sup>(١)</sup> : «إِيَّاكَ وَالسَّجْعَ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ»

(١) حديث إياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولأحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتاب الرياضة من حديث عائشة بأسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ، ولابن جبان : واجتنب السجع ، وفي البخاري نحوه من قول ابن عباس

فكان السجع المحذور المتكلف مازاد على كلمتين ، ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ولا استهل ، ومثل ذلك يطل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَسَجَّ كَسَجِّعِ الْأَعْرَابِ ! »

وأما الأشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم ، قال الله تعالى : (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ) وقال تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف بالمعشوق وجمال المعشوق ، وروح الوصال وألم الفراق ، والمجلس لا يحوى إلا أجلاف العوام ، وبواطنهم مشحونة بالشهوات ، وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة ، فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها ، فتشتعل فيها نيران الشهوات ، فيزعقون ويتواجدون ، وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد ، فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس . وقد قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً » ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم ، فإن أولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق ، فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ، ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا ، فإن كثروا لم يتكلم ، وما تم أهل مجلسه قط عشرين . وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقبل له : تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال : لا ماهؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابي هم الخواص .

وأما الشطح فنحن به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية :

أحدهما - الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى ، والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة ، حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب ، والمشاهدة بالرؤية والشافهة بالخطاب ، فيقولون : قيل لنا كذا وقلنا كذا ، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ، ويستشهدون بقوله : أنا الحق . وبما حكى عن أبي

(١) حديث أسجع كسجع الأعراب : مسلم من حديث المغيرة

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة : البخاري من حديث أبي بن كعب

يزيد البسطامي أنه قال : سبحانى سبحانى ؛ وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام ؛ حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم ، وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع ، إذ فيه البطالة من الأعمال مع تركية النفس بدرك المقامات والأحوال ، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ، ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا : هذا إنكار مصدره العلم والجدل ، والعلم حجاب ، والجدل عمل النفس . وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق . فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل فى دين الله من إحياء عشرة . وأما أبو يزيد البسطامى رحمه الله ، فلا يصح عنه ما يحكى ، وإن سمع ذلك منه فقلعه كان يحكيه عن الله عز وجل فى كلام يردده فى نفسه ، كما لو سمع وهو يقول : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ، فانه ما كان ينبغى أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية .

الصف الثانى من الشطح : كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة ، وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل ، وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلّة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه ، وهذا هو الأكثر . وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره ، لقلّة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالألفاظ الرشيقة ، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ، ويحير الأذهان ، أو يحمل على أن يفهم منها معانى ما أريدت بها ، ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ قَوْمًا بِحَدِيثٍ لَا يَفْقَهُونَهُ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَيْهِمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « كَلَّمُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ وَدَعُوا مَا يَنْكُرُونَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ » وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع ، فكيف فيما لا يفهمه قائله ؟ فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره . وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها

(١) حديث ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنه عليهم : الغبلى فى الضعفاء وابن السنى وأبو

نعيم فى الرىاء من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود

(٢) حديث كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون - الحديث : البخارى موقوفا على علي ورفعه أبو منصور

الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبي نعيم

فتظلمونهم ، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء . وفي لفظ آخر : من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل ، ومن منعها أهلها فقد ظلم ، إن للحكمة حقا ، وإن لها أهلا ، فأعط كل ذي حق حقه .

وأما الطامات ، قيدخلها ما ذكرناه في الشطح ، وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة : كدأب الباطنية في التأويلات ، فهذا أيضا حرام وضرره عظيم ، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ، ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل ، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ ، وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به ، والباطن لا ضبط له ، بل تتعارض فيه الخواطر ، ويمكن تنزيله على وجوه شتى ؛ وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر ، وإنما قصد أصحابها الإغراب ، لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له . وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها ، وتنزيلها على رأيهم ، كما حكيناه من مذاهبهم في كتاب المستظهرى المصنف في الرد على الباطنية

ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى : ( أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ) : إنه إشارة إلى قلبه ، وقال هو المراد بفرعون ، وهو الطاغى على كل إنسان ، وفي قوله تعالى : ( وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ) أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل ، فينبغى أن يليقه ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً » أراد به الاستغفار في الأسحار . وأمثال ذلك ، حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره ، وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء . وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً ، كتأويل فرعون على القلب ، فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له ، وكأبى جهل وأبى لهب وغيرها من الكفار ، وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه . وكذا حمل السحور على الاستغفار ، فانه كان

(١) حديث تسحروا فإن في السحور بركة : منفق عليه من حديث أنس

صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> « يَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ، وَيَقُولُ: تَسَحَّرُوا » <sup>(٢)</sup> وَ« هَامُوا إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ ». فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلاً ، وبعضها يعلم بغالب الظن ، وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس . فكل ذلك حرام وضلالة ، وإفساد للدين على الخلق ، ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ، فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » معنى إلا هذا النمط ، وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه ، فيستخرج شهادة القراءان اليه ، ويحمله عليه من غير أن يشهد لتزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية .

ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القراءان بالاستنباط والفكر ، فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ، ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع ، فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه <sup>(٤)</sup> « اللَّهُمَّ فَقهَهُ فِي الدِّينِ وَعَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ » ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخلق ، يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع : كمن يضع في كل مسألة يراها حقاً حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذلك ظلم وضلال ، ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »

( ١ ) حديث تناول الطعام في السحور : البخارى من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا

( ٢ ) حديث هلموا إلى الغداء المبارك : أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث العرياض بن سارية وضعفه ابن القطان

( ٣ ) حديث من فسر القراءان برأيه فليتبوأ مقعده من النار : الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبي داود من رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبرى

( ٤ ) حديث اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل - قاله لابن عباس : البخارى من حديث ابن عباس دون قوله : وعلمه التأويل ، وهو بهذه الريادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد

( ٥ ) حديث من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار : متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلى وأنس

النَّارِ» بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أطم وأعظم ، لأنها مبطلّة للثقة بالألفاظ ، وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية . فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودّة إلى المذمومة . فكل ذلك من تلبيس علماء سوء بتبديل الأسامي ، فإن اتبعت هؤلاء اعتماداً على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الأول ، كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيماً ، فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم في هذا العصر ، وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ

اللفظ الخامس : وهو الحكمة - فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم ، حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطرق . والحكمة هي التي أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «كَلِمَةٌ مِنَ الْحِكْمَةِ يَتَعَلَّمُهَا الرَّجُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه ، وإلى ماذا نقل ، وقس به من بقية الألفاظ ، واحترز عن الاعتراض بتلبسات علماء سوء ، فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين ، إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق . ولهذا <sup>(٢)</sup> لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبي وقال : «اللَّهُمَّ غَفراً» حتى كرروا عليه فقال : «هُمُ عُلَمَاءُ السُّوءِ» فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس ، واليك الخيرة في أن تنظر لنفسك ، فتقتدى بالسلف ، أو تتدلى بحبل الغرور وتنشبه بالخلف ، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس ، وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث ، وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» فقيل : ومن الغرباء؟ قَالَ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَهُ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي . وَالَّذِينَ يُحْيُونَ مَا أَمَاتُوهُ مِنْ سُنَّتِي

(١) حديث كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا : تقدم بنحوه

(٢) حديث لما سئل عن شر الخلق أبي وقال اللهم غفراً - الحديث : الدارمي بنحوه من رواية الأحوص

ابن حكيم عن أبيه مرسل وهو ضعيف ورواه البزار في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف

(٣) حديث بدأ الإسلام غريباً - الحديث : مسلم من حديث أبي هريرة مخصراً وهو بتمامه عند الترمذي من

حديث عمرو بن عوف وحسنه



وفي خبر آخر (١) « هُمُ الْمُتَمَسِّكُونَ بِمَا أُنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ » وفي حديث آخر (٢) « الْغُرَبَاءُ نَاسٌ قَلِيلٌ صَالِحُونَ بَيْنَ نَاسٍ كَثِيرٍ مَن يُبْغِضُهُمْ فِي الْخَلْقِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُحِبُّهُمْ ». وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث عيقت ذاكرها. ولذلك قال الشورى رحمه الله: إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط ، لأنه إن نطق بالحق أبغضوه

## بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : قسم هو مذموم قليله وكثيره ، وقسم هو محمود قليله وكثيره ، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل ، وقسم يحمده منه مقدار الكفاية ولا يحمده الفاضل عليه ، والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن ، فإن منها ما يحمده قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يحمده الاقتصاد فيه كبذل المال فإن التبذير لا يحمده فيه وهو بذل ، وكالشجاعة فإن التهور لا يحمده فيها وإن كان من جنس الشجاعة ، فكذلك العلم

فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا ، إذ فيه ضرر يغلب نفعه : كعلم السحر والطلسمات والنجوم ، فبعضه لا فائدة فيه أصلاً ، وصرف العمر الذي هو أنفاس ما يملكه الإنسان إليه إضاعة ، وإضاعة النفيس مذمومة ، ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا ، فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء ، فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا ، فإن هذا علم مطلوب لذاته ، وللتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب ، فإنه البحر الذي لا يدرك غوره ، وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم ، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم ، بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت

(١) حديث هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم في وصف الغرباء : لم أر له أصلاً

(٢) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون : أحمد من حديث عبد الله بن عمرو

تقدير الله تعالى في حقهم، وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب . ويعين على التنبيه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم ، هذا في أول الأمر . ويعين عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة ، وتصفية القلب وتفرينه عن علائق الدنيا ، والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ، ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ، ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد ، فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها

وأما العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص ، فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات ، فإن في كل علم منها اقتصارا وهو الأقل ، واقتصادا وهو الوسط ، واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر . فكن أحد رجلين : إما مشغولا بنفسك ، وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك ، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك ، وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة : من تعلم الصلاة ، والطهارة ، والصوم ، وإنما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم ، إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة : مثل الحرص والحسد ، والرياء ، والكبر ، والعجب وأخواتها ؛ وجميع ذلك مهلكات ، وإهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدمامل ، والتهاون باخراج المادة بالفصد والإسهال . وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطريقة من الأطباء بطلاء ظاهر البدن ، وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر : بافساد منابتها ، وقلع مغارسها من القلب . وإنما فزع الأكترون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح ، واستصعاب أعمال القلوب ، كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة ، فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد ، وتتضاعف به الأمراض

فإن كنت مريداً للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدي ، فاشتغل بعلم الملل الباطنة وعلاجها ، على ما فصلناه في ربيع المهلكات . ثم ينجر بك ذلك إلى المقامات المحمودة المذكورة في ربيع المنجيات لا محالة . فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين ، وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك ، فلا تشتغل بفروض الكفاية ، لاسيما وفي زمرة الخلق من قد قام بها ، فإن مهلك نفسه فيما به

صلاح غيره سفيه . فما أشد حماقة من دخلت الأفاعى والمقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يئنيه ولا ينحيه مما يلاقه من تلك الحيات والمقارب إذا همت به !

وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها ، وقدرت على ترك ظاهر الأثم وباطنه ، وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك ، وما أبعد ذلك منك ، فاشتغل بفروض الكفايات ، وراع التدرج فيها : فابتدىء بكتاب الله تعالى ، ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن : من علم النسخ والمسنوخ ، والمفصول والموصول ، والمحكم والمتشابه ، وكذلك فى السنة . ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ، ثم بأصول الفقه ، وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت . ولا تستغرق عمرك فى فن واحد منها طلبا للاستقصاء ، فإن العلم كثير ، والعمر قصير . وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها ، وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه ، فاقصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ، ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ، ودع التعمق فيه . واقصر من النجوى على ما يتعلق بالكتاب والسنة ، فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء .

ونحن نشير اليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها .

فالاعتصار فى التفسير ما يبلغ ضعف القرآن فى المقدار ، كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز ، والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه ، وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ، فلا مرد له الى انتهاء العمر .

وأما الحديث فالاعتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث .

وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفى فيه بما تحمّله عنك من قبلك ، والى أن تعمل على كتبهم ، وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ، ولكن تحصيله تحصيلًا تقدر منه على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة . وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف اليهما ما خرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة . وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح

والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ، ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم .  
وأما الفقه فالإقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزني رحمه الله ، وهو الذي رتبناه في خلاصة  
المختصر . والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله ، وهو القدر الذي أوردناه في الوسيط من المذهب ،  
والاستقصاء ما أوردناه في البسيط ، الى ما وراء ذلك من المطولات  
وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف الصالح لاغير ،  
وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقتها . ومقصود حفظ السنة تحصيل  
رتبة الإقتصار منه بمعتقد مختصر ، وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة  
هذا الكتاب ، والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة ، وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد  
في الاعتقاد ، ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي ،  
وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم . وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً  
يسيراً فقلما ينفع معه الكلام ، فانك إن أخمته لم يترك مذهبه ، وأحال بالقصور على نفسه ،  
وقدّر أن عند غيره جواباً ما وهو عاجز عنه ، وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة . وأما العامي إذا  
صُرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد اليه بمثله قبل أن يشتدّ التعصب للأهواء . فاذا اشتد  
تعصبهم وقع اليأس منهم ، إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس ، وهو من آفات العلماء  
السوء ، فانهم يبالغون في التعصب للحق ، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار ،  
فتنبعث منهم الدعوي بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوافر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ،  
ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في  
الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه . ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع  
ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم ، اتخذوا التعصب عادتهم وآتهم  
وسموه ذباً عن الدين ونضالاً عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة  
في النفوس

وأما الخلافات التي أحدثت في هذه الأعصار المتأخرة ، وأبدع فيها من التحريرات  
والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف ، فإياك وأن تحوم حولها ، واجتنبها

اجتناب السم القاتل، فأنها الداء العضال، وهو الذى رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ماسياتيك تفصيل غوائلها وآفاتهما. وهذا الكلام ربما يسمع من قائله، فيقال: الناس أعداء ما جهلوا. فلا تسنن ذلك، فعلى الخبير سقطت؛ فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا، وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا، ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه، فهجره واشتغل بنفسه؛ فلا يغررك قول من يقول: الفتوى عماد الشرع، ولا يعرف علاه إلا بعلم الخلاف، فان علل المذهب مذكورة فى المذهب، والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة، وكانوا أعلم بعلى الفتاوى من غيرهم، بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه، فان الذى يشهد له حدس المفتى إذا صح ذوقه فى الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الأمر. فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه، وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه، ويتعلل بأنه يطالب علل المذهب، وقد ينقضى عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب. فكن من شياطين الجن فى أمان، واحترز من شياطين الانس، فانهم أراخوا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلال

وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله، وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار، وتأمل فيما يعينك مما بين يديك، ودع عنك ما سواه، والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء فى المنام فقال له: ما خبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها؟ فبسط يده ونفخ فيها، وقال: طاحت كلها هباء منثورا، وما انتفعت إلا بركتين خلصتا لى فى جوف الليل! وفى الحديث<sup>(١)</sup> «مَاضِلٌ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» ثم قرأ (مَاضِرْبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ). وفى الحديث فى معنى قوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) الآية<sup>(٢)</sup> هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى: (فَأَحْذَرُهُمْ). وقال بعض السلف: يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل، ويفتح

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل: الترمذى وابن ماجه من حديث أبي أمامة، قال

الترمذى حسن صحيح

(٢) حديث هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فأحذرهم: متفق عليه من حديث عائشة

لهم باب الجدل . وفي بعض الأخبار<sup>(١)</sup> « إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ أُلْهِمْتُمْ فِيهِ الْعَمَلَ وَسَيَأْتِي قَوْمٌ يُلْهِمُونَ الْجَدَلَ » وفي الخبر المشهور<sup>(٢)</sup> « أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَلَدُّ الْخِصْمُ » وفي الخبر<sup>(٣)</sup> « مَا أَوْتِيَ قَوْمٌ الْمَنْطِقَ إِلَّا مُنِعُوا الْعَمَلَ » . والله أعلم

## الباب الرابع

### في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف

وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولّاها الخلفاء الراشدون المهديون ، وكانوا أئمة علماء بالله تعالى ، فقهاء في أحكامه ، وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأفضية ، فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا ، في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها ، وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا ، وأقبلوا على الله تعالى بكنهه اجتهدهم ، كما نقل من سيرهم . فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أفوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام ، اضطرروا إلى الاستعانة بالفقهاء ، وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم .

وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول ، وملازم صفو الدين ، ومواظب على سمع علماء السلف ، فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا ، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات

فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاء عليهم مع إعراضهم عنهم ، فاشربوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاية ، فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاية ، وتعرفوا إليهم ، وطلبوا الولايات والصلوات منهم ، فنههم من

(١) حديث إنكم في زمان أُلْهِمْتُمْ فِيهِ الْعَمَلَ وَسَيَأْتِي قَوْمٌ يُلْهِمُونَ الْجَدَلَ : لم أجده

(٢) حديث أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم : متفق عليه من حديث عائشة

(٣) حديث ما أوتي قوم المنطق إلا منعوا العمل : لم أجده له أصلا

حرم ومنهم من أنجح ، والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال ، فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين ، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم ، إلا من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله . وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأفضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات ، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ، ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها ، فعلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام ، فأكب الناس على علم الكلام ، وأكثروا فيه التصانيف ، ورتبوا فيه طرق المجادلات ، واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات ، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة ، كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقليد أحكام المسامين ، إشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم ، ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه ، لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ، ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه ، وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص ، فترك الناس الكلام وفنون العلم ، واثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص ، وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم ، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى ، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ، ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات ، وهم مستمررون عليه إلى الآن ، ولسناندرى ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار . فهذا هو الباعث على الأكباب على الخلافات والمناظرات لا غير ، ولومالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضاً معهم ، ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين ، وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .

## بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات

بمشاورات الصحابة ومفوضات السلف

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح ، فإن الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر ، هكذا

كان عادة الصحابة رضى الله عنهم في مشاوراتهم: كمشاورهم في مسألة الجد والإخوة ، وحدّ شرب الخمر ، ووجوب الغرم على الامام إذا أخطأ ، كما تقل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه ، وكما تقل من مسائل الفرائض وغيرها ، وما تقل عن الشافعي وأحمد ومحمد ابن الحسن ومالك وأبي يوسف وغيرهم من العلماء ، رحمهم الله تعالى  
ويطلبك على هذا التلييس ما ذكره ، وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ، ولكن له شروط وعلامات ثمان :

الأول - أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان . ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ، ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول : غرضي أستر عورة من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا ، فإن ذلك ربما يتفق ، ووقوعه ممكن ، كما يزعم الفقيه أن وقوع النواذر التي عنها البحث في الخلاف ممكن ، والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأهمور هي فرض عين بالاتفاق . ومن توجه عليه ردّ ودیعة في الحال فقام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات الى الله تعالى عصي به ، فلا يكتفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب .

الثاني - أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة ، فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصي بفعله ، وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء ، فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ، ولو خلا البلد عنها لهلك الناس ، وإذا قيل له في البلد جماعة من الحجاجين وفيهم غيبة ، فيقول : هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية . فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسامين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهمة لا قائم بها . فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يتخلو بلد من جملة الفروض المهمة ولا يلتفت الفقهاء اليها ، وأقربها الطب ، إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ، ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به . وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو من فروض الكفايات ، وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحريير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ، وينظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط ، وإن وقعت قام بها



جماعة من الفقهاء ، ثم زعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات، وقد روى أنس  
رضي الله عنه أنه « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ <sup>(١)</sup> مَتَى يَتْرُكُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ؟  
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِذَا ظَهَرَتِ الْمُدَاهَنَةُ فِي خِيَارِكُمْ وَالْفَاحِشَةُ فِي شِرَارِكُمْ وَتَحَوَّلَ الْمُلْكُ  
فِي صِغَارِكُمْ وَالْفِقْهُ فِي أَرَادِلِكُمْ »

الثالث - أن يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما،  
حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وأفتى بما ظهر له ، كما  
كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم والأئمة ، فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل  
الدعر وإنما يفتي فيما يُسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يحز له  
أن يتركه ، فأى فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره ، وما يشكل عليه  
يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فإني لست مستقلا بالاجتهاد في أصل  
الشرع ؟ ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به ، فانه  
ربما يفتي بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها  
قط ، بل ربما ترك المسألة التي فيها وجهان أو قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتا  
الرابع - أن لا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا ، فان الصحابة رضي الله  
عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع ، أو ما يغلب وقوعه كالفرائض ، ولا نرى المناظرين  
يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها ، بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع  
مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر . وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسألة خبرية أو  
هي من الزوايا وليست من الطبوليات ، فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون  
المسألة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الأخبار . أو لأنها ليست من الطبول فلا تطول فيها  
الكلام ، والمقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول  
الخامس - أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر

#### ﴿ الباب الرابع ﴾

( ١ ) حديث أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ابن ماجه بإسناد حسن

والسلاطين . فان الخلوة أجمع للفهم ، وأخرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق ، وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محققاً كان أو مبطلاً ، وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والجامع ليس لله ، وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه ، وربما يقترح عليه فلا يجيب ، وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام .

السادس - أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معينا لا خصما ، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق ، كما لو أخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر ، فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به ، فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم ، حتى إن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونهته على الحق وهو في خطبته على ملائمة الناس ، فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضي الله عنه فأجابه فقال : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا ، فقال : أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى : لاتسألوني عن شيء وهذا الخبر بين أظهركم ، وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل ، فقال : هو في الجنة ، وكان أمير الكوفة ، فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فلم له لم يفهم ، فأعادوا عليه ، فأعاد الجواب ، فقال ابن مسعود : وأنا أقول : إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة ، فقال أبو موسى : الحق ما قال . وهكذا يكون إنصاف طالب الحق . ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق ، فان ذلك معلوم لكل أحد . فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه ، وكيف ينجبل به ، وكيف يجتهد في مجاحدته بأقصى قدرته ، وكيف يذم من أخمه طول عمره ، ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق !

السابع - أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ، ومن إشكال إلى إشكال ، فهكذا كانت مناظرات السلف ، ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه ، كقوله : هذا لا يلزم من ذكره ، وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك ، فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ، ويجب قبوله . وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس

المستدل على أصل بعلّة يظنها فيقال له : ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة ؟ فيقول : هذا ما ظهر لي فإن ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه ، فيصر المعارض ويقول : فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفت ما لا أذكرها إذ لا يلزم مني ذكرها ؛ ويقول المستدل : عليك إيراد ما تدعيه وراء هذا ، ويصر المعارض على أنه لا يلزمه ، ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ، ولا يعرف هذا المسكين أن قوله إني أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزم مني ، كذب على الشرع ، فانه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصي الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها ، وإن كان صادقا فقد فسق بإخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه ، فإن كان قويا رجع إليه ، وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم . ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم . فعنى قوله : لا يلزم مني ، أى في شرع الجدل الذي أبدعناه بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزم مني ، وإلا فهو لازم بالشرع ، فانه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق .

فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم : هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس ؟ وهل منع أحدهم من الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية ؟ بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس ، إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر ، وكانوا ينظرون فيه

الثامن — أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم ، والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم ، فيرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويح الباطل عليهم

وراء هذه شروط دقيقة كثيرة ؛ ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر الله ومن يناظر لعله

واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوه ولا يزال يدعو إلى هلاكه ، ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التي المجتهد فيها مصيب أو مسام للمصيب في الأجر ، فهو ضحكة للشيطان ، وعبرة للمخلصين . ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفاصيلها . فنسأل الله حسن العون والتوفيق

## بيان آفات المناظرة وما يتولد منها

من مهلكات الأخلاق

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام، وإظهار الفضل والشرف والتشديد عند الناس، وقصد المباهاة والممارسة واستمالة وجوه الناس، هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله، المحمودة عند عدو الله إبليس، ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة: من الزنا، والقتل والسرقة، وكما أن الذي خيّر بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه، فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره، فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة، دعاه ذلك إلى إضرار الخبايا كلها في النفس، وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة. وهذه الأخلاق ستأتي أدلة مذمتها من الأخبار والآيات في ربيع المهلكات، ولكننا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة:

ففيها الحسد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «أَلْهَسْدُ يَأْكُلُ الْحُسْنَائِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْخَطْبَ». ولا ينفك المناظر عن الحسد، فانه تارة يغلب وتارة يغلب، وتارة يحمده كلامه وأخرى يحمده كلام غيره؛ فإدام يبق في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر، أو يظن أنه أحسن منه كلاماً وأقوى نظراً، فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه، وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه. والحسد نار محرقة، فمن بلى به فهو في العذاب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأعظم، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: خذوا العلم حيث وجدتموه؛ ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغاïرون كما تتغاïر التماس في الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس، فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «مَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الخطب: أبو داود من حديث أبي هريرة، وقال البخاري

لا يصح، وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن

(٢) حديث من تكبر وضعه الله - الحديث: الخطيب من حديث عمر بإسناد صحيح وقال غريب من حديث

الثوري ولا بن ماجه نحوه من حديث أبي سعيد بإسناد حسن

وَمَنْ تَوَاضَعَ رَفَعَهُ اللَّهُ . وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى <sup>(١)</sup> « الْعِظْمَةُ إِزَارِي وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا قَصَمْتُهُ » . ولا ينفك المناظر عن التكبر على الأقران والأمثال ، والترفع إلى فوق قدره ، حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتقاء والانخفاض ، والقرب من وسادة الصدر والبعد منها ، والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق . وربما يتعلل النبي والمكار الخداع منهم بأنه يعني صيانة عز العلم ، <sup>(٢)</sup> « وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ مَتَّهِ عَنْ الْإِذْلَالِ لِنَفْسِهِ » فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل ، وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين ، تحريفاً للاسم ، وإضلالاً للخلق به ، كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما .

ومنها الحقد ، فلا يكاد المناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِمَحْقُودٍ » . وورد في ذم الحقد ما لا يحصى ، ولا نرى مناضراً يقدر على أن لا يضمر حقداً على من يحرك رأسه من كلام خصمه ، ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الإصغاء ، بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضرار الحقد وتربيته في نفسه ، وغاية تماسكه الإخفاء بالنفاق ، وطرشه منه إلى الظاهر لاحالة في غالب الأمر . وكيف ينفك عن هذا ، ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه ، واستحسان جميع أحواله في إirاده وإصداره ؟ بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر ومنها الغيبة ، وقد شبهها الله بأكل الميتة ، ولا يزال المناظر مثابراً على أكل الميتة ، فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته . وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه ، فيحكي عنه لاحالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله ، وهو الغيبة . فأما الكذب فبهتان ، وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه ويقبل عليه ، حتى ينسبه إلى الجهل والحمالة وقلة الفهم والبلادة .

(١) حديث الكبرياء ردائي والعظمة ازارى - الحديث : أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي

هريرة ، وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء ودأؤه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد

(٢) حديث نبى المؤمنين عن إذلال نفسه : الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغي للمؤمن

أن يذل نفسه

(٣) حديث المؤمنين ليس بمحقود : لم أقف له على أصل

ومنها تركية النفس ، قال الله تعالى : ( فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ) . وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه . ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة ، والتقدم بالفضل على الأقران . ولا يفك في أثناء المناظرة عن قوله : لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور ، وأنا المتمدن في العلوم ، والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث ، وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف ، وتارة للحاجة إلى ترويح كلامه . ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا .

ومنها التجسس وتتبع عورات الناس ، وقد قال تعالى : ( وَلَا تَجَسَّسُوا ) . والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه ، حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ، ويستخرج بالسؤال مقابجه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في إفضاحه وتخليجه إذا مست إليه حاجة ، حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه ففساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ، ثم إذا أحس بأذى غلبة من جهته عرض به إن كان متماسكا ، ويستحسن ذلك منه ، ويعد من لطائف التسبب ، ولا يمتنع عن الإفصاح به إن كان متبججا بالسفاهة والاستهزاء ، كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين الممدودين من فحولهم .

ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ، ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين ، فكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل ، ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر ، فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتهما من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها ، فهكذا ترى المناظر إذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره ، فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سباعا ضاريا ! فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء ، وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتسام في السراء والضراء ، حتى قال الشافعي رضي الله عنه : العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل . فلا أدري كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة ، فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة ؟ هيهات هيهات ! وناهيك بالشر شرا أن يلزمك أخلاق المنافقين ، ويرثك عن أخلاق المؤمنين والمتقين

ومنها النفاق ، فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه ، وهم مضطرون إليه ، فانهم يلقون

الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بداً من التودد اليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ، ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور ، فانهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب . نعوذ بالله العظيم منه ! فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِذَا تَعَلَّمَ النَّاسُ الْعِلْمَ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ وَتَحَابُّوا بِاللُّسَنِ وَتَبَاغَضُوا بِالْقُلُوبِ وَتَقَاطَعُوا فِي الْأَرْحَامِ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ » رواه الحسن ، وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة

ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على الماراة فيه ، حتى إن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ، ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده ، وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ، حتى تصير الماراة فيه عادة طبيعية ، فلا يسمع كلاماً إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه ، حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القراءان وألفاظ الشرع ، فيضرب البعض منها بالبعض . والمراء في مقابلة الباطل محذور ، إذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى اللَّهُ لَهُ يَتًّا فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللَّهُ لَهُ يَتًّا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ » . وقد سوى الله تعالى بين من اقترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق ، فقال تعالى : ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ) وقال تعالى : ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ )

ومنها الرياء وملاحظة الخلق ، والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الداء العضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر ، كما سيأتى في كتاب الرياء ، والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق ، وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه

( ١ ) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا باللسن وتباغضوا بالقلوب - الحديث : الطبرانى من حديث سلمان باسناد ضعيف .

( ٢ ) حديث من ترك المراء وهو مبطل - الحديث : الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف ، قال الترمذى : حسن

فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة ، سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم :  
 من الخصاص المؤدى الى الضرب واللكم والطم ، وتزيق الثياب ، والأخذ بالحى ، وسب الوالدين  
 وشتم الأستاذين ، والقذف الصريح ، فان أولئك ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين ؛  
 وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر . نعم قد يسلم بعضهم  
 من بعضها ، مع من هو ظاهر الانحطاط عنه ، أو ظاهر الارتقاع عليه ، أو هو بعيد عن بلده  
 وأسباب معيشته ، ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له فى الدرجة

ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل ، لم نطوّل  
 بذكرها وتفصيل آحادها : مثل الأنفة ، والغضب ، والبغضاء ، والطمع ، وحب طلب المال  
 والجاه ، للتمكن من الغلبة ، والمباهاة ، والأشر ، والبطر ، وتمظيم الأغنياء والسلطين ، والتردد  
 اليهم ، والأخذ من حرامهم ، والتجمل بالخيل والمراكب والثياب المحظورة ، والاستحقار  
 للناس بالفخر والخيلاء ، والخوض فيما لا يعنى ، وكثرة الكلام ، وخروج الخشية والخوف والرحمة  
 من القلب ، واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلى منهم فى صلاته ما صلى ، وما الذى يقرأ  
 ومن الذى يناجيه ، ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى  
 المناظرة مع أنها لا تنفع فى الآخرة : من تحسين العبارة ، وتسجيع اللفظ ، وحفظ النوادر ، إلى  
 غير ذلك من أمور لا تحصى . والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ، ولهم درجات شتى ،  
 ولا ينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلاً عن جل من مواد هذه الأخلاق ، وإنما غاية إخفاؤها  
 ومجاهدة النفس بها .

واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول  
 وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة ، وهى لازمة أيضاً للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان  
 قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران

وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة . فالعلم لا يهمل  
 العالم بل يهلكه هلاك الأبد ، أو يحييه حياة الأبد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّ النَّاسِ  
 عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَا يَنْفَعُهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ » فلقد ضره مع أنه لم ينفعه ، وليته نجا منه رأساً  
 برأس ؛ وهيهات هيهات ! فخطر العلم عظيم ، وطالبه طالب الملك المؤيد والنعيم السرمد ، فلا



ينفك عن المُلْك أو الهُلْك ، وهو كطالب الملك في الدنيا ، فإن لم يتفق له الإصابة في الأموال لم يطمع في السلامة من الإذلال ، بل لابد من لزوم أفضح الأحوال

فإن قلت : في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم ، إذ لولا حب الرياسة لاندست العلوم . فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ، ولكنه غير مفيد ، إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالمصافير ما رغب الصبيان في المكتب ، وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ، ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ، ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج ، بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم <sup>(١)</sup> « إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلْقَ لَهُمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ » . فطالب الرياسة في نفسه هالك ، وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا ، وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ، ولكنه يضر قصد الجاه . فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره ؛ فصالح غيره في هلاكه . فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها

فالعلماء ثلاثة : إما مهلك نفسه وغيره ، وهم المصrchون بطلب الدنيا والمقبلون عليها ؛ وإما مسعد نفسه وغيره ، وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهرا وباطنا ؛ وإما مهلك نفسه مسعد غيره ، وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه . فانظر من أي الأقسام أنت ، ومن الذي اشتغلت بالاعتداله ؛ فلا تظن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل . وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربح المهلكات ما ينفي عنك الريية فيه ، إن شاء الله تعالى

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم : النسائي من حديث أنس بإسناد صحيح

(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر : متفق عليه من حديث أبي هريرة

## الباب الخامس

### في آداب المتعلم والمعلم

أما المتعلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة، ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل :  
 الوظيفة الأولى - تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف ؛ إذ العلم  
 عبادة القلب ، وصلاة السر ، وقربة الباطن إلى الله تعالى . وكما لاتصح الصلاة التي هي وظيفة  
 الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار ، فكذلك لاتصح عبادة الباطن  
 وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف . قال صلى الله  
 عليه وسلم <sup>(١)</sup> « بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النِّظَافَةِ » وهو كذلك باطنا وظاهرا ؛ قال الله تعالى : ( إِنَّمَا  
 الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ) تنبيها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة  
 بالحواس ، فالشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر ، أي باطنه  
 ملطخ بالخبائث . والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه ، وخبائث صفات الباطن  
 أهم بالاجتناب ، فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :  
 « لَا تَدْخُلُ <sup>(٢)</sup> الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ » والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل  
 استقرارهم ؛ والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد ، والحسد والكبر والعجب ،  
 وأخواتها ، كلاب نابجة ؛ فأتى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ، ونور العلم لا يقذفه الله  
 تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة ؟ ( وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ  
 وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ) وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى

### ﴿ الباب الخامس ﴾

- (١) حديث بنى الدين على النظافة: لم أجده هكذا. وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة: تنظفوا فان الاسلام  
 نظيف . والطبراني في الاوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود: النظافة تدعو الى الايمان  
 (٢) حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب : متفق عليه من حديث أبي طلحة الانصاري

القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها ، وهم المقدسون للطهرون المبرءون من الصفات المذمومات ، فلا يلاحظون إلا طيبا ، ولا يعمرن بما عندهم من خزان رحمة الله إلا طيبا طاهرا . ولست أقول : المراد بلفظ البيت هو القلب ، وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ، ولكني أقول : هو تنبيهه عليه . وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر . ففارق الباطنية بهذه الدقيقة ، فإن هذه طريق الاعتبار ، وهو مسلك العلماء والأبرار ، إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه ، كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة : بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضا عرضة للمصائب ؛ وكون الدنيا بصدد الانقلاب ؛ فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة . فاعبر أنت أيضا من البيت الذي هو بناء الخلق ، إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ؛ ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة ، إلى الروح الكلية وهي السبعية واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس ، كلب في المعنى ، وقلب في الصورة ، فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور ؛ والصور في هذا العالم غالبية على المعاني ، والمعاني باطنة فيها ، وفي الآخرة تتبع الصور المعاني ، وتغلب المعاني ، فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية ، فيحشر الممزق<sup>(١)</sup> لأعراض الناس كلبا ضاريا ، والشره إلى أموالهم ذئبا عاديا ، والمتكبر عليهم في صورة نمر ، وطالب الرياسة في صورة أسد . وقد وردت بذلك الأخبار ، وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار

فان قلت : كم من طالب ردى الأخلاق حصل العلوم . فبهيات ما أبعده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة ! فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي سموم قاتلة مهلكة . وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا ؟ إنما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلقونه بالسنتهم مرة ، ويرددونه بقلوبهم أخرى ، وليس ذلك من العلم في شيء ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف في القلب . وقال بعضهم :

(١) حديث حشر الممزق لأعراض الناس في صورة كلب ضار - الحديث : الثعلبي في التفسير من حديث البراء

إنما العلم الخشية لقوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ). وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم. ولذلك قال بعض المحققين: معنى قولهم: تعامنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا الله، أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته، وإنما حصل لنا حديثه والفاظه فان قلت: إني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والأصول، وعُدوا من جملة الفحول، وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها. فيقال: إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما، وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى. وقد سبقت إلى هذا إشارة، وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح، إن شاء الله تعالى

الوظيفة الثانية — أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا، ويبعد عن الأهل والوطن، فان الملائق شاغلة وصارفة، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق، ولذلك قيل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك. فاذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إليك بعضه على خطر. والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه، واختطف الهواء بعضه، فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع الوظيفة الثالثة — أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم، بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل، ويدعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق. وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته، قال الشعبي: صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس<sup>(١)</sup> فأخذ بركابه، فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقَبِلَ زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم. وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> «لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ التَّمَلُّقُ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ». فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم، ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة

(١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء: الطبراني والحاكم والبيهقي في المدخل الا أنهم قالوا: هكذا فعل. قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم

(٢) حديث ليس من أخلاق المؤمن الملق الا في طلب العلم: ابن عدي من حديث معاذ وأبي أمامة باسنادين ضعيفين

إلا من المرموقين المشهورين، وهو عين الحماقة . فان العلم سبب النجاة والسعادة . ومن يطلب  
مهرباً من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده الى الحرب مشهور أو خامل ، وضراوة  
سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع . فالحكمة ضالة المؤمن يفتنمها حيث  
يظفر بها ، ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائناً من كان ، فذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالى كالسيل حرب للمكان العالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع . قال الله تعالى : ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ  
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ) . ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم فهماً ثم  
لاتعينه القدرة على الفهم حتى يلتقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ، ليستقبل كل ما ألقى اليه  
بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة . فيمكن المتعلم بعلامه كأرض دمثة نالت  
مطراً غزيراً فشربت جميع أجزائها ، وأذعنت بالسكينة لقبوله . ومهما أشار عليه المعلم بطريق  
في التعلم فليقلده وليدع رأيه ، فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه ، إذ التجربة تطلع  
على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها ، فكم من مريض محروور يعالجه الطبيب في  
بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج ، فيعجب منه من لا خبرة له به .  
وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر : ( إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ  
مَعِيَ صَبْرًا ، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ) ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال :  
( فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ) ثم لم يصبر ولم يزل في  
مراودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما . وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأياً واختياراً دون  
اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران . فان قلت : فقد قال الله تعالى : ( فَاسْأَلُوا أَهْلَ  
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) فالسؤال مأمور به

فاعلم أنه كذلك ، ولكن فيما يأذن المعلم في السؤال عنه ، فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك  
إلى فهمه مذموم ، ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال ، أى دع السؤال قبل  
أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له ، وبأوان الكشف ، ومالم يدخل أوان الكشف في كل درجة  
من مراقب الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه . وقد قال على رضى الله عنه : إن من حق العالم

أن لا تكثر عليه بالسؤال ، ولا تمتته في الجواب ، ولا تلج عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بشوبه إذا نهض ، ولا تقش له سرا ، ولا تفتابن أحدا عنده ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرتة ، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته

الوظيفة الرابعة — أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الاصغاء إلى اختلاف الناس ، سواء كان ماخاض فيه من علوم الدنيا أو علوم الآخرة ، فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ، ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع ، بل ينبغي أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ، ثم بعد ذلك يصنى إلى المذاهب والشبه ، وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها ، فليحذر منه ، فإن إضلاله أكثر من إرشاده ، فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ، ومن هذا حاله يعد في عمى الخيرة وتيه الجهل . ومنع المبتدئ عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار ، ونذب القوى إلى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوى على مخالطة الكفار . ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ، ويندب الشجاع له . ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ، ولم يدبر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء . وفي ذلك قال بعضهم : من رآني في البداية صار صديقا ، ومن رآني في النهاية صار زنديقا ، إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن ، وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض ، فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل وإهمال ، وهيهات . فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور ، وملازمة الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام . وتشبه الضعيف بالقوى فما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهي اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة في كوز ماء ، ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر أعظم من الكوز ، فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز . ولا يدري المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته ، والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحمله إلى صفته . ولمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم مالم يجوز لغيره <sup>(١)</sup> «حَتَّى أُبَيِّحَ لَهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ»

(١) حديث أبيح له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة ، وهو معروف . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس : كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع — الحديث

إذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن . وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما يبين من الضرر إليه ، حتى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن ، فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين

الوظيفة الخامسة — أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحموده ولا نوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه ، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه ، وتطرف من البقية ، فإن العلوم متعاونة ، وبعضها مرتبط ببعض ، ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله ، فإن الناس أعداء ما جهلوا ، قال تعالى « وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ » . قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض \* يجذُّ مُرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى ، أو معينة على السلوك نوعاً من الإعانة . ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود ، والقوام بها حفظه كحفاظ الرباطات والشعور ، ولكل واحد رتبة ، وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى الوظيفة السادسة — أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة ، بل يراعى الترتيب ، ويبتدىء بالأهم ، فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ، ويكتفي منه بشمه ، ويصرف جهام قوته في الميسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة ، أعني قسمي المعاملة والمكاشفة ، فغاية المعاملة المكاشفة ، وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى . ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العاقل وراثته أو تلقفاً ، ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصيل الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم ، بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي إلى رتبة إيمان أبي بكر رضي الله عنه <sup>(١)</sup> الذي «لَوْ وُزِنَ بِإِيمَانِ الْعَالَمِينَ لِإِجْحَ» كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، فما عندي أن ما يعتقده العاقل ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العاقل إلا في صنعة الكلام ، ولأجله سميت صناعته كلاماً ، وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى

(١) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح : ابن عدى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر باسناد صحيح

وسائر الصحابة رضى الله عنهم ، حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره .  
والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدري  
ما يسمعه على وقفه ، ويزعم أنه من ترهات الصوفية ، وأن ذلك غير معقول ، فينبغى أن تتشد  
فى هذا فعنده ضيعت رأس المال ، فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة  
الفقهاء والمتكلمين ، ولا يرشدك اليه إلا حرصك فى الطلب

وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل ، وهو بحر لا يدرك منتهى غوره .  
وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الذين يلونهم . وقد روى أنه رأى  
صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها : إن أحسنت كل شيء  
فلا تظن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء ،  
وفى يد الآخر : كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب .  
الوظيفة السابعة — أن لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله ، فان العلوم مرتبة  
ترتيباً ضرورياً ، وبعضها طريق إلى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج ، قال  
الله تعالى : ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ) أى لا يجاوزون فناحتى يحكموه علماً  
وعملاً . وليكن قصده فى كل علم يتجراه الترقى إلى ما هو فوقه ، فينبغى أن لا يحكم على علم بالفساد  
لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ، ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ، ولا بخالفتهم موجب علمهم  
بالعمل ، فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل  
لأدركه أربابها ، وقد مضى كشف هذه الشبه فى كتاب معيار العلم . وترى طائفة يعتقدون  
بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفاق لواحد ،  
وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفاق لآخر ، والكل خطأ ، بل ينبغى أن يعرف الشيء فى نفسه .  
فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص . ولذلك قال على رضى الله عنه : لا تعرف الحق بالرجال  
اعرف الحق تعرف أهله

الوظيفة الثامنة — أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم ، وأن ذلك يراد به شيان :  
أحدهما شرف الثمرة ، والثانى وثاقة الدليل وقوته ، وذلك كعلم الدين وعلم الطب ، فان ثمرة  
أحدهما الحياة الأبدية ، وثمره الآخر الحياة الفانية ، فيكون علم الدين أشرف . ومثل علم الحساب  
وعلم النجوم ، فان علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها ، وإن نسب الحساب إلى الطب كان



الطب أشرف باعتبار ثمرته ، والحساب أشرف باعتبار أدلته ، وملاحظة الثمرة أولى ، ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين . وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم . فإياك وأن ترغب إلا فيه ، وأن تحرص إلا عليه

الوظيفة التاسعة - أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وفي المال القرب من الله سبحانه والترقى إلى جوار الملائكة الأعلى من الملائكة والمقرين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه وممارسة السفهاء ومباهاة الأقران ، وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة . ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم ، أعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقة بالكتاب والسنة ، وغير ذلك مما أوردناه في المقدمات والتمتات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية . ولا تفهم من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم ، فالتكفلون بالعلوم كالتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله ، فمنهم المقاتل ، ومنهم الرّدء ، ومنهم الذي يسقيهم الماء ، ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم . ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم ، فكذلك العلماء ، قال الله تعالى : ( يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ) . وقال تعالى : ( هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ) . والفضيلة نسبية ، واستحقاقنا للصارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين . فلا تظن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر ، بل الرتبة العليا للأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم العلماء الراسخين في العلم ، ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم . وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ومن قصد الله تعالى بالعلم أى علم كان ، نفعه ، ورفع له لا محالة

الوظيفة العاشرة - أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد ، كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد ، والمهم على غيره . ومعنى المهم ما يهمك ، ولا يهمك إلا شأنك في الدنيا والآخرة . وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القراءان وشهد له من نور البصائر ما يجري العيان ، فالأهم ما يبقى أبداً الآباد ؛ وعند ذلك تصير الدنيا منزلاً ، والبدن مركباً ، والأعمال سعياً إلى المقصد . ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ، ففيه النعيم كله ، وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره

إلا الأفلون . والعلوم بالاضافة إلى سادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم ، أعنى النظر الذى طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم العوام والمتكلمين ، على ثلاث مراتب ، تفهمها بالموازنة بمثال : وهو أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له : إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعا ، وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعافك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك ، فله ثلاثة أصناف من الشغل : (الأول) تهئية الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد والراحلة . و(الثانى) السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل . و(الثالث) الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ، ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة . وله فى كل مقام منازل ، من أول إعداد الأسباب إلى آخره ، ومن أول سلوك البوادي إلى آخره ، ومن أول أركان الحج إلى آخره . وليس قرب من ابتداء بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى إعداد الزاد والراحلة ، ولا كقرب من ابتداء بالسلوك ، بل هو أقرب منه . فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام : قسم يجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة ، وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا . وقسم يجرى مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات ، وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشائخة التى عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقين ، فهذا سلوك الطريق ، وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله . وكما لا يبنى علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها ، كذلك لا يبنى علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ، ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجرى مجرى نفس الحج وأركانه ، وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه فى تراجم علم المكاشفة ، وهاهنا نجاة وفوز بالسعادة ، والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة . وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى ، وهم المقربون المنعمون فى جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم . وأما المنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة ، كما قال الله عز وجل : ( فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ) . وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له ، أو انتهض إلى جهته

لا على فصد الامثال والعبودية بل لغرض عاجل، فهو من أصحاب الشمال، ومن الضالين، فله نُزُل من حميم وتصلية جسيم

واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين، أعنى أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار، وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع، وحالهم حال من آخر فصّدق، ثم شاهد فحقق، وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان. فالسعادة وراء علم المكاشفة، وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة. وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق نحو الصفات المذمومة وراء علم الصفات. وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن: ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى اللبس والمطعم والمسكن، وهو منوط بالسلطان، وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه. وأما أسباب الصحة في ناصية الطبيب. ومن قال: العلم علان: علم الأبدان وعلم الأديان، وأشار به إلى الفقه، أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة

فان قلت: لم شبهت علم الطب والفقه بأعداد الزاد والراحلة؟

فاعلم أن الساعى إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن، ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس، بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس، ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح، وتارة بالنفس المطمئنة. والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر، وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة. وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة، وهو مضمون به بل لارخصة في ذكره. وغاية المأذون فيه أن يقال: هو جوهر نفيس ودرعيز أشرف من هذه الأجرام المرئية، وإنما هو أمر إلهي، كما قال تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى، ولكن سبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن، فله الخلق والأمر جميعا، والأمر أعلى من الخلق، وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ آيين أن يحملنها وأشفقن منها، من عالم الأمر. ولا يفهم من هذا أنه تعرض بقدمها، فان القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول. فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن، فهو وراء ما نحن

بصدده . والمقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب ، فنه مصدرها ، واليه مرجعها . وأما البدن فطيتها التي تركيبها وتسعى بواسطتها . فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في طريق الحج ، وكالراوية الخازنة للماء الذي يفتقر اليه البدن ، فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ، ولا يخفى أن الطب كذلك ، فانه قد يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ، ولو كان الانسان وحده لا يحتاج اليه ، والفقهاء يفارقه في أنه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغنى عنه ، ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده ، إذ لا يستقل بالسعى وحده في تحصيل طعامه ، بالحراثة والزرع والخبز والطبخ ، وفي تحصيل الملابس والسكن ، وفي إعداد آلات ذلك كله ، فاضطر إلى المخالطة والاستعانة ، ومهما اختلط الناس وثارَت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات ، وتنازعوا وتقاتلوا ، وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج ، كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل ، وبالطب يحفظ الاعتدال في الأخلاط المتنازعة من داخل ، وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في المعاملات والأفعال فقه ، وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية . فالتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج ، والمستغرق عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها تستحكم الخيوط التي تحرز بها الراوية للحج . ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكي طريق الحج أو ملابسى أركانه . فتأمل هذا أولاً ، واقبل النصيحة مجاناً ممن قام عليه ذلك غالباً ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد ، وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة ، في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة . فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم

## بيان وظائف المرشد المعام

اعلم أن للانسان في علمه أربعة أحوال ، كحاله في اقتناء الأموال : اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسباً ، وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن السؤال ، وحال إنفاق على نفسه

فيكون منتفعا ، وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا ، وهو أشرف أحواله . فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال ، فله حال طلب واكتساب ، وحال تحصيل يغنى عن السؤال ، وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع به ، وحال تبصير وهو أشرف الأحوال . فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات ، فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها ، وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب . والذي يعلم ولا يعمل به كالدقير الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم ، وكالمسن الذي يشخذ غيره ولا يقطع ، والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية ، وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق ، كما قيل :

ما هو إلا ذبالة وقدت \* تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسما ، فليحفظ آدابه ووظائفه الوظيفة الأولى - الشفقة على المتعلمين ، وأن يجريهم مجرى بنيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ » بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة ، وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين ، فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة ، أغنى معلم علوم الآخرة ، أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا ، فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك ، نعوذ بالله منه . وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها ، فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ، ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة ، ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا ، فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى ، وسالكون إليه الطريق من الدنيا ، وسنوها وشهورها منازل الطريق ، والترافق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التوادد والتحاب ، فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادة الآخرة ؟ فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ، ولا سعة في سعاداتهم الدنيا ، فلذلك لا ينفك عن ضيق التزامهم .

(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده : أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة

والمعالون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ )  
ورداً مخلون في مقتضى قوله تعالى : ( الْآخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ )

الوظيفة الثانية - أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه ، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً ، بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ؛ ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم ، بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها ، كالذي يعبرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تريد على منفعة صاحب الأرض ، فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ، ولولا المتعلم ماثلت هذا الثواب ؟ فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى ، كما قال عز وجل : ( وَيَأْقَومِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ) فان المال وما في الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والمخدوم هو العلم ، إذ به شرف النفس ؛ فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل المخدوم أخدماً والخادم مخدوماً ، وذلك هو الاتكاس على أم الراس . ومثله هو الذي يقوم في العرض الأكبر مع المجرمين ناكس رؤوسهم عند ربهم . وعلى الجلالة فالفضل والمنة للمعلم . فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيها وفي غيرها ، فانهم يبدلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل في خدمة السلاطين لا يستطلق الجرايات ، ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ، ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة ، وينصر وليه ، ويمادى عدوه ، وينتفض جهاراً له في حاجاته ، ومسخر بين يديه في أوطاره ، فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه ، فأخس عالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ، ثم لا يستحي من أن يقول : غرضي من التدريس نشر العلم تقرباً إلى الله تعالى ونصرة لدينه ! فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات .

الوظيفة الثالثة - أن لا يدع من نصيح المتعلم شيئاً ، وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقييح ذلك في نفسه بأقصى

ما يمكن، فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده، فإن علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه: فإن كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام، فيمنعه من ذلك، فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها: تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله، وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث، وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها، فإذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه، فانه يشمر له طمعا في الوعظ والاستباع، ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آخره، إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة، وذلك يوشك أن يؤدي إلى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره، ويجرى حُب القبول والجاه مجرى الحُب الذي يثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير، وقد فعل الله ذلك بعباده، إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل، وخلق أيضا حُب الجاه ليكون سببا لإحياء العلوم. وهذا متوقع في هذه العلوم

فأما الخلافات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريح الغريبة فلا يزيد التجرد لها من الإعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب، وغفلة عن الله تعالى، وتغاديا في الضلال، وطلبا للجاه، إلا من تداركه الله تعالى برحمته، أو مزج به غيره من العلوم الدينية، ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة. فانظر واعتبر، واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد، والله المستعان. وقد رثى سفيان الثوري رحمه الله حزينا، فقيل له: مالك؟ فقال: صرنا متجراً لأبناء الدنيا، يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا

الوظيفة الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم - أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التجهيز يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار، إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم <sup>(١)</sup> «لَوْ مُنِعَ النَّاسُ عَنْ فَتِّ الْبَعْرِ لَفَتَوْهُ وَقَالُوا قَاتِلُنَا عَنْهُ إِلَّا وَفِيهِ شَيْءٌ»! وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهاها عنه، فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا، بل لتتنبه بها على سبيل العبرة، ولأن التعريض أيضا يميل

(١) حديث لو منع الناس عن فت البعر لفتوه - الحديث: لم أجده

النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه ، فيفيد فرح التفتن لمعناه رغبة في العلم به . يعلم أن ذلك مما لا يعزب عن قطنته

الوظيفة الخامسة - أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبَح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كعلم اللغة إذ عاداته تقيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عاداته تقيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ، ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول : ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان ، فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن . فهذه أخلاق مذمومة للمعالمين ينبغي أن تجتنب ، بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره ؛ وإن كان متكفلاً بعلوم فينبغي أن يراعى التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة

الوظيفة السادسة - أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله ، فينفره أو يخبط عليه عقله ، اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال : <sup>(١)</sup> « نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمَرْنَا أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ وَنُكَلِّمَهُمْ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ » . فليث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَا أَحَدٌ يُحَدِّثُ قَوْمًا بِمَحْدِثٍ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَى بَعْضِهِمْ » . وقال على رضى الله عنه وأشار إلى صدره : إن هاهنا لعلوم ما جمة لو وجدت لها حملة . وصدق رضى الله عنه ، قلوب الأبرار قبور الأسرار ، فلا ينبغي أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد . هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلاً للتفاهق به ، فكيف فيما لا يفهمه ؟ وقال عيسى عليه السلام : لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير ، فإن الحكمة خير من الجواهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير . ولذلك قيل : كل لكل عبد يميّار عقله ، وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المييار . وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب ، فقال السائل : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> قال : « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا نَافِعًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ ! »

(١) حديث نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نزل الناس منازلهم - الحديث : رويناه في جزء من حديث أبي بكر

ابن الشخير من حديث . عمر أخضر منه ، وعند أبي داود من حديث عائشة : أنزلوا الناس منازلهم

(٢) حديث من كتم علماً نافعا جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار : ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد

ضعيف ، وتقدم حديث أبي هريرة . بنحوه



فقال : اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه وكنتمه فلياجمني ، فقد قال الله تعالى : ( وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ) تنبيهها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى ، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق :

أأثر درّاً بين سارحة النعم	فأصبح مخزوناً براعية النعم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره	فلا أنا أضحي أن أطوقه البهم
فان لطف الله اللطيف بلطفه	وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
نشرت مفيداً واستفدت مودة	وإلا فمخزون لدى ومكتم
فمن منح الجهال علماً أضاعه	ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة — أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلى اللائق به ، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه ، فان ذلك يفتر رغبته في الجلى ، ويشوش عليه قلبه ، ويوهم إليه البخل به عنه ، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق ، فاما من أخذ إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله ، وأشدّهم حماقة وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله . وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ، ورسخ في نفسه العقائد الماثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل ، وحسن مع ذلك سريره ، ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك ، فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده ، بل ينبغي أن يخلّى وحرفته ، فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحلّ عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص ، فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي ، وينقلب شيطانا يريد أن يهلك نفسه وغيره ، بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة ، بل يقتصر معهم على تعليم العبادات ، وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصدددها ، ويعلم قلوبهم من الرغبة والرغبة في الجنة والنار ، كما نطق به القرآن ، ولا يحرك عليهم شبهة ، فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك . وبالجمل لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث ، فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ، ودوام عيش الخواص

الوظيفة الثامنة — أن يكون المعلم عاملاً بعلمه ، فلا يكذب قوله فعلة ، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر ، فاذا خالف العمل العلم منع الرشد ، وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك ، سخر الناس به وأتهموه ، وزاد

حرصهم على ما هو عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به . ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود ، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ، ومتى استوى الظل والعود أعوج ؟! ولذلك قيل في المعنى :

لاتنه عن مُخلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى : ( أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ) . ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل ، إذ يزل بزلته عالم كثير ، ويقتدون به ، و«مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» ، ولذلك قال على رضى الله عنه : قَصَمَ ظهري رجلان : عالمٌ مهتِكٌ ، وجاهل متنسِكٌ ، فالجاهل يغر الناس بتنسكه ، والعالم يغرهم بتهتكه . والله أعلم

## الباب السادس

# في آفات العلم

وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء ، وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة ، فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ، ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمزلة عند أهلها ، قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال <sup>(١)</sup> « لَا يَكُونُ الْمَرْءُ عَالِمًا حَتَّى يَكُونُ بِعِلْمِهِ عَامِلًا » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « الْعِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ ، فَذَلِكَ حُجَّةٌ

## ﴿ الباب السادس ﴾

(١) حديث لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا : ابن حبان في كتاب روضة العقلاء ، والبيهقي في المدخل موقوفا على أبي الدرداء ، ولم أجده مرفوعا

(٢) حديث العلم علمان علم على اللسان - الحديث : الترمذي الحكيم في البوارى ، وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح ، وأسنده الخطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر باسناد جيد ، وأعله ابن الجوزى

الله تعالى على خلقه ؛ وعلم في القلب فذلك العلم النافع . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِبَادُ جُهَالٍ وَعُلَمَاءُ فُسَاقٍ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « لَا تَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِنَبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ وَلِتَمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَلِتَضْرِبُوا بِهِ وُجُوهُ النَّاسِ إِلَيْكُمْ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا عِنْدَهُ أَجَلَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « لَأَنَا مِنْ غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الدَّجَالِ » فقيل : وما ذلك ؟ فقال : « مِنْ الْأَعْمَةِ الْمُضِلِّينَ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « مَنْ أَرَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزِدْهُ هُدًى لَمْ يَزِدْهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا » . وقال عيسى عليه السلام : إلى متى تصفون الطريق للمُذَلِّينَ وأنتم مقيمون مع المتحيرين !

فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم ، فإن العالم إما متعرض لهلاك الأبد ، أو لسعادة الأبد ، وإنه بالخوض في العلم قد حُرِمَ السلامة إن لم يدرك السعادة وأما الآثار ، فقد قال عمر رضي الله عنه : إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المناق العليم . قالوا : وكيف يكون منافقا علما ؟ قال : عليم اللسان جاهل القلب والعمل . وقال الحسن رحمه الله : لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ، ويجري في العمل مجرى السفهاء . وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه ، فقال : كفى بترك العلم إضاعة له . وقيل لأبراهيم بن عيينة : أي الناس أطول تَدَمًا ؟ قال : أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره ، وأما عند الموت فعالم مفرط . وقال الخليل بن أحمد : الرجال

(١) حديث يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة : الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف

(٢) حديث لا تعلموا العلم لنباهوا به العلماء - الحديث : ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح

(٣) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال - الحديث : أحمد من حديث أبي ذر باسناد جيد

(٤) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس

وحديث علي باسناد ضعيف إلا أنه قول : زهدا . وروى ابن جبان في روضة العقلاء موقوفا على الحسن :

من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزد من الله إلا بعدا . وروى أبو الفتح الأذري في الضعفاء

من حديث علي من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا .

أربعة : رجل يدرى ويدرى أنه يدرى ، فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى ، فذلك نائم فأيقظوه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى ، فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى ، فذلك جاهل فافضوه . وقال سفيان الثوري رحمه الله : يهتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل . وقال ابن المبارك : لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم ، فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : إني لأرحم ثلاثة : عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر ، وعالماً تلعب به الدنيا . وقال الحسن : عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة . وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى      ومن يشتري ديناه بالدين أعجب  
وأعجب من هذين من باع دينه      بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « إِنَّ الْعَالَمَ لَيُعَذَّبُ عَذَابًا يُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ اسْتَغْظَمَ الشَّدَّةَ عَذَابُهُ » أراد به العالم الفاجر . وقال أسامة بن زيد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول <sup>(٢)</sup> : « يُؤْتَى بِالْعَالِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِجَارُ بِالرَّحَى فَيَطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ مَا لَكَ ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ أَمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَآتِيهِ » . وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم . ولذلك قال الله عز وجل : ( إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ) لأنهم جحدوا بعد العلم ، وجعل اليهود شراً من النصارى مع أنهم ماجعوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة ، إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة ، إذ قال الله : ( يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ) وقال تعالى : ( فَمَا جَاءَهُمْ مَاعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ) . وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء : ( وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَاخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ )

( ١ ) حديث إن العالم يعذب عذاباً يطيف به أهل النار - الحديث : لم أجده بهذا اللفظ ، وهو معنى حديث أسامة المذكور بعده

( ٢ ) حديث أسامة بن زيد : يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى في النار فتندلق أقابيه - الحديث : متفق عليه - بلفظ أرجل بدل العالم

حتى قال : ( فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ) فكذلك العالم الفاجر .  
فإن بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات ، فشبّه بالكلب ، أى سواء أوتي  
الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات

وقال عيسى عليه السلام : مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب  
الماء ولاهى تترك الماء يخلص الى الزرع . ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص  
وباطنها نتن ، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى

فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من  
الجاهل ؛ وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ، ولهم علامات :

فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه ، فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخسرتها  
وكدورتها وانصرامها ، وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ، ويعلم أنها  
متضادتان ، وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، وأنهما ككفتي  
الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى ، وأنهما كالشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما  
بعدت عن الآخر ، وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ ؛ فبقدر ماتصّب منه فى الآخر  
حتى يمتلئ ويفرغ الآخر ؛ فإن من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم انصرام  
ما يصفو منها ، فهو فاسد العقل ، فإن المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك ، فكيف يكون من  
العلماء من لا عقل له ؟ ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان ، فكيف  
يكون من العلماء من لا إيمان له ؟ ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة ، وأن الجمع بينهما طمع فى  
غير مطمع ، فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم ، بل هو كافر بالقراءان كله من أوله الى آخره ،  
فكيف يعد من زمرة العلماء ؟ ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان  
قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته ؟

وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى : إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته  
على محبتي أن أحرمه لذيق مناجاتي . يادود لا تسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن  
طريق محبتي ، أولئك قطاع الطريق على عبادي . يادود إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما .

يا داود من رد إلى هارباً كتبته جهبذا ، ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبداً . ولذلك قال الحسن رحمه الله : عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة . ولذلك قال يحيى بن معاذ : إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا . وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص . وقال عمر رضى الله عنه : إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم ، فإن كل محب يخوض فيما أحب . وقال مالك بن دينار رحمه الله : قرأت في بعض الكتب السالفة أن الله تعالى يقول : إن أهون ما صنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه . وكتب رجل إلى أخ له : إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئ نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم . وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا : يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية : وأخفافكم جالوتية ، ومراكبكم قارونية ، وأوانيكم فرعونية ، ومآتمكم جاهلية ، ومذاهبكم شيطانية ، فأين الشريعة المحمدية ! قال الشاعر :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال آخر :

يامعشر القراء ياملح البلد ما يصالح الملح إذا الملح فسد !  
وقيل لبعض العارفين : أترى أن من تكون المعاصي قرّة عينه لا يعرف الله ؟ فقال : لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى . وهذا دون ذلك بكثير . ولا تظن أن ترك المال يكفي في الحقوق بعلماء الآخرة ، فإن الجاه أضر من المال . ولذلك قال بشر : جدّنا ، باب من أبواب الدنيا ، فإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فأنما يقول أو سمعوا إلى . ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قطرة وقوصرة من الكتب ، وكان يقول أنا أشتهى أن أحدث ، ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدث . وقال هو وغيره : إذا اشتهيت أن تحدث فاسكت ، فإذا لم تشته تحدث . وهذا لأن التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل تنعم في الدنيا ، فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا . ولذلك قال الثوري : فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد ، وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم : ( وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرُكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا )

وقال سهل رحمه الله : العلم كله دنيا ، والآخرة منه العمل به ، والعمل كله هباء إلا  
الاخلاص : وقال الناس كلهم موقى إلا العلماء ، والعلماء سُكاري إلا العاسلين ، والعاملون كلهم  
مغرورون إلا المخلصين ، والمخلص على وجل حتى يدرى ماذا يختم له به . وقال أبو سليمان الداراني  
رحمه الله : إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا .  
وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية ، أو طلب الحديث الذي لا يحتاج اليه في طلب الآخرة .  
وقال عيسى عليه السلام : كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق  
دنياء ؟ وكيف يكون من أهل العلم من يطالب الكلام ليخبر به ليعمل به ؟ وقال صالح بن كيسان  
البصري : أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة . وروى أبو هريرة رضي  
الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ طَلَبَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ  
تَعَالَى لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ أَجَلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد  
فقال عز وجل في علماء الدنيا : ( وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا  
تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ) وقال تعالى في علماء الآخرة :  
( وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ  
لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ) وقال بعض السلف : العلماء  
يحشرون في زمرة الأنبياء ، والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين . وفي معنى القضاة كل فقيه  
قصده طلب الدنيا بعلمه

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال <sup>(٢)</sup> « أَوْحَى اللَّهُ  
عَزَّ وَجَلَّ إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ : قُلْ لِلَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ لِيُغَيِّرُوا الدِّينَ ، وَيَتَعَلَّمُونَ لِيُغَيِّرُوا الْعَمَلَ ،

(١) حديث أبي هريرة من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضاً - الحديث : أبي داود وابن ماجه  
باسناد جيد

(٢) حديث أبي الدرداء أوحى الله الى بعض الأنبياء : قل للذين يتفقهون لغير الدين - الحديث : ابن عبد البر  
باسناد ضعيف

وَيَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسُوكَ الْكِبَاشِ وَقُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الذُّنُوبِ  
الَّتِي فِيهَا مِنْ الْقَسَلِ ، وَقُلُوبُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ ، إِيَّايَ يُخَادِعُونَ ، وَبِي يَسْتَهْزِءُونَ :  
لَأَفْتَحَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً تَذَرُ الْحَلِيمَ حَيْرَانًا »

وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup>  
« غُلَمَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَبَدَّلَهُ لِلنَّاسِ وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِ طَمَعًا وَلَمْ  
يَشْتَرِ بِهِ ثَمَنًا ، فَذَلِكَ يُصَلِّي عَلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ وَحَيَاتَانُ الْمَاءِ وَدَوَابُّ الْأَرْضِ وَالْكَرَامُ  
الْمَكَاتِبُونَ ، يُقَدِّمُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيِّدًا شَرِيفًا حَتَّى يُرَافِقَ الْمُرْسَلِينَ ، وَرَجُلٌ  
آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فِي الدُّنْيَا فَضَنَّ بِهِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعًا وَأَشْتَرَى بِهِ ثَمَنًا ، فَذَلِكَ يَأْتِي  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَاجِمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يُنَادِي مُنَادٍ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ : هَذَا فُلَانٌ بْنُ فُلَانٍ  
آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فِي الدُّنْيَا فَضَنَّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَأَخَذَ بِهِ طَمَعًا وَأَشْتَرَى بِهِ ثَمَنًا ، فَيُعَذِّبُ حَتَّى يَفْرَغَ  
مِنْ حِسَابِ النَّاسِ »

وأشد من هذا ما روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول : حدثني موسى  
صلى الله عليه وسلم ، حدثني موسى نبي الله ، حدثني موسى كليم الله ، حتى أترى وكثر ماله ، ففقدته موسى  
عليه السلام ، فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرا ، حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي  
عنقه جبل أسود ، فقال له موسى عليه السلام : أتعرف فلانا ؟ قال : نعم ، هو هذا الخنزير ؛  
فقال موسى : يا رب أسألك أن تردّه إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا ؟ فأوحى الله عز وجل  
إليه : لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ، ولكن أخبرك لم صنعت هذا به :  
لأنه كان يطلب الدنيا بالدين

وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا في رواية عن النبي

( ١ ) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلا - الحديث : الطبراني في الأوسط باسناد ضعيف



صلى الله عليه وسلم قال : <sup>(١)</sup> « مِنْ فِتْنَةِ الْعَالَمِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْاسْتِمَاعِ ، وَفِي الْكَلَامِ تَنْمِيقٌ وَزِيَادَةٌ وَلَا يُؤْمَنُ عَلَى صَاحِبِهِ الْخَطَا ، وَفِي الصَّمْتِ سَلَامَةٌ وَعِلْمٌ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَخْزَنُ عِلْمَهُ فَلَا يُحِبُّ أَنْ يُوجَدَ عِنْدَ غَيْرِهِ فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الْأَوَّلِ مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يُكُونُ فِي عِلْمِهِ بِعِزَّةِ السُّلْطَانِ إِنْ رُدَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ عِلْمِهِ أَوْ تَهْوُونَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ حَقِّهِ غَضِبَ فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الثَّانِي مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَجْمَلُ عِلْمَهُ وَغَرَائِبَ حَدِيثِهِ لِأَهْلِ الشَّرَفِ وَالْيَسَارِ وَلَا يَرَى أَهْلَ الْحَاجَةِ لَهُ أَهْلًا فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الثَّالِثِ مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَنْصِبُ نَفْسَهُ لِلْفِتْنَةِ فَيُفْتِي بِالْخَطَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُنْعِضُ الْمُتَكَلِّفِينَ فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الرَّابِعِ مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِيَفْزُرَ بِهِ عِلْمَهُ فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الْخَامِسِ مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَّخِذُ عِلْمَهُ مَرْوَةً وَنُبْلًا وَذِكْرًا فِي النَّاسِ فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ السَّادِسِ مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَسْتَفِزُّهُ الزَّهْوُ وَالْعُجْبُ فَإِنْ وَعَظَ عَنَفَ وَإِنْ وَعَظَ أُنِفَ فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ السَّابِعِ مِنَ النَّارِ . فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِالصَّمْتِ فِيهِ تَغْلِبُ الشَّيْطَانُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضْحَكَ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ أَوْ تَمْشِي فِي غَيْرِ أَرْبٍ »

وفي خبر آخر <sup>(٢)</sup> « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَنْشُرُ لَهُ مِنَ الثَّنَاءِ مَا يَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَمَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ » وروى أن الحسن حمل اليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال : يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة . فقال الحسن : عافاك الله تعالى ، ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك ، إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا ، لقي الله تعالى يوم القيامة

(١) حديث معاذ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع - الحديث: أبو نعيم وابن الجوزي في الموضوعات

(٢) حديث إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة : لم أجده هكذا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة : إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة

ولا خلاق له! وعن جابر رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>  
 « لَا تَجْلِسُوا عِنْدَ كُلِّ عَالِمٍ إِلَّا إِلَى عَالِمٍ يَدْعُوكُمْ مِنْ تَحْسٍ إِلَى تَحْسٍ : مِنْ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ  
 وَمِنْ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ ، وَمِنْ الرُّغْبَةِ إِلَى الزُّهْدِ ، وَمِنْ الْكِبَرِ إِلَى التَّوَاضُّعِ ، وَمِنْ  
 الْعَدَاوَةِ إِلَى النُّصِيحَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ( فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
 يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ  
 ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ ) الْآيَةُ . فَعَرَفَ أَهْلَ الْعِلْمِ بِإِيْثَارِ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا

ومنها أن لا يخالف فعله قوله ، بل لا يأمر بالشئء مالم يكن هو أول عامل به ، قال الله  
 تعالى : ( أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ) وقال تعالى : ( كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ  
 تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ) وقال تعالى في قصة شعيب : ( وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ )  
 وقال تعالى : ( وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ) وقال تعالى : ( وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا ) ( وَأَتَّقُوا اللَّهَ  
 وَأَسْمِعُوا ) . وقال تعالى لعيسى عليه السلام « يَا أَبْنَا مَرْيَمَ عِظْ نَفْسَكَ فَإِنْ أَلْعَظْتَ فَيَظِ النَّاسُ  
 وَإِلَّا فَاسْتَحْيِ مَنِّي » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> « مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي بِأَقْوَامٍ  
 تُعْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا : كُنَّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ  
 وَنَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَنَأْتِيهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « هَلَاكُ أُمَّتِي عَالِمٌ فَاجِرٌ وَعَابِدٌ جَاهِلٌ  
 وَشَرُّ الشَّرَارِ شَرَارُ الْعُلَمَاءِ ، وَخَيْرُ الْخِيَارِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ »

وقال الأوزاعي رحمه الله : شكت النواويس ما تجد من تن جيف الكفار ، فأوجي  
 الله إليها : بطون علماء السوء أتن مما أتنم فيه . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : بلغني أن

( ١ ) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم - الحديث : أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في الموضوعات

( ٢ ) حديث مررت ليلة أسري بي بأقوام تعرض شفاههم بمقاريض من نار - الحديث : ابن جبان من  
 حديث أنس

( ٣ ) حديث هلاك أمتي عالم فاجر وشر الشرار شرار العلماء - الحديث : الدارمي من رؤية الأحوص بن

حكيم عن أبيه مرسلًا بآخر الحديث نحوه ، وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث

الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: ويل لمن لا يعلم مرة ، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات . وقال الشعبي : يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم : ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم ؟ فيقولون : إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ، وننهي عن الشر ونفعله . وقال حاتم الأصم رحمه الله : ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو . وقال مالك بن دينار : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا . وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت متها      اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها  
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا      فالموبقات لعمري أنت جانيها  
تعيب دنيا وناسا راغبين لها      وأنت أكثر منهم رغبة فيها  
وقال آخر :

لأنه عن خاق وتأتى مثله      عار عليك إذا فعلت عظيم  
وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله : مررت بحجر بمكة مكتوب عليه : اقلبنى تعتبر: فقلبتة فاذا عليه مكتوب : أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم ! وقال ابن السامك رحمه الله : كم من مذكّر بالله ناس لله ؛ وكم من مخوف بالله جرىء على الله ، وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله ؛ وكم من داع إلى الله فارّ من الله ؛ وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله ! وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله : لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنّا في أعمالنا فلم نهرب . وقال الأوزاعي : إذا جاء الأعراب ذهب الخشوع

وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال : حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : كنّا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال <sup>(١)</sup> « تَعَلَّمُوا مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعَلَّمُوا فَلَنْ يَأْجَرَ كُمْ اللَّهُ حَتَّى تَعْمَلُوا » وقال عيسى

(١) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلان يأجركم الله حتى تعملوا :  
علفمة بن عبد البر وأسده ابن عدى وابو نعيم والحطيب في كتاب افضاء العلم للعمل من حديث معاذ  
فقط بسند ضعيف ورواه الدارمي موقوفا على معاذ بسند صحيح

عليه السلام : مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت ؛ فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الأشهاد . وقال معاذ رحمه الله : احذروا زلّة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته . وقال عمر رضى الله عنه : إذا زل العالم زل بزله عالم من الخلق . وقال عمر رضى الله عنه : ثلاث بهن ينهدم الزمان : إحداهن زلة العالم . وقال ابن مسعود : سيأتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه ، فتكون قلوب علمائهم مثل السباح من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة ، وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإشارها على الآخرة ، فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ، ويطفىء مصابيح الهدى من قلوبهم ، فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله ، فما أخصب الألسن يومئذ وما أجذب القلوب ! فوالله الذى لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى ، والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى . وفى التوراة والانجيل مكتوب : لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضى الله عنه : إنكم فى زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك ، وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا ، وذلك لكثرة البطالين

واعلم أن مثل العالم مثل القاضى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : قَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ وَهُوَ يَعْلَمُ فَذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ ، وَقَاضٍ قَضَى بِالْجَوْرِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَوْ لَا يَعْلَمُ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَقَاضٍ قَضَى بِغَيْرِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ فِي النَّارِ » . وقال كعب رحمه الله : يكون فى آخر الزمان علماء يزهّدون الناس فى الدنيا ولا يزهّدون ، ويخوفون الناس ولا يخافون ، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة ، يأكلون بألسنتهم ، يقربون الأغنياء دون الفقراء ، يتغايرون على العلم كما تتغايّر النساء على الرجال ، ينفضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره ، أولئك الجبارون أعداء الرحمن . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « إِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا يُسَوِّفُكُمْ بِالْعِلْمِ » فقيل يارسول الله وكيف ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم :

( ١ ) حديث القضاة ثلاثة - الحديث : أصحاب السنن من حديث بريدة ، وهو صحيح  
( ٢ ) حديث إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم - الحديث : فى الجامع من حديث أنس بسند ضعيف

« يَقُولُ: أَطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَعْمَلْ حَتَّى تَعْلَمَ ، فَلَا يَزَالُ لِلْعِلْمِ قَائِلًا وَلِلْعَمَلِ مُسَوِّفًا حَتَّى يَمُوتَ وَمَا عَمِلَ »

وقال سِرَى السَّقَطِي : اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر ، فسأله فقال : رأيت في النوم قائلا يقول لي إلى كم تضع العلم ضيعك الله ! فقلت : إني لأحفظه ، فقال حفظ العلم العمل به . فتركت الطلب وأقبلت على العمل . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم لخشية . وقال الحسن : تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا ، فإن السفهاء همته الرواية ، والعلماء همته الرعاية . وقال مالك رحمه الله : إن طلب العلم لحسن ، وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ، ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فلا تؤثرن عليه شيئا

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا ، وسيأتى قوم يشقونه مثل القناة ليسوا بخياركم ، والعالم الذى لا يعمل كالمرضى الذى يصف الدواء ، وكالجائع الذى يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفى مثله قوله تعالى : ( وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ) وفى الخبر <sup>(١)</sup> « مِمَّا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي زَلَّةَ عَالِمٍ وَجِدَالُ مُنَافِقٍ فِي الْقُرْآنِ »

ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة ، المرغب فى الطاعات ، مجتنباً للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقليل والقال . فثال من يعرض عن علم الأعمال ويشغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيباً حاذقاً فى وقت ضيق يخشى فواته ، فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب ، وترك مهمه الذى هو مؤاخذته ، وذلك محض السفه . وقد روى <sup>(٢)</sup> « أَنَّ رَجُلًا جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : عَلَّمَنِي مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا صَنَعْتَ فِي رَأْسِ الْعِلْمِ ؟

( ١ ) حديث مما أخاف على أمتي زلة عالم - الحديث : الطبرانى من حديث أبى الدرداء ، وابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين

( ٢ ) حديث ان رجلاً جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم - الحديث : ابن السني وأبو يعيم فى كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن مسعود وهو ضعيف جداً

فَقَالَ: وَمَا رَأْسُ الْعِلْمِ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ عَرَفْتَ الرَّبَّ تَعَالَى؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ فِي حَقِّهِ؟ قَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ عَرَفْتَ الْمَوْتَ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: فَمَا أَعَدَدْتَ لَهُ؟ قَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْهَبْ فَأَخْبِرْ مَا هُنَاكَ ثُمَّ تَعَالِ نُعَلِّمَنَّكَ مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ»

بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ما روى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخي رضى الله عنهما: أنه قال له شقيق: منذ كم صحبتني؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة. قال: فما تعلمت مني في هذه المدة؟ قال: ثمانى مسائل. قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل! قال يأستاذ لم أعلم غيرها، وإني لأحب أن أكذب. فقال: هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها

قال حاتم: نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبى، فاذا دخلت القبر دخل محبوبى معى، فقال أحسنت يا حاتم، فما الثانية؟

فقال: نظرت فى قول الله عز وجل: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق، فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى

الثالثة: أتى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت الى قول الله عز وجل: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) فكلما وقع معى شيء له قيمة ومقدار وجهته الى الله ليبقى عنده محفوظا

الرابعة: أتى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والى الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها فاذا هى لاشيء، ثم نظرت الى قول الله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريما

الخامسة: أتى نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضا، وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت الى قول الله عز وجل: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي

الحياة الدنيا ) فتركت الحسد واجتنب الخلق ، وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه ، فتركت  
عداوة الخلق عني

السادسة : نظرت الى هذا الخلق يعني بعضهم على بعض ، ويقا تل بعضهم بعضا ، فرجعت  
إلى قول الله عز وجل ( إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ) فعاديتة وحده واجتهدت  
في أخذ حذري منه ، لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي ، فتركت عداوة الخلق غيره

السابعة : نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل  
فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ، ثم نظرت الى قوله تعالى : ( وَمِمَّا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا  
عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ) فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها ، فاشتغلت بما لله  
تعالى على ، وتركت مالى عنده

الثامنة : نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق : هذا على ضيعته ، وهذا  
على تجارته ، وهذا على صناعته ، وهذا على صحة بدنه ، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله ،  
فرجعت الى قوله تعالى : ( وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ) فتوكلت على الله عز وجل ،  
فهو حسبي .

قال شقيق : يا حاتم وفقك الله تعالى ، فاني نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور  
والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة ، وهي تدور على هذه الثمان مسائل ، فمن  
استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة ..

فهذا الفن من العلم لا يهتم بأدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة ، فأما علماء الدنيا فيشتغلون  
بما ييسر به اكتساب المال والجاه ، ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم  
عليهم السلام . وقال الضحاك بن مزاحم : أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع ، وهم  
اليوم ما يتعلمون إلا الكلام

ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب ، والتنعم في اللبس ، والتجمل  
في الأثاث والمسكن ، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ، ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ،  
ويعيل الى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك ، وكلما زاد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قرب ،

وارتفع في علماء الآخرة حزبه . ويشهد لذلك ما حكى عن أبي عبد الله الخوَّاص ، وكان من أصحاب حاتم الأصم : قال : دخلت مع حاتم إلى الرّبي ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلاً نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام ، فدخلنا على رجل من التجار متكشف يحب المساكين ، فأضافنا تلك الليلة ، فلما كان من الغد ، قال لحاتم : ألك حاجة ؟ فاني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل . قال حاتم : عيادة المريض فيها فضل ، والنظر إلى الفقيه عبادة ، وأنا أيضاً أجيء معك ، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الرّبي ، فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن ، فبقى حاتم متفكراً يقول : باب عالم على هذه الحالة ! ثم أذن لهم فدخلوا ، فإذا دار حسناء قوراء ، واسعة نزهة ، وإذا بزة وستور ، فبقى حاتم متفكراً ، ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه ، وإذا بفُرش وطبقة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة ، فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم ، فأوماً إليه ابن مقاتل أن اجلس ، فقال : لأجلس ، فقال : لعل لك حاجة ، قال : نعم ، قال : وما هي ؟ قال : مسألة أسألك عنها ، قال : سل ، قال : قم فاستو جالساً حتى أسألك ، فاستوى جالساً ، قال حاتم : علمك هذا من أين أخذته ؟ فقال : من الثقات حدثوني به ، قال : عمن ؟ قال : عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ؟ قال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ؟ قال : عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل ، قال حاتم : ففياً أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، وأصحابه إلى الثقات ، وأداه الثقات إليك : هل سمعت فيه من كان في داره إشراف وكانت سعتها أكثر ، كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر ؟ قال : لا ، قال : فكيف سمعت ؟ قال : سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته ، كانت له عند الله المنزلة ، قال له حاتم : فأنت بمن اقتديت : بألنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله ، أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالخص والاجر ؟ يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول : العالم على هذه الحالة ، أفلا أكون أناشراً منه ؟ وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضاً ، وبلغ أهل الرّبي ما جرى بينه وبين ابن مقاتل ، فقالوا له : إن الطنافسى بقزوين أكثر توسعاً منه ،



فسار حاتم متعمدا فدخل عليه ، فقال : رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح ضلّاتي كيف أتوضأ للصلاة . قال نعم وكرامة ، يا غلام هات إناء فيه ماء ، فأتى به فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال : هكذا فتوضأ ، فقال حاتم : مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعاً أربعاً ، فقال الطنافسى : باهذا أسرفت ، قال له حاتم : فيماذا ؟ قال : غسلت ذراعيك أربعاً ، فقال حاتم : يا سبحان الله العظيم : أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف ! فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم ، فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوماً ، فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا : يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته ، قال : معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي : أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن إذا أخطأ ، وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه . فبلغ ذلك الامام أحمد بن حنبل فقال : سبحان الله ما أعقله ! قوموا بنا إليه ، فلما دخلوا عليه قال له : يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا ؟ قال : يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال : تغفر للقوم جهلهم ، وتمنع جهلك منهم ، وتبذل لهم شيئك ، وتكون من شيئهم آيساً ، فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة ، فقال : يا قوم أية مدينة هذه ؟ قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه ؟ قالوا : ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطيء بالأرض ، قال : فأين قصور أصحابه رضى الله عنهم ؟ قالوا : ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض ، قال حاتم : يا قوم فهذه مدينة فرعون ! فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا : هذا العجمي يقول : هذه مدينة فرعون ، قال الوالى : ولم ذلك ؟ قال حاتم : لا تعجل عليّ أنا رجل أعجمي غريب دخلت البلد فقلت : مدينة من هذه ؟ فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت فأين قصره ، وقص القصة ، ثم قال : وقد قال الله تعالى : ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ) فأنتم بمن تأسيتم ؟ أبرسول الله صلى الله عليه وسلم أم فرعون أول من بنى بالحرص والآجر ؟ فخلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى ، وسيأتى من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه

والتحقيق فيه : أن التزين بالمباح ليس بمحرام ، ولكن الخوض فيه يوجب الأُنس به حتى يشق تركه ، واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي : من المداهنة ، ومراعاة الخلق ومراعاتهم ، وأمور أخرى محظورة ؛ والحزم اجتناب ذلك ، لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها ألبتة ، ولو كانت السلامة مبدولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى <sup>(١)</sup> « نَزَعَ الْقَمِيصَ الْمُطَرَّرَ بِالْعَلَمِ » « وَنَزَعَ خَاتَمَ الذَّهَبِ » <sup>(٢)</sup> فِي أَثْنَاءِ الْخُطْبَةِ » إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه

وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضى الله عنهما :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين . من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس . أما بعد : فقد بلغني أنك تلبس الدقاق ، وتأكل الرقاق ، وتجلس على الوطى ، وتجعل على بابك حاجبا ، وقد جلست مجلس العلم ، وقد ضربت اليك المطى ، وارتحل اليك الناس ، واتخذوك إماما ، ورضوا بقولك ، فاتق الله تعالى يا مالك ، وعليك بالتواضع . كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى . والسلام

فكتب اليه مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد . سلام الله عليك . أما بعد : فقد وصل إلى كتابك موقع مني موقع النصيحة والشفقة والأدب ، أمتك الله بالتقوى ، وجزاك بالنصيحة خيرا ، وأسأل الله تعالى التوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فأما ما ذكرت لي أني آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطى ، فنحن نفعل ذلك ، ونستغفر الله تعالى ، فقد قال الله تعالى : ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ) . وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا . والسلام

فانظر الى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، وأفشى بأنه مباح ، وقد صدق فيهما جميعا ، ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل

( ١ ) حديث نزع القميص العلم : متفق عليه من حديث عائشة

( ٢ ) حديث نزع الخاتم الذهب في أثناء الخطبة : متفق عليه من حديث ابن عمر

هذه النصيحة ، فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح ، حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة ، والتجاوز الى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه . فالتعريض على التمتع بالمباح خطر عظيم ، وهو بعيد من الخوف والخشية . وخاصة علماء الله تعالى الخشية . وخاصة الخشية التباعد من مظان الخطر

ومنها - أن يكون مستقصيا عن السلاطين ، فلا يدخل عليهم البتة نادام يجد الى الفرار عنهم سبيلا ، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا اليه ، فإن الدنيا حلوة خضرة ، وزمامها بأيدي السلاطين ، والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم ، مع أنهم ظلمة ، ويجب على كل متدين الإنكار عليهم ، وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقصيح فعلهم . فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه ، أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم ، أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم ، وذلك هو البهت الصريح ، أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم ، وذلك هو السحت . وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الأدرار والجوائز وغيرها . وعلى الجملة فخالطتهم مفتاح للشروع ، وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط

وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «مَنْ بَدَأَ جَفَاً - يَنْبَغِي مِنْ سَكَنِ الْبَادِيَةِ جَفَاً - وَمَنْ أَتْبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ أَفْتَنَ» وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرَى، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ، وَأَسْكِنَ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ أَبْعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى» قيل: أفلا نقاتلهم؟ قال صلى الله عليه وسلم «لَا، مَاصِلُوا». وقال سفيان: في جهنم وادٍ لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك . وقال حذيفة: إياكم ومواقف الفتن ، قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء ، يدخل أحدكم على الأمير فيصدفه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> «الْعُلَمَاءُ أَمْنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَمْ يُخَالِطُوا

(١) حديث من بدا جفا - الحديث : أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس

(٢) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتتكرون - الحديث : مسلم من حديث أم سلمة .

(٣) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله - الحديث : العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي في

السُّلَاطِينِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَأَحْذَرُوهُمْ وَأَعْتَزَلُوهُمْ » رواه أنس  
وقيل للأعمش : لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك ، فقال : لا تعجلوا : ثلث يموتون  
قبل الإدراك ، وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق . والثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل .  
ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص .  
وقال الأوزاعي : ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا . وقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم <sup>(١)</sup> « شِرَارُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْأُمَرَاءَ ، وَخِيَارُ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ الْعُلَمَاءَ » .  
وقال مكحول الدمشقي رحمه الله : من تعلم القراءان وتفقه في الدين ثم صحب السلطان  
تلقا اليه وطمعا فيما لديه ، خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه . وقال سمنون : ما أسمع بالعالم  
أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال : هو عند الأمير ! قال : وكنت أسمع أنه يقال :  
إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك ، إذ ما دخلت قط على هذا السلطان  
إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك ، وأتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة  
وكثرة المخالفة لهواه ، ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافا ، مع أنني لا آخذ منه شيئا ، ولا  
أشرب له شربة ماء ، ثم قال : وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل : يخبرون السلطان بالرخص  
وبما يوافق هواه ، ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه ، وكان  
ذلك نجاة لهم عند ربهم

وقال الحسن : كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم . قال عبد الله بن المبارك ، عني به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : وكان لا  
يغشى السلاطين ، وينفر عنهم . فقال له بنوه : يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم  
في الاسلام فلو أتيتهم ! فقال : يا بني آتي جيفة قد أحاط بها قوم ، والله لئن استطعت لا أشاركهم  
فيها ! قالوا يا أبانا إذن نهلك هزالا ، قال : يا بني لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلي من أن أموت  
منافقا سميئا ! قال الحسن : خصمهم والله ، إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن ، دون الايمان .  
وفي هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق ألبة ، وهو مضاد للايمان . وقال  
أبو ذر لسلمة : يا سلمة لا تمس أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من

( ١ ) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء : ابن ماجه بالشرط  
الأول نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

دينك أفضل منه . وهذه فتنة عظيمة للعلماء ، وذريعة صعبة للشيطان عليهم ، لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو ، إذ لا يزال الشيطان يلقي اليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع ، الى أن يخيل اليه أن الدخول عليه من الدين ، ثم اذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ، ويخوض في الثناء والإطراء ، وفيه هلاك الدين . وكان يقال : العلماء اذا علموا عملوا ، فاذا عملوا شغلوا ، فاذا شغلوا فقدوا ، فاذا فقدوا طلبوا ، فاذا طابوا هربوا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى الحسن :  
أما بعد فأشر على بأقوام أستهين بهم على أمر الله تعالى  
فكتب اليه :

أما أهل الدين فلا يريدونك ، وأما أهل الدنيا فلن تريدكم ، ولكن عليك بالأشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة

هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وكان أزهد أهل زمانه ، فاذا كان شرط أهل الدين لهرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته . ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم ، إما ليلهم الى الدنيا ، وإما لمخالطتهم السلاطين

ومنها - ألا يكون مسارعا إلى الفتيا ، بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا ، فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلي ، أفتى ، وإن سئل عما يشك فيه قال : لا أدري ، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية . هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم . وفي الخبر «الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ (١) : كِتَابٌ نَاطِقٌ ، وَسُنَّةٌ قَائِمَةٌ ، وَلَا أُدْرِي» قال الشعبي : لا أدري نصف العلم ، ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق ، لان الاعتراف بالجهل

(١) حديث العلم ثلاثة : كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري : الخطيب في أسماء من روى عن مالك موقوفا

على ابن عمر ولأبي داود وأبن ماجه من حديث عبدالله بن عمر مزفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

أشد على النفس . فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم  
كان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال : اذهب الى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس فضعها  
فى عنقه . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون . وقال  
مُجَنَّة العالم لأدرى ؛ فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله . وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله : ليس  
شئ أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم ، يقول انظروا الى هذا سكوتته أشد على  
من كلامه . ووصف بعضهم الأبدال فقال : أكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة ،  
أى لا يتكلمون حتى يسألوا ، وإذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا ، فان اضطروا أجابوا .  
وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام .

ومرّ علىّ وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس ، فقال : هذا يقول اعرفونى .  
وقال بعضهم : إنما العالم الذى إذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه . وكان ابن عمر يقول :  
تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم ؟ وقال أبو حفص النيسابورى : العالم هو الذى  
يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة : من أين أجبت ؟ وكان ابراهيم التيمي إذا سئل عن  
مسألة يبكى ويقول : لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الىّ ؟ وكان أبو العالية الرياحى و ابراهيم بن  
أدهم والثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير ، فاذا كثروا انصرفوا . وقال صلى  
الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> مَا أَذْرِي أَغْزِيْرُ نَبِيٍّ أَمْ لَا ، وَمَا أَذْرِي أَتُبَّعٌ مَلْعُونٌ أَمْ لَا ، وَمَا أَذْرِي ذُو الْقَرْنَيْنِ  
نَبِيٍّ أَمْ لَا <sup>(٢)</sup> « ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خَيْرِ الْبِقَاعِ فِي الْأَرْضِ وَشَرِّهَا ، قَالَ :  
لَا أَذْرِي ، حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : لَا أَذْرِي ، إِلَى أَنْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ  
عَزَّوَجَلَّ أَنَّ خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ ، وَشَرُّهَا الْأَسْوَاقُ »

وكان ابن عمر رضى الله عنهما يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع .  
وكان ابن عباس رضى الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة . وكان فى الفقهاء من  
يقول لأدرى أكثر ممن يقول أدرى ، منهم سفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، وأحمد بن حنبل

(١) حديث ما أدرى أعزير نبي أم لا - الحديث : أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة  
(٢) حديث لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا أدرى حتى نزل جبريل - الحديث : أحمد وأبو يعلى والبخاري  
والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر

والفضيل بن عياض ، وبشر بن الحارث . وقال عبدالرحمن بن أنى ليلي : أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يُسأل عن حديث أوفتيا إلا وُدَّ أن أخاه كفاه ذلك . وفي لفظ آخر : كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ، ويردها الآخر إلى الآخر ، حتى تعود إلى الأول .

وروى أن أصحاب الصُّفَّة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو في غاية الضر ، فأهداه إلى الآخر ، وأهداه الآخر إلى الآخر ، وهكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول . فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوباً والمطلوب مهروباً عنه . ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسنداً عن بعضهم أنه قال : لا يفتي الناس إلا ثلاثة : أمير ، أو مأمور ، أو متكلف . وقال بعضهم : كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء : الإمامة والوصية ، والوديعة ، والفتيا . وقال بعضهم : كان أسرهم إلى الفتيا أقلمهم علماً ، وأشدهم دفعا لها أروعهم . وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء : قراءة القرآن ، وعمارة المساجد ، وذكر الله تعالى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «كُلُّ كَلَامٍ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَالَةٌ إِلَّا ثَلَاثَةٌ : أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ ، أَوْ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»

وقال تعالى : (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) الآية . ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال : ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي ؟ فكره وجهه وأعرض عنه ، وقال : ما وجدناه شيئاً ، وما حمدنا عاقبته . وقال ابن حصين : إن أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر ! فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفي الحديث « إِذَا رَأَيْتُمْ <sup>(٢)</sup> الرَّجُلَ قَدْ أَوْتَى صَمْتًا وَزُهْدًا فَأَقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقِنُ الْحِكْمَةَ » .

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا ثلاثة - الحديث : الترمذى وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال

الترمذى حديث غريب

(٢) حديث اذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتاً وزهداً - الحديث : ابن ماجه من حديث ابن خلد باسناد ضعيف

وقيل : العالم إما عالم عامه وهو المفتى وهم أصحاب السلاطين ، أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون

وكان يقال : مثل أحمد بن حنبل مثل درجة : كل أحد يغترف منها ، ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد . وكانوا يقولون : فلان عالم ، وفلان متكلم ، وفلان أكثر كلاما ، وفلان أكثر عملا . وقال أبو سليمان : المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام . وقيل : إذا كثرت العلم قلّ الكلام ، وإذا كثرت الكلام قلّ العلم . وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضى الله عنهما وكان «قد آخى»<sup>(٥)</sup> بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أخى : بلغنى أنك قعدت طيبا تداوى المرضى ، فانظر فإن كنت طيبا فتكلم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطيبا فالله الله لا تقتل مسلما . فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل . وكان أنس رضى الله عنه إذا سئل يقول : سلوا مولانا الحسن . وكان ابن عباس رضى الله عنهما إذا سئل يقول : سلوا حارثة بن زيد . وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : سلوا سعيد بن المسيب وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال : ما عندى إلا ما رويت ، فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه ، فأخذ الصحابى كفأ من حصى ورمم به وقال : تسألونى عن العلم وهذا الخبر بين أظهركم ! ومنها - أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ، ومعرفة طريق الآخرة

وسلوكة ، وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك ، من المجاهدة والمراقبة ، فإن المجاهدة تقضى إلى المشاهدة ، ودقائق علوم القلوب تنفجر بها ينباع الحكمة من القلب ، وأما الكتب والتعليم فلا تنى بذلك ، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة ، والاتقطاع إلى الله تعالى عما سواه ، فذلك مفتاح الإلهام ، ومنبع الكشف ، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة . وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الأبواب !

(١) حديث مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء : البخارى من حديث أبي جعفر



ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلَّمَ وَرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »  
وفي بعض الكتب السالفة : يابني اسرائيل لا تقولوا : العلم في السماء من ينزل به إلى  
الأرض ، ولا في تخوم الأرض من يصعد به ، ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به ، العلم مجعول  
في قلوبكم ، تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين ، وتخلقوا إلى بأخلاق الصديقين أظهر العلم في  
قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم . وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله : خرج العلماء والعباد  
والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ، ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ، ثم تلا قوله تعالى :  
( وَمَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ) الآية . ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور  
الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم : « أُسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ  
وَأَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ » . وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى : <sup>(٢)</sup> « لَا يَزَالُ الْعَبْدُ  
يَتَقَرَّبُ إِلَى بِلْوَانِ الْوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ » الحديث . فكم  
من معان دقيقة من أسرار القراء تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب  
التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين ، وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على  
المفسرين استحسَنوه ، وعلموا أن ذلك من تبيهاات القلوب الزكية ، والطف الله تعالى بالهمم  
العالية المتوجهة إليه ، وكذلك في علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب ،  
فإن كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه ، وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه ،  
وبحسب ما وفق له من حسن العمل

وفي وصف هؤلاء العلماء قال على رضي الله عنه في حديث طويل : « القلوب أوعية وخيرها  
أوعاها للخير ، والناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع أتباع لكل  
ناعم ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من  
المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق ،  
والعلم دين يدان به ، تكتسب به الطاعة في حياته ، وجميل الأحدثة بعد وفاته ، العلم حاكم والمال

( ١ ) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم : أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه

( ٢ ) حديث لا يزال العبد يتقرب إلى بالوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت له سمعا وبصرا : متفق عليه من  
حديث أبي هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره . وهو في الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف

محكوم عليه ، ومنفعة المال تزول بزواله ، مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء أحياء باقوز ما بقي الدهر . ثم تنفس الصعداء ، وقال : هاه ! إن ها هنا علما جمعا لو وجدت له حملة ، بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ، ويستطيل بنعم الله على أوليائه ، ويستظهر بحجته على خلقه ، أو منقادا لأهل الحق لكن ينزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة ، لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك ، أو منهوما بالذات سلس القياد في طلب الشهوات ، أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقادا لهواه ، أقرب شيها بهم الأنعام السائمة ، اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ، ثم لا تحلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهر مكشوف ، وإما خائف مقهور ، لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته ؛ وكم وأين أولئك هم الأفلون عددا ، الأعظمون قدرا ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلنوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الغافلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالحل الأعلى ، أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه ، وأمناءه وعماله في أرضه ، والدعاة إلى دينه . ثم بكى وقال : واشوقاه إلى رؤيتهم !!

فهذا الذي ذكره أخيرا هو وصف علماء الآخرة ، وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة

ومنها - أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين ، فإن اليقين هو رأس مال الدين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « الْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ » فلا بد من تعلم علم اليقين ، أغنى أوائله ، ثم يفتح للقلب طريقه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « تَعَلَّمُوا الْيَقِينَ » ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين ، وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم ، وقليل من اليقين خير من كثير من العمل . وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له : رجل حسن اليقين كثير الذنوب ، ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين ، فقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَأْمِنَ آدَمِيَّ

( ١ ) حديث اليقين الايمان كله : البيهقي في الرهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن سعد باسناد حسن

( ٢ ) حديث تعلموا اليقين : أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل ورواه ابن أبي الدنيا في اليقين من قول خالد بن معدان

( ٣ ) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب : الترمذي الحكيم في النوادر من حديث أنس باسناد مظلم

إِلَّا وَلَهُ ذُنُوبٌ» ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب ، لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم ، فتكفر ذنوبه ، ويبقى له فضل يدخل به الجنة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «إِنَّ مِنْ أَقَلِّ مَا أُوتِيتُمْ الْيَقِينَ وَعَزِيْمَةَ الصَّبْرِ وَمَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْهُمَا لَمْ يُبَالِ مَا فَاتَهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ» . وفي وصية لقمان لابنه : يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ، ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه

وقال يحيى بن معاذ : إن للتوحيد نورا ، وللشرك نارا ، وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين . وأراد به اليقين . وقد أشار الله تعالى في القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت : فامعنى اليقين ، وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولاً ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه ، فان مالاتفهم صورته لا يمكن طلبه ؟

فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين : أما النظائر والتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك ، إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات : الأول - أن يعتدل التصديق والتكذيب ، ويعبر عنه بالشك ، كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك ، فان نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات ولا نفي ، بل يستوى عندك إمكان الأمرين ، فيسمى هذا شكاً

الثاني - أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ، ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول ، كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب ؟ فان نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب . وذلك لظهور علامات الصلاح ، ومع هذا فأنت تجوّز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريته ، فهذا التجويز مساوٍ لذلك الميل ، ولكنه غير دافع رجحانه . فهذه الحالة تسمى ظناً

الثالث - أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ، ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ، ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة ، إذ لو أحسن صاحب

(١) حديث من أولى ما أُوتيتم اليقين وعزيمة الصبر - الحديث : لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من

حديث معاذ ما أنزل الله شيئاً أقل من اليقين ولا قسم شيئاً بين الناس أقل من الحلم - الحديث

هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجوير اتسعت نفسه للتجوير، وهذا يسمى اعتقاداً مقارياً لليقين، وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها، إذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع، حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها، ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نقر عن قبوله

الرابع - المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه، فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً عند هؤلاء. ومثاله أنه إذا قيل للعافل: هل في الوجود شيء هو قديم؟ فلا يمكنه التصديق به بالبديهة، لأن القديم غير محسوس، لا كالشمس والقمر، فانه يصدق بوجودهما بالحس، وليس العلم بوجود شيء قديم أزلي ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال، فان هذا أيضاً ضروري، فحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة. ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقاً جزماً ويستمر عليه، وذلك هو الاعتقاد، وهو حال جميع العوام. ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له: إن لم يكن في الوجود قديم فالوجودات كلها حادثة، فان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال، فالموءى الى المحال محال، فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة، لأن الأقسام ثلاثة: وهي أن تكون الموجودات كلها قديمة، أو كلها حادثة، أو بعضها قديمة وبعضها حادثة، فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم، وإن كان الكل حادثاً فهو محال، إذ يؤدي الى حدوث بغير سبب، فيثبت القسم الثالث أو الأول، وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً عند هؤلاء، سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل، كالعلم باستحالة حادث بلا سبب، أو بتواتر كالعالم بوجود مكة، أو بتجربة كالعالم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل، أو بدليل كما ذكرنا فشرط إطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك. فكل علم لا شك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء، وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف، إذ لا تفاوت في نبي الشك.

الاصطلاح الثاني - اصطلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء، وهو أن لا يلتفت فيه الى اعتبار التجوير والشك، بل الى استيلائه وغلبته على العقل، حتى يقال: فلان ضعيف اليقين

بالموت مع أنه لاشك فيه ، ويقال: فلان قوى اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه . فهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتجوز والمنع ، سمي ذلك يقينا . ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والافتكاك عن الشك فيه ، ولكن فيهم من لا يلتفت اليه ، ولا إلى الاستعداد له ، وكأنه غير موقن به . ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره ، فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين . ولذلك قال بعضهم : ما رأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت . وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة . ونحن إنما أردنا بقولنا : إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا ، وهو نفي الشك ، ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها

فاذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام ، بالقوة والضعف ، والكثرة والقلّة ، والخفاء والجلاء ، فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى ، وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب ، ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لا تنتهى ، وتفاوت الخلق فى الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى . وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضا ، أما فيما يتطرق إليه التجوز فلا ينكر ، أعنى الاصطلاح الثانى ، وفيما انتفى الشك أيضا عنه لاسيما إلى إنكاره ، فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فذلك مثلا ، وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك فى الأمرين جميعا ، اذ مستندهما جميعا التواتر ، ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى ، لأن السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين ، وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالأدلة ، فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما فى نفي الشك ، وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال . وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين ، كما يقال : فلان أكثر علما من فلان ، أى معلوماته أكثر ، ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ماورد الشرع به ، وقد يكون قوى اليقين فى بعضه فان قلت : قد فهمت اليقين وقوته وضعفه ، وكثرته وقلته ، وجلاله وخفائه ، بمعنى نفي

الشك ، أو بمعنى الاستيلاء على القلب ، فامعنى متعلقات اليقين ومجاريه، وفيماذا يطلب اليقين، فاني ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه ؟

فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجارى اليقين، فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة، ومتعلقه المعلومات التي وردت بها الشرائع، فلا مطمع في إحصائها، ولكني أشير إلى بعضها وهي أمهاتها :

فن ذلك التوحيد : وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب، ولا يلتفت إلى الوسائط، بل يرى الوسائط مسخرة لأحكامها، فالمصدق بهذا موقن ، فان انتفى عن قلبه مع الايمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين ، فان غلب على قلبه مع الايمان غلبة أزالته عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم، ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يفض علىهما، بل يراها آلتين مسخريتين واسطتين ، فقد صار موقنا بالمعنى الثاني، وهو الأشرف، وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته . ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب ، وأن القدرة الأزلية هي المصدر للكل ، استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم، وصار موقنا بريثا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق . فهذا أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى : ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ) ، واليقين بأن ذلك يأتيه ، وأن ما قدر له سيساق اليه . ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجللا في الطلب ، ولم يشتد حرصه وشره وتأسفه على ما فاتته ، وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة

ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ، وهو اليقين بالثواب والعقاب ، حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشعير ، ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والأفاعي الى الهلاك ، فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليلا وكثيره ، فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلا وكثيرها ، وكما يمتنع قليل السموم وكثيرها ، فكذلك يمتنع المعاصي قليلا وكثيرها وصغيرها وكبيرها . فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين ، أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون.

وثمره هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات، والمبالغة في التقوى، والتحرز عن كل السيئات ، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشهير أبلغ ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ، ومشاهد له واجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك ، فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك ، وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عز يزيجخص به الصديقون . وثمرته أن يكون الانسان في خلوته متأدبا في جميع أحواله ، كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه ، فانه لا يزال مطرقا متأدبا في جميع أعماله ، متماسكا محتززا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ، ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة ، إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريره كما يطلع الخلق على ظاهره ، فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس ، وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار، والنذل والاستكانة والخضوع ، وجملة من الأخلاق الحمودة . وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة ، فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة . وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها . وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار كالأنوار المتفرعة من الأغصان . فاليقين هو الأصل والأساس ، وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه . وسيأتي ذلك في ربيع المنجيات ، إن شاء الله تعالى . وهذا القدر كاف في معنى اللفظ الآن

ومنها - أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا ، يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته . لا ينظر اليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى ، وكانت صورته دليلا على عمله ، فالجواد عينه مرآته ، وعلماء الآخرة يعرفون بسياهم في السكينة والذلة والتواضع . وقد قيل : ما لبس الله عبدا ألبسة أحسن من خشوع في سكينة ، فهي لبسة الأنبياء ، وسيا الصالحين والصديقين والعلماء

وأما التهافت في الكلام والتشدد ، والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر ، والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه ، وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به . وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري رحمه الله : عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله ، وهم المفتون في الحلال والحرام ، وهذا العلم لا يورث الخشية ؛ وعالم بالله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله ، وهم عموم المؤمنين ؛ وعالم بالله تعالى وبأمر الله

تعالى وبأيام الله تعالى ، وهم الصديقون ، والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم . وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة . فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه

وقال عمر رضى الله عنه : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم ، وتواضعوا لمن تعلمون منه ، ولتواضع لكم من يتعلم منكم ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء : فلا يقوم علمكم بجهلكم . ويقال ما آتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حملا وتواضعا وحسن خلق ورفقا ؛ فذلك هو العلم النافع . وفي الأثر : من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام المتقين . وفي الخبر <sup>(١)</sup> « إِنَّ مِنْ خِيَارِ أُمَّتِي قَوْماً يَضْحَكُونَ جَهْرًا مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَيَسْكُونُونَ سِرًّا مِنْ خَوْفِ عَذَابِهِ ، أَبْدَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَقُلُوبُهُمْ فِي السَّمَاءِ ، أَرْوَاحُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَعُقُولُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، يَتَمَشَّوْنَ بِالسَّكِينَةِ ، وَيَتَقَرَّبُونَ بِالْوَسِيلَةِ » . وقال الحسن : الحلم وزير العلم ، والرفق أبوه ، والتواضع سر به

وقال بشر بن الحارث : من طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى يفضضه فانه ممقوت في السماء والأرض . ويروى في الاسرائيليات أن حكما صنف ثلاثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل لفلان ملأت الأرض نفاقا ولم تردني من ذلك بشيء وإنني لأقبل من نفاقك شيئا . فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق وواكل بنى إسرائيل وتواضع في نفسه ، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم : قل له : الآن وفقت لرضاي وحكي الأزعى رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول : ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعبد بالله منه ؛ وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يمتقنهم وهم أحق بالمتقن من ذلك الشرطى . وروى أنه <sup>(٢)</sup> « قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ

(١) حديث إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويسكون سرا من خوف عذابه

الحديث : الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان

(٢) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله

الحديث : لم أجده هكذا بطوله وفي زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلا : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى . وللدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خيرا الخير خيار العلماء . وقد تقدم



أَجْتَنَابُ الْمَحَارِمِ، وَلَا يَزَالُ فُوكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى . قِيلَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ خَيْرٌ ؟  
 قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَاحِبٌ إِنْ ذَكَرْتَ اللَّهَ أَعَانَكَ ، وَإِنْ نَسِيتَهُ ذَكَرَكَ . قِيلَ : فَأَيُّ  
 الْأَصْحَابِ شَرٌّ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَاحِبٌ إِنْ نَسِيتَ لَمْ يَذْكُرْكَ ، وَإِنْ ذَكَرْتَ لَمْ  
 يُعْنِكَ . قِيلَ : فَأَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ قَالَ : أَشَدُّهُمْ لِلَّهِ خَشْيَةً . قِيلَ : فَأَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا  
 بُحَالِ سَهْمٍ . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ . قِيلَ : فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟ قَالَ :  
 اللَّهُمَّ غَفِرًا . قَالُوا أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا »

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ أَمَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ فِكْرًا فِي الدُّنْيَا ،  
 وَأَكْثَرَ النَّاسِ ضِحْكًا فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُهُمْ بُكَاءً فِي الدُّنْيَا ، وَأَشَدُّ النَّاسِ فَرَحًا فِي الْآخِرَةِ  
 أَطْوَلُهُمْ حُزْنًا فِي الدُّنْيَا »

وقال على رضى الله عنه فى خطبة له : دمتى رهينة وأنا به زعيم ، إنه لا يهيج على التقوى زرع  
 قوم ، ولا يظلم على الهدى سبغ أصل ، وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره ، وإن أبغض  
 الخلق إلى الله تعالى رجل قش علما أغار به فى أغباش الفتنة ، سمّاه أشباهه له من الناس وأرداهم  
 علما ، ولم يعش فى العلم يوما سالما ، بكر واستكثر ، فاقل منه وكفى خير مما كثر وألهى ، حتى  
 إذا ارتوى من ماء آجن ، وأكثر من غير طائل ، جلس للناس معاملا لتخليص ما التبس على  
 غيره ، فإن نزلت به إحدى المهمات هيا لها من رأيه حشو الرأى ، فهو من قطع الشبهات فى  
 مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ، ركاب جهالات ، خباط عشوات ، لا يعتذر  
 مما لا يعلم فيسلم ، ولا يعرض على العلم بضرر قاطع فيغنم ، تبكى منه الدماء ، وتستحل بقضائه  
 الفروج الحرام ، لا ملئ والله بإصدار ما ورد عليه ، ولا هو أهل لما فوض اليه ، أولئك الذين  
 حلت عليهم المشلات ، وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا . وقال على رضى الله عنه :  
 إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب

وقال بعض السلف : العالم إذا ضحك ضحكة مبع من العلم محبة . وقيل : إذا جمع المعلم

( ١ ) حديث إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم خوفاً في الدنيا الحديث : لم أجد له أصلا

ثلاثاً تمت النعمة بها على المتعلم : الصبر ، والتواضع ، وحسن الخلق ، وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المعلم : العقل ، والأدب ، وحسن الفهم . وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة . وقال ابن عمر رضي الله عنهما <sup>(١)</sup> « لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ وَإِنْ أَحَدَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ ، وَتَنْزِيلُ السُّورَةِ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَأَوَامِرَهَا وَزَوَاجِرَهَا ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا يَنْبَغِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى خَاتَمَتِهِ لَا يَذَرِي مَا أَمَرَهُ وَمَا زَجَرَهُ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ ، يَنْشُرُهُ نَشْرَ الدَّقَلِ » وفي خبر آخر بمثل معناه <sup>(٢)</sup> « كُنَّا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِينَا الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ ، وَسَيَأْتِي بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يُؤْتُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ وَيُضَيِّعُونَ حُدُودَهُ وَحُقُوقَهُ يَقُولُونَ قَرَأْنَا فَمَنْ أَقْرَأَ مِنَّا وَعَلِمْنَا فَمَنْ أَعْلَمَ مِنَّا ؟ فَذَلِكَ حَظُّهُمْ » وفي لفظ آخر : « أُولَئِكَ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ »

وقيل : خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل : الخشية ، والخشوع ، والتواضع ، وحسن الخلق ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، وهو الزهد ، فأما الخشية فمن قوله تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) . وأما الخشوع فمن قوله تعالى : ( خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ) . وأما التواضع فمن قوله تعالى : ( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ) . وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى ( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ) . وأما الزهد فمن قوله تعالى ( وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ شَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ) ولما تلا <sup>(٣)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ( فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ

( ١ ) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحداً يؤتى الإيمان قبل القرآن - الحديث : الحاكم

وصححه على شرط الشيخين والبيهقي

( ٢ ) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن - الحديث : ابن ماجه من

حديث جندب مختصراً مع اختلاف

( ٣ ) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » الحديث

الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن مسعود

صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ) فَقِيلَ لَهُ : مَا هَذَا الشَّرْحُ ؟ فَقَالَ : إِنَّ النُّورَ إِذَا قُدِّفَ فِي الْقَلْبِ انْشَرَحَ لَهُ  
الصَّدْرُ وَانْفَسَحَ ، قِيلَ : فَهَلْ لِدَلِّكَ مِنْ عِلَامَةٍ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ : التَّجَافِي عَنْ دَارِ  
الْفُرُورِ ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ «

ومنها - أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعمّا يفسدها ويشوش القلوب ويهيج  
الوسواس ويشير الشر ، فإن أصل الدين التوقي من الشر ، ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قربية ، وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان ،  
وإنما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها ، وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه ، وكل ذلك  
مما يغلب مسيس الحاجة اليه ، وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة

وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريمات في الحكومات والأقضية ، ويتعبون في  
وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع أبدا ، وإن وقعت فانما تقع لغيرهم لاهم ، وإذا وقعت كان  
في القائمين بها كثرة ، ويتركون ما يلزمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار ، في خواطرهم  
ووساوسهم وأعمالهم . وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بهم غيره النادر ، إثارا  
للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه ، وشرها في أن يسميه البطالون من  
أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق ! وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق ، بل  
يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ، ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين  
وفوز المقرين ، وذلك هو الخسران المبين

ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،  
وأقربهم هديا من الصحابة رضي الله عنهم ، اتفقت الكلمة في حقه على ذلك ، وكان أكثر  
كلامه في خواطر القلوب ، وفساد الأعمال ، ووساوس النفوس ، والصفات الخفية الغامضة ،  
من شهوات النفس . وقد قيل له : يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته ؟  
قال : من حذيفة بن اليمان . وقيل لحذيفة : نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن

أين أخذته؟ قال: خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> «كَانَ النَّاسُ يُسْأَلُونَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أُسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ خَافَةً أَنْ أَقَعَ فِيهِ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْخَيْرَ لَا يَسْبِقُنِي عِلْمُهُ». وقال مرة: «فَعَلِمْتُ أَنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ لَا يَعْرِفُ الْخَيْرَ» وفي لفظ آخر «كَانُوا يَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِمَنْ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا؟ يُسْأَلُونَهُ عَنْ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، وَكُنْتُ أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا يُقْسِدُ كَذَا وَكَذَا؟ فَلَمَّا رَأَى اسْأَلُهُ عَنْ آفَاتِ الْأَعْمَالِ خَصَّنِي بِهَذَا الْعِلْمِ»

وكان حذيفة رضى الله عنه أيضا قد خص بعلم المنافقين، وأفرد بعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة. وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم، ولا يخبر بأسمائهم. وكان عمر رضى الله عنه يسأله عن نفسه: هل يعلم فيه شيئا من النفاق؟ فبرأه من ذلك. وكان عمر رضى الله عنه إذا دُعِيَ إلى جنازة ليصلى عليها نظر: فإن حضر حذيفة صلى عليها، وإلا ترك. وكان يسمى صاحب السر

فالناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة، لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى. وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا، وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد، وقيل هذا تزويق المذكرين، فأين التحقيق، ويرون أن التحقيق في قادات المجادلات. ولقد صدق من قال:

الطُّرُقُ شَتَّى وَطُرُقُ الْحَقِّ مُفْرَدَةٌ      والسالكون طريقَ الحقِّ أفراد

لَا يَعْرِفُونَ وَلَا تُدْرَى مُقَاصِدُهُمْ      فهم على مهل يمشون قُصَاد

والناس في غفلة عما يراد بهم      فجلبهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم، فإن الحق مرّ، والوقوف عليه صعب، وإدراكه شديد، وطريقه مستوعر، ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة، فإن ذلك نزع للروح على الدوام، وصاحبه ينزل منزلة الشارب

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر - الحديث: أخرجاه مختصرا

للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء ، وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه ، فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت ، ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق . ولذلك قيل : إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكلماً في الوعظ والتذكير ، ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة : منهم سهل التسترى ، والصبيحى ، وعبد الرحيم ، وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذى لا يحصى ، وإلى هؤلاء عدد يسير قلماً يجاوز العشرة ، لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص ، وما يبذل للعموم فأمره قريب

ومنها - أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه ، لا على الصحف والكتب ، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره ، وإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله ، وإنما يقلد الصحابة رضى الله عنهم من حيث إن فإلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصاً على فهم أسرارهم ، فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأف صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله ، وفعله لا بد وأن يكون أسراراً فيه ، فينبغى أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال ، فانه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ، ولا يكون عالماً . ولذلك كان يقال : فلان من أوعية العلم ، فلا يسمى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ، ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعاً مقلداً ، فلا ينبغى أن يقلد غيره . ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما<sup>(١)</sup> «مَنْ أَحَدٍ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ عِلْمِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه ، وقرأ على أبي بن كعب ، ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعاً . وقال بعض السلف : ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والدين ، وما جاءنا عن الصحابة رضى الله عنهم فنأخذ منه وتترك ، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال

وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرائن ، فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة

(١) حديث ابن عباس مامن أحد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم : الطبرانى من

من حديثه يرفعه بلفظه من قوله : ويدع

إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يجرسهم في الأكثر عن الخطأ . وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد ، بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين ، وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة ، وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضي الله عنهم ، وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين ، بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب ، لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القراءة وعن التدبر والتذكر ، وقالوا : احفظوا كما كنا نحفظ . ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصحيف القرآن في مصحف ، وقالوا : كيف نفعل شيئا مافعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخافوا اتكال الناس على المصاحف ، وقالوا : تترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم ، حتى أشار عمر رضي الله عنه وبقيّة الصحابة بكتب القرآن ، خوفا من تحاذل الناس وتكاسلهم ، وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من المتشابهات ، فأنشراح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك ، فجمع القرآن في مصحف واحد . وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطأ ، ويقول : ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم

وقيل : أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار ، وحروف التفسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة ، ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن ، جمع فيه سنننا مأثورة نبوية ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري .

ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام ، وكثر الخوض في الجدال ، والنوص في إبطال المقالات ، ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها ، فأخذ علم اليقين في الاندراست من ذلك الزمان ، فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب ، والتفتيش عن صفات النفس ومكاييد الشيطان ، وأعرض عن ذلك إلا الأقلون ، فصار يسمى المجادل المتكلم عالما ، والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما ، وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم ، فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ، ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم وعلومهم ظاهرةً عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم ، فاستمر عليهم اسم العلماء ، وتوارث اللقب خلف عن سلف ، وأصبح

علم الآخرة مطويا، وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم : كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان ، يقولون: فلان أكثر علما، وفلان أكثر كلاما، فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام . هكذا ضعف الدين في قرون سالفة ، فكيف الظن بزمانك هذا ؟ وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته إلى الجنون ، فالأولى أن يشتغل الانسان بنفسه ويسكت

ومنها - أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور ، فلا يفرته إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم ، وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم ، وما كان فيه أكثر همهم : أكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوضايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة ، أم كان في الخوف والحزن والتفكير والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الإثم وجليله ، والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكاييد الشيطان ، إلى غير ذلك من علوم الباطن .

واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف ، فمنهم أخذ الدين ، ولذلك قال على رضى الله عنه : خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما قيل له : خالفت فلانا . فلا ينبغي أن يكثر بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه ليل طباعهم اليه ، ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة ، فادّعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه . ولذلك قال الحسن : محدثان أحدثا في الاسلام : رجل ذو رأى سىء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ، ومترفٌ يعبد الدنيا، لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب ، فارفضوها إلى النار ، وإن رجلا أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعو إلى دنياه ، وصاحب هوى يدعو إلى هواه ، وقد عصمه الله تعالى منها ، يحنّ إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتنى آثارهم ، متعرض لأجر عظيم ، فكذلك كونوا

وقد روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا<sup>(١)</sup> أنه قال : « إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ : الْكَلَامُ

(١) حديث ابن مسعود إنما هما اثنتان الكلام والهدى بالحديث : ابن ماجه

وَأَهْدَى، فَأَحْسَنُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، أَلَا لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُوا قُلُوبَكُمْ، أَلَا كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، أَلَا إِنَّ الْبَعِيدَ مَا لَيْسَ بِآتٍ»

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفَقْهِ وَالْحِكْمِ، وَجَانَبَ أَهْلَ الزَّلَلِ وَالْمَعْصِيَةِ، طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ، وَوَسَّعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يَعُدْهَا إِلَى بِدْعَةٍ»

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول: حُسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل، وقال: أنتم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الأمور، وسيأتى بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات. وقد صدق، فمن لم يتوقف فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه، هلك كما هلكوا. وقال حذيفة رضى الله عنه: أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وأن منكركم اليوم معروف زمان قد أتى، وإنكم لا تزالون بخير ما عرقتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به. ولقد صدق، فإن أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله عنهم، إذ من غرر المعروفات فى زماننا تزوين المساجد وتنجيلها، وإنفاق الأموال العظيمة فى دقائق عماراتها، وفرش البسط الرفيعة فيها

ولقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة. وقيل إنه من محدثات الحجاج، فقد كان الأولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا

(١) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه - الحديث: أبو نعيم من حديث الحين ابن على بسند ضعيف والبرار من حديث أنس أول الحديث وآخره، والطبرانى والبيهقى من حديث ركب المصرى وسط الحديث وكلها ضعيفة.



وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان ، ويزعمون أنه من أعظم القربات . وقد كان من المنكرات ومن ذلك التلحين في القرآن والأذان

ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة ، وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب ، مع التساهل في حل الأطعمة وتحريمها ؛ إلى نظائر ذلك

ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال : أتم اليوم في زمانٍ الهوى فيه تابع للعلم ، وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى . وقد كان أحمد بن حنبل يقول : تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ، ما أقل العلم فيهم ! والله المستعان . وقال مالك بن أنس رحمه الله : لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ، ولم يكن العلماء يقولون : حرام ولا حلال ، ولكن أدركتهم يقولون : مستحب ومكروه . ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب ، فأما الحرام فكان فحشه ظاهرا . وكان هشام بن عروة يقول : لا تسألوه اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ، ولكن سلوه عن السنة فانهم لا يعرفونها . وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول : لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما في نفسه . وإنما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب ، وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا . فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار . ولهذا لما أحدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدري رضى الله عنه فقال : يا مروان ما هذه البدعة ؟ فقال : إنها ليست ببدعة ، إنها خير مما تعلم ، إن الناس قد كثروا فاردت أن يبلغهم الصوت ، فقال أبو سعيد : والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا ، والله لأصليت وراءك اليوم ! وإنما أنكر ذلك عليه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « كَانَ يَتَوَكَّأُ فِي خُطْبَةِ الْعِيدِ وَالْإِسْتِسْقَاءِ عَلَى قَوْسٍ أَوْ عَصَا » لَا عَلَى الْمِنْبَرِ

(١) حديث كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا : الطبراني من حديث البراء

ونحوه في يوم الأضحى ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف ورواه في الصغير من حديث سعد القرظ كان اذا خطب في العيدين خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بلفظ كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس - الحديث

وفي الحديث المشهور<sup>(١)</sup> « مَنْ أُحْدِثَ فِي دِينِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . وفي خبر آخر :  
 « مَنْ<sup>(٢)</sup> غَشَّ أُمَّتِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » قيل يارسول الله : وما غش  
 أمتك ؟ قال : « أَنْ يَبْتَدِعَ بَدْعَةً يَحْمِلُ النَّاسُ عَلَيْهَا » وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « إِنْ لِي لِهَ  
 عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ : مَنْ خَالَفَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ  
 تَنْلَهُ شَفَاعَتَهُ » ومثال الجاني على الدين بابتداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثال  
 من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة ، وذلك قد يغفر له ؛  
 فأما قلب الدولة فلا . وقال بعض العلماء : ماتكلم فيه السلف فالكسوت عنه جفاء ، وماسكت  
 عنه السلف فالكلام فيه تكلف . وقال غيره : الحق ثقيل من جاوزه ظلم ، ومن قصر عنه عجز ،  
 ومن وقف معه اكتفى . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « عَلَيْكُمْ بِالنَّمْطِ الْأَوْسَطِ الَّذِي  
 يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْعَالِي وَيَرْتَفِعُ إِلَيْهِ النَّالِي »

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الضلالة لها حلالة في قلوب أهلها ، قال الله تعالى :  
 ( وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ) وقال تعالى : ( أَفَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ) .  
 فكل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة ، فهو من اللعب واللهو  
 وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فراجعوا إليه  
 محسورين ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء : ما نصيب منهم شيئا وقد أتعبونا ،  
 فقال : إنكم لا تقدرون عليهم : قد صحبوا نبيهم ، وشهدوا تنزيل ربهم ، ولكن سيأتي بعدهم  
 قوم تنالون منهم حاجتكم . فلما جاء التابعون بث جنوده فراجعوا إليه منكسين ، فقالوا : ما  
 رأينا أعجب من هؤلاء : نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار

( ١ ) حديث من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد : متفق عليه من حديث عائشة بلفظ : في أمرنا ما ليس  
 منه . وعند أبي داود فيه

( ٢ ) حديث من غش أمتي فعليه لعنة الله - الحديث : الدارقطني في الاثراد من حديث أنس بسند ضعيف جداً  
 ( ٣ ) حديث إن لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته :  
 لم أجده له أصلاً

( ٤ ) حديث عليكم بالنمط الأوسط - الحديث : أبو عبيد في غريب الحديث موقوفاً على علي بن أبي طالب  
 ولم أجده مرفوعاً

أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات ، فقال : إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم ، واتباعهم لسنة نبيهم ، ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم بقر أعينكم بهم ، تلعبون بهم لعبا ، وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم ، إن استغفروا لم يغفر لهم ، ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات . قال : نجاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع ، فاستحلوها ، واتخذوها دينا ، لا يستغفرون الله منها ، ولا يتوبون عنها ، فسلط عليهم الأعداء ، وقلدوهم أين شاءوا

فان قلت : من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك ؟  
 فاعلم أن أرباب القلوب يكشفون بأسرار الملكوت ، تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل ورود عليهم من حيث لا يعلمون ، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة ، وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام ، وهذا أعلى الدرجات ، وهي من درجات النبوة العالية ، كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة  
 فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك ، ففيه هلك المتحذلقون من العلماء ، الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول . فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى . ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء ، وكان خارجا عن الدين بالسكينة . قال بعض العارفين : إنما انقطع الأبدال في أطراف الأرض واستترواعن أعين الجمهور ، لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت ، لأنهم عندهم جهال بالله تعالى ، وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء . قال سهل التستري رضى الله عنه : إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل ، والنظر إلى العامة ، واستماع كلام أهل الغفلة ، وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصنى إلى قوله ، بل ينبغي أن يتهم في كل ما يقول ، لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ، ويدفع مالا يوافق محبوبه . ولذلك قال الله عز وجل ( وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ) . والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين ، المعتقدين أنهم من العلماء ، لأن العاصي المعاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب ، وهذا الجاهل الظان أنه عالم فان ماهو مشغول به من العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين ، فلا يتوب ولا يستغفر ، بل لا يزال مستمرا عليه إلى الموت

وإذ غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى ، وانقطع الطمع من إصلاحهم ، فالأسلم لدى الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم ، كما سيأتي في كتاب العزلة . بيانه ، إن شاء الله تعالى .  
ولذلك كتب يوسف بن أسباط الى حذيفة المرعشي : ما ظنك بمن بقي لا يجد أحدا لا يذكر الله تعالى معه إلا كان آثماً أو كانت مذاكرته معصيةً ، وذلك أنه لا يجد أهله ؟ ولقد صدق ، فإن غواية الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة ، أو سكوت على منكر . وإن أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيد . ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة ، علم أن المستفيد إنما يريد أن يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ، ووسيله الى الشر ، فيكون هو معيناً له على ذلك ؛ ورداءاً وظهيراً و مهيئاً لأسبابه ، كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق . فالعلم كالسيف ، وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ، ولذلك لا يرخص له في البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق .  
فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف . فكن أحد رجلين : إما متصفا بهذه الصفات ، أو معترفا بالتقصير مع الإقرار به . وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين ، وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين ، وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين . نعوذ بالله من خدع الشيطان ، فيها هلك الجهور . فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تنفك الحياة الدنيا ، ولا يغرهم بالله الغرور !

## الباب السابع

### في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

#### بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره ، لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل . والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه ، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة ، والنور من الشمس ، والرؤية من العين ، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة ؟

أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل ، حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشدّها ضراوة وأفواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه ، لشعوره باستيلائه عليه ، لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « الشَّيْخُ فِي قُوَّتِهِ كَأَلَنِّي فِي أُمَّتِهِ » وليس ذلك لكثرة ماله ، ولا لكبر شخصه ، ولا لزيادة قوته ، بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ، ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ، ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة ، هابوه ، وتراعى لهم ما كان يتلأأ على ديباجة وجهه من نور النبوة ، وإن كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل . فشرف العقل مدرك بالضرورة . وإنما القصد أن نورد ماوردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه ، وقد سماه الله نورا في قوله تعالى : ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ) . وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة ، فقال تعالى : ( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ) . وقال سبحانه : ( أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ) . وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل ، كقوله : ( يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ) . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَغْلِقُوا عَنْ رَبِّكُمْ وَأَتَوَصَّوْا بِالْعَقْلِ تَعْرِفُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَمَا نُهَيْتُمْ عَنْهُ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ يُنْجِدُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَإِنْ كَانَ ذَمِيمًا الْمَنْظَرُ خَيْرٌ أَلْظَرِ دَنَى الْمَنْزِلَةِ رَثَّ الْهَيْئَةِ ، وَإِنْ أَلْجَاهِلُ مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ عَظِيمَ الْخَطَرِ شَرِيفَ الْمَنْزِلَةِ حَسَنَ الْهَيْئَةِ فَصَبِحًا نَطُوقًا ، فَالْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ أَعْقَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَصَاهُ ، وَلَا تَفْتَرَّ

### ﴿ الباب السابع في العقل ﴾

(١) حديث الشيخ في قومه كألني في أمته : ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي

من حديث أبي رافع بسند ضعيف

(٢) حديث يأياها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل - الحديث : داود بن المجبر أحد الضعفاء في

كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحارث بن أبي أسامة عن داود

بِتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِيَّاكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ». وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ فَقَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَذْبِرْ فَأَذْبَرَ ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَى مِنْكَ ، بِكَ آخِذٌ ، وَبِكَ أُعْطِي ، وَبِكَ أُثِيبُ ، وَبِكَ أُعَاقِبُ ». فان قلت : فهذا العقل إن كان عرضا فكيف خلق قبل الأجسام ؟ وإن كان جوهر فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز ؟

فاعلم أن هذا من علم المكاشفة ، فلا يليق ذكره بعلم المعاملة . وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة . وعن أنس رضى الله عنه <sup>(٢)</sup> قال « أَتْنِي قَوْمٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَالَعُوا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ عَقْلُ الرَّجُلِ ؟ فَقَالُوا : نُخْبِرُكَ عَنْ أَجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَصْنَافِ الْخَيْرِ وَتَسْأَلُنَا عَنْ عَقْلِهِ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْأَئِمَّةَ يُصِيبُ بِجَهْلِهِ أَكْثَرُ مِنْ فُجُورِ الْفَاجِرِ ، وَإِنَّمَا يَرْتَفِعُ الْعِبَادُ غَدَاً فِي الدَّرَجَاتِ الزُّلْفَى مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى قَدَرِ عُقُولِهِمْ ». وعن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَا أَكْتَسَبَ رَجُلٌ مِثْلَ فَضْلِ عَقْلٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدًى وَيَرُْدُّهُ عَنْ زَدًى ، وَمَا تَمَّ إِيمَانُ عَبْدٍ وَلَا اسْتِقَامَ دِينُهُ حَتَّى يَكْمَلَ عَقْلُهُ ». وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « إِنْ لَرَجُلٍ لِيَذْرَكَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةُ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَلَا يَتِمُّ لِرَجُلٍ حُسْنُ خُلُقِهِ حَتَّى يَتِمَّ عَقْلُهُ فَمِنَ ذَلِكَ تَمُّ إِيمَانُهُ وَأَطَاعَةُ رَبِّهِ وَعَصَى عَدُوَّهُ إِبْلِيسَ »

(١) حديث أول ما خلق الله العقل قال له أقبل - الحديث : الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين

(٢) حديث أنس أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا في الثناء فقال : كيف عقل الرجل

الحديث : ابن المجرى في العقل بتمامه والترمذي الحكيم في النوادر مختصراً  
(٣) حديث عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل - الحديث : ابن المجرى في العقل وعنه الحارث بن أبي أسامة

(٤) حديث إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله  
الحديث : ابن المجرى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به . والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله ولا يتم ، من حديث عائشة وصححه

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لِكُلِّ شَيْءٍ دِعَامَةٌ وَدِعَامَةُ الْمُؤْمِنِ عَقْلُهُ ، فَبِقَدْرِ عَقْلِهِ تَكُونُ عِبَادَتُهُ ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الْفُجَّارِ فِي النَّارِ : «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ» . وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لثميم الدارى <sup>(٢)</sup> : « مَا السُّؤْدُودُ فِيكُمْ ؟ قَالَ الْعَقْلُ . قَالَ : صَدَقْتَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا سَأَلْتُكَ فَقَالَ كَمَا قُلْتَ ، ثُمَّ قَالَ : سَأَلْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا السُّؤْدُودُ فَقَالَ : الْعَقْلُ » وعن البراء بن عازب رضى الله عنه <sup>(٣)</sup> قال « كَثُرَتْ الْمَسَائِلُ يَوْمًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةً وَمَطِيَّةُ الْمَرْءِ الْعَقْلُ ، وَأَحْسَنُكُمْ دَلَالَةً وَمَعْرِفَةً بِأَلْحَجَّةِ أَفْضَلُكُمْ عَقْلًا » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال <sup>(٤)</sup> « لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ أُحُدٍ سَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَ : فَلَانٌ أَشْجَعُ مِنْ فَلَانٍ وَفُلَانٌ أَبْلَى مَالَمَ يُبَلِّ فَلَانٌ وَنَحْوُ هَذَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا هَذَا فَلَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ ، قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُمْ قَاتَلُوا عَلَى قَدَرٍ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْعَقْلِ ، وَكَانَتْ نُصْرَتُهُمْ وَيَنْتَهُمُ عَلَى قَدَرِ عُقُولِهِمْ فَأَصِيبَ مِنْهُمْ مَنْ أُصِيبَ عَلَى مَنَازِلَ شَيْءٍ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ اقْتَسَمُوا الْمَنَازِلَ عَلَى قَدَرِ نِيَّاتِهِمْ وَقَدَرِ عُقُولِهِمْ » .

وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال <sup>(٥)</sup> : « جَدُّ الْمَلَائِكَةِ وَاجْتَهَدُوا

(١) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله - الحديث : ابن الجبر وعنه الحارث

(٢) حديث عمر أنه قال لثميم الدارى ما السؤدد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه

وسلم - الحديث : ابن الجبر وعنه الحارث

(٣) حديث البراء كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأيها الناس ان لكل شيء

مطية - الحديث : ابن الجبر وعنه الحارث

(٤) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أُحُدٍ سمع الناس يقولون كان

فلان أشجع من فلان - الحديث : ابن الجبر

(٥) حديث البراء بن عازب جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل - الحديث ابن الجبر كذلك وعنه

الحارث في مسنده ورواه البغوى في معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة

غير البراء وهو بالسند الذى رواه ابن الجبر

فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعَقْلِ ، وَجَدَّ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى قَدَرِ عُقُولِهِمْ فَأَعْمَلَهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْفَرُهُمْ عَقْلًا . وعن عائشة رضي الله عنها قالت <sup>(١)</sup> « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَ يَتَفَاوَضُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا ؟ قَالَ : بِالْعَقْلِ ، قُلْتُ : وَفِي الْآخِرَةِ ؟ قَالَ : بِالْعَقْلِ ، قُلْتُ أَلَيْسَ إِنَّمَا يُجْزَوْنَ بِأَعْمَالِهِمْ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَائِشَةُ : وَهَلْ عَمِلُوا إِلَّا بِقَدْرِ مَا أُعْطَاهُمْ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْعَقْلِ ؟ فَيَقْدِرُ مَا أُعْطُوا مِنَ الْعَقْلِ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ ، وَبِقَدْرِ مَا صَمِلُوا يُجْزَوْنَ »

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « لِكُلِّ شَيْءٍ آلَةٌ وَعُدَّةٌ ، وَإِنَّ آلَةَ الْمُؤْمِنِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ وَمَطِيَّةُ الْمَرْءِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ دِعَامَةٌ وَدِعَامَةُ الدِّينِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ غَايَةٌ وَغَايَةُ الْعِبَادِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ دَائِعٌ وَدَائِعِي الْعَابِدِينَ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ تَاجِرٍ بِضَاعَةٌ وَبِضَاعَةُ الْمُجْتَهِدِينَ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ قِيَمٌ وَقِيَمُ بُيُوتِ الصَّدِيقِينَ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ خَرَابِ عِمَارَةٍ وَعِمَارَةُ الْآخِرَةِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَقْبٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَيُذَكَّرُ بِهِ وَعَقْبُ الصَّدِيقِينَ الَّذِي يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ وَيُذَكَّرُونَ بِهِ الْعَقْلُ ، وَلِكُلِّ سَفَرٍ فُسْطَاطٌ وَفُسْطَاطُ الْمُؤْمِنِينَ الْعَقْلُ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> : « إِنَّ أَحَبَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ نَصَبَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَصَحَ لِعِبَادِهِ وَكَمَلَ عَقْلُهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ فَأَبْصَرَ ، وَعَمِلَ بِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « أَتَمُّكُمْ عَقْلًا أَشَدُّكُمْ لِلَّهِ تَعَالَى خَوْفًا وَأَحْسَنُكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ نَظَرًا ، وَإِنْ كَانَ أَقْلَكُمْ تَطَوُّعًا »

( ١ ) . حديث عائشة قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل - الحديث ابن المجبر والترمذي الحكيم في النوادر نحوه

( ٢ ) . حديث ابن عباس لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل - الحديث : ابن المجبر وعنه الحارث

( ٣ ) . حديث أن أحب المؤمنين إلى الله من نصب في طاعة الله - الحديث ابن المجبر من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسناد آخر ضعيف

( ٤ ) . حديث أتمكم عقلاً أشدكم لله خوفاً - الحديث : ابن المجبر من حديث أبي قتادة



## بيان حقيقة العقل وأقسامه

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته ، وذهل الأكترون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة ، فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه : أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان ، كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة ، وما يجري هذا المجرى ، فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد ، بل يفرد كل قسم بالكشف عنه

فالأول — الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم ، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية ، وتدير الصناعات الخفية الفكرية ، وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل : إنه غريزة تهيا بها إدراك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الأشياء . ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية ، فان الغافل عن العلوم والنائم بسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم . وكما أن الحياة غريزة بها تهيا الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية ، فكذلك العقل غريزة بها تهيا بعض الحيوانات للعلوم النظرية . ولو جار أن يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة والادراكات الحسية ، فيقال : لافرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء المادة بخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهائم ، لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد في الحياة ، ويقال : لافرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة ، فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد ، وكما يجب أن يقال : لم يكن مفارقه للجماد في الحركات إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة ، فكذا مفارقة الانسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل ، وهو كالمرآة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة ، وكذلك العين تفارق الجبهة في صفات وهيئات بها استعدت للرؤية . فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ، ونسبة القراء والشرع إلى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر ، فكذا ينبغي أن تفهم هذه الغريزة

الثاني - هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات : كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ، وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد ، وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل : إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات . وهو أيضا صحيح في نفسه ، لأن هذه العلوم موجودة ، وتسميتها عقلا ظاهر ، وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال : لا موجود إلا هذه العلوم

الثالث - علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال ، فإن من حنكته التجارب وهذبه المذاهب يقال إنه عاقل في العادة ، ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمر جاهل ، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا

الرابع - أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها ، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا ، من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة ، وهذه أيضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان . فالأول هو الأس والسنخ والمنبع ، والثاني هو الفرع الأقرب اليه ، والثالث فرع الأول والثاني ، إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب ، والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى ، فالأولان بالطبع ، والأخيران بالاكتساب ، ولذلك قال علي كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقليين فطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ الْعَقْلِ » والأخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ بِأَبْوَابِ الْبِرِّ »

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل : الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة من الصحابة

(٢) حديث إذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك : أبو نعيم في الحلية من حديث علي إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل فاكسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والتقرب . واسناده ضعيف

وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتَقَرَّبَ أَنْتَ بِعَقْلِكَ « وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بى  
الرداء رضى الله عنه <sup>(١)</sup> » أَزْدَدَ عَقْلًا تَزْدَدُ مِنْ رَبِّكَ قُرْبًا » فَقَالَ : يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي وَكَيْفَ لِي  
بِذَلِكَ ؟ فَقَالَ : « اجْتَنِبْ مَحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَدِّ فَرَائِضَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَكُنْ عَاقِلًا ، وَأَعْمَلْ  
بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ تَزْدَدُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا رِفْعَةً وَكَرَامَةً وَتَنَلْ فِي آجِلِ الْمُنَى بِهَا مِنْ  
رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْبَ وَالْعِزَّ » وعن سعيد بن المسيب <sup>(٢)</sup> « أَنَّ عُمَرَ وَابْنَ كَعْبٍ وَأَبَا  
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ  
أَعْلَمُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْعَاقِلُ . قَالُوا : فَمَنْ أَعْبَدُ النَّاسِ ؟ قَالَ : الْعَاقِلُ . قَالُوا :  
فَمَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ ؟ قَالَ : الْعَاقِلُ . قَالُوا : أَلَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ تَمَّتْ مُرُوئُهُ وَظَهَرَتْ فَصَاحَتُهُ  
وَجَادَتْ كَفُّهُ وَعَظُمَتْ مَنَزِلَتُهُ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ » إِنْ الْعَاقِلُ هُوَ الْمُتَّقِي وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا خَسِيسًا ذَلِيلًا ،  
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ <sup>(٣)</sup> « إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ رُسُلَهُ  
وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ » .

ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الفريزة وكذا في الاستعمال، وإنما أطلق  
على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته، فيقال : العلم هو الخشية، والعالم من  
يخشى الله تعالى، فإن الخشية ثمرة العلم، فتكون كالمجاز لغير تلك الفريزة، ولكن ليس الغرض  
البحث عن اللغة. والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة، والاسم يطلق على جميعها،  
ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول. والصحيح وجودها، بل هي الأصل، وهذه  
العلوم كأنها مضمنة في تلك الفريزة بالفطرة، ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب

( ١ ) حديث ازدد عقلا تزد من ربك قربا - الحديث : قاله لأبي الرداء : ابن المحبر ومن طريقه الحارث

ابن أبي أسامة والترمذي الحكيم في النوادر .

( ٢ ) حديث ابن المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل - الحديث : ابن المحبر

( ٣ ) حديث إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته : ابن المحبر من حديث سعيد بن

المسيب مرسل وفيه قصة

يخرجها الى الوجود ، حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج ، وكأنها مستكنة فيها فظهرت . ومثاله الماء في الأرض ، فانه يظهر بحفر البئر ، ويجتمع ويتميز بالحس ، لا بأن يساق اليها شيء جديد . وكذلك الدهن في اللوز ، وماء الورد في الورد ، ولذلك قال تعالى : ( وَإِذْ أَخَذَرَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ) فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة ، فانهم انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص الى مقرر والى جاحد ، ولذلك قال تعالى : ( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ) معناه : إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) أى كل آدمى فطر على الايمان بالله عز وجل ، بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه ، أعنى أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك

ثم لما كان الايمان مركزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين : إلى من أعرض نفسى وهم الكفار ، وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فَنَسِيَهَا بَغْفلة ثم تذكرها . ولذلك قال عز وجل : ( لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) ( وَلَيَتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ ) ( وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ ) ( وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ) . وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد ، فكان التذكير ضربان : أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود ، والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة . وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ، ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ، ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ، ويتعسف في تأويل التذكير وإقرار النفوس أنواعا من التعسفات ، ويتخيل اليه في الأخبار والآيات ضروب من المناقضات ، وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ، ويعتقد فيها التهافت . ومثاله مثال الأعمى الذى يدخل دارا فيعثر فيها بالأوانى المصفوفة في الدار فيقول : ما هذه الأوانى لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها ؟ فيقال له إنها في مواضعها وإنما الخلل فى بصرك . فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطم منه وأعظم ، إذ النفس كالفرس ، والبدن كالفرس ، وعمى الفارس أضرم من عمى الفرس .

ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى : ( مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ) وقال تعالى : ( وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) الآية . وسمى ضده عمى ، فقال تعالى : ( فَأَنَّهُ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ) وقال تعالى : ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصْلُ سَبِيلًا ) . وهذه الأمور التي كشفت الأبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة ، وسمى الكل رؤية .

وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة ، لم يعلق به من الدين إلا قشوره ، وأمثله دون لبابه وحقائقه . فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها

## بيان تفاوت النفوس في العقل

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ، ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل بتحصيله ، بل الأولى والأهم المبادرة الى التصريح بالحق

والحق الصريح فيه أن يقال : إن التفاوت يتطرق الى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، فان من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم في مكانين ، وكون الشيء الواحد قديما حادثا ، وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه إدراكا محققا من غير شك . وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها

أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات ، فلا يخفى تفاوت الناس فيه ، بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه ، وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة ، إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ، ولكن غير مقصور عليه ، فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا ، وإذا كبر وتم عقله قدر عليه ، وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا ، وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ، ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة ، وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك إذا لم يكن

طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ، ولكن اذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد ، فيكون الخوف جندا للعقل وُعدة له في قمع الشهوات وكسرها ، وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة عامه بضرر المعاصي ، وأعنى به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالة وأصحاب الهذيان . فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل ، وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا ، فانه يقوى غريزة العقل ، فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه . وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل ، فانها اذا قويت كان قعها للشهوة لاحالة أشد

وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب، فتفاوت الناس فيها لا ينكر ، فانهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ، ويكون سببه إما تفاوتاً في الغريزة ، وإما تفاوتاً في الممارسة . فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة ، فالتفاوت فيه لاسبيل إلى جحده ، فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه . ومبادئه إشراقه عند سن التمييز ، ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة . ومثاله نور الصبح ، فان أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ، ثم يتدرج إلى الزيادة ، إلى أن يكمل بطولوع قرص الشمس

وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر ، والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر ، بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد ، حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغلة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج ، وكذلك جميع القوى والصفات . ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربة العقل

ومن ظن أن عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية ، وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ، ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم ، والى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة ، والى كامل تنبث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم ، كما قال تعالى : ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ) وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام ، إذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ، ويعبر عن ذلك بالالهام . وعن مثله

عَبَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ <sup>(١)</sup> «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي، أَحْبَبْتُ مَنْ أَحْبَبْتَهُ فَأَيْنَكَ مُفَارِقُهُ، وَعَشْتُ مَا شِئْتُ فَأَيْنَكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتُ فَأَيْنَكَ حُجْزِي بِهِ». وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن، ومشاهدة الملك بحاسة البصر، ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع. ودرجات الوحي كثيرة، والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة، بل هو من علم المكاشفة ولا تظن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي، إذ لا يبعد أن يعرف الطيب المريض درجات الصحة، ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خاليا عنها، فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر، فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا، ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا

وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم، وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم، وإلى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه، كما تنقسم الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا، وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات، وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس، وذلك لا اختلاف جواهر الأرض في صفاتها، فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل. ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت <sup>(٢)</sup> : يَا رَبَّنَا هَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَعْظَمَ مِنَ الْعَرْشِ؟ قَالَ نَعَمْ : الْعَقْلُ، قَالُوا وَمَا بَلَغَ مِنْ قَدْرِهِ؟ قَالَ هِيَ هَاتِ لَا يُحَاطُ بِعِلْمِهِ، هَلْ لَكُمْ عِلْمٌ بِعَدَدِ الرَّمْلِ؟ قَالُوا : لَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنِّي خَلَقْتُ الْعَقْلَ أَصْنَافًا شَتَّى كَعَدَدِ الرَّمْلِ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ حَبَّةً، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ حَبَّتَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ الثَّلَاثَ وَالْأَرْبَعَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ فَرْقًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ وَسْقًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أُعْطِيَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»

(١) ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقة - الحديث : الشيرازي في الألقاب من

حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف

(٢) حديث ابن سلام سئل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش

وأن الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا أعظم من العرش - الحديث : ابن الجوزي

حديث أنس بن مالك والترمذي الحسكي في النوادر مختصرا

فإن قلت : فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول ؟  
 فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات  
 والإلزامات ، وهو صنعة الكلام ، فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم في التسمية ،  
 إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب ، فذموا العقل  
 والمعقول ، وهو المسمى به عندهم . فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق  
 رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه ؟ وإن ذم فما الذي بعده يحمده ؟ فإن كان  
 المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع ؟ فإن علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون  
 الشرع أيضاً مذموماً . ولا يلتفت إلى من يقول : إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل ،  
 فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الإيمان ، وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي  
 عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور

وأكثر هذه التخيلات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فنخبطوا  
 فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الألفاظ . فهذا القدر كاف في بيان العقل . والله أعلم  
 تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من  
 أهل الأرض والسماء ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد . والحمد لله وحده أولاً وآخرأ



# كتاب قواعد العتائد

بسم الله الرحمن الرحيم

## كتاب قواعد العقائد

وفيه أربعة فصول

### الفصل الأول

في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام

ف نقول وبالله التوفيق :

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، ذى العرش المجيد، والبطش الشديد، الهادى صفوة العبيد، الى المنهج الرشيد، والمسلك السديد، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد، السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثاره، صاحب الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد، المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بحاسن أوصافه التى لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، المعرف بإمام أنه فى ذاته واحد لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمد لا ضد له، منفرد لا ند له، وأنه واحد قديم لأول له، أزلى لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدى لا نهاية له، فيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال، بتصرم الآباد وانقراض الآجال، بل هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم

التنبيه :

وأنه ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر، وأنه لا يماثل الأجسام، لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، ولا بمرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجوداً ولا يماثل موجود، ليس كمثل شيء ولا هو مثل شيء، وأنه لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات، وأنه

مستو على العرش على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، استواء منزلها عن المماسه والاستقرار ،  
والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ،  
ومقهورون فى قبضته ، وهو فوق العرش والسماء ، وفوق كل شىء إلى تخوم الثرى ، فوقيةً  
لاتزيدة قربا إلى العرش والسماء ، كما لاتزيدة بُعدا عن الأرض والثرى ، بل هو رفيع الدرجات  
عن العرش والسماء ، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى ، وهو مع ذلك قريب من  
كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من جبل الوريد ، وهو على كل شىء شهيد ، إذ لا يماثل  
قربه قرب الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام ، وأنه لا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء ،  
تعالى عن أن يحويه مكان ، كما تقدر عن أن يحده زمان ، بل كان قبل أن خلق الزمان  
والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، وأنه بائن عن خلقه بصفاته ، ليس فى ذاته سواء ،  
ولا فى سواء ذاته ، وأنه مقدس عن التغير والانتقال ، لاتحله الحوادث ، ولا تعتريه  
العوارض ، بل لا يزال فى نعوت جلاله منزلها عن الزوال ، وفى صفات كماله مستغنيا عن  
زيادة الاستكمال ، وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول ، مرئى الذات بالأبصار ، نعمةً منه  
واطفا بالأبرار فى دار القرار ، وإتماماً منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم

#### الحياة والقدرة :

وأنه تعالى حى قادر ، جبار قاهر ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ،  
ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك والمالكوت ، والعزة والجبروت ، له السلطان  
والقهر ، والخلق والأمر ، والسموات مطويات بيمينه ، والخالق مقهورون فى قبضته ، وأنه  
المفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالابجد والابداع ، خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم  
وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور ، ولا يعزب عن قدرته تصاريح الأمور ، لاتحصى  
مقدوراته ، ولا تنتهى معلوماته

#### العلم :

وأنه عالم بجميع المعلومات ، محيط بما يجرى من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ، وأنه  
عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، بل يعلم ديب النملة السوداء ، على

الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذرّ في جوّ الهواء ، ويعلم السر وأخفى ،  
ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر ، بعلم قديم أزلى لم يزل  
موصوفاً به في أزل الآزال ، لا يعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال

### الإرادة :

وأنه تعالى مرید للكائنات مدبر للحادثات ، فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو  
كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر ، نفع أو ضرر ، إيمان أو كفر ، عرفان أو نكر ، فوز أو خسران ،  
زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان ، إلا بقضائه وقدره ، وحكمته ومشيتته ، فما شاء كان وما لم  
يشأ لم يكن ، لا يخرج عن مشيئته لفظة ناظر ، ولا فلتة خاطر ، بل هو المبدىء المعيد ، الفعال  
لما يريد ، لا رادّ لأمره ، ولا معقب لقضائه ، ولا مهرب لسبب عن معصيته إلا بتوقيفه  
ورحمته ، ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته ، فلا اجتماع للإنس والجن والملائكة  
والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيتته لصحروا عن ذلك ،  
وأن إرادته قاعة بذاته في جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفاً بها ، مریداً في أزل وجود  
الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراد في أزل من غير تقدّم ولا تأخر ،  
بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تنير ، دبر الأمور لا بترتيب أفكار ، ولا  
تربص زمان ، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن

### السمع والبصر :

وأنه تعالى سميع بصير بسمع ويرى ، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ، ولا يغيب  
عن رؤيته مرئى وإن دقّ ، ولا يحجب سمعه بسد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير  
حدقة وأبفان ، ويسمع من غير أصمخة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ،  
ويخلق بغير آلة ، إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق ، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق •

### الكلام :

وأنه تعالى متكلم آمرّ ناهٍ ، واعدّ متوعد ، بكلام أزلى قديم قائم بذاته ، لا يشبه كلام  
الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينقطع

باطباق شفة أو تحريك لسان ، وأن القراءان والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام ، وأن القراءان مقروء بالألسنة ، مكتوب في المصاحف ، محفوظ في القلوب ، وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى ، لا يقبل الانفصال والافتراق ، بالانتقال إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف ، كما يرى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض ، وإذا كانت له هذه الصفات كان حياً ، عالماً ، قادراً ، مريداً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلاً ، بالحياة ، والقدرة ، والعلم ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، لا بمجرد الذات  
الأفعال :

وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله ، على أحسن الوجوه وأكملها ، وأتمها وأعدلها ، وأنه حكيم في أفعاله ، عادل في أقضيته ، لا يقاس عدله بعدل العباد ، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ، ولا يتصور الظلم من الله تعالى ، فانه لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظالماً ، فكل ما سواه من إنس وجن ، وملك وشيطان وساء وأرض وحيوان ، ونبات وجماد وجوهر وعرض ، ومدرك ومحسوس - حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً ، وأنشأه إنشاءً بعد أن لم يكن شيئاً ، إذ كان في الأزل موجوداً وحده ولم يكن معه غيره ، فأحدث الخلق بعد ذلك إظهاراً لقدرته ، وتحقيقاً لما سبق من إرادته ، ولما حق في الأزل من كلمته ، لا لافتقاره اليه وحاجته ، وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ، ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم ، فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان ، إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ، ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب . ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً ، ولم يكن منه قبيحاً ولا ظالماً ، وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد ، لا بحكم الاستحقاق واللزوم له ، إذ لا يجب عليه لأحد فعل ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا يجب لأحد عليه حق ، وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على السنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ، ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ، فبلغوا أمره ونهيه ووعدوه ووعيده ، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به

### معنى الكلمة الثانية وهى الشهادة للرسول بالرسالة

وأنه بعث النبي الأمي القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والانس، فنسخ بشريعته الشرائع إلا ما قرره منها، وفضله على سائر الأنبياء، وجعله سيد البشر، ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد، وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك. محمد رسول الله، وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة، وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت، وأوله سؤال<sup>(١)</sup> مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَهُمَا شَخْصَانِ مُهَيَّانِ هَاتِلَانِ يُقْعِدَانِ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ سَوِيًّا ذَا رُوحٍ وَجَسَدٍ فَيَسْأَلَانِهِ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالرَّسَالَةِ، وَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهُمَا<sup>(٢)</sup> فَتَانَا الْقَبْرِ<sup>(٣)</sup>، وَسُؤَالُهُمَا أَوَّلُ فِتْنَةٍ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنْ يُؤْمِنَ<sup>(٤)</sup> بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ وَحُكْمُهُ عَدْلٌ عَلَى الْجِسْمِ وَالرُّوحِ عَلَى مَا يَشَاءُ<sup>(٥)</sup>، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكَفَتَيْنِ وَاللِّسَانِ وَصِفَتُهُ فِي الْعِظَمِ أَنَّهُ مِثْلُ طَبَقَاتِ

(١) حديث سؤال منكر ونكير : الترمذي وصححه وابن حبان من حديث أبي هريرة إذا قبر الميت أو قال أحكم أتاها ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير . وفي الصحيحين من حديث أنس أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع ناله من أتاها ملكان فيقعدانه - الحديث

(٢) حديث انهما فتانا القبر : أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتاني القبر فقال عمر : أترد علينا عقولنا - الحديث

(٣) حديث ان سؤالها أول فتنة بعد الموت : لم أجده

(٤) حديث عذاب القبر : أخرجه من حديث عائشة انكم تفتنون أو تعذبون في قبوركم - الحديث . ولها من حديث أبي هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر

(٥) حديث الايمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته في العظم انه مثل طباق السموات والارض : البيهقي في البعث من حديث عمر قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والناو والميزان - الحديث . وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبي داود من حديث عائشة أما في ثلاثه مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أنخف ميزانه أم يثقل ، زاد ابن مردويه في تفسيره قالت عائشة أى حبي قد علمنا الموازين هي الكفتان فيوضع في هذه الشيء ويوضع في هذه الشيء فيرجح احدهما وتخف الاخرى والترمذي وحسنه من حديث أنس واطلبنى عند الميزان . ومن حديث عبد الله بن عمر في حديث البطاقة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة - الحديث . وروى ابن شاهين في كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، توزن فيه الأعمال بقدرته الله تعالى ، والصنـج يومئذ مشاقيل الذر والخرذل ، تحقيقاً لتمام العدل ، وتوضع صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور ، فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله ، وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله <sup>(١)</sup> وَأَنْ يُؤْمِنَ بَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ ، وَهُوَ جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ أَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ تَرْلُ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْكَافِرِينَ مُحْكِمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَتَهْوِي بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَتَثْبُتُ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ اللَّهِ فَيُسَاقُونَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ <sup>(٢)</sup> وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْحَوْضِ الْمُرُودِ: حَوْضِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَبَعْدَ جَوَازِ الصِّرَاطِ <sup>(٣)</sup> مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا عَرْضُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَاوُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ حَوْلُهُ أَبَارِيقُ عَدَدِهَا بِعَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ <sup>(٤)</sup> فِيهِ مِيزَانَانِ يَصْبَانُ فِيهِ مِنَ

( ١ ) حديث الايمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر: الشيحان من حديث أبي هريرة ويضرب الصراط بين ظهري جهنم . ولها من حديث أبي سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم زاد مسلم قل أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفع أحمد من حديث عائشة والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه وفي البعث من رواية عبيد بن عمير مرسلًا ومن قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفي آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع

( ٢ ) حديث الايمان بالحوض وانه يشرب منه المؤمنون : مسلم من حديث أنس في نزول « إنا أعطيناك الكوثر » هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم . ولها من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطكم على الحوض ومن حديث ابن عمر أمالكهم حوض كما بين جرباء وأدرج وقال الطبراني كما بينكم وبين جرباء وأدرج وهو الصواب وذكر الحوض في الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبي ذر وحابس بن سمره وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء

( ٣ ) حديث من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء . من حديث عبد الله بن عمرو ولها من حديث أنس فيا من الأباريق كعدد نجوم السماء . وفي رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء

( ٤ ) حديث فيه ميزانان يصبان من الكوثر : مسلم من حديث ثوبان يفت فيه ميزانان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق

الْكُوثَرُ<sup>(١)</sup> وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْحِسَابِ وَتَقَاوَتِ النَّاسِ فِيهِ إِلَى مُنَاقَشٍ فِي الْحِسَابِ وَإِلَى مُسَامَحٍ فِيهِ، وَإِلَى مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَهُمْ الْمُتَقَرَّبُونَ، فَيَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(٢)</sup> مَنْ شَاءَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ عَنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَمَنْ شَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْ تَكْذِيبِ الْمُرْسَلِينَ<sup>(٣)</sup> وَيَسْأَلُ الْمُبْتَدِعَةَ عَنِ السَّنَةِ<sup>(٤)</sup> وَيَسْأَلُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْأَعْمَالِ، وَأَنْ يُؤْمِنَ<sup>(٥)</sup> بِإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ لَا تَقَامَ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي جَهَنَّمَ مُوَحِّدٌ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ

(١) حديث الايمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه الي مناقش في الحساب ومسامح فيه والي من يدخل

الجنة بغير حساب :البيهقي في البعث من حديث عمر ققال يا رسول الله ما الايمان قل ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله - الحديث . وهو عند مسلم دون ذكر الحساب . وللشيخين من حديث عائشة من نوقش الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى « فسوف يحاسب حسابا يسيرا » قال ذلك العرض ولها من حديث ابن عباس عرضت على الأمم ققيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقي في البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بعده هذه الزيادة فقال فهلا استزدته ؟ قال : قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قل عمر فهلا استزدته ؟ قل : قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بين يديه الحديث

(٢) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين :

البخاري من حديث أبي سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول ليك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته الحديث . ولابن ماجه يحيى النبي يوم القيامة - الحديث وفيه فيقال هل بلغت فومك - الحديث (٣) حديث سؤال المبتدعة عن السنة : ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بنبي من القدر سئل عنه يوم القيامة . ومن حديث أبي هريرة مامن داع يدعو الى تنى الا وقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا اليه وان دعا رجل رجلا واسنادها ضعيف

(٤) حديث سؤال المسلمين عن الاعمال : أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد

يوم القيامة من عمله صلاته - الحديث . وسيأتي في الصلاة

(٥) حديث اخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه : الشيخان من حديث

أبي هريرة في حديث طويل حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله الا الله - الحديث



مُوحَّدٌ، وَأَنْ يُؤْمِنَ <sup>(١)</sup> بِشَفَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ الشُّهَدَاءِ ثُمَّ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حَسَبِ جَاهِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَفِيعٌ، أُخْرِجَ بِفَضْلِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا، فَلَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ مُؤْمِنٌ بَلْ يَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ فَضْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَرْتِيبَهُمْ، وَأَنْ <sup>(٢)</sup> أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُمَانُ ثُمَّ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، <sup>(٣)</sup> وَأَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِجَمِيعِ الصَّحَابَةِ، وَيُثْنِيَ عَلَيْهِمْ كَمَا أَثْنَى اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَشَهِدَتْ بِهِ الْآثَارُ. فَهَنْ عَاتَقَ جَمِيعَ ذَلِكَ مَوْقِنًا بِهِ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَعَصَابَةِ السَّيِّئَةِ، وَفَارَقَ رَهْطَ الضَّلَالِ وَحِزْبَ الْبِدْعَةِ. فَتَسْأَلُ اللَّهُ كَيْلَ الْيَقِينِ، وَحَسَنَ الثَّبَاتِ فِي الدِّينِ لَنَا وَلِكَافَةِ الْمَسَامِينِ بِرَحْمَتِهِ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى كُلِّ عَبْدٍ مُصْطَفًى

## الفصل الثاني

في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد

اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظاً

(١) حديث شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم في العلم. وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدري من وجسدت في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفي رواية من خبر وويه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط - الحديث :

(٢) حديث أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي البخاري من حديث ابن عمر قال كنا نحير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فخير أبا بكر ثم عمر ابن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبي داود كلاً نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم زاد الطبراني ويسمى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره

(٣) حديث أحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى وللشيخين من حديث أبي سعيد لا تسبوا أصحابي. وللطبراني من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابي فأمسكوا

ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً ، فابتدأوه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به ، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان . فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه في أول نشوئه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان ، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرد والتقليد المحض ، نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء ، على معنى أنه يقبل الأزالة بنقيضه لو ألقى إليه ، فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل ، وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام ، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره ، وقراءة الحديث ومعانيه ، ويشغل بوظائف العبادات ، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه ، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها ، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها ، وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم ، وسياهم وسماعهم وهياتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له ، فيكون أول التلقين كاللقاء بذرفي الصدر ، وتكون هذه الأسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء

وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة ، فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يعمده ، وما يفسده أكثر مما يصلحه ، بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب ، والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا ، فناهيك باليمان برهاناً

فقس عقيدة أهل الصلاح والتق من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين ، فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق ، وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيطة مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا ، الامن سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليداً ، كما تلقف نفس الاعتقاد تقليداً اذ لافرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول ، فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه

ثم الصبي اذا وقع نشوؤه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم يفتح له غيرها ، ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق ، إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظواهر هذه العقائد ، فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلاً . وإن

أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة ، وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ، ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى ، واشتغل بالرياضة والمجاهدة ، انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقاً لوعده عز وجل إذ قال : ( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ) . وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصديقين والمقربين ، واليه الإشارة بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق . وانكشف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن ، في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى ، وفي الاستضاءة بنور اليقين ، وذلك كثافات الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم ، إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه

#### مسئلة

فان قلت : تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب اليه ؟  
فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف : فمن قائل إنه بدعة وحرام ، وإن العبد إن لقي الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام . ومن قائل أنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان ، وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات ، فانه تحقيق لعلم التوحيد ، ونضال عن دين الله تعالى

والى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف . قال ابن عبد الأعلى رحمه الله : سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول : لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام . ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه . وقال أيضا : قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام . وحكى الكرايسي أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله . ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا : فقال حفص الفرد :

لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه . وقال أيضا : لو علم الناس مافى الكلام من الأهواء لفرّوا منه فرارهم من الأسد . وقال أيضا اذا سمعت الرجل يقول : الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بآءنه من أهل الكلام ولا دين له . قال الزعفرانى قال الشافعى حكى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام

وقال أحمد بن حنبل : لا يفلح صاحب الكلام أبداً ، ولا تكاد ترى أحداً نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل . وبالع فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه . كتابافى الرد على المبتدعة ، وقال له ويحك أأأست تحكى بدعتهم أو لأأثم ترد عليهم ! أأأست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث ! وقال أحمد رحمه الله : علماء الكلام زنادقة

وقال مالك رحمه الله : أأأأيت إن جاءه من هو أأأجل منه أأأدع دينه كل يوم لدين جديد ؟ يعنى أن أقوال المتجادلين تتفاوت . وقال مالك رحمه الله أيضا : لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء . فقال بعض أصحابه فى تأويله إنه أأأراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا وقال أبو يوسف : من طلب العلم بالكلام تزندق

وقال الحسن : لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم . وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا . ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه ، وقالوا : مأسكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر : ولذلك : قال النبى صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ، هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ؟ » أى المتعمقون فى البحث والاستقصاء

واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه <sup>(٢)</sup> فقد علمهم الاستنجاء <sup>(٣)</sup> ونَدَبَهُمْ إِلَى عِلْمٍ

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود

(٢) حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنجاء مسلم من حديث سلمان الفارسى

(٣) حديث نَدَبَهُمْ إِلَى عِلْمٍ الفرائض وأثنى عليهم : ابن ماجه من حديث أبى هريرة تعلموا الفرائض وعلوها الناس الحديث وللمزمذى من حديث أنس وأفرضهم زيد بن ثابت

الْفَرَائِضِ وَأَتْنَى عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup> وَنَهَاهُمْ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْقَدْرِ وَقَالَ : أَمْسِكُوا عَنِ الْقَدْرِ « وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم ، وهم الاستاذون والقدوة ، ونحن الاتباع والتلامذة -

وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا : إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض . وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب ، إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ، ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعديّة وفساد الوضع ، الى جميع الاسئلة التي تورد على القياس ، لما كانوا يفقهونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح .

وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نغنى به الا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحداية الخالق وصفاته كما جاء في الشرع ، فن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل ؟

وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والمداوة والبغضاء وما يفضى اليه الكلام ، فذلك محرم ، ويجب الاحتراز عنه ، كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضى اليه علم الحديث والتفسير والفقه ، وهو محرم يجب الاحتراز عنه ، ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى ( قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ) . وقال عز وجل : ( لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ) . وقال تعالى : ( قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ) - أى حجة وبرهان . وقال تعالى : ( قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ) - وقال تعالى : ( أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِي حُاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ) إلى قوله : ( فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ) اذ ذكر سبحانه احتجاج ابراهيم ومجادلته واخفاه خصمه في معرض الشناء عليه . وقال عز وجل : ( وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ) : وقال تعالى : ( قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ) وقال تعالى في قصة فرعون : ( وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ ) إلى قوله : ( أَوَلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ )

وعلى الجملة فالقرءان من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار . فعمدة أدلة المتكلمين في

(١) حديث نهام عن الكلام في القدر وقال : أمسكوا : تقدم في العلم

التوحيد قوله تعالى ( لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ) . وفي النبوة : ( وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ) وفي البعث : ( قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ )  
الى غير ذلك من الآيات والأدلة

ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى : ( وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) فالصحابه رضى الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة ، وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم

وأول من سنّ دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق على بن أبى طالب رضى الله عنه ، اذ بعث ابن عباس رضى الله عنهما الى الخوارج فكلّمهم فقال : ما تنقمون على إمامكم ؟ قالوا : قاتل ولم يسب ولم يغم . فقال : ذلك فى قتال الكفار ، أرايتم لو سبيت عائشة رضى الله عنها فى يوم الجمل فوقعت عائشة رضى الله عنها فى سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهى أمكم فى نص الكتاب ؟ فقالوا : لا ، فرجع منهم الى الطاعة بمجادلته ألقان وروى أن الحسن ناظر قَدَرِيَا فرجع عن القدر . وناظر على بن أبى طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية . وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد بن عميرة فى الايمان ، قال عبد الله لو قلت إني مؤمن لقلت إني فى الجنة ، فقال له يزيد بن عميرة : يا صاحب رسول الله هذه زلة منك ، وهل الايمان الا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ، ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة ، فمن أجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من أهل الجنة ، فقال ابن مسعود : صدقت والله إنها منى زلة ، فينبغى أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا ، وعند الحاجة لا بطريق التنصيف والتدريس واتخاذ صناعة ، فيقال اما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان

واما القصر فقد كان الغاية إخماد الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة ، فلو طال إشكال الخصم أو لجأه لطال لاحالة إلزامهم ، وما كانوا يقدرّون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها

وأما عدم تصديدهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم فى الفقه والتفسير والحديث

أيضا، فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق إلا على الندور إما ادخارا ليوم وقوعها وإن كان نادراً، أو تشجيذاً للخواطر، فنحن أيضاً نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة، أو هيجان مبتدع، أو لتشجيع الخاطر، أو لادخار الحجة حتي لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال، كمن بعد السلاح قبل القتال ليوم القتال. فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين

فان قلت: فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ، بل لا بد فيه من تفصيل. فاعلم أولاً أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الإسكار والموت. وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام، ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار، وإباحة تجرع الخمر إذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيفها سوى الخمر. وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم في وقت الخيار، والبيع وقت النداء، وكأكل الطين، فانه يحرم لما فيه من الاضرار. وهذا ينقسم إلى ما يضر قليلاً وكثيره، فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليلاً وكثيره، وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل، فان كثيره يضر بالحرور، وكأكل الطين وكان إطلاق التحريم على الطين والخمر، والتحليل على العسل، التفات إلى أغلب الأحوال. فإن تصدى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل

فنعو إلى علم الكلام ونقول: إن فيه منفعة وفيه مضرة، فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال، وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار وحله حرام. أما مضرته فإثارة الشبهات، وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك مما يحصل في الابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص. فهذا ضرره في الاعتقاد الحق

وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة، وتثبيتته في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم ويشدد حرصهم على الأصرار عليه، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل، ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده باللطف في أسرع زمان، إلا

إذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب ، فإنه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره ، بل الهوى والتعصب وبنفس خصوم المجادلين وفرفة المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من ادراك الحق ، حتى لو قيل له : هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالبيان أن الحق مع خصمك ، لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه . وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد ، وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب . فهذا صرره

وأما منفعته ، فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه ، وهيات ، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ، ولعل التخييط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف ، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا . فأسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة ، وبعد التغلل فيه الى منتهى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك الى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام ، وتحقيق أن الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود

ولعمري لا يتفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ، ولكن على الدور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام ، بل منفعته شيء واحد ، وهو حراسة العقيدة التي ترجعها على العوام ، وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل ، فإن العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن كان فاسدا ، ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه ، والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها ، إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم ، وأجمع السلف الصالح عليها ، والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة ، كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب . وإذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر ، اذ لا يضعه إلا في موضعه ، وذلك في وقت الحاجة ، وعلى قدر الحاجة

وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مما تلقوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه ، فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم شكاً ، ويزلزل عليهم الاعتقاد ، ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح



وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب ، وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير ، فإن ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين ، إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده . فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرّون على دفعه . فالجدل مع هذا ومع الأول حرام ، وكذا من وقع في شك ، إذ يجب إزالته بالطف والوعظ ، والأدلة القريبية المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام

واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق ، وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواظع والتحذيرات العامة ، فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل . فجاز أن يلقي إليه

وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ، ولا يتعرض للأدلة ، ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة . فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا ، فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سبباً لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم . وهذا مقدار مختصر . وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره

فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة ، وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد ، إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين

فإن أقنعه ذلك عنه ، وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة ، والداء غالباً ، والمرض سارياً ، فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه ، وينتظر قضاء الله تعالى فيه ، إلى أن ينكشف له الحق بتنبه من الله سبحانه ، أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه

فأما الخارج منه فقسمان (أحدهما) بحث عن غير قواعد العقائد ، كالبحث عن الاعتمادات ، وعن الأكوان ، وعن الادراكات ، وعن الخوض في الرؤية : هل لها ضد يسمى المنع أو العمى ؛ وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى ، أو ثبت لكل مرئى يمكن رؤيته . منع بحسب عدده ، إلى غير ذلك من الترهات المضلات . والقسم الثانى : زيادة تقرير لتلك الأدلة فى غير تلك القواعد ، وزيادة أسئلة وأجوبة ، وذلك أيضاً استقصاء لا يزيد إلا ضللاً وجهلاً فى حق من لم يقنعه ذلك القدر . فرب كلام يزيد الإطناب والتقرير عمومياً

ولو قال قائل : البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فائدة تشجيد الخواطر ، والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد ، فلا بأس بتشجيده ، كان كقوله لعب الشطرنج يشجذ الخاطر فهو من الدين أيضاً ، وذلك هوس ، فإن الخاطر يتشجذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام ، والحال التى يذم فيها ، والحال التى يحمدها فيها ، والشخص الذى ينتفع به ، والشخص الذى لا ينتفع به

فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه فى دفع المبتدعة ، والآل قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة ، فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرها ، وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ، ولو ترك بالكلية لا ندرس ، وليس فى مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم ، فينبغى أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضاً من فروض الكفايات ، بخلاف زمن الصحابة رضى الله عنهم ، فان الحاجة ما كانت ماسة اليه فاعلم أن الحق أنه لا بد فى كل بلد من قائم بهذا العلم ، مستقل بدفع شبه المبتدعة التى ثارت فى تلك البلدة ، وذلك يدوم بالتعليم ، ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير ، فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء ، وضرر الغذاء لا يحذر ، وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر

فالعلم ينبغى أن يخص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال (أحداها) التجرد للعلم والحرص عليه ، فان المحترف بمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت .

( الثانية ) الذكاء والفتنة والفصاحة ، فان البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع بحجابه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه

( الثالثة ) أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ، ولا تكون الشهوات غالبية عليه ، فان الفاسق بادى شبهة ينخلع عن الدين ، فان ذلك يحل عنه الحجو ويرفع السد الذى بيده وبين الملاذ ، فلا يحرص على إزالة الشبهة بل يقتنمها ليتخلص من أعباء التكليف ، فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه

واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة في الكلام إنما هي من جنس حجج القراءان من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب ، المقنعة للنفوس ، دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التى لا يفهمها أكثر الناس ، واذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتليس . فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه . وعرفت أن الشافعى وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذى نبهنا عليه ، وأن ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما من مناظرة الخوارج وما نقل عن على رضى الله عنه من المناظرة في القدر وغيره ، كان من الكلام الجلى الظاهر وفى محل الحاجة ، وذلك محمود فى كل حال . نعم : قد تختلف الأعصار فى كثرة الحاجة وقتها ، فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك . فهذا حكم العقيدة التى تعبد الخلق بها ، وحكم طريق النضال عنها وحفظها . فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه ، وإدراك الآسرار التى يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة ، فلا مفتاح له الا المجاهد ، وقع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات ، وهى رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب ، وذلك البحر الذى لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله

مسألة

فان قلت : هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار ، وبعضها جلى يبدو أولا ، وبعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافى والسر الخالى عن كل شئ من أشغال الدنيا سوى المطلوب ، وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع ، إذ

ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلم ، بل الظاهر والباطن والسر والعلم واحد فيه فاعلم أن اتقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيره ، وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيئا وجدوا عليه ، فلم يكن لهم ترق الى شأ والعلاء ، ومقامات العلماء والأولياء ، وذلك ظاهر من أدلة الشرع . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ لِلْقُرْءَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَحَدًّا وَمَطْلَعًا » وقال علي رضي الله عنه وأشار الى صدره : ان ها هنا علومًا جمة لو وجدت لها حملة . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نَكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَا حَدَّثَ أَحَدٌ قَوْمًا بِحَدِيثٍ لَمْ يَبْلُغْنَهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَيْهِمْ » وقال الله تعالى : (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى » الحديث الى آخره كما أوردناه في كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أولمضى آخر ، فلم لم يذكره لهم ، ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم ؟

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) : لو ذكرت تفسيره لرجتموني . وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر وقال أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثنته وأما الآخر لو بثنته لقطع هذا الحلقوم . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « مَا

(١) حديث ان للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه

(٢) حديث نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على عقولهم - الحديث : تقدم في العلم

(٣) حديث ما حدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم - الحديث : تقدم في العلم

(٤) حديث ان من العلم كهية المكون - الحديث تقدم في العلم

(٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجه من حديث عائشة وأنس

(٦) حديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام - الحديث : تقدم في العلم .

فَضَّلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَكِنْ بِسِرِّ وَقَرٍّ فِي صَدْرِهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها ، وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بطواهرة على غيره

وقال سهل التستري رضى الله عنه : للعالم ثلاثة علوم : علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر ، وعلم باطن لا يسمعه إظهاره إلا لأهله ، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد . وقال بعض العارفين : إفشاء سر الربوبية كفر . وقال بعضهم : للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة ، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم ، وللعلماء بالله سر لو أظهره لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فا ذكره ليس بحق ، بل الصحيح أنه لا تناقض فيه ، وأن الكامل من لا يطفى نور معرفته نور ورعه ، وملاك الورع النبوة

#### مسألة

فان قلت : هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلاب ، فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن ، فان الباطن إن كان مناقضا للظاهر ففيه إبطال الشرع ، وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة ، وهو كفر ، لان الشريعة عبارة عن الظاهر ، والحقيقة عبارة عن الباطن ، وإن كان لا يباقضه ولا يخالفه فهو هو ، فيزول به الانقسام ، ولا يكون للشرع سر لا يفشى ، بل يكون الخفى والجلي واحداً

فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما ، وينجرّ الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة ، وهو غرض هذه الكتب ، فان المقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقينها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها ، لا بأن يتوصل الى أن ينكشف لنا حقائقها ، فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ، ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ، ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ، ولكن اذا ابجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله :

فمن قال : إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر ، فهو الى الكفر أقرب منه الى الايمان ، بل الأسرار التي يختص بها المقربون يدركها ، ولا يشاركونها الكثرون في .

عملها ، ويمتنعون عن إفشائها اليهم ترجع الى خمسة أقسام  
القسم الأول - أن يكون الشيء في نفسه دقيقاً تكلّ أكثر الأفهام عن دركه ، فيختص  
بدركه الخواص ، وعليهم أن لا يفشوه الى غير أهله ، فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر  
أفهامهم عن الدرك . وإخفاء سر الروح <sup>(١)</sup> « كَفَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيَانِهِ » من  
هذا القسم ، فإن حقيقته مما تكلّ الأفهام عن دركه ، وتقصر الأوهام عن تصوّر كنهه

ولا تظن أن ذلك لم يكن مكشوفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن من لم يعرف  
الروح فكأنه لم يعرف نفسه ، ومن لم يعرف نفسه ، فكيف يعرف ربه سبحانه ؟ ولا يبعد أن  
يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء والعلماء ، وإن لم يكونوا أنبياء ، ولكنهم يتأدبون بأداب  
الشرع فيسكتون عما سكت عنه ، بل في صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير  
عن دركه ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للأفهام : من العلم ،  
والقدرة ، وغيرها ، حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم ، اذ كان لهم من  
الأوصاف ما يسمى علماً وقدرة ، فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ، ولو ذكر من صفاته ما ليس  
للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه ، بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي أو العنبر  
لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذي يدركه ، ولا يكون ذلك فهماً على التحقيق . والمخالفة بين  
علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل

وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال ، أو مما كانت  
له من قبل ، ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ، ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتاً في الشرف والكمال ،  
فليس في قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها  
من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف ، فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على  
ما اختص الرب تعالى به من الجلال ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ  
كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » وليس المعنى أنى أعجز عن التعبير عما أدركته ، بل هو اعتراف بالقصور

(١) حديث كَفَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيَانِ الرُّوحِ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ حِينَ

سَأَلَهُ الْيَهُودُ عَنْ الرُّوحِ قَالَ فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يردْ عَلَيْهِمْ شَيْئاً - الحديث :

(٢) حديث لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ - مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في سجوده

عن إدراك كنه جلاله . ولذلك قال بعضهم : ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل . وقال الصديق رضى الله عنه : الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط . ولنرجع الى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تنكل الأفهام عن أدراكه ، ومن جملته الروح ، ومن جملته بعض صفات الله تعالى . ولعل الإشارة الى مثله فى قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَ سُبْحَانَ سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ كُلِّ مَنْ أَدْرَكَهُ » بَصَرُهُ

القسم الثانى — من الخفيات التى تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا بكل الفهم عنه ، ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ، ولا يضر بالانبياء والصديقين . وسر القدر الذى منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم ، فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق ، كما يضر نور الشمس ببصار الخفافيش ، وكما تضر رباح الورد بالجعل ، وكيف يبعد هذا وقولنا أن الكفر والزنا والمعاصى والشور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيتته حق فى نفسه وقد أصر سماعه بقوم ، إذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ، وتقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم . وقد ألحد بن الرواندى وطائفة من المخدولين بمثل ذلك ، وكذلك سر القدر ، ولو أفشى لأوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم . ولو قال قائل : ان القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ، ولكن لم يذكروا لمصلحة العباد وخوفهم من الضرر ، فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامل ، وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قلّا كثراتها ، ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ، ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا . فهذا المعنى لو اتجة وصح فيكون مثالا لهذا القسم

(١) حديث ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور واسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال ان بينى وبينه سبعين حجابا من نور وفى الأكبر للطبرانى من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبي موسى حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ولا بن ماجه شئ أدركه بصره

القسم الثالث - أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ، ولكن  
يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ، ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب ، وله مصلحة في  
أن يعظم وقع ذلك الأمر في قلبه ، كما لو قال قائل : رأيت فلانا يقلد الدر في أعناق الخنازير ،  
فكني به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير أهلها ، فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهر  
اللفظ ، والمحقق اذا نظر وعلم أن ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير  
تفطن لدرك السر والباطن ، فيتفاوت الناس في ذلك. ومن هذا قال الشاعر :  
رجلان خياط وآخر حائك \* متقابلان على السماء الأعزل  
لازال ينسج ذاك خرقة مدبر \* ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوى في الاقبال والادبار برجلين صانعين . وهذا النوع يرجع الى  
التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى أو مثله ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup>  
إِنَّ الْمَسْجِدَ لَيَنْزَوِي مِنَ النَّخَامَةِ كَمَا تَنْزَوِي الْجِلْدَةُ عَلَى النَّارِ « وأنت ترى أن ساحة المسجد  
لا تنقبض بالنخامة . ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمي النخامة فيه تحقير له ، فيضاد  
معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلد . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « أَمَّا  
يَخْتَشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ ؟ » وذلك من  
حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ، ولكن من حيث المعنى هو كائن ، إذ رأس الحمار لم  
يكن بحقيقته لكونه وشكله ، بل بخاصيته وهى البلادة والحمق . ومن رفع رأسه قبل الامام  
فقد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود ، دون الشكل الذى هو قالب  
المعنى ، اذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان  
وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلى أو شرعى  
أما العقلى فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « قَلْبُ  
الْمُؤْمِنِ يَنْ أَصْبَعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ » إذ لو قتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع

( ١ ) حديث ان المسجد لينزوي من النخامة - الحديث : لم أجده له أصلا

( ٢ ) حديث أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام - الحديث : أخرجاه من حديث أبي هريرة

( ٣ ) حديث قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو



فعلم أنها كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الخفي ، وكفى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعا في تفهم تمام الاقتدار . ومن هذا القبيل في كآيته عن الاقتدار قوله تعالى : ( إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) فان ظاهره ممتنع ؛ إذ قوله : ( كن ) إن كان خطابا للشئ قبل وجوده فهو محال ؛ إذ المعدم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل ، وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ، ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها

وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ، ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى : ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ) الآية ، وأن معنى الماء ها هنا هو القرآن ، ومعنى الأودية هي القلوب ، وأن بعضها احتملت شيئا كثيرا ، وبعضها قليلا ، وبعضها لم يحتمل ، والزبد مثل الكفر والنفاق ، فانه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت ، والهداية التي تنفع الناس تمكث . وفي هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرها ، وهو بدعة ، إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية ، وإجراؤه على الظاهر غير محال ، فيجب إجراؤه على الظاهر

القسم الرابع - أن يدرك الانسان الشئ جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والنزق بأن يصير حالا ملابسا له ، فيتفاوت العمان ويكون الأول كالقشر ، والثاني كاللباب ، والأول كالظاهر ، والثاني كالباطن ، وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظامة أو على البعد فيحصل له نوع علم ، فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ، ولا يكون الأخير ضد الأول بل هو استكمال له . فكذلك العلم والايان والتصديق ، إذ قد يصدق الانسان بوجود المشق والمرض والموت قبل وقوعه ، ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع ، بل للانسان في الشهوة والمشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة . ( الأول ) تصديقه بوجوده قبل وقوعه . ( والثاني ) عند وقوعه ( والثالث ) بعد تصرمه ، فان تحققك بالجويع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال . وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكبل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ، ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها . ففي هذه الأقسام الأربعة متفاوت

الخلق ، وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر ، بل يتممه ويكمّله كما يتمم اللب القشر . والسلام  
القسم الخامس — أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال ، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر  
ويعتقده نطقا ، والبصير بالحقائق يدرك السرفيه . وهذا كقول القائل : قال الجدار للوتد : لم  
تشقني ؟ قال : سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي . فهذا تعبير عن لسان الحال  
بلسان المقال . ومن هذا قوله تعالى : ( ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ  
أُتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ) . فالبليد يفتقر في فهمه إلى أن يقدر لهما حياة وعقلا ،  
وفهما للخطاب ، وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان بحرف وصوت  
وتقولان : أتينا طائعين ، والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال ، وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين  
بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير . ومن هذا قوله تعالى : ( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ )  
فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدر للجادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحانه الله  
ليتحقق تسبيحه ، والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان ، بل كونه مسبحا بوجوده ، ومقدسا  
بذاته ، وشاهدا بوحدانية الله سبحانه ، كما يقال

وفي كل شيء له آية . • تدل على أنه الواحد

وكما يقال : هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانها بحسن التدبير وكمال العلم ، لا بمعنى أنها  
تقول أشهد بالقول ، ولكن بالذات والحال . وكذلك : ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه  
إلى موجد يوجده ويقيه ويديم أوصافه ويردده في أطواره : فهو بحاجة يشهد لخالقه بالتقديس ،  
يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ، ولذلك قال تعالى : ( وَلَكِنْ  
لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ) . وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا . وأما المقربون والعلماء الراسخون  
فلا يفقهون كنهه وكماله ؛ إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ، ويدرك  
كل واحد بقدر عقله وبصيرته . وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة . فهذا الفن أيضا  
مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه ، وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر

وفي هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد : فن مسرف في رفع الظواهر انتهى  
إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها ، حتى حملوا قوله تعالى : ( وَتَكَلَّمْنَا بِأَيْدِيهِمْ  
وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ ) وقوله تعالى : ( وَقَالُوا جُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْهُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ

كل شيء) وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير ، وفي الميزان والصراف والحساب ، ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم : ( أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ) زعموا أن ذلك كله بلسان الحال

وغلا آخرون في حسم الباب ، منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله : ( كُنْ فَيَكُونُ ) وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كون كل مكون ، حتى سمعت بعض أصحابه يقول : إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ : قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ » وقوله صلى الله عليه وسلم « قَلْبُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ » وقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « إِنِّي لَأَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ جَانِبِ الْيَمَنِ » ومال الى حسم الباب أرباب الظواهر

والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار ، والنزول ليس هو الانتقال ، ولكنه منع من التأويل حسما للباب ، ورعاية لصلاح الخلق ، فانه إذا فتح الباب اتسع الخرق ، وخرج الأمر عن الضبط ، وجاوز حد الاقتصاد ، إذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط ، فلا بأس بهذا الزجر

ويشهد له سيرة السلف ، فأنهم كانوا يقولون أمروها كما جاءت ، حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة الى الاقتصاد ، وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه ، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ، ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية

وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية ، وأولوا كونه سميعا بصيرا ، وأولوا المعراج ، وزعموا أنه لم يكن بالجسد ، وأولوا عذاب القبر ، والميزان ، والصراف ، وجملة من أحكام الآخرة ، ولكن أقرؤا بجشر الأجساد ، وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة ، وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم

( ١ ) حديث الحجر يمين الله في الأرض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو

( ٢ ) حديث انى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين أحمد من حديث أبى هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمين ورجاله ثقات

ومن ترفيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة ، وردوه الى آلام عقلية وروحانية ، ولذات عقلية ، وأنكروا حشر الأجساد ، وقالوا ببقاء النفوس ، وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس . وهؤلاء هم المسرفون .  
 وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسمع . ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا الى السمع والألفاظ الواردة : فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ، وما خالف أولوه . فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد ، فلا يستقر له فيها قدم ، ولا يتعين له موقف ، والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله .  
 والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم المكاشفة ، والقول فيه يطول ، فلا نخوض فيه . والعرض ببيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له . فقد انكشفت بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة

وإذا رأينا أن تقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها ، وأنهم لا يكفون غير ذلك في الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق ، فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ، ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس ، وسميناه الرسالة القدسية في قواعد العقائد ، وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب

### الفصل الثالث

من كتاب قواعد العقائد في لوامع الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس

ف نقول :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بأنوار اليقين ، وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين ، وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملاحدين ، ووقفهم للاقتداء بسبيل المرسلين ، وسدّ دهم للناسي بصحبه الأكرمين ، ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالجل المتين ، ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين ، فجمعوا

بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول ، وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محذور ، إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول ، وعرفوا أن كلتي الشهادة على إيجازها تتضمن إثبات ذات الاله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول ، وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة ، ويدور كل ركن منها على عشرة أصول :

الركن الأول : في معرفة ذات الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول ، وهي : العلم بوجود الله تعالى ، وقدمه ، وبقائه ، وأنه ليس بجوهر ، ولا جسم ولا عرض ، وأنه سبحانه ليس مختصاً بجهة ولا مستقراً على مكان ، وأنه يرى ، وأنه واحد

الركن الثاني : في صفاته ، ويشتمل على عشرة أصول ، وهو : العلم بكونه حياً ، عالماً ، قادراً ، مريداً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلماً ، منزهاً عن حلول الحوادث ، وأنه قديم الكلام ، والعلم ، والإرادة

الركن الثالث : في أفعاله تعالى ، ومداره على عشرة أصول ، وهي : أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، وأنها مكتسبة للعباد ، وأنها مرادة لله تعالى ، وأنه متفضل بالخلق والاختراع ، وأن له تعالى تكليف مالا يطاق ، وأن له إيلاء البرى ، ولا يجب عليه رعاية الأصلاح ، وأنه لا واجب إلا بالشرع ، وأن بعثه الأنبياء جائز وأن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات

الركن الرابع : في السمعيات ، ومداره على عشرة أصول ، وهي : إثبات الحشر ، والنشر ، وسؤال منكر ونكير ، وعذاب القبر ، والميزان ، والصراط ، وخلق الجنة والنار ، وأحكام الإمامة ، وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم ، وشروط الإمامة

فلما الركن الأول من أركان الايمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى

وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

### الأصل الأول: معرفة وجوده تعالى

وأول ما يستضاء به من الأنوار، ويسلك من طريق الاعتبار، ما أرشد اليه القرآن،  
فليس بعد بيان الله سبحانه بيان. وقد قال تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ  
أَوْتَادًا، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا، وَجَعَلْنَا  
النَّهَارَ مَعَاشًا، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ  
مَاءً ثَمَجًا، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا) وقال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَمَا  
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ  
الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) وقال تعالى: (أَلَمْ  
تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ  
سِرَاجًا، وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) وقال تعالى:  
(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) إلى قوله: (لِلْمُؤْمِنِينَ) فليس يخفى  
على من معه أدنى مُسَكَّة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات، وأدار نظره  
على عجائب خلق الله في الأرض والسموات، وبدائع فطرة الحيوان والنبات، أن هذا الأمر  
العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره، وفاعل يحكمه ويقدره، بل تكاد  
فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخير، ومصرفة بمقتضى تديره، ولذلك  
قال الله تعالى: (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ). ولهذا بعث الأنبياء صلوات  
الله عليهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا: لا إله إلا الله، وما أمروا أن يقولوا:  
لنا إله وللإله إله، فإن ذلك كان مجبولاً في فطرة عقولهم من مبدأ شوم وفي عنفوان شبابهم

ولذلك قال عز وجل : ( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ) وقال تعالى : ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ) فإذا في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة البرهان ، ولكننا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول :

من بدائه العقول أن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب يحدثه ، والعالم حادث ، فإذا لا يستغنى في حدوثه عن سبب . أما قولنا : إن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب فخطي ، فإن كل حادث مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقديمه وتأخيريه ، فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص . وأما قولنا : العالم حادث ، فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون ، وهما حادثان ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى :

الأولى : قولنا : إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون ، وهذه مدركة بالبدية والاضطرار ، فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار ؛ فإن من عقل جسم لا ساكنا ولا متحركا ، كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا

الثانية : قولنا : إنها حادثان . ويدل على ذلك تعاقبها ووجود البعض منها بعد البعض ، وذلك مشاهد في جميع الأجسام ما يشاهد منها وما لم يشاهد . فما من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته ، وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه ، فالطاريء منها حادث لطريانه ، والسابق حادث لعدمه ، لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه ، على ما سيأتي بيانه وبرهانه في إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس

الثالثة : قولنا : ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث . وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ، ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال ، وانقضاء ما لا نهاية له محال ؛ ولأنه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعا أو وترا ، أو شفعا وتراجيعا ، أو لا شفعا ولا وترا ، ومحال أن تكون شفعا وتراجيعا ، أو لا شفعا ولا وترا ؛ فإن ذلك جمع بين النفي والاثبات ، إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر ، وفي نفي أحدهما إثبات الآخر ، ومحال

أن يكون شفعاً ؛ لأن الشفع يصير وتراً بزيادة واحد ، وكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ؟ !  
ومحال أن يكون وتراً إذ الوتر يصير شفعاً بواحد ، فكيف يعوزها واحد مع أنه لا نهاية  
لأعدادها ؟ ومحال أن يكون لاشفعاً ولا وتراً ، إذ له نهاية . فتحصل من هذا أن العالم لا يخلو  
عن الحوادث فهو إذا حادث . وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة

#### الأصل الثاني

العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل أزلي ليس لوجوده أول بل أول كل شيء وقبل كل ميت وحى  
وبرهانه أنه لو كان حادثاً ولم يكن قديماً لافتقر هو أيضاً إلى محدث ، واقتقر محدثه إلى  
محدث ، وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية ، وما تسلسل لم يتحصل ، أو ينتهي إلى محدث قديم هو  
الأول ، وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه

#### الأصل الثالث

العلم بأنه تعالى مع كونه أزلياً أبدياً ليس لوجوده آخر ، فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ،  
لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه

وبرهانه : أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بعدم يضاده ، ولو جاز أن  
ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه ، فكما يحتاج طريان  
الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب ، وباطل أن ينعدم بعدم يضاده ،  
لأن ذلك المعدم لو كان قديماً لما تصور الوجود معه ، وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده  
وقدمه ، فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده ؟ فإن كان الضد المعدم حادثاً كان محالاً إذ  
ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى  
يدفع وجوده ، بل الدفع أهون من القطع ، والقديم أقوى وأولى من الحادث

#### الأصل الرابع

العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز ، بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز  
وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ، ولا يخلو من أن يكون ساكناً فيه  
أو متحركاً عنه ، فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان ، وما يخلو عن الحوادث فهو  
حادث ، ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم ، فإن سماه مستمّ جوهرًا



ولم يرد به المتحيز كان نخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى

### الأصل الخامس

العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر ، إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر ، وإذا بطل كونه جوهرًا مخصوصًا بجزء بطل كونه جسمًا ، لأن كل جسم مختص بجزء ومركب من جواهر ، فالجوهر يستحيل خلوه عن الاقتراق والاجتماع ، والحركة والسكون ، والهيئة والمقدار . وهذه سمات الحدوث ، ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم ، لجاز أن يعتقد الالهية للشمس والقمر ، أو لشيء آخر من أقسام الأجسام . فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسمًا من غير إرادة التأليف من الجواهر ، كان ذلك غلطًا في الاسم ، مع الإصاغة في نفي معنى الجسم

### الأصل السادس

العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل ، لأن العرض ما يحل في الجسم ، فكل جسم فهو حادث لا محالة ، ويكون محدثه موجوداً قبله ، فكيف يكون حالاً في الجسم وقد كان موجوداً في الأزل وحده وما معه غيره ، ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ؟ ولأنه عالم قادر مريد خالق ، كما سيأتي بيانه ، وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض ، بل لا تعقل إلا لموجود قائم بنفسه ، مستقل بذاته ، وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ، ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ، وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام ، فإذا لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، بل هو الحى القيوم الذى ليس كمثله شيء . وأنى يشبه المخلوق خالقه ، والمقدور مقدره ، والمصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه ؟! فاستحال القضاء عليها بمائلته ومشايمته .

### الأصل السابع - العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات

فان الجهة إما فوق ، وإما أسفل ، وإما يمين ، وإما شمال : أو قدام ، أو خلف . وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان ، إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلاً ، والآخر يقابله ويسمى رأساً . فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس ،

واسم السفلى لما يلي جهة الرجل ، حتى إن الثملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة  
 الفوق في حقها تحتاً ، وإن كان في حقنا فوقاً . وخلق للإنسان اليدين وإحداها أقوى من الأخرى  
 في الغالب ، فحدث اسم اليمين للأقوى ، واسم الشمال لما يقابله ، وتسمى الجهة التي تلي اليمين  
 يمينا ، والأخرى شمالا ، وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك إليه ، فحدث اسم القدام  
 للجهة التي يتقدم إليها بالحركة ، واسم الخلف لما يقابلها : فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ، ولولم  
 يخلق الإنسان بهذه الحلقة بل خلق مستديرا كالكرة ، لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة ،  
 فكيف كان في الأزل مختصا بجهة والجهة حادثة ؟ أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له :  
 أبأن خلق العالم فوقه ، وتعالى عن أن يكون له فوق ، إذ تعالى أن يكون له رأس ،  
 والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس ، أو خلق العالم تحته ، فتعالى عن أن يكون له تحت إذ  
 تعالى عن أن يكون له رجل ، والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل ، وكل ذلك مما يستحيل في  
 العقل ، ولأن المعقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر ، أو مختص  
 بالجواهر اختصاص العرض ، وقد ظهر استحالة كونه جوهرًا أو عرضا ، فاستحال كونه مختصا  
 بالجهة . وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ، ولأنه  
 لو كان فوق العالم لكان محاذيا له ، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر ،  
 وكل ذلك تقدير محجوج بالضرورة إلى مقدر ، ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر . فأما رفع  
 الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء ، فهو لأنها قبله الدعاء ، وفيه أيضا إشارة إلى ما هو  
 وصف للمدعو من الجلال والكبرياء ، تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء ، فإنه  
 تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء

### الأصل الثامن

العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء ، وهو الذي  
 لا ينافي وصف الكبرياء ، ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء ، وهو الذي أريد بالاستواء  
 إلى السماء حيث قال في القرآن : ( ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ) وليس ذلك إلا بطريق  
 القهر والاستيلاء ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق \* من غير سيف ودم مہراق  
واضطر أهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل الى تأويل قوله تعالى : ( وَهُوَ  
مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ) إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم ، وحمل قوله صلى الله عليه وسلم :  
« قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ » على القدرة والقهر ، وحمل قوله صلى الله  
عليه وسلم : « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ بَيْنَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ » على التشريف والإكرام ؛ لأنه لو ترك على  
ظاهره للزم منه المحال ، فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن  
جسماً مماساً للعرش ، إما مثله أو أكبر منه أو أصغر ، وذلك محال ، وما يؤدي الى المحال فهو محال

### الأصل التاسع

العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدساً عن الجهات والأقطار ، مرئياً  
بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار ، لقوله تعالى : ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى  
رَبِّهَا نَظِيرَةٌ ) ولا يرى في الدنيا تصديقاً لقوله عز وجل : ( لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ  
الْأَبْصَارَ ) ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام : ( لَنْ تَرَانِي ) . ولبت شعري  
كيف عرف المعتزلي من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام ؟ وكيف سأل  
موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالاً ؟ ولعل الجهل بذوى البدع والأهواء من الجبهة  
الاعبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم !

وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر ، فهو أنه غير مؤد الى المحال ، فإن الرؤية نوع  
ككشف وعلم ، إلا أنه أتم وأوضح من العلم . فإذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز  
تعلق الرؤية به وليس بجهة . وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم ، جاز أن  
يراه الخلق من غير مقابلة ، وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة ، جاز أن يرى كذلك

### الأصل العاشر

العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له ، فرد لا مد له ، انفرد بالخلق والابداع  
واستبد بالإنجاد والاختراع ، لا مثل له يساويه ويساويه ، ولا ضده فينازعه وينالويه .  
وبرهانه قوله تعالى : ( لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ) ويانه : أنه لو كانا اثنين وأراد

أحدهما أمراً فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً ، وإن كان قادراً على مخالفته ومداغمته كان الثاني قوياً قاهراً ، والأول ضعيفاً قاصراً ولم يكن إلهاً قادراً

( الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول )

### الأصل الأول

العلم بأن صانع العالم قادر ، وأنه تعالى في قوله : ( وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) صادق ، لأن العالم محكم في صنعه ، مرتب في خلقته ومن رأى ثوباً من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ، ثم توهم صدور نسجه عن ميت لاستطاعة له ، أو عن إنسان لاقدرته له ، كان منخلماً عن غريزة العقل ، ومنخرطاً في سلك أهل الغباوة والجهل

### الأصل الثاني

العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ، ومحيط بكل المخلوقات ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، صادق في قوله : ( وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى : ( أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ) أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف ، والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف ، علي علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف ، فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف

### الأصل الثالث

العلم بكونه عز وجل حياً ، فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ، ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حياً لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند تردها في الحركات والسكنات ، بل في حياة أرباب الحرف والصناعات ، وذلك انماس في غمرة الجهالات والضلالات

### الأصل الرابع

العلم بكونه تعالى مريداً لأفعاله ، فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن

إرادته ، فهو المبدىء المعيد ، والفعال لما يريد ، وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه  
أمكن أن يصدر منه ضده ، وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده ، والقدرة  
تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة ، فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين ،  
ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم  
بوجوده ، لجاز أن يفنى عن القدرة حتى يقال : وجد بغير قدرة ، لأنه سبق العلم بوجوده فيه

#### الأصل الخامس

العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الهمم والتفكير ،  
ولا يشذ عن سمعه صوت ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، وكيف  
لا يكون سمعا بصيرا والسمع والبصر كاللا محالة وليس بنقص ؟ فكيف يكون المخلوق أكمل  
من الخالق ، والمصنوع أسنى وأتم من الصانع ؟ وكيف تعادل القسمة مهما وقع القص في  
جهته والكمال في خلقه وصنعه ؟ أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أبيه  
إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيا ، فقال له : « لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا »  
ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته سافطة ، ولم يصدق قوله  
تعالى : ( وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ) وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة ، وعالما بلا  
قلب ودماغ ، فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة ، وسمعا بلا أدن ، إذ لا فرق بينهما

#### الأصل السادس

أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام ، وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف ،  
بل لا يشبه كلامه كلام غيره ، كما لا يشبه وجوده وجود غيره . والكلام بالحقيقة كلام النفس ،  
وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها نارة بالحركات والإشارات ، وكيف التمس  
هذا على طائفة من الأعمياء ولم يلتبس على جملة الشعراء ، حيث قال قائلهم :

إن الكلام لى القواد وإنما \* جعل اللسان على القواد دليلا !

ومن لم يعقله عقله ولا بهاه فهماء عن أن يقول : لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه  
قد رتى الحادثة قديم ، فاقطع عن عقله طمعك ، وكف عن خطابه لسانك . ومن لم يفهم  
أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء ، وأن الباء قبل السين في قولك : بسم الله ، فلا يكون

السين المتأخر عن الباء قديماً ، فزعه عن الالتفات إليه قلبك ، فلاه سبحانه سر في إبعاد بعض العباد ، ومن يضل الله فما له من هاد ، ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاماً ليس بصوت ولا حرف فليستكر أن يرى في الآخرة موجوداً ليس بجسم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره ، فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر . وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات ، فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات . وإن عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحديقة من غير أن تحمل ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحديقة والقلب والورقة ، فليعقل كون الكلام مقروءاً بالألسنة ، محفوظاً في القلوب ، مكتوباً في المصاحف ، من غير حلول ذات الكلام فيها ، إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق ، وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ، ولا تحرق

### الاصل السابع

أن الكلام القائم بنفسه قديم ، وكذا جميع صفاته ، إذ يستحيل أن يكون محلاً للحوادث داخل تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعثره التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفاً بحامد الصفات ، ولا يزال في أبده كذلك منزلها عن تغير الحالات ، لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، وإنما ثبت نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف ، فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير ، وينبئ على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته ، وإنما الحادث هي الأصوات الدالة عليه . وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده ، حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علماً متعلقاً بما في قلب أبيه من الطلب ، صار مأموراً بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له ، فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل : (أَخْلَعْنَا لَكَ) بذات الله ، ومصير موسى عليه السلام مخاطباً به بعد وجوده ، إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب ، وسمع لذلك الكلام القديم

### الأصل الثامن

أن علمه قديم ، فلم يزل عالما بذاته وصفاته ، وما يحدثه من مخلوقاته ، ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها ، بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلى ، إذ لو خلق لنا علم بقدم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك علم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجديد علم آخر . فهكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى

### الأصل التاسع

أن إرادته قديمة ، وهى فى القدم تعلقت بإحداث الحوادث فى أوقاتها اللاتقة بها على وفق سبق العلم الأزلى ، إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ، ولو حدثت فى غير ذاته لم يكن هو مريدا لها ، كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست فى ذاتك ، وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى ، وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ، ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية . ولو جاز أن يحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة

### الأصل العاشر

أن الله تعالى عالم بعلم ، حى بحياة ، قادر بقدره ، ومريد بإرادة ، ومتكلم بكلام ، وسميع بسمع ، وبصير ببصر . وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة . وقول القائل : عالم بلا علم ، كقوله : غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم ، فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل . وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتل ولا يتصور قتل بلا قاتل ولا قتل ، كذلك لا يتصور عالم بلا علم ، ولا علم بلا معلوم ، ولا معلوم بلا عالم . بل هذه الثلاثة متلازمة فى العقل لا ينفك بعض منها عن البعض : فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم ، وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى وأوله الركن الثالث من أركان الإيمان)





كتاب الشعب

# إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الثاني

دار الشعب

٩١ شارع صريش، القاهرة ١١٠٠٨١٠

( كتاب الشعب )

الركن الثالث : العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول

### الأصل الأول

العلم بأن كل حادث فى العالم فهو فعله وخلقته واختراعه ، لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه ، خلق الخلق وصنعهم ، وأوجد قدرتهم وحركتهم ، لجميع أفعال عباده مخلوقة له ، ومتعلقة بقدرته ، تصديقا له فى قوله تعالى : ( اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ) وفى قوله تعالى : ( وَاللَّهُ تَخَلَّكُم مَّا تَعْمَلُونَ ) وفى قوله تعالى ( وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ) أمر العباد بالتحرز فى أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإظهارهم ، لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق ، وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها ، وهى متعلقة بحركة أبدان العباد ، والحركات متماثلة ، وتعلق القدرة بها لذاتها ؟ فما الذى يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها ؟ أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الأبواب ؟ فكيف انقردت هى باختراعها دون رب الأرباب وهى غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب ؟ هيهات هيهات ! ذلت المخلوقات ، وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسماوات

### الأصل الثانى

أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب ، بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا ، وخلق الاختيار والمختار جميعا . فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له . وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له ، فإنها خلقت مقدورة بقدرة هى وصفه ، وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة ، فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا ، وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية ؟ وكيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها ، وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد فى الاعتقاد ، وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا ، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب ، وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط ، إذ

قدرة الله تعالى في الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلها ، وهي عند الاختراع متعلقة به نوعاً آخر من التعلق . فبه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصاً بمحصول المقدور بها

### الأصل الثالث

أن فعل العبد وإن كان كسباً للعبد فلا يخرج عن كونه مراداً لله سبحانه ، فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لفظة خاطر ولا لفظة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته ، وإرادته ومشيتته ، ومنه الشر والخير ، والنفع والضرر ، والاسلام والكفر ، والعرفان والنكر ، والفوز والخسران ، والغواية والرشد ، والطاعة والعصيان ، والشرك والإيمان ، لا راداً لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة : ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وقول الله عز وجل : ( أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ) وقوله تعالى : ( وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ) ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرها ولا يريد لها وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله مع أنه عدو لله سبحانه والجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى ، فليت شعري ، كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام إلى رتبة لوردت إليها رئاسة زعيم ضيعة لاستنكف منها ! إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته ، والمعصية هي الغالبة على الخلق ، وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى . وهذا غاية الضعف والعجز ، تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علواً كبيراً . ثم مما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صحت أنها مرادة له

فإن قيل : فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد ؟ قلنا الأمر غير الإرادة ، ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حاجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه ، فقال له : أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ، ولو لم يكن أمراً لما كان عذره عند السلطان ممهداً ، ولو كان مريداً لامتثاله لكان مريداً لهلاك نفسه ، وهو محال

### الأصل الرابع

أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ، ومتطول بتكليف العباد ، ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه . وقالت المعتزلة : وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد ، وهو محال ، إذ هو الموجب والآمر والناهى ، وكيف يتهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب ؟ والمراد بالواجب أحد أمرين : إما الفعل الذى فى تركه ضرر . إما آجل كما يقال : يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه فى الآخرة بالنار ، أو ضرر عاجل كما يقال : يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت ، وإما أن يراد به الذى يؤدى عدمه إلى محال ، كما يقال : وجود المعلوم واجب ، إذ عدمه يؤدى إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا ، فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرضه للضرر ، وأن أراد به المعنى الثانى فهو مسلم ، إذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم . وإن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم . وقوله : يجب لمصلحة عباده ، كلام فاسد ، فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب فى حقه معنى . ثم ان مصلحة العباد فى أن يخلقهم فى الجنة ، فأما أن يخلقهم فى دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب ، فما فى ذلك غبطة عند ذوى الألباب

### الأصل الخامس

أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه ، خلافا للمعتزلة ، ولو لم يجوز ذلك لاستحال سؤال دفعه ، وقد سألوا ذلك فقالوا : « رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ » ولأن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أباهل لا يصدقته ثم أمره بأن يأمره بأن يصدقته فى جميع أقواله ، وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقته ، فكيف يصدقته فى أنه لا يصدقته ؟ وهل هذا إلا محال وجوده ؟

### الأصل السادس

أن الله عز وجل إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ، ومن غير ثواب لاحق ، خلافا للمعتزلة ، لأنه متصرف فى ملكه ، ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه ، والظلم هو عبارة عن التصرف فى ملك الغير بغير إذنه ، وهو محال على الله تعالى ، فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما . ويدل على جواز ذلك وجوده ، فان ذبح البهائم إيلام لها ، وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة

فإن قيل : إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ، ويجب ذلك على الله سبحانه فنقول : من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة و طئنت ، وكل بقعة عُرِكت حتى يشيها على آلامها ، فقد خرج عن الشرع والعقل ، اذ يقال : وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه ، فهو محال ، وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب

### الأصل السابع

أنه تعالى يفعل لعباده ما يشاء ، فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء ، بل لا يعقل في حقه الوجوب ، فانه لا يستل عما يفعل وهم يستلون . وليت شعري بما يجب المعتزلي في قوله : إن الأصلح واجب عليه في مسألة نعرضها عليه ، وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فإن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله عن الصبي لأنه تعب بالايان والطاعات بعد البلوغ ، ويجب عليه ذلك عند المعتزلي ، فلو قال الصبي : يارب لم رفعت منزلته علي ؟ فيقول : لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي : أنت أمتي في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضيل عليه بطول العمر له دوني فلم فضلته ؟ فيقول الله تعالى : لأنني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا . هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل ، وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون : يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فانا رضىنا بما دون منزلة الصبي المسلم : فماذا يجاب عن ذلك ؟ وهل يجب عند هذا إلا القطع بأن الأمور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال

فان قيل : مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة

قلنا : القبيح مالا يوافق الغرض ، حتى إنه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر ، حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه ويستحسنه

أعداؤه ، فإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض البارئ سبحانه فهو محال ، إذ لا غرض له ، فلا يتصور منه قبيح ، كما لا يتصور منه ظلم ، إذ لا يتصور منه التصرف في ملك الغير . وإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال ؟ وهل هذا إلا مجرد تشهى يشهد بخلافه ما قد فرضناه من خاصمة أهل النار ؟ ثم الحكيم معناه العالم بمحقائق الأشياء القادر على فعلها على وفق إرادته ، وهذا من أين يوجب رعاية الأصلاح ، وأما الحكيم منا يراعى الأصلاح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناءً وفي الآخرة ثواباً ، أو يدفع به عن نفسه آفة ، وكل ذلك على الله سبحانه وتعالى محال

### الأصل الثامن

أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه ، لا بالعقل ، خلافاً للمعتزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال ، فإن العقل لا يوجب العبث ، وإما أن يوجبها لفائدة وغرض ، وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال في حقه تعالى ، فإنه يتقدس عن الأغراض والقوائد ، بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان . وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضاً محال لأنه لا غرض له في الحال ، بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه ، وليس في المال إلا الثواب والعقاب . ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليها مع أن الطاعة والمعصية في حقه يتساويان ، إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تمييز ذلك بالشرع ؟ ولقد ذل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر فإن قيل : فإذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه ، فإذا قال المكلف للنبي : إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندى إلا بالنظر ، ولست أقدم على النظر ، أدى ذلك إلى إغمام الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا : هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع : إن وراءك سبماً ضارياً فإن لم تبرح عن المكان قتلك ، وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي . فيقول الواقف :

لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورائي ، ولا ألتفت ورائي ولا أنظر ما لم يثبت صدقك .  
فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ، ولا ضرر فيه على الهادي المرشد ، فكذلك  
النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن وراءكم الموت ، ودونه السباع الضارية واليران المحرقة  
إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا الى صدق بالالتفات إلى معجزتي وإلا هلكتم ، فمن التفت  
عرف واحترز ونجا ، ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ، ولا ضرر على إن هلك الناس كلهم  
أجمعون ، وإنما على البلاغ المبين : فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت ، والعقل  
يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله في المستقبل ، والطبع يستحث على الحذر من الضرر  
ومعنى كون الشيء واجبا أن في تركه ضرراً . ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر  
المتوقع ، فإن العقل لا يهdy إلى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات . فهذا معنى  
الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب . ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن  
الوجوب ثابتاً ، إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة

#### الأصل التاسع

أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام ، خلافاً للبراهمة حيث قالوا : لا فائدة في بعثهم  
إذ في العقل مندوحة عنهم ، لأن العقل لا يهdy إلى الأفعال المنجية في الآخرة كما لا يهdy  
إلى الأدوية المفيدة للصحة ، فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ، ولكن يعرف  
صدق الطبيب بالتجربة ، ويعرف صدق النبي بالمعجزة

#### الأصل العاشر

أن الله سبحانه قد أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم خاتماً للنبيين ، وناسخاً لما قبله من شرائع  
اليهود والنصارى والصابئين ، وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة <sup>(١)</sup> « كَانَتْشَقَاقُ الْقَمَرِ »  
<sup>(٢)</sup> « وَتَسْبِيحُ الْحَصَى » <sup>(٣)</sup> « وَإِنْطَاقُ الْعَجَمَاءِ وَمَا تَفَجَّرَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ مِنَ الْمَاءِ »

(١) حديث أنشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس

(٢) حديث تسبيح الحصى البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر وقال صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ  
والمحفوظ رواية رجل من بني سليم لم يسم عن أبي ذر

(٣) حديث إنطاق العجماء أحمد والبيهقي بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير الذي شكك إلى النبي  
صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد في كلام الضب والنذب والحرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل



ومن آياته الظاهرة التي تحدّى بها مع كافة العرب القراءات العظيمة ، فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدّفوا لسببه ونهبه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ، ولم يقدروا على معارضته بمثل القراءان ، إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القراءان ونظمه ، هذا مع ما فيه من أخبار الأولين ، مع كونه أمياً غير ممارس للكتب ، والإنباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال ، كقوله تعالى : (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ) وكقوله تعالى : (أَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ)

ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلاً لله تعالى ، فها كان مقرونا بتحدى النبي صلى الله عليه وسلم ينزل منزلة قوله : صدقت ، وذلك مثل القائم بين أيدي الملك المدعى على رعيته أنه رسول الملك اليهم ، فانه مها قال للملك إن كنت صادقاً فقم على سريرك ثلاثاً واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك ، حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت

الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول

### الأصل الأول

« الْحَشْرُ وَالنَّشْرُ » <sup>(١)</sup> وقد ورد بهما الشرع ، وهو حق ، والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن . ومعناه الاعادة بعد الافناء ، وذلك مقدور لله تعالى ، كابتداء الانشاء ، قال الله تعالى : (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) فاستدل بالابتداء على الاعادة . وقال عز وجل : (مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعَثْتُمْ إِلَّا كَفْئُسٍ وَاحِدَةٍ) والاعادة ابتداء ثان ، فهو ممكن كالأبتداء الأول

(١) حديث الحشر والنشر النسخان من حديث ابن عباس انكم لحشورون الى الله - الحديث : ومن حديث

سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء - الحديث : ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة حفاة ومن حديث أبي هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق - الحديث : ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أفتنا في بيت المقدس وأرض الحشر والمنشر الحديث واسناده جيد

### الأصل الثاني

«سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ»<sup>(١)</sup> وقد وردت به الأخبار ، فيجب التصديق به ، لأنه ممكن ، إذ ليس يستدعى إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي به فهم الخطاب ، وذلك ممكن في نفسه ، ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له ، فإن النائم صاكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> «يَسْمَعُ كَلَامَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُشَاهِدُهُ وَمَنْ حَوْلَهُ لَا يَسْمَعُونَهُ وَلَا يَرَوْنَهُ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ» فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه

### الأصل الثالث

«عَذَابُ الْقَبْرِ» وقد ورد الشرع به قال الله تعالى<sup>(٣)</sup> (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر ، وهو ممكن ، فيجب التصديق به ، ولا ينم عن التصديق به تفرق أجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور ، فإن المذكور لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها

### الأصل الرابع

الميزان ، وهو حق ، قال الله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) . وقال تعالى : (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) الآية . ووجهه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى ، فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد ، حتى يظهر لهم العدل في العقاب ، أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب

(١) حديث سؤال منكر ونكير تقدم

(٢) حديث كان يسمع كلام جبريل وينشأه ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يا عائشة هذا جبريل جماعة من الصحابة منهم

عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم

(٣) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجه من حديث أبي هريرة وعائشة وقد تقدم

### الأصل الخامس

الصراط ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، أرق من الشعرة وأحد من السيف ، قال الله تعالى : ( فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ) . وهذا ممكن ، فيجب التصديق به ، فان القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط

### الأصل السادس

أن الجنة والنار مخلوقتان ، قال الله تعالى : ( وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ) . فقله تعالى : ( أعدت ) ، دليل على أنها مخلوقة ، فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه . ولا يقال : لا فائدة في خلقها قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى : « لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ »

### الأصل السابع

أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم ، ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلاً ، إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد ، ولم يخف ذلك ، فكيف خفي هذا ؟ وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا ؟ فلم يكن أبو بكر إماماً إلا بالاختيار والبيعة . وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرق الإجماع ، وذلك مما لا يستجريء على اختراعه إلا الروافض . واعتقاد أهل السنة تركية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وما جرى بين معاوية وعلى رضي الله عنهما كان مبنياً على الإجتهد لامنازعة من معاوية في الإمامة ، إذ ظن على رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة في بدايتها ، فرأى التأخير أصوب ، وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنائتهم يوجب الإغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك . وقد قال أفاضل العلماء : كل مجتهد مصيب . وقال فائلون : المصيب واحد ، ولم يذهب إلى تخطئة على ذو تحصيل أصلاً

### الأصل الثامن

أن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة ، إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل ، وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> وقد ورد في الشئ على جميعهم آيات وأخبار كثيرة وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل ، فلو لا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عن الحق صارف

### الأصل التاسع

أن شرائط الإمامة بعد الإسلام والتكليف خمسة : الذكورة ، والورع ، والعلم ، والكفاية ، ونسبة قريش ، لقوله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> « الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ » وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالإمام من انعقدت له البيعة أكثر الخلق ، والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى الانقياد إلى الحق

### الأصل العاشر

أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان في صرفه إثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته لأننا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال ، فما يلقي المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية المصلحة ، فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمنابها ، كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا ، وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الأمام وبفساد الأفضية وذلك محال ، ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم ، فكيف لا نقضى بصحة الإمامة عند الحاجة والضرورة

فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هي قواعد العقائد . فمن اعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة . فالله تعالى يسد لنا بتوفيقه ، ويهدينا إلى الحق وتحقيقه ، عنه وسعة جوده وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى

(١) حديث الشاء على الصحابة تقدم

(٢) حديث آئمة من قريش النسائي من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر

## الفصل الرابع

من قواعد العقائد

فى الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال ، وما يتطرق إليه من  
الزيادة والنقصان ، ووجه استثناء السالف فيه ، وفيه ثلاثة مسائل

### مسألة

اختلفوا فى أن الإسلام هو الإيمان أو غيره ، وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد  
دونه أو مرتبط به يلزمه ؟ فقيل : إنها شىء واحد . وقيل : إنها شيان لا يتواصلان . وقيل :  
إنهما شيان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر . وقد أورد أبو طالب المكي فى هذا كلاما شديدا  
الاضطراب كثير التطويل . فلنجهز الآن على التصريح بالحق من غير تعريض على نقل مالا  
تحصيل له . فنقول : فى هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين فى اللغة ، وبحث  
عن المراد بهما فى إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما فى الدنيا والآخرة . والبحث الأول  
لعوى ، والثانى تفسيري ، والثالث فقهي شرعي

### البحث الأول فى موجب اللغة

والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى : ( وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ) أي  
بمصدق . والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والاباء  
والعناد . وللتصديق محل خاص وهو القلب ، واللسان ترجمانه . وأما التسليم فإنه عام فى القلب  
واللسان والجوارح ، فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود ، وكذلك  
الاعتراف باللسان ، وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح . فوجب اللغة أن الإسلام أعم ،  
والإيمان أخص ، فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام ، فاذن كل تصديق تسليم  
وليس كل تسليم تصديقا

### البحث الثانى عن إطلاق الشرع

والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد ، وورد على سبيل  
الاختلاف ، وورد على سبيل التداخل

أما الترادف في قوله تعالى: ( فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد . وقال تعالى: ( يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ) . وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ » <sup>(٢)</sup> وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الايمان فأجاب بهذه الخمس وأما الاختلاف فقوله تعالى: ( قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ) ومعناه استسما منا في الظاهر فأراد بالايمان هاهنا التصديق فقط ، وبالإسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح . وفي حديث جبرائيل عليه السلام <sup>(٣)</sup> « لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ . فَقَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْبَيْتِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَبِالْحِسَابِ وَبِالتَّقْدِيرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » فَقَالَ : فَمَا الْإِسْلَامُ فَأُجِبَ بِذِكْرِ الْخِصَالِ الْخَمْسِ فَمَعْرِ بِالْإِسْلَامِ عَنْ تَسْلِيمِ الظَّاهِرِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « أُعْطِيَ رَجُلًا عَطَاءً وَلَمْ يُعْطِ إِلَّا خَرَفًا فَقَالَ لَهُ سَعْدُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرَكْتَ فَلَانًا لَمْ تُعْطِهِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْ مُسْلِمٌ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ فَأَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وأما التداخل فما روى أيضا أنه سئل <sup>(٥)</sup> فقيل « أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم : « الْإِيمَانُ » وهذا دليل على الاختلاف ، وعلى التداخل ، وهو أوفق الاستغالات في اللغة ، لأن الايمان عمل من

(١) حديث بنى الإسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر

(٢) حديث سئل عن الايمان فأجاب بهذه الخمس البيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس تدرون ما الايمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد وأن تؤتوا خمسا من المغنم

(٣) حديث جبريل لما سألته عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته - الحديث : أخرجه من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقي في البعث وقد تقدم

(٤) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم - الحديث : أخرجه بنحوه

(٥) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال أى الإسلام أفضل فقال الايمان أحمد والطبراني من حديث عمرو بن عنبسة بالشرط الاخير قال رجل يا رسول الله أى الإسلام أفضل قال الايمان واسناده صحيح

الاعمال وهو افضلها ، والاسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح وأفضلها الذي بالقلب ، وهو التصديق الذي يسمى إيماناً . والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة

أما الاختلاف فهو أن يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط ، وهو موافق للغة . والاسلام عبارة عن التسليم ظاهراً ، وهو أيضاً موافق للغة ، فإن التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه ، فإن من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامساً وإن لم يستعرق جميع بدنه : فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الطاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) . وقوله صلى الله عليه وسلم: في حديث سعد « أَوْ مُسْلِمٌ » لأنه فضل أحدهما على الآخر ، ويريد بالاختلاف تفاضل المستمين وأما التداخل فموافق أيضاً للغة في خصوص الإيمان ، وهو أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعاً ، والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل . وعلى هذا خرج قوله : (الايمان) ، في جواب قول السائل : أى الاسلام أفضل ؟ لأنه جعل الايمان خصوصاً من الاسلام فأدخله فيه

وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة على التسليم بالقلب والظاهر جميعاً فإن كل ذلك تسليم ، وكذا الايمان ، ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر في معناه ، وهو جائز ، لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته . وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح ، فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفاً لاسم الاسلام ومطابقاً له ، فلا يزيد عليه ولا ينقص . وعليه خرج قوله : (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

البحث الثالث عن الحكم الشرعى

وللإسلام والايمان حكمان أخروى ودينوى

أما الأخرى فهو الأخراج من النار، ومنع التخليد، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ» وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب، وعبروا عنه بأن الايمان ماذا هو؟ فمن قائل: إنه مجرد العقد، ومن قائل يقول: إنه عقد بالقلب وشهادة اللسان، ومن قائل: يزيد ثالثاً وهو العمل بالاركان

ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول: من جمع بين هذه الثلاثة فلاخلاف في أن مستقره الجنة: وهذه درجة

والدرجة الثانية: أن يوجد اثنان وبعض الثالث، وهو القول والعقد وبعض الأعمال، ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر، فعند هذا قالت المعتزلة: خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر، بل اسمه فاسق، وهو على منزلة بين المنزلتين، وهو مغلد في النار وهذا باطل كما سنذكره

الدرجة الثالثة: أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح. وقد اختلفوا في حكمه، فقال أبو طالب المكي: العمل بالجوارح من الايمان ولا يتم دونه، وادعى الاجماع فيه، واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه، كقوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إذ هذا يدل على أن العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان، وإلا يكون العمل في حكم المعاد. والمجب أن ادعى الاجماع في هذا، وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>: «لَا يَكْفُرُ إِلَّا بَعْدَ جُحُودِهِ لَمَّا أَقْرَبَهُ» وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر. والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له: من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة: فلا بد أن يقول نعم، وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل، فتريد ونقول: لو بقي جياً حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات، أو زنى ثم مات

(١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري في

الذخايرة وفيه اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من ايمان فأخرجوه - الحديث: ولهما من حديث أنس فيقال انذالى فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من ايمان وهو عندهما متصل بلفظ خير مكان ايمان

(٢) حديث لا تكفروا أحدا لا بجحوده بما أقربه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد لن يخرج أحد من

الايمان الا بجحود ما دخل فيه واسناده ضعيف



فهل يخلد في النار؟ فإن قال نعم فهو مراد المعتزلة، وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركناً من نفس الإيمان ولا شرطاً في وجوده ولا في استحقاق الجنة به، وإن قال: أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية، فنقول: فما ضبط تلك المدة؟ وما عدد تلك الطاعات التي يتركها يبطل الإيمان؟ وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الإيمان؟ وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصير إليه صائر أصلاً

الدرجة الرابعة: أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات، فهل نقول: مات مؤمناً بينه وبين الله تعالى؟ وهذا مما اختلف فيه. ومن شرط القول تمام الإيمان يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد، إذ قال صلى الله عليه وسلم «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ». وهذا قلبه طافح بالإيمان، فكيف يحمله في النار ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر، كما سبق

الدرجة الخامسة: أن يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها، فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول: هو مؤمن غير يخلد في النار، والإيمان هو التصديق المحض، واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجوداً بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان، وهذا هو الأظهر، إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ» ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب، كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب. وقال قائلون: القول ركن إذ ليس كلمتا الشهادة إخباراً عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام، والأول أظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا: هذا لا يدخل النار أصلاً، وقالوا: إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار. وسنبطل ذلك عليهم

الدرجة السادسة: أن يقول بلسانه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولكن لم يصدق بقلبه: فلا نشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار، وأنه يخلد في النار. ولا نشك في أنه في

حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة ، من المسلمين ، لأن قلبه لا يطلع عليه وعلمنا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطوق عليه في قلبه ، وإنما نشك في أمر ثالث وهو الحكم الديني فيما بينه وبين الله تعالى ، وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول : كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي ، فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى ؟ أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح ؟ هذا محل نظر ، فيحتمل أن يقال : أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهراً وباطناً ، ويحتمل أن يقال : تناط بالظاهر في حق غيره ، لأن باطنه غير ظاهر لغيره ، وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى . والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحل له ذلك الميراث ، ويلزمه إعادة النكاح . ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين ، وعمر رضى الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه ، والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من من العبادات . والتوقى عن الحرام أيضاً من جملة ما يجب لله كالصلاة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ » وليس هذا مناقضاً لقولنا أن الارث حكم الاسلام وهو الاستسلام ، بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن ، وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة ، فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع ، فما أفصح من نظر إلى العادات والمراسم في العلوم

فان قلت : فما شبهة المعتزلة والمرجئة ؟ وما حجة بطلان قولهم ؟ فأقول شبهتهم عمومات القرءان أما المرجئة فقالوا : لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل : ( فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ) ولقوله عز وجل : ( وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ) الآية ولقوله تعالى : ( كَلَّمَآ أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَاءَ لَهُمُ خَزَنَتُهُآ ) إلى قوله : ( فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ) فقوله : ( كَلَّمَآ أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ » عام ، فينبغي أن يكون كل من ألقى في النار مكذباً ، ولقوله تعالى : ( لَا يَسْمَلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ) وهذا حصر

وإثبات ونفي ، ولقوله تعالى : ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ قَلَّ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ )  
فالايمان رأس الحسنات ، ولقوله تعالى : ( وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) وقال تعالى : ( إِنَّا لَا نُضِيعُ  
أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ) ولا حجة لهم في ذلك ، فانه حيث ذكر الايمان في هذه الآيات أريد به  
الايمان مع العمل ، إذ بينا أن الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام ، وهو الموافقة بالقلب والقول  
والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب . وقوله صلى الله  
عليه وسلم « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ » فكيف يخرج إذا  
لم يدخل ؟ ومن القرآن قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ  
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ) والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام ، وقوله تعالى : ( وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ) وتخصيصه بالكفر تحكّم ، وقوله تعالى : ( أَلَا  
إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ) . وقال تعالى : ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ  
فِي النَّارِ ) فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ، ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على  
الجانبيين ؛ لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون <sup>(١)</sup> ، بل قوله تعالى : ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا  
وَارِدُهَا ) كالصريح في أن ذلك لا بد منه لكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه ، وقوله  
تعالى : ( لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ) أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد  
بالأشقى شخصا معينا أيضا . وقوله تعالى : ( كُلَّمَا أُنْتِجَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا ) أى فوج  
من الكفار . وتخصيص العمومات قريب . ومن هذه الآية وقع للأشعري وطائفة من  
المتكلمين إنكار صيغ العموم ، وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها  
وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى : ( وَإِنِّي لَنَفَارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى )  
وقوله تعالى : ( وَأَلْعَظِرْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) وقوله تعالى :  
( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ) ثم قال : ( ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ) وقوله

(١) حديث تعذيب العصاة البخاري من حديث أنس « ليس بين أقوام أسف من النار بذنوب أصابوها الحديث  
ويأتي في ذكر الموت عدة أحاديث

تعالى: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ). وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقروناً بالإيمان. وقوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) وهذه العمومات أيضاً مخصوصة، بدليل قوله تعالى: (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك. وكذلك قوله عليه السلام «يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ» وقوله تعالى: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) فكيف يضع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمصية واحدة؟ وقوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) أي لا إيمانه وقد ورد على مثل هذا السبب

فإن قلت: فقد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل، وقد اشتهر عن السلف قولهم: الإيمان عقد وقول وعمل فما معناه؟

قلنا: لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم، كما يقال الرأس واليدان من الإنسان، ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنساناً بعدم الرأس، ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد. وكذلك يقال التسيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقدها. فالتصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان، إذ ينعدم بعده. وبقيّة الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض. وقد قال صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الإيمان بالزنا، ولكن مناه غير مؤمن حقاً إيماناً تاماً كاملاً، كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف: هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الإنسانية

#### مسألة

فإن قلت: فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص: يزيد بالطاعة، وينقص بالمصية، فإذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان

فأقول: السلف هم الشهود المدول وما لأحد عن قولهم عدول، فما ذكره حق، وإنما

(١) حديث: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن: منسوخ عليه من حديث أبي هريرة

الشان في فهمه ، وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الايمان وأركان وجوده ، بل هو مزيد عليه يزيد به ، والزائد موجود ، والناقص موجود ، والشيء لا يزيد بذاته ، فلا يجوز أن يقال : الانسان يزيد برأسه ، بل يقال : يزيد بلحيته وسمته ، ولا يجوز أن يقال : الصلاة تزيد بالركوع والسجود ، بل تزيد بالآداب والسنن . فهذا تصريح بان الايمان له وجود ، ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان

فان قلت : فالأشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة ؟  
فأقول : إذا تركنا المداهنة ولم نكثر تشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الأشكال فنقول : الايمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه

الأول — أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانسراح صدر ، وهو إيمان العوام ، بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص . وهذا الاعتقاد عقدة على القلب ، تارة تشد وتقوى ، وتارة تضعف وتسترخى ، كالعقدة على الخيط مثلاً ، ولا تسبعم هذا ، واعتبره باليهودي وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ، ولا بتخييل ووعظ ، ولا بتحقيق وبرهان . وكذلك النصراني والمبتدعة ، وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ، ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف ، مع أنه غير شاك في عقده كالأول ولكنها متفاوتان في شدة التصميم . وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضاً . والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته ، كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار . ولذلك قال تعالى : ( فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا ) وقال تعالى : ( لِيَزِدْهُمْ إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ) . وقال صلى الله عليه وسلم : فيما يروى في بعض الأخبار <sup>(١)</sup> « الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ » وذلك بتأثير الطاعات في القلب ، وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الايمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك ، بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل

( ١ ) حديث : الايمان يزيد وينقص : ابن عدى في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث

أبي هريرة وقال ابن عدى باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحي يتعمد الكذب وهو عند

ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء

بموجب اعتقاده مسح رأسه وتلطف به ، أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل . وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملاً مقبلاً أو ساجداً لغيره أحسن من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة . وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ، ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتي هذا في ربيع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر ، والأعمال بالعقائد والقلوب ، فإن ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت ، وأعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس ، وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة ، والقلب من عالم الملكوت ، والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر ، وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة ، وهو هذه الأجسام المحسوسة . ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال :

رق الزجاج وراقت الحمر \* وتشابهها فتشا كل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح \* وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع إلى المقصود فإن هذا العالم خارج عن علم المعاملة ، ولكن بين العالمين أيضاً اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتساق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن تنكشف عنها بالتكليف ، فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ، ولهذا قال على كرم الله وجهه : إن الايمان ليبدو لمعة يضاء ، فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله ، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم ، وتلا قوله تعالى : ( كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم ) الآية

الاطلاق الثاني - أن يراد به التصديق والعمل جميعاً . كما قال صلى الله عليه وسلم : (١) « الْإِيْمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا » وكما قال صلى الله عليه وسلم : « لَا يَزِنِي الزَّانِي حِينَ يَزِنِي هُوَ مُؤْمِنٌ » وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه ، وهل يؤثر

(١) حديث : الايمان بضع وسبعون باباً : وذكر بعد هذا فزاد فيه : أدناها إمطة الأذى عن الطريق :

البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة : الايمان بضع وسبعون : زاد مسلم في رواية : وأفضلها قول

لا إله الا الله وأدناها : فذكره ورواه بلفظ المصنف الترمذي وصححه

ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق ؟ هذا فيه نظر . وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه  
الاطلاق الثالث - أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر  
والمشاهدة بنور البصيرة . وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ، ولكني أقول : الأمر  
اليقيني الذي لا شك فيه يختلف طمأنينة النفس إليه ، فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين  
أكثر من الواحد كطمأنيتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منهما ،  
فان اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ، ودرجات طمأنينة النفس إليها . وقد تعرضنا لهذا  
في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة ، فلا حاجة إلى الاعادة . وقد  
ظهر في جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق ، وكيف لا وفي الأخبار  
أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان . وفي بعض المواضع في خبر آخر<sup>(١)</sup>  
« مِثْقَالُ دِينَارٍ » فأى معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت ؟ !  
مسألة

فان قلت : ما وجه قول السلف : أنا مؤمن إن شاء الله ، والاستثناء شك ، والشك في  
الايمان كفر ، وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون عنه ، فقال سفيان  
الثوري رحمه الله : من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ، ومن قال أنا مؤمن حقا  
فهو بدعة ، فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ، ومن كان مؤمناً في نفسه كان  
مؤمناً عند الله ، كما أن من كان طويلاً وسخياً في نفسه وعلم ذلك . كان كذلك عند الله ،  
وكذا من كان مسروراً أو حزيناً أو سميحاً أو بصيراً . ولو قيل للانبياء . هل أنت حيوان لم يحسن  
أن يقول أنا حيوان إن شاء الله . ولما قال سفيان ذلك قيل له : فإذا تقول ؟ قال : قولوا آمنا  
بالله وما أنزل إلينا ، وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن ؟  
وقيل للحسن : أمؤمن أنت ؟ فقال : إن شاء الله ، فقليل له : لم تستثنى يا أبا سعيد في الايمان ؟  
فقال : أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق على الكلمة ، وكان  
يقول ما يؤمنني أن يكون الله سبحانه قد اطلع على في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب

(١) حديث : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار : متفق عليه من حديث أبي سعيد وسيأتي في ذكر

لاقبلتُ لك عملاً فأنا أعمل في غير معمل . وقال ابراهيم بن آدم . إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل لا إله إلا الله . وقال مرة . قل : أنا لا أشك في الايمان وسؤالك إياي بدعة . وقيل لعلقمة : أمؤمن أنت؟ قال أرجو إن شاء الله . وقال الثوري : نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما ندري ما نحن عند الله تعالى ، فما معنى هذه الاستثناءات ؟

فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه : وجهان مستندان إلى الشك لافي أصل الايمان ولكن في خاتمته أو كماله ، ووجهان لا يستندان إلى الشك

الوجه الأول الذي لا يستند إلى معارضة الشك : الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تركية النفس ، قال الله تعالى : ( فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ) وقال : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونُ أَنْفُسَهُمْ ) وقال تعالى : ( أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ) . وقيل لحكيم . ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه . والايمان من أعلى صفات المجد ، والجزم به تركية مطلقة ، وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طيب أو فقيه أو مفسر ؟ فيقول نعم إن شاء الله ، لافي معرض التشكيك ، ولكن لاخراج نفسه عن تركية نفسه . فالصيغة صيغة التريديد والتضعيف لنفس الخبر ، ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء

الوجه الثاني : التأدب بذكر الله تعالى في كل حال ، وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه ، فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : ( وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكْ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ) ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه ، بل قال تعالى : ( لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ) وكان الله سبحانه عالماً بأنهم يدخلون لا محالة ، وأنه شاءه ، ولكن المقصود تعليمه ذلك ، فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوماً كان أو مشكوكاً ، حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر <sup>(١)</sup> « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ » والحق بهم غير مشكوك فيه ، ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى ، وربط الأمور به ، وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن إظهار الرغبة والتمنى . فاذا قيل لك : إن فلاناً

( ١ ) حديث لما دخل المقابر قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين - الحديث : مسلم من حديث أبي هريرة



يموت سريعا ، فتقول : إن شاء الله ، فيمنعهم منه رغبتك لا تشكك . وإذا قيل لك : فلان سيزول مرضه ويصح ، فتقول : إن شاء الله ، بمعنى الرغبة ، فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى معنى الرغبة ، وكذلك المدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الأمر الوجه الثالث .

مستنده الشك ، ومعناه : أنا مؤمن حقا إن شاء الله ، إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم : (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) فانقسموا إلى قسمين ، ويرجع هذا إلى الشك في كمال الايمان لا في أصله ، وكل إنسان شاك في كمال إيمانه ، وذلك ليس بكفر ، والشك في كمال الايمان حق من وجهين :

أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال . أما العمل فقد قال الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فيكون الشك في هذا الصدق . وكذلك قال الله تعالى : (وَلَكِنَّ الْآلِبَاءَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) فشرط عشرين وصفاً : كالوفاء بالعهد ، والصبر على الشدائد ، ثم قال تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) وقد قال تعالى : (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) . وقال تعالى : (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ) الآية . وقد قال تعالى : (هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ)

وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « إِيْمَانُ عُرْيَانٌ وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى » الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلِيْمَانٌ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ بَاباً أَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ » . فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالأعمال

( ١ ) حديث الايمان عريان تقدم في العلم

\* الانفال الآية ٤ . الحجرات الآية ١٥ - البقرة : ١٧٧ - المجادلة : ١١ الحديده : ١٠ - آل عمران : ٣٦١

وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك أخفى ثقله صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ خَالِصٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اتَّخَذَ خَانَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » وفي بعض الروايات « وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ » وفي حديث أبي سعيد الخدري <sup>(٢)</sup> « الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدٌ وَفِيهِ سِرَاجٌ يُرِيدُ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ، وَقَلْبٌ مُصَفَّحٌ فِيهِ إِيْمَانٌ وَنِفَاقٌ فَكُلُّ الْإِيْمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الْعَذْبُ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ، فَأَيُّ الْمَادَّاتَيْنِ غَلَبَ عَلَيْهِ حُكْمُ لَهَا، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ « غَلَبَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَتْ بِهِ » وقال عليه السلام: <sup>(٣)</sup> « أَكْثَرُ مُنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قُرَاؤُهَا » وفي حديث <sup>(٤)</sup> « الشُّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ دَيْبِ الثَّمَلِ عَلَى الصِّفَا »

وقال حذيفة رضى الله عنه: <sup>(٥)</sup> « كَانَ الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِيرُ بِهَا مُنَافِقًا إِلَى أَنْ يَمُوتَ، وَإِنِّي لَا أَسْمَعُ مِنْ أَحَدِكُمْ فِي الْيَوْمِ عَشَرَ مَرَّاتٍ »

وقال بعض العلماء: أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برىء من النفاق. وقال حذيفة: « المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذ ذاك يُخْفُونَهُ وَهُمْ الْيَوْمَ يُظْهِرُونَهُ » وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكماله، وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه، وأقربهم منه من يرى أنه برىء منه، فقد قيل للحسن البصرى: يقولون أن لا نفاق اليوم، فقال: يا أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق. وقال هو أو غيره: لو نبت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا

- 
- (١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق - الحديث: متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو  
 (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد - الحديث: أحمد من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه  
 (٣) حديث أكثر منافق هذه الأمة قراؤها: أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر  
 (٤) حديث الشرك أخفى في أمتي من ديب الثملة على الصفا: أبو يعلى وابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر. وأحمد والطبراني نحوه من حديث أبي موسى وسيأتي في ذم الجاه والرياء  
 (٥) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا . الحديث: أحمد بإسناد فيه جهالة وحديث حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - الحديث: البخاري إلا أنه قال شر بدل أكثر.

وسمع ابن عمر <sup>(١)</sup> رضى الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال : « أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ حَاضِرًا يَسْمَعُ أَكُنْتَ تَتَكَلَّمُ فِيهِ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَقَالَ : كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا جَعَلَهُ اللَّهُ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الْآخِرَةِ » وقال أيضاً : صلى الله عليه وسلم « شَرُّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءٌ بِوَجْهِهِ وَيَأْتِي هُوَ لَاءٌ بِوَجْهِهِ »

وقيل للحسن : إن قوماً يقولون إنا لا نخاف النفاق ، فقال : والله لأن أكون أعلم أنى برىء من النفاق أحبُّ إلىَّ من تلّاع الأرض ذهباً . وقال الحسن : إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج . وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه : إني أخاف أن أكون منافقاً ، فقال لو كنت منافقاً ما خفت النفاق ، إن المنافق قد آمن من النفاق . وقال ابن أبي مليكة : « أدركت ثلاثين ومائة . وفي رواية : خمسين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق »

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « كَانَ جَالِسًا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَذَكَرُوا رَجُلًا وَأَكْثَرُوا الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجُلُ وَوَجْهُهُ يَقْطُرُ مَاءٌ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ وَقَدْ عَلَّقَ نَعْلَهُ بِيَدِهِ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي وَصَفْنَاهُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرَى عَلَى وَجْهِهِ سَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ ، بَجَاءِ الرَّجُلِ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ مَعَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ هَلْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ حِينَ أَشْرَفْتَ عَلَى الْقَوْمِ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ » وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه : <sup>(٣)</sup> « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا عَلِمْتُ وَلِمَا لَمْ أَعْلَمْ ، فَقِيلَ لَهُ : أَتُخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

( ١ ) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أ رأيت لو كان حاضرا أ كنت تتكلم فيه قال لا قال

كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحمد والطبراني بنحوه وليس فيه

ذكر الحجاج

( ٢ ) حديث كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثر الثناء عليه فبيناهم كذا إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء - الحديث : أحمد والبراز والدارقطني من حديث أنس

( ٣ ) حديث اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم - الحديث : مسلم من حديث عائشة اللهم إني أعوذ

بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعلم ولأبي بكر بن الصالح في النماذج في حديث مرسله

وشر ما أعلم وشر ما لا أعلم

فَقَالَ : وَمَا يُؤْمِنُنِي وَالْقُلُوبُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ » وقد قال سبحانه : (وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ\*) قيل في التفسير: عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات

وقال سَرِي السَّقَطِي : لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخطبه كل طير منها بلغة فقال : السلام عليك يا ولي الله ، فسكنت نفسه إلى ذلك ، كان أسيرا في يديها

فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي ، وأنه لا يؤمن منه ، حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المنافقين ؟ وقال أبو سليمان الداراني: سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكره فخفت أن يؤمر بقتلي ولم أخف من الموت ، ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحى فكففت . وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله

#### فالنفاق نفاقان :

أحدهما يُخرج من الدين ، ويلحق بالكافرين ، ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثانى : يفضى بصاحبه إلى النار مدة ، أو ينقص من درجات عليين ، ويحط من رتبة الصديقين ، وذلك مشكوك فيه ، ولذلك حُسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلاية ، والأمن من مكر الله ، والعجب ، وأمور أخر لا يخلو عنها إلا الصديقون .

#### الوجه الرابع

وهو أيضا مستند إلى الشك ، وذلك من خوف الخاتمة ، فانه لا يدرى أيسلم له الايمان عند الموت أم لا ، فإن ختم له بالكفر حبط عمله السابق ، لأنه موقوف على سلامة الآخر ، ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال أنا صائم قطعا ، فلو أفطر في أثناء نهاره بعد

ذلك لتبين كذبه ، إذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار ، وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الايمان ، ووصفه بالصحة قبل آخره . بناء على الإستصحاب ، وهو مشكوك فيه ، والمأقبة بخوفة ، ولاجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمره القضية السابقة والمشيئة الأزلية التي لا تظهر إلا بظهور المقضى به ، ولا مطلع عليه لأحد من البشر ، نخوف الخاتمة نخوف السابقة . وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه ، فمن الذى يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى ؟

وقيل فى معنى قوله تعالى : ( وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ \* ) أى بالسابقة ، يعنى أظهرتها . وقال بعض السلف : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها . وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه

وقيل : من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك . وقيل : هى عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء

وقال بعض العارفين : لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة ، لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة ، لأنى لا أدري ما يعرض لقاى من التغير عني التوحيد إلى باب الدار

وقال بعضهم : لو عرفت واحداً بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بينى وبينه سارية ومات ، لم أحكم أنه مات على التوحيد

وفى الحديث <sup>(١)</sup> « مَنْ قَالَ أَنَا مُؤْمِنٌ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَمَنْ قَالَ أَنَا عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ » . وقيل فى قوله تعالى : ( وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا \* ) صدقاً لمن مات على الايمان ، وعدلاً لمن مات على الشرك . وقد قال تعالى : ( وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ \* )

( ١ ) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل : الطبراني فى الأوسط بالشرط الاخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم والشرط الاول روى من قول يحيى بن أبي كثير رواه الطبراني فى الاصحح بلفظ من قال أنا فى الجنة فهو فى النار وسنده ضعيف

فهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجباً لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة ، كما أن الصوم عبارة عما يبرىء الذمة ، وما فسد قبل الغروب لا يبرىء الذمة ، فيخرج عن كونه صوماً ، فكذلك الإيمان ، بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضي النبى لا يشك فيه بعد الفراغ منه ، فيقال : أصمت بالأهـس ؟ فيقول : نعم إن شاء الله تعالى . إذ الصوم الحقيقى هو المقبول ، والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله تعالى . فمن هذا حسن الإستثناء فى جميع أعمال البر ، ويكون ذلك شكاً فى القبول ، إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب جل جلاله . فيحسن الشك فيه

فهذه وجوه حسن الإستثناء فى الجواب عن الإيمان ، وهى آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد

تم الكتاب بحمد الله تعالى . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى !

# كتاب أسرار الطهارة

## كتاب أسرار الطهارة

وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تلتطف بعباده فتعبد بهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه، وأعدل ظواهرهم تطهيراً لها الماء المخصوص بالركة واللطافة. وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجيننا بركاتهم يوم المخافة، وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة:

أما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «بُني الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ» وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ» وقال الله تعالى (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ\*) وقال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> «الطُّهُورُ نِصْفُ الْإِيمَانِ» قال الله تعالى (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَسْكَنَ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ\*) فنظن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر، إذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم «الطهور نصف الإيمان» عمارة الظاهر بالتنظيف بأفاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحوناً بالأخبث والأفذار هيئات هيئات

### ﴿كتاب الطهارة﴾

- (١) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا في الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف. والطبراني في الاوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود: النظافة تدعو الى الايمان
- (٢) حديث مفتاح الصلاة الطهور + د ت ه من حديث علي قال الترمذي هذا أصح شيء في هذا الباب وأحسن
- (٣) حديث الطهور نصف الايمان ت من حديث رجل من بنى سليم وقال حسن ورواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري بلفظ شطر كما في الاحياء

هذه رموز يشير بها الحافظ العراقي الى مراجع التخريج ويانها أن خ للخارى وم لمسلم وت للترمذى ون للسائى وه لابن ماجه ود لأبى داود وقط للدار قطنى وطس للطبرانى فى الأوسط وطس للطبرانى فى الأصغر وهق للبيهقى وحب لابن حبان وعق للعقلى وك للحاكم

\* التوبة: ١٠٨ \* المائدة: ٦



والطهارة لها أربع مراتب

المرتبة الأولى : تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات

المرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام

المرتبة الثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والردائل الممقوتة

المرتبة الرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى ، وهى طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم

والصديقين . والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها ، فإن الغاية القصوى فى عمل

السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ، ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة فى السر

مالم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه ، ولذلك قال الله عز وجل ( قُلِ اللَّهُ هُمْ ذَرُهُمْ فِي خَوْضِهِمْ

يَلْعَبُونَ ) لأنهما لا يجتمعان فى قلب ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ . وأما عمل القلب

فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق الحمودة والعقائد المشروعة ، ولن يتصف بها مالم ينظف عن

نقائضها ، من العقائد الفاسدة والردائل الممقوتة ، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشرط الأول

الذى هو شرط فى الثانى . فكان الطهور شرط الإيمان بهذا المعنى ، وكذلك تطهير الجوارح عن

المناهى أحد الشطرين وهو الشرط الأول الذى هو شرط فى الثانى ، فتطهيره أحد الشطرين

وهو الشرط الأول ، وعمارته بالطاعات الشرط الثانى ، فهذه مقامات الإيمان ، ولكل مقام

طبقة ، ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة ، فلا يصل إلى طهارة السر عن

الصفات المذمومة وعمارته بالحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته

بالخلق الحمود ، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارته

بالطاعات ، وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته ، فلا تظن

أن هذا الأمر يدرك بالنى وينال بالهوين ، نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات

لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التى هى كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة

إلى اللب المطلوب ، فصار يعنى فيها ويستقصى فى مجاريها ، ويستوعب جميع أوقاته فى

الاستنجاء ، وغسل الثياب ، وتنظيف الظاهر ، وطلب المياه الجارية الكثيرة ، ظنا منه بحكم

الوسوسة وتحيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط ، وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب ، وتساهلهم في أمر الظاهر ، حتى إن عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضعاً من ماء في جرة نصرانية ، وحتى إنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة ، بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخص أقدامهم ، وعدوا الأشنان من البدع المحدثه ، ولقد كانوا يصلون على الأرض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ، ومن كان لا يجعل بينه وبين الأرض حاجزاً في مضجعه كان من أكابرهم ، وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء ، وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة (١) « كُنَّا نَأْكُلُ الشَّوَاءَ فَتَقَامُ الصَّلَاةُ فَتَدْخُلُ أَصَابِعُنَا فِي الْحَصَى ثُمَّ نَقْرُكُهَا بِالثَّرَابِ وَنُكَبِّرُ » وقال عمر رضى الله عنه (٢) « مَا كُنَّا نَعْرِفُ الْأَشْنَانَ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها ، ويقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع : المناخل ، والأشنان ، والموائد ، والشبع ، فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم ، الصلاة في النملين أفضل ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « لَمَّا نَزَعَ نَعْلَيْهِ فِي صَلَاتِهِ بِإِخْبَارِ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ أَنَّ بِهِمَا نَجَاسَةً » وخلع الناس نعالهم ، قال صلى الله عليه وسلم « لِمَ خَلَعْتُمْ نَعَالَكُمْ ؟ » وقال النخعي في الذين يخلمون نعالهم : وددت لو أن محتاجاً جاء إليها فأخذها ، منكر الخلع النعال ، فكذا كان تساهلهم في هذه الأمور ، بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ، ويجلسون عليها ، ويصلون في المساجد على الأرض ، ويأكلون من دقيق البر والشعير ، وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخليل مع كثرة ترغها في النجاسات ، ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات ، فهكذا كان تساهلهم فيها ، وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة ، فيقولون هي مبنى

(١) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فتدخل أصابعنا في الحصى - الحديث هـ من حديث عبد الله بن الحارث

ابن جزء ولم أره من حديث أبي هريرة

(٢) حديث عمر ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا باطن

أرجلنا - الحديث : لم أجده من حديث عمر ولا ابن ماجه نحوه مختصراً من حديث جابر

(٣) حديث خلع نعليه في الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة ذك وصححه من

حديث أبي سعيد الخدري

الدين ، فأكثر أوقاتهم في تزيينهم اللوازم كنعل الماشطة بروسها ، والباطن خراب مشحون بجبائث الكبر . والسبب . والجمل . والرياء . والنفاق ، ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ، ولو اقتصر متصرفهم على الاستنجاء بالحجر ، أو مشى على الأرض حافياً ، أو صلى على الأرض أو على بوارى السجدة من غير سجادة مفروشة ، أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من آدم ، أو توسأ من آية عجزه ، أو رجل غير متكشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ، ولقبره بالتندر ، وأخرجوه من زمرة من ، واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته ، فسموا البذاذة التي هي من الإيمان قدراة ، والرعونة نظافة ، فانظر كيف صار المنكر معروفاً والمعروف منكراً وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه فإن قلت : أقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيأتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات ؟

فأقول : حاشى الله أن أتلقي القول فيه من غير تفصيل ، ولكني أقول : إن هذا التنظيم والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب ، إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات ، وقد يقترب بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا ينبغي أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه ، فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف

وأما مصيرها منكراً ، فبأن يجعل ذلك أصل الدين ، ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم « بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ » حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين ، أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق ، وتحسين موقع نظرهم ، فإن ذلك هو الرياء المحظور ، فيصير منكراً بهذين الاعتبارين

وأما كونه معروفاً ، فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين ، وأن لا ينكر على من ترك ذلك ، ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ، ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه ، أو عن علم ، أو غيره ، فإذا لم يقترب به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل

قربة بالنية ، ولكن لا يتيسر ذلك إلا للجهالين الذين لو لم يستثنوا بصرف الأوقات فيه  
لاشتغالوا بنوم أو حديث فيما لا يعني ، فيصير شأنهم به أولى ، لأن الاشتغال بالطهارات  
يحدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات ، فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو اسراف  
وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة ، فالزيادة  
عليه منكر في حقهم ، وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على  
الانتفاع به . ولا تعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين . ولا ينبغي للبطل  
أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة ، إذ التشبه بهم في أن  
لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه ، كما قيل لداود الطائي : لم لا تسرح لحيتك ؟ قال : إني إذا  
لفارغ . فهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازاً  
من أن يلبس الثياب المقصورة ، وتوها بالقصار تقصيراً في الغسل ، فقد كانوا في العصر  
الأول يصلون في الفراء المدبوغة ، ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوغة في  
الطهارة والنجاسة ، بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ، ولا يدققون نظرم في  
استنباط الاحتمالات الدقيقة ، بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم ، حتى قال سفيان  
الثوري لرفيق له كان يعيش معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمر : لا تفعل ذلك فإن  
الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف . فالناظر إليه معين له على  
الإسراف ، فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمالات  
النجاسة ، فلو وجد العالم عامياً يتعاطى له غسل الثياب محتاطاً فهو أفضل ، فانه بالإضافة  
إلى التساهل خير ، وذلك العامى ينتفع بتعاطيه ، إذ يشغل نفسه الأمانة بالسوء بعمل المباح  
في نفسه ، فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال . والنفس إن لم تشغل بشيء شغلت صاحبها  
وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات ، فوقت العالم أشرف من  
أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظاً عليه ، وأشرف وقت العامى أن يشتغل بمثله ، فيتوفر الخير  
عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال ، وترتيب فضائلها ، ووجه

تقديم البعض منها على البعض ، فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بحذاقها .

وإذا عرفت هذه المقدمة ، واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب ، فاعلم أننا في هذا الكتاب لسنا نكلم إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر ، لأننا في الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصداً إلا للظواهر

فنقول : طهارة الظاهر ثلاثة أقسام : طهارة عن الخبث ، وطهارة عن الحدث ، وطهارة عن فضلات البدن ، وهي التي تحصل بالقلم ، والاستحداً ، واستعمال النورة والختان وغيره

## القسم الأول في طهارة الخبث

والنظر فيه يتعلق بالزوال والمزال به والإزالة

### الطرف الأول في المزال

وهي النجاسة . والأعيان ثلاثة : جمادات ، وحيوانات ، وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الحجر ، وكل منتبذ مسكر

والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما ، فإذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة : الآدمي ، والسمك ، والجراد ، ودود التفاح ، وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة ، وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما ، فلا ينجس الماء بوقوع شيء منها فيه

وأما أجزاء الحيوانات فقسمان : (أحدهما) ما يقطع منه ، وحكمه حكم الميت . والشعر لا ينجس بالجز والموت ، والعظم ينجس . (الثاني) الرطوبات الخارجة من باطنه ، فكل ما ليس مستحيلاً ولا له مقر فهو طاهر : كالدم والعرق ، واللعاب ، والخصا ، وماله مقر وهو مستحيل فنجس إلا ما هو مادة الحيوان : كالمني ، والبيض ، والقيح ، والدم ، والروث والبول نجس من الحيوانات كلها

ولا يعنى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة :  
 (الأول) أثر النجو بعد الاستجار بالأحجار يعنى عنه ما لم يعد المخرج  
 (الثانى) طين الشوارع وغبار الروث فى الطريق . يعنى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما  
 يتعذر الاحتراز عنه ، وهو الذى لا ينسب المتلطح به إلى تقريط أو سقطة  
 (الثالث) ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها ، فيعنى عنه  
 بعد ذلك للحاجة

(الرابع) دم البراغيث ما قل منه أو أكثر ، إلا إذا جاوز حد العادة ، سواء كان فى ثوبك  
 أو فى ثوب غيرك فلبسته

(الخامس) دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد . وذلك ابن عمر رضى الله عنه  
 بثرة على وجهه ، فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل . وفى معناه ما يترشح من لطخات الدماميل  
 التى تدوم غالباً ، وكذلك أثر الفصد إلا ما يقع نادراً من خراج أو غيره فيلحق بدم  
 الاستحاضة ، ولا يكون فى معنى البثرات التى لا يخلو الإنسان عنها فى أحواله .  
 ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل ، وما  
 ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها  
الطرف الثانى فى المزال به

وهو إما جامد ، وإما مائع . أما الجامد فحجر الاستنجاء ، وهو مطهر تطهير تجفيف ،  
 بشرط أن يكون صلباً طاهراً منشفاً غير محترم  
 وأما المائعات فلا تزال النجاسات بشئ منها إلا الماء ، ولا كل ماء بل الطاهر الذى  
 لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه

ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه . أو لونه . أو ريحه ، فإن لم يتغير  
 وكان قريباً من مائتين وخمسين متاً وهو خمسمائة رطل برطل العراق ، لم ينجس ، لقوله  
 صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلْ خَبْئًا » وإن كان دونه صار  
 نجساً عند الشافعى رضى الله عنه . هذا فى الماء الراكد

(١) حديث إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر

وأما الماء الحار إذا دبر بالنجاسة فالحرية المتغيره نجسة دون ما فوقها وما تحتها ، لأن جربات الماء متفصلات . وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء ، وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن فلتين ، وإن كان جزى الماء أقوى من جرى النجاسة ، فما فوق النجاسة طاهر ، وما سفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر ، إلا إذا اجتمع في حوض قدر فلتين ، وإذا اجتمع قلان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق . هذا هو مذهب الشافعى رضى الله عنه

و كدت أودّ أن يكون مذهبه كذهب مالك رضى الله عنه ، فى أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير ، إذ الحاجة ماسة إليه ، ومشار الوسواس اشراط الفلتين ، ولأجله شق على الناس ذلك . وهو لعمري سبب المشقة ، ويعرفه من يجربه ويتأمله ومما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة ، إذ لا يكثر فيها المياه الجارية ولا الركة الكثيرة . ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة فى الطهارة ، ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات ، وكانت أوانى مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحتززون عن النجاسات . وقد توحأ عمر رضى الله عنه بقاء فى جرة نصرانية . وهذا كالصریح فى أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء ، وإلا فنجاسة النصرانية وإنائها غالبية تعلم بظن قريب ، فإذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال فى تلك الاعصار دليل أول ، وفعل عمر رضى الله عنه دليل ثان

والدليل الثالث <sup>(١)</sup> « إصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة » وعدم تقطية الأوانى منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ، ولم يكن فى بلادهم حياض تلغ السنائر فيها وكانت لا تنزل الآبار .

والرابع : أن الشافعى رضى الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إن تغيرت . وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عابها ؟ وأى معنى لقول القائل : إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة ؟

( ١ ) حديث اصعاء الاماء للهرة الطبرانى فى الأوسط والدار فطلبى من حديث عائشة وروى أصحاب الدين ذلك من فعل أبى فادة

وإن أحيل ذلك على الحاجة ، فالحاجة أيضا ماسة إلى هذا ، فلا فرق بين طرَح الماء في أجانة فيها ثوب نجس ، أو طرَح الثوب النجس في الأجانة فيها ماء ، وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني ، والخامس : أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ، ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلا ، وأي فرق بين الجاري والراكد . وليت شعري هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوّة الماء بسبب الجريان ؟ ثم ما حدّ تلك القوّة : أتجرى في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا ؟ فإن لم تجر فما الفرق ، وإن جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني علي الأبدان وهي أيضا جارية ؟ ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع في مستنقع قلتان ، فأى فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة ؟ والسادس : أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين ، ثم فرقنا فكل كوز يغترف منه طاهر ، ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل ، وليت شعري : هل تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها

والسابع : أن الحمامات لم تزل في الأعصار الحالية يتوضأ فيها المتقشفون وينمسون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ، ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها

فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير ، معولين على قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « خُلِقَ الْمَاءُ طَهُورًا لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا غَيَّرَ طَعْمَهُ أَوْ لَوْنَهُ أَوْ رِيحَهُ » وهذا فيه تحقيق ، وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته ، فكما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ، ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه ، فكذلك الخل يقع في الماء ،

(١) حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غيّر لونه أو طعمه أو ريحه هـ من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء د ن ت من حديث أبي سعيد وصححه د وغيره



وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فنبطل صفته ، ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه ، إلا إذا كثرت  
وغلب . وتعرف غلبته بغلبة طعمه أولونه أو ريحه

فهذا المعيار وقد أشار الشرع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة ، وهو جدير بأن  
يعول عليه ، فيندفع به الحرج ، ويظهر به معنى كونه ظهوراً ، إذ يغلب عليه فيطهره ، كما  
صار كذلك فيما بعد القلتين ، وفي الغسالة ، وفي الماء الجاري ، وفي إسقاء الإماء للهرة

ولا تظن ذلك عفواً إذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير  
الماء الملاقي له نجساً ، ولا ينجس بالغسالة ، ولا ببولغ السنور في الماء القليل

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لَا يَحْمِلُ خَبَثًا » فهو في نفسه مبهم ، فانه يحمل إذا تغير .  
فان قيل : أراد به إذا لم يتغير ، فيمكن أن يقال : إنه أراد به أنه في الغالب لا يتغير  
بالنجاسات المعتادة . ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين ، وترك المفهوم بأقل من  
الأدلة التي ذكرناها ممكن . وفوله : « لَا يَحْمِلُ خَبَثًا » ظاهره نفي الحمل أى يقلبه إلى صفة  
نفسه ، كما يقال للملحة لا تحمل كلباً ولا غيره أى ينقلب ، وذلك لأن الناس قد يستنجون  
في المياه القليلة وفي الغدران ويغمسون الأواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها تغيرت  
تغيراً مؤثراً أم لا . فتبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة

فإن قلت : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لَا يَحْمِلُ خَبَثًا » ومهما كثرت حملها ،  
فهذا ينقلب عليك فإنها مهما كثرت حملها حكماً كما حملها حساً ، فلا بد من التخصيص  
بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعاً

وعلى الجملة فيلبي في أمور النجاسات المعتادة إلى التسهيل ، فهما من سيرة الأولين ،  
وحسماً لمادة الوسواس ، وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه في مثل هذه المسائل

### الطرف الثالث في كيفية الإزالة

والنجاسة إن كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس ، فيكفي إجراء الماء على  
جميع مواردها . وإن كانت عينية فلا بد من إزاله العين . وبقاء الطعام يدل على بقاء العين .

وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص . وأما الراحة وبقاؤها يدل على بقاء العين . ولا يعنى عنها إلا إذا كان الشيء له راحة فأتحه بعسر إزالتها . فالدلك والمصرمرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص في اللون . والمزِيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين ، فلا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلى معه ، ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات

## القسم الثاني في طهارة الأحداث

ومنها الوضوء والغسل والتيمم ، ويتقدمها الاستنجا  
فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة ، إن شاء الله تعالى

## باب آداب قضاء الحاجة

ينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين في الصحراء ، وأن يسر شيء ، إن وجدته ، وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس ، وأن لا يستقبل الشمس والقمر ، وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها إلا إذا كان في بناء ، والعدول أيضا عنها في البناء أحب ، وإن استتر في الصحراء براحتة جاز ، وكذلك بديله ، وأن يتق الحلو في متحدث الناس ، وأن لا يبول في الماء الراكد ، ولا تحت الشجرة المثمرة ، ولا في الحجر ، وأن يتق الموضع الصلب ، ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه ، وأن يتكى في جلوسه على الرجل اليسرى : وإن كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ، ولا يبول قائما . قالت عائشة رضي الله عنها <sup>(١)</sup> « مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبُولُ قَائِمًا فَلَا نُصَدِّقُهُ » وقال عمر رضي الله عنه <sup>(٢)</sup> « رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبُولُ قَائِمًا فَقَالَ : يَا عُمَرُ لَا تَبُلْ قَائِمًا قَالَ عُمَرُ : فَمَا بُلْتُ قَائِمًا مَعْدُ » وفيه رخصة ،

(١) حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم كان سول قائما فلا تصدقوه به قال ت هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح

(٢) حديث عمر رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبول قائما ابن ماجه بإسناد صحيح ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر

إذ روى حذيفة رضى الله عنه « أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ <sup>(١)</sup> بِالْقَائِمَا فَاتَّيْتُهُ بِوُضُوءٍ قَوَّصًا وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْيهِ » ولا يبول في المقتسل ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « عَامَّةُ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ » وقال ابن المبارك : فدوسع في البول في المقتسل اذا جرى الماء عليه ، ذكره الترمذى . وقال عليه السلام : « لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحَمِّهِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فِيهِ فَإِنَّ عَامَّةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ » وقال ابن المبارك : إن كان الماء جاريا فلا بأس به

ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يدخل بيت الماء حلسر الرأس . وأن يقول عند الدخول : بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم ، وعند الخروج : الحمد لله الذى أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني . ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء ، وأن يعد النبيل قبل الجلوس ، وأن لا يستنجى بالماء في موضع الحاجة . وأن يستبرئ من البول بالتنخنج والنثر ثلاثا وإمرار اليد على أسفل القضيب ، ولا يكثر التفكير في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر . وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء ، فإن كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ، ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس . وفي الخبر <sup>(٣)</sup> « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَهُ » أعنى رَشَّ الماء . وقد كان أخفهم استبراء أفقهم . فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه . وفي حديث سلمان رضى الله عنه <sup>(٤)</sup> « عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ فَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْتَنْجِيَ بِعَظِيمٍ وَلَا رَوْثٍ ، وَهَآنَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ » وقال رجل لبعض الصحابة من العرب وقد خاصمه : لا أحسبك تحسن الخراءة ، قال : بلى وأبيك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق : أبعد الأثر وأعد المذر ، واستقبل الشيع ، واستدبر

( ١ ) حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال فانما الحدث ممن عليه

( ٢ ) حديث قال في البول في المقتسل عامه الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن معقل قال

الترمذى عريب قلت واساده صحيح

( ٣ ) حديث رشح الماء بعد الوضوء وهو الانضاح دن . من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أو الحكم بن

سفيان وهو مضطرب كما قال توابى عبد الر

( ٤ ) حديث سلمان عامنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة الحديث م وقد تقدم في

قواعد العقائد

الريح ، وأقبح إفعاء الطي ، وأجفل إجفال النعام . الشيخ : نبت طيب الرائحة بالبادية .  
والإفعاء هاهنا أن يستوفز على صدور قدميه ، والاجفال أن يرفع عجزه  
ومن الرخصة أن يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه <sup>(١)</sup> فعل ذلك رسول الله  
صلى الله عليه وسلم مع شدة حياته ليبين للناس ذلك

## كيفية الاستنجاء

ثم يستنجي لمقعدته بثلاثة أحجار ، فإن أنقى بها كفى ، وإلا استعمل رابعا ، فإن أنقى ؟  
استعمل خامسا ، لأن الإبقاء واجب والإيتار مستحب . قال عليه السلام <sup>(٢)</sup> « مَنْ اسْتَجْمَرَ  
فَلْيُوتِرْ » يأخذ الحجر يساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويُمِرّه  
بالمسح ، والإدارة الى المؤخر ، يأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمرّه الى المقدمة ،  
ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة إدارة ، فإن عسرت الإدارة ومسح من المقدمة الى  
المؤخر أجزأه ، ثم يأخذ حجرا كبيرا يمينه والقضيب يساره ويمسح الحجر بقضيبه  
ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من  
جدار ، إلى أن لا يرى الرطوبة في محل المسح ، فإن حصل ذلك مرتين أتى بالثالثة ، ووجب  
ذلك إن أراد الاقتصار على الحجر ، وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للإيتار ، ثم ينتقل  
من ذلك الموضع إلى موضع آخر ، ويستنجي بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجوة ، ويدلك  
باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللبس ، ويترك الاستقصاء فيه بالتمرض  
للباطن فإن ذلك منبع الوسواس

وليعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن ، ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة  
ما لم تظهر ، وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره أن يصل الماء اليه فيزيله ،  
ولا معنى للوسواس

(١) - حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة

(٢) - حديث من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث أبي هريرة

ويقول عند الفراغ من الاستنجاء : اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش . ويدلك يده بجائط أو بالأرض إزاله لرائحة إن بقيت . والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى أنه لما نزل قوله تعالى <sup>(١)</sup> ( فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل فباء « مَا هَذِهِ الطَّهَارَةُ الَّتِي أَنْتَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ ؟ » قَالُوا : كُنَّا نَجْمَعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْحَجَرِ »

## كيفية الوضوء

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء ، فلم يُر رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجاً من الفائط إلا توصاً ، ويتدّى بالسواك ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « إِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقُ الْقُرْآنِ فَطَيَّبُوهَا بِالسَّوَاكِ » فينبغي أن ينوي عند السواك تطهير فيه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى في الصلاة . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « صَلَاةٌ عَلَى أَثَرِ سِوَاكِ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ سِوَاكِ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « لَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « مَا لِي أَرَاكُمْ تَدْخُلُونَ عَلَى قُلُوحًا ؟ اسْتَاكُوا » أي صفر الأسنان « وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ <sup>(٦)</sup> يَسْتَاكُ

( ١ ) حديث لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يطهروا الحديث في أهل فباء وحمهم بين الحجر والماء الزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه هك وصححه من حديث أنى أيوب وحابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر وقول الووى تبعالان الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر في أهل فباء لا يعرف مردود بما تقدم

( ٢ ) حديث ان أفواهكم طرق القرآن : أبو نعيم في الحلية من حديث على ورواه ه موفوفا على على وكلاهما ضعيف

( ٣ ) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاه بغير سواك أبو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر ناسد ضعيف ورواه د ك وصححه والبيهقي وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة

( ٤ ) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة منفق عليه من حديث أبي هريرة

( ٥ ) حديث مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا الزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب

د والبعوى من حديث تمام بن عباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب

( ٦ ) حديث كان يستاك من الليل مراراً من حديث ابن عباس

\* النوبة : ١٠٨

فِي اللَّيْلَةِ مِرَّاراً» وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال <sup>(١)</sup> «لَمْ يَزَلْ صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُنَا بِالسَّوَالِكِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَنْزِلُ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْءٌ». وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup> «عَلَيْكُمْ بِالسَّوَالِكِ فَإِنَّهُ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ». وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : السَّوَالِكُ يَزِيدُ فِي الْحِفْظِ وَيُذْهِبُ الْبَلْعَمَ <sup>(٣)</sup> «وكان أصحابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَرُوحُونَ وَالسَّوَالِكُ عَلَى آذَانِهِمْ»

وكيفيته أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل القلق، ويستاك عرضاً وطولاً، وإن اقتصر فعرضاً

ويستحب السواك عند كل صلاة، وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبته، وعند تغير النسكة بالنوم، أو طول الأزم، أو أكل ما تكره رائحته

ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> «لَا وَضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُسَمِّ اللَّهَ تَعَالَى» أى لا وضوء كامل . ويقول عند ذلك : أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَخْضُرُون . ثم يغسل يديه ثلاثاً قبل أن يدخلهما الأناء ويقول : اللهم إني أسألك اليمين والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ، ثم ينوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة ، ويستديم النية إلى غسل الوجه ، فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ، ثم يأخذ غرفة لفيه يمينه فيتمضمض بها ثلاثاً ويُغْرِغِرُ : بأن يرد الماء إلى الفُصْصَةِ إلا أن يكون صائماً فيرفق ، ويقول : اللهم أغني على

(١) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شىء رواه أحمد

(٢) حديث عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم مرضاة للرب البخارى تعليقا مجزوماً من حديث عائشة والسنائى وابن خزيمة موصولاً نوات وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذى قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى شعب الايمان

(٣) حديث كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم الخطيب فى كتاب أساء من روى عن مالك وعند ت أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موصع القلم من أدب الكتاب

(٤) حديث لا وضوء لمن لم يسلم الله ت ه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة وثقل ت عن البخارى أنه أحسن شىء فى هذا الباب

تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ، ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ، ويقول في الاستنشاق : اللهم أوجدلى رائحة الجنة وأنت عن راض ، وفي الاستنثار : اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار ، لأن الاستنشاق إيصال ، والاستنثار إزالة . ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدأ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ، ومن الأذن إلى الأذن في العرض . ولا يدخل في حد الوجه التزعتان اللتان على طرفي الجبين فهما من الرأس ، ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه ، وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الحيط على رأس الأذن ، والطرف الثاني على زاوية الجبين ، ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة : الحاجبان ، والشاربان ، والعذاران ، والأهداب ، لأنها خفيفة في الغالب . والعذاران هما ما يوزيان الأذنين من مبتدأ اللحية

ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة ، أغنى ما يقبل من الوجه ، وأما الكثيفة فلا . وحكم التنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ، ثم يفعل ذلك ثلاثا ، أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ، ويدخل الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما <sup>(١)</sup> فقد روى أنه عليه السلام فعل ذلك . ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه ، وكذلك عند كل عضو ، ويقول عنده : اللهم يفض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ، ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك . ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فإنه مستحب ، ثم يفسل يديه إلى مرفقيه ثلاثا ، ويحرك الخاتم ، ويطيل الغرة ويرفع الماء إلى أعلى العضد « فَإِنَّهُمْ يُخْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحْجَلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضوءِ » كذلك ورد الخبر ، قال عليه السلام <sup>(٢)</sup> « مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ » وروى « أَنَّ <sup>(٣)</sup> الْحَلِيَّةَ تَبْلُغُ مَوَاضِعَ الْوُضوءِ » . ويبدأ باليمنى ويقول : اللهم أعطني كتابي يميني وحاسبني حسابا يسيرا ، ويقول عند غسل الشمال : اللهم إني أعوذ

( ١ ) حديث ادخاله الاصبع في عاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبي أمامة

كان يتعاهد الماقين ورواه الدار قطنى من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف أشربوا الماء أعينكم

( ٢ ) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل أخرجه من حديث أبي هريرة

( ٣ ) حديث تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجه من حديثه

بك أن تُعْطِيَنِي كِتَابِي يَشْمَالِي أَوْ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِي ، ثُمَّ يَسْتَوْعِبُ رَأْسَهُ بِالْمَسْحِ بِأَنْ يَبِيلَ يَدَيْهِ وَيَلْصِقَ رِءُوسَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ اليمْنِي باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويعدّها إلى القفا ، ثُمَّ يَرُدُّهَا إِلَى الْمَقْدَمَةِ . وَهَذِهِ مَسْحَةٌ وَاحِدَةٌ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْشِنِي بِرَحْمَتِكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ، وَأَظْلِنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ . ثُمَّ يَمْسَحُ أُذُنَيْهِ ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا بِمَاءٍ جَدِيدٍ بِأَنْ يَدْخُلَ مَسْبَحَتَيْهِ فِي صَمَخِي أُذُنَيْهِ وَيُدِيرُ إِبْهَامِيهِ عَلَى ظَاهِرِ أُذُنَيْهِ ، ثُمَّ يَضَعُ الْكَفَّ عَلَى الْأُذُنَيْنِ اسْتَظْهَارًا وَيَكْرُرُهُ ثَلَاثًا ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، اللَّهُمَّ اسْمَعْنِي مَنَادَى الْجَنَّةِ مَعَ الْأَبْرَارِ ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَقَبَتَهُ بِمَاءٍ جَدِيدٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> « مَسْحُ الرَّقَبَةِ أَمَانٌ مِنَ الْعُلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وَيَقُولُ اللَّهُمَّ فَكْ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ ، ثُمَّ يَفْسِلُ رِجْلَهُ اليمْنِي ثَلَاثًا وَيَخْلُلُ بِالْيَدِ اليسرى مِنْ أَسْفَلِ أَصَابِعِ الرَّجْلِ اليمْنِي ، وَيَبْدَأُ بِالْخَنْصَرِ مِنَ الرَّجْلِ اليمْنِي وَيَخْتِمُ بِالْخَنْصَرِ مِنَ الرَّجْلِ اليسرى ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمِي عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ يَوْمَ تَزُلُّ الْأَقْدَامُ فِي النَّارِ ، وَيَقُولُ عِنْدَ غَسْلِ اليسرى : أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَزُلَّ قَدَمِي عَنِ الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزُلُّ فِيهِ أَقْدَامُ الْمُنَافِقِينَ ، وَيَرْفَعُ الْمَاءَ إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ

فَإِذَا قَرَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي أَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ فَاعْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، وَاجْعَلْنِي عَبْدًا صَبُورًا شَكُورًا ، وَاجْعَلْنِي أَذْكَرَكَ كَثِيرًا وَأَسْبَحَكَ بِكُرَّةٍ وَأُصِيلًا . يُقَالُ : إِنْ مِنْ قَالَ هَذَا بَعْدَ الْوُضُوءِ خَتَمَ عَلَى وَضُوئِهِ بِخَاتَمٍ وَرَفَعَ لَهُ تَحْتَ الْعَرْشِ فَلَمْ يَزَلْ يَسْبِحُ اللَّهَ تَعَالَى وَيَقْدُسُهُ وَيَكْتُبُ لَهُ ثَوَابَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَيَكْرَهُ فِي الْوُضُوءِ أُمُورَ : مِنْهَا أَنْ يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ ، فَمَنْ زَادَ فَقَدْ ظَلَمَ ، وَأَنْ يَسْرِفَ

( ١ ) حَدِيثُ مَسْحِ الرَّقَبَةِ أَمَانٌ مِنَ الْعُلَّ أَبُو مُنْصُورٍ الدِّيلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْمَرْدُوسِ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَوِهُوَ ضَعِيفٌ



في الماء<sup>(١)</sup> « نوصاً عليه السلام ثلاثا وقال : من زاد فقد أساء وأساء » وقال<sup>(٢)</sup> :  
 « سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَمْتَدُّونَ فِي الدَّعَاءِ وَالطُّهُورِ » ويقال :<sup>(٣)</sup> « مِنْ وَهْنِ  
 عِلْمِ الرَّجُلِ وَلَوْعُهُ بِالْمَاءِ فِي الطُّهُورِ » وقال إبراهيم بن آدم : يقال إن أول ما يبتدىء  
 الوسواس من قبل الطهور . وقال الحسن : إن شيطاناً يضحك بالناس في الوضوء يقال له  
 الولهان . ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء ، وأن يتكلم في أثناء الوضوء ، وأن يلمح  
 وجهه بالماء لطمأ ، وكره قوم التنشيف وقالوا : الوضوء يوزن ، قاله سعيد بن المسيب  
 والزهرى ، لكن روى معاذ رضى الله عنه أنه عليه السلام مسح وجهه<sup>(٤)</sup> بطرف  
 ثوبه « وروت عائشة رضى الله عنها » أنه صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> « كَانَتْ لَهُ مَنَشَقَةٌ »  
 ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة . ويكره أن يتوضأ من إناء صفر ، وأن يتوضأ  
 بالماء المشمس ، وذلك من جهة الطب . وقد روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله  
 عنهما كراهية الإناء الصفر . وقال بعضهم أخرجت لشعبة ماء في إناء صفر فأبى أن يتوضأ  
 منه . ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما

ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو  
 موضع نظر الخلق ، فينبغي أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع  
 نظر الرب سبحانه . وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق المذمومة  
 والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى ، وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو  
 ملكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البرانى من الدار .  
 وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار والله سبحانه أعلم

( ١ ) حديث توضأ ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد أساء وظلم دن واللفظ له وه من رواية عمرو بن شعيب

عن أبيه عن جده

( ٢ ) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور وه وابن حبان ولا من حديث عبد الله

ابن مغفل

( ٣ ) حديث من وهن علم الرجل ولوعه في الماء في التطهير لم أجده أصلاً

( ٤ ) حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه وقال غريب وإسناده ضعيف

( ٥ ) حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له منشفة وقال ليس بالغائم قال ولا يسح عن النبي

صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء

## فضيلة الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءِ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ فِيهِمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » وفي لفظ آخر: « لَمْ يَسْئُرْ فِيهِمَا غُفْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: <sup>(٢)</sup> « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِمَا يُكَفِّرُ اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَتَقْلُ الْأَفْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَالتَّنَظُّارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكَ الرُّبَاطُ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - وَتَوَضُّأُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> مَرَّةً مَرَّةً وَقَالَ هَذَا وَضُوءٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّلَاةَ إِلَّا بِهِ ، وَتَوَضُّأُ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ وَقَالَ مَنْ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ أَتَاهُ اللَّهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، وَتَوَضُّأُ ثَلَاثًا ثَلَاثًا وَقَالَ هَذَا وَضُوءِي وَوُضُوءُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي وَوُضُوءُ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٤)</sup> « مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ وَضُوءِهِ طَهَّرَ اللَّهُ جَسَدَهُ كُلَّهُ وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ لَمْ يُطَهَّرْ مِنْهُ إِلَّا مَا أَصَابَ الْمَاءُ » وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٥)</sup> « مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى طَهْرٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ » وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٦)</sup> « الْوُضُوءُ عَلَى الْوُضُوءِ نُورٌ عَلَى نُورٍ » وهذا كله حث على تجديد الوضوء . وقال عليه السلام: <sup>(٧)</sup> « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ فَمَضْمَضَ خَرَجَتْ

(١) حديث من تَوَضَّأَ وَاسْبَغَ الْوُضُوءَ ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ فِيهِمَا نَفْسَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا خَرَجَ مِنْ

ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ لَمْ يَسْئُرْ فِيهِمَا غُفْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ وَالرِّفَاقِ بِالْفُظَيْنِ مَعًا وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عُمَانَ بْنِ عَمَّانٍ دُونَ قَوْلِهِ بَنَى ، مِنْ الدُّنْيَا وَدُونَ قَوْلِهِ لَمْ يَسْئُرْ فِيهِمَا وَد مِنْ حَدِيثِ رِيْدِ بْنِ خَالِدٍ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَاسَوْفِيهِمَا الْحَدِيثُ

(٢) حديث ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن أبي هريرة

(٣) حديث تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً وَقَالَ هَذَا وَضُوءٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّلَاةَ إِلَّا بِهِ الْحَدِيثُ ه مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ

(٤) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث دار قطنى من حديث أبى هريرة بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ

(٥) حديث من تَوَضَّأَ عَلَى طَهْرٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ د ه مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ

(٦) حديث الْوُضُوءُ عَلَى الْوُضُوءِ نُورٌ عَلَى نُورٍ لَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا

(٧) حديث إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَمَضْمَضَ خَرَجَتْ الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ الْحَدِيثُ د ه مِنْ حَدِيثِ

الصَّابِغِيِّ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ وَلَكِنْ أَخْلَفَ فِي صَحِّهِ وَعِنْدَ مَنْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَمْرُو بْنُ

عَبْسَةَ نَحْوَهُ مُخْتَصَرًا

الخطايا من فيه ، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفاره عينيته ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره ، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه ، وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له ، وروى <sup>(١)</sup> « أن الطاهر كالصائم » قال عليه الصلاة والسلام <sup>(٢)</sup> « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتمت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وقال عمر رضي الله عنه : إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان . وقال مجاهد : من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً إذا كراً مستغفراً فليفعل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه

## كيفية الغسل

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ، ثم يسمي الله تعالى . ويغسل يديه ثلاثاً ، ثم يستنجي كما وصفت لك ، ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ، ثم يتوضأ وضوؤه للصلاة كما وصفنا إلا غسل القدمين فإنه يؤخرهما ، فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ، ثم يصب الماء على رأسه ثلاثاً ، ثم على شقه الأيمن ثلاثاً ، ثم على شقه الأيسر ثلاثاً ، ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ، ويخلل شعر الرأس والحية ، ويوصل الماء إلى منابت ما كشف منه أو خف . وليس على المرأة تقض الشفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر ، ويتعهد معاطف البدن ، وليتق أن يغس ذكره في أثناء ذلك ، فإن فعل ذلك فليعد الوضوء ، وإن توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل

(١) حديث الطاهر الباق كالمصائم أبو منصور الديلمي من حديث أبي هريرة وعمر بن حريث الطاهر النائم كالمصائم القائم وسنده ضعيف

(٢) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبه بن عامر وهو عندهم دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزني في الأطراف وقدرناه ن في اليوم واليلة من رواية عقبه بن عامر وصحنا رواه الدارمي في مسنده

فهذه سنن الوضوء والنسل ، ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعماله ، وما عداه من المسائل التي يحتاج إليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في النسل أمران : البنية ، واستيعاب البدن بالنسل وفرض الوضوء : النية ، وغسل الوجه ؛ وغسل اليدين إلى المرفقين ، ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الرأس ، وغسل الرجلين إلى الكعبين ، والترتيب . وأما الموالاة فليست بواجبة

والغسل الواجب بأربعة : بخروج المني ، والتقاء الختانين ، والحيض ، والنفاس . وما عداه من الأغسال سنة : كنفسل العيدين ، والجمعة ، والأعياد والإحرام ، والوقوف يعرفه ومزدلفة ، ولدخول مكة ، وثلاثة أغسال أيام التشريق ، ولطواف الوداع على قول ، والكافر إذا أسلم غير جنب ، والمجنون إذا أفاق ، ولمن غسل ميتا . فكل ذلك مستحب

## كيفية التيمم

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب ، أو بمانع له عن الوضوء إليه من سبع أوحاس ، أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لمطشه أو لمطش رقيقه ، أو كان ملكا لغيره ولم يبعه إلا بأكثر من ثمن المثل ، أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا ، فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ، ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ، ويضرب عليه كفيه ضاممين أصابعه ، ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة ، وينوي عند ذلك استباحة الصلاة

ولا يكلف إيصال الغبار إلى ماتحت الشعور خفت أو كثفت ، ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ، ويحصل ذلك بالضربة الواحدة ، فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ، ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ، ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ، ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عن المسبحة من الأخرى ، ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق ، ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن

ساعده الأيمن ويمرها إلى الكوع ، ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ، ثم يفعل باليسرى كذلك ، ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه  
وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة ، فإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزبادة  
وإذا صلى به الفرض فله أن يتفضل كيف شاء ، فإن جمع بين فريضتين فينبغي أن يعيد للتيمة  
للثانية ، وهكذا يفرد كل فريضة بتيمة . والله أعلم  
القسم الثالث في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة

وهي نوعان : أوساخ وأجزاء - النوع الأول الأوساخ والرطوبات المترسقة  
وهي ثمانية

الأول : ما يجتمع في شعر الرأس من الدَّرَن والقمل ، فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين ، إزالة للشعث عنه . «وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> يَذْهُنُ الشَّعْرَ وَيُرْجِلُهُ غَبًّا» ويأمر به ويقول عليه السلام : <sup>(٢)</sup> «ادْهِنُوا غَبًّا» وقال عليه الصلاة والسلام : <sup>(٣)</sup> «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرَةٌ فَلْيُكْرِمْهَا» أي ليصنها عن الأوساخ . «وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ <sup>(٤)</sup> تَأَثَّرَ الرَّأْسُ أَشْعَثُ اللَّحْيَةِ فَقَالَ : أَمَا كَانَ لِهَذَا دُهْنٌ يُسَكَّنُ بِهِ شَعْرُهُ ؟ ثُمَّ قَالَ : يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ ؟»

الثاني : ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن ، والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ ، فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام ، فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع

( ١ ) حديث كان يدهن الشعر ويرحله غبات في الثمائل بإسناد ضعيف من حديث أسن كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحينه وفي الثمائل أيضا بإسناد حسن من حديث صحابي لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترحل غبا

( ٢ ) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا وقال النووي غير معروف وعند د ن من حديث عبد الله بن مغفل النهي عن الترحل إلا غبا بإسناد صحيح

( ٣ ) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبي هريرة وقال به شعركم يكرمه وليس إسناده بالقوى

( ٤ ) حديث دخل عليه رجل سائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث

د ن وابن حبان من حديث جابر بإسناد جيد

الثالث : ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المنمقة المتصقة بجوابه ، ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار

الرابع : ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القلح ، فيزيله السواك والمضمضة ، وقد ذكرناها

الخامس : ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتمهد . ويستحب إزالة ذلك بالنسل والتسريح بالمشط . وفي الخبر المشهور « أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> كَانَ لَا يُفَارِقُهُ الْمَشْطُ وَالْمِذْرَى وَالْمِرْآةُ فِي سَفَرٍ وَلَا حَضَرٍ » وهي سنة العرب . وفي خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> كَانَ يَسْرَحُ لِحْيَتَهُ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> كَثَّ اللِّحْيَةِ وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ عُمَانُ طَوِيلَ اللِّحْيَةِ رَقِيقَهَا وَكَانَ عَلَى عَرِيضِ اللِّحْيَةِ قَدْ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ مَنْكِيَيْهِ وَفِي حَدِيثٍ أُغْرِبَ مِنْهُ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا <sup>(٤)</sup> « اجْتَمَعَ قَوْمٌ بِيَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فَرَأَيْتُهُ يَطْلُعُ فِي الْحَبِّ يُسَوِّي مِنْ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، فَقُلْتُ أَوْ تَفْعَلُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ نَعَمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَتَجَمَّلَ لِإِخْوَانِهِ إِذَا خَرَجَ إِلَيْهِمْ » . والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس ، قياساً على أخلاق غيره ، وتشبيهاً للملائكة بالحدادين وهيبات ، فقد كان صلى الله عليه وسلم مأموراً بالدعوة ، وكان من وظائفه أن يسعى ، في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم ، كيلا تردريه نفوسهم ، ويحسن صورته في أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك . ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل ، وهو أن

( ١ ) حديث كان لا يفارقه المشط والمذرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة النصف من

حديث أبي سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط . من

حديث عائشة واسادها ضعيف وسيأتي في آداب السفر مطولا

( ٢ ) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يسرح تسريح لحيته والاحطيط في

الجامع من حديث الحكم مرسلان كان يسرح لحيته بالمشط

( ٣ ) حديث كان كث اللحية ت في السوائل من حديث هند بن أبي هالة وأبو نعيم في دلائل النبوة من

حديث علي وأصله عند ت

( ٤ ) حديث عائشة اجتمع قوم بياب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم فرأيتهم يطلع في الحب يسوي

من رأسه ولحيته ابن عدي وقال حديث منكر

يراعي من ظاهره مالا يوجب نره الناس عنه . والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فإنها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود . فالتزين على هذا القصد محبوب ، وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور ، وترك شغلها بما هو أهم منه محبوب . وهذه أحوال باطنة بن العبد وبين الله عز وجل . والناقد بصير ، والناييس راجح عليه بحال

وكم من جاهل يتعاطي هذه الأمور النفاتا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ، ويزعم أن قصده الخير ، فرى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به . وهذا أمر ينكشف يوم تُنبَى السَّرائِر\* ويوم يُبْعَثُ ما في القبور ، ويُحْصَلُ ما في الصدور ، فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من النهرجة ، فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر

السادس : وسخ البراجم . وهي معاطف ظهور الأنامل ، كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام ، فيجتمع في تلك الغضون وسخ ، فأمرهم رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> يَغْسِلُ الْبَرَاغِمَ

السابع : تنظيف الرواجب ، أمر <sup>(٢)</sup> رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْعَرَبَ بِتَنْظِيفِهَا . وَهِيَ رُؤُوسُ الْأَنْامِلِ وَمَا تَحْتَ الْأَظْفَارِ مِنَ الْوَسَخِ ، لأنها كانت لا يحضرها المقرض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ <sup>(٣)</sup> فَوَقَّتَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَلَمَ الْأَظْفَارِ وَتَنَفَ الْإِبْطِ وَحَلَقَ الْعَانَةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث الأمر بغسل البراحم الترمذى الحكيم في النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا براجكم ولابن عدى في حديث أنس وأن يتعاهد البراجم اذا توشأ ولمسلم من حديث عائشة عن من الفطرة وفيه وغسل البراحم

(٢) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يا رسول الله لقد أبطأ غنك جريل قليل ولم لا يبطأ وأتم لاستئون ولا تلمون أطافركم ولا تقصون شواريكم ولا تفنون رواجبكم وفيه اسمعيل بن عياش

(٣) حديث التوقيت في قلم الاظفار ونف الابط وحلق العانة أربعين يوما من حديث أنس

(١) بنظيف ما تحت الأظفار. وجاء في الأثر « أن النبي صلى الله عليه وسلم » استنبط الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له : كيف تنزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلعاً لا تستأكون ؟ مر أمتك بذلك « والأف : وسخ الظفر . والتف : وسخ الأذن . وقوله عز وجل : ( فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ \* ) تعبها أي بما تحت الظفر من الوسخ . وقيل لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر

الثامن : الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق ، وذلك يزيله الحمام ، ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم : نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار . روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما . وقال بعضهم : بثس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء . فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لفائدته . ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته . ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات

فعليه واجبان في عورته ، وواجبان في عورة غيره . أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ، ويصونها عن مس الغير ، فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا يده ، ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة . وفي إباحة مس ما ليس بسوأة لازالة الوسخ احتمال ، ولكن الأقيس التحريم إذ الحق مس السواتين في التحريم بالنظر ، فكذلك ينبغي أن تكون بقية العورة أعنى الفخذين

والواجبان في عورة الغير أن يفض بصر نفسه عنها ، وأن ينهي عن كشفها ، لأن النهي عن المنكر واجب ، وعليه ذكر ذلك ، وليس عليه القبول ، ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا لخوف ضرب أو شتم أو ما يجرى عليه مما هو حرام في نفسه ، فليس عليه أن

( ١ ) حديث الأمر بنظيف ما تحت الأظفار الطبراني من حديث واجبة بن سعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى سأله عن الوسخ الذي يكون في الأظفار فقال دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ( ٢ ) حديث استطاء الوحي فلما هبط عليه جبريل قل له كيف تنزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم فقدم قل هذا بخديشين



يسكر حراما يرش المسكر عليه إلى مباشره حرام أمر . وأما موله . أعلم أن ذلك لا يبيد ولا يعمل به ، فهذا لا يكون عذراً بل لا بد من الذكر ، فلا يحلو قلب عن التأثر من سماع الإنكار ، واستشعار الاحراز عند التعبير بالمعاصي ، وذلك يؤثر في تقبيح الأمر في عينه وتغير نفسه عنه ، فلا يجوز تركه . ولثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأوقات ، إذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لاسيما ما تحت السر إلى ما فوق العانة ، إذ الناس لا يعدونها عورة . وقد ألحقها الشرع بالعمرة وجعلها كالحریم لها ، ولهذا يستحب تخلية الحمام . وقال بشر بن الحارث : ما أعنف رجلا لا يملك إلا درهما دفعه ليخلى له الحمام . ورؤى ابن عمر رضی الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بمصاصة . وقال بعضهم : لا بأس بدخول الحمام ولكن بإرارين : إرار للعمرة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينه

وأما السنن فعشرة . فالأول النية ، وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لأجل هوى . بل يقصد به التنظيف المحبوب ترنا للصلاة ، ثم يعطى الحمى الأجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينظره الحمى ، فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد العوصين ونطيب لنفسه ، ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ، ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم . أعوذ بالله من الرجس النجس ، الخبيث الخبيث ، الشيطان الرجيم ، ثم يدخل وقت الخلوة أو يتكلم تخلية الحمام ، فإنه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمخاطبين للعوام فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من فلة الحياء ، وهو مذكر للنظر في العورات ، ثم لا يخلو الإنسان في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في أطراف الإزار فيقع البصر على العمرة من حيث لا يدري ، ولأجله عصب ابن عمر رضی الله عنهما عينيه ، ويفسل الجناحين عند الدخول ، ولا يجعل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول ، وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فإنه المأذون فيه بقرينة الحال ، والزيادة عليه لو علمه الحمى لسكره لاسيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب ، وأن يتذكر حر النار بحراره الحمام ، ويقدر نفسه محبوساً في البيت الحار ساعة ، ويقبسه

إلى جهنم ، فإنه أشبه بيت بجهنم ، النار من تحت والظلام من فوق ، نعوذ بالله من ذلك ، بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة ، فإنها مصيره ومستقره ، فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرها عبرة وموعظة ، فإن المرء ينظر بحسب همته فإذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك داراً معمورة مفروشة فإذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها ، والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها ، والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها ، والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها ، فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئاً إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة ، فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد ، وإن نظر إلى حية تذكر أفاعي جهنم ، وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكراً ونكيراً والزبانية ، وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور ، وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة ، وإن سمع كلمة رد أو قبول في سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول . وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل ! إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا ، فإذا نسب مدة المقام في الدنيا إلى مدة المقام في الآخرة استحققرها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته

ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول ، وإن سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره ، وإن أحب قال : عافاك الله . ولا بأس بأن يضافح الداخل ويقول : عافاك الله لا تبدأ الكلام ، ثم لا يكثر الكلام في الحمام ، ولا يقرأ القرآن إلا سراً . ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريباً من الغروب ، فإن ذلك وقت انتشار الشياطين

ولا بأس بأن يدلّكه غيره ، فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط : أوصى بأن يغسله إنسان لم يكن من أصحابه ، وقال إنه دلّكني في الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك . ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> نَزَلَ مَنْزِلًا فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَنَامَ عَلَى بَطْنِهِ وَعَبْدٌ أَسْوَدُ يَغْمُرُ ظَهْرَهُ ،

(١) حديث نزل منزلاً في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمر ظهره الحديث الطبراني في الأوسط

حديث عمر بسند ضعيف

فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ ابْنُ الزَّاهِرِ : « تَقَعَّبْتُ بِي »  
 ثُمَّ مَهَا فَرَّغَ مِنَ الْحَمَامِ شَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ، فَقَدْ قِيلَ : الْمَاءُ الْحَارُّ فِي  
 الشِّتَاءِ مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي يُسَأَلُ عَنْهُ . وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : الْحَمَامُ مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي أَحَدُونَهُ .  
 هَذَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ

أَمَّا مِنْ جِهَةِ الطَّبِّ فَقَدْ قِيلَ : الْحَمَامُ بَعْدَ النَّوْرَةِ أَمَانٌ مِنَ الْجَذَامِ . وَقِيلَ : النَّوْرَةُ فِي كُلِّ شَهْرِ  
 مَرَّةٍ تَطْفِئُ الْمَرَّةَ الصَّفْرَاءَ وَتَتَّقِي اللَّوْنُ وَتَزِيدُ فِي الْجَمَاعِ . وَقِيلَ بَوْلَةٌ فِي الْحَمَامِ قَائِمًا فِي الشِّتَاءِ  
 أَتَقَعُّ مِنْ شَرِبَةِ دَوَاءٍ . وَقِيلَ : نَوْمَةٌ فِي الصَّيْفِ بَعْدَ الْحَمَامِ تَعْدِلُ شَرِبَةَ دَوَاءٍ . وَغَسَلَ الْقَدَمَيْنِ  
 بِمَاءٍ بَارِدٍ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْحَمَامِ أَمَانٌ مِنَ النَّقَرِ . وَيَكْرَهُ صَبَّ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الرَّأْسِ عِنْدَ  
 الْخُرُوجِ وَكَذَا شَرِبَهُ . هَذَا حِكْمُ الرِّجَالِ

وَأَمَّا النِّسَاءُ فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(١)</sup> « لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُدْخِلَ حَلِيلَتَهُ  
 الْحَمَامَ ، وَفِي الْبَيْتِ الْمُسْتَحَمِّ » وَالْمَشْهُورُ <sup>(٢)</sup> « أَنَّهُ حَرَامٌ عَلَى الرَّجَالِ دُخُولُ الْحَمَامِ  
 إِلَّا بِمَنْزَرٍ وَحَرَامٌ عَلَى الْمَرْأَةِ دُخُولُ الْحَمَامِ إِلَّا نَفْسَاءً أَوْ مَرِيضَةً » وَدَخَلَتْ عَائِشَةُ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَمَامًا مِنْ سَقَمٍ بِهَا فَانْ دَخَلَتْ لِحُضْرَةٍ فَلَا تَدْخُلُ إِلَّا بِمَنْزَرٍ مَسَابِغٍ . وَيَكْرَهُ  
 لِلرَّجُلِ أَنْ يُعْطِيَهَا أَجْرَةَ الْحَمَامِ ، فَيَكُونُ مَعِينًا لَهَا عَلَى الْمَكْرُوهِ

## النوع الثاني فيما يحدث في البدن

من الأجزاء وهي ثمانية

الأول : شعر الرأس ولا بأس بمحلقه لمن أراد التنظيف ، ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله  
 إلا إذا تركه قَرَعًا أَيْ قَطْعًا ، وَهُوَ دَابُّ أَهْلِ الشُّطْرَةِ ، أَوْ أَرْسَلَ الذُّوَائِبَ عَلَى هَيْئَةِ أَهْلِ  
 الشَّرَفِ حَيْثُ صَارَ ذَلِكَ شَعَارًا لَهُمْ ، فَإِنَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ شَرِيفًا كَانَ ذَلِكَ تَبْلِيسًا

( ١ ) حَدِيثٌ لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَدْخُلَ حَلِيلَتَهُ الْحَمَامَ الْحَدِيثُ يَأْتِي فِي الَّذِي يَلِيهِ مَعَ اخْتِلَافٍ

( ٢ ) حَدِيثٌ حَرَامٌ عَلَى الرِّجَالِ دُخُولُ الْحَمَامِ إِلَّا بِمَنْزَرٍ الْحَدِيثُ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ  
 مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ الْحَمَامَ إِلَّا بِمَنْزَرٍ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
 فَلَا يَدْخُلُ حَلِيلَتَهُ الْحَمَامَ وَلِلْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ الْحَمَامُ حَرَامٌ عَلَى نِسَاءٍ أُمِّيٍّ قَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ  
 وَلِأَبْنِ دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَلَا يَدْخُلُهَا الرِّجَالُ إِلَّا بِمَنْزَرٍ أَوْ مَرِيضَةٍ أَوْ نَفْسَاءٍ

الثاني : شعر الشارب . وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « قُشُوا الشَّارِبَ » وفي لفظ آخر « جُزُوا الشَّوَارِبَ » وفي لفظ آخر « خُفُّوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللَّحَى » أى اجعلوها حفاف الشفة أى حولها ، وحفاف الشىء حوله ، ومنه (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) وفي لفظ آخر « اخفُّوا » وهذا بشعر بالاستئصال . وقوله : خُفُّوا ، بدل على مادون ذلك : قال الله عز وجل . ( إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ تَبَخَّلُوا ) \* أى يستقصى عليكم . وأما الحلق فلم يرد . والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة : نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه فقال : ذكرتنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال المغيرة ابن شعبة « نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> وَقَدْ طَالَ شَارِبِي فَقَالَ تَعَالَ فَقَصَّصَهُ لِي عَلَى سِوَاكَ »

ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب ، فعل ذلك عمر وغيره ، لأن ذلك لا يستر الفم ، ولا يبقى فيه غمر الطعام ، إذ لا يصل اليه . وقوله صلى الله عليه وسلم « اعْفُوا اللَّحَى » أى كثروها . وفي الخبر « أَنَّ الْيَهُودَ <sup>(٣)</sup> يُعْفُونَ شَوَارِبَهُمْ وَيَقْصُونَ لِحَاهُمْ تَخَالِفُوهُمْ » وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعه

الثالث : شعر الأبط . ويستحب نتفه في كل أربعين يوما مرة ، وذلك سهل على من تعود نتفه في الابتداء ، فأما من تعود الحلق فيكفيه الحلق ، إذ في النتف تعذيب وإبلام ، والمقصود النظافة ، وأن لا يجتمع الوسخ في خللها ، ويحصل ذلك بالحلق

الرابع : شعر العانة . ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ، ولا ينبغي أن تتأخر عن أربعين يوما

( ١ ) حديث قصوا وفي لفظ جزوا وفي لفظ أخفوا الشوارب واعفوا اللحية متفق عليه من حديث ابن عمر

بلفظ اخفوا ولمسلم من حديث أنى هريرة جزوا ولأحمد من حديثه قصوا

( ٢ ) حديث المغيرة بن شعبة نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال تعال فقصصه لى

على سواك دن ت فى الشرائل

( ٣ ) حديث أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم تخالفوهم أحمد من حديث أبى أمامة قلنا يا رسول الله

أن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم

وخالفوا أهل الكتاب قلت والمشهور أن هذا فعل المجوس فى صحيح ابن جبان من حديث

ابن عمر فى المجوس أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم تخالفوهم

الخامس : الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ، ولما يجتمع فيها من  
الوسخ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَلِّمْ أَظْفَارَكَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ  
يَقْعُدُ عَلَى مَا طَالَ مِنْهَا » ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الرضوء ، لأنه لا  
يمنع وصول الماء ، ولأنه يتساهل فيه للحاجة ، لاسيما في أظفار الزجل ، وفي الأوساخ التي  
تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدي من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم ، وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ، ولم  
يأمرهم بإعادة الصلاة ، ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التخليط والزجر عن ذلك  
ولم أر في الكتب خبراً مروياً في ترتيب قلم الأظفار ، ولكن سمعت أنه صلى الله  
عليه وسلم <sup>(٢)</sup> بدأ بمسبحة اليمنى ، وختم بإبهامه اليمنى ، وأبتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الإبهام .  
ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة ، إذ مثل هذا  
للمعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة ، وأما العالم ذو البصيرة فتأيت أنه يستنبطه من  
العقل بعد نقل الفعل إليه . فالذي لاح لي فيه ، والعلم عند الله سبحانه ، أنه لا بد من قلم أظفار  
اليدين والرجل ، واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ، ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ،  
ثم على اليمنى خمسة أصابع ، والمسبحة أشرفها ، إذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة  
الأصابع ، ثم بعدها ينبغى أن يبتدىء بما على يمينها ، إذ الشرع يستحب إدارته الطهور وغيره  
على اليمنى ، وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالإبهام هو اليمين ، وإن وضعت بطن  
الكف فالوسطى هي اليمنى ، واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلاً إلى جهة الأرض ،  
إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار ، واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عالياً ، فما يقتضيه  
الطبع أولى ، ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة ،  
فيقتضى ترتيب الدوور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة ، فتقع البداءة

( ١ ) حديث يأبأ هريرة قلم ظفرك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها . الخطيب في الجامع بإسناد ضعيف من

حديث جابر قصوا أظفاركم فإن الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر

( ٢ ) حديث البداءة في قلم الأظفار بمسبحة اليمنى والختم بإبهامها وفي اليسرى بالخنصر إلى الإبهام لم أجده

أصلاً وقد أنكره أبو عبد الله المازري في الرد على الغزالي وشنع عليه به

بمخصر اليسرى ، والشم بابهامها ، ويبقى إبهام اليمنى فيختم به التقليم . وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها ، وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف ، أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف ، فإن ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندي أن لم يثبت فيها ثقل ، أن يبدأ بمخصر اليمنى ، ويختم بمخصر اليسرى كما في التخليل ، فإن المعاني التي ذكرناها في اليد لا تنجها هنا إذ لا مسبحة في الرجل ، وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض ، فيبدأ من جانب اليمنى ، فإن تقديرها حلقة بوضع الأخص على الأخص يأباه الطبع بخلاف اليدين . وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة واحدة ، وإنما يطول التعب علينا . ثم لو سألنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما لم يخطر لنا ، وإذا ذكرنا فعليه صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا بما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى

ولا تظن أن أفعاله صلى الله عليه وسلم في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب ، بل جميع الأمور الاختيارية التي ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام ، كأن لا يقدم على واحد معين بالاتفاق ، بل بمعنى يقتضى الأقدام والتقديم ، فإن الاسترسال مهملاً كما يتفق سجية البهائم ، وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى . وكما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب ، وعن الإهمال وتركه سدى أبعد ، كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر ، وكان قرب من الله عز وجل أظهر ، إذ القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل ، والقريب من الله لا بد أن يكون قريباً ، فالقريب من القريب قرب بالإضافة إلى غيره . فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى

واعبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتَحِلُ فِي عَيْنِهِ الْيَمْنَى ثَلَاثًا ، وَفِي الْيُسْرَى اثْنَيْنِ فَيَبْدَأُ بِالْيَمْنَى لِشَرَفِهَا » وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترًا ، فإن للوتر فضلاً عن الزوج ، فإن الله سبحانه وتر يحب الوتر ، فلا ينبغي أن يخلو

(١) حديث كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثاً وفي اليسرى اثنتين الطبراني من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف

فعل العبد من مناسبة لوصفه من أوصاف الله تعالى ، ولذلك استحب الإيتار في الإستجبار ، وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا ينحصر إلا واحدة ، والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل ، وإنما خصص اليمين بالثلاث لأن النفيل لا بد منه للإيتار واليمين أفضل فهي بالزيادة أحق

فإن قلت : فلم اقتصر على اثنين اليسرى وهى زوج ؟

فالجواب أن ذلك ضرورة ، إذ لو جعل لكل واحدة وترًا كان المجموع زوجا ، إذ الوتر مع الوتر زوج ، ورعايته الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته في الآحاد ، ولذلك أيضا وجه ، « وَهُوَ أَنْ يَكْتَحِلَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ ثَلَاثًا » على قياس الوضوء ، وقد نقل ذلك في الصحيح<sup>(١)</sup> وهو الأولى . ولو ذهبت أستقصى دقائق ماراها صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الأمر ، فقس بما سمعته ما لم تسمعه

واعلم أن العالم لا يكون وارثا للنبي صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة ، حتى لا يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة ، وهى درجة النبوة ، وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث ، إذ الموروث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه ، والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له ، فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ، ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام

السادس والسابع : زيادة السرة وقلبة الحشفة . أما السرة فتقطع في أول الولادة ، وأما التطهير بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يشعر الولد أحب وأبعد عن الخطر ، قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> « اُخْتَانُ سَنَةِ لِلرِّجَالِ وَمَكْرَمَةٌ لِلنِّسَاءِ » وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم : لأم عطية وكانت تخفض « يَا أُمَّ

( ١ ) حديث الا كنجال في كل عين ثلاثا قال الغزالي ونقل ذلك في الصحيحين قلت هو عند الترمذى وابن

ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن

( ٢ ) حديث الختان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقى من رواية أبي الليع بن أسامة عن أبيه

باسناد ضعيف

عَطِيَّةٌ <sup>(١)</sup> أَشْمَى وَلَا تَنْهَكِي فَإِنَّهُ أَسْرَى لِلْوَجْهِ وَأَخْطَى عِنْدَ الزَّوْجِ « أَى أَكْثَرُ لِمَاءِ الْوَجْهِ وَدَمِهِ ، وَأَحْسَنُ فِي جَمَاعِهَا . فَانْظُرْ إِلَى جِزَالَةِ لَفْظِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكِدَايَةِ ، وَإِلَى إِشْرَاقِ نَوْرِ النَّبُوَّةِ مِنْ مَصَالِحِ الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ أَمُّ مَقَاصِدِ النَّبُوَّةِ إِلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا ، حَتَّى انْكَشَفَ لَهُ وَهُوَ أَمَى مِنْ هَذَا الْأَمْرِ النَّازِلِ قَدْرَهُ مَا لَوْ وَقَعَتْ الْغَفْلَةُ عَنْهُ خِيفَ ضَرَرُهُ ، فَسَبَّحَانَ مَنْ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، لِيَجْمَعَ لَهُمْ بَيْنَ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّامِنَةُ : مَا طَالَ مِنَ اللَّحِيَةِ . وَإِنَّمَا أُخْرِنَاهَا لِلتَّلْحِقِ بِهَا مَا فِي اللَّحِيَةِ مِنَ السَّنَنِ وَالْبَدْعِ ، إِذْ هَذَا أَقْرَبُ مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ ذِكْرُهَا : وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهَا طَالَ مِنْهَا : فَقِيلَ : إِنْ قَبِضَ الرَّجُلُ عَلَى لَحِيَّتِهِ وَأَخَذَ مَا فَضَلَ عَنِ الْقَبْضَةِ فَلَا بَأْسَ ، فَقَدْ فَعَلَهُ ابْنُ عَمْرٍو وَجَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ ، وَاسْتَحْسَنَهُ السَّيِّبِيُّ وَابْنُ سِيرِينَ ، وَكَرِهَهُ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ ، وَقَالَا : تَرَكَهَا عَاقِبَةُ أَحَبَّ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اغْفُوا اللَّحَى » وَالْأَمْرُ فِي هَذَا قَرِيبٌ إِنْ لَمْ يَنْتَهَ إِلَى تَقْصِصِ اللَّحِيَةِ وَتَدْوِيرِهَا مِنَ الْجَوَانِبِ ، فَإِنَّ الطُّوْلَ الْمَفْرُطَ قَدْ يَشُوهُ الْخَلْقَةُ وَيَطْلُقُ أَلْسِنَةُ الْمُغْتَابِينَ بِالنَّبْذِ إِلَيْهِ ، فَلَا بَأْسَ بِالْإِحْتِرَازِ عَنْهُ عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ : وَقَالَ النُّعْمِيُّ : عَجِبْتُ لِرَجُلٍ عَاقِلٍ طَوِيلِ اللَّحِيَةِ كَيْفَ لَا يَأْخُذُ مِنْ لَحِيَّتِهِ وَيَجْعَلُهَا بَيْنَ لَحْيَتَيْنِ ، فَإِنَّ التَّوَسُّطَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَسَنٌ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : كُلَّمَا طَالَتِ اللَّحِيَةُ تَشْمُرُ الْعَقْلَ .

### فصل

وَفِي اللَّحِيَةِ عَشْرُ خِصَالٍ مَكْرُوهَةٌ ، وَبَعْضُهَا أَشَدُّ كَرَاهَةً مِنْ بَعْضٍ . خُضَابُهَا بِالسَّوَادِ ، وَتَبْيِضُهَا بِالسَّكَبَرِيَّةِ ، وَتَنْفُهَا ، وَتَنْفِ السَّيِّبِ مِنْهَا ، وَالنَّقْصَانُ مِنْهَا ، وَالزِّيَادَةُ فِيهَا ، وَتَشْرِيحُهَا تَصْنَعُ الْأَجَلَ الرِّيَاءَ ، وَتَرَكُّهَا شَعَثَةٌ إِظْهَارُ الزُّهْدِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى سَوَادِهَا عَجَبٌ بِالشَّبَابِ ، وَإِلَى بَيَاضِهَا تَكْبَرُ بَعْلُو السَّنَنِ ، وَخُضَابُهَا بِالْحُمْرَةِ وَالصَّفْرَةِ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ تَشْبِهَا بِالصَّالِحِينَ أَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ الْخُضَابُ بِالسَّوَادِ . فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> « خَيْرُ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشُيُوخِكُمْ وَشَرُّ شُيُوخِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشَبَابِكُمْ » وَالْمُرَادُ بِالتَّشْبِهِ بِالشُّيُوخِ

(١) حَدِيثُ أُمِّ عَطِيَّةٍ أَشْمَى وَلَا تَنْهَكِي . الْحَدِيثُ الْحَاكِمُ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ مِنْ حَدِيثِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ وَأَبِي دَاوُدَ

نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةٍ وَكَلَاهَا ضَعِيفٌ

(٢) حَدِيثُ خَيْرِ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِكُمُ وَلَسَكُمْ . الْحَدِيثُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ وَائِلَةَ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ



في الوقار لا في تبييض الشعر<sup>(١)</sup> وهي عن الخُضَابِ بالسَّوَادِ وقال : هو خِضَابُ<sup>(٢)</sup> أَهْلِ النَّارِ وفي لفظ آخر الخُضَابُ بالسَّوَادِ خُضَابُ الْكُفَّارِ ، وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسَّوَادِ ، فتمل خضابه وظهرت شيبته ، فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه ، فرد نكاحه وأوجعه ضرباً ، وقال : غررت القوم بالشباب ولبست عليهم سَيِّئَتُكَ . ويقال : أول من خضب بالسَّوَادِ فرعون لعنه الله . وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال<sup>(٣)</sup> « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ »

الثاني: الخضاب بالصفرة والحررة ، وهو جائز تليسا للتيب على الكفار في الغزو والجهاد ، فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « الصَّفْرَةُ خُضَابُ الْمُسْلِمِينَ وَالْحُمْرَةُ خُضَابُ الْمُؤْمِنِينَ » ، وكانوا يخضبون بالحناء للحمره وبالخلوق والكتم للصفرة ، وخضب بعض العلماء بالسَّوَادِ لأجل الغزو ، وذلك لا بأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة

الثالث : تبييضها بالكبريت استنجالاً لإظهار علو السن ، توصلاً إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ ، وترفعاً عن الشباب ، وإظهاراً لكثرة العلم ، فلنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلاً ، وهيئات ، فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلاً ، فالعلم ثمرة العقل ، وهي غريزة ، ولا يؤثر الشيب فيها ، ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد

( ١ ) حديث مهي عن الحصاب بالسَّوَادِ ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن العاص ناسد منقطع

ولسلم من حديث حابر وغروا هذا بئىء واجتنبوا السَّوَادِ قاله حين رأى يابض شعر أوى قحافة

( ٢ ) حديث الحصاب بالسَّوَادِ حساب أهل النار وفي لفظ خضاب الكفار الطراى والخاصكم من حديث

ابن عمر يلفظ الكافر قال ابن أبى حاتم منكر

( ٣ ) حديث يكون في آخر الزمان قوم يخضون بالسَّوَادِ - الحديث : أبو داود والنسائي من حديث ابن

عباس ناسد حديث

( ٤ ) حديث الحمرة حصاب المسلمين والحررة حصاب المؤمنين الطراى والخاص بلطف الأفراد من حديث ابن

عمر قال ابن أبى حاتم منكر

حماقته ، وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما آتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والخير كله فى الشباب ، ثم تلا قوله عز وجل : ( قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ \* ) وقوله تعالى ( إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى \* ) وقوله تعالى : ( وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا \* )

وكان أنس رضى الله عنه يقول : <sup>(١)</sup> « قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ . فَقِيلَ لَهُ يَا أَبَا حَمْزَةَ فَقَدْ أَسَنَّ ، فَقَالَ : لَمْ يَشْنَهُ اللَّهُ بِالشَّيْبِ ، فَقِيلَ : أَهْوَشَيْنِ ؟ فَقَالَ كُتْلُكُمْ يَكْرَهُهُ » ويقال <sup>(٢)</sup> « إِنَّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ وَلَى الْقَضَاءِ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِهِ يُرِيدُ أَنْ يُخْجِلَهُ بِصَغَرِ سِنِهِ : كَمْ سِنَّ الْقَاضِي أَيَّدَهُ اللَّهُ ؟ فَقَالَ مِثْلُ سِنِّ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ حِينَ وَلَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَارَةَ مَكَّةَ وَقَضَاءَهَا فَأَفْحَمَهُ »

• وروى عن مالك رحمه الله أنه قال : قرأت فى بعض الكتب لا تفرنكم اللحى فإن التيس له لحية . وقال أبو عمرو بن العلاء : إذا رأيت الرجل طويلا القامة صغيرا الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحق . ولو كان أمية بن عبد شمس . وقال أيوب السخيتاني : أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه . وقال علي بن الحسين : من سبق إليه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنا منك . وقيل لأبي عمرو بن العلاء : أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير ؟

(١) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له

يأبأ حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل الخ

ولمسم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شانه الله ببيضاء

(٢) حديث أن يحيى بن أكثم ولى القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضي فقال

مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح

وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضيا على أهل اليمن

الخطيب فى التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكثم صحيح بالنسبة الى عتاب بن أسيد

فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة الى معاذ فانما يتم له ذلك على قول يحيى بن

سعيد الانصاري ومالك وابن أبي حاتم انه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح

أنه مات ابن ثلاثة وثلاثين سنة فى الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم

فقال : إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به . وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشى خلف بغلة الشافعي : يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشى خلف بغلة هذا الفتي وتسمع منه فقال له أحمد : لو عرفت لكنت تمشى من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلو أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلو ولا نزول

الرابع : تنف يياضها استنكافا من الشيب . وقد « نَهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ <sup>(١)</sup> عَنْ تَنَفِّ الشَّيْبِ وَقَالَ هُوَ نُورُ الْمُؤْمِنِ » وهو في معنى الخضاب بالسواد . وعلة الكراهية ماسبق ، والشيب نور الله تعالى ، والرغبة عنه رغبة عن النور .

الخامس : تنفها أو تنف بعضها بحكم العبث والهوس ، وذلك مكروه ومشوه للخلقة وتنف الفينيكين بدعة وهما جانباً العنفة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فيسكه ، فرد شهادته . ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبي ليلى قاضى المدينة شهادة من كان ينتف لحيته . وأما تنفها في أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار ، فإن اللحية زينة الرجال ، فإن لله سبحانه ملائكة يقسمون : والذي زين نبي آدم باللحي ، وهو من تمام الخلق ، وبها يتميز الرجال عن النساء . وقيل في غريب التأويل : اللحية هي المراد بقوله تعالى : ( يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ \* ) قال أصحاب الأحنف بن قيس : ودِدْنَا أَنْ نَشْتَرِيَ لِلْأَحْنَفِ لَحْيَةً وَلَوْ بِمِثْرَيْنِ أَلْفًا . وقال شريح القاضي : ودِدْتُ أَنْ لِي لَحْيَةٌ وَلَوْ بِمِثْرَةِ آلاف . وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل ، والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس ، وإقبال الوجوه اليه ، والتقديم على الجماعة ، ووقاية العرض ، فإن من يشتم يعرض باللحية إن كان للمشتوم لحية . وقد قيل : إن أهل الجنة مرد إلا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم ، فإن له لحية إلى سترته تخصيصا له وتقضيا

السادس : تقصيصها كالتبعية طافة على طافة للترين للنساء والتصنع . قال كعب : يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ، ويعرقون نعالهم كالمناجل ، أولئك لا خلاق لهم

(١) حديث نهي عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسن ه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده

السابع : الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغين ، وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحي وينتهي إلى نصف الخد ، وذلك ببيان هيئة أهل الصلاح الثامن : تسريحها لأجل الناس ، قال بشر : في اللحية شر كان : تسريحها لأجل الناس ، وتركها متفتلة لإظهار الزهد .

التاسع والعاشر : النظر في شواهدا وفي بياضها بعين العجب ، وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن ، بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة ، وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة : خمس منها في الرأس ، وهي <sup>(١)</sup> فرق شعر الرأس ، والمضمضة ، والاستنشاق <sup>(٢)</sup> وقص الشارب ، والسواك ، وثلاثة في اليد والرجل ، وهي : القلم ، وغسل البراجم <sup>(٣)</sup> وتنظيف الرواجب . وأربعة في الجسد ، وهي تنف الأبط ، والاستحداد ، والختان ، والاستنجاء بالماء ، فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك . وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا . وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى ، وسيأتي تفصيلها في ربيع المهلكات مع تعريف الطرق في إزالتها وتطهير القلب منها ، إن شاء الله عز وجل

تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وغونه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

(١) حديث فرق شعر الرأس اخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل

شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه

(٢) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظ قص الشارب واعفاء اللحية والسواك

واستنشاقه الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الأبط وحلق العانة واتقاص الماء قال

وكيع يعني الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون للمضمضة ضعفة ن ولأبي ده

من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختان والاتساح ولم يذكر اعفاء اللحية

واتقاص الماء قال دروي نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها في الرأس وذكر منها الفرق ولم

يذكر اعفاء اللحية وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الفطرة خمس الختان والحديث

(٣) حديث تنظيف الرواجب تقدم

# كتاب أسرار الصلاة ومُهماتها

## كتاب أسرار الصلاة ومهماتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر العباد بطائفه ، وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه ، الذي تنزل عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه ، فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال : هَلْ مِنْ دَاجٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ وَهَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ، وبأن السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب ، فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ، ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة ، وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة . فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه ، وأتم لطفه وأعم إحسانه ! والصلاة على محمد نبيه المصطفى ، ووليّه المجتبى ، وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ، ومضاييح الدجى ، وسلم تسليماً

أما بعد : فإن الصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، ورأس القربات ، وغرة الطاعات . وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها ، صارفين جمام العناية إلى تفاريحها النادرة ووقائعها الساذجة ، لتكون خزانة للمفتي منها يستمد ، ومعولاً له إليها يفرع ويرجع . ونحن الآن في هذا الكتاب تقتصر على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة ، وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والإخلاص والنية ما لم تجر العادة بدكره في فن الفقه ، ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب : ( الباب الأول ) في فضائل الصلاة . ( الباب الثاني ) في تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . ( الباب الثالث ) في تفضيل الأعمال الباطنة منها . ( الباب الرابع ) في الإمامة والقدوة ( الباب الخامس ) في صلاة الجمعة وآدابها ( الباب السادس ) في مسائل متفرقة تم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها ( الباب السابع ) في التطوعات وغيرها

## الباب الأول

في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها

### فضيلة الأذان

قال صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> «ثَلَاثَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَثِيبٍ مِنْ مِسْكِ أَسْوَدٌ لَا يَبُوهُمْ حَسَابٌ وَلَا يَنَالُهُمْ فَرْعٌ حَتَّى يَفْرَغَ مِمَّا بَيْنَ النَّاسِ: رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّ بِقَوْمٍ وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ، وَرَجُلٌ أَذَّنَ فِي مَسْجِدٍ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ابْتُلِيَ بِالرِّزْقِ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَشْغَلْهُ ذَلِكَ عَنْ عَمَلٍ الْآخِرَةِ» وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٢)</sup> «لَا يَسْمَعُ نِدَاءُ الْمُؤَذِّنِ جَنًّا وَلَا إِنْسًا وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٣)</sup> «يَدُ الرَّحْمَنِ عَلَى رَأْسِ الْمُؤَذِّنِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ أَذَانِهِ» وقيل في تفسير قوله عز وجل: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا) نزلت في المؤذنين ؛ وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٤)</sup> «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ» وذلك مستحب إلا في الحيلتين فإنه يقول فيهما: لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي قوله: قد قامت الصلاة: أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض، وفي التثويب: صدقت وبررت ونصحت، وعند الفراغ يقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد . وقال سعيد بن المسيب: من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك، فإن أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة

#### كتاب أسرار الصلاة

- ( ١ ) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك - الحديث : ت وحسنه من حديث ابن عمر مختصر وهو في الصغير للطبراني بنحو مما ذكره المؤلف
- ( ٢ ) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء الا شهد له يوم القيامة خ من حديث أبي سعيد
- ( ٣ ) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبراني في الأوسط والحسن بن سعيد في مسنده من حديث أنس بإسناد ضعيف
- ( ٤ ) حديث اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن منق عليه من حديث أبي سعيد

## فضيلة المكتوبة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا \* ) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(١)</sup> « تَحْسُ صَلَوَاتُ كَتَبْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ وَلَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتَخَفَّاهُ بِحَقِّهِ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَبُهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٢)</sup> « مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمِثْلِ نَهْرِ عَذَابٍ تَغْمِرُ بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَقْتَحِمُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا تَرَوْنَ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ ؟ قَالُوا لَا شَيْءَ » ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تَذْهَبُ الذُّنُوبَ كَمَا يَذْهَبُ الْمَاءُ الدَّرَنَ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٣)</sup> « إِنْ الصَّلَوَاتِ كَفَّارَةٌ لِمَا يَنْهَنُ مَا أَجْتَنِبَتِ الْكِبَائِرُ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٤)</sup> « يَنْتَنُ وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَا يَسْتَطِيعُونَهَا » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٥)</sup> « مَنْ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ مُضَيِّعٌ لِلصَّلَاةِ لَمْ يَعْصِ اللَّهَ بِشَيْءٍ مِنْ حَسَنَاتِهِ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٦)</sup> « الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ » <sup>(٧)</sup> « وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَى الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : الصَّلَاةُ لِمَوَاقِيتِهَا » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٨)</sup> « مَنْ حَافِظٌ عَلَى الْخَمْسِ بِإِكْمَالِ طُحُورِهَا وَمَوَاقِيتِهَا

( ١ ) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث دن ه حب من حديث عادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر

( ٢ ) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولحماء نحوه من حديث أبي هريرة

( ٣ ) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما احتجبت الكبائر م من حديث أبي هريرة

( ٤ ) حديث بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسل

( ٥ ) حديث من لقي الله مضيعا للصلاة لم يعص الله بشيء من حسناته وفي معناه حديث أول ما يحاسب به

العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طبر في الأوسط من حديث أس

( ٦ ) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعفه من حديث عمر قال كعكرمة لم يسمع من

عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط انه غيره معروف

( ٧ ) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود

( ٨ ) حديث من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا - الحديث : أحمد حب

من حديث عبد الله بن عمرو

النساء : ٩٠٣



كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ صَيَّعَهَا خُسْرٌ مَعَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(١)</sup> « مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ الصَّلَاةُ » وَقَالَ : <sup>(٢)</sup> « مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا لَتَعَبَّدَ بِهِ مَلَائِكَتُهُ : فَهُمْ رَاكِعٌ وَمِنْهُمْ سَاجِدٌ وَمِنْهُمْ قَائِمٌ وَقَاعِدٌ »

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ ، أَى قَارِبَ أَنْ يَنْخَلَعَ عَنِ الْإِيمَانِ بِانْحِلَالِ عُرْوَتِهِ وَسُقُوطِ عِمَادِهِ ، كَمَا يَقَالُ لِمَنْ قَارِبَ الْبَلَدَةَ إِنَّهُ بَلْغَاهُ وَدَخَلَهَا . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٤)</sup> « مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ » وقال أبو هريرة رضى الله عنه : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَ يَعْمَدُ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَإِنَّهُ يَكْتُبُ لَهُ بِأَحَدَى خَطَوَتَيْهِ حَسَنَةً وَتُحْجَى عَنْهُ بِالْأُخْرَى سَيِّئَةٌ ، فَإِذَا سَمِعَ أَحَدَكُمْ الْإِقَامَةَ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَأَخَّرَ فَإِنَّ أَعْظَمَكُمْ أَجْرًا أَبْعَدَكُمْ دَارًا قَالُوا : لَمْ يَأْبَا هَرِيرَةٌ ؟ قَالَ : مَنْ أَجَلَ كَثْرَةَ الْخَطَا

وَيُرَوَّى « أَنَّ <sup>(٥)</sup> أَوَّلَ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ فَإِنْ وَجِدَتْ تَامَّةً قُبِلَتْ مِنْهُ وَسَارَتْ عَمَلُهُ وَإِنْ وَجِدَتْ نَاقِصَةً رُدَّتْ عَلَيْهِ وَسَارَتْ عَمَلُهُ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٦)</sup> « يَا أَبَا هَرِيرَةَ مَرَّ أَهْلُكَ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيكَ بِالرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ » وقال بعض العلماء : مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال ، وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة . وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول : إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ : قَوْمُوا إِلَى نَارِكُمْ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا فَأَطْفِئُوهَا

( ١ ) حديث منانح الحنة الصلاة د الطيالسى من حديث حابر وهو عبد الترمذى ولكن لسد دخلا فى روايه

( ٢ ) حديث ما افترض الله على خلفه بعد النوحيد شيئاً أحب اليه من الصلاة - الحديث : لم أحده هكذا

وآخر الحديث عند الطبرانى من حديث حابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر

( ٣ ) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبى الدرداء بإسناد فيه مقال

( ٤ ) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم : حم هق من حديث أم أيمن

بنحوه ورحاله ثقات

( ٥ ) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة - الحديث : رويناه فى الطيوريات من حديث أبى سعيد بإسناد ضعيف ولأصحاب السنن لا وصحح إسناده نحوه من حديث أبى هريرة وسأنى

( ٦ ) حديث بأبى هريرة مر أهلك بالصلاة قال الله يأتىك بالرزق من حيث لا تختبئ أم أقف له على أصل

## فضيلة إتمام الأركان

قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَثَلُ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ كَمَثَلِ الْمِيزَانِ مَنْ أَوْفَى اسْتَوْفَى »  
وقال <sup>(٢)</sup> يزيد الرقاشي : « كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَوِيَةً كَأَنَّهَا مَوْزُونَةٌ »  
وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « إِنَّ الرَّجُلَيْنِ مِنْ أُمَّتِي لَيَقُومَانِ إِلَى الصَّلَاةِ وَرُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا وَاحِدٌ وَإِنْ مَا بَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٤)</sup> « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْعَبْدِ لَا يَقِيمُ صَلَاتَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ »  
وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٥)</sup> « أَمَّا يَخَافُ الَّذِي يُحَوِّلُ وَجْهَهُ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يُحَوِّلَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَجْهَهُ حِمَارٍ ! » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٦)</sup> « مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَوْ قَتَلَهَا وَأَسْبَغَ وَضُوءَهَا وَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَخَشُوعَهَا عَرَجَتْ وَهِيَ بَيْضَاءُ مُسْفِرَةٌ تَقُولُ : حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي ، وَمَنْ صَلَّى لِغَيْرِ وَجْهِهَا وَلَمْ يُسْبِغْ وَضُوءَهَا وَلَمْ يُتِمِّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَلَا خَشُوعَهَا عَرَجَتْ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي حَتَّى إِذَا كَانَتْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ لَفَّتْ كَمَا يُلْفِ الثَّوْبُ الْخَلْقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٧)</sup> « أَسْوَأُ النَّاسِ سَرَقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ » وقال ابن مسعود رضى الله عنه وسلمان رضى الله عنه الصَّلَاةَ مَكِّيَالٌ فَمَنْ أَوْفَى اسْتَوْفَى ، وَمَنْ طَفَفَ فَقَدْ عِلِمَ مَا قَالَ اللَّهُ فِي الْمُطَفِّينَ

(١) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى : ابن مبارك في الزهد من حديث ابن الحسن

مرسلا وأسنده الصحيح في الشعب من حديث ابن عباس باسناد فيه جهالة

(٢) حديث يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كلها موزونة : ابن المبارك في

الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة وهو مرسى ضعيف

(٣) حديث أن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث : ابن المحبر في العقل

من حديث أبي أيوب الأنصاري بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن المحبر

(٤) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبي هريرة باسناد صحيح

(٥) حديث أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدي في عوالي

مشايخ مصر من حديث جابر ما يؤمنه إذا النفث في صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه

كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الاسناد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أما يخشى

الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله وجهه وجه حمار

(٦) حديث من صلى الصلاة لوقها فليسغ وضوؤها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرضت وهي بيضاء

مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني الحديث طبع في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف

والطياشي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه

(٧) حديث أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي قتادة

## فضيلة الجماعة

قال صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> « صلاة الجماعة تفضل صلاة ألفي سبع وعشرين درجة » وروى أبو هريرة « أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناساً في بعض الصلوات فقال <sup>(٢)</sup>: لقد هممت أن أمر رجلاً يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق يوتئهم » وفي رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأمر بهم فتحرق عليهم يوتئهم بحزيم الحطب ولو علم أحدكم أنه يجد عظماً سمياً أو مرماتين شهدها » يعني صلاة العشاء . وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعاً <sup>(٣)</sup> « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ، ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة » وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٤)</sup> « من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة »

وقال سعيد ابن المسيب: ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد . وقال محمد بن واسع: ما أشتى من الدنيا إلا ثلاثة: أخاً إنه إن تعوجت قومي ، وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة ، وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم فوما مرة فلما انصرف قال: مازال الشيطان بي آفاحتي أريت ان لي فضلا على غيري ، لا أؤم أبدا . وقال الحسن: لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء وقال النخعي: مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدرى زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم: فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده ، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أبهون عند الناس من مصيبة الدنيا

( ١ ) حديث صلاة الجماعة تفصل ألفي سبع وعشرين درجة منهق عليه من حديث ابن عمر

( ٢ ) حديث أبي هريرة لقد هممت أن أمر رجلاً يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه

( ٣ ) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف الليلة الحديث: م من حديثه مرفوعاً قال الترمذي وروى عن عثمان موقوفاً

( ٤ ) حديث من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعاً وإنما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من سمع المنادي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خيرا .  
وقال أبو هريرة رضي الله عنه : لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع  
النداء ثم لا يجب . وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له : إن الناس قد انصرفوا  
فقال : إيا الله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولايه العراق . وقال  
صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تقوته فيها تكبيرة  
الإحرام كتب الله له براءة تين براءة من النفاق ، وبراءة من النار »

ويقال : إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كاللكوكب الدرى : فتقول  
لهم الملائكة : ما كانت أعمالكم ؟ فيقولون : كنا إذا سمعنا الأذان قننا الى الطهارة لا يشغلنا  
غيرها ، ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال : كنا نتوصأ قبل الوقت ،  
ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون : كنا نسمع الأذان في المسجد . وروى أن السلف  
كانوا يعززون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ، ويعززون سبعا إذا فاتتهم الجماعة

## فضيلة السجود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود  
خفي » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه  
الله بها درجة وحط عنه بها سيئة » وروى <sup>(٤)</sup> « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقك في الجنة ، فقال صلى الله عليه

( ١ ) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تقوته تكبيرة الاحرام الحديث ت من حديث

أس ناسد رحاله نهات

( ٢ ) حديث ما قرب العبد الى الله بشيء أفضل من سجود حتى ابن المبارك في الزهد من حديث صمره

ابن حبيب مرسل

( ٣ ) حديث ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة ه من حديث عبادة

ابن الصامت ناسد صحيح ولمسلم نحوه من حديث يوبان وأبي النرداء

( ٤ ) حديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني

مراقفك في الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الاسلمي نحوه وهو الذي سأل ذلك

وسلم : أَعْنَى بِكَثْرَةِ السُّجُودِ « وَقِيلَ : (١) « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ سَاجِدًا » وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (سَيَأْتِيهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) فَقِيلَ هُوَ مَا يَلْصِقُ بِوُجُوهِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ عِنْدَ السُّجُودِ . وَفِيلَ هُوَ نُورُ الْخَشَوَعِ فَإِنَّهُ يَشْرُقُ مِنَ الْبَاطِنِ عَلَى الظَّاهِرِ وَهُوَ الْأَصْحَحُ . وَقِيلَ هِيَ الْغُرْرُ الَّتِي تَكُونُ فِي وَجُوهِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (٢) « إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي وَيَقُولُ : يَا وَيْلَاهُ أَمَرَ هَذَا بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأَمَرْتُ أَنَا بِالسُّجُودِ فَتَصَيَّتُ فَلِيَ النَّارُ » . وَيُرْوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَسْجُدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ سَجْدَةٍ ، وَكَانُوا يَسْمُونَهُ السَّجَّادَ . وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ لَا يَسْجُدُ إِلَّا عَلَى التُّرَابِ . وَكَانَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ يَقُولُ : يَامَعْشَرَ الشَّبَابِ بَادِرُوا بِالصَّحَّةِ قَبْلَ الْمَرَضِ فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ أَحْسَدَهُ إِلَّا رَجُلٌ يَتِمُّ رُكُوعَهُ وَسُجُودَهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ ذَلِكَ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ : مَا آسَى عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا عَلَى السُّجُودِ

وَقَالَ عَقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ : مَا مِنْ خَصْلَةٍ فِي الْعَبْدِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلٍ يُحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَا مِنْ سَاعَةٍ الْعَبْدُ فِيهَا أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ حَيْثُ يَخْرُ سَاجِدًا . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا سَجَدَ ، فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ ذَلِكَ

## فضيلة الخشوع

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) (وَقَالَ تَعَالَى : (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) (وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) (وَقِيلَ سَكَرَى مِنْ كَثَرَةِ الْهَمِّ ، وَقِيلَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا . وَقَالَ وَهْبٌ : الْمُرَادُ بِهِ ظَاهِرُهُ ، فَقِيهِ تَنْبِيهِ عَلَى سَكْرِ

(١) حَدِيثٌ أَنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ سَاجِدًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ

(٢) حَدِيثٌ إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي الْحَدِيثُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ١

﴿ العلق ١٩ ﴾ طه ١٤ ﴿ الأعراف ٢٠٥ ﴾ النساء ٤٣

الدنيا ، إذ بين فيه العلة فقال : ( حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ) وكَم من مصلٍّ لم يشرب خمرًا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُحْدِثْ نَفْسَهُ فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « إِنَّمَا الصَّلَاةُ تُمْكِنُ وَتَوَاضِعُ وَتَضَرُّعُ وَتَأَوُّدٌ وَتَنَادُّمٌ وَتَضَعُ يَدَيْكَ فَتَقُولُ اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهِيَ خِدَاجٌ » وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة أنه قال : ليس كل مصلٍّ أُنْقِلَ صلاته ، إنما

أقبل صلاة من تواضع لعظمته ولم يتكبر على عبادي ، وأطعم الفقير الجائع لوجهي  
وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « إِنَّمَا فُرِضَتِ الصَّلَاةُ وَأُمِرَ بِالْحَجِّ وَالطَّوَّافِ وَأُشْعِرَتِ الْمَنَاسِكُ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى » فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فاقية ذكرك . وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه <sup>(٤)</sup> « وَإِذَا صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةً مُودَّعٍ » أي مودع لنفسه ، مودع لهواه ، مودع لعمره ، سائر إلى مولاه ، كما قال عز وجل : ( يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُتْلَاقِيهِ \* ) وقال تعالى : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ \* ) وقال تعالى : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ \* )  
وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٥)</sup> « مَنْ لَمْ تَنْهَ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْهُ

( ١ ) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما به شيء من الدنيا عمره من دمه ابن أبي شيبة في الشعب من حديث صلة بن أشيم مرسل وهو في الصحيحين من حديث عثمان بن زياد في أوله دون قوله بنى . من الدنيا ورواد طس لا غير

( ٢ ) حديث إنما الصلاة تمكّن ودعاء وبضرع الحديث ت من نحوه من حديث الفضل بن عباس بناسد مصطرب

( ٣ ) حديث إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامته ذكر الله ت من حديث عائشة نحوه دون ذكر الصلاة قلت حسن صحيح

( ٤ ) حديث إذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجة من حديث أبي أيوب ولك من حديث سعد بن أبي وقاص وقل صحيح الاسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أس نحوه

( ٥ ) حديث من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا علي بن مبرّد في كتاب الطاعة والعصية من حديث الحسن مرسل بناسد صحيح ورواه طس واسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عباس بناسد لين والطبراني من قول ابن مسعود من لم يأمره صلاته بالنعروف ونهيه عن المنكر الحديث واسنده صحيح

مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْداً » والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة . وقال بكر بن عبد الله : بأبن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجان دخلت . قيل : وكيف ذلك ؟ قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجان . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> يُحَدِّثُنَا وَنُحَدِّثُهُ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ نَعْرِفْهُ » لاشتغالا لعظمة الله عز وجل

وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صَلَاةٍ لَا يُحْضِرُ الرَّجُلُ فِيهَا قَلْبَهُ مَعَ بَدَنِهِ » وكان ابراهيم الخليل إذا فام إلى الصلاة يُسمع وَجِيبُ قَلْبِهِ عَلَى مِيلَيْنِ . وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته . « وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> رَجُلًا يَعْثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا تَلَخَّشَتْ جَوَارِحُهُ » ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعبت بالحصى ويقول : اللهم زوجني الحور العين . فقال : بأس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبت بالحصى ! وقيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها ؟ قال : لأعود نفسي شيئا يفسد على صلاتي . قيل له :

( ١ ) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرته الصلاة كانه لم يعرفنا ولم نعرفه الازدى في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلًا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع الادان كانه لا يعرف أحدا من الناس

( ٢ ) حديث لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أوى دهرش مرسلًا لا يقبل الله من عد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب واسناده ضعيف

( ٣ ) حديث رأى رجلا يعبت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا تلخشت جوارحه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والمعروف انه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يعم

وكيف تصبر على ذلك؟ قال بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك للنبابة

ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله: تحدثوا أتم فاني لست أسمعكم. ويروى عنه أنه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة. وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه. ف قيل له: مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت أمانة عرّضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها. ويروى عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟

ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال داود صلى الله عليه وسلم في مناجاته: إلهي من يسكن بيتك ومن تتقبل الصلاة؟ فأوحى الله إليه: باداود إنما يسكن بيتي وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتي، وفتح نهاره بذكرى، وكف نفسه عن الشهوات من أجلي، يطعم الجائع، ويؤوى الغريب، ويرحم المصاب، فذلك الذي بضئ نوره في السموات كالشمس، إن دعائي لبيته، وإن سألني أعطيته، أجعل له في الجهل حاما، وفي الغفلة ذكرا، وفي الظلمة نورا، وأنا مثله في الناس كالفرديوس في أعلى الجنان لا تيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها

ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال: إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأفعد فيه حتى تجتمع جوارحي؛ ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل السكبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورأى أظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيرا بتحقيق، وأقرأ فراءة بترتيل، وأركع ركوعا بتواضع، وأسجد سجودا بتخشع، وأقعد على الورك الأيسر، وأفرش ظهر قدميها وأنصب القدم اليمنى على الإبهام، وأتبعها الأخلاص، ثم لا أدري أبلت مني أم لا. وقال ابن عباس رضى الله عنهما: ركعتان مقتصدتان في تفكر خبر من قيام ليلة والقلب ساه



## فضيلة المسجد وموضع الصلاة

قال الله عز وجل : ( إِنَّمَا يَعْزُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَفْخِصِ قِطَاةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « مَنْ أَلْفَ الْمَسْجِدَ أَلْفَهُ اللَّهُ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٤)</sup> « لَا صَلَاةَ لِحَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٥)</sup> « الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُسَلِّي فِيهِ ، تَقُولُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، مَا لَمْ يُحْدِثْ أَوْ يُخْرِجْ مِنَ الْمَسْجِدِ »

وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٦)</sup> « يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ الْمَسَاجِدَ فَيَقْعُدُونَ فِيهَا حِلَقًا حِلَقًا ذَكَرُوهُمُ الدُّنْيَا وَحُبُّ الدُّنْيَا ، لَا تَجَاسُوهُمْ فَلَيْسَ اللَّهُ بِهِمْ حَاجَةً » وقال صلى الله عليه وسلم : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : <sup>(٧)</sup> إِنْ يَبُوءُ فِي أَرْضِي الْمَسَاجِدُ ، وَإِنْ زُوَارِي فِيهَا عُمَارُهَا ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ تَطَهَّرَ فِي يَتْبَعُهُمْ رَأْرَانِي فِي يَتْبَعُهُمْ ، فَخَقُّ

( ١ ) حديث من بنى لله مسجداً ولو مثل منصف قطاة الحديث هـ من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان

من حديث أبي در وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل منصف قطاة

( ٢ ) حديث من ألف المسجد ألفه الله تعالى طب في الأوسط من حديث أبي سعيد بسند ضعيف

( ٣ ) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس : متفق عليه من حديث أبي فائدة

( ٤ ) حديث لا صلاة لحار المسجد إلا في المسجد : الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة باسنادين ضعيفين

وك من حديث أبي هريرة

( ٥ ) حديث الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه - الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

( ٦ ) حديث يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيفقدون فيها حلقاً حلقاً ذكرهم الدنيا

الحديث : ابن حبان من حديث ابن مسعود وك من حديث أنس وقال صحيح الأسناد

( ٧ ) حديث قل الله تعالى : ان يبوء في أرضي المساجد وان زوارى فيها عمارها - الحديث : أبو نعيم

من حديث أبي سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل : يوم القيامة أين جيرانى فيقول

الملائكة من هذا الذي ينبغي له أن يحاورك فيقول أين قراء القرآن وعمار المساجد ؟ وهو في

الشعب نحوه . ووقفاً على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح وأسناد ابن حبان

في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه

عَلَى الزُّوْرِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرُهُ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(١)</sup> « إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَقَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ » . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ : مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّمَا يَجَالِسُ رَبَّهُ فَمَا حَقُّهُ أَنْ يَقُولَ إِلَّا خَيْرًا . وَيُرْوَى فِي الْأَثَرِ أَوْ الْخَبَرِ <sup>(٢)</sup> « الْحَدِيثُ فِي الْمَسْجِدِ يَا كُلُّ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ الْبَهَائِمُ الْحَشِيشَ » .

وقال النخعي : كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة . وقال أنس بن مالك : من أسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوؤه . وقال علي كرم الله وجهه : إذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ، ثم فرأى ( فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ) وقال ابن عباس : نبكى عليه الأرض أربعين صباحا . وقال عطاء الخراساني : ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت . وقال أنس بن مالك : ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين ، وما من عبد يقوم يصلي إلا ترخرفت له الأرض ويقال : ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم

## الباب الثاني

في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله

ينبغي للمصلي إذا فرغ من الوضوء ، والطهارة من الخبث في البدن والمكان والثياب ، وستر العورة من السرة إلى الركبة ، أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ، ويرواح بين قدميه

( ١ ) حدث إذا رأيتم الرجل يعاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان وحسه وهوك وصححه من حدث

أبي سعيد

( ٢ ) حديث الحديث في المسجد يا كل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش : لم أفد له على أصل

ولا يضمهما ، فإن ذلك مما كان يسندل به على فنه الرجل . وقد « هبى على الله عليه وسلم »<sup>(١)</sup>  
الصفن والصفند في الصلاة ، والصفند : هو اقتران القدمين معا ، ومنه قوله تعالى (مُتَقَرِّنِينَ  
فِي الْأَصْفَادِ) . والصفن : هو رفع إحدى الرجلين ، ومنه قوله عز وجل : ( الصَّافَّاتُ  
الْجِيَادُ ) هذا ما يراعيه في رجليه عند القيام

ويراعى في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب . وأما رأسه إن شاء تركه على استواء  
القيام ، وإن شاء أطرق ، والإطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر ، وليكن بصره محصوراً  
على معصاه الذي يصلى عليه ، فإن لم يكن له مصلى فليقرّب من جدار الحائط أو يخط  
خطاً ، فإن ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرّق الفكر ، ويجبر على بصره أن يجاوز  
أطراف المعلى وحدود الخط ، وليدم على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات .  
هذا أدب القيام

فاذا استوى قيامه واستقبله وإطراقه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا به من  
الشیطان ، ثم ليأت بالاقامة ، وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولاً ثم ليحضر  
النية ، وهو أن ينوي في الظهر مثلاً ويقول بقلبه : أودى فريضة الظهر لله ، ليميزها بقوله  
أودى عن القضاء ، وبالفريضة عن النفل ، وبالظهر عن العصر وغيره ، ولتكن معاني هذه  
الألفاظ حاضرة في قلبه فإنه هو النية ، والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ، ويجهّد أن  
يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يعزب

فاذا حضر في قلبه ذلك<sup>(٢)</sup> فَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ إِلَى حَذْوِ مَنْكِبَيْهِ بَعْدَ إِسْأَلِهَا بِمَحَاضٍ

### ﴿ الباب الثاني ﴾

(١) حديث النهى عن الصفن والصفند في الصلاة : عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وإنما  
ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير في النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلاً  
صافاً أو صافناً قدميه فقال أخطأ هذا السنة

(٢) حديث رفع اليدين إلى حذو المنكبين وورد إلى شعبة أذنيه وورد إلى رموس أذنيه : منفق عليه من  
حديث ابن عمر باللفظ الأول وود من حديث وائل بن حجر بإسناد ضعيف إلى شعبة أذنيه  
ومسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه

بكفيه منكبيه ، وبإبهاميه شحمتى أذنيه ، وبرعوس أصابعه رعوس أذنيه ، ليكون جامعاً بين الأخبار الواردة فيه ، ويكون مقبلاً بكفيه وإبهاميه إلى القبلة ، ويبسط الأصابع ولا يقبضها ، ولا يتكلف فيها تفريجاً ولا ضمّاً ، بل يتركها على مقتضى طبعها ، إذ نقل في الأثر النشْرُ والضمُّ<sup>(١)</sup> وهذا بينهما ، فهو أولى

وإذا استقرت اليدين في مقرهما ابتداء التكبير مع إرسالهما وإحضار النية . ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ، ويضع اليمنى على اليسرى إكراماً لليمنى : بأن تكون محمولة ، وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ، ويقبض بالإبهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى . وقد روى<sup>(٢)</sup> أَنَّ التَّكْبِيرَ مَعَ رَفْعِ اليَدَيْنِ وَمَعَ<sup>(٣)</sup> اسْتِقْرَارِهِمَا وَمَعَ الْإِرْسَالِ<sup>(٤)</sup> فكل ذلك لا حرج فيه ، وأراه بالارسال أليق ، فانه كلمة المقصد ، ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة المقصد ، ومبدؤه الارسال وآخره الوضع . ومبدأ التكبير الألف وآخره الراء ، فيليق مراعاة النطاق بين الفعل والمقد . وأما رفع اليد فكلما مقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغي أن يرفع يديه إلى قدام رفاً عند التكبير ولا يردّها إلى خلف منكبيه ، ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفصاً إذا فرغ من التكبير ، ويرسلهما إرسالاً خفيفاً رفيقاً ، ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال . وفي بعض الروايات « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٥)</sup> كَانَ إِذَا كَبَّرَ أَرْسَلَ يَدَيْهِ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ وَضَعَ

(١) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح ونقل ضماها وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقي

لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجد التصريح بضم الأصابع

(٢) حديث التكبير مع رفع اليدين : البخارى من حديث ابن عمر : كان يرفع يديه حين يكبر ، ولأبى داود من حديث وائل يرفع يديه مع التكبير

(٣) حديث التكبير مع استقرار اليدين أي مرفوعتين : مسلم من حديث ابن عمر : كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر زاد دونهما كذلك

(٤) حديث التكبير مع ارسال اليدين د من حديث أبى حميد : كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بها منكبيه ثم كبر حتى يفر كل عظم في موضعه معندلاً ، قال ابن الصلاح في المشكل فكلمة حتى إلى هي للغاية تدل بالمعنى على ما ذكره أى من ابتداء التكبير مع الارسال

(٥) حديث كان إذا كبر أرسل يديه فإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى : الطبرانى من حديث معاذ بإسناد ضعيف

أَتَيْتَنِي عَلَى الْيَسْرَى « فإن صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فيأبغى أن يضم الهاء من قوله : الله ، ضمة خفيفة من غير مبالغة ، ولا يدخل بين الهاء والألف سبه الواو ، وذلك ينساق إليه بالمبالغة ، ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا كأنه يقول أكبر ، ويخزم راء التكبير ولا ينفذه ها . فهذه هيئة التكبير وما معه القراءة :

ثم يتبدى بدعاء الاستفتاح . وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر <sup>(١)</sup> « الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا <sup>(٢)</sup> وجهت وجهي إلى قوله : وأنا من المسلمين » ثم يقول : <sup>(٣)</sup> « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَجَلَّ ثَنُوكُ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الأخبار . وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للإمام سكتة طويلة يقرأ فيها . ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ثم يقرأ الفاتحة ، يتبدى فيها بسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ، ويحتهد في الفرق بين الضاد والطاء ، ويقول : آمين في آخر الفاتحة ، ويمدها مداً ، ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلاً ، ويجهر بالقراءة في الصباح والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأموماً ، ويجهر بالتأمين . ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ، ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله : سبحان الله ، ويقرأ في الصباح من السور الطوال من المفصل ، وفي المغرب من قصاره ، وفي الظهر والعصر والعشاء نحو : والسماء ذات البروج وما قاربها ، وفي الصباح في السفر : قل

( ١ ) حديث أنه يقول بعد قوله الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا : م من

حديث ابن عمر قال بينا نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أدفأ رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث وده من حديث جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث

( ٢ ) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهي الحديث : م من حديث علي

( ٣ ) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا ذلك وصححه من حديث عائشة وضعفه

تقط ورواه م موقوفاً على عمر وعبد الله من حديث جابر الجمع بين وجهت وبين سبحانك اللهم

يأبى الكافرون. ومن هو الله أحد. وكذلك في كُتبي المجر والطواف والدحية، وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا في أول الصلاة

### الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعى فيه أموراً، وهو أن يكبر للركوع، وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع، وأن يمد التكبير مداً إلى الانتهاء إلى الركوع، وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق، وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما، وأن يمد ظهره مستويا، وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفحة الواحدة، لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع، وأن يحافى مرققيه عن جنبه، وتضم المرأة مرققها إلى جنبها، وأن يقول: سبحان ربّي العظيم ثلاثاً، والزيادة إلى السبعة وإلى العشر حسن إن لم يكن إماماً، ثم يرتفع من الركوع إلى القيام، ويرفع يديه ويقول: سمع الله من حمده، ويطمئن في الاعتدال ويقول: ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التسبيح والكسوف والصبح<sup>(١)</sup>

«وَبَقِيتُ فِي الصُّبْحِ» في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود

### السجود

ثم يهوى إلى السجود مكبراً، فيضع ركبتيه على الأرض، ويضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة، ويكبر عند الهوى، ولا يرفع يديه في غير الركوع. وينبغي أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركبته، وأن يضع بعدهما يديه، ثم يضع بعدهما وجهه، وأن يضع اجبته وأنفه على الأرض، وأن يحافى مرققيه عن جنبه، ولا تفعل المرأة ذلك، وأن يفرج بين رجليه، ولا تفعل المرأة ذلك، وأن يكون في سجوده مخويا على الأرض، ولا تكون المرأة مخوية، والتخوية: رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين، وأن

(١) حديث الفوت في الصبح بالكلمات المأثورة: هو من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم

يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت - الحديث د

وحسنه ون من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم هؤلاء الكلمات يقولهن

في الوتر. وإسناده صحيح

يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ، ولا يخرج يديه أصابعاً بل يتركها وادعاً ثم يركع اليها ، وإن لم يضم الإبهام فلا بأس<sup>(١)</sup> ولا يفتري ذراعيه على الأرض كما يفتري الكلب فإنه منهى عنه ، وأن يقول : سبحان ربى الأعلى ثلاثاً ، فإن زاد فحسن إلا أن يكون إماماً ثم يرفع من السجود فيطمئن جالساً معتدلاً ، ويرفع رأسه مكبراً ويجلس على رجله اليسرى ، وينصب قدمه اليمنى ، ويضع يديه على فخذه والأصابع منتبذة ولا يتكلم في ضمها ولا تفرجها ، ويقول : رب اغفر لى وارحمى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافى واغف عنى . ولا يطول هذه الجلسة إلا في سجود التسبيح ، وبأق بالسجدة الثانية كذلك ، ويستوى منها جالساً جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقيبها ، ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ، ولا يقدم إحدى رجله في حال الارتفاع ، ويد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام ، بحيث تكون المضاء من قوله : الله ، عند استوائه جالساً ، وكاف أكبر عند اعتماده على اليد للقيام ، وراء أكبر في وسط ارتفاعه إلى القيام ، ويتدى في وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ، ولا يخلو عنه إلا طرفاه ، وهو أقرب إلى التعميم ، ويصلى الركعة الثانية كالأولى ، ويعيد التعود كالأتداء

### التشهد

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الأول ، ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ، ويقبض أصابعه اليمنى إلا المسبحة ، ولا بأس بارسال الإبهام أيضاً ، ويشير بمسبحة يمينه وحدها عند قوله : إلا الله ، لا عند قوله : لا إله ، ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدين ، وفي التشهد الأخير يستكمل<sup>(٢)</sup> الدعاء المأثور بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وسننه كسنة التشهد الأول ،

(١) حديث النهسى عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب : متفق عليه من حديث أنس

(٢) حديث الدعاء المأثور بعد التشهد م من حديث على في دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر ما يقول

بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لى ما قدمت - الحديث . وفي الصحيحين من حديث عائشة إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع : من عذاب جهنم - الحديث . وفي الباب غير ذلك جميعها في الأصل

لكن يخاف في الأخير على ورثة الأيسر ، لأنه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ، ويضع رجلاه اليسرى خارجة من تحته ، وينصب اليمنى ، ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه ، ثم يقول : السلام عليكم ورحمة الله ، ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليمنى ، ولتفت شمالا كذلك ، ويسلم تسليمة ثانية ، وينوى الخروج من الصلاة بالسلام ، وينوى بالسلام من على يمينه من الملائكة والمسلمين في الأولى . وينوى مثل ذلك في الثانية <sup>(١)</sup> ويجزم التسليم ولا يعده مدا ، فهو السنة . وهذه هيئة صلاة المنفرد . ويرفع صوته بالتكبيرات ، ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوى الإمام الإمامة لينال الفضل ، فإن لم ينو صحت صلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ، ونالوا فضل الجماعة . ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد . ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأولي العشاء والمغرب ، وكذلك المنفرد . ويجهر بقوله : آمين في الصلاة الجهرية ، وكذلك المأموم ، ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معا لاتعقبا ، ويسكت الإمام سكتة عقب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ، ويقرأ المأموم الفاتحة في الجهرية في هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام ، ولا يقرأ المأموم السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع صوت الإمام ، ويقول الإمام : سمع الله لمن حمده ، عند رفع رأسه من الركوع . وكذا المأموم ، ولا يزيد الإمام على الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود ، ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ، ولا يطول على القوم ، ولا يزيد على دعائه في التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينوى عند السلام السلام على القوم والملائكة ، وينوى القوم بتسليمهم جوابه . ويثبت الإمام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ، ويقبل على الناس بوجهه . والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجل نساء لينصرفن قبله ، ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم ، وينصرف الإمام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلى ، ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح بل يقول : اللهم اهدنا ، ويجهر به ويؤمن القوم ، ويرفعون أيديهم حذاء الصدور ، ويمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه ، وإلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما في آخر التشهد

(١) حديث جزم السلام سنة : د ت من حديث إبي هريرة وقال حسن صحيح وضعفه ابن القطان



## المنهيات

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصنفين في الصلاة والسفد وقد ذكرناهما ، وعن الإقفاء<sup>(١)</sup> ، وعن السدل<sup>(٢)</sup> والكف<sup>(٣)</sup> ، وعن الاختصار<sup>(٤)</sup> وعن الصلب<sup>(٥)</sup> وعن المواصلة<sup>(٦)</sup> وعن صلاة الحاقن<sup>(٧)</sup> والحاف<sup>(٨)</sup> والحاذق<sup>(٩)</sup> وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم<sup>(١٠)</sup> وهوستر الوجه .

- ( ١ ) حديث النهي عن الإقفاء . ت ه من حديث علي بن سند ضعف لا يقع بين السجدين و م من حديث عائشة كان ينهى عن عقبة الشيطان و ك من حديث حمزة وصححه بهي بن الأفعاء
- ( ٢ ) حديث النهي عن السدل في الصلاة . د ب ك وصححه من حديث أبي هريرة
- ( ٣ ) حديث النهي عن الكفت في الصلاة . منفق عنه من حديث ابن عباس أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكفت شعرا ولا ثوبا .
- ( ٤ ) حديث النهي عن الاختصار . د ك وصححه من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصبى الرجل عنصرا
- ( ٥ ) حديث النهي عن الصلب في الصلاة . د ن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح
- ( ٦ ) حديث النهي عن المواصلة . عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده وقد فسره الغزالي بوصل القراءة بالتكسر ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى د ت وحسنه وابن ماجه من حديث حمزة سكنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في صلاته فإذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة اسكانه الحديث
- ( ٧ ) حديث النهي عن صلاة الحاقن . ه و قط من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن و د من حديث أبي هريرة لا يعمل لرحن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلى وهو حاقن وله و ت وحسنه نحوه من حديث ثوبان و م من حديث عائشة لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان
- ( ٨ ) حديث النهي عن صلاة الحاف . لم أجده بهذا اللفظ وفسره الصنف تبعاً للأزهري بمدافعة الغائط وفيه حديث عائشة الذي قبل هذا
- ( ٩ ) حديث النهي عن صلاة الحاذق . عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده والذي ذكره أصحاب القريب حديث لا رأى لحاذق وهو صاحب الحف الضيق
- ( ١٠ ) حديث النهي عن التلثم في الصلاة . د ه من حديث أبي هريرة بسند حسن نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة رواه الحاكم وصححه قال الخطابي هو التلثم على الأفواه

الأرض كالكتاب . وعند أهل الحديث : أن يمس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رموس أصابع الرجلين والركبتين

وأما السدل . فذهب أهل الحديث فيه : أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك . وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم ، والقيص في معناه ، فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويده في بدن القميص . وقيل معناه : أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والأول أقرب وأما الكف . فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود ، وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره ، والنهي للرجال . وفي الحديث <sup>(١)</sup> « أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ وَلَا أَكْفُ شَعْرًا وَلَا ثَوْبًا » وكره أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكف

وأما الاختصار . فإن يضع يديه على خاصرتيه

وأما الصلب . فإن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويحافى بين عضديه في القيام

وأما المواصله فهي خمسة ، اثنان على الإمام : أن لا يصل قراءته بتكبيره الإحرام ، ولا ركوعه بقراءته ؛ واثنان على المأموم : أن يصل تكبيره الإحرام بتكبيره الإمام ، ولا تسليمه بتسليمه ؛ وواحدة بينهما : أن لا يصل تسليمه الفرض بالتسليمه الثانية ، ويفصل بينهما

وأما الحاقن : فن البول ، والحاقب : من الغائط ، والحاذق : صاحب الخف الضيق ؛ فإن كل ذلك يمنع من الخشوع ، وفي معناه الجائع والمهتم ، وفهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « إِذَا حَضَرَ الْعِشَاءُ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَأَبْدُوا بِالْعِشَاءِ » إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب . وفي الخبر <sup>(٣)</sup> « لَا يَدْخُلَنَّ أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ وَهُوَ مُقَطَّبٌ وَلَا

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا . متفق عليه من حديث ابن عباس

(٢) حديث إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء . متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة

(٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب وهو غضبان لم أجده

يصلين أحدكم وهو غصبان . وقال الحسن . كل ما أتته لأجبره . فأتى بها إلى العقوبة أسرع . وفي الحديث <sup>(١)</sup> «سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان : الرعاف والنماس ، والنماسة . والتشاؤب . والحكاك والالتفات والغبث بالشيء» . وزاد بعضهم السهو والشك . وقال بعض السلف : أربعة في الصلاة من الجفاء : الالتفات ، ومسح الوجه ، وتسوية الحصى وأن تصلى بطريق من يرب بين يديك ، ونهى أيضاً عن أن يشبك أصابعه <sup>(٢)</sup> أو يفرقع أصابعه <sup>(٣)</sup> أو يستر وجهه <sup>(٤)</sup> أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين تخديه <sup>(٥)</sup> في الركوع . وقال بعض الصحابة رضى الله عنهم : كنا نفعل ذلك فنهينا عنه . ويكره أيضاً أن ينفخ في الأرض عند السجود للتنظيف ، وأن يسوى الحصى بيده فإنها أفعال مستغنى عنها ، ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على تخذه ، ولا يستند في قيامه إلى حائطه ، فإن استند بحيث لو سئل ذلك الحائط لسقط فلا يظهر بطلان صلاته . والله أعلم

١ (١) حديث سبعة أشياء من الشيطان في الصلاة الرعاف والنماس والنماسة والتشاؤب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك . ت من رواية عدى بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنماس والتشاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبي العاص بإسناد الله أن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي والحديث والبخاري من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة هو إخلال بخله الشيطان من صلاة أحدكم وللشيطان من حديث أبي هريرة التشاؤب من حديث الشيطان ولها من حديث أبي هريرة أن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدري كم صلى

٢ (٢) حديث النهي عن تشبيك الأصابع . أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وحدثه حبه نحوه من حديث كعب بن عجرة

٣ (٣) حديث النهي عن تقطيع الأصابع في الصلاة . ه من حديث علي بن مسعود ضعيف لا يفتق أصابعك في الصلاة

٤ (٤) حديث النهي عن ستر الوجه . دهك وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة قد تقدم

٥ (٥) حديث النهي عن التطبيق في الركوع . متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا نعلمه فنهينا عنه وأمرنا أن نضع الأيدي على الركب

## تمييز الفرائض والسنن

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيآت مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها

فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة : النية ، والتكبير ، والقيام ، والفاتحة ، والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه ، مع الطمأنينة ، والاعتدال عنه قائماً ، والسجود مع الطمأنينة ، ولا يجب وضع اليدين ، والاعتدال عنه قاعداً ، والجلوس للشهد الأخير ، والشهد الأخير ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والسلام الأول ، فأما في الخروج فلا تجب . وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيآت فيها وفي الفرائض

أما السنن فمن الأفعال أربعة . رفع اليدين في تكبيرة الاحرام ، وعند الهوى إلى الركوع ، وعند الارتفاع إلى القيام ، والجلسة للشهد الأول ، فأما ما ذكرناه من كيفية نشر الأصابع وحد رفعها فهي هيآت تامة لهذه السنة ، والنورك ، والاقتراش هيآت تابعة للجلسة ، والاطراق : وترك الالتفات هيآت للقيام وتحسين صورته ، وجلسة الاستراحة لم نعدّها من أصول السنة في الأفعال لأنها كالحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها ، ولذلك لم نقردها بذكر

وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ، ثم التعمد ، ثم قوله آمين فإنه سنة مؤكدة ، ثم قراءة السورة ، ثم تكبيرات الانتقال ، ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ، ثم الشهد الأول ، والصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم الدعاء في آخر الشهد الأخير ، ثم التسليمة الثانية ، وهذه وإن جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو

وأما من الأفعال فواحدة وهي الجلسة الأولى للشهد الأوّل فإنها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا ، بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر في تغيير النظم ، فغير عن ذلك ببعض . وقيل الإجماع تجبر بالسجود

وأما الأذكار، فكما لا تقتضى سجود السهو إلا ثلاثة : الفوت ، والشهد الأول ،  
والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع  
والسجود والاعتدال عنهما ، لأن الركوع والسجود في صورتها مخالفان للعادة ويحصل  
بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقالات ، فعدم تلك الأذكار  
لا تغير صورة العبادة

وأما الجلسة للشهد الأول ففعل متادوما زيدت إلا للشهد ، فتركها ظاهر التأثير .  
وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركها لا يؤثر مع أن القيام صار معموراً بالفاتحة ومميزاً عن  
العادة بها . وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ، ولكن شرع  
مدة الاعتدال في الصبح لأجله ، فكان كمد جلسة الاستراحة ، إذ صارت بالمد مع التشهد  
جلسة للشهد الأول فبقى هذا قياماً ممدوداً معتاداً ليس فيه ذكر واجب ، وفي الممدود  
احتراز عن غير الصبح ، وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة  
فإن قلت : تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تقوت الصحة بفوت الفرض دون  
السنة ويتوجه العقاب به دونها ، فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأثور به على سبيل  
الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه ؟

فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما . ولنكشف  
ذلك لك بمثال ، وهو : أن الإنسان لا يكون إنساناً موجوداً كاملاً إلا بمبنى باطن وأعضاء  
ظاهرة ، فالمبنى الباطن هو الحياة والروح ، والظاهر أجسام أعضائه ، ثم بعض تلك  
الأعضاء ينعدم الإنسان بدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تقوت الحياة بفواته ،  
وبعضها لا تقوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان ،  
وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية  
والأهداب وحسن اللون ، وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين  
وسواد شعر اللحية والأهداب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في  
اللون . فهذه درجات متفاوتة . فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبداً باكتسابها .

فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة، فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والكبد، إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها، والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء، ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموماً غير مرغوب فيه، فكذلك من اقتصر على أقل ما يجري من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبداً حياً مقطوع الأطراف وأما الهيئات وهي ما وراء السنن فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين والحية والأهداب وحسن اللون

وأما وظائف الأذكار في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها، فالصلاة عندك قرينة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين إليهم، وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم تزد عليك يوم العرض الأكبر، فإليك الخيرة في تحسين صورتها وتقييحها، فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فعليها، ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتركها، فإن ذلك يضاهي قول الطبيب: إن فقء العين لا يبطل وجود الإنسان ولكن يخرجها عن أن يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية، فهكذا ينبغي أن تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب، فكل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهي الخضم الأول على صاحبها، تقول ضيمك الله كما ضيعتني. فطالع الاخبار التي أوردناها في كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها.

## الباب الثالث

### في الشروط الباطنة من أعمال القلب

ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ، ثم نذكر المعاني الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ، ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزيد الآخرة

## بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة ، فمن ذلك قوله تعالى ( أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي \* ) وظاهر الأمر الوجوب ، والغفلة تضاد الذكر ، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقبلاً للصلاة لذكره ، وقوله تعالى ( وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ \* ) نهى ، وظاهره التحريم . وقوله عز وجل : ( حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ \* ) تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا . وقوله صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا الصَّلَاةُ تَمْسُكُنْ وَتَوَاضِعُ » حصر بالالف واللام ، وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد ، وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام « إِنَّمَا الشُّعْطَةُ فِيمَا لَمْ يُقَسِّمُ » الحصر والاثبات والنفي . وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا » وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « كَمْ مِنْ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صَلَاتِهِ التَّعَبُ وَالنَّصَبُ » وما أراد به إلا الغافل . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا »

### ﴿ الباب الثالث ﴾

( ١ ) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب . ن هـ من حديث أبي هريرة رب قائم ليس له من أيامه إلا السهر ولأحمد رب قائم حظه من صلاته السهر واسناده حسن

( ٢ ) حديث ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل . أخرجه مرفوعاً وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسل لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مستند الفردوس من حديث أبي بن كعب ولا بن المبارك في الزهد موقوفاً على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سهى عنه

والتحقيق فيه أن المصلى <sup>(١)</sup> مُنَاجٍ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كما ورد به الخبر ، والكلام مع الغفلة ليس بمنجاة ألبتة . وبيانها : أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذى هو آلة للشيطان عدو الله ، فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة . وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة ، وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام ، كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن . أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود . فأما الذكر فإنه محاورة ومنجاة مع الله عز وجل ، فأما أن يكون المقصود منه كونه خطاباً ومحاورة ، أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحاناً للسان بالعمل ، كما تمتحن المعدة والفرج بالإمسالك في الصوم ، وكما تمتحن البدن بمشاق الحج ، ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق . ولا شك أن هذا القسم باطل ، فإن تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الناقل ، فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل ، بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ، ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب عما في الضمير ، ولا يكون معرباً إلا بحضور القلب . فأى سؤال فى قوله : ( اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* ) إذا كان القلب غافلاً ، وإذا لم يقصد كونه تضرعاً ودعاءً فأى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة ، لا سيما بعد الاعتياد هذا حكيم الأذكار

بل أقول : لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ، ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم ، لم يبر فى يمينه ، ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً فى يمينه ، إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً معه ما لم يكن هو حاضراً فى قلبه ، فلو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه فى بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه ، لم يصير باراً فى يمينه ، ولا شك فى أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء ، والمخاطب هو الله عز وجل ، وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده ، بل هو غافل عن المخاطب

( ١ ) حديث الصلى يناجى ربه متفق عليه من حديث أنس



ولسانه يتحرك بحكم المادة، فإبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتسقيط القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به : هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها فى النطق وتميزها عن الفعل

وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا، ولو جاز أن يكون معظم الله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه، وإذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس، وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين والفصل بين الكفر والإسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات، ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص

وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة، فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره، بل الضحايا والقرايين التى هى مجاهدة للنفس بتقيص المال، قال الله تعالى : ( لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَافُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ \* ) أى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هى المطلوبة، فكيف الأمر فى الصلاة ولأرب فى أفعالها ؟ فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب

فإن قلت : إن حكمت ببطالان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها خالفت إجماع الفقهاء : فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير

فاعلم أنه قد تقدم فى كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا فى طريق الآخرة، بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح، وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان، فأما أنه ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه . على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع، فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكى عن سفيان الثورى أنه قال : من لم يخشع فسدت صلاته . وروى

عن الحسن أنه قال : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع . وعن معاذ ابن جبل : من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أيضاً مسنداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ لَا يُكْتَبُ لَهُ سُدُسُهَا وَلَا عَشْرُهَا وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقَلَ مِنْهَا » وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به . وقال عبد الواحد بن زيد : أجمت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها . فجعله إجماعا . وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى . والحق الرجوع إلى أدلة الشرع ، والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط ، إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق ، فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة ، فإن ذلك يمجز عنه كل البشر إلا الأقلين . وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له ، إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة ، وأولى اللحظات به لحظة التكبير ، فاقصرنا على التكليف بذلك

ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية ، فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهراً وأحضر القلب لحظة ، وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ، ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة . وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطرأ في نفسه فأليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ، ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة ، فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه . ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ، ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع

(١) حديث أن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها الحديث دن حب من حديث عمار

فلنقتصر على هذا القدر من البحث ، فإن فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة  
وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن

وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة ، وأن أقل ما يبقى به رفق الروح  
الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك ، وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء  
الصلاة ، وكل من حى لا حراك به قريب من ميت . فصلاة الغافل في جميعها إلا عند  
التكبير كمثل حى لا حراك به . نسأل الله حسن العون

### بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة

اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ، ولكن يجمعها ست جمل ، وهى : حضور  
القلب ، والتفهم ، والتعظيم ، والهيبة ، والرجاء ، والحياء . فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم  
العلاج فى اكتسابها

أما التفاصيل فالأول حضور القلب ، ونعنى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس  
له ومتكلم به ، فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ، ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما  
ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان فى قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن  
كل شىء فقد حصل حضور القلب ، ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب ،  
فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ ، فاشتمال القلب على  
العلم بمعنى اللفظ هو الذى أردناه بالتفهم . وهذا مقام يتفاوت الناس فيه ، إذ ليس يشترك  
الناس فى تفهم المعانى للقرءان والتسبيحات . وكل من معان لطيفة يفهمها المصلى فى أثناء  
الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله . ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن  
الفحشاء والمنكر ، فإنها تفهم أموراً تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة

وأما التعظيم : فهو أمر وراء حضور القلب والفهم ، إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو  
حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظماً له ، فالتعظيم زائد عليهما  
وأما الهيبة : فزائدة على التعظيم ، بل هى عبارة عن خوف منشؤه التعظيم ، لأن من  
لا يخاف لا يسمى هائباً ، والخافة من المقرب وسوء خلق العبد وما يجرى مجراه من

من الأسباب الخسيسة لا نسمى مهابة ، بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة ، والهبة خوف مصدرها الاجلال

وأما الرجاء : فلا شك أنه زائد ، فكلم من معظم ملاك من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته ، والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل ، كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل

وأما الحياء : فهو زائد على الجملة ، لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ، ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب

وأما أسباب هذه المعاني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة ، فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهيمك ، ومهما أهيك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى ، فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه ، والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا ، فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة ، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها ، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى ، وأن الصلاة وسيلة إليها ، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهما تها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة ، وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك ، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظن أن له سببا سوى ضعف الإيمان . فاجتهد الآن في تقوية الإيمان ، وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع وأما التفهم : فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى .

وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها ، أعنى النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها ، وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر ، فمن أحب شيئا أكثر ذكره ، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ، فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفوله صلاة عن الخواطر

وأما التعظيم: فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان ، فإن من لا يعتقد عظمته لا تدعن النفس لتعظيمه .  
الثانية : معرفة حقارة النفس وخستها ، وكونها عبدا مستخرا مربوبا ، حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه ، فيعبر عنه بالتعظيم ، ومالم تنزع معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع ، فإن المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله ، لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقتزن إليه

وأما الهيبة والخوف : فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة ، وهذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض . وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة . وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربيع المنجيات

وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة

وأما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتهما ، وقلة إخلاصها وخبت دخلتها ، وميلها إلى الخط العاجل في جميع أفعالها ، مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت ، وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء . فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ، ففي معرفة السبب معرفة العلاج ، ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين : أعني به هذه المعارف التي ذكرناها ، ومعنى كونها يقينا انتفاء التشكك

واستبلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم ، وبقدر اليقين يخشع القلب ،  
ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُنَا وَنُحَدِّثُهُ فَإِذَا  
خَضَرَتِ الصَّلَاةُ كَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ نَعْرِفْهُ »

وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني  
وأنت تنتفض أعضاؤك ؛ وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا ، وإذا ذكرتني فاجعل لسانك  
من وراء قلبك ، وإذا قت بين يديّ فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان  
صادق » وروى أن الله تعالى أوحى إليه : قل لعصاة أمتك لا يذكروني فإني آليت على نفسي أن  
من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم باللعنة . هذا في عاص غير غافل في ذكره ،  
فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان . وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم  
الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها ، وإلى من يتمم ولم يغيب قلبه في  
لحظة ، بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم  
ابن يسار بسقوط الاسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها . وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة  
ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ، ووجيب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع  
على ميلين ، وجماعة كانت تصفرو وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد ، فإن أضافه  
مشاهد في هم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة  
منهم ، حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ولو سئل عن حواليه  
أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين  
حواليه ، ولكل درجات مما عملوا فحفظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه  
وتعظيمه ، فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ، ولذلك قال بعض الصحابة  
رضي الله عنهم : يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ،  
ومن وجود النعيم بها واللذة . ولقد صدق فإنه يحشر كل على مامات عليه ، ويموت على ما عاش  
عليه ، ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه . فمن صفات القلوب تصاع الصور في الدار  
الآخرة ، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

## بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظماً لله عز وجل وخائفاً منه وراجياً له ومستحيماً من تقصيره ، فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه ، فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ، ولا يلهي عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة ، والدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ، ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه ، فلتعلم سببه وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً ، أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر ، فإن ذلك قد يختطف الهمم حتى يتبعه ويتصرف فيه ، ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ، ويكون الإبصار سبباً للافتكار ، ثم تصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض ، ومن قويت نيته وعلت همته لم يله ما جرى على حواسه ، ولكن الضعيف لابد وأن يتفرق به فكره . وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يفيض بصره ، أو يصلي في بيت مظلم ، أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسنه ، ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ، ويجترز من الصلاة على الشوارع ، وفي المواضع المنقوشة المصنوعة ، وعلى الفرش المصبوغة ، ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سمته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهم . والأفوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويفضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ، ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على أيمنهم وشمالهم . وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلاة مصحفاً ولا سيفاً إلا نزعته ولا كتاباً إلا محاه

وأما الأسباب الباطنة فهي أشد ، فإن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فن واحد ، بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب ، وغض البصر لا يغنيه ، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل . فهذا طريقه أن يرد النفس قهراً إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره . ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يحدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهول المطلع

ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهيمه ، فلا يترك لنفسه شغلا يلفت إليه خاطره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة : <sup>(١)</sup> « إِنِّي نَسِيتُ أَنْ أَقُولَ لَكَ أَنْ تُخْمِرَ الْقِدْرَ الَّتِي فِي الْبَيْتِ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ يَشْتُلُ النَّاسَ عَنْ صَلَاتِهِمْ » فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيح إلا المسهل الذي يجمع مادة الداء من أعماق العروق ، وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة له عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته ، وأنها إنما صارت مهمات لشهواته ، فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق ، فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه ، وجند إبليس عدوه ، فإمساكه أضربه عليه من إخراجها ، فيتخلص منه بإخراجها ، كما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما لبس <sup>(٢)</sup> الخميصة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال صلى الله عليه وسلم : « اذْهَبُوا بِهَا إِلَى أَبِي جَهْمٍ فَإِنَّهَا أَهْلَتْني آتِفًا عَنْ صَلَاتِي وَأَثْوَوْنِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شرك نعله ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديداً فأمر أن <sup>(٣)</sup> يزرع منها ويرد الشراك الخلق . وكان صلى الله عليه وسلم : <sup>(٤)</sup> « فَدِ احْتَذَى نَعْلًا فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا فَسَجَدَ وَقَالَ : « تَوَاضَعْتُ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ كَيْ لَا يَقْتَتِنِي » ثم خرج فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليها رضى الله عنه أن يشتري له ثنتين سبئيتين جرداوين فلبسهما . وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه <sup>(٥)</sup> وقال : « شَغَلَنِي هَذَا نَظْرَةٌ إِلَيْهِ وَنَظْرَةٌ إِلَيْكُمْ »

(١) حديث أني نسيت أن أقول لك تخمر القربتين اللذين في البيت . الحديث د من حديث عثمان الحكي

وهو عثمان بن طلحة كما في مسند أحمد ووقع له صنف أنه قل ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم

(٢) حديث نزع الخميصة وقال اثنوني بأنبجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم في العلم

(٣) حديث أمره بزرع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق إذ نظر إليه في صلاته : ابن المبارك في الزهد من

حديث أبي النضر مر سلا بأسناد صحيح

(٤) حديث احتذى نعلا فأعجبه حسنهما فسجد وقال تواضعت لربي . الحديث : أبو عبد الله بن حقيق في شرف

الفقراء من حديث عائشة بأسناد ضعيف

(٥) حديث رميه بالخاتم الذهب من يده وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم . ن من حديث ابن

هشام بأسناد صحيح وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهباً ولا فضة إنما هو مطلق



وروى أن أبا طلحة<sup>(١)</sup> صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسى طار في الشجرة يلمس فخرجا فأتبعه يبصره ساعة ثم لم يدركه صلى ، فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ، ثم قال : يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت

وعن رجل آخر أنه صلى في حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدركه صلى ، فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال : هو صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل ، فباعه عثمان بخمسين ألفاً ، فكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكر ، وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة . وهذا هو الداء القامع لمادة العلة ، ولا يغنى غيره . فأما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين ، والرد إلى فهم الذكر ، فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة ، والهمم التي لا تشغل إلا حواشي القلب . فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين ، بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك ، وتنقض جميع صلاتك في شغل المجاذبة . ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات المصافير تشوش عليه ، فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره ، فتعود المصافير ، فيعود إلى التنقير بالخشبة فقليل له إن هذا سير السوانى ، ولا ينقطع . فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة ، فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب المصافير إلى الأشجار ، وانجذاب الذباب إلى الأقدار ، والشغل يطول في دفعها ، فإن الذباب كلما ذاب آب ولأجله سمى ذباباً ، فكذلك الخواطر

وهذه الشهوات كثيرة ، وقلما يخلو العبد عنها ، ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وكذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنع كل فساد . ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة ، فلا يطمعن

( ١ ) حديث أن أبا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه ريس طائر في الشجر . الحديث : في سهوه

في الصلاة وتصدقه بالحائط . مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أبا طلحة الأنصاري

رفده فكره بنحوه

في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته .  
وهمة الرجل مع قرّة عينه فإن كانت قرّة عينه في الدنيا انصرف لآمحالة إليها همه، ولكن مع  
هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ، ورد القلب إلى الصلاة ، وتقليل الأسباب الشاغلة. فهذا  
هو الدواء المر ، ولمراته استبشعته الطباع ، وبقيت العلة مزمنة ، وصار الداء عضالاً ، حتى  
إن الأَكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك ،  
فاذاً لا مطمع فيه لأمثالنا ، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون  
بمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً

وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل ،  
فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخلل لآمحالة ، ولا يجتمعان

## بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب

عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة

فنقول : حَقَّ إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تنفل أولاً عن التنبيهات التي في  
شروط الصلاة وأركانها

أما الشروط السوابق فهي : الأذان ، والطهارة ، وستر العورة ، واستقبال القبلة  
والانتصاب قائماً ، والنية . فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة ،  
وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون  
باللطف يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءاً بالفرح  
والاستبشار ، مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم  
القضاء . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « أَرِحْنَا يَا بَلَّالُ » أي أرحنا بها وبالنداء إليها  
إذ كان قرّة عينه فيها صلى الله عليه وسلم

(١) حديثها أَرِحْنَا يَا بَلَّال . قط في العلل من حديث بلال ولأبي داود ونحوه من حديث رجل من

الصحابه لم يسم بأستاد صحيح

وأما الطهارة: فإذا أتيت بهافي مكانك وهو ظرفك الأبعد، ثم في ثيابك وهي غلافك الأقر، ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى، فلا تنفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت، وتصميم العزم على الترك في المستقبل، فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك

وأما ستر العورة: فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق، فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل؟ فأحضر تلك الفضائح ببالك، وطالب نفسك بسترها، وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه سائر، وإنما يكفرها الندم والحياء والخوف، فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانهما، فتذل بها نفسك، ويستكن تحت الحجة قلبك، وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء، الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف

وأما الاستقبال: فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، أقرى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوباً منك؟ هيات! فلا مطلوب سواه، وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن، وضبط للجوارح، وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبني على القلب، فإنها إذا بنت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها، استتبع القلب، وانقلبت به عن وجه الله عز وجل، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك، فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> «إِذَا قَامَ الْعَبْدُ إِلَى صَلَاتِهِ فَكَانَ هَوَاهُ وَوَجْهُهُ وَقَلْبُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ انْصَرَفَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»

أما الاعتدال قائماً: فإنما هو مشول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل، فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً مطأطئاً متنكساً، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه

(١) حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده

تنبيهاً على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن التروّس والتكبر ، وليكن على ذكرك هاهنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال . واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك ، فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنهه جلالة ، بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كائنة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح ، فإنه تهدياً عند ذلك أطرافك ، وتخضع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع . وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها . إنك تدعين معرفة الله وحبّه أفلا تستجين من استجرائك عليه مع توفيرك عبداً من عباده ، أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ؟ ولذلك لما قال <sup>(١)</sup> أبو هريرة : كيف الحياء من الله ؟ فقال صل الله عليه وسلم « تَسْتَجِي مِنْهُ كَمَا تَسْتَجِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ » وروى : مِنْ أَهْلِكَ وأما النية : فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها ، والكف عن نوافضها ومفسداتها ، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاءً لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه ، متقلداً للمنة منه بآذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك . وعظم في نفسك قدر مناجاته ، وانظر من تناجي ، وكيف تناجي ، وبما ذا تناجي ؟ وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الحجل ، وترتعد فرائصك من الهيبة ، ويصفر وجهك من الخوف

وأما التكبير : فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه فلبك فإن كان في فلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب ، وإن كان الكلام سداً كما شهد على المنافقين في قولهم إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله ، فإن كان هوأك أغلب عليك من أمر الله عز وجل

(١) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله ؟ قال نسجي منه كما نسجي من الرجل الصالح من قوماً . الحرائطي في مكارم الأخلاق . هني في السعوب من حديث سعيد بن زيد مرسل نحوه وأرسله هق زيادة ابن عمر في السند وفي العلل فظ عن ابن عمر له وقال انه أشبهه شيء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة

فأنت أطوع له منك لله تعالى، فقد اتخذته إلهك وكبرته ، فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته ، وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه

وأما دعاء الاستفتاح: فأول كلماته قولك : وجهت وجهى الذى فطر السموات والأرض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر ، فانك إنما وجهته إلى جهة القبلة ، والله سبحانه يشهد عن أن تجده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه . وإنما وجه القلب هو الذى تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض . فانظر اليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات ، أو مقبل على فاطر السموات . وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ، ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه ، فاجتهد في الحال في صرفه اليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقا . وإذا قلت : حنيفاً مسلماً ، فينبغى أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده ، فان لم تكن كذلك كنت كاذباً ، فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ماسبق من الأحوال . وإذا قلت : وما أنا من المشركين ، فأخطر ببالك الشرك الخفى ، فان قوله تعالى ( فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا \* ) نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس ، وكن حذراً مشفقاً من هذا الشرك ، واستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك ، فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه . وإذا قلت : حيأى وماتى لله . فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده ، وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأموال الدنيا لم يكن ملائماً للحال

وإذا قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فاعلم أنه عدوك ومترصداً لصرف قلبك عن الله عز وجل حسداً لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له ، مع أنه لمن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها ، وأن استعادتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا يجرد قولك ، فان من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقتله فقال :

أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا ينفعه ، بل لا يعينه إلا  
تبديل المكان ، فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه  
مجرد القول . فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان ، وحصنه  
لا إله إلا الله ، إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي  
فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي » والمتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه ، فأما  
من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله عز وجل

واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدير فعل الخيرات لينعك عن  
فهم ماتقرأ ، فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قرائتك فهو وسواس ، فان حركة  
اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها

فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة : رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ، ورجل يتحرك لسانه  
وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره ، وهي درجات أصحاب اليمين ،  
ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ، ففرق بين أن يكون  
اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب ، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا  
يتبعه القلب

وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت : بسم الله الرحمن الرحيم فانوبه التبرك لا ابتداء  
القراءة لكلام الله سبحانه . وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه ، وأن المراد  
بالاسم هاهنا هو المسمى . وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله . ومعناه أن  
الشكر لله إذ النعم من الله . ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر  
لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير  
الله تعالى .

فإذا قلت : الرحمن الرحيم ، فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته  
فينبعث بها رجائك ، ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك : مالك يوم الدين

( ١ ) حديث قال الله تعالى لا إله إلا الله حصني . ك في التاريخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت من  
حديث علي بإسناد ضعيف جداً وقول أبي منصور الديلمي انه حديث ثابت مردود عليه

أما العظمة فلأنه لا مُلك إلا له . وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه ، ثم جدد الاخلاص بقولك : إياك نعبد ، وجدد العجز والاحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك : وإياك نستعين ، وتحقق أنه ما تبسرت طاعتك إلا باعائه ، وأن له المنه إذ وفقك الله لطاعته ، واستخدمك لعبادته ، وجعلك أهلا لمناجاته ، ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين

ثم إذا فرغت من التعود ومن قولك : بسم الله الرحمن الرحيم ، ومن التحميد ، ومن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا ، فمين سؤالك ، ولا تطلب إلا أهم حاجاتك ، وقل : اهدنا الصراط المستقيم الذى يسوقنا إلى جوارك ، ويفضى بنا إلى مرضاتك ، وزده شرحا وتقصيلا وتأكيذا واستشهادا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين ، دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ، ثم التمس الاجابة وقل : آمين

فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ : نِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ : يَقُولُ الْعَبْدُ : اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : حَمْدِي عَبْدِي وَأَثْنِي عَلَيَّ » وهو معنى قوله : سمع الله لمن حمده - الحديث الخ : فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك فى جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة ، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله ؟

وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور كما سيأتى فى كتاب تلاوة القرآن ، فلا تغفل عن أمره ونهيهِ ، ووعدهِ ووعيدهِ ، ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه ، ولكل واحد حق ، فالرجاء حق الوعد ، والخوف حق الوعيد ، والعزم حق الأمر والنهى ، والالتماظ حق الموعظة ، والشكر حق ذكر المنه ، والاعتبار حق أخبار الأنبياء .

(١) حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين الحديث : م عن أبى هريرة

وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى : ( فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّافُورِ \* ) خرميتاً وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى : ( إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ \* ) اضطرب حتى تضرب أوصاله . وقال عبد الله بن واقد : رأيت ابن عمر يصلي مغلوباً عليه . وحق له أن يحترق قلبه بوعده سيده ووعيده ، فانه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر ، وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب . ودرجات ذلك لا تنحصر . والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات . فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضاً

ثم يراعى الهيبة في القراءة ، فيرتل ولا يسرد ، فان ذلك أيسر للتأمل ، ويفرق بين نعماته في آية الرحمة والعذاب ، والوعد والوعيد ، والتحميد والتعظيم والتمجيد . كان النخعي إذا مر بعثل قوله عز وجل : ( مَا اخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ \* ) يخفض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به . وروى « أَنَّهُ يُقَالُ <sup>(١)</sup> لِقَارِيءٍ الْقُرْآنِ أَنْ يَقْرَأَ وَأَرْقَ وَرَتَّلَ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا »

وأما دوام القيام فانه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور . قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ <sup>(٢)</sup> مُقْبِلٌ عَلَى الْمُصَلِّي مَا لَمْ يَلْتَفِتْ » وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات ، فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة . فاذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقيح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود إليه وألزم الخشوع للقلب بأن الخلاص عن الالتفات باطنياً وظاهراً ثمرة الخشوع ، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر . قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلاً مصلياً يبعث بلحيته : « أَمَّا هَذَا لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ » فان الرعية بحكم الراعى . ولهذا ورد في الدعاء <sup>(٣)</sup> « اللَّهُمَّ أَصْلِحِ الرَّاعِيَ وَالرَّعِيَّةَ » وهو القلب والجوارح

( ١ ) حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق . د ت ن من حديث عبد الله بن عمر وقل ت حسن صحيح

( ٢ ) حديث أن الله يقبل على المصلي ما لم يلتفت . د ن ك وصحيح اسناده من حديث أبي ذر

( ٣ ) حديث اللهم أصلح الراعى والرعية لم أقف له على أصل وفسره المصنف بالقلب والجوارح



وكان الصديق رضى الله عنه في صلاته كأنه وتد . وابن الزبير رضى الله عنه كأنه عود .  
وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصا في عليه كأنه جماد . وكل ذلك يقتضيه الطبع  
بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا ، فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من  
يعرف ملك الملوك ؟ وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا ، وتضطرب  
أطرافه بين يدي الله عابثا ، فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل ، وعن اطلاعه  
على سره وضميره . وقال عكرمة في قوله عز وجل : ( الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُ فِي  
السَّاجِدِينَ \* ) قال : قيامه وركوعه وسجوده وجالوسه

وأما الركوع والسجود : فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه ، وترفع يديك  
مستجبرا بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ، ومتبعا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم  
تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك ، وتجتهد في تريق قلبك وتجديد خشوعك ، وتستشعر  
ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك ،  
فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة ، وأنه أعظم من كل عظيم ، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكد  
بالتكرار ، ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك :  
سمع الله لمن حمده ، أى أجاب لمن شكره

ثم تردف ذلك بالشكر المتفاضى المزيد فتقول : ربنا لك الحمد . وتكرر الحمد بقولك  
ملء السموات وملء الأرض . ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة ، فتمكن  
أعز أعضائك وهو الوجه ، من أذل الأشياء وهو التراب . وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا  
فتسجد على الأرض فافعل ، فإنه أجلب للخشوع ، وأدل على الذل . وإذا وضعت نفسك  
موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله ، فإنك من التراب خلقت ،  
وإليه تعود ، فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الأعلى ، وأكد بالتكرار  
فإن الكرة الواحدة ضعيفة الأثر فإذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله  
فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل ، لا إلى التكبر والبطر . فارفع رأسك مكبرا

وسائلاً حاجتك وقائلاً : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم ، أو ما أردت من الدعاء . ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانياً كذلك

وأما التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدباً ، وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات ، أى من الأخلاق الطاهرة لله . وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات ، وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم ، وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه . ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ، ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاماً وافياً بعدد عباد الصالحين ثم تشهده تعالى بالوحدانية ، ولحمد صلى الله عليه وسلم بنيه بالرسالة ، مجدداً عهد الله سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة ، ومستأنفاً للتحصن بها . ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضرعة والابتهاال وصدق الرجاء بالإجابة ، وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين ، واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين ، وانو ختم الصلاة به ، واستشعر شكراً لله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة ، وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنت ربما لا تعيش لمثلها . وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه . « صَلِّ صَلَاةً مُودَّعٍ » ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة ، وحف أن لا تقبل صلاتك ، وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن ، فترد صلاتك في وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله ، كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآية الصلاة . وكان إبراهيم يكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض

فهذا تفصيل صلاة الخاشعين ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، والذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية . فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة ، بالقدر الذي يسر له منه ينبغي أن يفرح ، وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسر ، وفي مداواة ذلك ينبغي أن يجتهد

وأما صلاة الغافلين فهي خطيرة ، إلا أن يتعمده الله برحمته ، والرحمة واسعة ، والكرم فائض . فنسأل الله أن يتعمدنا برحمته ، ويغفرنا بمغفرته ، إذ لا وسيلة لنا إلا الإعراف بالعجز عن القيام بطاعته .

واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات ، وإخلاصها لوجه الله عز وجل ، وأدائها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة . فأولياء الله المكاشفون يملكون السموات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكاشفون في الصلاة ، لا سيما في السجود إذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ، ولذلك قال تعالى : ( وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ \* ) وإنما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفاته عن كدورات الدنيا . ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة ، وبالجلالة والخفاء ، حتى يكشف بعضهم الشيء بعينه ، وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله ، كما كشف بعضهم الدنيا في صورة جيفة ، والشيطان في صورة كلب جائم عليها يدعو إليها ، ويختلف أيضاً بما فيه المكاشفة ، فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله ولبعضهم من أفعاله ، ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ، ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت أسباب حفية لا تحصى ، وأشدّها مناسبة الهبة ، فأنها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف

ولما كانت هذه الأمور لا تتراءى إلا في المرآة الصقيلة ، وكانت المرآة كلها صدئة ، فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة النعم بالهداية ، بل لخبط متراكم الصدأ على مصب الهداية تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك ، إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر ولو كان للجبين عقل لأنكر إمكان وجود الإنسان في متسع الهواء . ولو كان للطفل تمييز ما ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض . وهكذا الإنسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده . ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة ، وقد خلق الخلق أطواراً ، فلا ينبغي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته . نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل ، فقدوه فأنكروه

ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به إلى أن

يشاهد بالنجربة ، ففي الخبر<sup>(١)</sup> «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ رَفَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ وَوَاجِهَهُ بِوَجْهِهِ وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ لَدُنْ مُسْكِبِيهِ إِلَى الْهَوَاءِ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ وَيُؤْمِنُونَ عَلَى دُعَائِهِ ، وَإِنَّ الْمُصَلِّيَ لَيُنْثَرُ عَلَيْهِ الْبَرُّ مِنْ عَنَانِ السَّمَاءِ إِلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ وَيُنَادِي مُنَادٍ : لَوْ عِلِمَ هَذَا الْمُنَاجِي مَنْ يُنَاجِي مَا انْتَفَتَحَتْ ، وَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تُفْتَحُ لِلْمُصَلِّينَ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِعَبْدِهِ الْمُصَلِّي » . ففتح أبواب السماء ، ومواجهة الله تعالى إياه بوجهه ، كناية عن الكشف الذي ذكرناه

وفي التوراة مكتوب : يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يديّ مصلياً باكياً ، فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالنسب رأيت نورى . قال فكنا نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذى يحده المصلى فى قلبه من دنو الرب سبحانه من القلب ، وإذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان ، فلا معنى له إلا الدنو بالهداية والرحمة ، وكشف الحجاب

ويقال إن العبد إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة ، كل صف منهم عشرة آلاف ، وبأهى الله به مائة ألف ملك . وذلك أن العبد قد جمع فى الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود ، وقد فرّق الله ذلك على أربعين ألف ملك ، فالقائون لا يركعون إلى يوم القيامة ، والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة ، وهكذا الزاكعون والقاعدون : فان مارزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ، ولذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا ( وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ \* ) وفارق الانسان الملائكة فى الترقى من درجة إلى درجة ، فانه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه ، وباب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام ، وليس لكل واحد إلا رتبته التى هى وقف عليه ، وعبادته التى هو مشغول بها ، لا ينتقل إلى غيرها ، ولا يفتر عنها ( فَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ \* ) مفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات ، قال الله عز وجل ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ

( ١ ) حديث ان العبد اذا قام فى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده الحديث : لم أجده

❦ الصافات : ١٦٤ ❦ الأنبياء : ١٩ ، ٢٠ ❦ المؤمنون :

فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* ) ثدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ، ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضاً فقال تعالى : ( وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* ) ثم قال تعالى في ثمرة تلك الصفات : ( أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* ) فوصفهم بالفلاح أولاً ، وبوراثنة الفردوس آخراً . وما عندي أن هزيمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي إلى هذا الحد ، ولذلك قال الله عز وجل في أضدادهم ( مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ \* ) فالصلوة هم ورثة الفردوس ، وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم

نسأل الله أن يجعلنا منهم ، وأن يعيذنا من عقوبة من تزيت أقواله وقبحت أفعاله ، إنه الكريم المنان القديم الإحسان وصلى الله على كل عبد مصطفى .

## حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين

رضى الله عنهم

اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ، ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعاً في الصلاة وفي غير الصلاة ، بل في خلوته ، وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة ، فإن موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ، ومعرفة جلاله ، ومعرفة تقصير العبد . فمن هذه المعارف يتولد الخشوع ، وليست مختصة بالصلاة . ولذلك روي عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعاً له وكان الربيع بن خيثم من شدة غضبه لبصره وإطرافه يظن بعض الناس أنه أعمى . وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة ، فإذا رآته جاريته قالت لابن مسعود : صديقك الأعمى قد جاء . فكان يضحك ابن مسعود من قولها . وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقاً غاضباً بصره . وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول « وَبَشِّرِ الْخَاشِعِينَ \* ) أما والله لورآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك » وفي لفظ آخر : لأحبك . وفي لفظ آخر : لضحك

ومشي ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما انظر إلى الألوار فصيح وإلى النار تلهب، صمق وسقط مغشيا عليه. وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق، فحمله على ظهره إلى منزله، فلم يزل مغشيا عليه إلى مثل الساعة التي صمق فيها، ففانته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول: هذا والله هو الخوف. وكان الربيع يقول: ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها إلا ما أقول وما يقال لي

وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين، وكان إذا صلى ربما صربت ابنته بالدفع وتحدث النساء بما يردن في البيت، ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله. وقيل له ذات يوم: هل تحدثك نفسك في الصلاة بشيء؟ قال نعم بوقوفي بين يدي الله عز وجل ومنصرفي إلى إحدى الدارين. قيل: فهل تجد شيئا مما نجد من أمور الدنيا؟ فقال: لأن تختلف الأسنة في أحب إلى من أن أجد في صلاتي ما تجدون. وكان يقول: لو كشف الغطاء ما زددت يقينا. وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد قلنا أنه لم يشعر بسقوط أسطوانة في المسجد وهو في الصلاة. وتأكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه فقبل: إنه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه فقطع وهو في الصلاة

وقال بعضهم: الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا. وقيل لآخر: هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة؟ فقال: لا في الصلاة ولا في غيرها. وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئا؟ فقال: وهل شيء أحب إلى من الصلاة فأذكره فيها. وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ. كان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس. وروى أن (١) عمار بن ياسر صلى صلاتا فأخفها، فقبل له: خففت يا أبا اليقظان. فقال: هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئا؟ قالوا لا قال: إني بادرتُ سَهْوَ الشيطان، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ لَا يُكْتَبُ لَهُ نِصْفُهَا وَلَا ثُلُثُهَا وَلَا رُبُعُهَا وَلَا خُمْسُهَا وَلَا سُدُسُهَا وَلَا عَشْرُهَا» وكان يقول: إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها

(١) حديث ابن عمار بن ياسر صلى الله عليه وسلم فأنقصها فقبل له خففت يا أبا اليقظان. الحديث وفيه أن العبد يصلي صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا سدسها ولا عشرها. أحمد بإسناد صحيح وتقدم المرفوع عنه وهو عند

ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضى الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة ،  
وقالوا : نبادر بها وسوسة الشيطان

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر : إن الرجل ليشيب عارضاه في  
الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا يتم خشوعها وتواضعها  
واقباله على الله عز وجل فيها \* وسئل أبو العالية عن قوله ( الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ )  
قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف : أعلى شفع أم على وتر ؟ وقال  
الحسن : هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال بعضهم : هو الذى إن صلاها  
فى أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن ، فلا يرى تعجيلها خيرا ولا  
تأخيرها إثمًا

واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الأخبار عليه وإن كان  
الفقيه يقول ، إن الصلاة فى الصحة لا تتجزأ ، ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه ، وهذا  
المعنى دلت عليه الأحاديث ، إذ ورد<sup>(١)</sup> جبر نقصان الفرائض بالنوافل . وفى الخبر قال  
عيسى عليه السلام يقول الله تعالى : بالفرائض نجمانى عبدى ، وبالنوافل تقرب إلى عبدى  
وقال النبى صلى الله عليه وسلم :<sup>(٢)</sup> « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَنْجُو مِنِّي عَبْدِي إِلَّا بِأَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ  
عَلَيْهِ » وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> صَلَّى صَلَاتًا فَتَرَكَ مِنْ قِرَاءَتِهَا آيَةً ، فَلَمَّا  
انْقَتَلَ قَالَ : مَاذَا قَرَأْتُ ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَسَأَلَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : قَرَأْتَ  
سُورَةَ كَذَا وَتَرَكْتَ آيَةً كَذَا فَمَا تَدْرِي أُنْسَخَتْ أَمْ رُفِعَتْ ، فَقَالَ : أَنْتَ لَهَا يَا أَبُي ، ثُمَّ  
أَقْبَلَ عَلَى الْآخَرِينَ فَقَالَ « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَحْضُرُونَ صَلَاتَهُمْ وَيَتِمُّونَ صُفُوفَهُمْ وَنَبِيَّهُمْ بَيْنَ

( ١ ) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل . أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة أن أول

ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فان انتقص من فرضه شيئاً قال الرب عز

وجل انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة

( ٢ ) حديث قال الله تعالى لا ينجو منى عبدى الا بأداء ما افترضت عليه لم أجده

( ٣ ) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما التفت قال ما ذا قرأت فسكت القوم فسأل أبى بكر

الحديث : رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة مرسلًا وأبو منصور الديلمى من حديث أبى بن

كعب ورواه ن مختصرا من حديث عبد الرحمن بن أبزى بإسناد صحيح

أَيَّدِيهِمْ لَا يَذْرُونَ مَا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كِتَابِ رَبِّهِمْ ، أَلَا إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَذَّاءُ فَعَلُوا  
فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّهِمْ أَنْ قُلْ لِقَوْمِكَ : تُخَضِّرُونِي أَبْدَانَكُمْ وَتُعْطُونِي السِّنْتَكُمْ  
وَتَغَيَّبُونَ عَنِّي بِقُلُوبِكُمْ ، بَاطِلٌ مَا تَدَّهَبُونَ إِلَيْهِ « وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الامام  
وفهمه يدل عن قراءة السورة بنفسه

وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولوقسمت  
ذنوبه في سجده على أهل مدينته لهلكوا ، قيل : وكيف يكون ذلك ؟ قال : يكون  
ساجدا عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ، ومشاهد لباطل ، قد استولى عليه . فهذه صفة  
الخاشعين

فدلت هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور  
القلب ، وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد . والله أعلم . نسأل الله  
حسن التوفيق

## الباب الرابع

في الإمامة والقدوة ، وفي أركان الصلاة وبعد السلام

وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة

أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فسته :

أولها : أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه ، فإن اختلفوا كان النظر إلى  
الأكثرين ، فإن كان الأقلون هم أهل الخبر والدين فالنظر إليهم أولى . وفي الحديث : (١)  
« ثَلَاثَةٌ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ رُؤُسَهُمْ : الْعَبْدُ الْآبِقُ وَامْرَأَةُ زَوْجِهَا سَاخِطٌ عَلَيْهَا ، وَإِمَامٌ  
أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ » وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم ، فكذلك ينهى عن التقدمة

في الباب الرابع

( ١ ) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم العبد الآبق . الحديث : ت من حديث أبي أمامة وقال حسن

غريب وصحته حق



إن كان وراءه من هو أفقه منه ، إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة

ويكره عند ذلك المدافعة ، فقد قيل إن قوما تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة تخسف بهم وما روى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضى الله عنهم فسببه إشارهم من رأوه أنه أولى بذلك ، أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم ، فإن الأئمة ضمناء . وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص في صلاته حياء من المقتدين ، لاسيما في جهره بالقراءة ، فكان لا حترار من احتراز أسباب من هذا الجنس

الثانية : إذا خير المرء بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة ، فإن لكل واحد منها فضلا ، ولكن الجمع مكروه ، بل ينبغي أن يكون الإمام غير المؤذن . وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى . وقال قائلون : الأذان أولى لما تقلناه من فضيلة الأذان ، وقلوله صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « الْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ » فقالوا فيها خطر الضمان . وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « الْإِمَامُ أَمِينٌ فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا » وفي الحديث <sup>(٣)</sup> « فَإِنْ أَتَمَّ فَلَهُ وَلَهُمْ وَإِنْ تَقَصَّ فَعَلَيْهِ لَا عَلَيْهِمْ » ولأنه صلى الله عليه وسلم قال : <sup>(٤)</sup> « اللَّهُمَّ ارْشِدِ الْأُمَّةَ وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ » والمغفرة أولى بالطلب فإن الرشد يراد للمغفرة . وفي الخبر <sup>(٥)</sup> « مَنْ أَمَّ فِي مَسْجِدٍ سَبْعَ سِنِينَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ بِلاَ حِسَابٍ وَمَنْ أَدْنَى أَرْبَعِينَ عَامًا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة

( ١ ) حديث الامام. ضامن والمؤذن مؤتمن : د ت من حديث أبي هريرة وحكى عن ابن السدي أنه لم

ينبته ورواه أحمد من حديث أبي أمامة باسناد حسن

( ٢ ) حديث الامام أمين فادا ركع فاركعوا . الحديث : خ من حديث أبي هريرة قوله الامام أمين

وهو بهذه الزيادة في مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة

( ٣ ) حديث فان أتم فله ولهم وان اتقص فعليه ولا عليهم . د ه ك وصححه من حديث عقبة بن عامر والبخارى

من حديث أبي هريرة يصلون بكم فان أصابوا فلكم وان أخطأوا فلكم وعليهم

( ٤ ) حديث اللهم ارشد الأمة واغفر للمؤذنين هو بقية حديث الامام ضامن وتقدم قبل بحديثين

( ٥ ) حديث من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب

ت ه من حديث ابن عباس بالشرط الأول نحوه قل ت حديث غريب

والصحيح أن الإمامة أفضل، إذ واطب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما والأئمة بعدهم. نعم فيها خطر الضمان. والفضيلة مع الخطر، كما أن رتبة الإمارة والخلافة أفضل، لقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «لَيَوْمٌ مِنْ سُلْطَانٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً» ولكن فيها خطر، ولذلك وجب تقديم الأفضل والأقبح، فقد قال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٢)</sup> «أَتَمَّكُمْ شُفَعَاؤُكُمْ» أو قال: «وَفَدُّكُمْ إِلَى اللَّهِ» فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم. وقال بعض السلف: ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء، ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين لأن هؤلاء قاموا بين يدي الله

عز وجل وبين خلقه: هذا بالنبوة، وهذا بالعلم، وهذا بعماد الدين وهو الصلاة. وبهذه الحجة احتج الصحابة <sup>(٣)</sup> في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم للخلافة إذ قالوا: «نَفَرْنَا إِذَا الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ فَاخْتَرْنَا لِدُنْيَانَا مَنْ رَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِينِنَا» وما قدموا <sup>(٤)</sup> بلالاً احتجاجاً بأنه رضي للأذان. وما روى «أَنَّهُ قَالَ

(١) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة: الطبراني من حديث ابن عباس بسند

حسن بلفظ ستين

(٢) حديث أتمكم وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم: قطهق وضعف

اسناده من حديث ابن عمر والعمري وابن قانع والطبراني في معاجمهم ولك من حديث مرشد ابن أبي مرشد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسلى وهو ضعيف

(٣) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لدنيا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا

ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة من حديث علي قال لقد أمر رسول الله صلى الله

عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس واني لشاهد ما أنا بنائب ولا بي مرض فريضنا لديننا

فارضى به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا والرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبي

موسى في حديث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس

(٤) حديث تقديم الصحابة بلالاً احتجاجاً بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي للأذان أما الرفوع

منه فرواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث

عبد الله بن زيد في بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألقى عليه ما رأيت فليؤذن به - الحديث:

وأما تقديمهم له بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فروى الطبراني أن بلالاً جاء إلى أبي بكر

فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسي في سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك

بالله يا بلال وحرمتي وحقى لقد كبرت سنى وضعفت قوتى واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما

لَهُ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ (١) ذَانِي عَلَى تَمَلٍّ أَدْخُلَ بِهِ الْجَنَّةَ قَالَ : كُنْ مُؤَذِّنًا فَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ ، قَالَ : كُنْ إِمَامًا ، قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ ، فَقَالَ صَلَّى بِإِزَاءِ الْإِمَامِ ، فَعَلِمَهُ ظَنُّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى بِإِمَامَتِهِ ، إِذِ الْأَذَانُ إِلَيْهِ وَالْإِمَامَةُ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَتَقْدِيمُهُمْ لَهُ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَوَهَّمُ أَنَّهُ رَجُلًا يَقْدِرُ عَلَيْهَا

الثالثة : أَنْ يَرَاعِيَ الْإِمَامَ أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ فَيُصَلِّي فِي أَوَائِلِهَا لِيَدْرِكَ رِضْوَانَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ (٢) فَفَضَّلُ أَوَّلَ الْوَقْتِ عَلَى آخِرِهِ كَفَضْلِ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا . هَكَذَا رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَفِي الْحَدِيثِ : (٣) « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ فِي آخِرِ وَقْتِهَا وَلَمْ تَقْتَهُ وَلَمَّا فَاتَهُ مِنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤَخَّرَ الصَّلَاةُ لانتظار كثرة الجماعة ، بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت ، فهي أفضل من كثرة الجماعة ، ومن تطويل السورة . وقد قيل : كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث ، وإذا حضر أربعة في الجماعة لم ينتظروا الخامس . وقد (٤) تَأَخَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَكَانُوا فِي سَفَرٍ . وَإِنَّمَا تَأَخَّرَ لِلطَّهَارَةِ فَلَمْ يَنْتَظِرْ ، وَقُدِّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَصَلَّى بِهِمْ حَتَّى فَاتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَةً فَقَامَ يَقْضِيهَا ، قَالَ فَأَشْفَقْنَا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « قَدْ أَحْسَنْتُمْ هَكَذَا فافْعَلُوا » (٥) تَأَخَّرَ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ فَقَدَّمُوا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ

نَبِيُّ أَبِي بَكْرٍ حَاءُ عَمْرٍو فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالُوا لَأَبِي بَكْرٍ عَلَيْهِ عَلَيْهِ قَالَ عَمْرٍو فَمِنْ يَا بِلَالُ فَقَالَ إِلَى سَعْدِ فَانْهَ أَذُنَ نَقَاءٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُجْعَلَ عَمْرٍو الْأَذَانُ إِلَى سَعْدٍ وَعَقْمَةٌ وَفِي أَسْنَادِهِ جِهَالَةٌ

( ١ ) حَدِيثٌ قَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَلِّي عَلَى عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ قَالَ كُنْ مُؤَذِّنًا - الْحَدِيثُ : الْبُخَارِيُّ

فِي التَّارِيخِ وَالْعَقِيلِي فِي الضَّعْفَاءِ وَطَبَّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ

( ٢ ) حَدِيثٌ فَضَّلُ أَوَّلَ الْوَقْتِ عَلَى آخِرِهِ كَفَضْلِ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا أَبُو مُنْصَوَّرٍ الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ

( ٣ ) حَدِيثٌ أَنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا وَلَمْ تَقْتَهُ - الْحَدِيثُ : الدَّارِقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوَهُ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ

( ٤ ) حَدِيثٌ تَأَخَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَكَانَ فِي سَفَرٍ وَإِنَّمَا تَأَخَّرَ لِلطَّهَارَةِ فَقَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - الْحَدِيثُ : مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ الْغُبَرَةِ

( ٥ ) حَدِيثٌ تَأَخَّرَ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ فَقَدَّمُوا أَبَا بَكْرٍ - الْحَدِيثُ : مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ

اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَنَامَ إِلَى جَانِبِهِ  
وليس على الإمام انتظار المؤذن ، وإنما على المؤذن انتظار الإمام للإقامة ، فإذا حضر  
فلا ينتظر غيره

الرابعة : أن يؤم مخلصاً لله عز وجل ، ومؤدياً أمانة الله تعالى في طهارته وجميع  
شروط صلاته

أما الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجره ، فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان  
ابن أبي العاص الثقفي وقال : <sup>(١)</sup> « اتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى الْأَذْنِ أَجْرًا » فالأذان  
طريق إلى الصلاة ، فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر ، فإن أخذ رزقاً من مسجد قد وقف  
على من يقوم بامامته أو من السلطان أو آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه ،  
والكراهية في الفرائض أشد منها في التراويح ، وتكون أجره له على مداومته على حضور  
الموضع ، ومرافقة مصالح المسجد في إقامة الجماعة ، لا على نفس الصلاة

وأما الأمانة : فهي الطهارة باطنياً عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر . فالمرشح  
للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك يجده فانه كالوفد والشفيع للقوم ، فينبغي أن يكون  
خير القوم . وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث ، فانه لا يطعم عليه سواء فإن تذكر  
في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي ، بل يأخذ بيد من يقرب منه  
ويستخلفه ، فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> الجنابة في أثناء الصلاة فاستخلف  
واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة . وقال سفيان : صل خلف كل بر وفاجر إلا مُدْمِن  
نمر ، أو ملعن بالفسوق ، أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة ، أو عبد آبق

الخامسة : أن لا يكبر حتى تستوى الصفوف ، فليفت يميناً وشمالاً فإن رأى خلاً  
أمر بالتسوية . قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ، ولا يكبر حتى يفرغ

(١) حديث اتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجره . أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن أبي  
العاص الثقفي

(٢) حديث تذكر النبي صلى الله عليه وسلم الجنابة في صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبي  
بكرة باسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال ثم أرمأ اليهم أن مكانكم الحديث :  
وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلي وعند خ استخلاف عمر في قصة طهه

المؤذن من الإقامة ، والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس للصلاة ،  
ففي الخبر <sup>(١)</sup> « لِيَتَمَهَّلَ الْمُؤَذِّنُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ بِقَدْرِ مَا يَفْرُغُ الْآكِلُ مِنْ طَعَامِهِ  
وَالْمُعْتَصِرُ مِنْ اغْتِصَارِهِ » وذلك لأنه « نَهَى <sup>(٢)</sup> عَنْ مُدَافَعَةِ الْأَخْبَثَيْنِ <sup>(٣)</sup> » « وَأَمَرَ  
بِتَقْدِيمِ الْعِشَاءِ عَلَى الْعِشَاءِ » طلبا لفراغ القلب

السادسة : أن يرفع صوته بتكبيرة الاجرام وسائر التكبيرات ، ولا يرفع المأموم  
صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه ، وينوى الإمامة لينال الفضل ، فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة  
القوم إذا نواوا الاقتداء ، ونالوا فضل القدوة ، وهو لا ينال فضل الإمامة . وليؤخر المأموم  
تكبيره عن تكبيرة الامام ، فيبتدىء بعد فراغه . والله أعلم  
وأما وظائف القراءة فثلاثة :

أولها : أن يسر بدعاء الاستفتاح والنعوذ كالمفرد ، ويحجر بالفاتحة والسورة بعدها في  
جميع الصبح واولي العشاء والمغرب ، وكذلك المفرد . ويحجر بقوله : آمين في الصلاة  
الجهرية ، وكذا المأموم وقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معا لا تعقبا <sup>(٤)</sup> ، ويحجر بيسم الله  
الرحمن الرحيم والاختيار الشافعي رضى الله عنه الجهر

( ١ ) حديث يهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اغتصاره : ت  
لك من حديث جابر يابلال اجعل بين أذانك واقامتك قدرا يفرغ الآكل من أكله  
والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته قال ت اسناده مجهول وقال ك ليس في  
اسناده مطعون فيه غير عمرو بن قايذ قلت بل فيه عبد المنعم الدياجي منكر الحديث  
قاله بخ وغيره

( ٢ ) حديث النهى عن مدافعة الأخبثين م من حديث عائشة بلفظ لا يصلي ولا يهتق لا يصليين أحكم الحديث  
( ٣ ) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت  
الصلاة فابدؤا بالعشاء متفق عليه

( ٤ ) حديث الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قط ك وصححه من حديث ابن عباس  
( ٥ ) حديث ترك الجهر بهما م من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم  
أسمع أحدا منهم يقرأ بيسم الله الرحمن الرحيم وللنسائي يحجر بيسم الله الرحمن الرحيم

الثانية : أن يكون للإمام في القيام ثلاث سككات . هكذا رواه <sup>(١)</sup> سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولاهن) إذا كبر وهي الطولي منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب ، وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح ، فانه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع ، فيكون عليه ما تنقص من صلاتهم ، فان لم يقرأوا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لاعليهم (السكة الثانية) إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة في السكة الأولى فاتحته ، وهي كنصف السكتة الأولى (السكتة الثالثة) إذا فرغ من السورة قبل أن يركع ، وهي أخفها ، وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير ، فقد نهى عن الوصل فيه ، ولا يقرأ المأموم وراء الامام إلا الفاتحة ، فان لم يسكت الامام قرأ فاتحة الكتاب معه ، والمقصر هو الامام ، وإن لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءته السورة

الوظيفة الثالثة : أن يقرأ في الصبح سورتين من المثاني مادون المائة ، فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ، ولا يضره الخروج منها مع الإسفار ، ولا بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختتمها ، لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيرا ، فيكون أبلغ في الوعظ ، وأدعى إلى التفكير ، وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها . وقد روى «أنه صلى الله عليه وسلم» <sup>(٢)</sup> قرأ بعض سورة يونس

(١) حديث سمرة بن حنبل وعمران بن حصين في سككات الإمام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سككات في صلاته وقال عمران أنا أخفظهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا في ذلك إلى أبي بن كعب فكتب أن سمرة قد حفظ هكذا وجدته في غير نسخة صحيحة من المسند والمعروف ان عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا في غير موضع من المسند وذهب وت فأنكر ذلك عمران وقال حفظا سكتة وقال حديث حسن انتهى وليس في حديث سمرة الاسكتان ولكن اختلف عنه في محل الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبي هريرة وضعفه من صلى صلاة مكتوبة مع الإمام فليقرأ بفاتحة الكتاب في سكتاته

(٢) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله ابن السائب وقال سورة المؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِكْرِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ قَطَعَ فَرَكَعَ « وَرَوَى » أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> قَرَأَ فِي الْفَجْرِ آيَةً مِنَ الْبَقَرَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ : ( قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا \* ) وَفِي الثَّانِيَةِ ( رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ \* ) <sup>(٢)</sup> وَسَمِعَ بِلَالًا يَقْرَأُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : أَخْلَطَ الطَّيِّبُ بِالطَّيِّبِ فَقَالَ : أَحْسَنْتُ

وَيَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ بِطُولِ الْمَفْصَلِ إِلَى ثَلَاثِينَ آيَةً ، وَفِي الْعَصْرِ بِنِصْفِ ذَلِكَ ، وَفِي الْمَغْرِبِ بِأَوَاخِرِ الْمَفْصَلِ  
وَأَخِرُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> أَلْمَغْرِبِ قَرَأَ فِيهَا سُورَةَ الْمُرْسَلَاتِ مَاصِلِي بَعْدَهَا حَتَّى قَبْضِ

وَبِالْجُمْلَةِ التَّخْفِيفِ أَوْ لَى لَاسِيَا إِذَا كَثُرَ الْجَمْعُ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الرِّخْصَةِ <sup>(٤)</sup> « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ » وَإِذَا صَلَّى لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ وَقَدْ « كَانَ » <sup>(٥)</sup> مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُصَلِّي بِقَوْمِ الْعِشَاءِ ، فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الصَّلَاةِ وَأَتَمَّ لِنَفْسِهِ ، فَقَالُوا : نَافَقَ الرَّجُلُ ! فَنَشَاكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا فَقَالَ : أَفَتَأْنُ أَنْتَ يَا مُعَاذُ أَقْرَأُ سُورَةَ سَبَّحْ ، وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ، وَالشَّمْسَ وَضُحَاهَا »

( ١ ) حَدِيثٌ قَرَأَ فِي الْفَجْرِ - قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ - الْآيَةُ فِي الثَّانِيَةِ - رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَتْ - م مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتِي الْفَجْرِ فِي الْأَوَّلَى مِنْهُمَا - قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا - الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ وَفِي الْآخِرَةِ مِنْهُمَا - آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ - وَد مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا - الْآيَةُ وَفِي الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ - رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَتْ أَوْ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ -

( ٢ ) حَدِيثٌ سَمِعَ بِلَالًا يَقْرَأُ مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هَاهُنَا فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ أَخْلَطَ الطَّيِّبُ بِالطَّيِّبِ فَقَالَ أَحْسَنْتُ د مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ نَحْوَهُ

( ٣ ) حَدِيثٌ قَرَأَتْهُ فِي الْمَغْرِبِ بِالْمُرْسَلَاتِ وَهِيَ آخِرُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْفَضْلِ

( ٤ ) حَدِيثٌ إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ . الْحَدِيثُ : مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ

( ٥ ) حَدِيثٌ صَلَّى مُعَاذُ بِقَوْمِ الْعِشَاءِ قَرَأَ الْبَقَرَةَ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الصَّلَاةِ . الْحَدِيثُ : مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَهِيَ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ

\* الْبَقَرَةُ : ١٣٦ \* آلِ عِمْرَانَ : ٥٣

## وأما وظائف الأركان الثلاثة :

أولها : أن يخفف الركوع والسجود ، فلا يزيد في التسيبجات على ثلاث ، فقد روى عن أنس أنه قال <sup>(١)</sup> « مَا رَأَيْتُ أَحَفَّ صَلَاةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَكَامٍ » نعم روى أيضا أن أنس بن مالك <sup>(٢)</sup> لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال « مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ أَشْبَهَ صَلَاةً بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الشَّابِّ . قَالَ : وَكُنَّا نُسَبِّحُ وَرَاءَهُ عَشْرًا عَشْرًا » وروى بجملاً أنهم قالوا <sup>(٣)</sup> « كُنَّا نُسَبِّحُ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ عَشْرًا عَشْرًا » وذلك حسن ، ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن ، فإذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس ، لعشر . هذا وجه الجمع بين الروايات . وينبغي أن يقول الامام عند رفع رأسه من الركوع : سمع الله لمن حمده

الثانية في المأموم : ينبغي أن لا يساوى الامام في الركوع والسجود بل يتأخر ، فلا يهوى للسجود الا إذا وصلت جبهة الامام إلى المسجد <sup>(٤)</sup> هكذا كان افتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يهوى للركوع حتى يستوى الامام راكعاً . وقد قيل : إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام : طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الامام ، وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساؤونه ، وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الامام . وقد اختلف في أن الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة : ولعل الأولى أن ذلك مع الاخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين ، فإن حقهم مرعى في ترك التطويل عليهم

الثالثة : لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذراً من التطويل ، ولا يخص نفسه

( ١ ) حديث أنس ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام متفق عليه

( ٢ ) حديث أنس انه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ماصليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله

صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب الحديث : دن بإسناد جيد وضعفه ابن القطن

( ٣ ) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشراً لم أجد له أصلاً

الافي الحديث الذي قبله وفيه فخرنا في ركوعه عشر تسيبجات وفي سجوده عشر تسيبجات

( ٤ ) حديث كان الصحابة لا يهونون للسجود الا إذا وصلت جبهة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأرض

متفق عليه من حديث البراء بن عازب



فى الدعاء ، بل يأتى بصيغة الجمع فيقول : اللهم اغفر لنا ، ولا يقول : اغفر لى ، فقد كره للإمام أن يخص نفسه . ولا بأس أن يستعيز فى التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> فيقول : « نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيخِ الدَّجَالِ ، وَإِذَا أُرِدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَأَقْبِضْنَا إِلَيْكَ غَيْرَ مُقْتُونِينَ » . وقيل سمي مسيحاً لأنه مسح الأرض بطولها . وقيل لأنه مسح العين أى مطموسها

وأما وظائف التحلل فثلاثة :

أولها : أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة

الثانية : أن يثبت عقيب السلام <sup>(٢)</sup> كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فيصلى النافلة فى موضع آخر ، فإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن . وفى الخبر المشهور « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> لَمْ يَكُنْ يَقْعُدُ إِلَّا قَدَرَ قَوْلِهِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ »

الثالثة : إذا وثب فينبغى أن يقبل بوجهه على الناس . ويكره للمأموم القيام قبل انفتل الإمام ، فقد روى عن طلحة والزبير رضى الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فامسا سلماته فقال للإمام : ما أحسن صلاتك وآتمها إلا شيئاً واحداً : إنك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ، ثم قال للناس : ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم ! ثم ينصرف الإمام حيث شاء من يمينه وشماله ، واليمين أحب . هذه وظيفة الصلوات

( ١ ) حديث التعود فى التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر - الحديث : تقدم وزاد فيه العزالى هنا وإذا أردت بقوم فتنة فأقبضنا إليك غير مقتونين . ولم أحده مقيداً بآخر الصلاة ولترمذى من حديث ابن عباس وإذا أردت بعبادك فتنة فأقبضنى إليك غير مقتونين وك نحوه من حديث ثوبان . وعبد الرحمن بن عايش وصحبهما وسأنى فى الدعاء

( ٢ ) حديث المسكت بعد السلام خ من حديث أم سلمة

( ٣ ) حديث انه لم يكن يقعد الا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام :

م من حديث عائشة

وأما الصبح فزيد فيها القنوت ، فيقول الامام : اللهم اهْدِنِي ، ويؤمن المأموم . فإذا انتهى إلى قوله : إنك تقضى ولا يقضى عليك ، فلا يليق به التأمين ، وهو ثناء فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، أو صدقت وبررت ، وما أشبه ذلك وقد روى حديث<sup>(١)</sup> في رفع اليدين في القنوت ، فإذا صح الحديث استحَب ذلك وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد ، اذ لا يرفع بسببها اليد ، بل التعويل على التوقيف ، وبينهما أيضا فرق ، وذلك أن للأيدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ، ولا وظيفة لهما هاهنا ، فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت ، فانه لائق بالدعاء . والله أعلم

فهذه جمل آداب القدوة والامامة ، والله الموفق

## الباب الخامس

في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

## فضيلة الجمعة

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخصص به المسلمين . قال الله تعالى : ( إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ \* ) حرَّم الاشتغال بأمور الدنيا ، وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة . وقال صلى الله عليه وسلم :<sup>(٢)</sup> « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الْجُمُعَةَ فِي يَوْمِي هَذَا فِي مَقَامِي هَذَا » وقال صلى الله عليه وسلم :<sup>(٣)</sup> « مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عَذْرِ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ » وفي لفظ آخر<sup>(٤)</sup> « فَقَدْ نَبَذَ »

( ١ ) حديث رفع اليدين في القنوت : البيهقي من حديث أنس بسند جيد في قصة قتل القراء : ولقد رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم

﴿ الباب الخامس ﴾

( ٢ ) حديث ان الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا - الحديث هـ من حديث جابر باسناد ضعيف

( ٣ ) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه : أحمد واللفظ له وأصحاب السنن وك وصححه من حديث أبي الجعد الصمري

( ٤ ) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره : البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس

• الجمعة : ٩

الْإِسْلَامَ وَرَأَى ظَهْرَهُ « واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة، فقال: في النار، فلم يزل يتردد إليه شهراً يسأله عن ذلك وهو يقول: في النار وفي الخبر<sup>(١)</sup> » إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ أُعْطُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَصُرِفُوا عَنْهُ وَهَذَا نَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ، وَآخِرُهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَعَلَهُ عِيداً لَهُمْ فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ سَبْقاً وَأَهْلُ الْكِتَابَيْنِ لَهُمْ تَبَعٌ « وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: <sup>(٢)</sup> « أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَفِّهِ مِرْآةٌ بَيَضَاءُ، وَقَالَ هَذِهِ الْجُمُعَةُ يُفْرَضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيداً وَلَأَمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ، قُلْتُ فَمَا لَنَا فِيهَا؟ قَالَ: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ سَاعَةٍ مِنْ دَعَا فِيهَا بِخَيْرٍ فُسِمَ لَهُ أُعْطَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِيَّاهُ أَوْ لَيْسَ لَهُ قَسَمٌ دُخِرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، أَوْ تَعَوَّذَ مِنْ شَرِّ هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ إِلَّا أَعَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْظَمَ مِنْهُ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَيَّامِ عِنْدَنَا وَنَحْنُ نَذْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِياً أُفِيحَ مِنَ الْمَسْكِ، أَيْضُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ تَعَالَى مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ »

وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٣)</sup> « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ: فِيهِ خَلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَبَّ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْمَزِيدِ، كَذَلِكَ تَسْمِيَةُ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ يَوْمُ النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ »

وفي الخبر<sup>(٤)</sup> « إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ سِتِّمِائَةَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ » وفي حديث

(١) حديث أن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلَفوا فيه - الحديث: متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه

(٢) حديث أنس أناني جبريل في كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة - الحديث: الشافعي في المسند والطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف

(٣) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة - الحديث: م من حديث أبي هريرة

(٤) حديث أن لله في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار: عد حب في الضعفاء وحب في الشعب من حديث أنس قال قط في العلل: والحديث غير ثابت

أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> قال : « إِذَا سَأَلْتَ الْجُمُعَةَ سَأَلْتَ الْيَوْمَ »  
وقال صلى الله عليه وسلم :<sup>(٢)</sup> « إِنَّ الْجُمُعَةَ تُسَعَّرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ قَبْلَ الزَّوَالِ عِنْدَ اسْتِوَاءِ الشَّمْسِ  
فِي كَبِدِ السَّمَاءِ فَلَا تَصَلُّوا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ صَلَاةٌ كُلُّهُ وَإِنَّ جَهَنَّمَ  
لَا تُسَعَّرُ فِيهِ »

وقال كعب إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ، ومن الأيام  
الجمعة ، ومن الليالي ليلة القدر . ويقال إن الطير والهوام يلتقي بعضها بعضاً في يوم الجمعة  
فتقول : سلام سلام ، يوم صالح . وقال صلى الله عليه وسلم :<sup>(٣)</sup> « مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ  
أَوْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ ، وَوُقِيَ فِتْنَةُ الْقَبْرِ »

## بيان شروط الجمعة

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات في الشروط ، وتتميز عنها بستة شروط :  
الأول : الوقت ، فإن وقعت تسليمه الإمام في وقت المصرفات الجمعة ، وعليه أن يتبها  
ظهاً أربعا . والمسبوق إذا وقعت ركعته الأخيرة خارجاً من الوقت ففيه خلاف  
الثاني : المكان ، فلا تصح في الصحارى والبرارى وبين الخيام ، بل لابد من بقعة  
جامعة لأبنية لا تنقل ، بجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة ، والقرية فيه كالبلد ، ولا يشترط فيه  
حضور السلطان ولا إذنه ، ولكن الأحب استئذانه  
الثالث : العدد ، فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكورا ، مكلفين ، أحراراً ، مقيمين لا يظعنون  
عنها شتاء ولا صيفا ، فإن انقضوا حتى نقص العدد إما في الخطبة أو في الصلاة ، لم تصح  
الجمعة ، بل لابد منهم من الأول إلى الآخر

( ١ ) حديث أنس إذا سالت الجمعة سالت الأيام : حب في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية وهق في الشعب من  
حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس

( ٢ ) حديث أن الجيم تسعر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس الى أن قال الا يوم الجمعة الحديث :  
د من حديث أبي قتادة وأعله بالاقطاع

( ٣ ) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنه القبر : أبو نعيم في الحلية من حديث جابر  
وهو وث نجوه مختصراً من حديث عبد الله بن عمر وقال غريب ليس اسناده بمتمصل . قلت  
وصله ت الحكيم في النوادر .

الرابع : الجماعة ، فلو صلى أربعون في قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ، ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية ، وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر ، وإذا سلم الإمام تمها ظهرا

الخامس : أن لا تكون الجمعة مسبوبة بأخرى في ذلك البلد ، فإن تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة ، وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم أولاً ، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين ، فإن تساويا فالمسجد الأقدم ، فإن تساويا ففي الأقرب ، ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى

السادس : الخطبتان ، فهما فريضتان ، والقيام فيهما فريضة ، والجلوس بينهما فريضة . وفي الأولى أربع فرائض : التحميد ، وأقله الحمد لله ، والثانية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والثالثة الوصية بنقوى الله سبحانه وتعالى ، والرابعة قراءة آية من القرآن ، وكذا فرائض الثانية أربعة ، إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة ، واستماع الخطبتين واجب من الأربعين

وأما السنن :

فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية ، والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة ، ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام ، فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ، ويشغل يديه بقائم السيف أو العزة والمنبر ، كي لا يعبث بهما ، أو يضع إحداهما على الأخرى ، ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ، ولا يستعمل غريب اللغة ، ولا يخطط ، ولا يتننى ، وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة . ويستحب أن يقرأ آية في الثانية أيضا ، ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب ، فإن سلم لم يستحق جوابا ، والاشارة بالجواب حسن ، ولا يشمت العاطسين أيضا . هذه شروط الصحة

فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على ذكر ، بالغ ، عاقل ، مسلم ، حر ، مقيم في

قرية يشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات ، أو في قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها ، والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت ، لقوله تعالى : ( إِذَا أُوذِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ \* ) ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفرع والمرض والتمريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره ، ثم يستحب لهم أعني أصحاب الأعذار تأخير الظهر إلى أن يصرغ الناس من الجمعة ، فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعهم وأجزأت عن الظهر . والله أعلم

## بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة

وهي عشرة جمل

الأول : أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفصلها ، فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس ، لأنها ساعة قوبلت بالساعة المهمة في يوم الجمعة . قال بعض السلف : إن لله عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة . وينسل في هذا اليوم ثيابه ويبيصها ، وبعد الطيب إن لم يكن عنده ، ويفرغ قلبه من الأشغال التي تمنعه من البكور إلى الجمعة ، وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا ، وليكن مضموما إلى يوم الخميس أو السبت لامفردا ، فإنه مكروه . ويشتغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن ، فلها فضل كثير ، وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ، ويجمع أهله في هذه الليلة أو في يوم الجمعة ، فقد استحب ذلك قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « رَجِمَ اللَّهُ مَنْ بَكَرَ وَابْتَكَرَ وَغَسَلَ وَانْتَسَلَ » وهو حمل الأهل على الغسل . وقيل : معناه غسل ثيابه ، فروى بالتخفيف ، واغتسل لجسده . وبهذا تم آداب الاستقبال ، ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا : ما هذا اليوم ؟ قال بعض السلف : أو في الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس ، وأخفهم نصيبا من إذا أصبح يقول إيش اليوم ؟ وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لأجلها

(١) حديث رحم الله من بكر وأبكر وغسل واغتسل الحديث : أصحاب الدين . وحديثك وصححه من

حديث أوس بن أوس . من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر - الحديث وحسبه ب

الثاني : إذا أصبح ابتداءً بالغسل بعد طلوع الفجر ، وإن كان لا يكره فأقربه إلى الرواح أحب ، ليكون أقرب عهداً بالنظافة ، فالغسل مستحب استحباباً مؤكداً . وذهب بعض العلماء إلى وجوبه ، قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « غُسِّلُ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ » والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما <sup>(٢)</sup> « مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَنْ شَهِدَ الْجُمُعَةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَلْيَغْتَسِلْ » وكان أهل المدينة إذا تسابَّ المتسابان يقول أحدهما للآخر : لَأَنْتَ أَشْرَمَنْ لَا يَغْتَسِلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ <sup>(٤)</sup> وقال عمر لعثمان رضى الله عنهما لما دخل وهو يخطب : أهذه الساعة ! منكرا عليه ترك البكور ، فقال : ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت ، فقال : والوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل !

وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضى الله عنه ، وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> قال « مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَهِيَ وَنِعْمَتْ وَمَنْ اغْتَسَلَ فَأَغْتَسَلَ أَفْضَلُ » ومن اغتسل للجنازة فليفيض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة ، فإن اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنازة . وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال له : أَلْجُمُعَةُ ؟ فقال : بل عن الجنازة ، فقال أعد غسلاً ثانياً ، وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم ، وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه . وكان لا يبعد أن يقال : المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ، ولكن هذا ينتقد في الوضوء أيضاً ، وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها . ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله ، والأحب أن يحترز عن ذلك .

( ١ ) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم : متفق عليه من حديث أبي سعيد

( ٢ ) حديث نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل : متفق عليه . وهذا لفظ حب

( ٣ ) حديث من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا : حب وهو من حديث ابن عمر

( ٤ ) حديث قال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة - الحديث : إلى أن قال والوضوء أيضاً وقد

علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل : متفق عليه من حديث أبي هريرة

ولم يسم البخارى وعثمان

( ٥ ) حديث من توضع يوم الجمعة فيها ونعمت - الحديث : د ت وحسنه و ن من حديث سمرة

الثالث : الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم ، وهي ثلاثة : الكسوة ، والنظافة ، وتطيبب الرائحة

أما النظافة فبالسواك ، وحلق الشعر ، وقلم الظفر وقص الشارب ، وسائر ماسبق في كتاب الطهارة . قال ابن مسعود : من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء ، فإن كان قد دخل الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود ، فليتطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ، لينطب بها الروائح الكريهة ، ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين في جواره .<sup>(١)</sup> وأحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه ، وطيب النساء ماظهر لونه وخفي ريحه . روى ذلك في الأثر . وقال الشافعي رضي الله عنه : من نظف ثوبه قل همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله

وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب ، إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البياض ، ولا يلبس ما فيه شهرة ، ولبس السواد ليس من السنة ، ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لأنه بدعة . محدثه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعمامة مستحبة في هذا اليوم<sup>(٢)</sup> روى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى أَصْحَابِ النَّهْيِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ » فَإِنْ أَكْرَبَهُ الْحَرُ فَلَا بُدَّ مِنْ بَزْعِهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ وَبَعْدَهَا ، وَلَكِنْ لَا يَنْزِعُ فِي وَقْتِ السَّعْيِ مِنَ الْمَنْزِلِ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَلَا فِي وَقْتِ الصَّلَاةِ ، وَلَا عِنْدَ صُعُودِ الْإِمَامِ الْمَنْبَرِ وَلَا فِي خُطْبَتِهِ

الرابع : البكور إلى الجامع ، ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين ، وثلاث ، وليسكر . ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر ، وفضل البكور عظيم . وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناوياً للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه ، والمسارة إلى مغفرته ورضوانه .

( ١ ) حديث طيب الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفي ريحه : دت وحسنه و ن من

حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث واثلة بن الأسقع ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمام يوم الجمعة : ط وعد وقال منكر

من حديث أبي السرداء ولم أره من حديث واثلة



وقد قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى يَتْمَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ وَرُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَاجْتَمَعَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ النَّبْرِ يَسْتَمِعُونَ الدُّكْرَ ، فَمَنْ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا جَاءَ لِحَقِّ الصَّلَاةِ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ شَيْءٌ » والساعة الأولى إلى طلوع الشمس ، والثانية إلى ارتفاعها ، والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام ، والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال ، وفضلها قليل ، ووقت الزوال حق الصلاة ، ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « ثَلَاثٌ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِيهِنَّ لَرَكَضُوا رَكْضَ الْإِبِلِ فِي طَلَبِهَا : الْأَذَانُ ، وَالصَّفُّ الْأَوَّلُ ، وَالْعُدُوُّ إِلَى الْجُمُعَةِ » وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : أفضلهن الندو إلى الجمعة . وفي الخبر : <sup>(٣)</sup> « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ بِأَيْدِيهِمْ صُحُفٌ مِنْ فِضَّةٍ وَأَقْلَامٌ مِنْ ذَهَبٍ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَلِأَوَّلٍ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ » وجاء في الخبر : <sup>(٤)</sup> « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَفَقَّدُونَ الرَّجُلَ إِذَا تَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِهِ

( ١ ) حديث من راح الى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة - الحديث متفق عليه : من حديث أبي

هريرة وليس فيه ورفعت الأقلام وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

( ٢ ) حديث ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والندو الى

الجمعة : أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذته إلا بالاستهام عليها حرصا على ما فيهن من الخير والبركة - الحديث قال والنهجير الى الجمعة وفي الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا اليه

( ٣ ) حديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من

ذهب - الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث علي باسناد ضعيف اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركزوا له بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم ياب المساجد ثم نشرها قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب

( ٤ ) حديث ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا ما فعل فلان

يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْهُ : مَا فَعَلَ فُلَانٌ وَمَا الَّذِي أَخَّرَهُ عَنْ وَقْتِهِ ؟ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَخَّرَهُ فَقَرُّ فَاغْنِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَخَّرَهُ مَرَضٌ فَاشْفِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَخَّرَهُ شُغْلٌ فَقَرِّغْهُ لِعِبَادَتِكَ ، وَإِنْ كَانَ أَخَّرَهُ لَهْوٌ فَأَقْبِلْ بِقَلْبِهِ إِلَى طَاعَتِكَ »

وكان يرى في القرن الأول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ، ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك . فقيل : أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع ، وكيف لا يستحي المسامون من اليهود والنصارى وهم ييكررون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد ، وطلاب الدنيا كيف ييكررون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والريح ، فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة

ويقال إن الناس ييكونون في قريتهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة . ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور ، فاغتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتبا لها : رابع أربعة ، وما رابع أربعة من البكور يبيعد

الخامس : في هيئة الدخول ، ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ، ولا يمر بين أيديهم ، والبكور يسهل ذلك عليه ، فقد ورد وعيد شديد <sup>(١)</sup> في تخطى الرقاب وهو أنه يُجْعَلُ جِسْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَخَطَّاهُ النَّاسُ <sup>(٢)</sup> وروى ابن جريج مرسلًا : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْبَأُ هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ رَأَى رَجُلًا يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى تَقْدَمَ فَجَلَسَ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ عَارَضَ الرَّجُلَ حَتَّى لَقِيَهُ فَقَالَ : يَا فُلَانُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجْمَعَ الْيَوْمَ مَعَنَا ؟ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ جَمَعْتُ مَعَكُمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَمْ تَرَكَ تَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ ؟ ! » أشار به إلى أنه أحبط عمله

هو من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص بإسناد حسن واعلم أن المصنف ذكر هذا أثرًا فإن لم يرد به حديثًا مرئوعًا فليس من شرطنا وإنما ذكرناه احتياطًا

( ١ ) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم : ت وضعفه وهو من حديث معاذ بن أنس

( ٢ ) حديث ابن جريج مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخاطب إذ رأى رجلا يتخطى رقاب

الناس الحديث وفيه مامعك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك في الرقائق

وفى حديث مسند أنه قال : <sup>(١)</sup> « مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا ؟ قَالَ : أَوْلَمْ تَرَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم : رَأَيْتُكَ تَأْتِيَتْ وَآذَيْتَ : أى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور . ومهما كان الصف الأول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس ، لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة . قال الحسن : تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم . وإذا لم يكن فى المسجد إلا من يصلى فينبغى أن لا يسلم لأنه تكليف جواب فى غير محله

السادس : أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب اسبطوانة أو حائط حتى لا يمرون بين يديه ، أعنى بين يدي المصلى ، فإن ذلك لا يقطع الصلاة ، ولكنه منهى عنه ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> : « لَأَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ عَامًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> : « لَأَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ رَمَادًا رَمْدِيْدًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي » وقد روى فى حديث آخر فى المار والمصلى حيث صلى على الطريق أو قصر فى الدفع ، فقال : « لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي وَالْمُصَلِّي مَا عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ سَنَةً خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ » والإسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد للمصلى ، فمن اجتاز به فينبغى أن يدفعه ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> : « لِيَدْفَعَهُ فَإِنْ أَبَى فَلْيَدْفَعَهُ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ » وكان أبو سعيد الخضرى رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصصره ، فربما

( ١ ) حديث مامنعك أن تصلى معنا فقال أولم ترنى قال رأيتك آتيت وآذيت : د ن حب ك من حديث عبد الله بن بسر مختصرا

( ٢ ) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدي المصلى : البرار من حديث زيد بن خالد وفى الصحيحين من حديث أبى جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر لأدري أربعين يوما أو شهرا أو سنة وه وجب من حديث أبى هريرة مائة عام

( ٣ ) حديث لأن يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلى : أبو نعيم فى تاريخ اصهبان وابن عبد البر فى التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمر وزاد متعمدا

( ٤ ) حديث لو يعلم المار بين المصلى والمصلى ما عليها فى ذلك - الحديث : رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى السراج فى مسنده من حديث زيد بن خالد باسناد صحيح

( ٥ ) حديث أبى سعيد فليدفعه فإن أبى فليقاتله فانما هو شيطان - متفق عليه

تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان ، فيخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فإن لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئاً طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده السابع: أن يطلب الصف الأول فإن فضله كثير كما روينا وفي الحديث: <sup>(١)</sup> « مَنْ غَسَلَ وَاغْتَسَلَ وَبَكَرَ وَابْتَكَرَ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ وَاسْتَمَعَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ وَزِيَادَةً ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ » وفي لفظ آخر: « غَفَرَ اللَّهُ لَهُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى » <sup>(٢)</sup> وقد اشترط في بعضها: ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور:

أولها: أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرًا يعجز عن تغييره من لبس حرير أو غيره من الإمام أو غيره، أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل، أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الإنكار، فالتأخر له أسلم وأجمع لهم. فعل ذلك جماعة من العلماء طلباً للسلامة. قيل لبشر بن الحارث: نراك تبكر وتصل في آخر الصفوف. فقال: إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد، وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه. ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر المنصور، فلما فرغ من الصلاة قال: شغل قلبي قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاماً يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس في الخبر <sup>(٣)</sup> « أَذْنُ وَاسْتَمَعَ؟ » فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل. وقال سعيد بن عامر: صليت إلى جنب أبي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له: أليس يقال: خير الصفوف أولها؟

(١) حديث من غسل واعتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع - الحديث: ك من حديث أوس ابن أوس وأصله عند أصحاب السنن

(٢) حديث أنه اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس: د ح ب ك من حديث أبي سعيد وإبي هريرة وقال صحيح على شرط م

(٣) حديث أذن فاستمع: د من حديث سمرة أحضروا الذكر وادنوا من الإمام وتقدم بلفظ من هجر ودنا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد

قال نعم <sup>(١)</sup> إلا أن : هذه الأمة : مرحومة منظور إليها من بين الأمم ، فإن الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ، فانما تأخرت رجاء أن يغفر لى بواحد منهم ينظر الله إليه . وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك . فمن تأخر على هذه النية إثارة وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس . وعند هذا يقال : الأعمال بالنيات

ثانيها : إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلطين فالصف الأول محبوب ، وإلا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة . كان الحسن وبكر المزنى لا يصلان في المقصورة ، ورأيا أنها قصرت على السلطين ، وهى بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المساجد ، والمسجد مطلق لجميع الناس ، وقد اقتطع ذلك على خلافه ، وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب . ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع . فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة

وثالثها : أن المنبر يقطع بعض الصفوف ، وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر ، وما على طرفيه مقطوع . وكان الثورى يقول : الصف الأول هو الخارج بين يدى المنبر . وهو متجه لأنه متصل ، ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه . ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ، ولا يراعى هذا المعنى . وتكره الصلاة فى الأسواق والرجاب الخارجة عن المسجد . وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب

الثامن : أن يقطع الصلاة عند خروج الإمام ، ويقطع الكلام أيضاً بل يشتغل بجواب المؤذن ، ثم باستماع الخطبة ، وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ، ولم يثبت له أصل فى أثر ولا خبر ، ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء ، لأنه وقت فاضل ، ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه .

( ١ ) حديث أبى النرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم وإن الله إذا نظر الى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده

وقد روى عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنهما قالَا: من استمع وأنصت فله أجران، ومن لم يستمع وأنصت فله أجر، ومن سمع ولغا فعليه وزران، ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> « مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَالْإِمَامِ يَخْطُبُ أَنْصِتْ أَوْ مَهْ فَقَدْ لَغَا وَمَنْ لَغَا وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلَا جُمُعَةَ لَهُ » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أوردى حصة لا بالنطق وفي حديث أبي ذر: <sup>(٢)</sup> « أَنَّهُ لَمَّا سَأَلَ أَيُّيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فَقَالَ مَتَى أَنْزَلْتَ هَذِهِ السُّورَةَ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ اسْكُتْ ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ أَبِي أَذْهَبَ فَلَا جُمُعَةَ لَكَ ، فَشَكَاهُ أَبُو ذَرٍّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : صَدَقَ أَبِي . وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا مِنَ الْإِمَامِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ بَلْ يَسْكُتُ ، لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ يَتَسَلَّلُ وَيَفْضِي إِلَى هَيْئَةٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمُسْتَمْعِينَ ، وَلَا يَجْلِسُ فِي حَاقَّةٍ مِنْ يَتَكَلَّمُ فَمِنْ عَجَزَ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ بِالْبَعْدِ فَلْيَنْصِتْ فَهُوَ الْمُسْتَعْب . وَإِذَا كَانَتْ تَكْرَهُ الصَّلَاةُ فِي وَقْتِ خُطْبَةِ الْإِمَامِ فَالْكَلَامُ أَوْلَى بِالْكِرَاهِيَةِ وَقَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : تَكْرَهُ الصَّلَاةُ فِي أَرْبَعِ سَاعَاتٍ : بَعْدَ الْفَجْرِ ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ ، وَنِصْفَ النَّهَارِ ، وَالصَّلَاةُ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ

التاسع: أن يراعى في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها، فإذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة، فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل أن يتكلم، وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعاً سبعاً. وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزاً له من الشيطان

- ( ١ ) حديث من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا لاجمعة له: ت ن عن أبي هريرة د وت قوله ومن لغا فلا جمعة له قال ت حديث حسن صحيح وهو في الصحيحين بلفظ اذا قلت لصاحبك و د من حديث علي من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له
- ( ٢ ) حديث أبي ذر لما سأل أييا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة - الحديث: هق وقال في المعرفة أسنده صحيح د ه من حديث أبي بن كعب بسند صحيح ان السائل له أبو الرداء وأبو ذر ولاحمد من حديث أبي الرداء انه سأل أييا ولابن حبان من حديث جابر أن السائل عبد الله بن مسعود ولأبي يعلى من حديث جابر قال : قال سعد بن أبي وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لم يأسعد فقال لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد

ويستحب أن يقول بعد الجمعة : اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك . يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب . ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات ، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما : « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> كَانَ يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ » وروى أبو هريرة أربعاً <sup>(١)</sup> وروى علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ستاً <sup>(٥)</sup> والكل صحيح في أحوال مختلفة ، والأكل أفضل

العاشر : أن يلزم المسجد حتى يصلي العصر ، فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل . يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ، ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة ، فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعني . فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكراً لله عز وجل ، مفكراً في آلائه ، شاكراً لله تعالى على توفيقه ، خائفاً من تقصيره ، مراقباً لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس ، حتى لا تقوته الساعة الشريفة . ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا ، قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٤)</sup> « يَا أَيُّهَا النَّاسُ زَمَانٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ أَمْرٌ دُنْيَاهُمْ لَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ حَاجَةٌ فَلَا تَجَالِسُوهُمْ »

## بيان السنن والآداب الخارجة عن الترتيب السابق

الذي يعم جميع النهار ، وهي سبعة أمور

الأول : أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ، ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ، ولا ينبغي أن يخلو المرید في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات

( ١ ) حديث ابن عمر في الركعتين بعد الجمعة - متفق عليه

( ٢ ) حديث أبي هريرة في الأربع ركعات بعد الجمعة : م إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً

( ٣ ) حديث علي وعبد الله في صلاة ست ركعات بعد الجمعة : هـ مرفوعاً عن علي وله موقوفاً على ابن مسعود أربعاً و د من حديث ابن عمر كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستاً

( ٤ ) حديث يأتي على أمي زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم - الحديث : هـ في الشعب من حديث الحسن مرسلًا وأسنده ك من حديث أنس وصحح أسنده وحب نحوه من حديث ابن مسعود وقد نادم

حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ، ولا ينبغي أن يحضر الحلق قبل الصلاة . وروى  
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> نَهَى عَنِ التَّحَلُّقِ يَوْمَ  
الْجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ » إلا أن يكون عالماً بالله ، يذكر بأيام الله ، ويفقه في دين الله ، يتكلم  
في الجامع بالنداة فيجلس إليه فيكون جامعاً بين البكور وبين الاستماع ، واستماع العلم  
النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل <sup>(٢)</sup> فقد روى أبو ذر أن حضور مجلس علم  
أفضل من صلاة ألف ركعة ، قال أنس بن مالك في قوله تعالى : ( فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ  
فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ \* ) : أما إنه ليس بطلب دنيا ، ولكن عيادة  
مريض وشهود جنازة ، وتعلم علم ، وزيارة أخ في الله عز وجل

وقد سمي الله عز وجل العلم فضلاً في مواضع : قال تعالى : ( وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ  
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً \* ) وقال تعالى : ( وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً \* ) يعني العلم .  
فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات ،

والصلاة أفضل من مجالس القصاص ، إذ كانوا يروونه بدعة ، ويخرجون القصاص من  
الجامع . بكر ابن عمر رضي الله عنهما إلى مجلسه في المسجد الجامع فإذا فاص يقص في  
موضعه ، فقال : قم عن مجلسي ، فقال : لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه . فأرسل ابن  
عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه . فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته ، فقد قال صلى الله  
عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ وَلَكِنْ تَقَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا »  
وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه . وروى أن قاصاً كان  
يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها ، فأرسلت إلى ابن عمر أن هذا قد آذاني بقصصه  
وشغلني عن سبحتي ، فضربه ابن عمر حتى كسرت عصاه على ظهره ثم طرده

(١) حديث عبد الله بن عمر في النهي عن التحلق يوم الجمعة : دن و ه من روايه عمرو بن شعيب عن

أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر

(٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في العلم

(٣) حديث لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه - الحديث : مسبق عليه من حديث ابن عمر



الثاني : أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ، ففي الخبر المشهور <sup>(١)</sup> « إِنْ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُوَاقِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ » وفي خبر آخر <sup>(٢)</sup> « لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ يُصَلِّي » واختلف فيها ف قيل إنها عند طلوع الشمس . وقيل عند الزوال . وقيل مع الأذان . وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة . وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة . وقيل آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار . وقيل قبل غروب الشمس <sup>(٣)</sup> . وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادماتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها ، فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس ، وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أيها صلى الله عليه وسلم وعليها . وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر ، حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها . وقيل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر . وهذا هو الأشبه ، وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ، ولكن ينبغي أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « إِنْ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامٍ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ إِلَّا فَتَعَرَّضُوا لَهَا » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام ، فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها بإحضار القلب ، وملازمة الذكر ، والنزوع عن وساوس الدنيا ، فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات

وقد قال كعب الأخبار : <sup>(٥)</sup> إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة ، وذلك عند الغروب ، فقال أبو هريرة : وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة ، فقال كعب : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم

( ١ ) حديث ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه : ت ه من حديث عمرو

ابن عوف الزنى

( ٢ ) حديث لا يصادفها عبد مصل : متفق عليه من حديث أبي هريرة

( ٣ ) حديث فاطمة في ساعة الجمعة : قط في العلل هق في الشعب وعلته الاختلاف

( ٤ ) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات - الحديث : الحكيم في النوادر وطب في الأوسط من حديث

محمد بن مسلمة ولا بن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة واختلف في أسنده

( ٥ ) حديث اختلاف كعب وأبي هريرة في ساعة الجمعة وقول أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام

« مَنْ قَعَدَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ » قال بلي ، قال فذلك صلاة ، فسكت أبو هريرة . وكان كعب مائلاً إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقائين بحق هذا اليوم ، وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل . وبالجملية هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر ، فليكثر الدعاء فيهما

الثالث : يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَمَانِينَ مَرَّةً غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَ ثَمَانِينَ سَنَةً . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَتَعَمَّدْ وَاحِدَةً ، وَإِنْ قُلْتَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً وَلِحَقٍّ أَدَاءً وَأَعْطِيهِ الْوَسِيلَةَ وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْحَمْدُ الَّذِي وَعَدْتَهُ وَاجْزِهِ عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ وَاجْزِهِ أَفْضَلَ مَا جَازَيْتَ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم ، وإن أراد أن يزيد أتى بالصلاة الماثورة <sup>(٢)</sup> فقال « اللَّهُمَّ اجْعَلْ فُضَائِلَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَاحِي بَرَكَاتِكَ وَشَرَائِفَ زَكَوَاتِكَ وَرَأْفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَتَحِيَّتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَائِدِ الْخَيْرِ وَفَاتِحِ الْبَرِّ وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَسَيِّدِ الْأُتَمَّةِ اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا تَزْلِفُ بِهِ قُرْبَهُ وَتُقَرِّبُهُ بِهِ عَيْنُهُ يَمِيطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ اللَّهُمَّ اعْطِهِ الْفَضْلَ وَالْفَضِيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالْوَسِيلَةَ وَالدرَجَةَ الرَّفِيعَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الشَّامِخَةَ الْمُنِيفَةَ ، اللَّهُمَّ اعْطِ مُحَمَّدًا

من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت وقع في الاحياء أن كعبا هو القائل أنها آخر ساعة وليس كذلك وإنما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فأنما قال إنها في كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه د ن حب من حديث أبي هريرة وه نحوه من حديث عبد الله بن سلام

( ١ ) حديث من صلى في يوم الجمعة ثمانين مرة - الحديث : قط من رواية ابن المسيب قال أظنه عن أبي

هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن

( ٢ ) حديث. اللهم اجعل فضائل صلواتك - الحديث : ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي صلى الله

عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود

سُؤْلُهُ وَبَلَّغُهُ مَأْمُولُهُ وَأَجْمَلُهُ أَوَّلَ شَافِعٍ وَأَوَّلَ مُشْفِعٍ ، اللَّهُمَّ عَظِّمْ بُرْهَانَهُ وَثَقِّلْ مِيزَانَهُ  
وَأَبْلِغْ حُجَّتَهُ وَارْفَعْ فِي أَعْلَى الْمُقَرَّرِينَ دَرَجَتَهُ ، اللَّهُمَّ أَحْشِرْنَا فِي زُمْرَتِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ  
شَفَاعَتِهِ وَأَخِينَا عَلَى سُنَّتِهِ وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ وَاسْتَقِنَّا بِكَأْسِهِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا  
نَادِمِينَ وَلَا شَاكِينَ وَلَا مُبَدِّلِينَ وَلَا فَاتِنِينَ وَلَا مُفْتُونِينَ ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ »

وعلى الجملة فكل ما أتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة فى التشهد كان مصليا ،  
وينبى أن يضيف إليه الاستغفار ، فإن ذلك أيضاً مستحب فى هذا اليوم

الرابع : قراءة القرآن فليكثر منه ، وليقرأ سورة الكهف خاصة فقدرى عن ابن  
عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما <sup>(١)</sup> « أَنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمَ  
الْجُمُعَةِ أُعْطِيَ نُورًا مِنْ حَيْثُ يَقْرُؤُهَا إِلَى مَكَّةَ وَغُفِرَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْآخِرَى وَفُضِّلَ  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَصَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَغُفِرَ مِنْ الذَّنَاءِ وَالذَّيْلَةِ وَذَاتِ الْجَنْبِ  
وَالْبَرَصِ وَالْجُدَامِ وَفِتْنَةِ الدَّجَالِ » ويستحب أن يحتم القراءة فى يوم الجمعة وليلتها إن قدر ،  
وليكن ختمه للقراءة فى ركعتى الفجر إن قرأ بالليل . أو فى ركعتى المغرب ، أو بين الأذان  
والإقامة للجمعة ، فله فضل عظيم . وكان العابدون يستحبون أن يقرأوا يوم الجمعة قل هو  
الله أحد ألف مرة ، ويقال إن من قرأها فى عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمه ،  
وكانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ألف مرة . وكانوا يقولون : سبحان الله والحمد لله  
ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة ، وإن قرأ المسبعات الست فى يوم الجمعة أو ليلتها  
فحسن ، وليس يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سورا بأعينها إلا فى يوم  
الجمعة وليلتها « كَانَ <sup>(٢)</sup> يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، وَقُلْ هُوَ  
اللَّهُ أَحَدٌ ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ »

( ١ ) حديث ابن عباس وأبى هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة - الحديث : لم  
أجده من حديثها

( ٢ ) حديث القراءة فى المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفى عشائها الجمعة  
والمناققين حب وهى من حديث سمرة وفى ثقات حب المحفوظ عن سماك مرسل قلت لا يصح  
مسندا ولا مرسلا

وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> كَانَ يَقْرَأُهُمَا فِي رَكْعَتَيِ الْجُمُعَةِ وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سُورَةَ سَجْدَةَ لُقْمَانَ وَسُورَةَ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ »

الخامس : الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلى أربع ركعات يقرأ فيهن <sup>(٢)</sup> قل هو الله أحد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة ، فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مَنْ فعله لم يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ « أَوْ يَرَى لَهُ ، ولا يدع ركعتي التحية وإن كان الإمام يخطب ، ولكن يخفف <sup>(٣)</sup> أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك . وفي حديث غريب « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٤)</sup> سَكَتَ لِلدَّخْلِ حَتَّى صَلَّاهُمَا » فَقَالَ الْكُوفِيُّونَ إِنْ سَكَتَ لَهُ الْإِمَامُ صَلَّاهُمَا . ويستحب في هذا اليوم أوفى ليلته أن يصلى أربع ركعات بأربع سور : الأنعام ، والكهف ، وطه ، ويس . فإن لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ، ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة ، ففيها فضل كثير . ومن لا يحسن القراءة أن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الختمة ، ويكثر من قراءة سورة الإخلاص . ويستحب أن يصلى صلاة التسبيح كما سيأتى في باب التطوعات كيفيتها <sup>(٥)</sup> لَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَمَّةِ الْعَبَّاسِ « صَلَّاهُمَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ » وكان ابن عباس رضى الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال ، وكان يخبر عن جلالة فضلها . والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة ، وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم ، وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح والاستغفار

( ١ ) حديث القراءة في الجمعة بالجمعة والمناققين وفي صحيح الجمعة بالسجدة وهل أتى : م من حديث ابن عباس

وأبى هريرة

( ٢ ) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائتي مرة - الحديث

الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا

( ٣ ) حديث الامر بالتخفيف في التحية إذا دخل والامام يخطب : م من حديث جابر ونحو الامر بالركعتين ولم

يذكر التخفيف

( ٤ ) حديث سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للدخول حتى فرغ من التحية : قط من حديث أس وقال

أسنده عبيد بن محمد وروى فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسل

( ٥ ) حديث صلاة التسبيح وقوله لعمة العباس صلها في كل جمعة : ده وابن خزيمة والحاكم من حديث

ابن عباس وقال علق وغيره ليس فيها حديث صحيح

السادس : الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة ، فإنها تتضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم في كلام الإمام ، فهذا مكروه . وقال صالح بن محمد : سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جانب أبي ، فأعطى رجل أبي قطعة ليناوله إياها فلم يأخذها منه أبي . وقال ابن مسعود : إذا سأل رجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى ، وإذا سأل على القراء فلا تعطوه . ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس ، إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكانه من غير تحفظ وقال كعب الأحبار : من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعها وسجودها وخشوعها ثم يقول : اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم ، وباسمك الذي لا إله إلا الله هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه . وقال بعض السلف : من أطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤخذ أحداً ثم قال حين يسلم الإمام : بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم أسألك أن تغفر لى وترحمنى وتعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له

السابع : أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكيف فيه عن جميع أشغال الدنيا ، ويكثر فيه الأوراد ، ولا يبتدىء فيه السفر<sup>(١)</sup> فقد روى « أَنَّهُ مَنْ سَافَرَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ دَعَا عَلَيْهِ مَلَكَهُ » وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرقعة تقوت . وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعاً في المسجد فإن البيع والشراء في المسجد مكروه ، وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد وبالجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته ، فإن الله سبحانه إذا أحب عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال ، وإذا مقتته استعمله في الأوقات الفاضلة بسئ الأعمال ، ليكون ذلك أوجع في عتابه ، وأشد لمقتته ، لحرماته بركة الوقت ، وانتهاك حرمة الوقت . ويستحب في الجمعة دعوات وسياثى ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى . وصلى الله على كل عبد مصطفى

( ١ ) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه : قط في الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لبيعة وقال

عريب والحطيب في الرواة عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

## الباب السادس

في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها  
فأما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه

مسألة :

الفعل القليل وإن كان لا يبطل الصلوة فهو مكروه إلا لحاجة ، وذلك في دفع المار ،  
وقتل العقرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو بضربتين ، فإذا صارت ثلاثا فقد كثرت  
وبطلت الصلوة ، وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما ، وكذلك حاجته  
إلى الحك الذي يشوش عليه الخشوع . كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلوة ، وابن  
عمر كان يقتل القملة في الصلوة حتى يظهر الدم على يده . وقال النخعي . يأخذها ويوهنها  
ولا شيء عليه إن قتلها . وقال ابن المسيب يأخذها ويخدرها ثم يطرحها . وقال مجاهد :  
الأحب إلي أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذى ثم يلقها .  
وهذه رخصة ، وإلا فالكمال الاحتراز عن الفعل وإن قل ، ولذلك كان بعضهم لا يطرده  
الذباب ، وقال : لا أعود نفسي ذلك فيفسد على صلاتي ، وقد سمعت أن الفساق بين يدي  
الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون . ومهما تشاء فلا بأس أن يضع يده على فيه  
وهو الأولى ، وإن عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه ، وإن تجشأ فيذبني  
أن لا يرفع رأسه إلى السماء ، وإن سقط رداؤه فلا ينبغي أن يسويه ، وكذلك أطراف  
عمامته ، فكل ذلك مكروه إلا لضرورة

مسألة :

الصلوة في النعلين جائزة وإن كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر  
النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس « صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> فِي نَعْلَيْهِ ثُمَّ نَزَعَ فَتَزَعَ النَّاسُ نِعَالَهُمْ ، فَقَالَ لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ ؟ قَالُوا : رَأَيْنَاكَ

﴿ الباب السادس ﴾

(١) حديث صلى في نعليه ثم نزع فتزع الناس نعالهم - الحديث : أحمد واللفظ له ذلك وصححه من حديث أبي سعيد

خَلَمْتُ نَحْلَعَنَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ  
بِهِمَا خَبْنًا ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَقْلِبْ نَعْلَيْهِ وَلْيَنْظُرْ فِيهِمَا فَإِنْ رَأَى خَبْنًا  
فَلْيَمْسَحْهُ بِالْأَرْضِ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا » وقال بعضهم : الصَّلَاةُ فِي النَّمَانِ أَفْضَلُ ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لِمَ خَلَقْتُمْ نِعَالَكُمْ ؟ وهذه مبالغة ، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ  
سَبَبَ خَلْعِهِ إِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ خَلَعُوا عَلَى مُوَافَقَتِهِ وَقَدَرُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّائِبِ <sup>(١)</sup> « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَعَ نَعْلَيْهِ » فَإِذَا قَدَفَعْلَ كُلِيهِمَا ، فَمَنْ خَلَعَ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَهُمَا عَنْ عَيْنِهِ  
وَيَسَارِهِ فَيَضِيقُ الْمَوْضِعَ وَيَقْطَعُ الصَّفَّ ، بَلْ يَضَعُهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا يَتْرَكُهُمَا وَرَاءَهُ فَيَكُونُ  
قَلْبُهُ مُلْتَفِتًا إِلَيْهِمَا . وَلَعَلَّ مَنْ رَأَى الصَّلَاةَ فِيهِمَا أَفْضَلَ رَاعَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ التَّفَاتُ الْقَلْبَ إِلَيْهِمَا ،  
رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> قَالَ : إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ  
فَلْيَجْعَلْ نَعْلَيْهِ بَيْنَ رَجْلَيْهِ » وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما  
« وَوَضَعَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> عَلَى يَسَارِهِ وَكَانَ إِمَامًا » فَلَا إِمَامَ أَنْ يَفْعَلَ  
ذَلِكَ ، إِذْ لَا يَقِفُ أَحَدٌ عَلَى يَسَارِهِ ، وَالْأُولَى أَنْ لَا يَضَعَهُمَا بَيْنَ قَدَمَيْهِ فَيَسْغُلَانِهِ وَلَكِنْ قَدَامَ  
قَدَمَيْهِ ، وَلَعَلَّهُ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ . وَقَدْ قَالَ جَبْرِ بْنُ مَطْعَمٍ : وَضَعَ الرَّجُلُ نَعْلَيْهِ بَيْنَ قَدَمَيْهِ بِدَعَا  
مَسْأَلَةً :

إِذَا بَرَقَ فِي صَلَاتِهِ لَمْ تَبْطُلْ صَلَاتُهُ لِأَنَّهُ فَعَلَ قَلِيلًا ، وَمَا لَا يَحْصُلُ بِهِ صَوْتٌ لَا يَمُدُّ كَلَامًا  
وَلَيْسَ عَلَى شَكْلِ حُرُوفِ الْكَلَامِ ، إِلَّا أَنَّهُ مَكْرُوهٌ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَحْتَزِمَ مِنْهُ ، إِلَّا كَمَا أَدْنَى  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ : إِذْ رَوَى بَعْضُ الصَّحَابَةِ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ <sup>(٤)</sup> رَأَى فِي الْقِبْلَةِ نُخَامَةً فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ثُمَّ حَكَّهَا بِعَرَجُونٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ وَقَالَ  
اثْنُونِي بِعَبِيرٍ فَلَطَخَ أَثَرَهَا بِرَعْفَرَانٍ ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْنَا وَقَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُبَرَّقَ فِي وَجْهِهِ ؟

( ١ ) حديث عبد الله بن السائب في خلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه : م

( ٢ ) حديث أبي هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه : د بسند صحيح وضعه المنذرى وليس يجيد

( ٣ ) حديث وضعه نعليه على يساره : م من حديث عبد الله بن السائب

( ٤ ) حديث رأى في القبلة نخامة فغضب - الحديث : م من حديث جابر وافقنا عليه مختصرا من حديث

أنس وعائشة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر

فَقُلْنَا لَا أَحَدَ ، قَالَ : فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْتَهِ  
وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ » وفي لفظ آخر : « وَاجِهَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَلَا يَزُقُّ أَحَدُكُمْ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ  
وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَكِنْ عَنْ شِمَالِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى فَإِنْ بَدَرَتْهُ بِأَدْرَةٍ قَلِيلٌ يَصُقُّ  
فِي ثَوْبِهِ وَلَيْقُلْ بِهِ هَكَذَا » وَذَلِكَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ  
مسألة :

لوقوف المقتدى سنة وفرض . أما السنة فأن يقف الواحد عن يمين الإمام متأخراً عنه  
قليلاً ، والمرأة الواحدة تقف خلف الإمام ، فان وقفت بجانب الإمام لم يضر ذلك ، ولكن  
خالفت السنة ، فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الإمام وهي خلف الرجل ،  
ولا يقف أحد خلف الصف منفرداً ، بل يدخل في الصف ، أو يجرّ إلى نفسه واحداً من  
الصف ، فان وقف منفرداً صحّت صلاته مع الكراهية

وأما الفرض فالتصال الصف ، وهو أن يكون بين المقتدى والإمام رابطة جامعة ،  
فإنهما في جماعة ، فإن كانا في مسجد كفي ذلك جامعاً لأنه بنى له ، فلا يحتاج إلى اتصال  
صف ، بل إلى أن يعرف أفعال الإمام ، صلى أبو هريرة رضى الله عنه على ظهر المسجد  
بصلاة الإمام . وإذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما  
اختلاف بناء مفرّق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم ، وكفى بها رابطة ، إذ يصل فعل  
أحدهما إلى الآخر ، وإنما يشترط إذا وقف في صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها  
لا طيء في المسجد ، فالشرط أن يعد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع إلى الصحن  
ثم نصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دوك من تقدم عليه ، وهكذا حكم الأبنية  
المختلفة ، فأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء  
مسألة :

المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الإمام فهو أوّل صلاته ، فليوافق الإمام وليبن عليه ،  
وليقتت في الصبح في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الإمام ، وإن أدرك مع الإمام بعض القيام  
فلا يشتغل بالدعاء ، وليبدأ بالفاتحة وليخففها ، فان ركع الإمام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله  
من الركوع فليتم ، فان عجز وافق الإمام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق



وإن ركع الإمام وهو في السورة فليقطعها ، وإن أدرك الإمام في السجود أو التشهد كبر للإحرام ثم جلس ولم يكبر ، بخلاف ما إذا أدركه في الركوع فإنه يكبر ثانياً في الهوى ، لأن ذلك انتقال محسوب له ، والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للمعارض بسبب القدوة ، ولا يكون مدركاً للركعة ما لم يطمئن راکماً في الركوع والإمام بعد في حدّ الراكعين ، فإن لم يتم طمأننته إلا بعد مجاوزة الإمام حدّ الراكعين فاتته تلك الركعة

مسألة :

من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أولاً ثم العصر ، فإن ابتدأ بالعصر أجزاءه ، ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف ، فإن وجد إماماً فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده ، فإن الجماعة بالأداء أولى ، فإن صلى منفرداً في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة الوقت ، والله يحتسب أيهما شاء ، فإن نوى فائتة أو تطوعاً جاز ، وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة أخرى فلينو الفائتة أو النافلة ، لإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له ، وإنما احتل ذلك لدرك فضيلة الجماعة

مسألة :

من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ، ولورأى النجاسة في أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم ، والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع النملين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فإنه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة

مسألة :

من ترك التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الأول أو فعل فعلاً سهواً ، وكانت تبطل الصلاة بتممه ، أو شك فلم يدر أصلي ثلاثاً أو أربعاً ، أخذ باليقين وسجد سجدة السهو قبل السلام ، فإن نسي فبعد السلام مهما تذكّر على القرب ، فإن سجد بعد السلام ، وبعد أن أحدث ، بطلت صلاته ، فإنه لما دخل

في السجود كأنه جعل سلامه نسيانا في غير محله ، فلا يحصل التحلل به ، وعاد إلى الصلاة ،  
فلذلك يستأنف السلام بعد السجود ، فإن تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد ،  
أو بعد طول الفصل فقدفات  
مسألة :

الوسوسة في نية الصلاة : سببها خجل في العقل أو جهل بالشرع ، لأن امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره ، وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ، ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي ، كان سفها في عقله ، بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقويه ويكون معظما ، إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة . واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل ، وانتفاء باعث آخر سواء وقصد التعظيم به ليكون تعظيما ، فانه لو قام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكون معظما . ثم هذه الصفات لا بد وأن تكون معلومة ، وأن تكون مقصودة ، ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة ، وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها ، إما تلفظا باللسان ، وإما تفكرا بالقلب ، فن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية ، فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت وقت ، فالوسوسة محض الجهل ، فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ، ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها ، وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر ، والحضور مضاد للعزوب والغفلة وإن لم يكن مفصلا ، فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة ، وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة ، فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان ، وأن التقدم للعدم ، وأن التأخر للوجود . فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث ، بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لوقيل له : هل عانت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدم والتأخر فقال ما عرفته قط ، كان كاذبا ، وكان قوله مناقضا لقوله : إني أعلم الحادث

ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس ، فإن الوسواس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهيرية والأدائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها ، وذلك محال ، ولو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل العالم لتعذر عليه ، فهذه المعرفة يندفع الوسواس ، وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه في النية كامتثال أمر غيره

ثم أزيد عليه على سبيل التسهيل والترخص وأقول : لولم يفهم الوسواس النية إلا باحضار هذه الأمور مفصلة ، ولم يمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة ، وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية ، كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره ، فإن ذلك تكليف شطط ، ولو كان مأموراً به لوقع الأولين سؤال عنه ، ولو وسوس واحد من الصحابة في النية ، فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل ، فكيفما تيسرت النية للوسواس ينبغي أن يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ، ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك ، فإن التحقيق يزيد في الوسوسة . وقد ذكرنا في الفتاوى وجوهاً من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية فتتقر العلماء إلى معرفتها ، أما العامة فربما ضررها سماعها ويهيج عليها الوسواس ، فلذلك تركناها

مسألة :

ينبغي أن لا يتقدم المأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع منهما ولا في سائر الأعمال ، ولا ينبغي أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره ، فهذا معنى الاقتداء ، فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بحنبه غير متأخر عنه ، فإن تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ، ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الإمام ، بل هذا أولى ، لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف ، فالتبعية في الفعل أهم ، وإنما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلاً للمتابعة في الفعل ، وتحصيلاً لصورة التبعية ، إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم ، فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهواً ، ولذلك شدد رسول الله

صلى الله عليه وسلم النكير فيه فقال <sup>(١)</sup> «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار» وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة ، وذلك بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ، ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه ، فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته ، وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول

### مسألة :

حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه ، وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه ، فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد الوقوف خارج الصف ، والانكار على من يرفع رأسه قبل الإمام ، إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «وَيْلٌ لِلْعَالِمِ مِنَ الْجَاهِلِ حَيْثُ لَا يُعْلَمُهُ» وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من رأى من يسئ صلاته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها . وعن بلال بن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها ، فإذا أظهرت فلم تغير أضرت بالجماعة . وجاء <sup>(٣)</sup> في الحديث «أَنَّ بِلَالَ كَانَ يُسَوِّي الصُّفُوفَ وَيَضْرِبُ عِرَاقِيهِمْ بِالْدَّرَّةِ» وعن عمر رضي الله عنه قال : تفقدوا اخوانكم في الصلاة فإذا فقدتموهم ، فإن كانوا مرضى فمردوهم ، وإن كانوا أصحاء فماتبوهم . والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ، ولا ينبغي أن يتساهل فيه . وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي . ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصدين الصف ، ولذلك تراحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> حتى قيل له . تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم «مَنْ عَمَرَ مَيْسِرَةَ الْمَسْجِدِ كَانَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ» ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرج به إلى خلف ويدخل فيه ، أغنى إذا لم يكن بالغاً . وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى . وسيأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى

( ١ ) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام : متفق عليه . من حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث ويل للعالم من الجاهل - الحديث : صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف

( ٣ ) حديث أن بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيتهم بالدرة : لم أجده

( ٤ ) حديث قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد - الحديث : هـ من حديث ابن عمر بسند ضعيف

## الباب السابع

### في النوافل من الصلوات

اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام : سنن ، ومستحبات ، وتطوعات . ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه : كالرواتب عقيب الصلوات ، وصلاة الضحى ، والوتر ، والتهجد ، وغيرها ، لأن السنة عبارة عن الطريق المسلوكة ، ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سنقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع ، وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه ، وأمثاله . ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقاً فكأنه متبرع به ، إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقاً . والتطوع عبارة عن التبرع . وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجلتها زائدة على الفرائض . فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ، ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح ، فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد . وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المعروفة لفضلها ، وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ، وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ، ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد ، وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ، ثم الكسوف ، ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ، ثم ركعتا الفجر ، ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء ، وإلى ما يتعلق بأوقات ، والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرار اليوم واليلة ، أو بتكرار الأسبوع ، أو بتكرار السنة . فالجملة أربعة أقسام

## القسم الأول

ما يتكرر بنكر الأيام والليالي وهي ثمانية : خمسة هي رواتب الصلوات الخمس ، وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجيد

الأولى : راتبة الصبح ، وهي ركعتان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . ويدخل وقتها بطولوع الفجر الصادق ، وهو المستطيل دون المستطيل ، وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله ، إلا أن يتعلم منازل القمر ، أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر ، فيستدل بالكواكب عليه ، ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر ، فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ، ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر . هذا هو الغالب . ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج . وشرح ذلك يطول . وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح . ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤها قبل الفرض ، فإن دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> قال : « إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ » ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلهما . والصحيح أنها أداء ما وقعتا قبل طلوع الشمس ، لأنهما تابعتان للفرض في وقته ، وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة ، فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقينا أداء . والمستحب أن يصلحها في المنزل ويخففها ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ، ثم يحاس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة ، وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة

الثانية : راتبة الظهر ، وهي ست ركعات : ركعتان بعدها وهي أيضا سنة مؤكدة ، وأربع قبلها وهي أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين . روى أبو هريرة

### ( الباب السابع )

- ( ١ ) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا - الحديث : م من حديث عائشة
- ( ٢ ) حديث إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة م من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> أنه قال : « مَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ يُحْسِنُ قِرَاءَتَهُنَّ وَرُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ صَلَّى مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى اللَّيْلِ » وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٢)</sup> لَا يَدْعُ أَرْبَعًا بَعْدَ الزَّوَالِ ، يُطِيلُهُنَّ وَيَقُولُ إِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تُفْتَحُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ فَأَجِيبُ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيهَا عَمَلٌ ، رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرده به ، ودل عليه أيضاً ما روت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> أنه قال : « مَنْ صَلَّى فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ : وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ، وَأَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْعَصْرِ ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ » وقال ابن عمر رضي الله عنهما : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٤)</sup> فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَ رَكَعَاتٍ فذكر ما ذكرته أم حبيبة رضي الله عنها إلا رَكَعَتِي الْفَجْرِ فَانه قال : تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن حدثني أختي حفصة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج . وقال في حديثه : ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعد العشاء ، فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة . ويدخل وقت ذلك بالزوال

والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبه مائلة إلى جهة الشرق ، إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل ، فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار ، فيكون ذلك منتهى نقصان الظل ، فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة ،

( ١ ) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن - الحديث : ذكره

عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث أبي أيوب كان لا يدع أربعا بعد الزوال - الحديث : أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي

داود وهو مختصر أو نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن

( ٣ ) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة - الحديث : نك وصححه أسنده على شرط م

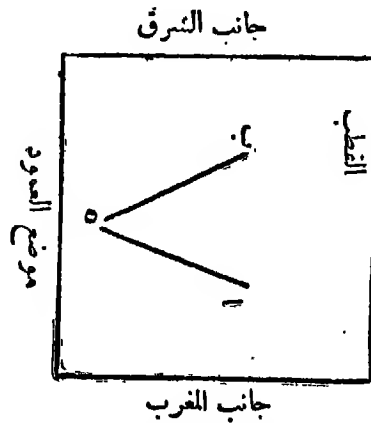
ورواه مختصرا ليس فيه تعيين أوقات الركعات

( ٤ ) حديث ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات - الحديث متفق

عليه واللفظ لم ولم يقل في كل يوم

فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ، ويعلم قطعاً أن الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ، ولكن التكاليف لا ترتبط إلا بما يدخل تحت الحس . والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ، ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدى ، ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان . ويعرف ذلك بالأقدام والموازن

ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القلب الشمالى بالليل ويضع على الأرض لوحاً مربعاً وضعاً مستويًا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توهمت خطاً من مسقط الحجر إلى الضلع الذى يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين ، أى لا يكون الخط مائلاً إلى أحد الضلعين ، ثم تنصب عموداً على اللوح نصباً مستويًا فى موضع علامة ه وهو بازاء القطب ، فيقع ظله على اللوح فى أول النهار مائلاً إلى جهة المغرب فى صوب خط اثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ، ويكون موازياً للضلع الشرقى والغربى غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربى فالشمس فى منتهى الارتفاع ، فإذا انحرف الظل عن الخط الذى على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس . وهذا يدرك بالحس تحقيقاً فى وقت هو قريب من أول الزوال فى علم الله تعالى ، ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة ، فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر . فهذا القدر لا بأس بعرفته فى علم الزوال . وهذه صورته





الثالثة : راتبة العصر ، وهى أربع ركعات قبل العصر ، روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال <sup>(١)</sup> : « رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا » ففعل ذلك على رجاء الدخول فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا مؤكداً ، فان دعوته تستجاب لا محالة . ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر الرابعة : راتبة المغرب ، وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما . وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبي ابن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم ، قال عبادة أو غيره « كَانَ الْمُؤَذِّنُ إِذَا أَذَّنَ لِمَغْرِبِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> السَّوَارِي يُصَلُّونَ رَكْعَتَيْنِ » وقال بعضهم <sup>(٣)</sup> : « كُنَّا نُصَلِّي الرِّكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ حَتَّى يَدْخُلَ الدَّخِلُ فَيَحْسَبُ أَنَا صَلَّيْنَا فَيَسْأَلُ : أَصَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ ؟ » وذلك يدخل فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٤)</sup> « يَبْنَ كُلُّ إِذَا نَيْنَ صَلَاةٍ لِمَنْ شَاءَ » وكان أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما ، فقليل له فى ذلك فقال : لم أر الناس يصلونهما فتركتهما ، وقال : لئن صلاهما الرجل فى بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن

ويدخل وقت المغرب بغيوبة الشمس عن الأبصار فى الأراضى المستوية التى ليست محفوفة بالجبال ، فإن كانت محفوفة بها فى جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ » والأحب المبادرة فى صلاة المغرب خاصة ، وإن أخرت وصليت

( ١ ) حديث أبي هريرة رضى الله عنه صلى الله عليه وسلم : روى عن أبي هريرة : دت حب من حديث ابن عمر وأعله ابن القطن ولم أره من حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث عبادة أو غيره فى ابتداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السوارى إذا أذن لصلاة المغرب متفق عليه : من حديث أنس لا من حديث عبادة وروى عبد الله ابن أحمد فى زيادات المسند أن أبي بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا يركعان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب

( ٣ ) حديث كنا نصلى الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا : م من حديث أنس

( ٤ ) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء : متفق عليه من حديث عبد الله بن مفضل

( ٥ ) حديث إذا أقبل الليل من هاهنا - الحديث : متفق عليه من حديث عمر

قبل غيوبة الشفق الأحمر وقعت أداء ، ولكنه مكروه . وأخر عمر رضى الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة ، وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقتين الخامسة : رابعة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة ، قالت عائشة رضى الله عنها « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> يُصَلِّي بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ يَنَامُ » واختار بعض العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة : ركعتان قبل الصبح ، وأربع قبل الظهر ، وركعتان بعدها ، وأربع قبل العصر ، وركعتان بعد المغرب ، وثلاث بعد العشاء الآخرة ، وهى الوتر <sup>(٢)</sup> ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير ، فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ فَنُ شَاءَ أَكْثَرَ وَمَنْ شَاءَ أَقَلَّ » فإذا اختير كل مرید من هذه الصلوات بتدر رغبته فى الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها أكد من بعض ، وترك الآ أكد أبعد ، لاسيما والفرائض تكمل بالنوافل ، فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر

السادسة : الوتر ، قال أنس بن مالك « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> يُوترُ بَعْدَ الْعِشَاءِ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَفِي الثَّانِيَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَفِي الثَّلَاثَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » وجاء فى الخبر « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> كَانَ يُصَلِّي بَعْدَ الْوُتْرِ رَكْعَتَيْنِ جَالِسًا وَفِي بَعْضِهَا مُتَرَبِّعًا » وفى بعض الأخبار <sup>(٣)</sup> « إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِرَاشَهُ زَحَفَ إِلَيْهِ وَصَلَّى فَوْقَهُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ يَقْرَأُ فِيهِمَا إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ وَسُورَةُ التَّكْوِيْنِ » وفى رواية أخرى « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ » ويجوز الوتر

(١) حديث عائشة كان يصلى بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام : د

(٢) حديث الوتر ثلاث بعد العشاء : أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر بثلاث

لا يفصل بينهما

(٣) حديث الصلاة خير موضوع : أحمد وابن جابر ك وصححه من حديث أبى در

(٤) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء ثلاث ركعات يقرأ فى الأولى سبح - الحديث : ابن عدى فى ترجمة

محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس سند صحيح

(٥) حديث كان يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا : م من حديث عائشة

(٦) حديث اذا أراد أن يدخل فراشه زحف اليه ثم صلى ركعتين - الحديث : هو من حديث أبى أمامة

وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف اليه ولا ذكر ألهام التكاثر

مفصولاً وموصولاً بتسليمة واحدة وتسليمتين : وَقَدْ « أوترَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَكْعَةٍ <sup>(١)</sup> وَثَلَاثَ <sup>(٢)</sup> وَخَمْسَ <sup>(٣)</sup> وَهَكَذَا بِالْأَوْتَارِ <sup>(٤)</sup> إِلَى إِحْدَى عَشْرَةِ رَكْعَةٍ <sup>(٥)</sup> »  
والرواية مترددة في ثلاث عشرة <sup>(٦)</sup> وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة <sup>(٧)</sup> وكانت هذه  
الركعات أغنى ماسمينا جملتها وترا صلاته بالليل ، وهو التهجد . والتهجد بالليل سنة مؤكدة  
وسياقي ذكر فضلها في كتاب الأوراد .

وفي الأفضل خلاف . فقل إن الإيتار بركعة فردة أفضل ، إذ صح أنه صلى الله عليه وسلم  
كان يواظب على الإيتار بركعة فردة . وقيل الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف  
لا سيما الإمام ، إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة ، فإن صلى موصولاً نوى  
بالجميع الوتر ، وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى  
الوتر وصح ، لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا ، وأن يكون موترًا لغيره مما سبق  
قبله ، وقد أوتر الفرض ، ولو أوتر قبل العشاء لم يصح ، أي لا ينال فضيلة الوتر <sup>(٨)</sup> الذي هو  
« خَيْرُهُ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » كما ورد به الخبر ، وإلا فركعة فردة صحيحة في أي وقت كان ، وإنما  
لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق في الفعل ، ولأنه لم يتقدم ما يصير به وترا ،

(١) حديث الوتر بركعة متفق عليه : من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة

(٢) حديث الوتر بثلاث تقدم

(٣) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء إلا في آخرها

(٤) حديث الوتر بسبع : م د ن واللفظ من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف  
أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلي السابعة حديث الوتر تسع  
م من حديث عائشة وهو في الذي قبله

(٥) حديث الوتر بإحدى عشرة أبو داود بإسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وثلاث وست  
وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث - الحديث : ولمسلم من حديثها كان يصلي بالليل إحدى  
عشرة ركعة - الحديث

(٦) حديث الوتر بثلاث عشرة تقدم في الذي قبله وللترمذي والنسائي من حديث أم سلمة كان يوتر  
بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة  
زاد في رواية بركعتي الفجر

(٧) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاووس مرسل كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل

(٨) حديث الوتر خير من حمر النعم : د ت ه من حديث خارجة بن حذافة أن الله أمدكم بإسلامه هي خير لكم من  
حمر النعم وضعفه خ وغيره

فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر ، فإنه إن نوى بهما التهجيد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر ، وإن نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا ، وإنما الوتر ما بعده ولكن الأظهر أن ينوى الوتر كما ينوى في الثلاث الموصولة الوتر ، ولكن للوتر معنيان : أحدهما أن يكون في نفسه وترا ، والآخر أن ينشأ ليجعل وترا بما بعده ، فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث ، إلا أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة ، وإذا كان هو على عزم أن يوترها بثالثة كان له أن ينوى بهما الوتر ، والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها ، والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بأنفسهما ، ولكنهما موترتان بغيرهما . والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل ، فيقع بعد التهجد . وسأني فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الأوراد السابعة : صلاة الضحى فاللواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها . أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثمان ركعات ، روت أم هانيء أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> صَلَّى الضُّحَى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ أَطْلَهُنَّ وَحَسَنَهُنَّ » ولم ينقل بهذا القدر غيرها . فأما عائشة رضي الله عنها فإنها ذكرت « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> « كَانَ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ » فلم تحدد الزيادة ، أي أنه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها ، وقد يزيد زيادات . وروى في حديث مفرد « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> « كَانَ يُصَلِّي الضُّحَى سِتَّ رَكَعَاتٍ » : وأما وقتها فقد روى علي رضي الله عنه « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَانَ يُصَلِّي الضُّحَى سِتًّا فِي وَفَتَيْنِ : <sup>(٤)</sup> إِذَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَارْتَفَعَتْ قَامَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، وهو أول الورد الثاني من أوراد النهار كما سيأتي ،

( ١ ) حديث أم هانيء صلى الضحى ثمان ركعات أطلهن وأحسنن : مطلق عليه دون زيادة أطلهن وأحسنن وهي منكورة

( ٢ ) حديث عائشة كان يصلي الضحى أربعة ويزيد ما شاء الله : م

( ٣ ) حديث كان يصلي الضحى ست ركعات : لا في فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات

( ٤ ) حديث كان إذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربيع النهار من جانب المشرق صلى أربعة : ت ن ه من حديث علي كان نبى الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس من مظلها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل

وَإِذَا انْبَسَطَتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ فِي رُبْعِ السَّمَاءِ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ صَلَّى أَرْبَعًا ، فَأَلَوَّلُ إِنَّمَا  
يَكُونُ إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ نِصْفِ رَمَحٍ ، وَالثَّانِي إِذَا مَضَى مِنَ النَّهَارِ رُبْعُهُ بِإِزَاءِ صَلَاةِ  
الْعَصْرِ ، فَإِنْ وَقْتُهِ أَنْ يَبْقَى مِنَ النَّهَارِ رُبْعُهُ ، وَالظُّهْرُ عَلَى مِثْلِ النَّهَارِ . وَيَكُونُ الضُّحَى  
عَلَى مِثْلِ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ ، كَمَا أَنَّ الْعَصْرَ عَلَى مِثْلِ مَا بَيْنَ الزَّوَالِ  
إِلَى الْغُرُوبِ . وَهَذَا أَفْضَلُ الْأَوْقَاتِ . وَمَنْ وَقْتُ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ إِلَى مَا قَبْلَ الزَّوَالِ وَفَتْ  
لِلضُّحَى عَلَى الْجُمْلَةِ

الثامنة : إحياء ما بين العشاءين ، وهى سنة مؤكدة . ومما نقل عدده من فعل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> بين العشاءين ست ركعات . ولهذه الصلاة فضل عظيم . وقيل إنها  
المراد بقوله عز وجل : ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) \* وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم  
<sup>(٢)</sup> أنه قال : « مَنْ صَلَّى بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فَإِنَّهَا مِنْ صَلَاةِ الْأَوَّابِينَ » ، وقال صلى الله  
عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَنْ عَكَفَ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ  
إِلَّا بِصَلَاةٍ أَوْ بَقْرَةٍ إِنْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُبْنَى لَهُ فَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ كُلِّ قَصْرِ  
مِنْهُمَا مِائَةً عَامٍ وَيَغْرَسُ لَهُ فِيهِمَا غَرَسًا لَوْ طَافَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ لَوَسِعَهُمْ » وسيأتى بقية  
فضائلها في كتاب الأوراد ، إن شاء الله تعالى

حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لبطن وقال ت حسن

( ١ ) حديث صلى بين العشاءين ست ركعات : ابن مسعود في الصحيح به وطلب في الأوسط والأصغر من حديث

عمار بن ياسر بسند ضعيف وت وضعفه من حديث أبي هريرة من صلى بعد المغرب ست

ركعات لم يتكلم فيما بينهما بسوء عدلن له بعباده ثنى عشرة سنة

( ٢ ) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين : ابن المبارك في الرقائق من رواية ابن

المنذر مرسل

( ٣ ) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة : أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة

من طريق عبد الملك بن حبيب بإسناد له من حديث عبد الله بن عمر

## القسم الثاني

ما يتكرر بتكرر الأسابيع

وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة

أما الأيام فنبدأ فيها يوم الأحد

يوم الأحد:

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> أنه قال : « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْأَحَدِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يقرأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَأَمَّنَ الرَّسُولُ مَرَّةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ نَضْرَائِي وَنَضْرَائِي حَسَنَاتٍ وَأَعْطَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ نَبِيٍّ وَكَتَبَ لَهُ حَجَّةً وَعُمْرَةً وَكَتَبَ لَهُ بِكُلِّ رَكَعَةٍ أَلْفَ صَلَاةٍ وَأَعْطَاهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ بِكُلِّ حَرْفٍ مَدِينَةً مِنْ مِسْكٍ أَذْفَرِ » وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> أنه قال : « وَحَدِّثُوا اللَّهَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْأَحَدِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فَمَنْ صَلَّى يَوْمَ الْأَحَدِ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ وَالسُّنَّةِ يقرأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَتَنْزِيلَ السَّجْدَةِ وَفِي الثَّانِيَةِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَتَبَارَكَ الْمَلِكُ ثُمَّ تَشَهُّدَ وَسَلَّم ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ أُخْرَيْنِ يقرأُ فِيهِمَا فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةَ الْجُمُعَةِ وَسَأَلَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ حَاجَتَهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَقْضَى حَاجَتُهُ »

يوم الاثنين:

روى عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> أنه قال : « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ رَكَعَتَيْنِ يقرأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً »

( ١ ) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات - الحديث : أبو موسى المديني من حديث أبي هريرة

بسند ضعيف

( ٢ ) حديث على وحدها الله بكثرة الصلاة يوم الأحد - الحديث : ذكره أبو موسى المديني فيه بغير أسناد

( ٣ ) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين - الحديث : أبو موسى المديني من

حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر

وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمَعُودَتَيْنِ مَرَّةً مَرَّةً فَإِذَا سَلَّمَ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ مَرَّاتٍ غَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا » وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً يقرأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً فَإِذَا فَرَغَ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً وَاسْتَغْفَرَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً يَنَادِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ لِيَقُمَ فَلْيَأْخُذْ ثَوَابَهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَوَّلُ مَا يُعْطَى مِنَ الثَّوَابِ أَلْفَ حُلَّةٍ وَيَتَوَجَّعُ وَيُقَالُ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَسْتَقْبِلُهُ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ مَعَ كُلِّ مَلَكٍ هَدِيَّةٌ يُسَبِّحُونَهُ حَتَّى يَدُورَ عَلَى أَلْفِ قَصْرِ مِنْ نُورٍ يَتَسَلَّلَانِ »

يوم الثلاثاء :

روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ عَشَرَ رَكَعَاتٍ عِنْدَ انْتِصَافِ النَّهَارِ - وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ يقرأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ إِلَى سَبْعِينَ يَوْمًا فَإِنْ مَاتَ إِلَى سَبْعِينَ يَوْمًا مَاتَ شَهِيدًا وَغُفِرَ لَهُ ذُنُوبُ سَبْعِينَ سَنَةً »

يوم الأربعاء :

روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ يقرأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ

( ١ ) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة - الحديث : ذكره أبو موسى المديني بغير سند وهو منكر

( ٢ ) حديث يزيد الرقاشي عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف - الحديث : أبو موسى المديني بسند ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار ولا عند ارتفاعه

( ٣ ) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة - الحديث : أبو موسى المديني وقال رواه ثقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حنبل الرازي أحد السكاكين

فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَالْمُؤَذِّنِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ نَادَى مُنَادٌ عِنْدَ الْعَرْشِ : يَا عَبْدَ اللَّهِ اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَرَفَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْكَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَصِيقَهُ وَظَلَمَتُهُ وَرَفَعَ عَنْكَ شِدَادَ الْقِيَامَةِ وَرَفَعَ لَهُ مِنْ يَوْمِهِ عَمَلَ نَبِيٍّ »

يوم الخميس :

عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْخَمِيسِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ رَكَعَتَيْنِ يقرأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مِائَةَ مَرَّةٍ وَفِي الثَّانِيَةِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مِائَةَ مَرَّةٍ وَيُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ مِائَةَ مَرَّةٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ مَنْ صَامَ رَجَبَ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَكَانَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلُ حَاجِّ الْبَيْتِ وَكَتَبَ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ حَسَنَةً »

يوم الجمعة :

روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> أنه قال : « يَوْمُ الْجُمُعَةِ صَلَاةٌ كُلُّهُ مَأْمُونٌ عِيدٌ مَوْمِنٌ قَامَ إِذَا اسْتَقَلَّتِ الشَّمْسُ وَارْتَفَعَتْ قَدَرُ مُمْرِجٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ أَسْبَغَ الْوُضُوءَ فَصَلَّى سُبْحَةَ الضُّحَى رَكَعَتَيْنِ إِمَانًا وَاحْتِسَابًا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِائَتَيْنِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ مِائَةَ سَيِّئَةٍ وَمَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ رَفَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعِمِائَةَ دَرَجَةٍ وَمَنْ صَلَّى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِمِائَةَ دَرَجَةٍ وَغُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ كُلُّهَا وَمَنْ صَلَّى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْفَيْنِ وَمِائَتَيْنِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ الْفَيْنِ وَمِائَتَيْنِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ الْفَيْنِ وَمِائَتَيْنِ دَرَجَةٍ » وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> أنه قال : « مَنْ دَخَلَ الْجَامِعَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ

(١) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين - الحديث :

أبوموسى المدينى بسند ضعيف جدا

(٢) حديث علي يوم الجمعة مامن عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس - الحديث : لم أجد له أصلا وهو باطل

(٣) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات - الحديث : الدارقطنى فى

غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب فى الرواة عن مالك وقال

غريب جدا ولا أعرف له وجها غير هذا



قَبْلَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ خَمْسِينَ مَرَّةً لَمْ يَمُتْ  
حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ اَوْ يَرَى لَهُ

يوم السبت :

روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : <sup>(١)</sup> « مَنْ صَلَّى يَوْمَ السَّبْتِ أَرْبَعَ  
رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَاِذَا فَرَغَ  
قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ كَتَبَ اللّٰهُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَبَّةٌ وَنُفْثَةٌ وَرَفَعَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ أُجْرَ  
سَنَةٍ صِيَامٍ نَهَارُهَا وَفِيَّامٍ لَيْلُهَا وَأَعْطَاهُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكُلِّ حَرْفٍ ثَوَابَ شَهِيدٍ وَكَانَ تَحْتَ  
ظِلِّ عَرْشِ اللّٰهِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ »

وأما الليالي - ليلة الأحد :

روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> قال : « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ  
الْأَحَدِ عَشْرِينَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ خَمْسِينَ مَرَّةً  
وَالْمُعَوِّذَ ثِنْتَيْنِ مَرَّةً وَأَسْتَغْفِرَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةَ مَرَّةٍ وَأَسْتَغْفِرَ لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ مِائَةَ  
مَرَّةٍ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ مَرَّةٍ وَتَبَرَّأَ مِنْ حَوَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَالتَّجَا إِلَى اللّٰهِ  
ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ آدَمَ صَفْوَةُ اللّٰهِ وَفِطْرَتُهُ وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللّٰهِ  
وَمُوسَى كَلِيمُ اللّٰهِ وَعِيسَى رُوحُ اللّٰهِ وَمُحَمَّدًا حَبِيبُ اللّٰهِ كَانَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ بِعَدَدِ مَنْ دَعَا لِلّٰهِ  
وَلَدًا وَمَنْ لَمْ يَدْعُ لِلّٰهِ وَلَدًا وَبَعَثَهُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْآمِنِينَ وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللّٰهِ  
تَعَالَى أَنْ يَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ مَعَ النَّبِيِّينَ »

( ١ ) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات - الحديث : أبو موسى المديني في كتاب  
وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جدا

( ٢ ) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة - الحديث : لم أجده أصلا  
وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة - الحديث : ذكره أبو موسى المديني بغير أسناد  
وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات  
وكلاهما ضعيف جدا

قول العراقي حديث أنس من صلى ليلة الأحد عشرين الخ لم يكن بالاحياء ولعله بنسخته وكذا ما لم يخرججه تأمل

### ليلة الاثنين :

روى الأعمش عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ  
الْإِثْنَيْنِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يقرأُ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى الْحَمْدُ لِلَّهِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ  
وَفِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عَشْرِينَ مَرَّةً وَفِي الثَّالِثَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ  
وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثِينَ مَرَّةً وَفِي الرَّابِعَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ أَرْبَعِينَ مَرَّةً  
ثُمَّ يُسَلِّمُ وَيَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ خَمْسًا وَسَبْعِينَ مَرَّةً وَاسْتَغْفِرَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ خَمْسًا وَسَبْعِينَ  
مَرَّةً ثُمَّ سَأَلَ اللَّهَ حَاجَتَهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤَالَه مَا سَأَلَ » وهي تسمى صلاة الحاجة

### ليلة الثلاثاء :

« مَنْ صَلَّى <sup>(٢)</sup> رَكَعَتَيْنِ يقرأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَ ثِنْتَيْنِ  
خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَيَقْرَأُ بَعْدَ التَّسْلِيمِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَاسْتَغْفِرَ اللَّهُ تَعَالَى  
خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً كَانَ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ وَأَجْرٌ جَسِيمٌ » روى عن عمر رضى الله عنه عن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ رَكَعَتَيْنِ يقرأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ  
مَرَّةً وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعْتَقَ اللَّهُ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ وَيَكُونُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ قَائِدُهُ وَدَلِيلُهُ إِلَى الْجَنَّةِ »

### ليلة الأربعاء :

روت فاطمة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> أنه قال : « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ رَكَعَتَيْنِ  
يقرأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَفِي الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ

(١) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات - الحديث : ذكره أبو موسى المديني  
هكذا عن الأعمش بغير أسناد وأسنده من رواية يزيد الرقشي عن أنس حديثا في صلاة ست  
ركعات فيها وهو منكر

(٢) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين - الحديث : ذكره أبو موسى بغير أسناد حكاية عن بعض  
المصنفين وأسنده من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكرا

(٣) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين - الحديث : لم أجد فيه إلا حديث جابر في صلاة أربع ركعات  
فيها ورواه أبو موسى المديني وروي من حديث أنس ثلاثين ركعة

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ثُمَّ إِذَا سَلَّمَ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ مَرَّاتٍ نَزَلَ مِنْ كُلِّ سَّمَاءٍ سِتُّونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَكْتُبُونَ ثَوَابَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ « وفي حديث آخر : « سِتِّ عَشْرَةَ رُكْعَةً يَقْرَأُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَيَقْرَأُ فِي آخِرِ الرَّكْعَتَيْنِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ثَلَاثِينَ مَرَّةً وَفِي الْأُولَيْنِ ثَلَاثِينَ مَرَّةً قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُشْفَعُ فِي عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلِّهُمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِمُ النَّارُ » روت فاطمة رضي الله عنها أنها قالت <sup>(١)</sup> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ سِتَّ رُكْعَاتٍ قَرَأَ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ يَقُولُ : جَزَى اللَّهُ مُحَمَّدًا عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُ سَبْعِينَ سَنَةً وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ »

ليلة الخميس :

قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْخَمِيسِ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْمِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ خَمْسَ مَرَّاتٍ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ خَمْسَ مَرَّاتٍ وَالْمُعَوِّذَ ثِنْتَيْنِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَشْرَةَ مَرَّةً وَجَعَلَ ثَوَابَهُ لَوَالِدَيْهِ فَقَدْ أَذَى حَقَّ وَالِدَيْهِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ عَاقًا لَهُمَا وَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يُعْطَى الصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ »

ليلة الجمعة :

قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رُكْعَةً يَقْرَأُ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً فَكَأَنَّمَا عَبْدٌ عَبَدَ اللَّهُ تَعَالَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً صِيَامُ نَهَارُهَا وَقِيَامُ لَيْلِهَا »

( ١ ) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أي ليلة الأربعاء - الحديث : أبو موسى الديني بسند ضعيف جدا

( ٢ ) حديث أبي هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين - الحديث : أبو موسى الديني وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر

( ٣ ) حديث جابر من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة - الحديث : باطل لأصل له

وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ صَلَاةَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فِي جَمَاعَةٍ وَصَلَّى رَكْعَتَيِ السَّنَةِ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهُمَا عَشْرَ رَكَعَاتٍ قَرَأَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمَعُودَتَيْنِ مَرَّةً مَرَّةً ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ وَنَامَ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ وَجْهُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ فَكَانَ تَامًا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى فِي اللَّيْلِ الْغَرَاءِ وَالْيَوْمِ الْأَزْهَرِ : لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ »

ليلة السبت

قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ السَّبْتِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مُبْنِي لَهُ قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَكَانَ تَامًا تَصَدَّقَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَتَبَرَّأَ مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ »

## القسم الثالث

ما يتكرر بتكرر السنين

وهي أربعة : صلاة العيدين ، والتراويح ، وصلاة رجب وشعبان

الأولى : صلاة العيدين

وهي سنة مؤكدة ، وشعار من شعار الدين ، وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور

الأول : التكبير ثلاثا نسقا ، فيقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين ولو كره

(١) حديث أنس من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر

ركعات - الحديث : باطل لا أصل له وروى المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن المظفر في كتاب وصول القرآن للبيت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيها بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت خمسة عشر مرة وقال إبراهيم بن المظفر خمسين مرة أمّنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكورة وليس يصح في أيام الأسبوع ولياليه شيء والله أعلم

(٢) حديث أنس من صلى ليلة السبت في الغراء واليوم الأزهر طيب في الأوسط من حديث أبي

هريرة وفيه عبد النعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان

(٣) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة - الحديث : لم أجده أصلا

الكافرون ، يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة العيد ، وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر . وهذا أكل الأقاويل . ويكبر عقب الصلوات المفروضة وعقب النوافل ، وهو عقب الفرائض أكد

الثاني : إذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة ، والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال ، وليجنب الصبيان الحرير ، والعجائز التزين عند الخروج

الثالث : أن <sup>(١)</sup> يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> يَأْمُرُ بِإِخْرَاجِ الْعَوَاتِقِ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ » الرابع : المستحب الخروج إلى الصحراء إلى البكة وبيت المقدس ، فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ، ويجوز في يوم الصحوا أن يأمر الإمام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين

الخامس : يراعى الوقت ، فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ، ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين إلى آخر اليوم الثالث عشر . ويستحب تعجيل صلاة الأضحية لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها . هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup>

السادس : في كيفية الصلاة ، فيخرج الناس مكبرين في الطريق ، وإذا بلغ الإمام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ، ويقطع الناس التنفل ، ثم ينادى مناد : الصلاة جامعة . ويصلى الإمام بهم ركعتين ، يكبر في الأولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات ، يقول بين كل تكبيرتين : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ويقول : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض عقيب تكبيرة الافتتاح ، ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ، ويقرأ سورة ق في الأولى بعد الفاتحة ، واقتربت في الثانية ،

( ١ ) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى م من حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث كان يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه : من حديث أم عطية

( ٣ ) حديث تعجيل صلاة الأضحية وتأخير صلاة الفطر الشافعي من رواية أبي الحويرث مرسل أن النبي

صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن عجل الأضحية وأخر الفطر

والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع ، وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ، ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ، ومن فاتته صلاة العيد قضاها

السابع : أن يضحي بكبش « ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ وَذَبَحَ بِيَدِهِ وَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحَّ مِنْ أُمَّتِي » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « مَنْ رَأَى هِلَالَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا » قال أبو أيوب الأنصاري : <sup>(٣)</sup> « كَانَ الرَّجُلُ يُضَحِّي عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّاةِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَيَأْكُلُونَ وَيُطْعَمُونَ » وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق ، وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه <sup>(٤)</sup> وقال سفيان الثوري : يستحب أن يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة ، وبعد عيد الأضحى ست ركعات ، وقال هو من السنة

### الثانية : التراويح

وهي عشرون ركعة ، وكيفيتها مشهورة ، وهي سنة مؤكدة ، وإن كانت دون العيدين واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد . وقد « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٥)</sup> فِيهَا لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا لِلْجَمَاعَةِ ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ وَقَالَ : أَخَافُ أَنْ تُوجِبَ عَلَيْكُمُ »

(١) حديث ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعن لم يضح من أمتي متفق عليه دون قوله عن الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبي داود وت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع

(٢) حديث من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره وأظفاره : م من حديث أم سلمة

(٣) حديث أبي أيوب كان الرجل يصحى على عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم الشاة عن أهله فيأكلون ويطعمون : ت ه حسن صحيح

(٤) قال سفيان الثوري من السنة أن يصلي بعد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد الأضحى ست ركعات : لم أجده أصلا في كونه سنة وفي الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا في قول التابعي من السنة كذا وأما قول تابعي التابع كذا كالثوري فهو مقطوع

(٥) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثا ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم : متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم

وجمع عمر رضى الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي ،  
فقيل : إن الجماعة أفضل لفعل عمر رضى الله عنه ، ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل  
الفرائض ، ولأنه ربما يكسل في الانفراد ، وينشط عند مشاهدة الجمع . وقيل الانفراد  
أفضل لأن هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فألحقها بصلاة الضحى ، وتحية المسجد  
أولى ولم تشرع فيها جماعة . وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معاً ثم لم يصلوا التحية  
بالجماعة ، ولقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « فَضْلُ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ فِي بَيْتِهِ عَلَى صَلَاتِهِ فِي الْمَسْجِدِ  
كَفَضْلِ صَلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى صَلَاتِهِ فِي الْبَيْتِ » وروى أنه صلى الله عليه وسلم  
قال : <sup>(٢)</sup> « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ ، وَصَلَاةٌ  
فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِي وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَجُلٌ يُصَلِّي  
فِي زَاوِيَةِ بَيْتِهِ رَكَعَتَيْنِ لَا يَعْلَمُهُمَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » وهذا لأن الرياء والتصنع ربما  
يتطرق إليه في الجمع ، ويأمن منه في الوحدة . فهذا ما قيل فيه . والمختار أن الجماعة أفضل ،  
كما رآه عمر رضى الله عنه ، فإن بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة ، وهذا جدير بأن  
يكون من الشعائر التي تظهر . وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع ، والكسل في الانفراد ،  
غدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة . وكأن قائله يقول : الصلاة

( ١ ) حديث فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على

صلاته في البيت - رواه آدم بن أبي إياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسل  
ورواه ابن أبي شيبة في المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى  
الله عليه وسلم موقوفاً وفي سنن د باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء في بيته  
أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة

( ٢ ) حديث صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره . وصلاة في المسجد الحرام أفضل من

ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يعلمها إلا  
الله - أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة  
في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بارض الرباط تعدل بألف صلاة  
وأكثر من ذلك كله الركعتان يصلحها العبد في جوف الليل لا يرد بها إلا وجه الله عز وجل  
وأسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة تعلباً من حديث الأوزاعي  
قال دخلت على يحيى فأسند لي حديثاً فذكره إلا أنه قال في الأولى ألف وفي الثانية مائة

خير من تركها بالكسل ، والإخلاص خير من الرياء . فلنفرض المسألة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ، ولا يرائي لو حضر الجمع ، فأيهما أفضل له ؟ فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة ، فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد . ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان .

### أما صلاة رجب

فقد روى باسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : <sup>(١)</sup> « مَا مِنْ أَحَدٍ يَصُومُ أَوَّلَ خَمِيسٍ مِنْ رَجَبٍ ثُمَّ يُصَلِّيَ فِيمَا بَيْنَ الْعِشَاءِ وَالْعَتَمَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ بِتَسْلِيمَةٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ مَرَّةً وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ صَلَّى عَلَى سَبْعِينَ مَرَّةً يَقُولُ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ ، ثُمَّ يَسْجُدُ وَيَقُولُ فِي سُجُودِهِ سَبْعِينَ مَرَّةً سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ سَبْعِينَ مَرَّةً : رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَةً أُخْرَى وَيَقُولُ فِيهَا مِثْلَ مَا قَالَ فِي السَّجْدَةِ الْأُولَى ثُمَّ يَسْأَلُ حَاجَتَهُ فِي سُجُودِهِ فَإِنَّهَا تُقْضَى - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يُصَلِّي أَحَدٌ هَذِهِ الصَّلَاةَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ جَمِيعُ ذُنُوبِهِ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ وَعَدَدِ الرَّمْلِ وَوُزْنِ الْجِبَالِ وَوَرَقِ الْأَشْجَارِ وَيُشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي سَبْعِمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِمَّنْ قَدْ اسْتَوْجَبَ النَّارَ » فهذه صلاة مستحبة ، وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تتكرر بتكرار السنين ، وإن كانت رتبته لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد ، لأن هذه الصلاة تنقلها الأحاد ، ولكن رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها ، فأحببت إيرادها

### وأما صلاة شعبان

فليلة الخامس عشر منه ، يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة ، يقرأ في كل ركعة

(١) حديث ما من أحد يصوم أول خميس من رجب - الحديث : في صلاة الرغائب أورده رزين في كتابه وهو حديث موضوع



بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ، وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد . فهذا أيضاً مروي في جملة الصلوات ، كان السلف يصلون هذه الصلوة ويسمونها صلاة الخير ، ويجمعون فيها وربما صلوا جماعة . روى عن الحسن أنه قال : حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أن من صَلَّى هذه الصلوة في هذه الليلة نظرَ اللهُ إليه سبعينَ نظرةً وقضىَ له بكلِّ نظرةٍ سبعينَ حاجةً أذنَّها المُغفرةُ » .

## القسم الرابع

من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالموافيت وهى تسعة

صلوة الخسوف ، والكسوف ، والاستسقاء ، وتحية المسجد وركعتي الوضوء ، وركعتين بين الأذان والإقامة ، وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ، ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن

الأولى : صلاة الخسوف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يُخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ » قال ذلك لما مات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس : إنما كسفت لموته . والنظر في كيفية ووقتها

أما الكيفية : فإذا كسفت الشمس في وقت الصلوة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودى : الصلوة جامعة ، وصلى الإمام بالناس في المسجد ركعتين ، وركع في كل ركعة ركوعين أو اثنى عشر ركعة أو اثنى عشر ركعة ، ولا يجهر ، فيقرأ في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة ، وفي الثانية الفاتحة وآل عمران ، وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء

( ١ ) حديث صلاة ليلة نصف شعبان : حديث باطل وه من حديث علي إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها وأسناده ضعيف

( ٢ ) حديث ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله - الحديث : أخرجاه من حديث المغيرة بن شعبة

وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة، أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد، ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزاء، ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس. ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء، ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية، وفي الثاني قدر ثمانين، وفي الثالث قدر سبعين، وفي الرابع قدر خمسين، وإيكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة، ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة، ويأمر الناس بالصدقة والعق والتوبة، وكذلك يفعل بخسوف القمر، إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية

فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء، ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة، وتقوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس، إذ يبطل سلطان الليل، ولا تقوت بغروب القمر خاسفاً، لأن الليل كله سلطان القمر، فإن انجلي في أثناء الصلاة أتمها مخفية ومن أدرك الركوع الثاني مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول

#### الثانية: صلاة الاستسقاء

فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة، فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولاً بصيام ثلاثة أيام، وما أطافوا من الصدقة، والخروج من المظالم، والتوبة من المعاصي، ثم يخرج بهم في اليوم الرابع، وبالعجائز والصبيات، متطفيين في ثياب بذلة واستكانة، متواضعين، بخلاف العيد. وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> «لَوْلَا صَبِيَانُ رُضِعَ وَمَشَايِخُ رُكِعَ وَبَهَائِمُ رُتِعَ لَصَبَّ عَلَيْكُمْ الْعَذَابُ صَبًّا» ولو خرج أهل الذمة أيضاً متميزين لم يمنعوا، فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي: الصلاة جامعة، فصلى بهم الإمام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير، ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة، وليكن الاستسقاء معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية <sup>(٢)</sup> أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلاً بتحويل الحال. هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل أعلاه

(١) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع - الحديث: هق وصعفه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث استدبر الناس واستقبل القبلة وتحويل الرداء في الاستسقاء أخرجه من حديث عبد الله بن

أسفله ، وما على اليمين على الشمال ، وما على الشمال على اليمين ، وكذلك يفعل الناس ، ويدعون في هذه الساعة سرّاً ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محاولة كما هي حتى ينزعوها متي نزعوا الثياب ، ويقول في الدعاء : اللهم إناك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك ، فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا ، اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقينا ووسعنا رزاقنا . ولا بأس بالدعاء أذبار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها ، وسيأتى ذلك في كتاب الدعوات

الثالثة : صلاة الجنائز

وكيفيتها مشهورة ، وأجمع دعاء مأثور ما روى في الصحيح عن عوف بن مالك قال : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ خَفِظَتْ مِنْ دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ وَاعْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالتَّلِيجِ وَالتَّبَرْدِ وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ » حتى قال عوف : تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت . ومن أدرك التكبيرة الثانية فينبغي أن يراعى ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرة الإمام ، فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل المسبوق ، فإنه لو بادر التكبيرات لم تبق للقدوة في هذه الصلاة معنى . فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة ، وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات . هذا هو الأوجه عندى وإن كان غيره محتملاً . والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنائز وتشيعها مشهورة ، فلا نطيل بإيرادها ، وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات ، وإنما تصير نفلاً في حق من لم تتعين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم يتعين ، لأنهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم ، فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن أحد . ويستحب طلب

(١) حديث عوف بن مالك في الصلاة على الجنائز اللهم اغفر لي وله وارحمي وارحمه وعافني وعافه

الحديث : مسلم دون الدعاء للمصلى

كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والأدعية واشتماله على ذى دعوة مستجابة ، لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال : يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس ، قال : فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته ، فقال تقول هم أربعون ؟ قلت : نعم ، قال : أخرجوه فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> يقول : « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَقَّعَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ » وإذا شيع الجنازة فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال : السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت ، فإذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال : اللهم عبدك رد إليك فأرأف به وارحمه ، اللهم جاف الأرض عن جنبه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن ، اللهم إن كان محسناً فضاعف له في إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه

#### الرابعة : تحية المسجد

ركعتان فصاعداً سنة مؤكدة ، حتى إنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطف يوم الجمعة مع تأكد وجوب الإصغاء إلى الخطيب ، وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل ، إذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياماً بحق المسجد ، ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء ، فإن دخل لعبور أو جلوس فليقل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، يقولها أربع مرات . يقال إنها عدل ركعتين في الفضل . ومذهب الشافعي رحمه الله أنه لا تكرر التحية في أوقات الكراهية ، وهي بعد العصر ، وبعد الصبح ، ووقت الزوال ، ووقت الطلوع والغروب ، لما روى « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> صَلَّى رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَمَا نَهَيْتَنَا عَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : هُمَا رَكَعَتَانِ كُنْتُ أَصَلِّيهِمَا بَعْدَ الظُّهْرِ فَشَغَلَنِي عَنْهُمَا الْوَفْدُ » فأفاد هذا الحديث فأنشدتين

(١) حديث ابن عباس ما من رجل مسلم يموت في جنازته أربعون - الحديث : م

(٢) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر

الحديث أخرجه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة كان يصلي ركعتين قبل

العصر ثم انه شغل عنها - الحديث

إحداها : أن الكراهية مقصورة على صلاة لاسبب لها ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل ، إذ اختلفت العلماء في أن النوافل هل تقضى ؟ وإذا فعل مثل ما فاتة هل يكون قضاء ؟ وإذا انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبأخرى أن تنتفى بدخول المسجد وهو سبب قوى ، ولذلك لا تكره صلاة الجشازة إذا حضرت ، ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسبابا

الفائدة الثانية : قضاء النوافل إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، ولنا فيه أسوة حسنة . وقالت عائشة رضى الله عنها « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ مَرَضٌ فَلَمْ يَقُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ صَلَّى مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً » وقد قال العلماء : من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى وأجاب ، وإن كان المؤذن سكنت . ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهية . نعم من كان له ورد ففاته عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه ، بل يتداركه في وقت آخر ، حتى لا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية ، وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> قال : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » فيقصد به أن لا يفتر في دوام عمله . وزوت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> أنه قال : « مَنْ عَبْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَادَةٍ ثُمَّ تَرَكَهَا مَلَالَةً مَقْتَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد . وتحقيق هذا الخبر أنه مقتته الله تعالى بتركها ملالة ، فلو لا المقت والإبعاد لما سلطت الملالة عليه .

#### الخامسة : ركعتان بعد الوضوء

مستحبتان ، لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة ، فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعى ، فالبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء

( ١ ) حديث عائشة كان اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة - الحديث : م

( ٢ ) حديث أحب الأعمال الى الله أدومها وان قل : أخرجاه من حديث عائشة

( ٣ ) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقتته الله : ورواه ابن السني في رياضة التعبد موقه فاعلى عائشة

قبل الفوات ، وعرف ذلك بحديث بلال ، إذ قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « دَخَلْتُ  
أُجُنَّةً فَرَأَيْتُ بِلَالًا فِيهَا فَقُلْتُ لِبِلَالٍ : يَمَّ سَبَقْتَنِي إِلَى أُجُنَّةٍ ؟ فَقَالَ بِلَالٌ : لَا أَعْرِفُ  
شَيْئًا إِلَّا أَنِّي لَا أَحْدِثُ وَضُوءًا إِلَّا أَصَلَّى عَقِيبَهُ رَكَعَتَيْنِ »

السادسة : ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه

روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « إِذَا خَرَجْتَ  
مِنْ مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ يَمْنَعَانِكَ مَخْرَجَ السُّوءِ ، وَإِذَا دَخَلْتَ إِلَى مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ  
يَمْنَعَانِكَ مَدْخَلَ السُّوءِ » وفي معنى هذا كل أمر يبدأ به مما له وقع ، ولذلك ورد : « رَكَعَتَانِ <sup>(٣)</sup>  
عِنْدَ الْإِحْرَامِ وَرَكَعَتَانِ <sup>(٤)</sup> عِنْدَ ابْتِدَاءِ السَّفَرِ ، وَرَكَعَتَانِ <sup>(٥)</sup> عِنْدَ الرَّجُوعِ مِنَ السَّفَرِ فِي الْمَسْجِدِ  
قَبْلَ دُخُولِ الْبَيْتِ » فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان بعض  
الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين ، وإذا شرب شربة صلى ركعتين ، وكذلك في كل أمر يحدثه  
وبداية الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل ، وهي على ثلاث مراتب ،  
بعضها يتكرر مراراً كالأكل والشرب ، فيبدأ فيه باسم الله عز وجل ، قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٦)</sup>  
« كُلْ أَمْرٌ ذِي بَالٍ لَا يَبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَتَمُّ »

( ١ ) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها فقلت بلال يم سبقتنى إلى الجنة - الحديث : أخرجه من  
حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث أبي هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك  
- الحديث : هن في الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم قال بكر حسبته  
عن أبي هريرة فذكره وروى الحرائطى في مكارم الأخلاق وابن عدى في الكامل من  
حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن الله جاعل له من  
ركعتيه خيراً قال ابن عدى وهو بهذا الأسناد منكر وقال خ لا أصل له

( ٣ ) حديث ركعتي الاحرام خ من حديث ابن عمر

( ٤ ) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الحرائطى في مكارم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف  
في أهله من خليفة أحب الى الله من أربع ركعات يصلين العبد في بيته إذا شد عليه ثياب  
سفره - الحديث وهو ضعيف

( ٥ ) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجه من حديث كعب بن مالك

( ٦ ) حديث كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بيسم الله فهو أتم دن هـ حب في صحيحه من حديث أبي هريرة

الثانية : ما لا يكثر تكرره وله وقع ، كعقد النكاح ، وابتداء النصيحة والمشورة ، فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله ، فيقول المزوج : الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتي ، ويقول القابل : الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح . وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد

الثالثة : ما لا يتكرر كثيراً وإذا وقع دام وكان له وقع ، كالسفر ، وشراء دار جديده ، والإحرام وما يجري مجراه ، فيستحب تقديم ركعتين عليه ، وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه ، فانه نوع سفر قريب

#### السابعة : صلاة الاستخارة

فمن هم بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الإقدام عليه ، فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « بَأَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، وَفِي الثَّانِيَةِ أَلْفَاتِحَةَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَإِذَا فَرَغَ دَعَا وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَعَاقِبَةِ أَمْرِي وَعَاجِلِهِ وَأَجَلِهِ فَأَقْدِرْهُ لِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ ثُمَّ يَسِّرْهُ لِي وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَعَاقِبَةِ أَمْرِي وَعَاجِلِهِ وَأَجَلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْهُ عَنِ الْخَيْرِ أَيْنَمَا كَانَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » رواه جابر ابن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ، وقال صلى الله عليه وسلم : إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِأَمْرٍ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يُسَمِّ الْأَمْرَ وَيَدْعُو بِمَا ذَكَرْنَا . وقال بعض الحكماء : من أعطى أربعاً لم يمنع أربعاً : من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب

(١) حديث صلاة الاستخارة: رخ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر

## الثامنة: صلاة الحاجة

فن ضاق عليه الأمر ومستته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليضل هذه الصلاة ، فقد <sup>(١)</sup> روى عن وهيب بن الورد أنه قال : إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي العبد ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد ، فإذا فرغ خر ساجداً ثم قال : سبحان الذي لبس العز وقال به ، سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به ، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه ، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له ، سبحان ذي المن والفضل ، سبحان ذي العز والكرم ، سبحان ذي الطول ، أسألك بمعاهد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلما تكت التامات العامت التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، أن تصلي على محمد وعلى آل محمد . ثم يسأل حاجته التي لا معصية فيها ، فيجاب إن شاء الله عز وجل ، قال وهيب : بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها لسفهاكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل

## التاسعة: صلاة التسبيح

وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ، ولا تختص بوقت ولا بسبب ، ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> قال للعباس بن عبد المطلب : « أَلَا أُعْطِيكَ أَلَا أَمْنَحُكَ أَلَا أَحْبُوكَ بِشَيْءٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَهُ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ سِرَّهُ وَعَمَلَانِيَّتَهُ ؟ تُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةَ فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكَعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ثُمَّ تَرُكِعُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ ثُمَّ تَرْفَعُ مِنَ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا قَائِمًا عَشْرًا ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا خَالِسًا

(١) حديث ابن مسعود في صلاة الحاجة اثني عشر ركعة: أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسنادين

ضعيفين جدا فيها عمرو بن هارون البلخي كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت

صلاة الحاجة ركعتين رواه ت ه من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقال ت حديث غريب

وفي أسناده مقال

(٢) حديث صلاة التسبيح تقدم



عَشْرًا ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا ثُمَّ تَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكْعَاتٍ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً ، فَافْعَلْ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فِي كُلِّ مُجْمَعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فِي السَّنَةِ مَرَّةً » وفي رواية أخرى أنه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وتقدست أسماءك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرًا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرًا عشرًا ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعدًا . وهذا هو الأحسن ، وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلثمائة تسبيحة ، فإن صلاها نهارًا فبتسليمة واحدة ، وإن صلاها ليلاً فبتسليمتين أحسن ، إذ ورد « أَنَّ صَلَاةَ <sup>(١)</sup> اللَّيْلِ مِثْلِي مِثْلِي » وإن زاد بعد التسبيح قوله : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو حسن ، فقد ورد ذلك في بعض الروايات

فهذه الصلوات الماثورة . ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الأوقات المكروهة إلا تحية المسجد ، وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا ، لأن النهي مؤكد ، وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية . وقد رأيت بعض المتصوفة يصلي في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد ، لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء ، فينبغي أن يتوضأ ليصلي لا أنه يصلي لأنه يتوضأ ، وكل محدث يريد أن يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ، ولا ينبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية ، بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعاً كيلاً تعطيل وضوء كما كان يفعل بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء . وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء ، فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء ، بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة ، وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاتي وفي صلاته يقول أصلي لوضوئي ، بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهية فليנו قضاء إن كان يجوز أن يكون في ذمه صلاة تطرق إليها خلل لسبب من الأسباب ، فإن قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها

( ١ ) حديث صلاة الليل مثنى مثنى : أخرجاه من حديث ابن عمر

ففي النهي في أوقات الكراهية مبهات ثلاثة : (أحدها) التوقي من مضاهاة عبدة الشمس . و (الثاني) الاحتراز من انتشار الشياطين ، إذ قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> :  
 إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ فَإِذَا طَلَعَتْ قَارَنَهَا ، وَإِذَا ارْتَفَعَتْ قَارَقَهَا ، فَإِنْ اسْتَوَتْ قَارَنَهَا ، فَإِذَا زَالَتْ قَارَقَهَا ، فَإِذَا تَضَيَّقَتْ لِلْغُرُوبِ قَارَنَهَا ، فَإِذَا غَرَبَتْ قَارَقَهَا ،  
 ونهى عن الصلوات في هذه الأوقات ونبه به على العلة . و (الثالث) أن سالكي طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات في جميع الأوقات ، والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل وهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي ، والإنسان حريص على ما منع منه ، ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت ، فخصصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار ، حذراً من الملل بالمداومة ، وتفرجاً بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ، ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استئقبال وملال ، ولذلك لم تكن الصلاة سجوداً مجرداً ولا ركوعاً مجرداً ولا قياماً مجرداً ، بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة ، فإن القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال إليها ، ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع إليه الملل . فإذا كانت هذه أموراً مهمة في النهي عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار آخر ، ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ، والله ورسوله أعلم بها . فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد ، فأما ماضعف عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود النهي . هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم

كمل كتاب أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين ، يتلوه إن شاء الله تعالى  
 كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، والحمد لله وحده ، وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

( ١ ) حديث أن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها - الحديث : ن من حديث عبد الله

الصنابحي وهو مرسل ومالك هو الذي يقول عبد الله الصنابحي ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم

# كتاب أسرار الزكاة

## كتاب أسرار الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسعد وأشقى ، وأمات وأحيا ، وأضحك وأبكى ، وأوجد وأفنى ، وأفقر وأغنى ، وأضر وأفى ، الذي خلق الحيوان من نطفة تمني ، ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ، ثم خصص بعض عبادته بالحسنى ، فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغنى ، وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى ، إظهاراً للامتحان والابتلاء ، ثم جعل الزكاة للدين أساساً ومبنى ، وبين أن بفضلها تركى من عبادته من تركى ومن غناه زكى ماله من زكى . والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى ، وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام ، وأردف بذكورها الصلاة التى هى أعلى الأعلام فقال تعالى : ( وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ \* ) وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ » وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال : ( وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* ) ومعنى الاتفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة . قال الأحنف بن قيس : كنت في نفر من قريش فرأى أبو ذر فقال : بشر الكانزين بكى في ظهورهم يخرج من جنوبهم ، وبكى في أفقائهم يخرج من جباههم . وفي رواية أنه يوضع على حامة ثدى أحدهم فيخرج من نفض كتفيه ويوضع على نفض كتفيه حتى يخرج من حامة ثديه يتزلزل . وقال أبو ذر : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآنى قال : « هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكُفْبَةِ » فقلت ومن هم ؟ قال « الْأَكْثَرُونَ »

﴿ كتاب أسرار الزكاة ﴾

( ١ ) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر

( ٢ ) حديث أبى ذر انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآنى قال هم

الأخسرون ورب الكعبة - الحديث : أخرجه م وخ

﴿ البقرة : ١١٠ \* التوبة : ٣٤ ﴾

أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقِيلَ : مَا هُمْ مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنُهُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطْرُقُهُ بِأُظْلَافِهَا كَمَا تَقْدَتُ أَخْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ ، وإذا كان هذا التشديد مخرجاً في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجليلة والخفية ، ومعانيها الظاهرة والباطنة ، مع الإقتصار على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها .  
وينكشف ذلك في أربعة فصول :

الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها

الثاني : في آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة

الثالث : في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه

الرابع : في صدقة التطوع وفضلها

## الفصل الأول

في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها

والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم ، والنقدين ، والتجارة ، وزكاة الركاظ والمعادن ، وزكاة المعشرات ، وزكاة الفطر

## النوع الأول زكاة النعم

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم ، ولا يشترط البلوغ ، بل تجب في مال الصبي والمجنون . هذا شرط من عليه

وأما المال فشروطه خمسة : أن يكون نماء ، سائمة ، باقية حولاً ، نصاباً كاملاً ، مملوكاً على الكمال الشرط الأول : كونه نماء ، فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم . أما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم . فلا زكاة فيها .

الثاني : السوم ، فلا زكاة في معلوفة ، وإذا أسيمت في وقت وعلقت في وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها

الثالث : الحول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَا زَكَاةَ فِي مَالٍ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ » . ويستثنى من هذا نتاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال . وتجب الزكاة فيه لحول الأصول ، ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول

الرابع : كمال الملك والتصرف ، فتجب الزكاة في الماشية الموهونة لأنه الذي حجر على نفسه فيه ، ولا تجب في الضال والمغضوب إلا إذا عاد بجميع نعمائه ، فتجب زكاة ماضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنياً به إذ الغنى ما يفضل عن الحاجة

الخامس : كمال النصاب

### أما الإبل

فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن ، والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة ، وفي عشر شاتان ، وفي خمس عشرة ثلاث شياه ، وفي عشرين أربع شياه ، وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية ، فإن لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادراً على شرائها وفي ست وثلاثين ابنة لبون ، ثم إذا بلغت ستاً وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة ، فإذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة ، فإذا صارت ستاً وسبعين ففيها بنتا لبون ، فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان ، فإذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون ، فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون

### وأما البقر

فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مُسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان ، واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل أربعين مسنة ، وفي كل ثلاثين تبيع

(١) حديث لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول: أبو داود من حديث علي بن أسناد جيدوه من حديث عائشة بإسناد ضعيف

وأما النعم : فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ، ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لاشيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان ، إلى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى ، أربع مائة ففيها أربع شياه ، ثم استقر الحساب في كل مائة شاة . وصدة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصاب ، فإذا كان بين رجلين أربعون من النعم ففيها شاة ، وإن كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم ، وخطئة الجوار خلطة الشيوع ، ولكن يشترط أن يربحها معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ، ويكون المرعى معا ، ويكون انشاء الفحل معا ، وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة . ولا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ، ومهما تزل في واجب الابل عن سن إلى سن فهو جائز مالم يجاوز بنت مخاض في النزول ، ولكن تضم إليه جيران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما ولستين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد في السن مالم يجاوز الجذعة في الصعود ، ويأخذ الجبران من الساعين من بيت المال ، ولا تؤخذ في الزكاة مريضه إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ، ويؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللثام لثيمة ، ولا يؤخذ من المال الأكلولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غراء المال

## النوع الثاني زكاة المعشرات

فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة منّ ، ولا شيء فيما دونها ، ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات ، وفي التمر والزبيب . ويعتبر أن تكون ثمانمائة منّ تمر أو زيبيا ، لا رطبا وعنبا . ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة منّ من زبيب ، فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ، ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ، ولا يكمل نصاب الخلطة بالشعير ، ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه . هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسبح أو قناة

فان كان يسقى بنضج أو دالية فيجب نصف العشر ، فان اجتمعا فالأغلب يعتبر  
وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ، ولا يؤخذ عنب

ولارطب الا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الإدراك ، فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير . ولا يمنع من هذه القسمة قولنا : إن القسمة بيع ، بل يرخص في مثل هذا للحاجة  
ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح في الثمار وأن يشتد الحب . ووقت الأداء بعد الجفاف

### النوع الثالث زكاة النقدين

فإذا تم الحول على وزن مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر ، وما زاد فبحسابه ولودرها . ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه ، وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة . وتجب على من معه دراهم مغلوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة . وتجب الزكاة في التبر وفي الحلبي المحظور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ، ولا تجب في الحلبي المباح . وتجب في الدين الذي هو على مليء ، ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل

### النوع الرابع زكاة التجارة

وهي كزكاة النقدين ، وإنما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا ، فإن كان ناقصا أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء . وتؤدي الزكاة من نقد البلد ، وبه يقوم ، فإن كان مابه الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد . ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ، ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة . والأولى أن تؤدي زكاة تلك السنة . وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ، ولم يستأنف له حولا كما في التاج . وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة . هذا وهو الأقيس



## النوع الخامس الركاز والمعدن

والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في أرض لم يجر عليها في الاسلام ملك ، فعلى واجده في الذهب والفضة منه الخمس ، والحول غير معتبر . والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب الخمس يؤكده شبهه بالغنيمة ، واعتباره أيضا ليس ببعيد ، لأن مصرفه مصرف الزكاة ، ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين . وأما المعادن فلا زكاة فيما استخراج منها سوى الذهب والفضة ، ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب . وفي الحول قولان ، وفي قول يجب الخمس . فعلى هذا لا يعتبر . وفي النصاب قولان والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق في قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب ، وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ، ويعتبر النصاب كالمعشرات . والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ، ومن عين النقدين أيضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض ، وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه

## النوع السادس في صدقة الفطر

وهي « وَاجِبَةٌ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَضْلَ عَنْ قُوَّتِهِ وَقُوَّتِ مَنْ يَقُوَّتُهُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَلَيْلَتُهُ صَاعٌ مِمَّا يُقْتَاتُ بِصَاعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وهو . مَنَوَانِ وثَلَاثَا مَنٍّ يخرج من جنس قوته أو من أفضل منه ، فإن اقتات بالحنطة لم يجز الشعير ، وإن اقتات حبوباً مختلفة اختار خيرها ، ومن أيها أخرج أجزاءه . وقسمتها كقسمة زكاة الأموال ، فيجب فيها استيعاب الأصناف ، ولا يجوز أخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو في نفقته ، أعنى من تجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « أَذْوَ صَدَقَةِ الْفِطْرِ عَمَّنْ تَمُونُونَ » وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ، ولا تجب صدقة

( ١ ) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم : أخرجه ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان - الحديث

( ٢ ) حديث أدوا زكاة الفطر عمن تمونون : قطه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون قال هو أسنده غير قوي

العبد الكافر ، وإن تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها أجزأها ، وللزوج الاخراج عنها دون إذنها ، وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم ، وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته أكد . وقد « قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> نَفَقَةَ الْوَلَدِ عَلَى نَفَقَةِ الزَّوْجَةِ وَنَفَقَتَهَا عَلَى نَفَقَةِ الْخَادِمِ » فهذه أحكام فقيية لا بد للغنى من معرفتها . وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار

## الفصل الثانى

فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور :

الأول : النية ، وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض . ويسن عليه تعيين الأموال ، فإن كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة ، جاز ، لأنه لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ، ونية الولى تقوم مقام نية المجنون والصبي ، ونية السلطان تقوم مقام نية المالك المتنع عن الزكاة ، ولكن فى ظاهر حكم الدنيا أعنى فى قطع المطالبة عنه ، أما فى الآخرة فلا ، بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة ، وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه ، لأن توكيله بالنية نية

الثانى : البدار عقيب الحول . وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر . ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ، ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ، ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصي ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق ، وإن أخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه ، وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانقضاء الحول . ويجوز تعجيل زكاة حولين ، ومهما عجل فوات المسكين قبل الحول أوارتد أو صار غنياً بغير ما عجل إليه أو تلف مال المالك أو مات فالمدفوع ليس بزكاة ، واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع ، فليكن المعجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة

(١) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقته على نفقة الخادم : د من حديث أبى هريرة بسند صحيح . وجب لك وصححه ورواه ن ح ب بتقديم الزوجة على الولد وسأى

الثالث : أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة ، بل يخرج المنصوص عليه ، فلا يحزى ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق ، وإن زاد عليه في القيمة . ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلّة ، وما أبعد عن التحصيل ، فإن سد الخلّة مقصود ، وليس هو كل المقصود ، بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه ، وذلك كرمي الجمرات مثلا ، إذ لا حظ للجمرة في وصول الحصى إليها ، فقصد الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل مالا يعقل له معنى ، لأن ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية ، إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر ، وأكثر أعمال الحج كذلك ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> في إحرامه « لَبَيْكَ بِحَجَّةٍ حَقًّا تَعَبُّدًا وَرِقًّا » تنبيهاً على أن ذلك إظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتناله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه

القسم الثاني : من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المنسوب ، فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ، ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ المستحق أو يبدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع .

فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس والقسم الثالث : هو المركب الذي يقصد منه الأمران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد ، فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق . فهذا قسم في نفسه معقول ، فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ، ولا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ، ولعل الأدق هو الأهم . والزكاة من هذا القليل ، ولم ينتبه له غير الشافعي رضي الله عنه ، فخطأ الفقير مقصود في سد الخلّة وهو جلي سابق إلى الأفهام ، وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع ، وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في أن على المكلف تعباً في تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ، ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتي ،

( ١ ) حديث لبيك بحجة حقاً تعبدًا ورقاً : البزار والدارقطني في العلل من حديث أنس

والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير لـكـنه قادح في التعبد . ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ، ومن أوضحها أن الشرع أوجب في خمس من الابل شاة ، فمدل من الابل إلى الشاة ، ولم يعدل إلى النقدين والتقويم ، وإن قدر أن ذلك لقلة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهماً في الجبران مع الشاتين ، فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ، ولم قدر بعشرين درهماً وشاتين ، وإن كانت الثياب والأمتعة كلها في معناها . فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ، ولكن جمع بين المعنيين ، والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات . فهذا شأن اللفظ فيه

الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر ، فإن أعين المساكين في كل بلدة تمتد إلى أموالها ، وفي النقل تخيب للظنون ، فإن فعل ذلك أجزأه في قول ، ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى ، فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة ، ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء في تلك البلدة الخامس : أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده ، فإن استيعاب الأصناف واجب ، وعليه يدل ظاهر قوله تعالى : ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ \* ) الآية فإنه يشبه قول المريض : إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين ، وذلك يقتضى التشريك في التملك والعبادات ينبغى أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر . وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد ، وهم المؤلفون قلوبهم ، والعاملون على الزكاة ، ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء ، والمساكين ، والغارمون ، والمسافرون أعنى أبناء السبيل . وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون ، فإن وجد خمسة أصناف مثلاً قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة ، وعين لكل صنف قسمًا ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة ، وليس عليه التسوية بين أحاد الصنف ، فإن له أن يقسمه على عشرة وعشرين ، فينقص نصيب كل واحد ، وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان ، فلا ينبغى أن ينقص في كل صنف عن ثلاثة إن وجد ، ثم لو لم يجب إلا ضاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفرًا ،

ولو نقص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد ، فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة ، وليخلط مال نفسه بمالهم ، وليجمع المستحقين ، وليسلم إليهم حتى يتساهموا فيه فإن ذلك لا بد منه

## بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة

اعلم أن على مرید طریق الآخرة بركاته وظائف

الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ، ووجه الامتحان فيها ، وأنها لم جعلت من مباني الإسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان : وفيه ثلاثة معان الأول : أن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بافراد المعبود ، وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد ، فان المحبة لا تقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى ، وإنما يتحنن به درجة المحب بمفارقة المحبوب ، والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتنعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا بتصدق دعواهم في المحبوب ، واستنزلوا عن المال الذى هو مرقومهم ومعشوقهم ، ولذلك قال الله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ أُجْرَةٌ فِي ) وذلك بالجهاد ، وهو مسامحة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله عز وجل ، والمسامحة بالمال أهون . ولما فهم هذا المعنى فى بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا ديناراً ولا درهما ، فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم ؟ فقال : أما على السعوم بحكم الشرع خمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع <sup>(١)</sup> ولهذا تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله ، وعمر رضى الله عنه بشطر ماله ، فقال صلى الله عليه وسلم : مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ فقال مثله . وقال لأبى بكر رضى الله عنه : مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ قال الله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يَبْنَؤُكُمْ مَا بَيْنَ كَامَتَيْكُمَا » فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله

( ١ ) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله - الحديث : د ت ل و صححه من حديث ابن عمر

وليس فيه قوله بينكما ما بين كنيكما

القسم الثاني : درجتهم دون درجة هذا ، وهم المسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات ، فيكون قصدهم في الادخار الاتفاق على قدر الحاجة دون التمتع ، وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البرمهما ظهر وجوها ، وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة . وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقاً سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد ، قال الشعبي بعد أن قيل له : هل في المال حق سوى الزكاة ؟ قال : نعم أما سمعت قوله عز وجل (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ) الآية ، واستدلوا بقوله عز وجل : (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) وبقوله تعالى : (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ) وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ، ومعناه أنه يجب على الموسرهما وجد محتاجاً أن يزيل حاجته فضلاً عن مال الزكاة

والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهاقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية ، إذ لا يجوز تضییع مسلم ، ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضاً ، ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه . ويحتمل أن يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض ، وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب ، فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه ، وهي أقل الرتب . وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة ، قال الله تعالى : (إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا) يخفكم أى يستقص عليكم ، فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة ، وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله : فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال

المعنى الثاني : التطهير من صفة البخل ، فانه من المهلكات ، قال صلى الله عليه وسلم (١) « ثَلَاثٌ مَّهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » وقال تعالى : (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وسيأتى في ربيع المهلكات وجه كونه مهلكاً ،

(١) حديث ثلاث مهلكات - الحديث : تقدم

بالبقرة : ١٧٧ \* الأنفال : ٣ \* المنافقون : ١٠ \* محمد : ٣٧ \* التباين : ١٦

وكيفية التفصى منه ، وإنما نزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال ، فب الشئ لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقتة حتى يصير ذلك اعتياداً . فالزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك ، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى المعنى الثالث : شكر النعمة ، فإن لله عز وجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله فالعبادات البدنية شكراً لنعمة البدن ، والمالية شكراً لنعمة المال ، وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله !

الوظيفة الثانية : فى وقت الأداء . ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهاراً للرغبة فى الامتثال ، بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء ، ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات ، وعلماً بأن فى التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ، ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم ، فإن ذلك لملة الملك ، وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فما أسرع تقبله ، والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر ، وله لمة عقيب لمة الملك ، فليغتنم الفرصة فيه ، وليعين لذكاتها إن كان يؤديها جميعاً شهراً معلوماً ، وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سبباً لنماء قربته وتضاعف زكاته ، وذلك كشهر المحرم ، فإنه أول السنة وهو من الأشهر الحرم ، أو رمضان فقد « كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> أَجُودَ أَنْخَلَقَ وَكَانَ فِي رَمَضَانَ كَأَلَّا يَجِيءُ الْمُرْسَلَةَ لَا يُنْسِكُ فِيهِ شَيْئًا » ولرمضان فضيلة ليلة القدر ، وأنه أنزل فيه القرآن . وكان مجاهد يقول : لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان . وذو الحجة أيضاً من الشهور الكثيرة الفضل فإنه شهر حرام ، وفيه الحج الأكبر ، وفيه الأيام المعلومات وهى العشر الأول ، والأيام المعدودات وهى أيام التشريق ، وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر ، وأفضل أيام ذى الحجة العشر الأول

( ١ ) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون فى رمضان - الحديث :

أخرجه من حديث ابن عباس





كتاب الشعب

# إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الثالث

دار الشعب  
٩٤ شارع مصرى القاهرة ٢١٨١٠



الوظيفة الثالثة : الإسرار ، فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم : (١) « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمَقِلِّ إِلَى فَقِيرٍ فِي سِرٍّ » وقال بعض العلماء (٢) « ثَلَاثٌ مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ مِنْهَا إِخْفَاءُ الصَّدَقَةِ » وقد روى أيضاً مسنداً وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « إِنْ الْعَبْدَ لَيَعْمَلَنَّ عَمَلًا فِي السِّرِّ فَيَكْتُبُهُ اللَّهُ لَهُ سِرًّا ، فَإِنْ أَظْهَرَهُ نُقِلَ مِنَ السِّرِّ وَكُنِبَ فِي الْعَلَانِيَةِ ، فَإِنْ تَحَدَّثَ بِهِ نُقِلَ مِنَ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَكُنِبَ رِيَاءً » وفي الحديث المشهور : (٤) « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ أَحَدُهُمْ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَلَمْ تَعْلَمْ شِمَالُهُ بِمَا أُعْطِيَ عَيْنُهُ » وفي الخبر : (٥) « صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ » وقال تعالى : (وَإِنْ تُخْفُواهَا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ) \* وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (٦) : « لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُسْمِجٍ وَلَا مُرَّاءٍ وَلَا مَنَانٍ » والمتحدث بصدقته يطلب السمعة ، والمعطى في ملا من الناس يبنى الرياء ، والإخفاء والسكوت هو الخالص منه . وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى ، فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى ، وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى ، وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم ، وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه ، كل ذلك توصيلاً إلى إطفاء غضب الرب سبحانه ، واحترازاً من الرياء والسمعة

( ١ ) حديث أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر : أحمد ح ك من حديث أبي ذر ولأبي داود من

حديث أبي هريرة أي الصدقة أفضل قال جهد المقل

( ٢ ) حديث ثلاث من كنوز البر فذكر منها إخفاء الصدقة : أبو نعيم في كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من

حديث ابن عباس بسند ضعيف

( ٣ ) حديث ان العبد ليعمل عملاً في السر فيكتبه الله سراً فان أظهره نقل من السر - الحديث : الخطيب

في التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف

( ٤ ) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله - الحديث : أخرجه من حديث أبي هريرة

( ٥ ) حديث صدقة السر تطفي غضب الرب : طب من حديث أبي أمامة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب

وهو في الشعب من حديث أبي سعيد كلاهما ضعيف والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة

ان الصدقة لتطفي غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضاً

( ٦ ) حديث لا يقبل الله من مسمج ولا مرء ولا منان : لم أظفر به هكذا

ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى، إذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعاً، وليس في معرفة المتوسط إلا الرياء، ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال، وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال، وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثل عقرباً لادغا، وصفة الرياء تنقلب في القبر أفعى من الأفاعى، وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلها لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما، فهما قصد الرياء والسمة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية، فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية، ولوترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه، وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها، وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها، والعمل بخلاف مقتضاها، فأى فائدة في أن يخالف دواعي البخل ويحجب دواعي الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى. وستأتى أسرار هذه المعاني في ربح المهلكات

الوظيفة الرابعة: أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس في الاقتداء، ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء، فقد قال الله عز وجل: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنَعِمًا هِيَ) (\*) وذلك حيث يقتضى الحال الإبداء، إما للاقتداء، وإما لأن السائل إنما سأل على ملائمة الناس، فلا ينبغي أن يترك التصديق خيفة من الرياء في الإظهار، بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان، وهذا لأن في الإظهار محذوراً ثالثاً سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير، فإنه ربما يتأذى بان يرى في صورة المحتاج، فن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره، وهو كإظهار الفسق على من تستر به فإنه محذور، والتجسس فيه والاعتقاد بذكره منهى عنه، فأما من أظهره فاقامة الحد عليه إشاعة، ولكن هو السبب فيها، وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ أَحْيَاءٍ فَلَا غِيْبَةَ لَهُ» وقد قال الله تعالى (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) \* نذب إلى العلانية أيضاً لما فيها من فائدة الترغيب، فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه، فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له: عدد حب في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف

فقد يكون الاعلان في بعض الأحوال لبعض الاشخاص أفضل، ومن عرف الفوائد والفوائد ولم ينظر بعين الشهوة ، اتضح له الأولى والأليق بكل حال

الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى ، قال الله تعالى ( لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ) واختلفوا في حقيقة المن والأذى ، فقيل المن أن يذكرها ، والأذى أن يظهرها . قال سفيان : من من فسدت صدقته ، فقيل له كيف المن ؟ فقال : أن يذكره ويتحدث به . وقيل المن أن يستخدمه بالعطاء ، والأذى أن يعيره بالفقر . وقيل المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِّنْ »

وعندى أن المن له أصل ومغرس ، وهو من أحوال القلب وصفاته ، ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح ، فأصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعماً عليه ، وحقه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من النار ، وأنه لو لم يقبله لبقى مرتيناً به ، فحقه أن يتقصد منه الفقير إذ جعل كفه نائباً عن الله عز وجل في قبض حق الله عز وجل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « إِنْ الصَّدَقَةَ تَقَعُ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ تَقَعُ فِي يَدِ السَّائِلِ » . فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه ، والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل ، ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفهاً وجهلاً ، فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه ، أما هو فإنما يقضى الذي لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ، ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أخذها لم ير نفسه محسناً إلا إلى نفسه ، إما ببذل ماله إظهاراً لحب الله تعالى ، أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل : أو شكراً على نعمة المال طلباً للمزيد ؛ وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسناً إليه ، ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى

( ١ ) حديث لا يقبل الله صدقة منان : هو كالذي قبله بحديث لم أجده

( ٢ ) حديث ان الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل : قط في الافراد من حديث ابن عباس وقال

غريب من حديث عكرمة عنه ورواه هق في الشعب بسند ضعيف

نفسه محسناً إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المنّ ، وهو التحدث به ، وإظهاره ، وطلب المكافأة منه ، بالشكر والدعاء ، والخدمة والتوقير ، والتعظيم والقيام بالحقوق ، والتقديم في المجالس ، والمتابعة في الأمور . فهذه كلها ثمرات المنّة : ومعنى المنّة في الباطن ما ذكرناه ، وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف ، وباطنه وهو منبعه أمران . (أحدهما) كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه ، فإن ذلك يضيق الخلق لاحالة و(الثاني) رؤيته أنه خير من للفقير ، وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه ، وكلاهما منشؤه الجهل . أما كراهية تسليم المال فهو حق ، لأن من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي ألفا فهو شديد الحق ، ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب في الدار الآخرة ، وذلك أشرف مما يبذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكراً لطلب المزيد ، وكيفما فرض فالكرهية لا وجه لها . وأما الثاني فهو أيضاً جهل ، لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر للأغنياء لما استحققر الفقير ، بل تبرك به وتمنى درجته ، فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بمخمسائة عام ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ . فَقَالَ الْأَيُّودَرُّ : مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالاً » الحديث . ثم كيف يستحققر الفقير وقد جعله الله تعالى متجربة له ، إذ يكتسب المال بجهد ، ويستكثر منه ، ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة . وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ، ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم إليه . فالغنى مستخدم للسعى في رزق الفقير ، ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق ومحراسة الفضلات ، إلى أن يموت فيأكله أعداؤه ، فاذن مهما انتقلت الكراهية وتبدلت بالسروور والفرح بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتقييضه الفقير حتى يخلصه عن ههذته بقبوله منه ، انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه ، وتبدل بالاستيشار والثناء وقبول المنّة . فهذا منشأ المنّ والأذى

فإن قلت : فرؤيته نفسه في درجة المحسن أمر غامض ، فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم يرب نفسه محسناً ؟

فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة ، وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا  
عدوا له عليه مثلا ، هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصديق ؟ فإن  
زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة ، لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك  
فان قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه ، فما دواؤه ؟

فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا ، أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم  
الوجوب ، وأن الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول . وأما الظاهر فالأعمال التي يتعاطاها  
مبتدئ المنة ، فإن الأعمال التي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق كما سيأتي أسرارها  
في الشطر الأخير من الكتاب ، ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائما  
بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين ، وهو يستشعر مع ذلك كراهية  
لورده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا

وكانت عائشة وأم سامة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا للرسول : احفظ  
ما يدعوه به ، ثم كاتتا تردان عليه مثل قوله وتقولان : هذا بذلك حتى تخلص لنا صدقتنا .  
فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة ، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله . وهكذا فعل  
عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما ، وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم  
ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ، ومن  
حيث الباطن المعارف التي ذكرناها ، هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ، ولا يعالج  
القلب إلا بجمع العلم والعمل . وهذه الشريعة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة  
وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « لَيْسَ لِلْمَرْءِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا »  
وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « لَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ صَدَقَةَ مَنْآنٍ » وكقوله عز وجل : ( لَا تُبْطِلُوا  
صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى \* ) وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا  
الشرط فحديث آخر ، وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة

( ١ ) حدث ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها : تقدم في الصلاة

الوظيفة السادسة: أن يستصغر العظيمة فإنه إن استعظمها أعجب بها، والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال، قال تعالى: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا) ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل، والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل. وقيل: لا يتم المعروف الا بثلاثة أمور: تصغيره، وتعجيله، وستره. وليس الاستعظام هو المن والأذى، فإنه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو ربطاً أمكن فيه الاستعظام، ولا يمكن فيه المن والأذى، بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل، أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير، وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا في فهم الوجوب، فهو جدير بأن يستحي منه، فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا: فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه، فالمال لله عز وجل، وله المنّة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله، فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه، وإن كان مقامه يقتضي أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه. وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله عز وجل، فتكون هيئته الانكسار والحياء، كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض، لأن المال كله لله عز وجل، وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه، وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله، كما قال الله عز وجل: (فِيُخَفِّكُمُ تَبَخُّؤُا\*)

الوظيفة السابعة: أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكاً له مطلقاً فلا يقع الموقع وفي حديث أبان عن أنس بن مالك<sup>(١)</sup> «طوبى لعبداً أنفق من ماله اكتسبه من غير معصية» وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب، إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله، فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره، ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام

(١) حديث أنس طوبى لعبداً أنفق من ماله اكتسبه من غير معصية عدو البزار



في بيته لأوغر بذلك صدره . هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل ، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه ، وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى ، أو أكل فأفنى ، والذي يأكله قضاء وطرف في الحال ، فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار . وقد قال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ \* ) أى لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكم . وفي الخبر <sup>(١)</sup> « سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ » وذلك بأن يخرج الإنسان وهو من أحل ماله وأجوده ، فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبدل ، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه ، وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون ، فقال تعالى : ( وَيَجْمَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا \* ) وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ، ثم ابتداء وقال : ( جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ \* ) أى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار

الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقته من تركو به الصدقة ، ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية ، فإن في عمومهم خصوص صفات ، فليراع خصوص تلك الصفات ، وهي ستة : الأولى : أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « لَا تَأْكُلْ إِلَّا طَعَامَ تَقِيٍّ وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ » . وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى ، فتكون شريكا له في طاعته باعانتك إياه . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « أَطْعِمُوا طَعَامَكُمْ الْأَتَقِيَاءَ وَأُولُوا مَعْرُوفِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ » وفي لفظ آخر <sup>(٤)</sup> « أَضِفْ بِطَعَامِكَ مَنْ تُحِبُّهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى » . وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم

( ١ ) حديث سبق درهم مائة ألف : ن حب وصححه من حديث أبي هريرة ،

( ٢ ) حديث لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى : د ت من حديث أبي سعيد بلفظ لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى

( ٣ ) حديث أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين : ابن المبارك في البر والصلة من حديث أبي سعيد الخدري قال ابن طاهر غريب فيه مجهول

( ٤ ) حديث أضف بطعامك من يحبه الله : ابن المبارك أنبأنا جوير عن الضحاك مرسل

\* البقرة : ٢٦٧ \* النحل : ٦٢

فقيل له : لو سمعت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل ، فقال : لا هؤلاء قوم همهم لله سبحانه فإذا طرقتهم فاقة تشتت هم أحدهم فلأن أردهمة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى من أن أعطى ألفاً ممن همته الدنيا ، فذكر هذا الكلام للجنيذ فاستحسنه ، وقال هذا : ولي من أولياء الله تعالى ، وقال : ماسمعت منذ زمان كلاماً أحسن من هذا ، ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث إليه الجنيذ مالا وقال : اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فإن التجارة لا تضر مثلك . وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء عن ما يبتاعون منه الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة ، فإن ذلك إعانة له على العلم ، والعلم أشرف العبادات مهما صححت فيه النية . وكان ابن المبارك يخص بمعروفه أهل العلم ، فقيل له : لو سمعت ! فقال : إني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء ، فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم ، فتفريغهم للعلم أفضل

الصفة الثالثة : أن يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد ، وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة . فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه ، وهو أن يرى أن النعمة كلها منه . وفي وصية لقمان لابنه : لا تجعل بينك وبين الله منما ، وأعدد نعمة غيره عليك مغرما . ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل ، إذ سلط الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ، ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله . فهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة واتهاض القدرة ، ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذي لا تردد فيه ، والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجه ، ومزيل للضعف والتردد عنها ، ومسخر القدرة للاتهاض بمقتضى البواعث ، فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب ، وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره ، فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواه ، وإعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع . وأما الذي يمدح بالمطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ، ويدعو بالشر عند الإيذاء ، وأحواله متفاوته .

وقد روى « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> بَعَثَ مَعْرُوفًا إِلَى بَعْضِ الْفُقَرَاءِ وَقَالَ لِلرَّسُولِ: احْفَظْ مَا يَقُولُ فَلَمَّا أَخَذَ قَالَ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَنْسَى مِنْ ذِكْرِهِ وَلَا يُضَيِّعُ مِنْ سَكْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تَنْسَ فَلَانًا - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَاجْعَلْ فَلَانًا لَا يَنْسَاكَ يَعْنِي بِفُلَانٍ نَفْسَهُ فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَسَرَّ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلِمْتُ أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ » فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده ! وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> لرجل : تُبُّ ، فَقَالَ : أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَرَفَ الْحَقُّ لِأَهْلِيهِ » <sup>(٣)</sup> ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضى الله عنه قومي فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : والله لا أفعل ولا أحمد إلا الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : دَعْنِي يَا أَبَا بَكْرٍ . وفي لفظ آخر : أمها رضى الله عنها قالت لأبي بكر رضى الله عنه : بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِحَمْدِكَ وَلَا بِحَمْدِ صَاحِبِكَ ، فَلَمْ يُنْكِرْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا ذَلِكَ ، مع أن الوحي وصل إليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين ،

( ١ ) حديث بعث معروفا إلى بعض الفقراء ، وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذي

لا ينسى من ذكره - الحديث : لم أجده أصلا إلا في حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده في الصحابة أولا ولم يسبق هذه القطعة التي أوردها المصنف وسمى الرجل حديرا فقد رويناه من طريق البيهقي أنه وصل لحدير من أبي الدرداء شيء . فقال اللهم انك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك وقيل أن هذا آخر لا محجة له يكنى أبا جريرة وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين

( ٢ ) حديث قال لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد - الحديث : أحمد وطب من حديث

الأسود بن سريع بسند ضعيف

( ٣ ) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومي فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم - الحديث :

د من حديث عائشة بلفظ فقال أبو بكر قومي فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أحمد الله لا أياك وللبحارى تعليقا فقال أبو بكر قومي إليه فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدا ولكن أحمد الله وله وسلم فقالت لى أمى قومي إليه فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله وللطبرانى فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر قومي فاحتضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا أدنو منه - الحديث : وفيه أنها قالت لئن صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك

قال الله تعالى : ( وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* ) ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره ، فليترك الله سبحانه في تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه

الصفة الرابعة : أن يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى ، أو يكون من أهل المروءة ممن ذهب نعمته وبقيت عادته ، فهو يتعيش في جلباب التجمل ، قال الله تعالى : ( يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا \* ) أى لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء يبينهم ، أعزة بصبرهم . وهذا ينبى أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة ، ويستكشف عن مواطن أحوال أهل الخير والتجمل ، فتواب صرف المعروف اليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال

الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب ، فيوجد فيه معنى قوله عز وجل ( لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ \* ) أى حبسوا في طريق الآخرة بعلّة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الأرض لأنهم مقصودو الجناح مقيدو الاطراف . فبهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها ، « وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> يُعْطَى الْعَطَاءَ عَلَى مِقْدَارِ الْعَيْلَةِ » وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال

الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام ، فتكون صدقة وصلة رحم ، وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى ، قال على رضى الله عنه : لأن أصل أخا من إخوانى بدرهم أحب إلى من أن أتصدق بعشرين درهما ، ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم ، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعتق رقبة . والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب . فليراع هذه الدقائق

(١) حديث كان يعطى العطاء على مقدار العيلة : لم أر له أصلا ولا بى داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه ألفى قسمة في يومه وأعطى الأهل حظين وأعطى العزب حظا

فهذه هي الصفات المطلوبة ، وفي كل صفة درجات ، فينبغي أن يطلب أعلاها ، فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ، ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد ، فإن أخذ أجره في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيده حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته . وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل . والأجر الثاني : ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته ، فإن قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل ، فإن أصاب حصل الاجران ، وإن أخطأ حصل الاول دون الثاني فهذا يضاعف أجر المصيب في الاجتهاد هاهنا وفي سائر المواضع ، والله أعلم

### الفصل الثالث

في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان أسباب الاستحقاق

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا الحر مسلم ليس بها شئ ولا مطاي اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل . ولا تصرف زكاة إلى كافر ، ولا إلى عبد ، ولا إلى هاشمي ، ولا إلى مطاي . أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليهما . فلهذه الصفات الأصناف الثمانية

الصف الأول : الفقراء :

والفقير : هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب ، فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين ، وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير ، وإن كان معه قبيص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القبيص بحيث تنفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير ، لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه ، فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى سائر العورة ، فإن هذا غلو ، والغالب أنه لا يوجد مثله ، ولا يخرج من الفقر كونه معتادا للسؤال ، فلا يجعل السؤال كسبا ، بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرج من الفقر ، فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ، ويجوز أن يشتري له آلة ، وإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير

وإن كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته ، وإن كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الاوقات فليكتسب ، لان الكسب أولى من ذلك ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ » وأراد به السعى في الاكتساب . وقال عمر رضى الله عنه : كسب في شبهة خير من مسألة ، وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب ، فليس بفقير

#### الصف الثاني : المساكين

والمسكين : هو الذى لا ينى دخله بخرجه ، فقد يملك ألف درهم وهو مسكين ، وقد لا يملك إلا فأسا وحبلًا وهو غنى ، والدورة التى يسكنها والثوب الذى يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين ، وكذا أثاث البيت ، أعنى ما يحتاج إليه ، وذلك ما يليق به ، وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة ، وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر ، وحكم الكتاب حكم الثوب ، وأثاث البيت فانه محتاج إليه ، ولكن ينبغى أن يحتاط فى قطع الحاجة بالكتاب ، فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم ، والاستفادة ، والتفرج بالمطالعة . أما حاجة التفرج فلا تعتبر كافتناء كتب الأشعار وتواريخ الاخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع فى الآخرة ولا يجرى فى الدنيا إلا مجرى التفرج والاستئناس ، فهذا يباع فى الكفارة وزكاة الفطر ، ويمنع اسم المسكنة . وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آتية ، فلا تباع فى الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين ، وإن كان يندرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة . وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به ، فإن كان فى البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه ، وإن لم يكن فهو محتاج إليه ، ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة ، فينبغى أن يضبط مدة الحاجة . والأقرب أن يقال : ما لا يحتاج إليه فى السنة فهو مستغنى عنه ، فإن من فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة ، فإذا قدرنا القوت باليوم

( ١ ) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة : الطبرانى والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث ( مسعود

فحاجة أثاث البيت ، وثياب البدن ينبغي أن تقدر بالسنة ، فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه ، وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداها ، فان قال إحداها أصح والأخرى أحسن فانا محتاج اليهما ، قلنا : اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفع ، وإن كان نسختان من علم واحد إحداهما بسيطة والأخرى وجيزة ، فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط ، وإن كان قصده التدريس فيحتاج اليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى ، وأمثال هذه الصور لا تنحصر ، ولم يتعرض له في فن الفقه ، وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبية بحسن هذا النظر على غيره ، فان استقصاء هذه الصور غير ممكن ، إذ يتعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها ، وليس لهذه الأمور حدود محدودة ، ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ، ويقرب في التحديدات بما يراه ، ويقتحم فيه خطر الشبهات ، والمتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريه إلى ما لا يريه ، والدرجات المتوسطة المشككة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجى منها إلا الاحتياط . والله أعلم

#### الصنف الثالث : العاملون

وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ، ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ، ولا يزداد واحد منهم على أجرة المثل ، فان فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف ، وإن نقص كمل من مال المصالح

#### الصنف الرابع : المؤلفة قلوبهم على الإسلام

وهم الأشراف الذين أساموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيب نظائهم وأتباعهم

#### الصنف الخامس : المكاتبون

فيُدفع إلى السيد سهم المكاتب ، وإن دفع إلى المكاتب جاز ، ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يعد عبداً له

#### الصنف السادس : الغارمون

والغارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير ، فإن استقرض في معصية

فلا يعطى إلا إذا تاب، وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فتنه  
 الصنف السابع : الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزة  
 فيصرف اليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو  
 الصنف الثامن : ابن السبيل

وهو الذى شخص من بلده ليسافر فى غير معصية أو اجتاز بها ، فيعطى إن كان فقيرا ،  
 وإن كان له مال يبلد آخر أعطي بقدر بلغتة

فإن قلت : فبم تعرف هذه الصفات

قلنا : أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ، ولا يطالب ببينة ، ولا يحلف ، بل يجوز  
 اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه . وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غار ، فإن  
 لم يف به استرد . وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البينة رفهه شروط الاستحقاق . وأما  
 مقدار ما يصرف إلى كل واحد فسيأتى

## بيان وظائف القابض

وهى خمسة

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة اليه ليكني همه ويجعل همومه هما  
 واحدا ، فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر  
 وهو المعنى بقوله تعالى : ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ \* ) ولكن لما اقتضت  
 الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهى تفرق همه اقتضى الكرم إفاضة نعمة  
 تكفى الحاجات ، فأكثر الأموال وصحبها فى أيدي عباده لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم  
 ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم ، فمنهم من أكثر ماله فتنه وبلية فأحمله فى الخطر ، ومنهم من  
 أحبه فخماه عن الدنيا كما يحى المشفق مريضه ، فزوى عنه فضولها ، وساق اليه قدر حاجته  
 على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب ، والتعب فى الجمع والحفظ عليهم ، وفائدته تنصب  
 إلى الفقراء ، فيتجددون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت ، فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ،  
 ولا تشغلهم عن التأهب للفاقة ، وهذا منتهى النعمة . فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ،



ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه ، كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى . فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة . ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله ، فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل ، فإن استعان به على معصية الله كان كافرا لأنعم الله عز وجل ، مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه

الثانية : أن يشكر المعطى ويدعوله ويتنى عليه ، ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرج به عن كونه واسطة ، ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه ، وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا واسطة ، وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ » وقد أثنى الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها ، نحو قوله تعالى : ( نِعِمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) <sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك ، وليقل القابض في دعائه : طهر الله قلبك في قلوب الأبرار ، وزكى عملك في عمل الأخيار ، وصلى على روحك في أرواح الشهداء . وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُمْ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْمُوا أَنْكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ » ومن تمام الشكر أن يستر عيوب المعطاء إن كان فيه عيب ، ولا يحقره ، ولا يذمه ، ولا يعيره بالمنع إذا منع ، ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعة ، فوظيفة المعطى الاستصغار ، ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام ، وعلى كل عبد القيام بحقه ، وذلك لا تناقض فيه ، إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض ، والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ، ويضربه خلافا ، والأخذ بالعكس منه : وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل ، فإن من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلا

الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه ، فإن لم يكن من حل تورع عنه ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ) <sup>(٤)</sup> ولن يعبد المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال ،

( ١ ) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله : ت وحسنه من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن جبان

نحوه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح

( ٢ ) حديث من أسدى إليكم معروفا فكافئوه - الحديث : د ن من حديث ابن عمر بأسناد صحيح بلفظ من صنع

(١) ص : ٤٤ (٢) الطلاق : ٢ ، ٣

فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مال كما معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة ، فإن فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ماسياتي بيانه في كتاب الحلال والحرام ، وذلك إذا عجز عن الحلال ، فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة ، إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام الرابعة : أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذه ، فلا يأخذ إلا المقدار المباح ، ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق ، فإن كان يأخذه بالكتابة والقرامة فلا يزيد على مقدار الدين ، وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجره المثل ، وإن أعطى زيادة أبي وامتنع ، إذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به ، وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده ، وإن كان غازيا لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة ، وتقدير ذلك بالاجتهاد ، وليس له حد ، وكذا زاد السفر ، والورع ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ، وإن أخذ بالمسكنة فليُنظر أولا إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته ، فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته ، وكل ذلك إلى اجتهاده ، وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق ، وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق ، وبينهما أوساط مشتبهة ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهرا

والمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضيق والتوسيع ، ولا تنحصر مراتبه . وميل الورع إلى التضيق ، وميل المتساهل إلى التوسيع ، حتى يرى نفسه محتاجا إلى فنون من التوسع ، وهو ممقوت في الشرع

ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا ، بل ما يتم كفايته من وقت أخذه إلى سنة . فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ، ومن حيث « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> ادَّخَرَ لِعِيَالِهِ قُوتَ سَنَةٍ » فهذا أقرب ما يحذبه حد الفقير والمسكين . ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى

(١) حديث ادخر لعياله قوت سنة: أخرجه من حديث عمر كان يعزل نفقة أهله سنة وللطبراني في الأوسط

من حديث أنس كان إذا لم يدر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكر

ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة ، فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قد قوت يومه وليلته ، وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> نَهَى عَنِ السُّؤَالِ مَعَ الْغَنِيِّ فُسِّئِلَ عَنْ غِنَاهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَدَاؤُهُ وَعَشَاؤُهُ » . وقال آخرون : يأخذ إلى حد الغنى . وحد الغنى نصاب الزكاة ، إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء ، فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة . وقال آخرون : حد الغنى خمسون درهما أو قيمتها من الذهب ، لما روى ابن مسعود أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> قَالَ « مَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَالٌ يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي وَجْهِهِ خُحُوشٌ » فُسِّئِلَ : وما غناه ؟ قال : خمسون درهما أو قيمتها من الذهب . وقيل راويه ليس بقوى . وقال قوم أربعون ، لما رواه عطاء بن يسار منقطعاً أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> قَالَ « مَنْ سَأَلَ وَلَهُ أُوقِيَّةٌ فَقَدْ أَلْخَفَ فِي السُّؤَالِ » . وبالع آخرون في التوسيع فقالوا : له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغنى به طول عمره ، أو يهيء بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره ، لأن هذا هو الغنى . وقد قال عمر رضى الله عنه : إذا أعطيتهم فأغنوا . حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم ، إلا إذا خرج عن حد الاعتدال <sup>(٤)</sup> ولما شغل أبو طلحة بستانه عن الصلاة قال جَعَلَتْهُ صَدَقَةٌ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اجْعَلْهُ فِي قَرَابَتِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » فأعطاه حسان وأبا قتادة ، فحائط من نخل لرجلين كثير مغن . وأعطى عمر رضى الله عنه أعرابياً ناقة معها ظئر لها . فهذا ما حكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب ، وذلك مستنكر ، وله حكم آخر ، بل التجويز إلى أن يشتري ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال ، وهو أيضاً مائل إلى الإسراف

( ١ ) حديث سهل بن الحنظلية في النهي عن السؤال مع الغنى فيسأل ما يغنيه فقال غداؤه وعشاؤه : دحب بلفظ من سأل وله ما يغنيه فأنما يستكثر من جمر جهنم - الحديث :

( ٢ ) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خحوش - الحديث : أصحاب السنن وحسنه ت وضعفه النسائي والخطابي

( ٣ ) حديث عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألخف في السؤال : د ن من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلاً وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن ح ب من حديث أبي سعيد

( ٤ ) حديث لما شغل أبا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة : تقدم في الصلاة

والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة ، فما وراءه فيه خطر ، وفيما دونه تضيق . وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف ، فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع <sup>(١)</sup> « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوَكَ وَأَفْتَوَكَ » كما قاله صلى الله عليه وسلم ، إذ الاثم جزاء القلوب ، فإذا وجد القابض في نفسه شيئاً مما يأخذه فليترك الله فيه ولا يترخص تعللاً بالفتوى من علماء الظاهر ، فان لفثواهم قيوداً ومطلقات من الضرورات ، وفيها تخمينات وافتحام شبهات ، والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة

الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه ، فان كان ما يبطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن ، فليتنقص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين من صفه . وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق ، فانهم لا يراعون هذه القسمة إما للجهل وإما لتساهل . وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يئلب على الظن احتمال التحريم . وسيأتى ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام ، إن شاء الله تعالى .

## الفصل الرابع

في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها

بيان فضيلة الصدقة

من الأخبار :

قوله صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِتَمْرَةٍ فَإِنَّهَا تُسَدُّ مِنْ الْجَائِعِ وَتُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا

( ١ ) حديث استفت قلبك وان أفنوك تقدم في العلم  
( ٢ ) حديث تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفىء الماء النار : ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسلاً ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استترى من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبان ولا بى يعلى والزار من حديث أبى بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقوم العوج وتدفع مينة السوء وتقع من الجائع موقها من الشبان وأسناده ضعيف والترمذى ون فى الكبرى وه فى حديث معاذ والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفىء الماء النار

( ٣ ) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجه من حديث عدى بن حاتم

فِي كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ « وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(١)</sup> « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا إِلَّا كَانَ اللَّهُ آخِذَهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَصِيْلَهُ حَتَّى تَبْلُغَ التَّمْرَةُ مِثْلَ أَحَدٍ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٢)</sup> « لَا بَى الدَّرَاءِ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثَرَ مَا هُمْ أَنْظَرُ إِلَى أَهْلِ يَتٍّ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصْبَهُمْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٣)</sup> « مَا أَحْسَنَ عَبْدُ الصَّدَقَةِ إِلَّا أَحْسَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخِلَافَةَ عَلَى تَرْكِتِهِ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٤)</sup> « كُلُّ أَمْرٍ فِي ظِلِّ صَدَقَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٥)</sup> « الصَّدَقَةُ تُسَدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الشَّرِّ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ »

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٦)</sup> « مَا الَّذِي أُعْطِيَ مِنْ سَعَةٍ بِأَفْضَلِ أَجْرٍ مِنَ الَّذِي يَقْبَلُ مِنْ حَاجَةٍ » وَلِلْمُرَادِ بِهِ الَّذِي يَقْصِدُ مِنْ دَفْعِ حَاجَتِهِ التَّفَرُّغَ لِلدِّينِ ، فَيَكُونُ مَسَاوِيًا لِلْمَعْطَى الَّذِي يَقْصِدُ بِإِعْطَائِهِ عِمَارَةَ دِينِهِ . وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٧)</sup> « أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَنْ تَصَدَّقَ . وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمَلُ الْبُقَاءَ وَتَخْشَى الْفَاقَةَ وَلَا تُعْمَلُ حَتَّى

( ١ ) حديث مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا - الحديث : بخ تعليقا

وم ت ن في الكبرى واللفظ له ه من حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث قال لابي الدرداء اذا طبخت مرقة فأكثر ماها - الحديث : م من حديث أبي ذر انه قال ذلك له وما ذكره المصنف انه قال لابي الدرداء وهم

( ٣ ) حديث ما أحسن عبد الصدقة الا أحسن الله الخلافة على تركته : ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلًا بأسناد صحيح واسنده الخطيب فيمن روي عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه

( ٤ ) حديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس : حب لك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر

( ٥ ) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر : ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف أن الله ليدر أبا الصدقة سبعين بابا من مينة السوء

( ٦ ) حديث ما المعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة : حب في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث أنس ورواه في الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف

( ٧ ) حديث سئل أي الصدقة أفضل ؟ قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح - الحديث : أخرجه من حديث أبي هريرة

إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ <sup>(١)</sup> وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ : « تَصَدَّقُوا ، فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ عِنْدِي دِينَارًا ، فَقَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ ، فَقَالَ  
إِنَّ عِنْدِي آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى زَوْجَتِكَ ، قَالَ إِنَّ عِنْدِي آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى وَلَدِكَ ،  
قَالَ إِنَّ عِنْدِي آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى خَادِمِكَ ، قَالَ إِنَّ عِنْدِي آخَرَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
أَنْتَ أَبْصَرُ بِهِ » وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٢)</sup> « لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِأَلِ مُحَمَّدٍ إِلَّا مَا هِيَ أَوْ سَاخُ النَّاسِ »  
وقال : <sup>(٣)</sup> « رُدُّوا مَذْمَةَ السَّائِلِ وَلَوْ بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّائِرِ مِنَ الطَّعَامِ » وقال صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٤)</sup> « لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ »

وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام  
« وَكَانَ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٥)</sup> لَا يَكِلُ خَصْلَتَيْنِ إِلَى غَيْرِهِ : كَانَ يَضَعُ طَهُورَهُ بِاللَّيْلِ  
وَيُخَمِّرُهُ ، وَكَانَ يُنَاولُ الْمُسْكِينَ يَدِهِ » وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <sup>(٦)</sup> « لَيْسَ الْمُسْكِينُ  
الَّذِي تَرُدُّهُ الثَّمَرَةُ وَالْتَّمَرَتَانِ وَاللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ إِلَّا مَا الْمُسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ ، اقْرَءُوا إِنَّ شِئْتُمْ  
لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا » وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٧)</sup> « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَكْسُو مُسْلِمًا إِلَّا  
كَانَ فِي حِفْظِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَامَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ رُقْعَةٌ »  
الآثار :

قال عمرو بن الزبير : لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفا وإن درعها لم رقع .

( ١ ) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندي دينار فقال أنفق على نفسك - الحديث : د

ن واللفظ له وحب لك من حديث أبي هريرة وقد تقدم قبل بيسير

( ٢ ) حديث لا تحل الصدقة لآل محمد - الحديث : م من حديث المطلب بن ربيعة

( ٣ ) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام : العقيلي في الضعفاء من حديث عائشة

( ٤ ) حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده : العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة

قال العقيلي لأبصح في هذا الباب شيء وللطبراني نحوه من حديث أبي أمامة بسند ضعيف

( ٥ ) حديث كان لا يكل خصلتين إلى غيره - الحديث : الدارقطني من حديث ابن عباس بسند ضعيف

ورواه ابن المبارك في البر مرسل

( ٦ ) حديث ليس المسكين الذي ترده الثمرة والتمران - الحديث : متفق عليه من حديث عائشة

( ٧ ) حديث ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله - الحديث : ت وحسنه وك وصحح أسنده من

حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهان ضعيف

وقال مجاهد في قول الله عز وجل : ( وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا <sup>(١)</sup> ) فقال : وهم يشتهونه . وكان عمر رضى الله عنه يقول : اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلمهم يعودون به على ذوى الحاجة منا . وقال عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه . وقال ابن أبي الجعد : إن الصدقة تندفع سبعين باباً من السوء ، وفضل سرها على علانياتها بسبعين ضعفاً ، وإنها لتفك لحي سبعين شيطاناً . وقال ابن مسعود : إن رجلاً عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ، ثم حر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة . وقال لقمان لا بنه : إذا أخطأت خطيئة فاعط الصدقة . وقال يحيى بن معاذ . ما أعرف حبة تزبن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة : كتمان المرض ، وكتمان الصدقة ، وكتمان المصائب ، وروى مسنداً . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الأعمال تباغت فقالت الصدقة . أنا أفضلكن . وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول : ( لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ <sup>(٢)</sup> ) والله يعلم أنى أحب السكر . وقال النخعي . إذا كان الشيء لله عز وجل لا يسرنى أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير : يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط ، وأعطش ما كانوا قط ، وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم الله عز وجل أشبعه الله . ومن سقى الله عز وجل سقاه الله . ومن كسا الله عز وجل كساه الله . وقال الحسن : لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم . ولكنه ابتلى بعضكم ببعض . وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته ، فقد أبطل صدقته ، وضرب بها وجهه . وقال مالك لا نرى بأساً بشرب المومس من الماء الذى يتصدق به ويسقى في المسجد لأنه لا نأكل للعطشان من كان ولا يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص . ويقال : إن الحسن مر به نحاس ومعه جارية فقال للنحاس أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين ؟ قال لا ، قال فاذهب فان الله عز وجل رضى في الخور العين بالفلس واللقمة .

(١) لا انسان له (٢) آل عمران : ٣٩

## بيان إخفاء الصدقة وإظهارها

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك ، فمال قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل . ونحن نشير إلى ما في كل واحد من المعاني والآفات ، ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه

أما الاخفاء ففيه خمسة معان :

الأول : أنه أبقى للستر على الآخذ ، فإن أخذه ظاهراً هتك لستر الروءة ، وكشف عن الحاجة ، وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف

الثاني : أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم ، فانهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه آخذ مع الاستغناء ، أو ينسبونه إلى أخذ زيادة ، والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر ، وصياتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السخيتاني : إني لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يُحدث في جيراني حسداً . وقال بعض الزهاد : ربما تركت استعمال الشيء لأجل اخواني : يقولون : من أين له هذا ؟ وعن ابراهيم التيمي أنه رُئى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه : من أين لك هذا ؟ فقال كَسَاَنيهِ أَخِي خَيْشَمَةٌ ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته

الثالث : إعانة المعطى على إسرار العمل ، فإن فضل السر على الجهر في الاعطاء أكثر ، والإعانة على إتمام المعروف معروف ، والسكران لا يتم إلا باثنين : فهما أظهر هذا انكشف أمر المعطى . ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فردّه اليه ، ودفع اليه آخر شيئاً في السر فقبله ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن هذا عمل بالأدب في إخفاء معروفه فقبلته ، وذلك أساء أدبه في عمله فردّته عليه . وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئاً في الملا فردّه ، فقال له : لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك ؟ فقال : إني أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تتنعم بالله عز وجل ، فرددت عليك شرّك . وقبل بعض العارفين في السر شيئاً كان رده في العلانية ، فقيل له في ذلك ، فقال : عصيت الله بالجهر فلم أك عوناً لك على المعصية ،



وَأَطَعْتَهُ بِالْإِخْفَاءِ فَأَعْتَمَكَ عَلَى بَرِّكَ . وَقَالَ الثَّوْرِيُّ : لَوْ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَذْكُرُ صَدَقَتَهُ وَلَا يَتَحَدَّثُ بِهَا لَقَبِلْتَ صَدَقَتَهُ

الرابع : أن في إظهار الأخذ ذلاً وامتھاناً ، وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول : إن في إظهاره إذلالاً للعلم وامتھاناً لأهله ، فما كنت بالذي أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله

الخامس : الاحتراز عن شبهة الشركة ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ أَهْدَى لَهْ هَدِيَّةٌ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِيهَا » وبأن يكون ورقاً أو ذهباً لا يخرج عن كونه هدية . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « أَفْضَلُ مَا يُهْدَى الرَّجُلُ إِلَى أَخِيهِ وَرَقًا أَوْ يُطْعَمُهُ خُبْزًا » فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى في الملاءم كروه إلا برضا جميعهم ، ولا يخلو عن شبهة ، فإذا انفراد سلم من هذه الشبهة

أما الإظهار والتحدث به ففيه معان أربعة :

الأول : الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبس الحال والمراعاة

والثاني : إسقاط الجاه والمنزلة ، وإظهار العبودية والمسكنة ، والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء ، وإسقاط النفس من أعين الخلق . قال بعض العارفين لتلميذه : أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذاً ، فانك لا تخلو عن أحد رجلين : رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك ، فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك ، أو رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق ، فذلك الذي يريده أخوك ، لأنه يزداد ثواباً بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك ، فتوَجَّرَ أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه

الثالث : هو أن العارف لا ينظر له إلا إلى الله عز وجل ، والسر والعلانية في حقه واحد ،

( ١ ) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها: العقيلي وابن جبان في الضعفاء وطب في الأوسط

وهو من حديث ابن عباس قال علق لا يصح في هذا المتن حديث

( ٢ ) حديث أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقاً أو يعطيه خبزاً: عد وضعفه من حديث ابن عمر أنه

أفضل العمل عند الله أن يقضى عن مسلم دينه أو يدخل عليه سروراً أو يطعمه خبزاً ولأحمد  
وت وصححه من حديث البراء من منح منحة ورق أو منحة لبن أو هدى رفاقاً فهو كعتاق نسمة

فاختلاف الحال شرك في التوحيد . قال بعضهم : كنا لانعبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية . والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا تقصان في الحال ؛ بل ينبغي أن يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد . حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين ، فشق على الآخرين فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد ، فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال . لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد ، فانفرد كل واحد وذبح ، إلا ذلك المريد فانه رد الدجاجة ، فسألهم فقالوا : فعلنا ما أمرنا به الشيخ ، فقال الشيخ للمريد : مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟ فقال ذلك المريد : لم أقدر على مكان لا يراني فيه أحد فان الله يراني في كل موضع ، فقال الشيخ : لهذا أميل إليه . لأنه لا يلتفت لغير الله عز وجل الرابع : أن الاظهار إقامة لسنة الشكر ، وقد قال تعالى : ( وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ )<sup>(١)</sup> والكتمان كفران النعمة ، وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى : ( الَّذِينَ يَخْلَوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ )<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَيْهِ » وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا في السر فرفع به يده وقال : هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل . ولذلك قال بعضهم : إذا أعطيت في الملاخذي ثم اردد في السر . والشكر فيه محثوث عليه ، قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ » والشكر قائم مقام المكافأة ، حتى قال صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَأَثْنُوا عَلَيْهِ بِهِ خَيْرًا وَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَفَّيْتُمُوهُ »<sup>(٥)</sup> ولما قال المهاجرون في الشكر يا رسول الله مارأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كُله ، فقال صلى الله عليه وسلم « كُلُّ مَا شَكَرْتُمْ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ فَهُوَ مُكَافَأَةٌ »

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه : أحمد من حديث عمران بن حصين

بسند صحيح وحسنه ت من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(٢) حديث من لم يشكر الناس لم يشكره الله تقدم

(٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله مارأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم - الحديث : ت وصححه منيه

حديث أنس ورواه مختصرا دن في اليوم واليلة ولك وصححه ه

(٤) الصحيح : ١١ (٥) النساء : ٣٧

فَالآن إِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْمَعَانِي فَاعْلَمْ أَنَّ مَا نَقَلَ مِنْ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهِ لَيْسَ اخْتِلَافًا فِي الْمَسْأَلَةِ بَلْ هُوَ اخْتِلَافٌ حَالٌ

فَكَشَفَ الْغَطَاءَ فِي هَذَا أَنَّا لَا نَحْكُمُ حَكْمًا بَيِّنًا بِأَنَّ الْإِخْفَاءَ أَفْضَلُ فِي كُلِّ حَالٍ أَوْ الْإِظْهَارَ أَفْضَلُ بَلْ يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ النِّيَّاتِ ، وَتَخْتَلِفُ النِّيَّاتُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخُلَاصُ مِرَافِقًا لِنَفْسِهِ ، حَتَّى لَا يَتَدَلَّى بِجَبَلِ الْغُرُورِ ، وَلَا يَنْخَدِعَ بِتَلْيِيسِ الطَّبْعِ ، وَمَكْرِ الشَّيْطَانِ . وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ أَغْلَبُ فِي مَعَانِي الْإِخْفَاءِ مِنْهُ فِي الْإِظْهَارِ ، مَعَ أَنَّ لَهُ دَخْلًا فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، فَأَمَّا مَدْخَلُ الْخِدَاعِ فِي الْأَسْرَارِ فَمِنْ مِيلِ الطَّبْعِ إِلَيْهِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ خَفَضِ الْجَاهِ وَالْمَنْزَلَةِ ، وَسُقُوطِ الْقَدْرِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ ، وَنَظَرِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْأَزْدِرَاءِ ، وَإِلَى الْمَعْطِيِّ بِعَيْنِ الْمَنِّعِ الْحَسَنِ . فَهَذَا هُوَ الدَّاءُ الدَّفِينُ ، وَيَسْتَكِنُ فِي النَّفْسِ ، وَالشَّيْطَانُ بِوَسْطِطِهِ يَظْهَرُ مَعَانِي الْخَيْرِ حَتَّى يَتَعَلَّلَ بِالْمَعَانِي الْحَسَنَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا :

وَمَعْيَارُ كُلِّ ذَلِكَ وَمَحْكَمَةُ أَمْرٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَأْلَمُهُ بِانْكَشَافِ أَخْذِهِ الصَّدَقَةَ كَتَأْلَمُهُ بِانْكَشَافِ صَدَقَةِ أَخْذِهَا بَعْضُ نَظَرَاتِهِ وَأَمْثَالِهِ ، فَانْهَ إِنْ كَانَ يَبْغِي صِيَانَةَ النَّاسِ عَنِ الْغِيْبَةِ وَالْحَسَدِ وَسُوءِ الظَّنِّ ، أَوْ يَتَّقِي اتِّهَانَهُ السُّتْرِ ، أَوْ إِعَانَةَ الْمَعْطَى عَلَى الْأَسْرَارِ ، أَوْ صِيَانَةَ الْعِلْمِ عَنِ الْإِبْتِذَالِ ، فَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يَحْصُلُ بِانْكَشَافِ صَدَقَةِ أَخِيهِ ، فَإِنْ كَانَ انْكَشَافُ أَمْرِهِ أَثْقَلَ عَلَيْهِ مِنْ انْكَشَافِ أَمْرِ غَيْرِهِ : فَتَقْدِيرُهُ الْحَذَرُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي أَغَالِيظُ وَأَبَاطِيلُ مِنْ مَكْرِ الشَّيْطَانِ وَخُدْعِهِ ، فَإِنْ اذْلالَ الْعِلْمَ مُحْذُورٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ عِلْمٌ لَامِنٌ حَيْثُ إِنَّهُ عِلْمٌ زَيْدٌ أَوْ عِلْمٌ عَمْرٍ ، وَالْغِيْبَةُ مُحْذُورَةٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَعْرِضُ لَعَرَضِ مَصُونٍ لَامِنٍ حَيْثُ إِنَّهَا تَعْرِضُ لَعَرَضِ زَيْدٍ عَلَى الْخُصُوصِ . وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ مَلَا حِظَةٍ مِثْلَ هَذَا رَجَا يَعْجِزُ الشَّيْطَانُ عَنْهُ ، وَالْأَفْلا يَزَالُ كَثِيرُ الْعَمَلِ قَلِيلُ الْحِظِ .

وَأَمَّا جَانِبُ الْإِظْهَارِ فَيَلِ الطَّبْعُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ تَطْيِيبٌ لِقَلْبِ الْمَعْطَى وَاسْتِحْثَاتٌ لَهُ عَلَى مِثْلِهِ وَإِظْهَارُهُ عِنْدَ غَيْرِهِ أَنَّهُ مِنَ الْمُبَالِغِينَ فِي الشُّكْرِ حَتَّى يَرْغَبُوا فِي إِكْرَامِهِ وَتَقْقَدِهِ . وَهَذَا دَاءٌ دَفِينٌ فِي الْبَاطِنِ ، وَالشَّيْطَانُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمُتَدِينِ إِلَّا بِأَنْ يَرُوجَ عَلَيْهِ هَذَا الْخُبْثُ فِي مَعْرِضِ السَّنَةِ وَيَقُولُ لَهُ الشُّكْرُ مِنَ السَّنَةِ وَالْإِخْفَاءُ مِنَ الرِّيَاءِ ، وَيُورِدُ عَلَيْهِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَاهَا لِيَجْمَلَ عَلَى الْإِظْهَارِ ، وَقَصْدُهُ الْبَاطِنُ مَا ذَكَرْنَاهُ

ومعيار ذلك ومحكمه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهي الخبر إلى المعطى، ولا إلى من يرغب في عطائه، وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها، وعادتهم أنهم لا يعطون الا من يخفى ولا يشكر، فان استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعته هو إقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة، وإلا فهو مغرور

ثم إذا علم أن باعته السنة في الشكر فلا ينبغي أن يفصل عن قضاء حق المعطى فينظر: فإن كان هو من يحب الشكر والنشر فينبغي أن يخفى ولا يشكر، لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم، وطلبه الشكر ظلم

وإذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> للرجل الذي مدح بين يديه: « ضَرَبْتُمْ عُنُقَهُ، لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثنى على قوم في وجوههم لثقتهم بيقينهم وعامه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد<sup>(٢)</sup> « إِنَّهُ سَيُدُّ أَهْلَ الْوَبَرِ » وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> في آخر « إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ » وسمع كلام رجلا فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « إِنَّ مِنَ الْبَيَّانِ لَسِحْرًا » وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> « إِذَا عَلِمَ أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ خَيْرًا فَلْيُخْبِرْهُ فَإِنَّهُ يَزْدَادُ رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ » وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> « إِذَا مُدِّحَ الْمُؤْمِنُ رَبًّا بِالْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ » وقال الثوري: من عرف نفسه لم يضره مدح الناس

( ١ ) حديث قال للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح: مرفوع عليه من حديث أبي بكر

بلقط ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب في رواية والله لو سمعها ما أفلح أبدا وفي سننه على

ابن زيد بن جدهان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبي موسى

( ٢ ) حديث أنه سيد الوبر: العنبري وطب وابن قانع في معاجهم وحب في الثقات من حديث قيس بن

عاصم المتقري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك

( ٣ ) حديث اذا جاءكم كريم قوم فأكرموا: ه من حديث ابن عمر ورواه في المراسيل من حديث الشعبي

مرسلا بسند صحيح وقال روى منصلا وهو ضعيف وله نحوه من حديث معبد بن خالد

الانصاري عن أبيه وصحح أسناده

( ٤ ) حديث أن من البيان لسجرا: نخ من حديث ابن عمر

( ٥ ) حديث اذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير: قط في العلل من رواية ابن

السيب عن أبي هريرة وقال لا يصح عن الزهري وروى عن ابن السيب مرسلا

( ٦ ) حديث اذا مدح المؤمن رباً بالإيمان في قلبه: طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

وقال أيضاً ليوسف بن أسباط : إذا أوليتك معروفاً كنت أنا أسره منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر

ودقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعى قلبه ، فإن أعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان ، وشامة له لكثرة التعب وقلة النفع . ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة ، إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر ، وبالجهل به تموت عبادة العمر كله ، وتتعطل

وعلى الجملة فالأخذ في الملأ والرد في السر أحسن المسالك وأسماها ، فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة بحيث يستوى السر والعلانية ، وذلك هو الكبريت الأحمر الذي يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق

### بيان الأفضل من أخذ الصدقة والزكاة\*

كان إبراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل ، فإن في أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ، ولأنه ربما لا يكمل في أخذه صفة الإستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز ، وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع ، وقال قائلون بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأنعوا ، ولأن الزكاة لامة فيها ، وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين ، ولأنه أخذ بالحاجة ، والانسان يعلم حاجة نفسه قطعاً وأخذ الصدقة أخذ بالدين ، فإن الغالب أن المتصدق يعطى من يعتقد فيه خيراً ولأن مرافقة المساكين أدخل في الذل والمسكنة وأبعد من التكبر إذ قد يأخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنصيص على ذل الأخذ وحاجته والقول الحق في هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية ، فإن كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة ، فاذا علم أنه مستحق قطعاً كما إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعاً ، فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة ، فاذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال

لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة ، فإن الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ،  
ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين ، وإن كان المال معرضا للصدقة ولم يكن  
في أخذ الزكاة تضيق على المساكين فهو بخير ، والأمر فيهما يتفاوت . وأخذ الزكاة أشد  
في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال . والله أعلم -

كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى  
كتاب أسرار الصوم

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى  
الملائكة والمقربين من أهل السموات والأرضين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا  
دائما إلى يوم الدين . والحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

# كتاب أسرار الصوم

## كتاب أسرار الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنه ، بمادفع عنهم كيد الشيطان وفتنه ، ورد أملة وخيب ظنه ، إذ جعل الصوم حصناً لأوليائه وجنّة ، وفتح لهم به أبواب الجنّة ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة ، وأن بقمعها تصبح النفس مطمئنة ، ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنّة . والصلاة على محمد قائد الخلق ومهد السنه ، وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة والعقول المرجحة ، وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد : فإن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ » وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ » ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان ، إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعِيفٌ إِلَّا الصَّيَّامُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ » وقد قال الله تعالى : ( إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ) <sup>(٤)</sup> والصوم نصف الصبر ، فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب ، وناهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا يَذُرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأَجْلِ الصَّوْمِ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ » وهو موعود بقاء الله تعالى في جزاء صومه وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> « لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرَحَةٌ عِنْدَ إِفْطَارِهِ

### ﴿ كتاب أسرار الصيام ﴾

- ( ١ ) حديث الصوم نصف الصبر : ت وحسنه من حديث رجل من بنى سليم و ه من حديث أبي هريرة
- ( ٢ ) حديث الصبر نصف الإيمان : أبو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن
- ( ٣ ) حديث كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم - الحديث : أخرجه من حديث أبي هريرة
- ( ٤ ) حديث والذي نفسي بيده لخولف فم الصائم - الحديث : أخرجه من حديثه وهو بعض الذي قبله
- ( ٥ ) حديث للجنة باب يقال له الريان - الحديث : أخرجه من حديث سهل بن سعد
- ( ٦ ) حديث للصائم فرحتان - الحديث : أخرجه من حديث أبي هريرة



وَفَرَحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ ». وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لِكُلِّ شَيْءٍ بَابٌ ، وَبَابُ الْعِبَادَةِ الصَّوْمُ ». وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ ». وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> قال : « إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتُحْتَفَتُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِقَتِ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَنَادَى مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ هَلُمَّ يَا بَاغِيَ الشَّرِّ اقْصِرْ » وقال وكيع فى قوله تعالى ( كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ <sup>(٤)</sup> ) هى أيام الصيام اذ تركوا فيها الأكل والشرب . وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رتبة المباحة بين الزهد فى الدنيا وبين الصوم <sup>(٥)</sup> فقال « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِالشَّابِّ الْعَابِدِ فَيَقُولُ أَيُّهَا الشَّابُّ التَّارِكُ شَهْوَتِهِ لِاجْلِي أَلَمْ يَبْذُلْ شَبَابَهُ لِي أَنْتَ عِنْدِي كَبَعْضِ مَلَائِكَتِي » وقال صلى الله عليه وسلم فى الصائم « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ <sup>(٦)</sup> انْظُرُوا يَا مَلَائِكَتِي إِلَى عَبْدِي تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَلَدَّتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي » وقيل فى قوله تعالى : ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ <sup>(٧)</sup> ) قيل كان عملهم الصيام لأنه قال : ( إِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ <sup>(٨)</sup> ) فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغا ، ويمجازف جزاؤا ، فلا يدخل تحت وهم وتقدير . وجدير بأن يكون كذلك ، لأن الصوم إنما كان له ومشرفا بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له ، كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه ، والأرض كلها له ، لمعينين

( ١ ) حديث لِكُلِّ شَيْءٍ بَابٌ وَبَابُ الْعِبَادَةِ الصَّوْمُ : ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف

( ٢ ) حديث نوم الصائم عبادة : رويناه فى أمالى ابن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف واعلمه عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية الا عنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبي أوفى وفيه سليمان ابن عمرو والنخعي أحد الكذابين

( ٣ ) حديث إذا دخل شهر رمضان نتحت أبواب الجنة - الحديث : ت وقال غريب وهوك وصححه على شرطها من حديث أبي هريرة وصحح خ وقفه على مجاهد رأسه متفق عليه دون قوله ونادى مناد ( ٤ ) حديث ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته - الحديث : عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

( ٥ ) حديث يقول الله تعالى للملائكة يا ملائكتي انظروا الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشربه من أجل

(١) الحاقه : ٢٤ (٢) السجدة : ١٧ (٣) الزمر : ١٠

أحدهما : أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد ، وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى ، والصوم لا يراه إلا الله عز وجل ، فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد

والثاني : أنه قهر لعدو الله عز وجل ، فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات ، وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيِّقُوا بِجَارِيَةِ الْجُوعِ » . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها « دَاوِي <sup>(٢)</sup> قَرَعَ بَابَ الْجَنَّةِ . قَالَتْ : بِمَاذَا ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِالْجُوعِ » . وسيأتي فضل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربح المهلكات

فلما كان الصوم على الخصوص قعماً للشيطان وسداً لمسالكه وتضييقاً لجاريه ، استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ، ففي قمع عدو الله نصرته لله سبحانه ، وناصر الله تعالى موقوف على النصر له ، قال الله تعالى : ( إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ <sup>(١)</sup> ) فالبدية بالجهد من العبد ، والجزاء بالهداية من الله عز وجل ، ولذلك قال تعالى ( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا <sup>(٢)</sup> ) وقال تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ <sup>(٣)</sup> ) وانما التغيير تكثير الشهوات ، فهي مرتع الشياطين ومرعاهم ، فادامت مخصصة لم ينقطع ترددهم ، وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوباً عن لقائه . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « لَوْ لَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحْمُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكَوَتِ السَّمَوَاتِ » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة ، وصار جنة .

وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة ، بذكر أركانه ، وسننه ، وشروطه الباطنة . ونبين ذلك بثلاثة فصول :

( ١ ) حديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم - الحديث : منفق عليه من حديث صفيه دون

قوله فضيقوا بجاريه بالجوع

( ٢ ) حديث قال لعائشة داومي قرع باب الجنة - الحديث : لم أجد له أصلاً

( ٣ ) حديث لولا أن الشياطين يحمون على قلوب بني آدم - الحديث : أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه

( ٤ ) صحيحه : لا العنكوت : ٦٩ <sup>(٢)</sup> الرعد : ١١

## الفصل الأول

في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده

أما الواجبات الظاهرة فسنة

الأول : مراقبة أول شهر رمضان ، وذلك برؤية الهلال ، فإن غمّ فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان . ونعني بالرؤية العلم ، ويحصل ذلك بقول عدل واحد ، ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ، ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضي به ، فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه ، وإذا روى الهلال ببلدة ولم يُرَ بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ، ولا يتعدى الوجوب

الثاني : النية . ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة ، فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه ، وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة ، ولو نوى بالنهار لم يحزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع ، وهو الذي عنينا بقولنا مبيتة ، ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يحزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ، ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يحزه فإنها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل ، واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم ، أو يستند إلى استصحاب حال كالشك في الليلة الأخيرة من رمضان ، فذلك لا يمنع جزم النية ، أو يستند إلى الاجتهاد كالمحبوس في المظمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ، ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب ، ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك ، كما لو قال في وسط رمضان : أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ، ومحل النية لا يتصور فيه تردد ، بل هو قاطع بأنه من رمضان . ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته . ولو نوت امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها

الثالث : الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم ، فيفسد صومه بالأكل ، والشرب ، والسُّعوط ، والحقنة . ولا يفسد بالفصد ، والحجامة ، والاكتحال ،

وإدخال الميل في الأذن والاحليل ، إلا أن يقطر فيه ما يبلغ المئانة . وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه ، أو ما يسبق إلى جوفه في المضمضة ولا يفطر ، إلا إذا بالغ في المضمضة فيفطر لأنه مقصر ، وهو الذي أردنا بقولنا : عمدا . فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناس فإنه لا يفطر ، أما من أكل عامدا في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء ، وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه . ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بنظر واجتهاد

الرابع : الإمساك عن الجماع ، وحده مغيب الحشفة . وإن جامع ناسيا لم يفطر ، وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر ، وإن طلع الفجر وهو يخالط أهله فنزع في الحال صح صومه ، فإن صبر فسد ولزمته الكفارة

الخامس : الامساك عن الاستمنا ، وهو إخراج المني قصداً بجماع أو بغير جماع فإن ذلك يفطر . ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل ، لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالكا لإربه ، فلا بأس بالتقبيل ، وتركه أولى . وإذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المني أفطر لتقصيره

السادس : الامساك عن إخراج القيء ، فالاستقاء يفسد الصوم ، وإن ذرعه القيء لم يفسد صومه . وإذا ابتلع نخامة من حلقة أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به ، إلا أن يتلعه بعد وصوله إلى فيه ، فإنه يفطر عند ذلك وأما الوازم الإفطار فأربعة :

القضاء ، والكفارة ، والفدية ، وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر ، فالحائض تقضى الصوم ، وكذا المرتد . أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم . ولا يشترط التسابع في قضاء رمضان ، ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا .

وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع . وأما الاستمنا والأكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة . فالكفارة عتق رقبة ، فإن أعسر فصوم شهرين متتابعين ، وإن عجز فاطعام ستين مسكينا مئداً مئداً

وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ، ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ، ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين . ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم التشك ، والصوم في السفر أفضل من الفطر الا إذا لم يطق ، ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيا في أوله ، ولا يوم يقدم إذا قدم صائما وأما الفدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرا خوفا على وليدهما ، لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ المهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا وأما السنن فست : تأخير السحور ، وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة ، وترك السواك بعد الزوال ، والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة ، ومدا رسة القرآن والاعتكاف في المسجد لاسيما في العشر الأخير ، فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْآخِرُ طَوَى الْفِرَاشَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ وَدَابَّ وَادَّابَ أَهْلَهُ » أى أداموا النصب في العبادة ، إذ فيها ليلة القدر ، والأغلب أنها في أوتارها ، وأشبه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع ، والتابع في هذا الاعتكاف أولى ، فإن نذر اعتكافا متابعا أو نواه انقطع تنابيه بالخروج من غير ضرورة : كما لو خرج لعبادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة ، أو تجديد طهارة . وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع ، وله أن يتوضأ في البيت . ولا ينبغي أن يعرج على شغل آخر « كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> لَا يَخْرُجُ إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَسْأَلُ عَنِ الْمَرِيضِ إِلَّا مَرًّا » . وينقطع التابع بالجماع ، ولا ينقطع بالتقبيل ، ولا بأس في المسجد بالطيب وعقد النكاح ، وبالأكل والنوم وغسل اليد في الطست ، فكل ذلك قد يحتاج إليه في التابع . ولا ينقطع التابع بخروج بعض بدنه « كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> يَدْنِي رَأْسَهُ فَتُرْجَلُهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ فِي الْحُجْرَةِ » ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغي أن يستأنف النية ، الا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا ، والأفضل مع ذلك التجديد .

- ( ١ ) حديث كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش - الحديث : متفق عليه من حديث عائشة بلعظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر
- ( ٢ ) حديث كان لا يخرج الا لحاجته ولا يسأل عن المريض الا مارا : متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثاني رواه أبو داود بنحوه بسند لين
- ( ٣ ) حديث كان يدني رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها

## الفصل الثاني

### في أسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص  
لأما صوم العموم : فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله  
وأما صوم الخصوص : فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر  
الجوارح عن الآثام

وأما صوم خصوص الخصوص : فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية ،  
وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية . ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى  
الله عز وجل واليوم الآخر ، وبالفكر في الدنيا لإدنيا تراد للدين ، فإن ذلك من زاد الآخرة  
وليس من الدنيا ، حتى قال أرباب القلوب : من تحركت همته بالتصرف في نهارة لتدبير  
ها يفطر عليه كتبت عليه خطيئة ، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل ، وقلة اليقين  
ببرقه الموعود . وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين . ولا يطول النظر في تفصيلها  
قولاً ولكن في تحقيقها عملاً ، فانه اقبال بكنه المهمة على الله عز وجل ، وانصراف عن  
شبه الله سبحانه ، وتلبس بمعنى قوله عز وجل : ( قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ <sup>(١)</sup> )  
وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين : فهو كف الجوارح عن الآثام . وتامه بستة أمور  
الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره ، وإلى كل  
ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « النَّظْرَةُ سَهْمٌ  
مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ لَعْنَهُ اللَّهُ فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيْمَانًا يَجِدُ  
جَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> أنه قال  
« خَمْسٌ يَفْطِرُنَ الصَّائِمَ : الْكَذِبُ وَالْغَيْبَةُ وَالنِّمْيَةُ وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ وَالنَّظْرُ بِشَهْوَةٍ »

( ١ ) حديث النظرة سهم مسموم من سهام إبليس - الحديث : ك وصححه أسنده من حديث حذيفة

( ٢ ) حديث جابر عن أنس خمس يفطرون الصائم - الحديث : الأزدي في الضعفاء من رواية جابان عن

أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا كذاب

الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء ، والزامه السكوت ، وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان .  
وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم . رواه بشر بن الحارث عنه ، وروى ليث عن مجاهد :  
خصلتان يفسدان الصيام : الغيبة والكذب . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ »  
وجاء في الخبر « أَنَّ <sup>(٢)</sup> امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْهَدَهُمَا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ حَتَّى كَادَتَا أَنْ تَتَلَفَا فَبَعَثَنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنَاهُ فِي الْإِفْطَارِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا قَدَحًا وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ لِهَمَا قَتْنَا فِيهِ مَا أَكَلْتُمَا فَقَاتَتْ إِحْدَاهُمَا نِصْفَهُ دَمَاعِيضًا وَتَلَمَّاعِرِيضًا وَقَاتَتْ الْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى مَلَأَتْهُمَا فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاتَانِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمَا وَأَفْطَرْنَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا قَعَدَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى بَجَعَلْتَا يَتَقَاتَانِ النَّاسُ ، فَهَذَا مَا أَكَلْتُمَا مِنْ لُحُومِهِمْ »  
الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه ، لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ، ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت ، فقال تعالى : ( سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ <sup>(١)</sup> ) وقال عز وجل ( لَوْ لَا يَنْهَاكُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِيمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ <sup>(٢)</sup> ) فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى : ( إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ <sup>(٣)</sup> ) ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « أَلْمُتَنَابُ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الْإِيمِ »

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام : من اليد ، والرجل ، وعن المكراه ، وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار ، فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام ، فثالث هذا الصائم مثال من يبنى قصرًا ويهدم مصرًا ، فإن الطعام الحلال إنما يضر

( ١ ) حديث الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائمًا - الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - الحديث : في الغيبة للصائم أحمد

من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم - الحديث : بسند فيه مجهول

( ٣ ) حديث المتغاب والمستمع شريكان في الإثم غريبه للطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف هي

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة

(١) المائدة : ٤٣ (٢) المائدة : ٦٣ (٣) النساء : ١٠٤

بكثرته لا ينوعه ، فالصوم لتقليله . وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها ، والحرام سم مهلك للدين ، والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره . وقصد الصوم لتقليله . وقد قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » فقيل هو الذي يفطر على الحرام ، وقيل هو الذي يسك عن الطعام للحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام ، وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام الخامس : أن لا يستكثر من الطعام للحلال وقت الافطار بحيث يمتلىء جوفه ، فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مليء من حلال ، وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاتته ضحوة نهاره ، وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر . ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى ، لتقوى النفس على التقوى ، وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعته زادت لذتها وتضاعفت قوتها ، وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها . فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور وإن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ، فأما إذا جمع ما كان يأكل في ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه ، بل من الآداب أن لا يبكر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى ، فيصفوا عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدراً من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده ، فعسى للشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى : ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ <sup>(١)</sup> ) ومن جعل بين قلبه وبين صدره غلالة من الطعام فهو عنه محجوب ، ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل ، وذلك هو الأمر كله ، ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام . وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة ، إن شاء الله عز وجل

( ١ ) حديث كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ن ه من حديث أبي هريرة



السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء ، إذ ليس يدري  
 أيقبلُ صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من الممقوتين . وليكن كذلك في آخر كل  
 عبادة يفرغ منها ، فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصرى أنه مريض يقوم وهم يضحكون فقال :  
 « إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته ، فسبق قوم ففازوا ،  
 وتحلف أقوام فخابوا ، فالعجب كل العجب للضحاك اللعاب في اليوم الذي فاز فيه السابقون  
 وخاب فيه المبطلون ! أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته ! أى كان  
 سرور المقبول يشغله عن اللعب ، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك . وعن الأحنف بن قيس  
 أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك ، فقال إني أعده لسفر طويل ، والصبر على  
 طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه . فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم  
 فإن قلت : فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء  
 صومه صحيح ، فما معناه ؟

فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها  
 في هذه الشروط الباطنة ، لاسيما الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكييفات  
 إلا ما يتيسر على عموم العاقلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته ، فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة  
 القبول ، وبالقبول الوصول إلى المقصود ، ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلص بخلق من  
 أخلاق الله عز وجل ، وهو الصمدية ، والابتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب  
 الامكان ، فأنهم منزهون عن الشهوات ، والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل  
 على كسر شهوته ، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكما أنهم  
 في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين ، والتحق بنمار البهائم ، وكما قع الشهوات أرتفع إلى أعلى  
 عليين ، والتحق بأفق الملائكة ، والملائكة مقربون من الله عز وجل ، والذي يقتضى بهم  
 ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم ، فإن الشبيه من القريب قريب ، وليس  
 القرب ثم بالمكان بل بالصفات

وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب ، الأبواب وأصحاب القلوب ، فأى جدوى لتأخير أكلة  
 وجمع أكلتين عند العشاء ، مع الانهالك في الشهوات الآخر طول النهار ؟ ولو كان مثله جدوى

فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم « كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » ؟ ولهذا قال أبو الدرداء : يا حبذا نوم الأكياس وفطرم ، كيف لا يعيرون صوم الحمقى وسهرهم ، ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين ، ولذلك قال بعض العلماء : كم من صائم مفطر ؛ وكم من مفطر صائم . والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويمطش ويطلق جوارحه .

ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات ، فقد وافق فى الظاهر العدد ، إلا أنه ترك المهم وهو الغسل ، فصلاته مردودة عليه بجهله . ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضائه مرة مرة ، فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل ، وإن ترك الفضل . ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال . وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ الصَّوْمَ أَمَانَةٌ فَلْيَحْفَظْ أَحَدُكُمْ أَمَانَتَهُ » <sup>(٢)</sup> ولما تلا قوله عز وجل : ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ) <sup>(٣)</sup> وضع يده على سمعه وبصره فقال : السمع أمانة ، والبصر أمانة . ولو لا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ » أى انى أودعت لسانى لاحفظه فكيف أطلقه بجوابك

فإذاً قد ظهر أن لكل عبادة ظاهراً وباطناً وقشراً ولباً ، ولقشورها درجات ، ولكل درجة طبقات ، فاليك الخيرة الآن فى أن تقنع بالقشر عن الباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الأبواب

(١) حديث انما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته : الحرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود

فى حديث فى الامانة والصوم واسناده حسن

(٢) حديث لما تلا قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وضع يده على سمعه وبصره وقال

السمع والبصر أمانة : دمن حديث أبى هريرة دون قوله السمع أمانة

(١) النساء : ٥٨

## الفصل الثالث

في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة ، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة ، وبعضها يوجد في كل شهر ، وبعضها في كل أسبوع

أما في السنة بعد أيام رمضان : فيوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، والعشر الأول من ذي الحجة ، والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم ، وهي أوقات فاضلة وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> يُكْثِرُ صَوْمَ شَعْبَانَ حَتَّى كَانَ يُظَنُّ أَنَّهُ فِي رَمَضَانَ <sup>(٢)</sup> وفي الخبر « أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْحَرَامِ » لانه ابتداء السنة ، فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « صَوْمُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ حَرَامٍ أَفْضَلُ مِنْ ثَلَاثِينَ مِنْ غَيْرِهِ وَصَوْمُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ ثَلَاثِينَ مِنْ شَهْرِ حَرَامٍ » <sup>(٤)</sup> وفي الحديث « مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرِ حَرَامٍ : الْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ عِبَادَةَ تِسْعِمِائَةِ عَامٍ » <sup>(٥)</sup> وفي الخبر « إِذَا كَانَ النِّصْفُ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا صَوْمَ حَتَّى رَمَضَانَ » ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما ، فإن وصل شعبان برمضان فجائز ، فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة <sup>(٦)</sup> وَفَصَلَ مَرَارًا كَثِيرَةً <sup>(٧)</sup> ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان يومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له . وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان

( ١ ) حديث كان يكثر صيام شعبان - الحديث : متفق عليه من حديث عائشة

( ٢ ) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم : من حديث أبي هريرة

( ٣ ) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين - الحديث : لم أجده هكذا وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما

( ٤ ) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت - الحديث : الأزدي في الضعفاء من حديث أنس

( ٥ ) حديث إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان : الأربعة من حديث أبي هريرة حب في صحيحه عنه إذا كان النصف من شعبان فافطروا حتى يحجى رمضان وصححه ت

( ٦ ) حديث وصل شعبان برمضان مرة : الأربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان و د ن نحوه من حديث عائشة

( ٧ ) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا : د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان مالا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه

قط وقال اسناده صحيح وله وقال صحيح على شرط الشيخين

فالأشهر الفاضلة ذوالحجة والمحرم ورجب وشعبان ، والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، واحد فرد وثلاثة سرد . وأفضلها ذوالحجة لأن فيه الحج والأيام للمعلومات والمدودات ، وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج ، وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم ، والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج <sup>(١)</sup> وفي الخبر ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة ، إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة ، وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر ، قيل : ولا الجهاد في سبيل الله تعالى ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا من عقر جواده وأهريق دمه »

وأما ما يتكرر في الشهر : فأول الشهر ، وأوسطه ، وآخره . ووسطه الأيام البيض ، وهي الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر

وأما في الأسبوع : فالأثنين ، والخميس ، والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام ، وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها بركة هذه الأوقات

وأما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة . وللسالكين فيه طرق : فمنهم من كره ذلك ، إذ وردت أخبار تدل على كراهته <sup>(٢)</sup> والصحيح أنه إنما يكره لشينين : أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله ، والآخر أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل الصوم حرجا على نفسه ، مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ، فاذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك ، فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> فيما رواه أبو موسى الأشعري « من صام الدهر كله ضيق عليه جهنم وعقد تسعين » ومعناه لم يكن له فيها موضع

( ١ ) حديث ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من عشر ذي الحجة - الحديث : ت ه من حديث أبي هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند خ من حديث ابن عباس فالعمل في أيام أفضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء .

( ٢ ) الاحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر : خ م من حديث عبد الله بن عمرو في حديث له لاصام من صام الا بد ولمسلم من حديث أبي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لاصام ولا أفطر ون نحوه من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الشخير

( ٣ ) حديث أبي موسى الأشعري من صام الدهر كله ضيق عليه جهنم هكذا وعقد تسعين : أحمد بن في الكبرى وحسنه أبو علي الطوسي

ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر : بأن يصوم يوما ويفطر يوما ، وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها . وقد ورد في فضله أخبار كثيرة ، لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « عُرِضَتْ عَلَى مَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَكُنُوزِ الْأَرْضِ فَرَدَّدَتْهَا وَقُلْتُ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا أَهْمَدُكَ إِذَا شَبِعْتُ وَأَنْصَرِعُ إِلَيْكَ إِذَا جُعْتُ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « أَفْضَلُ الصِّيَامِ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ : كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا » ومن ذلك <sup>(٣)</sup> مُنَازَلَتُهُ صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما في الصوم وهو يقول إني أطيعك أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم « صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا ، فَقَالَ إِنْ أُرِيدُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ رَوَى « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٤)</sup> مَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ »

ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه ، وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث ، وواقع في الأوقات الفاضلة ، وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث . وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم ، وأن مقصوده تصفية القلب وتفرغ القلب لله عز وجل . والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله ، فقد يقتضى حاله دوام الصوم ، وقد يقتضى دوام الفطر ، وقد يقتضى مزج الإفطار بالصوم . وإذا فهم المعنى وتحقق حسده في سلوك طريق الآخرة عمراية القلب لم يخف عليه صلاح قلبه ، وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ، ولذلك روى « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٥)</sup> كَانَ يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَفْطِرُ وَلَا يَفْطِرُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَصُومُ وَيَنَامُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَقُومُ وَيَقُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَنَامُ » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات

( ١ ) حديث عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا - الحديث : ت من حديث أبي أمامة بلفظ عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهابا وقال حسن

( ٢ ) حديث أفضل الصيام صوم أخى داود - الحديث : أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو

( ٣ ) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وافطر يوما - الحديث : أخرجه من حديثه

( ٤ ) حديث ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان : أخرجه من حديث عائشة

( ٥ ) حديث كان يصوم حتى يقال لا يفطر - الحديث : م أخرجه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر

القيام والنوم وخ من حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئا

ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا إلا رأته ولا تأملا إلا رأته

وقد ذكره العلماء أن يوالى بين الإفطار أكثر من أربعة أيام ، تقدير يوم العيد وأيام التشريق ،  
 وذكروا أن ذلك يقسى القلب ، ويولد ردىء العادات ، ويفتح أبواب الشهوات . ولم يرد  
 هو كذلك فى حق أكثر الخلق ، لا سيما من يأكل فى اليوم والليلة مرتين . فهذا ما أردنا  
 ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به . والله أعلم بالصواب  
 تم كتاب أسرار الصوم ، والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم . وعلى جميع نعمه  
 كلها ما علمنا منها وما لم نعلم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم ، وعلى كل  
 عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء

يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج ، والله المعين لا رب غيره ،  
 وما توفى إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل

# كتاب أسرار الحج

## كتاب أسرار الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا ، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا ، وجعل زيارته والطواف به حججا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلاة على محمد نبي الرحمة ، وسيد الأمة ، وعلى آله وصحبه قادة الحق ، وسادة الخلق ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد : فإن الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه ، عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتنام الاسلام ، وكمال الدين فيه ، أنزل الله عز وجل قوله ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا <sup>(١)</sup> ) وفيه قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحْجْ فَلَيْمَتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا » فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقد الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى في الضلال ، وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها . وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل في ثلاثة أبواب :

الباب الأول : في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق ، وجل أركانها وشرائط وجوبها

الباب الثاني : في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع

الباب الثالث : في آدابها الدقيقة وأسرارها المخفية وأعمالها الباطنة فلنبداً بالباب الأول

وفيه فصلان :

الفصل الأول : في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشده

الرحال إلى المساجد

﴿ كتاب أسرار الحج ﴾

( ١ ) حديث من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا عد من حديث أبي هريرة : و ت

نحوه من حديث علي وقال غريب وفي استاده مقال

(١) المائدة : ٣



## فضيلة الحج

قال الله عز وجل ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ <sup>(١)</sup> ) وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن في الناس بالحج ، نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه . وقال تعالى ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ <sup>(٢)</sup> ) قيل التجارة في الموسم ، والأجر في الآخرة . ولما سمع بعض السلف هذا قال : غفر لهم ورب الكعبة . وقيل في تفسير قوله عز وجل : ( لَأَقْمُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ <sup>(٣)</sup> ) أى طريق مكة يقعد الشيطان عليه ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُتْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ فِي يَوْمٍ أَصْغَرَ وَلَا أَذْهَرَ وَلَا أَحْقَرَ وَلَا أَغْيَظَ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ » وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة ، وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام ، إذ يقال <sup>(٦)</sup> « إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكْفَرُهَا إِلَّا الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ » وقد أسنده جعفر ابن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة ، فاذا هو ناحل الجسم ، مصفر اللون ، باكي العين ، مقصوف الظهر ، فقال له : ما الذى أبكى عينك ؛ قال : خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا ينجيهم فيجزئني ذلك ، قال فما الذى أنحل جسمك ؛ قال صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب إلى ، قال فما الذى غير لونك ؛ قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلى ، قال فما الذى قصف ظهرك ؛ قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن

( ١ ) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه : أخرجه من حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث ما روى الشيطان فى يوم هو أصغر - الحديث : مالك عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كرز مرسل

( ٣ ) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الوقوف بعرفة : لم أجده أصلا

( ٤ ) الحج : ٢٧ ( ٢ ) الحج : ٢٨ ( ٣ ) الاعراف : ١٦

وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا فَاتَّ أَجْرَى لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَاتَ فِي إِحْدَى الْحَرَمَيْنِ لَمْ يُعْرَضْ وَلَمْ يُحَاسَبْ وَقِيلَ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « حِجَّةٌ مَبْرُورَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَحِجَّةٌ مَبْرُورَةٌ لَيْسَ لَهَا جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « الْحَاجُّ وَالْعُمَرُ وَفَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَزَوَّارُهُ إِنْ سَأَلُوهُ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ وَإِنْ دَعَوْا اسْتَجَبَ لَهُمْ وَإِنْ شَفَعُوا شَفَعُوا » وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام <sup>(٤)</sup> « أَكْثَرُ النَّاسِ ذَنبًا مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ فَظَنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَغْفِرْ لَهُ »

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> أنه قال : « يَنْزِلُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ رَحْمَةً : سِتُونَ لِطَائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ ، وَعِشْرُونَ لِلنَّاطِرِينَ » <sup>(٦)</sup> وفي الخبر : « اسْتَكَثَرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ فَإِنَّهُ مِنْ أَجَلِ شَيْءٍ تَجِدُونَهُ فِي صُحُفِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَغْيِطْ عَمَلُ تَجِدُونَهُ » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة <sup>(٧)</sup> وفي الخبر : « مَنْ طَافَ أَسْبُوعًا حَافِيًا حَاسِرًا كَانَ لَهُ كَعْتَقِ رَقَبَةٍ ، وَمَنْ طَافَ أَسْبُوعًا فِي الْمَطَرِ غُفِرَ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ » ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبده ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف

- ( ١ ) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فأتى أجره إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة: هو في الشعب بالشرط الاول من حديث أبي هريرة وروى هو ووقت من حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضعيف
- ( ٢ ) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة: أخرجه من حديث أبي هريرة الشطر الثاني بلفظ الحج المبرور وقال أن الحجة المبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة
- ( ٣ ) حديث الحاج والعمار وفد الله وزواره - الحديث: ه من حديث أبي هريرة دون قوله وزواره ودون قوله ان سألوه أعطاهم وان شفعوا شفعوا له من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب
- ( ٤ ) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له : الخطيب في التفتق والفترق وأبو منصور شهر دار بن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف
- ( ٥ ) حديث ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة : حب في الضعفاء وهن في الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر
- ( ٦ ) حديث استكثروا من الطواف بالبيت - الحديث : حب و لك من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة وقال لك صحيح على شرط الشيخين
- ( ٧ ) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه: لم أجده هكذا وعند ت ه من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحياه كان كعتق رقبة لفظ ت وجبته

وقال بعض السلف : إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة ، وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> حجة الوداع وكان واقفاً إذ نزل قوله عز وجل ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا<sup>(٢)</sup> ) قال أهل الكتاب : لو أنزلت هذه الآية علينا لجمعناها يوم عيد ، فقال عمر رضي الله عنه : أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عيدين اثنين : يوم عرفة ، ويوم جمعة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة . وقال صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ وَلِمَنْ اسْتَغْفَرَهُ الْحَاجُّ »

ويروى أن علي بن موفّق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا ، قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : يا ابن موفّق حجبت عني ؟ قلت نعم ، قال وليبت عني قلت نعم ، قال فاني أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فأدخلك الجنة والخلاق في كرب الحساب ، وقال مجاهد وغيره من العلماء : إن الحاج إذا قدموا مكة تلقاهم الملائكة فساموا على ركبان الإبل ، وصافخوا ركبان الحمر ، واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن : من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج ، مات شهيدا . وقال عمر رضي الله عنه . الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول ،

وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا النزاة ، وأن يستقبلوا الحاج ، ويقبلوا بين أعينهم ويسألوه الدعاء ، ويأدرون ذلك قبل أن يتدسوا بالآثام .

ويروى عن علي بن موفّق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر ، فنادى أحدهما صاحبه : يا عبد الله فقال الآخر : لبيك يا عبد الله ، قال تدري كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة قال : لأدري ، قال حج بيت ربنا ستمائة ألف أتدري كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستة أنفس

( ١ ) حديث وقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول اليوم أكملت لكم دينكم الحديث : أخرجه من حديث عمر

( ٢ ) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج : لك من حديث أبي هريرة وقال صحيح علي شرطه

قال : ثم ارتفعنا في الهواء فعابا عني ، فانتبهت فزعا ، واغتممت غما شديدا ، وأهمنى أمرى ، فقلت إذا قبل حج ستة أنفس ؟ فأين أكون أنا في ستة أنفس ؟ فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم ، فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ، ثم قال : أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة ؟ قال لا ، قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبني من السرور ما يجلب عن الوصف

وعنه أيضا رضى الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت : اللهم إني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته ، قال فرأيت رب العزة في النوم جل جلاله فقال لى : يا على تتسخر على وأنا خلقت السخاء والأسخاء ، وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين ، وأحق بالجدود والكرم من العللين : قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته

## فضيلة البيت ومكة المشرفة

قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَعَدَ هَذَا الْبَيْتَ أَنْ يُحْجَّه فِي كُلِّ سَنَةٍ سِتْمِائَةَ أَلْفٍ ، فَإِنْ تَقَصُّوا كَمَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَمَلَائِكِهِ ، وَإِنْ أَلْكَعَبَةِ تُحْشَرُ كَالْفَرُوسِ الْمَرْفُوفَةِ وَكُلُّ مَنْ حَجَّهَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْتَارِهَا يَسْمَعُونَ حَوَلَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَيَدْخُلُونَ مَعَهَا » وفي الخبر : <sup>(٢)</sup> « إِنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ يَأْقُوتُهُ مِنْ يَوَاقِيتِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ يُنْمَتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ شَهِيدٌ لِكُلِّ مَنْ اسْتَمَّه بِحَقِّ وَصْدَقٍ » وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> يُقْبَلُهُ كَثِيرًا » وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٤)</sup> سَجَدَ عَلَيْهِ » وَكَانَ يَطُوفُ عَلَى الرَّاحِلَةِ

( ١ ) حديث ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة ألف - الحديث : لم أجده أصلا

( ٢ ) حديث ان الحجر ياقوته من يواقيت الجنة ويعت يوم القيامة له عينان - الحديث : ت وصححه

من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن وباقي الحديث رواه بن وحسنه و ه

وحب و ك وصححه اسناده من حديث ابن عباس أيضا والباكم من حديث أنس ان الركن

والقام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصححه اسناده ورواه ن جب ك من حديث عبدالله بن عمرو

( ٣ ) حديث انه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيرا ون أنه كان

يقبله كل مرة ثلاثا ان رآه خالبا

( ٤ ) حديث انه كان يسجد عليه : البزار و ك من حديث عمر وصححه اسناده

فِيضِعُ الرَّحْمَنُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقْبَلُ طَرَفَ الْمَحْجَنِ « (١) » وَبَبَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَلَا سَيْحُهُ فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ فَرَأَى عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ يَا أَبَا الْحُسَيْنِ هَاهُنَا تُسْكَبُ الْعَبْرَاتُ وَتُسْتَجَابُ الدَّعَوَاتُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ هُوَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ ، قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الذَّرِّيَّةِ كَتَبَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا ثُمَّ أَلْقَاهُ هَذَا الْحَجَرُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِلْمُؤْمِنِ بِالْوَفَاءِ وَيَشْهَدُ عَلَى الْكَافِرِ بِالْجُلُودِ « قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيماننا بك وتصديقنا بكتابك ووفاء بعهدك

وروى عن الحسن البصري رضى الله عنه أن صوم يوم فيها بمائة ألف يوم ، وصدقة درهم بمائة ألف درهم ، وكذلك كل حسنة بمائة ألف ، ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة (٢) وفي الخبر الصحيح : « عُمَرَةُ فِي رَمَضَانَ كَحَجَّةٍ مَعِيَ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ آتَى أَهْلَ الْبَقِيعِ فَيَحْشَرُونَ مَعِيَ ثُمَّ آتَى أَهْلَ مَكَّةَ فَأَحْشَرُ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ » وفي الخبر : « (٣) » « إِنَّ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَضَى مَنَاسِكَهُ لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَقَالُوا يَرَّحَبُكَ يَا آدَمُ لَقَدْ حَجَجْنَا هَذَا الْبَيْتَ فَبَلَكَ بِاللَّيْلِ عَامٌ » وجاء في الأثر : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْظُرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْحَرَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ أَهْلُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَنْ رَأَاهُ طَائِفًا غَفَرَ لَهُ وَمَنْ رَأَاهُ مُصَلِّيًا غَفَرَ لَهُ وَمَنْ رَأَاهُ قَائِمًا مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ غَفَرَ لَهُ »

( ١ ) حديث قبله عمر وقال انى لأعلم انك حجر: أخرجاه دون الزيادة التي رواها على ورواه بذلك الزيادة لك وقال ليس من شرط الشيخين

( ٢ ) حديث عمرة في رمضان كحجة معي: أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله معي في عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة معي ورواه ك زيادتها من غير شك

( ٣ ) حديث أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معي - الحديث : ت وحشته وحب من حديث ابن عمر

( ٤ ) حديث ان آدم لما قضى مناسكه لقيه الملائكة فقالوا برحبتك يا آدم - الحديث : رواه الفضل الحنذلي ومن طريقه ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرقى في تاريخ مكة موقوف على ابن عباس

وكوشف بعض الأولياء رضى الله عنهم ، قال : إني رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ، ورأيت عبادان ساجدة لجدة . ويقال لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا إذا أتى عليها صبع سنين لم يحجها أحد ، ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكرونه كلمة ، ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ، ثم يخرج الدجان وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التي تتوقع ولادتها . وفي الخبر <sup>(١)</sup> « اسْتَكْبَرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِهَذَا الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ فَقَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ وَيُرْفَعُ فِي الثَّلَاثَةِ » وروى عن علي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى : <sup>(٢)</sup> « إِذَا أُرِدْتُ أَنْ أُخَرِّبَ الدُّنْيَا بَدَأْتُ بِبَيْتِي خَرَّبْتُهُ ثُمَّ أَخَرَّبْتُ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ »

### فضيلة المقام بمكة المكرمة عرسها الله تعالى وكرامته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة :

الأول : خوف التبرم والانس بالبيت ، فإن ذلك ربما يؤر في تسكين حرقه القلب في الاحترام ، وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول : يا أهل اليمن يئسكم ، ويأهل الشام شامكم ، ويأهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يئس الناس بهذا البيت

الثاني : تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود ، فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمانا أى يشوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا . وقال بعضهم : تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر . وقال بعض السلف : كم من رجل بجراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به . ويقال إن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عز وجل

( ١ ) حديث استكبروا من الطواف بهذا البيت - الحديث : البزار وحده وصححه من حديث ابن عمر

استمعوا . من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة

( ٢ ) حديث قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببني خربتته ثم أخرب الدنيا على أثره : ليس له أصل

الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها ، فإن ذلك مخطر ، وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع . وروى عن وهيب بن الورد المكي قال : كنت ذات ليلة في الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكركم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطائفين حولي من تفكيرهم في الحديث ولنوم ولهوم ، لئن لم ينتهوا عن ذلك لآتلفن انتفاضة يرجع كل حجر مني إلى الجبل الذي قطع منه

وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلد يؤخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة ، وتلا قوله تعالى : ( وَمَنْ يُزِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ <sup>(١)</sup> ) أي أنه على مجرد الإرادة ويقال إن السيآت تضاعف بها كاتضاعف الحسنات . وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول الإحتكار بمكة من الإلحاد في الحرم . وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس : لأن أذنبت سبعين ذنبا بركية أحب إلى من أن أذنبت ذنبا واحدا بمكة . وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أنه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة . وبعضهم أقام شهرا ، وما وضع جنبه على الأرض . والمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجورد ورمكة

ولا تظن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة ، لأن هذه كراهة علما ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع . فعنى قولنا : إن ترك المقام به أفضل ، أي بالاضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم ، أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيئات ، وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال <sup>(٢)</sup> « إِنَّكَ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيَّ وَلَوْ لَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ لَمَا خَرَجْتُ » وكيف لا . والنظر إلى النيت عباده ، والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه ؟

(١) حديث أنك خير أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت : بت وصححه

ن في الكبرى وهو ج من حديث عهد الله بن عدى بن الحمراء

(١) الحج : ٢٥

## فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالأعمال فيها أيضا مضاعفة ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف ، وبعد مدنته الأرض المقدسة فإن الصلاة فيها بخمسة صلاة فمما سواها إلا المسجد الحرام ، وكذلك سائر الأعمال . وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> أنه قال : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ بِعَشْرَةِ آلَافِ صَلَاةٍ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِأَلْفِ صَلَاةٍ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> : « مَنْ صَبَرَ عَلَى شِدَّتِهَا وَلَا وَائِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> : « مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلَيْمَتْ فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فإن المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> : لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى »

وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء ، وماتين إلى أن الأمر كذلك ، بل الزيارة مأمور بها ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا » .

( ١ ) حديث صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام : متفق عليه من حديث

أبي هريرة ورواه م من حديث ابن عمر

( ٢ ) حديث ابن عباس صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة

في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة : غريب لم أجده بحملته هكذا و ه من حديث ميمونة باسناد

جيد في بيت المقدس إثنو فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة في غيره وله من حديث أنس

صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة في مسجدى بخمسين ألف صلاة ليس

في أسنده من ضعف وقال الذهبي انه منكر

( ٣ ) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة : م من حديث أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد

( ٤ ) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها - الحديث : ت ه من حديث ابن عمر قالت حسن صحيح

( ٥ ) حديث لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد - الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد

( ٦ ) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب



والحديث إنما ورد في المساجد، وليس في معناها المشاهد، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة، ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر. وأما المشاهد فلا تساوى، بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل، نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد، وينتقل إليه بالكلية إن شاء.

ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام، مثل إبراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام، فالنوع من ذلك في غاية الاحالة، فإذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء في معناها، فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة، كما أن زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة.

أما المقام فالأولى بالمريد أن يلزم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه، فإن لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو أقرب إلى التحول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للمعبادة، فهو أفضل المواضع له، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «أَبْلَدُ بِلَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَخْلَقُ عِبَادَهُ فَأَيُّ مَوْضِعٍ رَأَيْتَ فِيهِ رَفَقًا فَأَقِمِ وَاحْمِدِ اللَّهَ تَعَالَى». وفي الخبر: <sup>(٢)</sup> «مَنْ بُوْرِكَ لَهُ فِي شَيْءٍ فَلْيَلْزِمْهُ وَمَنْ جُعِلَتْ مَعِيشَتُهُ فِي شَيْءٍ فَلَا يَنْتَقِلْ عَنْهُ حَتَّى يَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ».

وقال أبو نعيم: رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده، فقلت إلى أين يا أبا عبد الله؟ قال: إلى بلد أملا فيه جرابي بدرهم. وفي حكاية أخرى بلغني عن قرية فيها رخص أقيم فيها، قال: فقلت وتفعل هذا يا أبا عبد الله؟ فقال نعم إذا سمعت برخص في بلد فاقصده فإنه أسلم لدينك وأقل لهتك. وكان يقول: هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين؟ هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بيده من الفتن.

(١) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم: أحمد والطبراني من حديث

الزبير بسند ضعيف

(٢) حديث من رزق في شيء فليزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يغير عليه: هـ من

حديث أنس بالجملة الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلقط إذا سبب الله

الأحدهم رزقا من وجه فلا بدعه حتى يتغير أو يشكر له

ويحكى عنه أنه قال : والله ما أدرى أى البلاد أسكن ؟ ف قيل له : خراسان ، فقال :  
مذاهب مختلفة وآراء فاسدة ؟ قيل : فالشام ، قال : يشار اليك بالأصابع . أراد الشهرة قيل :  
فالعراق . قال : بلد الجبابة . قيل مكة . قال : مكة تذيب الكيس والبدن . وقال له رجل  
غريب : عزمت على المجاورة بمكة فأوصنى . قال : أوصيك بثلاث : لاتصلين فى الصف  
الأول ، لاتصحبين قرشيا ، ولا تظهرن صدقة . وإنما كره الصف الأول لانه يشتهر  
فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع

## الفصل الثانى

فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته

أما الشرائط : فشرط صحة الحج اثنان : الوقت ، والاسلام . فيصح حج الصبي ، ويحرم  
بنفسه إن كان مميزا ، ويحرم عنه وليه أن كان صغيرا ، ويفعل به مايفعل فى الحج من الطواف  
والسعى وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة إلى طلوع الفجر  
من يوم النحر . فمن أحرم بالحج فى غير هذه المدة فهو عمرة ، وجميع السنة وقت العمرة ،  
ولكن من كان معكوبا على النسك أيام منى فلا ينبغى أن يحرم بالعمرة لأنه لايمكن من  
الاشتغال عقيقه لاشتغاله بأعمال منى

وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام الخمسة : الاسلام ، والحرية ، والبلوغ ، والعقل ،  
والوقت . فان أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد  
إلى عرفة قبل طلوع الفجر ، أجزأهما عن حجة الاسلام ، لأن الحج عرفة ، وليس عليهما  
دم إلاشارة . وتشترط هذه الشرائط فى قوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت

وإما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ : فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام .  
فحج الاسلام متقدم ، ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف ، ثم النذر ، ثم النيابة . ثم النفل  
وهذا الترتيب مستحق ، وكذلك يقع وإن نوى خلافه

وأما شروط لزوم الحج الخمسة : البلوغ ، والاسلام ، والعقل ، والحرية ، والاستطاعة .  
ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة . ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن  
خطابا لزمه الاحرام على قول ، ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج

وأما الاستطاعة فنوعان : أحدهما المباشرة ، وذلك له أسباب : أما في نفسه فبالصحة ،  
وأما في الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلا بحر خطر ولا عدو قاهر ، وأما في المال فبأن  
يجد نفقته ذهابه وإيابه إلى وطنه ، كان له أهل أو لم يكن ، لأن مفارقة الوطن شديدة ، وأن  
يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة ، وأن يملك ما يقضى به ديونه ، وأن يقدر على راحلة  
أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة

وأما النوع الثاني : فاستطاعة المعضوب بماله ، وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ  
الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ، ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع ، والابن إذا  
عرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعا ، ولو عرض ماله لم يصربه مستطيعا ، لأن  
الخدمة بالبدن فيها شرف للولد ، وبذل المال فيه منة على الوالد . ومن استطاع لزمه الحج  
وله التأخير ، ولكنه فيه على خطر ، فإن تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه ، وإن مات قبل  
الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج ، وكان الحج في تركته يحج عنه وإن لم يوص ،  
كسائر ديونه . وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج  
الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولا حرج عليه

ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى ، قال عمر رضي الله عنه : لقد  
هممت أن أكتب في الأمصار بضرب الجزبة على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا ! وعن  
سعيد ابن جبير وأبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس : لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم  
مات قبل أن يحج ماصليت عليه . وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه .  
وكان ابن عباس يقول : من مات ولم يترك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا ، وقرأ قوله عز وجل  
« (١) رَبِّ ارْجِعُونِي لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » قال الحج

وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها الخمسة : الأحرام ، والطواف ، والسعي بدمه ،  
والوقوف بعرفة ، والحلق بعده على قول . وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف

والواجبات المجبورة بالدم ست : الأحرام من الميقات ، فمن تركه وجاوز الميقات محلا  
فمليه شاة ، والرمي فيه الدم قول واحد . وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس . والمبيت بمزدلفة

والبيت بمنى . وطواف الوداع . فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين ، وفي القول الثانى فيها دم على وجه الاستحباب

وأما وجوب أداء الحج والعمرة فثلاثة : الأول الافراد وهو الأفضل ، وذلك أن يقدم الحج وحده ، فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتمر . وأفضل الحل لأحرام العمرة الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية : وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع

الثانى : القران وهو أن يجمع فيقول : لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ، ويكفيه أعمال الحج ، وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل ، إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين . وأما طوافه فقير محسوب لأن شرط طواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف . وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شىء عليه ، لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة

الثالث : التمتع ، وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ، ولا يكون متمتا إلا بخمس شرائط : أحدها : أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام ، وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة

الثانى : أن يقدم العمرة على الحج

الثالث : أن تكون عمرته فى أشهر الحج

الرابع : أن لا يرجع إلى ميقات الحج ، ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج

الخامس : أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد

فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتا ولزمه دم شاة ، فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة ، وسبعة إذا رجع إلى الوطن . وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تابعا أو متفرقا . وبذل دم القران والتمتع سواء . والأفضل الافراد ثم التمتع ثم القران وأما محظورات الحج والعمرة فسته :

الأول : اللبس للقميص والسر اويل والخف والعمامة ، بل ينبغى أن يلبس أزارا ورداء ونعلين ، فان لم يجد نعلين فمكبين ، فان لم يجد أزارا فسر اويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى الحمل ، ولكن لا ينبغى أن يغطي رأسه فان احرامه فى الرأس . وللمرأة أن تلبس

كل نحيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فإن إحرامها في وجهها  
الثاني : الطيب ، فليجنب كل ما يعمده المقلأ طيبا فإن تطيب أو لبس فعليه دم شاة  
الثالث : الحلق والقلم ، وفيهما الفدية أعنى دم شاة . ولا بأس بالكحل ودخول الحمام  
والفصد والحجامة وترجيل الشعر

الرابع : الجماع ، وهو مفسد قبل التحلل الأول ، وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه ، وأن  
كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه

الخامس : مقدمات الجماع كالقبلة والملاسة التي تنقض الطهر مع النساء ، فهو محرم ، وفيه  
شاة ، وكذا في الاستمنا . ويحرم النكاح والانتكاح ، ولادم فيه لأنه لا ينعقد  
السادس : قتل صيد البر أعنى ما يؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام ، فإن قتل صيدا  
فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة ، وصيد البحر حلال ولاجزاء فيه

## الباب الثاني

في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشر جمل

الجملة الاولى في السير من أول الخروج إلى الاجرام ، وهي ثمانية :

الأولى في المال : فينبغي أن يبدأ بالتوبة ، ورد المظالم ، وقضاء الديون ، واعداد النفقة  
لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ، ويرد ما عنده من الودائع ، ويستصحب من المال  
الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد  
والرفق بالضعفاء والفقراء ، ويتصدق بشيء قبل خروجه ، ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل  
لا تضعف ، أو يكثرها ، فإن اكثرى فليظهر للمكاري كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير  
ويحصل رضاه فيه

الثانية : في الرفيق : ينبغي أن يلتزم رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ، إن نسي ذكره ؛ وإن  
ذكر أعانه ، وإن جبن شجعه ؛ وإن عجز قواه ؛ وإن ضاق صدره صبره . ويودع رفقاءه المقيمين  
وإخوانه وجيرانه ؛ فيودعهم ويلتمس أدعيتهم ؛ فإن الله تعالى جاعل في أدعيتهم خيرا

والسنة في الوداع أن يقول <sup>(١)</sup> «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَاتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» وكان صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> يقول لمن أراد السفر « فِي حِفْظِ اللَّهِ وَكَفِّهِ ، زَوَدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا كُنْتَ »

الثالثة : في الخروج من الدار : ينبغي إذا هم بالخروج أن يصلي ركعتين أولاً ، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ( قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ) ، وفي الثانية الاخلاص ، فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة ، وقال : اللهم أنت صاحب السفر ، وأنت الخليفة في الأهل والمال والولد والأصحاب ، احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة ، اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى ، اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض ، وتهون علينا السفر ، وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال ، وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب ، اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ، ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ، ولا تغير ما بناوهم من عافيتك

الرابعة : إذ حصل على باب الدار قال : بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، رب أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أذل أو أذل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على ، اللهم إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقاً إلى لقاءك . فإذا مشى قال : اللهم بك انتشرت وعليك توكلت ، وبك اعتصمت وإليك توجهت ، اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي ، فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك ، اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت . ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه

#### ﴿ الباب الثاني في ترتيب الأفعال الظاهرة ﴾

- ( ١ ) حديث استودع الله دينك وأماتك وخواتيم عملك : د ت وصححه ون من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفره ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا
- ( ٢ ) حديث كان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد سفره في حفظ الله وكفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت في الدعاء : الطبراني من حديث أنس وهو عند وحشي
- وهو قوله في حفظ الله وكفه

الخامسة في الركوب : فاذا ركب الراحلة يقول : بسم الله وبالله والله أكبر ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري كله إليك وتوكلت في جميع أموري عليك ، أنت حسبي ونعم الوكيل ؛ فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال ، سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر ، سبع مرات ، وقال : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور

السادسة في النزول : والسنة أن لا ينزل حتى يحمى النهار ، ويكون أكثر سيره بالليل ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « عَلَيْكُمْ بِاللَّجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ مَا لَا تُطَوَّى بِالنَّهَارِ » وليقلل نومه بالليل حتى يكون عوناً على السير ، ومهما أشرف على المنزل فليقل : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أظللن ، ورب الرياح وما ذرين ، ورب البحار وما جرين ، أسألك خير هذا المنزل وخير أهله ، وأعوذ بك من شره وشر مافيه ، اصرف عني شر شرارهم ، فاذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق . فاذا جن عليه الليل يقول : يا أرض ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشرك ما فيك ، وشر مادب عليك ، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود ، وحية وعقرب ، ومن شر ساكن البلد ، ووالد وما ولد ، ( وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) <sup>(٢)</sup>

السابعة في الحراسة : ينبغي أن يحتاط بالنهار ، فلا يمشى منفرداً خارج القافلة لأنه ربما يقتال أو ينقطع ، ويكون بالليل متحفظاً عند النوم <sup>(٣)</sup> فان نام في ابتداء الليل اقترش ذراعه ، وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه ، هكذا كان ينام

( ١ ) حديث عليكم باللجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار : د من حديث أنس دون قوله

مالا تطوى بالنهار وهذه الزيادة في الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسل

( ٢ ) حديث كان اذا نام في أول الليل اقترش ذراعه واذا نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل

ذراعه في كفه : أحمد وت في الشئبل من حديث ابن قتادة بسناد صحيح وعزاه أبو مسعود

الدمشقي والحيدني الى م ولم أره فيه

رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره ، لأنه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري ، فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج . والأحب في الليل <sup>(١)</sup> أن يتنأوب الرفيقان في الحراسة ، فإذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنة ، فان قصده عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله ، والاخلاص والمعوذتين ، وليقل : بسم الله ماشاء الله لافوة الابالله ، حسبي الله توكلت على الله ، ماشاء الله لايأتى بالخير الا الله ، ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله ، حسبي الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ، تحصنت بالله العظيم ، واستغثت بالحى الذى لا يموت ، اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام ، واكفنا بركنك الذى لا يرام ، اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا تهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا ، اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة انك أنت أرحم الراحمين

الثامنة : مهما علا نشرا من الأرض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ، ثم يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ، ولك الحمد على كل حال ، ومها بطسبح ، ومها خاف الوحشة في سفره قال : سبحان الله الملك القدوس ، رب الملائكة والروح ، جللت السموات بالعزة والجبروت الجلة الثانية في آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهى خمسة :

الأول : أن يغتسل وينوى به غسل الاحرام ، أعنى إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه ، ويتم غسله بالتنظيف ، ويسرح لحيته ورأسه ، ويقلم أظفاره ، ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها في الطهارة

الثانى : إن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبى الاحرام ، فيرتدى ويتزر بشويين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ، ويتطيب في ثيابه وبدنه ، ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام <sup>(٢)</sup> فقد روى بعض أئمتنا على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الإحرام « مما كان استعمله قبل الإحرام »

(١) حديث تنأوب الرفيقان في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر : هو من طريق ابن اسحق من حديث جابر في حديث فيه قال الانصارى للمهاجرى أى الليل أحب اليك أن أكفيك أوله أو آخره فقال له اكفى أوله فاضطجع المهاجرى - الحديث : والحديث عند أبى داود لكن ليس فيه قول الانصارى للمهاجرى <sup>(٢)</sup> حديث روى ويصحبك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الإحرام : متفق عليه من حديث عائشة قالت : ما كنا ننظر إلى ويصحبك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحديث :



الثالث : أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته إن كان راكباً ، أو يبدأ بالسير إن كان راجلاً ، فعند ذلك ينوى الاحرام بالحج أو بالعمرة قرآناً أو افراداً كما أراد ، ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ، ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وإن زاد قال : لبيك وسعديك ، والخير كله يديك ، والرغبة اليك ، لبيك بحجة حقاً ، تعبدا ورقاً ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

الرابع : إذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول : اللهم إني أريد الحج فيسره لي وأعني على أداء فرضه وتقبله مني ، اللهم اني نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك ، واجعلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم ، اللهم فيسر لي أداء ما نويت من الحج ، اللهم قد أحرم لك لحمي وشعري ودمي وعصبي ونخي وعظامي ، وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس الخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة . ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل ، فليجتنبها

الخامس : يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصاً عند اصطدام الرفاق ، وعند اجتماع الناس ، وعند كل صعود وهبوط ، وعند كل ركوب وتزول ، رافعا بها صوته بحيث لا يبع حلقه ولا ينهر<sup>(١)</sup> فانه لَا يَأْدِي أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا كما ورد في الخبر . ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة ، فانها مظنة المناسك ، أعني المسجد الحرام ، ومسجد الحيف ، ومسجد الميقات . وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت . وكان صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> إذا أعجبه شيء قال « لَبَيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ »

( ١ ) حديث انكم لاتنادون أصم ولا غائبا : متفق عليه من حديث أبي موسى

( ٢ ) حديث كان اذا أعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة : الشافعي في السند من حديث مجاهد مرسل بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال انما الخبر خبر الآخرة

الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف ، وهي ستة :

الأول : أن يغتسل بذي طوى لدخول مكة . والاغتسلات المستحبة المسنونة في الحج تسعة : الأول للاحرام من الميقات ، ثم لدخول مكة ، ثم لطواف القدوم ، ثم للوقوف بعرفة ، ثم للوقوف بمزدلفة ، ثم لثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ، ولاغسل لرمي جرة العقبة ، ثم لطواف الوداع . ولم ير الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع ، فتعود إلى سبعة

الثاني : أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة : اللهم هذا حرمك وأمنك بحرم لحى ودى وشعري وبشرى على النار ، وأمنى من عذابك يوم تبعث عبادك ، واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك

الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف « عَدَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> مِنْ جَادَّةِ الطَّرِيقِ إِلَيْهَا » فالتأسي به أولى . وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى ، والاولى هي العليا

الرابع : إذا دخل مكة واتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت ، فليقل : لا إله إلا الله والله أكبر ، اللهم أنت السلام ومنك السلام ، ودارك دار السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمه وشرفه ، اللهم فزده تعظيماً ، وزده تشريفاً وتكريماً ، وزده مهابة ، وزد من حجه برا وكرامة ، اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك ، وأعذنى من الشيطان الرجيم

الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبة وليقل : بسم الله وبالله وومن الله والى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا قرب من البيت قال : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك ، ولىرفع يديه وليقل : اللهم انى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عنى وزرى ، الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمناً ، وجعله مباركا وهدى للعالمين ، اللهم انى عبدك

(١) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف : متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التى بالأبطح

والبلد بلدك ، والحرم حرمك ، والبيت بيتك ، جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك ، الراجي لرحمتك ، الطالب مر ضاتك .

السادس: أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أما نتي أديتها وميثاق وفيته اشهد لي بالموافاة ، فإن لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يرجع على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس في المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف

الجملة الرابعة في الطواف :

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وأما لغيره فينبغي أن يراعى أموراً ستة :

الأول: أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمكان وستر المورة فالطواف بالبيت صلاة ، ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام ، وليضطبع قبل ابتداء الطواف ، وهو أن يجعل وسط رداءه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفاً وراء ظهره وطر فاعلى صدره ، ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ، ويشغل بالادعية التي سنذكرها الثاني : إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره ، وليقف عند الحجر الأسود ، ولينتج عنه قليلاً ليكون الحجر قدماه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه ، وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريباً من البيت فإنه أفضل ، ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان ، فإنه من البيت ، وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به ، والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت . والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ، ثم من هذا الموقف يتبدى الطواف

الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف : بسم الله والله أكبر ، اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ، ووفاء بهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . ويطوف ، فأول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك ، وهذا الحرم حرمك ، وهذا الامن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار . وعند ذكر المقام يشير بيده إلى مقام ابراهيم عليه السلام : اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين

فأعذني من النار ، من الشيطان الرجيم ، وحرمني من النار ، وآمني من أهوال يوم القيامة ، واكفني مؤنة الدنيا والآخرة . ثم يسبح الله تعالى ويمحمده حتى يبلغ الركن المراقى ، فعنده يقول : اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك ، والكفر والنفاق ، والشقاق وسوء الاخلاق ، وسوء المنظر في الاهل والمال والولد . فاذا بلغ الميزاب قال : اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، اللهم اسقني بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبدا . فاذا بلغ الركن الشامي قال : اللهم اجعله خجاً مبروراً ، وسعياعليه مشكوراً ، وذنباً مغفوراً ، وتجارة لن تبور ، يا عزيز يا غفور ، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الاكرم . فاذا بلغ الركن اليماني قال : اللهم إني أعوذ بك من الكفر ، وأعوذ بك من الفقر ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة . ويقول بين الركن اليماني والحجر الأسود : اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار . فاذا بلغ الحجر الأسود قال : اللهم اغفر لي برحمتك ، أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر ، وضيق الصدر وعذاب القبر . وعند ذلك قدتم شوط واحد : فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط

الرابع : أن يرمل في ثلاثة أشواط ، ويمشي في الأربعة الأخر على الهيئة المعتادة . ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطأ ، وهو دون العدو ، وفوق المشي المعتاد ؛ والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة . هكذا كان القصد أولاً قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة<sup>(١)</sup> والأفضل الرمل مع الدنو من البيت ؛ فإن لم يمكنه لازحمة فالرمل مع البعد أفضل ؛ فليخرج إلى حاشية المطاف ويرمل ثلاثاً ؛ ثم يقرب إلى البيت في المزحمة

( ١ ) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل : فمتفق عليه

من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون أنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمي يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة - الحديث : وأما الاضطباع فروى ذلك وصححه من حديث عمر قال فيم الرملان الآن والكشف عن الناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لاندع شيئاً كما فعله علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وليمش أربعا ؛ وإن أمكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الأحب ؛ وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبل يده ؛ وكذلك استلام الركن اليماني يستحب من سائر الأركان . وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> كَانَ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ وَيُقَبِّلُهُ <sup>(٢)</sup> وَيَضَعُ خَدَّهُ عَلَيْهِ <sup>(٣)</sup> » ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى

الخامس : إذا تم الطواف سبعا فليات الملتزم ؛ وهو بين الحجر والباب ؛ وهو موضع استجابة الدعوة ؛ وليتقرب بالبيت ؛ وليتعلق بالأستار ؛ ويلصق بطنه بالبيت ؛ وليضع عليه خده الأيمن ؛ وليسط عليه ذراعيه وكفيه ، وليقل : اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم ؛ وأعذنى من كل سوء ؛ وقنعنى بما رزقتنى ؛ وبارك لى فيما آتيتنى اللهم ان هذا البيت بيتك ؛ والعبد عبدك ؛ وهذا مقام العائذ بك من النار ؛ اللهم اجعلنى أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجهم الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عنى حتى أقر لربى بذنوبى

السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين يقرأ فى الأولى

( ١ ) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليماني : متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة إذا استلم الركن الاسود - الحديث : ولها من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان الا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى إذا أتيت البيت معه استلم الركن ( ٢ ) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له : متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك وللبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله فى التاريخ من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن اليماني قبله

( ٣ ) حديث وضع الخد عليه : قطك من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليماني - الحديث : قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور

قل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية الاخلاص ، وهما ركعتا الطواف ، قال الزهري<sup>(١)</sup> مضت السنة أن يصلي لكل سبع ركعتين ، وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز<sup>(٢)</sup> فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل أسبوع طواف ، وليدع بعد ركعتي الطواف ، وليقل : اللهم يسر لي اليسرى وجنبي اليسرى ، واغفر لي في الآخرة والاولى ، واعصني بالطوافك حتى لا أعصيك ، وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبي معاصيك ، واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين ، اللهم حيني إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين ، اللهم فكما هديتني إلى الاسلام فثبتني عليه بالطوافك وولايتك ، واستعملني لطاعتك وطاعة رسولك ، وأجرني من مضلات الفتن . ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف . قال صلى الله عليه وسلم :<sup>(٣)</sup> « مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ اسْبُوعًا وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ فَلَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ » : وهذه كيفية الطواف . والواجب من جملة بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت ، وأن يتبدى بالحجر الاسود ويجعل البيت على يساره ، وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت ، لاعلى الشاذروان ولافي الحجر ، وأن يوالى بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد ، وما عدا هذا فهو سنن وهيآت

الجملة الخامسة في السعي :

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع الذي بين الركن اليماني والحجر ، فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل ، فيرق فيه درجات

( ١ ) حديث الزهري مضت السنة أن يصلي لكل أسبوع ركعتين : ذكره غ تعليقاً السنة أفضل لم يطف

النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعاً إلا صلى ركعتين وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين

( ٢ ) حديث قرأه صلى الله عليه وسلم بين أسابيع : ابن أبي حاتم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله

عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه ع في الضعفاء وابن شاهين في أماليه من حديث أبي هريرة وزاد ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفي أسنادهما عبد السلام بن أبي الجيوب منكر - الحديث :

( ٣ ) حديث من طاف بالبيت أسبوعاً وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة : ت وحسنه و ن ه من حديث

ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ ه وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعاً فإحصاه كان كعتق رقبة وليس في في الشعب من طاف أسبوعاً وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة

في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل . رَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> حَتَّى بَدَتْ لَهُ  
الْكُتْبَةُ ، وابتداء السعي من أصل الجبل كاف . وهذه الزيادة مستحبة ، ولكن بعض تلك  
الدرج مستحدثة ، فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متما للسعي . وإذا ابتدأ من  
ها هنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات

وعند رقيه في الصفا ينبغي أن يستقبل البيت ويقول : الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله  
على ما هدانا ، الحمد لله بحماده كلها على جميع نعمه كلها ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ،  
صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله مخلصين  
له الدين ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين ، فسبحان الله  
حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ،  
يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ،  
ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، اللهم إني أسألك إيماناً دائماً وبقيناً  
صادقاً ، وعلماً نافعاً ، وقلباً خاشعاً ، ولساناً ذا كرا ، وأسألك العفو والعافية والمعافة الدائمة في  
الدنيا والآخرة . ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعوا الله عز وجل بمشائهم  
حاجته عقيب هذا الدعاء

ثم ينزل ويبتدىء السعي وهو يقول : رب اغفر وأرحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت  
الأعز الأكرم ، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ويمشى على  
هينة حتى ينتهى إلى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا ، وهو على زاوية  
المسجد الحرام فإذا بقى بينه وبين محاذة الميل ستة أذرع أخذ في السير السريع وهو الرميل  
حتى ينتهى إلى الميلين الأخضرين ، ثم يعود إلى الهينة

فإذا انتهى إلى المروة صعداها كما صعد الصفا ، وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك  
الدعاء ، وقد حصل السعي مرة واحدة ، فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان ، يفعل ذلك سبعاً

( ١ ) حديث انه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة : م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت  
وله من حديث أبي هريرة أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت

ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ، ويسكن في موضع السكون كما سبق ، وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة ، فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة ؛ بخلاف الطواف ، وإذا سعى فينبغي أن لا يعيد السعى بعد الوقوف . ويكتفى بهذا ركنا ، فإنه ليس من شرط السعى أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط في طواف الركن ، نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان الجملة السادسة في الوقوف وما قبله

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف . وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذي الحجة ، فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ، ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغدو منها إلى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال ؛ إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر . فينبغي أن يخرج إلى منى مليا . ويستحب له المشى من مكة في المناسك إلى انقضاء حجته إن قدر عليه ، والمشى من مسجد ابراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وأكثر .

فإذا انتهى إلى منى قال : اللهم هذه منى فامنن علىّ بما مننت به على آوئائك وأهل طاعتك . وليمكث هذه الليلة بمنى ، وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك ، فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح ، فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ويقول : اللهم اجعلها خير غدوة غسدتها قط ، وأقربها من رضوانك ، وأبعدها من سخطك ، اللهم إليك غدوت وإياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل

فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فثمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> قُبَّتَهُ . ونمرة هى بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف .

( ١ ) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة : مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة - الحديث :



فاذا زالت الشمس خطب الأمام خطبة وجيزة وقعد ، وأخذ المؤذن في الأذان والامام في الخطبة الثانية، ووصل الإقامة بالأذان ، وفرغ الامام مع تمام إقامة المؤذن، ثم جمع بين الظهر والمصر بأذان وإقامتين، وقصر الصلاة ، وراح إلى الموقف، فليقف بمرفة ولا يقفن في وادي عرنة وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بمرفة ، ويتميز مكان عرفة من المسجد بصحرات كبار فرشت ثم . والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا ، وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ، ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ، ولا يتطع التلبية يوم عرفة بل لأحب أن يلبي تارة ويكب على الدعاء أخرى

وينبغي أن لا يفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار ، وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن من القوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج ، فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العرة ، ثم يريق دما لأجل القوات ، ثم يقضى العام الآتي . وليكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ، ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات

والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> وعن السلف في يوم عرفة الأولى ما يدعو به فليقل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي سمعي نورا

( ١ ) حديث الدعاء المأثور في يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له - الحديث ثبت من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال حسن غريب وله من حديث علي قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرا مما تقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك آبي ولك رب تراني اللهم اني أعوذ بك من شر ما ينجي به الريح وقال ليس بالقوى استاده وروى المستغفري في الدعوات من حديثه ياعلى ان أكثر دعاء من قبلي يوم عرفة أن أقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في بصرى نورا وفي سمعي نورا وفي قلبي نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري اللهم اني أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وقلة القبر وشر ما يلج

وفي بصرى نورا ، وفي لسانى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى . وليقل : اللهم رب  
الحمد لك الحمد كما تقول وخيرا مما تقول ، لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك ما بى  
واليك ثوابى اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر ، اللهم  
إني أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، ومن شر ما يلج فى النهار ، ومن شر ما تهب به الرياح ،  
ومن شر بوائق الدهر ، اللهم إني أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة تقمّتك وجميع سخطك ،  
اللهم اهْدِنِي بِالْهَدَى ، واغفر لى فى الآخرة والأولى ، ياخير مقصود ، وأسنى منزل به ،  
وأكرم مسئول مالدیه ، أعظمى العشية أفضل ما أعطيت أحدا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم  
الراحمين اللهم يرفع الدرجات ومنزل البركات ، ويافطر الأرضين والسموات : ضجت اليك  
الأسوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتى اليك أن لاتنسأنى فى دار البلاء إذا  
نسئنى أهل الدنيا ، اللهم إنك تسمع كلامى وترى مكافى وتعلم سرى وعلائبتى ولا يخفى عليك  
شئ من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير ، الوجمل المشفق المعترف بذنبه ،  
أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ،  
دعاه من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذلل لك جسده ، ورغم لك أنفه . اللهم  
لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رءوفا . رحما ، ياخير المسؤولين ، وأكرم المعطين .  
الهِم من مدح لك نفسه فانى لاأثم نفسى ، الهى أخرست المعاصى لسانى فسانى وسيلة من  
عمل ، ولاشفيع سوى الأمل . الهى إنى أعلم أن ذنوبى لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار  
وجها ولكنك أكرم الأكرمين . إلهى إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فأن رحمتك أهل  
أن تبغنى ، ورحمتك وسعت كل شئ ، وأنا شئ . إلهى إن ذنوبى وإن كانت عظاما ولكنها  
صفار فى جنب عفوك فاغفرها لى يا كريم . إلهى أنت أنت وأنا أنا أنا العواد إلى الذنوب ،  
وأنت العواد إلى المغفرة . إلهى إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون .

فى الليل وشر ما يلج فى النهار وشر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر واسناده ضعيف  
وروى الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى  
الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم انك ترى مكافى وتسمع كلامى وتعلم سرى وعلائبتى ولا يخفى  
عليك شئ من أمرى أبا البائس الفقير فذكر - الحديث : الى قوله ياخير المسؤولين وياخير  
المعطين . واسناده ضعيف وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف وفى بعضه ماهو مرفوع ولكن  
ليس مقيدا بموقف عرفة .

إلهى تجنبت عن طاعتك عمداً وتوجهت إلى معصيتك قصداً ، فسبحانك ما أعظم حجبتك على وأكرم عفوك عني ، فبوجوب حجبتك على وانقطاع حجتي عنك وفقري اليك وغناك عني إلا غفرت لي ، يا خير من دعاه داع ، وأفضل من رجاه راج ، بحزمة الاسلام ، وبذمة محمد عليه السلام أتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي ، واصرفني من موقعي هذا مقضى الحوائج ، وهب لي ما سألت ، وحقق رجائي فيما تمنيت . إلهى دعوتك بالدعاء الذي علمتنيهِ فلا تحرمني الرجاء الذي عرفنيهِ . إلهى ما أنت صانع العشية بعبد مقرر لك بذنبه ، خاشع لك بذنبه ، مستكين بجرمه ، متضرع اليك من عمله ، تائب اليك من اقترافه ، مستغفر لك من ظلمه ، مبتهل اليك في العفو عنه ، طالب اليك بنجاح حوائجه ، راج اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه ، فياملجأ كل حي ، وولى كل مؤمن ، من أحسن فبرحمتك يفوز ، ومن أخطأ فبخطيئته يهلك . اللهم اليك خرجنا ، وبفنائك أنحنا ، وإياك أملنا ، وما عندك طلبنا ، وإلحسانك تعرضنا ، ورحمتك رجونا ، ومن عذابك أشفقنا ، واليك بأثقال الذنوب هربنا ، وليبتك الحرام حججنا ، يا من يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمائر الصامتين ، يا من ليس معه رب يدعى ، ويا من ليس فوقه خالق يخشى ، ويا من ليس له وز يريؤتى ، ولا حاجب يرشى ، يا من لا يزداد على كثرة السؤال إلا جوداً وكرماً ، وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلاً وإحساناً . اللهم إنك جعلت لكل ضيف قري ، ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة . اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ، ولكل سائل عطية ، ولكل راج ثواباً ، ولكل ملتمس لما عندك جزاءً ، ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك زلفى ، ولكل متوسل إليك عفواً ، وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ، ووقفنا بهذه المشاعر العظام ، وشهدنا هذه المشاهد الكرام ، رجاء لما عندك ، فلا تخيب رجاءنا . إلهنا تابعت النعم حتى اطمانت الأنفس بتتابع نعمك ، وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجبتك ، وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك ، وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك ، وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك ، وعنت الوجوه لعظمتك ، إذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت ، وإن أحسنوا تفضلت وقبلت ، وإن عصوا سترت ، وإن أذنبوا عفوت وغفرت ، وإذا دعونا أجبت ، وإذا نادينا سمعت ، وإذا أقبلنا إليك قربت ،

وإذا ولينا عنك دعوت . إلهنا إنك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين : ( قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ <sup>(١)</sup> ) فأرضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود ، وإنا نشهد لك بالتوحيد محبتين ، ولمحمد بالرسالة مخلصين ، فاغفر لنا بهذه الشهادة سواك الإجماع ، ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل في الاسلام إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بعق ممالكك أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فأعتقنا ، وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا . ووصيتنا بالعفو عن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ، ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول : يا من لا يشغله شأن عن شأن ، ولا سمع عن سمع ، ولا تشبه عليه الأصوات ، يا من لا تغلظه المسائل ولا تختلف عليه اللغات ، يا من لا يبرمه إلحاح الملحين ، ولا تضجبه مسئلة السائلين ، أدقنا برّد عفوك وحلاوة مناجاتك ، وليدع عابده . وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، وليلح في الدعاء ، وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاطمه شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة : اللهم لا ترد الجميع من أجل . وقال بكر المزني قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من البيت والرمي والنحر والحلق والطواف فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار . وليجنب وجيف الخيل وإيضاع الابل كما يعتاده بعض الناس ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « نَهَى عَنْ وَجِيفِ الْخَيْلِ وَإِضَاعِ الْإِبِلِ ، وَقَالَ : اتَّقُوا اللَّهَ وَسِيرُوا سِيرًا جَمِيلًا لَا تَطَوُّا ضَعِيفًا وَلَا تُؤْذُوا مُسَامًا » فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم ، فليدخله بغسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم ، ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية

(١) حديث نهي النبي عن وجيف الخيل وإيضاع الابل : نك وصححه من حديث أسامة بن زيد عليكم

بالسكينة والوقار فان البر ليس في ايضاع الابل وقال ك ليس البر ابا يحاف الخيل والابل

وبالخارى من حديث ابن عباس فان البر ليس بالايضاع

(١) الأنفال : ٣٨

فاذا بلغ المزدلفة ، قال : اللهم إن هذه مزدلفة ، جمعت فيها السنة مختلفة ، تسألك حوائج مؤتلفة ، فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له ، وتوكل عليك فكفيته ، ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها بأذان واقامتين ليس بينهما نافلة ، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ، ويبدأ بنافلة المغرب ، ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين ، فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر ، وتكليف ايقاعها في الاوقات إضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض . فاذا جاز أن يؤدي النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أدائها على حكم الجمع بالتبعية أولى . ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز أدائه على الرحلة لما أومأنا اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك . ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبيت فعليه دم وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه

ثم إذا انتصف الليل يأخذ في التأهب للرحيل ، ويتزود الحصى منها ، ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانها قدر الحاجة . ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها وتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ، ثم ليغسل بصلاة الصبح ، وليأخذ في المسير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام ، والبيت الحرام والشهر الحرام ولركن والمقام ، أبلغ روح محمدنا التحية والسلام ، وأدخلنا دار السلام ، يا ذا الجلال والاكرام

ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي إلى موضع يقال له وادي محسر ، فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وإن كان راجلا أسرع في المشي ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير : فليبدأ بتارة ويكبر أخرى ، فينتهي إلى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة ، فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معها يوم النحر ؛ حتى ينتهي إلى جرة العقبة ، وهي على عين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل ، وهو ظاهر بمواقع الجمرات ، ويرمى جرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته : أن يقف مستقبلا للقبلة وإن استقبل الجرة فلا بأس ، ويرمى سبع حصيات رافعا يده ، ويبدل التلبية بالتكبير ، ويقول مع كل حصاة : الله أكبر على طاعة الرحمن

ورغم الشيطان ، اللهم تصديقاً بكتابك واتباعاً لسنة نبيك ، فاذا رمى قطع التلبية والتكبير ،  
إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح من آخر أيام  
التشريق . ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله

وصفة التكبير أن يقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، والحمد لله كثيراً ، وسبحانه  
الله بكرة وأصيلاً ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ،  
لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا اله الا الله  
والله أكبر . ثم ليذبح الهدى إن كان معه ، والأولى أن يذبح نفسه ، وليقل : بسم الله والله أكبر  
اللهم منك وبك وأليك ، تقبل مني كما تقبل من خليلك إبراهيم

والتضحية بالبدن أفضل ، ثم بالقر ، ثم بالشاة ، والشاة أفضل من مشاركة ستة في البدنة  
أو البقرة ، والضأن أفضل من المعز ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « خَيْرُ الْأَضْحِيَةِ  
الْكَبْشُ الْأَقْرَنُ » والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء . وقال أبو هريرة : البيضاء أفضل  
في الأضحية من دم سوداوين . وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع . ولا يضحى  
بالعرجاء والجذعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء . والجدع  
في الأنف والأذن القطع منهما . والغضب في القرن : وفي تقصان القوائم . والشرقاء  
المشقوق الأذن من فوق . والخرقاء من أسفل . والمقابلة المخروقة الأذن من قدام . والمدابرة  
من خلف . والعجفاء المهزولة التي لا تنقي أي لا مخ فيها من الهزال

ثم ليخلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بمقدم رأسه فيخلق الشق الأيمن  
إلى العظمين المشرفين على القفا ، ثم ليخلق الباقي ويقول : اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة  
وامح عني بها سيئة ، وارفع لي بها عندك درجة . والمرأة تقصر الشعر ، والأصلع يستحب  
له إمرار الموصى على رأسه . ومهما حلق بعد رمي الجمره فقد حصل له التحلل الأول ، وحل  
له كل المحذورات إلا النساء والصيد

ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه . وهذا الطواف طواف ركن في الحج ، ويسمى  
طواف الزيارة . وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر . وأفضل وقته يوم النحر ،

(١) حديث خير الأضحية الكبش : د من حديث عبادة بن الصامت و ت ه من حديث أبي أمامة قال ت  
غريب وغريب يضعف في الحديث

ولا آخر لوقته بل أن يؤخر إلى أى وقت شاء ، ولكن يبقى مقيداً بعلقة الاحرام ، فلا تحل له النساء إلى أن يطوف ، فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكيفية ، ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بنى وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم . فإذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم ، وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركناً فلا ينبغي أن يعيد السعى

وأسباب التحلل ثلاثة : الرمي ، والحلق ، والطواف الذى هو ركن . ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ، ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف

والسنة للإمام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال ، وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحج أربع خطب : خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة . وخطبة<sup>(١)</sup> يوم النحر ، وخطبة يوم النفر الأول . وكلها عقيب الزوال ، وكلها افراد إلا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم إذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمي ، فبييت تلك الليلة بنى ، وتسمى ليلة القر لأن الناس فى غد يقرون بنى ولا ينفرون ، فإذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة ، ويرمى اليها بسبع حصيات ، فإذا تمداها انحرف قليلاً عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ، ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلاً على الدعاء ، ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الأولى ، ويقف كما وقف للأولى ، ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمى تسبعاً ، ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بنى ، وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ، ويصبح

( ١ ) حديث الخطبة يوم النحر وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم : خ من حديث أبي بكره خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفى حديث علقه خ ووصله ه من حديث ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال أى يوم هذا - الحديث : وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع

فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رعى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصة كالיום الذي قبله ، ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة ، فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه ، وان صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى في يوم النفر الثاني أحدا وعشرين حجرا كما سبق . وفي ترك المبيت والرمى اراقة دم ، وليتصدق باللحم ، وله أن يزور البيت في ليالى منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ ذَلِكَ <sup>(١)</sup> ولا يتركن حضور الفرائض مع الأمام في مسجد الخيف ، فان فضله عظيم ، فاذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ، ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة <sup>(٢)</sup> رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، فان لم يفعل ذلك فلا شيء عليه

الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع  
من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ، ويحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية . وينوى العمرة ويلبى ، ويقصد مسجد عائشة رضى الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ، ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام ، فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا . فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته

والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف . وليكثر النظر إلى البيت . فاذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الأفضل ، وليدخله حافيا موقرا ، قيل لبعضهم : هل دخلت بيت ربك اليوم ؟ فقال : والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربى

( ١ ) حديث زيارة البيت في ليالى منى والبيت بمنى : د فى المراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالى منى قال د وقد أسندت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الاسناد ولأبى داود من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالى أيام التشريق

( ٢ ) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة : نخ من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة - الحديث :



فكيف أراها أهلاً لأن أسألهما بيت ربى، وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا؛ وليكثر شرب ماء زمزم، وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه، وليرتو منه حتى يتضلع، وليقل: اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم، وارزقنى الاخلاص واليقين والمعافة فى الدنيا والآخرة! قال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> «مَاءُ زَمْزَمٍ لِمَا شَرِبَ لَهُ» أى بشئى ما قصد به

الجملة التاسعة فى طواف الوداع

مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فليخز أولاً أشغاله، وليشد رحاله، وليجعل آخر أشغاله وداع البيت. ووداعه بأن يطوف به سبعة كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع، فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام، وشرب من ماء زمزم، ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول: اللهم إن البيت بيتك والبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك، تملنى على ما سخرت لى من خاتمتك حتى سيرتنى فى بلادك، وبلغتنى بنعمتك حتى أعنتنى على قضاء مناسكك، فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا، وإلا فمن الآن قبل تباعدى عن بيتك، هذا أو أن انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولا بيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك، اللهم أصحبنى العافية فى بدنى، والعصمة فى دينى، وأحسن متقلبى، وارزقنى طاعتك أبدا ما أبقيتنى، واجمع لى خير الدنيا والآخرة إنك على كل شئ قدير، اللهم لا تجعل هذا آخر عهدى ببيتك الحرام، وإن جعلته آخر عهدى ففوضنى عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

الجملة العاشرة فى زيارة المدينة وآدابها

قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> «مَنْ زَارَنِى بَعْدَ وَفَاتِى فَكَأَنَّمَا زَارَنِى فِي حَيَاتِى» وقال صلى الله عليه وسلم

( ١ ) حديث ماء زمزم لما شرب له: هـ من حديث جابر بسند ضعيف ورواه فطوك فى المسندك من حديث

ابن عباس قال الحاكم صحيح الاسناد ان سلم من محمد بن حبيب الحارودى قال ابن القطان سلم

منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد بن هشام الروزى

( ٢ ) حديث من زارنى بعد وفاتى فكأما زارنى فى حياتى: الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عمر

(١) « وَمَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَفِدْ إِلَى فَقْدَ جَفَانِي » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « مَنْ جَاءَ نِي زَائِرًا لَا يَهْمُهُ إِلَّا زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا » فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال : اللهم هذا حرم رسواك فاجعله لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب . وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة ، وليتطيب ، ويلبس أنظف ثيابه ، فإذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما ، وليقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا

ثم يقصد المسجد ويدخله ، ويصلي بجانب المنبر ركعتين ، ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيهِ ، فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد . وليجهد أن يصلي في المسجد الأول قبل أن يزد فيه

ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه ، وذلك بأن يستدير القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ، ويجعل القنديل على رأسه : وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله ، بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا أمين الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا حفوة الله ، السلام عليك يا خيرة الله ، السلام عليك يا أحمد ، السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك يا ماحي ، السلام عليك يا عاقب ، السلام عليك يا حشر ، السلام عليك يا بشير ، السلام عليك يا نذير ،

( ١ ) حديث من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفاني: ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وابن حبان فى الضعفاء والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرنى فقد جفانى وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث أنس مامن أخذ من أمي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر

( ٢ ) حديث من جاءنى زائرا لاهمه الا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا: الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن

السلام عليك يا طهر ، السلام عليك يا طاهر ، السلام عليك يا اكرم ولد آدم ، السلام عليك ياسيد المرسلين ، السلام عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك يا قائد الخير ، السلام عليك يا فاتح البر ، السلام عليك يا نبي الرحمة ، السلام عليك يا هادي الأمة ، السلام عليك يا قائد الفر المحجلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين ، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته .  
وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون ، وكلما غفل عنك الغافلون ، وصلى عليك في الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه ، كما استنقذنا بك من الضلالة ، وبصرنا بك من العمية ، وهذا ناك من الجباله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله ، وأمينه وصفيه ، وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت عدوك ، وهديت أمتك ، وعبدت ربك حتى أناك اليقين ، فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول : السلام عليك من فلان ، السلام عليك من فلان

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضى الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبي بكر رضى الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول : السلام عليك يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعانين له على القيام بالدين مادام حيا ، والقائمين فى أمته بعده بأمر الدين ، تتبعان فى ذلك آثاره ، وتعملان بسنته ، فجزاك الله خير ما جزى وزيرى نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانه اليوم ويستقبل القبلة ، وليحمد الله عز وجل ، وليمجده ، وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول : اللهم إنك قد قلت وقولك الحق : ( وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا <sup>(١)</sup> ) اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك

وقصدنا نبيك ، متشفعين به اليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا ، تائبين من زللنا  
معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتب اللهم علينا ، وشفّع نبيك هذا فينا ، وارفعنا بمنزلته عندك  
وحقّه عليك ، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان  
اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين

ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>  
« مَا يَنْتَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي » ويدعو عند  
المنبر . ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>  
يضع يده عليها عند الخطبة . ويستحب له أن يأتي أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء ،  
فيصلي الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ، ويعود إلى المسجد لصلاة  
الظهر ، فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد . ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع  
بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي  
رضي الله عنهما ، وفيه أيضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ،  
ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذلك كله بالبقيع

ويستحب له أن يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصلي فيه ، لما روى أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم<sup>(٣)</sup> قال « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ مَسْجِدَ قُبَاءٍ وَيُصَلِّيَ فِيهِ كَانَ لَهُ عِدْلُ حُمْرَةٍ »  
ويأتي بئر أريس ، يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> تقّل فيها ، وهي عند المسجد ، فيتوضأ  
منها ويشرب من مائها . ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق ، وكذا يأتي سائر المساجد والمشاهد

( ١ ) حديث ما بين قري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي : منفق عليه من حديث  
أبي هريرة وعبد الله بن زبابة .

( ٢ ) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر : لم أقف له على أصل وذكر محمد  
ابن الحسن بن زبابة في تاريخ المدينة أن طول رمانتي المنبر اللين كان يمسكها صلى الله عليه وسلم  
بيديه الكرمتين إذا جلس شبر وأصبعان

( ٣ ) حديث من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان عدل حمرة : النسائي وابن ماجه  
من حديث سهل بن حنيف بإسناد صحيح

( ٤ ) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم تقّل في بئر أريس : لم أقف له على أصل وإنما ورد أنه تقّل في  
بئر البصة وبئر غرس كما سيأتي عند ذكرها

ويقال إن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعاً يعرفها أهل البلد ، فيقصد ماندر عليه . وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه

( ١ ) حديث الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار :

قلت وهي بئر أريس وبئر حار وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جمل لحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال جلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ - الحديث : وحديث بئر حار منفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أ كثر أنصاري بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله إليه بئر حار وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب - الحديث : وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم للمدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين - الحديث : قالت حديث حسن وفي رواية لها هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد الا بالحن فابتعتها فجعلتها للفقير وابن السبيل - الحديث : وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الاسلمي قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكانت يبيع منها القرية بعد الحديث : وحديث بئر غرس رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس أنه قال اثنوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه بإسناد جيد مرفوعا اذا أنامت غلغلوني بسبع قرب من بئر بئر غرس وروينا في تاريخ المدينة لابن النجار بإسناد ضعيف مرسلان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبرى فيها وغسل منها حين توفي : وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنوضأ من بئر بضاعة وفي روايه انه يستقي لك من بئر بضاعة - الحديث : قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال ت حسن للطبراني من حديث أبي أسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة وروينا أيضا في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة رواه ابن عدي من حديث أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسي فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرًا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره في البصة وفيه محمد بن الحسن ابن زبالة ضعيف وحديث بئر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار في مسنده أو من بئر السقيا ولاحمد من حديث علي خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد لابن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنوني بوضوء فلما توضأ قام - الحديث :

الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأَوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلَيْمَتْ فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتي القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ، ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة اليه ، ويسأل السلامة في سفره ، ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة ، وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة في المسجد ، فإذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولاً ، ثم اليمنى ، وليقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وخط أوزارى بزيارته وأصحابي في سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالماً بأرحم الراحمين . وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه ، وليتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها ، وهى عشرون موضعاً

## فصل فى سنن الرجوع من السفر

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ شَرْفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْخَلْقُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيْتُونَ تَائِبُونَ عَائِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ

وأما بئر جمل فى الصحيحين من حديث أبى الجهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل - الحديث : وصله خ وعلقه م والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقد روى الدارمي من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على سبع قرب من آبار شتى - الحديث : وهر عند خ دون قوله من آبار شتى

( ١ ) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة : تقدم فى الباب قبله

( ٢ ) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها - الحديث : تقدم فى الباب قبله

( ٣ ) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض - الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون رواه الحاملى فى الدعاء بإسناد جيد

سَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » وفي بعض الروايات « وكلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فينبغي أن يستعمل هذه السنة في رجوعه .  
وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول : اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا سائلا .  
ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بغتة ، فذلك هو السنة ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلا . فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا <sup>(١)</sup> وليسئل ركعتين فهو السنة .  
كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فإذا دخل بيته قال : توبا توبا ربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا . فإذا استقر في منزله فليزني أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمة وفير نيته صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي ، فما ذلك علامة الحرج المبرور ، بل علامته أن يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

## الباب الثالث

في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهي عشرة

الأول : أن تكون النفة حلالة ، وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهمم ، حتى يكون الهم مجردا لله تعالى ، والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى ونعظيم شعائره . وقد روى في خبر من طريق أهل البيت <sup>(٢)</sup> « إذا كان آخر الرمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف : سلاطينهم للترفيه ، وأغنيائهم للتجارة ، وفقراءهم للمسألة ، وبنوهم للسمعة »

( ١ ) حديث ارسل المسام إلى أهل بيته من يحرم هدمه كذا بعدم عابهم به : لم أحديه ذكر الارسل وفي الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غراه فلما دما المدنة دهما لدخل فقال أمهوا حتى ندخل ايلا أي عشا . كي تحسب النعمة وسنجد المعية  
( ٢ ) حديث صلاة ركعتين في المسجد عند القدوم من السفر : تقدم في الصلاة

﴿ الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة ﴾

( ٣ ) حديث اذا كان في آخر الرمان خرج الناس الحج أربعة أصناف سلاطينهم للترفيه وأغنيائهم للتجارة وفقراءهم للسؤال وبنوهم للسمعة : الخطيب من حديث أنس ناسد بنهول وابن في ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين فقال نجا أغنياء أمي للترفيه وأوساطهم للتجارة وفقراءهم للمسألة وفقراءهم للرياء والسمعة

وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التي يتصور أن تتصل بالحج ، فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ، ويخرجه عن حيز حج الخصوص ؛ لاسيما إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيه الملب الدنيا بعمل الآخرة . وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين ، فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باسقاط الفرض عنه . وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « يَدْخُلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْحَجَّةِ الْوَاحِدَةِ ثَلَاثَةَ أَلْفَةِ أَلْفَةٍ مَوْصِيَّهَا ، وَالْمُنْفَذِ لَهَا ، وَمَنْ حَجَّ بِهَا عَنْ أَخِيهِ » ولست أقول لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ، ولكن الأولى أن لا يفعل ، ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره ، فإن الله عز وجل يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا . وفي الخبر <sup>(٢)</sup> « مَثَلُ الَّذِي يَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَأْخُذُ أَجْرًا مِثْلُ أُمِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَرْضِعُ وَلَدَهَا وَتَأْخُذُ أَجْرَهَا » فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه ، فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه ، وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الارضاع بنليس حالها عليهم

الثاني : أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس ، وهم الصادون عن المسجد الحرام من أصراء مكة والأعراب المترصدين في الطريق ، فإن تسليم المال اليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم ، فهو كإعانة بالنفس ، فليتلف في حيلة الخلاص ، فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله . إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظامة ، فإن هذه بدعة أحدثت ، وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة ، وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ، ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر ، فانه لو قعد في البيت أودع من الطريق لم يؤخذ منه شيء ، بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته ، فلو كان في زى الفقراء لم يطالب ، فهو الذي ساق نفسه إلى حالة الاضطراب

( ١ ) حديث يدخل الله بالْحَجَّةِ الْوَاحِدَةِ ثَلَاثَةَ أَلْفَةِ أَلْفَةٍ مَوْصِيَّهَا وَالْمُنْفَذِ لَهَا وَمَنْ حَجَّ بِهَا عَنْ أَخِيهِ : هُوَ

من حديث جابر بسند ضعيف

( ٢ ) حديث مثل الذي يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها : ابن عدي من

حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن



الثالث : التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقدير ولا إسراف ، بل على الاقتصاد ، وأعني بالإسراف التعم بأدبايب الأطعمة والترفه بشرب أنما بها على عادة المترفين ، فأما كثرة البذل فلاسرف فيه ، إذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل ، وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل ، والدرهم بسبعائة درهم ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : من كرم الرجل طيب زاده في سفره . وكان يقول : أفنسل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة . وأحسنهم يقينا . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « الْحَجُّ الْمُبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ . فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا بَرُّ الْحَجِّ ؟ فَقَالَ : طِيبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ »

الرابع : ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرءان . والرفث اسم جامع لكل لغو وخناء وغش من الكلام ، ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتن ، والتحدث بشأن الجماع ومقدماته ، فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظورة والداعى إلى المحظور ومحظور . والنسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل . والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق . وقد قال سفيان : من رفث فسد حجه . وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج ، والمماراة تناقض طيب الكلام ، فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله ، وعلى غيره من أصحابه ، بل يلين جانبه ، ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل ، ويلزم حسن الخلق . وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى . وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال . ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا : هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال لا ، فقال : ما أراك تعرفه

الخامس : أن يحج ماشياً إن قدر عليه ، فذلك الأفضل : أوصى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال : يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم : قال الحسنة بمائة ألف . والاستحباب في المشى في المناسك ، والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى أكد منه في الطريق ،

( ١ ) حديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام : أحمد

من حديث جابر بإسناد لين ورواه الحاكم مختصراً وقال صحيح الأسناد

والأشياء إلى المشي، لأنهم من دويره أماله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج، قاله عمرو بن  
 مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ<sup>(١)</sup>) وقال بعض العلماء:  
 الركوب أفضل لما فيه من الاتفاق والمؤنة، ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه، وأقرب  
 إلى سلامته وتتمام حجه. وهذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأول، بل ينبغي أن يفصل ويقال:  
 من سهل عليه المشي فهو أفضل، فإن كان يضعف ويؤدي به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن  
 عمل فالركوب له أفضل، كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق  
 وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشى فيها أو يركب حماراً بدرهم فقال إن كان وزن  
 الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشي، وإن كان المشي أشد عليه كالأغنياء فالمشي  
 لأفضل، فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس؛ وله وجه، ولكن الأفضل له أن يمشي  
 ويسرف ذلك الدرهم إلى خير، فهو أولى من صرفه إلى المكاري عوضاً عن ابتذال الدابة  
 فإذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس وتقصان المال فإذكره غير بعيد فيه  
 السادس: أن لا يركب إلا زاملة، أما الحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن  
 لا يستمسك عليها لعذر، وفيه معنيان: أحدهما التخفيف على البعير فإن الحمل يؤديه. والثاني  
 اجتناب زى المتربين المتكرين «حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup> عَلَى رَاحِلَةٍ وَكَانَ  
 تَحْتَهُ رَحْلٌ رَثٌ وَقَطِيفَةٌ خَلَقَتْ فِيمَتَهَا أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ<sup>(٢)</sup>» «وَطَافَ عَلَى الرَّاحِلَةِ لِيَنْظُرَ النَّاسُ  
 إِلَى هَدْيِهِ وَشِمَائِلِهِ» وقال صلى الله عليه وسلم: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» وقيل إن هذه  
 المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها، فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال:  
 برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على  
 زوامل وجوا لثات ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا محملين. وكان ابن عمر إذا نظر إلى  
 ما أحدث الحجاج من الزي والمحامل يقول: الحاج قليل والركب كثير. ثم نظر إلى رجل  
 مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج

(١) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحله وكان معه رث وقطيفة خلفة فبعتها

أربعة دراهم: الترمذي في النماذج وابن ماجه من حديث أس سند ضعيف

(٢) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته: تقدم

(٣) حديث خذوا عني مناسككم: من واللفظ له من حديث جابر

(١) البقرة: ١٩٦

السابع: أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر، غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر، فيكتب في ديوان المتكبرين المترفين، ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وبخصوص الصالحين، فقد «أمر صلى الله عليه وسلم»<sup>(١)</sup> بالشعث والاختفاء. «وَنَهَى عَنِ التَّنَعُّمِ وَالرَّفَاهِيَةِ» في حديث فضالة بن عبيد<sup>(٢)</sup> وفي الحديث<sup>(٣)</sup> «إِنَّمَا الْحَاجُّ الشَّعْتُ النَّفْتُ»<sup>(٤)</sup> ويقول الله تعالى: انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق. وقال تعالى: (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ)<sup>(٥)</sup> والتفت: الشعث والاغبرار، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار.

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد. اخولقوا واخشوشنوا، أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء: وقد قيل. زين الحبيج أهل اليمن. لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف، فينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت. على العموم، فقد روى «أنه صلى الله عليه وسلم»<sup>(٥)</sup> كَانَ فِي سَفَرٍ فَزَلَّ أَصْحَابُهُ مِنْزَلاً فَسَرَحَتْ الْإِبِلُ فَنَظَرَ إِلَى أَكْسِيَةِ حُمْرٍ عَلَى الْأَقْتَابِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى هَذِهِ الْحُمْرَةَ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْكُمْ قَالُوا فَقُمْنَا إِلَيْهَا وَتَرَعْنَاهَا عَنْ ظُهُورِهَا حَتَّى شَرَدَ بَعْضُ الْإِبِلِ «

الثامن: أن يرفق بالدابة فلا يحماها ما لا تطيق، والمحمل خارج عن حد طاقتها، والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها. كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود، وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل. قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> «لَا تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ كَرَاسِيٍّ»

(١) حديث الامر بالشعث والاختفاء: البغوى والطبراني من حديث عبد الله بن أبي حنيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمعدوا واخشوشنوا واتصلوا وامشوا حفاة وفيه اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف

(٢) حديث فضالة بن عبيد في النهي عن التمتع والرفاهية وإن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الارفاء والأحمد من حديث معاذ أبانك والتنعيم - الحديث:

(٣) حديث انما الحاج الشعث النفث: ت ه من حديث ابن عمر وقال غريب

(٤) حديث يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق: الحاكم وصححه

من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكدارواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو

(٥) حديث انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى أكسية حمراء على الاقتاب: فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم - الحديث: د من حديث رافع بن

خديج وفيه رجل لم يسم  
(٦) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي: أحمد من حديث سهل بن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم

وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه

ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك<sup>(١)</sup> فهو سنة وفيه آثار عن السلف . وكان بعض السلف يكدري بشرط أن لا ينزل . ويوفي الأجرة ، ثم : كان ينزل عنها ليكون بذلك محسناً إلى الدابة ، فيكون في حسنة ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري . وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة . قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت : يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فاني لم أكن أحملك فوق طاقتك . وعلى الجملة في كل كبد حرء أجبر . فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعا . وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكاري . قال رجل لابن المبارك : احمل لي هذا الكتاب معك لتوصله فقال : حتى أستأمر الجمال فاني قد أكثرت . فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له ؟ وهو طريق الحزم في الورع ، فانه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيراً يسيراً

التاسع : أن يتقرب باراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه . ويحتد أن يكون من سمين النعم ونقيسه ، وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا . قيل في تفسير قوله تعالى : ( ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَقَاؤُ اللَّهِ<sup>(١)</sup> ) إنه تحسينه وتسمينه . وسوق الهدى من الميقات أفضل إن كان لا يجده ولا يكده ، ولترك المكاس في شرائه ، فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن : الهدى والأضحية والرفية ، فان أفضل ذلك أغلاها ثمناً وأنفسه عند أهله<sup>(٢)</sup> وروى ابن عمر أن عمر رضي الله عنهما أهدى بختية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها ، وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون . وفي ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة ، وفيها تكثير اللحم ، ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تركية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل ، فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أو قل

( ١ ) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك : الطبراني في الأوسط من حديث أنس بن مالك

الذي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر في السفر منى ورواه البيهقي في الأدب وقال منى فليداو ناقته فناد

( ٢ ) حديث ابن عمر أن عمر أهدى بختية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها : أخرجه د وقال المحرر

(١) الحج : ٣٢

« وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (١) مَا بَرُّ الْحَجِّ ؟ فَقَالَ : التَّحَجُّجُ وَالشَّجُّجُ »  
والعج هو رفع الصوت بالنليسة . والشج هو نحر البدن . وروت عائشة رضي الله عنها  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) قال : « مَا عَمِلَ آدَمِيُّ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
مِنْ إِهْرَاقِهِ دَمًا وَإِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأُظْلَافُهَا وَإِنَّ الدَّمَ يَقَعُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ بِالْأَرْضِ فُطِيئُوا بِهَا نَفْسًا » وفي الخبر : (٣) « أَلَكُمْ بِكُلِّ صُوفَةٍ مِنْ جِلْدِهَا  
حَسَنَةٌ وَكُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ دِمَائِهَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهَا تَوَضَعُ فِي الْمِيزَانِ فَأُبَشِّرُوا » وقال صلى الله عليه وسلم :  
« اسْتَنْجِدُوا هَدَايَاكُمْ فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

العاشر : أن يكون طيب النفس بما أنفق من نفقة وهدى ، وبما أصابه من خسران  
ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه ذلك ، فإن ذلك من دلائل قبول حجه ، فإن المصيبة في  
طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل : الدرهم بسبعمائة درهم ، وهو بمثابة الشدائد  
في طريق الجهاد ، فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب ، فلا يضيع منه شيء عند  
الله عز وجل . ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصي ، وأن  
يتبدل باخوانه الباطلين إخوانا صالحين ، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد

الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها

من أول الحج إلى آخره

اعلم أن أول الحج الفهم ، أعنى فهم موقع الحج في الدين ، ثم الشوق إليه ، ثم العزم  
عليه ، ثم قطع العلائق المانعة منه ، ثم شراء ثوب الإحرام ، ثم شراء الزاد ، ثم اكتراء الرحلة

( ١ ) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والشج : ت واستغربه وهو ك

و صححه والبخاري واللفظ له من حديث أبي بكر وقال الباقرى أى الحج أفضل

( ٢ ) حديث عائشة ماعمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من إهراقه دما - الحديث : ت وحسنه

ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال خ انه مرسل ووصله ابن خزيمة

( ٣ ) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فأبشروا

هك وصححه البيهقى من حديث زيد بن أرقم في حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف

قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفي رواية للبيهقى بكل قطرة حسنة قال لا يصح وروى

أبو الشيخ في كتاب الضحايا من حديث علي أما انها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها

حتى توضع في ميزانك يقولها لعاطمة

ثم الخروج ، ثم السير في البادية ، ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ، ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق . وفي كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر ، وعبرة للمعتبر ، وتنبيه للمريد الصادق ، وتعريف وإشارة للفظن . فلنر من إلى مفاتها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه أما الفهم : فاعلم أنه لاوصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتزهد عن الشهوات ، والكف عن اللذات ، والاقتصار على الضرورات فيها ، والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ، ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق ، وانحازوا إلى قلل الجبال ، وآثروا التوحش عن الخلق ، لطلب الأُنس بالله عز وجل ، فتركوا الله عز وجل اللذات الحاضرة ، وألزموا أنفسهم بالمجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة ، وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال ( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ <sup>(١)</sup> )

فما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات ، وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل ، وقتلوا عنه ، بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لحياء طريق الآخرة وتبديد سنة المرسلين في سلوكها <sup>(٢)</sup> فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياسة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم « أَبَدَلْنَا اللَّهَ بِهَا الْجِهَادَ وَالتَّكْبِيرَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ » يعني الحج . « وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> عَنِ السَّائِحِينَ فَقَالَ هُمُ الصَّائِمُونَ » فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم . فشرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ، ونصبه مقصدا لعباده ، وجعل ماحواله حرما لبيته تفخيا لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه ،

( ١ ) حديث سئل عن الرهبانية والسياسة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف: أبو داود من

حديث أبي أمامة أن رجلا قال يارسول الله ائذن لي في السياحة فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله رواء الطبراني بلفظ ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نحر العدو والبيهقي في الشعب من حديث أنس رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة ان رجلا قال يارسول الله اني أريد ان أسافر فأوصني قال عليك بنقوى الله والتكبير على كل شرف

( ٢ ) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة وقال المحفوظ عن

عبيد بن عمير عن عمر مرسل .

وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ، ووضع على شال حضرة الملوك يتصدهم الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق ، شعشاً غبراً متواضعين لرب البيت ، ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته ، مع الاعتراف بتزويده عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ في رقيهم وعبوديتهم ، وأتم في إذعانهم وانقيادهم ، ولذلك وظف عليهم فيها أعمالاً لا تأنس بها النفوس ، ولا تهتدى إلى معانيها العقول : كرمي الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار . وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية ، فإن الزكاة أرفاق ، ووجهه مفهوم ، وللعقل إليه ميل . والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله ، وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل ؛ والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع ، وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل . فأما ترددات السعى ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ، ولا اهتمام للعقل إلى معانيها ، فلا يكون في الاقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد ، وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط ، وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه ، فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً ، فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثاً معه على الفعل ، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص <sup>(١)</sup> « لَبَّيْكَ بِحُجَّةٍ حَقًّا تَعْبُدًا وَرِقًّا » ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاه الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم ، وأن يكون زمامها بيد الشرع ، فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد ، وعلى مقتضى الاستبعاد وكان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تركية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق . وإذا تفطنت لهذا فهت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات . وهذا القدر كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى وأما الشوق : فأنما ينبعث بعد الفهم والتحقيق بأن البيت بيت الله عز وجل ، وأنه وضع على مثال حضرة الملوك ، فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائره ، وإن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته ، فيؤزق مقصود الزيارة في ميغاده المضروب له ، وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية في دار الدنيا

(١) حديث لبيك بحجة حقاً تعبدًا ورقاً تقدم في الزكاة

لا تهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ، ولا تبايق احتماله ، ولا تستمد للاكتمال  
 به لقصورها ، وإنما إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التثيير والثناء استعدت  
 للنظر والإبصار ، ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تبتحق لقاء رب البيت بحكم الوعد  
 الكريم . فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب انقاء لأشجاة . هذا مع أن المحب  
 مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة ، والبيت منضاف إلى الله عز وجل ، فبالحرى أن  
 يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة ، فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل  
 وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ، ومهاجرة الشهوات  
 واللذات ، متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل . ويعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب  
 البيت ، وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره ، وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم ،  
 وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمة . وليتحقق أنه  
 لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص ، وأن من أخش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه  
 والمقصود غيره ، فليصحح مع نفسه العزم ، وتصحيحه بإخلاصه ، وإخلاصه باجتتاب كل  
 ما فيه رياء وسمة . فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .

وأما قطع العلائق : فعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي ، فكل  
 مظلمة علاقة ، وكل علاقة مثل غريم حاضر متعاق بتلاييه ينادى عليه ويقول له : إلى أين  
 تتوجه ؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ، ومستهين به ، ومهمل له :  
 أولا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد المعاصي فيردك ولا يتقبلك ، فإن كنت راغبا في  
 قبول زيارتك فنفذ أوامره ، ورد المظالم ، وتب إليه أولا من جميع المعاصي ، واقطع علاقة  
 قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك ، لتكون متوجها إليه بوجه قلبك ، كما أنك مترجعه إلى  
 بيته بوجه ظاهرك ، فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء ،  
 وآخر إلا الطرد والرد . وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود إليه  
 وليكتب وصيته لأولاده وأهله ، فإن المسافر وماله لعل يخطئ إلا من وقى الله سبحانه .  
 وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة ، فإن ذلك بين يديه على  
 القرب ، وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير ،  
 فلا ينبغي أن ينفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر .



وأما الزاد : فيطلبه من موضع حلال ، وإذا أحسن من نفسه الحرص على استكرامه وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد ، ذاك أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر ، وأن زاده التقوى ، وأن ماعداه مما يظن أنه زاد يختلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه ، كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر في وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له . فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت ، بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير

وأما الرحلة : إذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتجمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة ، ولتذكر عنده المركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنائز التي يحمل عليها ، فإن أمر الحج من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة ، ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب ، فما أقرب ذلك منه ، وما يدريه لعل الموت قريب ، ويكون ركوبه للجنائز قبل ركوبه للجمل ، وركوب الجنائز مقطوع به ، وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه ، فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن

وأما شراء ثوبى الاحرام : فليذكر عنده الكفن ولفه فيه ، فانه سيرتدى ويتزر بثوبى الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه ، وأنه سيلقى الله عز وجل مافوقا في ثياب الكفن لا محالة ، فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته في الزى والهيئة ، فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا في زى مخالف لزي الدنيا ، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن

وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل في سفر لا يضاهاى أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه ، وزيارة من يقصد وأنه متوجه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين له ، الذين نودوا فأجابوا ، وشؤقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا ، وقطعوا الملائق ، وفارقوا الخلائق ، وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذى تخفى أمره وعظم شأنه ورفع قدره ، تسليا بقاء البيت عن لقاء رب البيت ، إلى أن يرزقوا منتهى منام ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم . وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول

لا إله إلا الله في الزمان والمكان ، ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته ، وإبرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية في الطريق لقي الله عز وجل وافداً إليه إن قال : جل جلاله ( وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ )<sup>(١)</sup>

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات : فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات . وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ، ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأنفاس والحيات ، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوداً للخواف القبر

وأما الاحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل ، فارج أن تكون مقبولا ، وأخش أن يقال لك : لا ليك ولا سعديك . فكن بين الرجاء والخوف متردداً ، وعن حولك وقوتك متبرئاً ، وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلاً ، فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهي محل الخطر . قال سفيان بن عيينة : حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي ، فقيل له : لم لا تلبي ؟ فقال : أخشى أن يقال لي لا ليك ولا سعديك ، فلما لبي غشى عليه ووقع عن راحلته ، فلم يزل يمتريه ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد بن أبي الحواري : كنت مع أبي سليمان الدارني رضى الله عنه حين أراد الاحرام فلم يلب حتى سبرنا ميلاً فأخذته الغشية ثم أفاق وقال : يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام : مُرْظَلَمَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَقُولُوا مَنْ ذَكَرْنِي فَأَنْذِرْنِي مَنْ ذَكَرْنِي مِنْهُمْ بِاللَعْنَةِ ، ويحك يا أحمد : بلغني أن من حج من غير حله ثم لبي قال الله عز وجل لا ليك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك ، فإنا من أن يقال لنا ذلك ! وليتذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله عز وجل ، إذ قال : ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ )<sup>(٢)</sup> ونداء الخلق بنفخ الصور ، وحشرهم من القبور ، وازدحامهم في عرصات القيامة محيين لنداء الله سبحانه ، ومنقسمين إلى مقرين وممقوتين ، ومقبولين ومردودين ، ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا

(١) النساء : ١٠٠ . (٢) الحج : ٢٧

وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمنا ، وليرجع عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل ، وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للمقت ، وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالبا ، فالكرم عظيم ، والرب رحيم ، وشرف البيت عظيم ، وحق الزائر مرعى ، وذمام المستجير اللانث غير مضيع وأما وقوع البصر على البيت . فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ، ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه ، وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم . واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإخافه إياك بزمرة الوافدين عليه ، واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ، ثم انقسامهم إلى ماذنيتين في الدخول ومصرفين ، انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين . ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه ، فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة

وأما الطواف بالبيت : فاعلم أنه صلاة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ، ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت ، بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت ، حتى لا تبتدىء الذكر إلا منه ولا تحتم إلا به كما تبتدىء الطواف من البيت وتحتم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية ، وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت ، كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب ، وأن عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب . وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت العمور في السموات بازاء الكعبة ، فان طواف الملائكة به كطواف الأنس بهذا البيت . ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ، ووعدوا بأن <sup>(١)</sup> « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به ، على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى

( ١ ) حديث من تشبه بقوم فهو منهم: أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح

وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته ، فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك ، فمن غدر في المبايعة استحق الموت ، وقد روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> أنه قال « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ كَمَا يُصَافِحُ الرَّجُلُ أَخَاهُ »

وأما التعلق بأستار الكعبة والاتصاق بالمتنزم . فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت ، وتبركا بالمهاسة ، ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء من بدنك لافي البيت . ولتكن نيتك في التعلق بالستر الاحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان ، كالمنذوب المتعلق بثياب من أذنبت إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لاملجأ له منه إلا إليه ، ولا مفرع له إلا كرمه وعفوه ، وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت : فانه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى ، إظهارا للخلوص في الخدمة ، ورجاء للملاحظة بعين الرحمة ، كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضى به الملك في حقه من قبول أو رد ، فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى . وليتذكر عند ترده بين الصفا والمروة ترده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة ، وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات . وليتذكر ترده بين الكفتين ناظرا إلى الرجحان والنقصان متردداً بين العذاب والغفران

وأما الوقوف بعرفة : فاذا ذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات ، واختلاف اللغات ، واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر ، اقتفاء لهم ، وسيرا بسيرهم ، عرصات القيامة ، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة ، واقتفاء كل أمة نبيها ، وطعمهم في شفاعتهم وتخيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول . وإذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهاال إلى الله عز وجل ، فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين . وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف ، والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض . ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد ، وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب . فاذا اجتمعت همهم وتجردت للضراعة والابتهاال قلوبهم ،

( ١ ) حديث ابن عباس الجريمين الله في الأرض يصافح بها خلقه - الحديث : تقدم في العلم من حديث عبد الله بن عمرو

وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم ، وشخصت نحو السماء أبصارهم ، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ، فلا تظن أنه ينجب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمهم . ولذلك قيل : إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد مجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده ، فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد

وأما رمى الجمار : فاقصده الاتقياء للأمر بإظهار اللزق والعبودية ، وانهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ، ثم اقصده التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجة شبهة أو يفتنه بمصيبة فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله ، فإن خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يمرض لى الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمي ويخيل إليك أنه فعل لفائدة فيه ، وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به . فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمي فيه برغم أنف الشيطان . واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة ، وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقسم به ظهره اذ لا يحصل ارغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه ، وأما ذبح الهدى فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال ، فأكمل الهدى وأرج<sup>(١)</sup> أن يعتق الله بكل جزء منه جزءاً منك من النار ، فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى أكبر وأجزاءه أوفر كان فداؤك من النار أعم

وأما زيارة المدينة : فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته ، وأنها داره التى شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته ، واجاهد عدوه وأظهر بها دينه ، إلى أن توفاه الله عز وجل ، ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما . ثم مثل فى نفسك مواقع أفدام رسول الله

( ١ ) حديث انه يعتق بكل جزء من الأضحية جزءاً من المضحي من النار : لم أقف له على أصل وفى كتاب

الضحايا لأبى الشيخ من حديث أبى سعيد فإن لك بأول قطرة تقطر من دمه أن يغفر لك ما تقدم من ذنوبك يقوله لفاطمه واستاده ضعيف

صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها ، وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة ، فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينته ووجل ، وتذكر مشيه وتخطيه في سككها ، وتصور خشوعه وسكينته في المشي ، وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه ، وإحباطه عمل من هتك حرمة ولو برفع صوته فوق صوته . ثم تذكر ما من الله تعالى به على الذين أدركو أصحابه وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه ، وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبتته وصحبة أصحابه رضى الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وأنك من رؤيته في الآخرة على خطر ، وأنك ربما لاتراه إلا بمحسرة وقد خيل بينك وبينه قبوله إياك بسوء عملك ، كما قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « رَفَعَ اللَّهُ إِلَيَّ أَقْوَامًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ! فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي ! فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذُوا بِعَدِّكَ . فَأَقُولُ بَعْدًا وَسُحْقًا » فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعد ذلك عن محبته . وليعظم مع ذلك رجائك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الايمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا ، بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمخت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته ، فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة

فاذا بلغت المسجد فاذا ذكر أنها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصاة ، وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة ، وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا ، فليعظم أملك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه ، فادخله خاشعا معظما ، وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبي سليمان أنه قال : حج أويس القرني رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له : هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فغشى عليه ، فلما أفاق قال : أخرجوني فليس يلذلي بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون !

(١) حديث يرفع الى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا تدري ما أخذوا بعدي فأقول بعدا وسحقا : متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد

وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمستحب جداً ، ولا تقرب منه إلا بآداب ، تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً ، وكما كنت ترى الحرمة في أن لا تقرب من شخصه ولا تقبله بل تتفاد من بعد ماثلاً بين يديه ، فكذلك فافعل ، فإن المس والتعجيل للمشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك ، وأنه يبلغه سلامك وزيارتك ، فيل مسو به الكريمة في خيالك موضوعاً في اللحد بازائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَكَلَّ بِقَبْرِهِ مَلَكًا يُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ » هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن ونقطع البوادي شوقاً الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاتته مشاهدة غرته الكريمة ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا » فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته بيده ؟ ثم انت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ، ومثل في قلبك طلعت البهية كأنها على المنبر وقد أحرق به المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته ، وسل الله عز وجل أن لا يفرق في القيامة بينك وبينه . فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج

فاذا فرغ منها كلها فينبغي أن يازم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين أم رد حجه والحق بالمطرودين . وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافياً عن دار الغرور وانصرفاً الى دار الأنس بالله تعالى ، ووجد أعماله قد اترنت بميزان الشرع ، فليثق بالقبول ، فان الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ، ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته . وكف عنه سطوة عدوه إبليس لعنه الله ، فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب . نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك

تم كتاب أسرار الحج ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن

( ١ ) حديث ان الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكاً يبلغه سلام من سلم عليه من أمة: ن حبرك من

حديث ابن مسعود بلسان الله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام

( ٢ ) حديث من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً: م من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو

( كتاب الشعب )



# كتاب آداب تلاوة القرآن

## كتاب آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتنَّ على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم ، وكتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار ، واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام ، وفرّق بين الحلال والحرام ، فهو الضياء والنور ، وبه النجاة من الغرور ، وفيه شفاء لما في الصدور . من خالفه من الجبارة قصمه الله ، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله . هو جبل الله المتين ، ونوره المبين ، والعروة الوثقى ، والمعتصم الأوفى ، وهو المحيط بالقليل والكثير والصنير والكبير ، لا تنقضى عجائبه ، ولا تنهاى غرائبه ، لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ، ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة التريد . هو الذي أرشد الأولين والآخرين ، ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين فقالوا ( إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا <sup>(١)</sup> ) فكل من آمن به فقد وفق ، ومن قال به فقد صدق ، ومن تمسك به فقد هدى ، ومن عمل به فقد فاز . وقال تعالى : ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ <sup>(٢)</sup> ) : ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بأدابه وشروطه ، والحفاظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة ، وذلك لا بد من بيانه وتفصيله

وتكشف مقاصده في أربعة أبواب

الباب الأول : في فضل القراءة وأهله

الباب الثاني : في آداب التلاوة في الظاهر

الباب الثالث : في الأعمال الباطنة عند التلاوة

الباب الرابع : في فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره

(١) الجن : ١ ، ٢ ، (٢) الحجر : ٩

## الباب الأول

في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته

### فضيلة القرآن

قال صل الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ رَأَى أَنَّ أَحَدًا أَوْتِيَ أَفْضَلَ مِنِّي أَوْتِيَ فَقَدْ اسْتَغْفَرَ مَا عَظَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « مَا مِنْ شَفِيعٍ أَفْضَلَ مِنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْقُرْآنِ لَا نَبِيٌّ وَلَا مَلَكٌ وَلَا غَيْرُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ مَامَسَّتْهُ النَّارُ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٤)</sup> « أَفْضَلُ عِبَادَةٍ أُمْنِي تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٥)</sup> « أَيْضًا » إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَرَأَ طَهَ وَبِئْسَ قَبْلُ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِأَلْفِ عَامٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ الْمَلَائِكَةُ الْقُرْآنَ قَالَتْ طُوبَى لِمَنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ هَذَا، وَطُوبَى لِمَنْ يَخْلُقُ بِأَلْفِ هَذَا، وَطُوبَى لِمَنْ يَنْطِقُ بِهَذَا » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٦)</sup> « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »

﴿ كتاب آداب تلاوة القرآن ﴾

﴿ الباب الأول في فضل القرآن وأهله ﴾

( ١ ) حديث من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدًا أوتي أفضل مما أوتي فقد استغفر ما عظمه الله : طيب من حديث

عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

( ٢ ) حديث ما من شافع أعظم منزلة عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره : رواه عبد الملك بن حبيب

من رواية سعيد بن سليم مرسلًا للطبراني من حديث ابن مسعود القرآن شافع مشفع

ولسلم من حديث أبي أمامة أقرءوا القرآن فإنه يحيى يوم القيامة شفيعا لصاحبه

( ٣ ) حديث لو كان القرآن في إهاب مامسته النار : الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل

ابن سعد ولأحمد والدارمي والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدي

والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف

( ٤ ) حديث أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن : أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس

واسنادها ضعيف

( ٥ ) حديث إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام - الحديث : الدارمي من حديث

أبي هريرة بسند ضعيف

( ٦ ) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه : رخ من حديث عثمان بن عفان ;

وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> « يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ دُعَائِي وَمَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلُ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ » وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٢)</sup> « ثَلَاثَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَثِيبٍ مِنْ مِسْكِ أَسْوَدَ لَا يَهُوُّهُمْ فَرْعٌ وَلَا يَنْكَلُهُمْ حِسَابٌ حَتَّى يُفْرَغَ مَا بَيْنَ النَّاسِ : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ اِتِّغَاءً وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ أَمَّ بِهِ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ ». وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٣)</sup> « أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٤)</sup> « إِنَّ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ ، فَفَقِيلَ يَارَسُولَ اللَّهِ وَمَا جِلاؤُهَا؟ فَقَالَ : تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَذِكْرُ الْمَوْتِ » وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٥)</sup> « اللَّهُ أَشَدُّ أَذْنًا إِلَى قَارِيءِ الْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ » الآثار : قال أبو أمامة الباهلي : اقرءوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة : فإن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن . وقال ابن مسعود : إذا أردتم العلم فاثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين . وقال أيضا : اقرءوا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات ، أمّا إني لأقول الحرف الم ، ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف . وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم . وقال عمرو بن العاص : كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم . وقال أيضا من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة : إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله ، وكثر خيره ، وحضرته الملائكة ، وخرجت منه الشياطين ، وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله ، وقل خيره ، وخرجت منه الملائكة ، وحضرته الشياطين . وقال أحمد بن حنبل :

( ١ ) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتى أعطيته ثواب الشاكرين : ت من حديث أبي سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أو مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف

( ٢ ) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك - الحديث : تقدم في الصلاة

( ٣ ) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته : ن في الكبرى و ه ك من حديث أنس باسناد حسن .

( ٤ ) حديث ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت : البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف

( ٥ ) حديث الله أشد أذنا إلى قاريء القرآن من صاحب القينة إلى قينته : ه ح ك و صححه من حديث فضالة بن عبيد

رأيت الله عز وجل في المنام فقلت : يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك ؟ قال بكلامي يا أحمد . قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم . وقال محمد بن كعب القرظي : إذا سمع الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعه قط . وقال الفضيل بن عياض : ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلق ، فمن دونهم ، فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه . وقال أيضا : حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهموهم من يلهمو ، ولا يسهموهم من يسهمو ، ولا يلغموهم من يلغمو ، تعظيما لحق القرآن . وقال سفيان الثوري : إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه . وقال عمرو بن ميمون : من نشر مصحفاً حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا ويروى <sup>(٢)</sup> أن خالد بن عتبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اقرأ علي القرآن فقرأ عليه ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ) الآية فقال له : أعد فأعاد ، فقال والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمورق ، وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر . وقال الحسن : والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة . وقال الفضيل : من قرأ آخاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ، ومن قرأها حين يمسي ثم مات من أيلته ختم له بطابع الشهداء . وقال القاسم بن عبد الرحمن : قلت لبعض النساك : ماها هنا أحد تستأنس به ، فديده إلى المصحف ووضع على حجره وقال : هذا . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ثلاث يزدن في الحفظ ، ويذهبن البلم : السواك ، والصيام ، وقراءة القرآن

## في ذم تلاوة الغافلين

قال أس بن مالك : رب تال للقرآن والقرآن يلعنه . وقال ميسرة : الغريب هو القرآن في جوف الفاجر . وقال أبو سليمان الدارني : الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء : إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ ، قيل له : مالك وللكلامي

( ٢ ) حديث أن خالد بن عتبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ علي فقرأ عليه أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى فقال أعد فأعاد فقال أن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر : ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال الوليد بن الغيرة بدل خالد بن عتبة وكذا ذكره ابن اسحق في السيرة بنحوه

وقال ابن الرماح : ندمت على استظهارى القرآن لأنه بلغنى أن أصحاب القرآن يسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة . وقال ابن مسعود : ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس ينامون ، وبهاره إذا الناس يفرطون ، وبجزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينا لنا ، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا

وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> « أَكْثَرُ مُنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قُرَّاءُهَا » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « أَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَا نَهَكَ ، فَإِنْ لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرُؤُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنْ اسْتَحَلَّ حَرَامَهُ »

وقال بعض السلف : إن العبد ليفتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، وإن العبد ليفتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : إذا أحل حلالها وحرّم حرامها صلت عليه وإلا لعنته . وقال بعض العلماء : إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم ، يقول . ألعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ، ألعنة الله على الكاذبين وهو منهم ! وقال الحسن : إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحلا وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله ، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود : أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ، إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به . وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضى الله عنهما <sup>(٤)</sup> « لَقَدْ عَشْنَا دَهْرًا طَوِيلًا وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ فَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَأَمْرَهَا وَزَجْرَهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى خَاتَمَتِهِ لَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَجْرُهُ وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْتَرُهُ نَزْرُ الدَّقَلِ »

- ( ١ ) حديث أكثر منافق أمتي قراؤها: أحمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيها ابن لهيعة
- ( ٢ ) حديث اقرأ القرآن مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه: طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف
- ( ٣ ) حديث ما آمن بالقرآن من استحل محارمه: ت من حديث صهيب وقال ليس اسناده بالقوى
- ( ٤ ) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرًا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن- الحديث : تقدمافي العلم

وقد ورد في التوراة : يا عبدى أما تستحي منى : يأتيتك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعده لأجله وتقرؤه وتندبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شئ منه ، وهذا كتابي أنزلته إليك ، أنظر كم فصحت لك فيه من القول ، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه ، أفكنت أهرن عليك من بعض إخوانك ! يا عبدى يقعد اليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصني إلى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو مات إليه أن كف ، وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني ، أجمعتني أهون عندك من بعض إخوانك ؟

## الباب الثاني

في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة

الأول في حال القارئ :

وهو أن يكون على الوضوء وافقاً على هيئة الأدب والسكون إماماً ، وإما جالساً مستقبل القبلة ، مطرقاً رأسه ، غير مترج وغير متمكئ ولا جالس على هيئة التكبر ، ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي أستاذه . وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً ، وأن يكون في المسجد ، فذلك من أفضل الأعمال . فان قرأ على غير وضوء وكان مضطجماً في الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك ، قال الله تعالى : ( الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ <sup>(١)</sup> ) فأتى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجماً . قال علي رضي الله عنه : من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء خمسون حسنة ، ومن قرأه على غير وضوء فمئتي حسنة ، وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب . قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه : إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل

الثاني في مقدار القراءة :

وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار ، فمنهم من يختم القرآن في اليوم واليلة مرة ، وبعضهم مرتين ، وانهى بعضهم إلى ثلاث ، ومنهم من يختم في الشهر مرة .

وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهُهُ » وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل . وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا : إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت . « وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَبْعٍ » وكذلك كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يهتمون القرآن في كل جمعة : كعثمان ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب رضي الله عنهم . ففي الختم أربع درجات : الختم في يوم وإيلة وقد كرهه جماعة ، والختم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا ، وكأنه مبالغة في الاختصار كما أن الأول مبالغة في الاستكثار ، وبينهما درجتان معتدلتان : إحداهما في الأسبوع مرة ، والثانية في الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث

والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ، ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ، ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ، ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته ، فإن الملائكة عليهم السلام تصلي عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح ، وإن كان نهارا حتى يمسي فتشمن بركتها جميع الليل والنهار . والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن خمتين في الأسبوع ، وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة ، وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة التريد والتأمل

الثالث في وجه القسمة :

أما من ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن <sup>(٣)</sup> سبعة أحزاب ، فقد حزب الصحابة رضي الله عنهم القرآن أحزابا ، فروى أن عثمان رضي الله عنه كان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائة

#### ﴿ الباب الثاني في ظاهري آداب التلاوة ﴾

- ( ١ ) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه : أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه
- ( ٢ ) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في كل أسبوع : متفق عليه من حديثه
- ( ٣ ) حديث تحزيب القرآن على سبعة أحزاب د ه من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه طرأ على حزبي من القرآن قال أوس فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدي عشرة وثلاث عشرة وحزب الفصل وفي رواية للطبراني فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزبه القرآن فقالوا كان يحزبه ثلاثا ذكره مرفوعا وإسناده حسن



وايالة البيت بالانعام إلى نورد ، وليالة الأحمد يوسف إلى مريم ، وليالة الاثنين بطه إلى طسم مرسى وفرعون ، وليالة الثلاثة بالمنكبوت إلى ص ، وليالة الأربعاء بتزليل إلى الرحمن ، ويختتم ليالة الحنيس . وابن مسعود كان يقسمه أقساما لاعلى هذا الترتيب . وقيل أحزاب القرآن سبعة : فالحزب الأول ثلاث سور ، والحزب الثاني خمس سور ، والحزب الثالث سبع سور ، والرابع تسع سور . والخامس إحدى عشرة سورة ، والسادس ثلاث عشر سورة ، والسابع الفصل من ق إلى آخره . فهكذا حزه الصحابة رضي الله عنهم ، وكانوا يقرءونه كذلك . وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء ، فانسوى هذا محدث .

#### الرابع في الكتابة :

يستحب تحسين كتابة القرآن وتبينه ، ولا بأس بالنقط والعلامات بالحررة وغيرها ، فإنها تزيين وتبين وصمد عن الخطأ واللعن لمن يقرؤه . وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والبواشر والأجزاء . وروى عن الشعبي وإبراهيم كراهية النقط بالحررة وأخذ الأجرة على ذلك ، وكانوا يقولون : جردوا القرآن . والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدي إلى أحداث زيادات وحسب للباب ، وتشوقا إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييراً ، وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ، ولا يمنع من ذلك كونه محدثاً ، فكم من محدث حسن ، كما قيل في إقامة الجماعات في التراويح إنها من محدثات عمر رضي الله عنه ، وإنها بدعة حسنة ، إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها . وبعضهم كان يقول : اقرأ في المصحف المنقوط ولا تنقطه بنفسك . وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير : كان القرآن مجرداً في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به ، فإنه نورله ، ثم أحدثوا بعده نقطا كباراً عند منتهى الآي فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح . قال أبو بكر الهذلي : سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال : وما تنقيطها ؟ قلت : يدربون الكلمة بالدرية . قال : أما إني أرى القراء أن فلا بأس به

وقال خالد الحذاء : دخلت على ابن سيرين فرأيتَه يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط . وقيل إن الحجاج هو الذى أحدث ذلك ، وأحضر القراء حتى عدّوا كلمات القرآن وحروفه وسوّوا أجزائه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام آخر  
الخامس الترتيل :

هو المستحب في هيئة القرآن لأننا سنبين أن المقصود من القراءة التفكير ، والترتيل معين عليه ، ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً . وقال ابن عباس رضى الله عنه : لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة . وقال أيضاً : لأن أقرأ إذا زلزلت والقارة أتدبرها أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهديراً . وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال : هما في الأجر سواء . واعلم أن الترتيل مستحب للمجرد التدبر ، فإن العجى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة ، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام ؛ وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال  
السادس البكاء :

البكاء مستحب مع القراءة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> « اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتبّوا » وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن » وقال صالح المري : قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : يا صالح هذه القراءة فأين البكاء ؟ وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إذا قرأت سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه . وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن ، فمن الحزن ينشأ البكاء . قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « إن القرآن أنزل بحزن فإذا قرأتموه فتعجزوا » ووجه احضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى ، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الساقية فليبك على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب

(١) حديث نعتت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هي نعتت فراءة مفسرة حرفاً حرفاً : دلت وقال حسن صحيح

(٢) حديث اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتبّوا : ه من حديث سعد ابن أبي وقاص بأسانيد جيد

(٣) حديث ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن : خ من حديث أبي هريرة

(٤) حديث أن القرآن أنزل بحزن فإذا قرأتموه فتعجزوا : أبو يعلى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف

السابع: ان يراعى حق الآيات فاذا امر بآية سجدة سجد ، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالى ، ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة . وفى القرآن أربع عشرة سجدة وفى الحج سجدتان ، وليس فى ص سجدة . وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض ، وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو فى سجوده بما يليق بالآية التى قرأها ، مثل أن يقرأ قوله تعالى : ( خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ <sup>(١)</sup> ) فيقول : اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بمحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك . وإذا قرأ قوله تعالى : ( وَيَخْرُجُونَ لِلْذِّقَانِ يَتَكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا <sup>(٢)</sup> ) فيقول : اللهم اجعلنى من الباكين إليك ، الخاشعين لك . وكذلك كل سجدة . ويشترط فى هذه السجدة شروط الصلاة : من ستر العورة ، واستقبال القبلة ، وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث . ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد . وقد قيل فى كمالها أن يكبر رافعا يديه لتحريمه ، ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم . وزاد زائدون التشهد ، ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد ، فانه ورد الأمر فى السجود فليتبع فيه الأمر ، وتكبيره الهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك ففیه بُعد . ثم المأموم ينبغى أن يسجد عند سجود الإمام ، ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموما

الثامن: أن يقول فى مبتدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يخضرون . وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله ، وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه ، الحمد لله رب العالمين ، وأستغفر الله الحى القيوم ، وفى أثناء القراءة اذا مر بآية تسبيح سبح وكبر ، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر ، وإن مر بمرجو سأل ، وإن مر بمخوف استعاذ . يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول : سبحان الله نعوذ بالله ، اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا . قال حذيفة : « صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبْتَدَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ <sup>(١)</sup> فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا سَأَلَ ، وَلَا بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا اسْتَعَاذَ ،

( ١ ) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب الا تعوذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه الا سبح . مع اختلاف لفظ

(١) السجدة : ١٥ (٢) الاسراء : ١٠٩

وَلَا بَايَةَ تَنْزِيهِهِ إِلَّا سَبَّحَ ، فَاذْفَرَّغَ قَالَ مَا كَانَ يَقُولُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup> عِنْدَ خَتَمِ الْقُرْآنِ  
« اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ  
وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ لِي حُبًّا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ »  
التاسع في الجهر بالقراءة :

ولا شك في أنه لابد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت  
بالحروف، ولا بد من صوت فأقله ما يسمع نفسه ، فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته . فأما الجهر  
بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر

• ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> قال : « فَضَّلَ قِرَاءَةَ السِّرِّ  
عَلَى قِرَاءَةِ الْعَلَانِيَةِ كَفَضْلِ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ » وفي لفظ آخر : « الْجَاهِرُ  
بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ وَالْمُسْرِي كَالْمُسْرِ بِالصَّدَقَةِ » وفي الخبر العام : « يُفْضَلُ عَمَلُ  
السِّرِّ عَلَى عَمَلِ الْعَلَانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا » وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي  
وَخَيْرُ الدَّكْرِ الْخَفِيُّ » وفي الخبر<sup>(٤)</sup> « لَا يَنْبَغِي بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ بَيْنَ الْمَرْبِ وَالْعِشَاءِ »  
وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز  
يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لعلامة : اذهب إلى هذا المصلّي فمره أن  
يخفّض من صوته فقال الغلام : إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته

( ١ ) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمي بالقرآن واجعله لي  
امامًا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمي منه ما جهلت واررقي بلاؤه آتاء الليل  
وأطراف النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين : رواه أبو منصور المطهر بن الحسين الأرجاني  
في مسائل الفراء وأبو بكر بن الصحاك في التماثل كلاهما من طريق أبي ذر المروزي من  
رواية داود ابن عيسى معصلا

( ٢ ) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية : قال وفي لفظ آخر  
الجاهر بالقرآن كالجهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالسر بالصدقة : دونت وحسنه من حديث  
عمرو بن عامر باللفظ الثاني

( ٣ ) حديث يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا : البيهقي في الشعب من حديث عائشة

( ٤ ) حديث خير الرزق ما يكفي وحير الذكر الخفي : أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص

( ٥ ) حديث لا يجهر بعضكم على بعض في المراء بين العرب والعشاء : رواه أبو داود من حديث البيهقي  
دون قوله بين العرب والعشاء والبيهقي في الشعب من حديث علي بن عبد الله وعنه عنه وفيه الحارث  
الأعور وهو ضعيف

وقال : يا أيها المصلي إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك، وإن كنت تريد الناس فانهم ان يغفوا عنك من الله شيئاً فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته ، فلما سلم أخذ نعليه وانصرف ، وهو يومئذ أمير المدينة

ويدل على استحباب الجهر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « سَمِعَ جَمَاعَةً مِنْ أُنْحَايِهِ يُجَهِّرُونَ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ فَضَوَّبَ ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى فَلْيَجْهَرْ بِالْقِرَاءَةِ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَعَمَّارَ الدَّارِ يَسْتَمِعُونَ قِرَاءَتَهُ وَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ » ومروى صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم يختلف الأحوال <sup>(٣)</sup> فمر على أبي بكر رضى الله عنه وهو يخافت ، فسأله عن ذلك ، فقال : إن الذى أناجيه هو يسعنى . ومروى على عمر رضى الله عنه وهو يجهر ، فسأله عن ذلك ، فقال : أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ، ومروى على بلال وهو يقرأ آيات هذه السورة وآيات من هذه السورة ، فسأله عن ذلك ، فقال : أخاطب الطبيب بالطبيب . فقال صلى الله عليه وسلم « كُلُّكُمْ قَدْ أَحْسَنَ وَأَصَابَ »

فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه ، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره ، فالخير المتعمد أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارىء ، ويجمع همه الى الفكر فيه ، ويصرف إليه سمعه ، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت ، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ، ولأنه يرجو بغيره تيقظ انهم فيكون منه سبب إحيائه . ولأنه قد يراه بطل

( ١ ) حديث أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون في صلاة الليل ، نصوب ذلك : ففي الصحيحين من حديث عائشة ان رجلاً قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله فلاناً - الحديث : ومن حديث أنى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيته وأنا أسمع فراءه ، الدارحة - الحديث : ومن حديثه أيضاً انما أعرف أصوات رفقة الأنعميين بالقرآن حين ياء بلون بالليل وأعرف سائرهم من أصواتهم بالقرآن : الحديث ( ٢ ) حديث اذا قام أحدكم من الليل فصلى فاجهر بهاءه فان الملائكة وعمارة الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته : رواه بنحوه زيادة فيه أبو بكر البزار وبصره الترمذي في المواعظ وأبو نجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث مسند منقطع

( ٣ ) حديث مروى صلى الله عليه وسلم بأبي بكر وهو يخاف ويعد وهو يجهر ويبلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة - الحديث : تقدم في الصلاة

خافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة ، فمضى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل ، وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر ، وبكثرة النيات تركو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم ، فإن كان في العمل الواحد عشرين نيات كان فيه عشر أجور .

ولهذا نقول : قراءة القرآن في المصاحف أفضل ، إذ يزيد في العمل النظر ، وتأمل المصحف ، وجملة ، فيزيد الأجر بسببه . وقد قيل الختمة في المصحف بسبع ، لأن النظر في المصحف أيضا عبادة . وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما ، فكان كثير من الصحابة يقرءون في المصاحف ، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف . ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه مصحف ، فقال له الشافعي : شغلكم الفقه عن القرآن ، إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فأأطبعه حتى أصبح العاشر : تحسين القراءة وترتيبها بترديد الصوت من غير تعطيط مفراط يغير النظم ، فذلك سنة . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » وقال عليه السلام : <sup>(٢)</sup> « مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ إِذْنَهُ إِحْسَنُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ » وقال صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » ، إن فقل أراد به الاستغناء ، وقيل أراد به التزني . وترديد الألحان به ، وهو أقرب عند أهل اللغة . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة <sup>(٣)</sup> ينتظر عائشة رضي الله عنها فابطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم مَا حَبَسَكَ ؟ قالت : يارسول الله كُنْتُ أَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ مَأْسَمَعَتٍ أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ ، فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اسْتَمَعَ إِلَيْهِ طَوِيلًا ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا سَأَلِمُ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ أَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَهُ <sup>(٤)</sup> واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما

( ١ ) حديث زينوا القرآن بأصواتكم : ذكره حبك وصححه من حديث البراء بن عازب

( ٢ ) حديث ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن : منفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ما أذن

الله لشيء ما أذن لشيء يتغن بالقرآن زاد من لشيء حسن الصوت وفي رواية له كأذنه لشيء يتغن بالقرآن

( ٣ ) حديث كان ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال ما حبسك قالت يارسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما

سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم

مولى أبي حديفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله : ه من حديث عائشة ورجال أسنده ثقاة

( ٤ ) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد

أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد : أحمد بن في الكبرى من حديث

عمر وث ه من حديث ابن مسعود أن أبابكر وعمر بشرا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال من أحب أن يقرأ القرآن - الحديث : قال ت حسن صحيح

فوقفوا طويلاً ثم قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًا طَوِيلًا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ »

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> لابن مسعود : اقْرَأْ عَلَى فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي ، فَكَانَ يَقْرَأُ وَعَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقِيضَانِ <sup>(٢)</sup> . واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال : « لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِنْ حَزَنٍ أَمِيرٍ آلِ دَاوُدَ » فبلغ ذلك أبا موسى فقال : يا رسول الله لو علمت أنك تسمع حَبْرَتَهُ لَكَ تَحْيِيرٌ . ورأى هَيْثَمُ التَّيَّارِيَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال فقال لي : أنت الهَيْثَمُ الَّذِي تَرِنُ الْقُرْآنَ بِصَوْتِكَ ؟ قلت : نعم . قال : جزاك الله خيراً . وفي الخبر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمرُوا أَحَدُهُمْ أَنْ يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا ، فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط ، فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة ، فيقول أولسنا في صلاة ؟ إشارة إلى قوله عز وجل ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ <sup>(٣)</sup> ) وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وفي الخبر : كتب له عشر حسنات . ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكاً في الأجر ، إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع

## الباب الثالث

في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة

فهم أصل الكلام ، ثم التعظيم ، ثم حضور القلب ، ثم التدبر ، ثم التفهم ، ثم التخلي عن موانع الفهم ، ثم التخصيص ، ثم التأثر ، ثم الترقى ، ثم التبرى ، فالأول : فهم عظمة الكلام وعلوه ، وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه . فليُنظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه

( ١ ) حديث أنه قال لا ابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ عليك وأرسل فقال إني أحب أن أسمع من

غيري - الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود

( ٢ ) حديث استمع إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزمار آل داود : متفق عليه من حديث أبي موسى

( ٣ ) حديث من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات : أحمد

من حديث أبي هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها

كانت له نوراً يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع

(١) المنكوت : ٤٥

الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ، وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات هى صفات البشر ، اذا يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله عز وجل إلا بواسطة صفات نفسه . ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسمع الكلام عرش ولا ثرى ، ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ، ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسمع كلامه كالم يطق الجبل مبادئ تجليه حيث صار دكا ، ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة ، على حد فهم الخلق . ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال : إن كل حرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف ، وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه ، حتى يأتى إسرئيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ، ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به

ولقد تأنق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى إيصال معانى الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته ، وضرب له مثلا لم يقصر فيه ، وذلك أنه دعا بعض الماوك حكيما إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام ، فسأله الملك عن أمور فاجاب بما لا يحتمله فهمه ، فقال الملك : أرأيت ما تأتى به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله ؟ فقال الحكيم : إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطيور ما يريدون من تقديعها وتأخيرها وأقبالها وإدبارها ، ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه ، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم ، وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لاثقة بهم من النقر والصفير والأصوات القرية من أصواتها لكي يطيقوا حملها ، وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بسكته وكمال صفاته ، فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت بالدواب من الناس ، ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوءة فى تلك الصفات من أن شرف الكلام أى الأصوات لشرفها وعظم تعظيمها ، فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا ، والحكمة للصوت نفسا وروحا فكان أن أجساد البشر تكرم وتعز لكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التى فيها ،



والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل ، وهو القاضى العدل ، والشاهد المرتضى ، يأمر وينهى ، ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة ، كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة ، كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ، ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ماتحيا به أبصارهم ، ويستدلون به على حوائجهم فقط ، فالكلام كالملك المحجوب ، الغائب وجهه ، النافذ أمره ، وكالشمس العزيزة الظاهرة مكونة عنصرها ، وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها ، فهو مفتاح الخزائن النفيسة ، وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يموت ، ودواء الأسقام الذي من سقى منه لم يسقم . فهذا الذى ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام ، والزيادة عليه لاتليق بعلم المعاملة ، فينبغى أن يقتصر عليه الثانى : التعظيم للمتكلم . فالقارىء عند البداية بتلاوة القرآن ينبغى أن يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر ، وأن فى تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر ، فانه تعالى قال : ( لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ <sup>(١)</sup> ) وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا ، فباطن معناه أيضا يحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير ، وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ، ولأنليل معانيه كل قلب ، ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبى جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول : هو كلام ربى ، هو كلام ربى فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ، ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله ، فاذا حضر بباله العرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما من الجن والانس والدواب والأشجار ، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد ، وأن الكل فى قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وخطوته ، إن أنعم بفضله ، وإن عاقب ببعده ، وأنه الذى يقول : هو لا إلى الجنة ولا أبالى ، وهو لا إلى النار ولا أبالى وهذا غاية العظمة والتعالى ، فبالفكر فى أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام

الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس . قيل فى تفسير ( يَا نَحْيِ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ <sup>(٢)</sup> )

(١) الواقعة : ٧٩ (٢) مريم : ١٢

أى يجد واجتهاد ، وأخذه الجهد أن يكون مقبولا له عند تداركه فاستمررت المصحة إليه عن غير ،  
وقيل لبعضهم : إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء ؟ فقال : أؤثّر أحدا إلى من القرآن  
حتى أحدث به نفسى ؟ وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية . وهذه  
الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم ، فإن المعظم للكلام الذى يتلوه يستبشر به ويستأنس  
ولا يغفل عنه ، فى القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالى أهلا له ، فكيف يطلب الأُنس  
بالفكر فى غيره وهو فى منزله ومتفرج ، والذى يتفرج فى المنزهات لا يتفكر فى غيرها ،  
فقد قيل : إن فى القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيح ورياضا وخانات ، فالميادين  
ميادين القرآن ، والراءات بساتين القرآن ، والحاءات مقاصيره ، والمسبحات عرائس القرآن ،  
والحاميات ديابيح القرآن ، والمفصل رياضه ، والخانات ماسوى ذلك فاذا دخل القارى  
الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيح وتنزه فى الرياض  
ومسكن غرف الخانات ، استغرقه ذلك ، وشغله عما سواه ، فلم يعزب قلبه ، ولم يتفرق فكره  
الرابع : التدبر وهو وراء حضور القلب ، فانه قد لا يتفكر فى غير القرآن ، ولكنه  
يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره . والمقصود من القراءة التدبر ، ولذلك  
سن فى الترتيل لأن الترتيل فى الظاهر ليمكن من التدبر بالباطن . قال على رضى الله عنه :  
لا خير فى عبادة لافقه فيها ، ولا فى قراءة لا تدبر فيها . وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بتريده  
فليردد إلا أن يكون خلف إمام ، فانه لو بقى فى تدبر آية وقد اشتغل الامام بآية أخرى كان  
مسيئا ، مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه من فهم بقية كلامه ، وكذلك  
إن كان فى تسبيح الركوع وهو متفكر فى آية قرأها إمامه فهذا وسواس ، فقد روى عن  
عاصم بن عباد ، قيس أنه قال : الوسواس يمتزى فى الصلاة ، فقل فى أمر الدنيا فقال : لأن  
تختلف فى السنة أحب إلى من ذلك ، ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى عز وجل  
وانى كيف أنصرف . فمد ذلك وسواسا ، وهو كذلك ، فانه يشغله عن فهم ما هو فيه ،  
والشيطان لا يقدر على ما إلا بأن يشغله عجم ديني ، ولكن ينمته به عن الأفضل . ولما ذكر  
ذلك تحس قال : إن كنتم صادقين عنه فما استطاع الله ذلك عندنا

ويروى « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> قَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَرَدَّهَا عِشْرِينَ مَرَّةً »  
 وَإِنَّمَا رَدَّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَدْبِيرَةٍ فِي مَعَانِيهَا . وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> بِنَا لَيْلَةَ قَقَامَ بَايَةَ يُرَدُّهَا وَهِيَ (إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ <sup>(٣)</sup>) الْآيَةَ  
 وَقَامَ تَقِيمَ الدَّارِ لَيْلَةَ بِهَذِهِ الْآيَةِ (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ <sup>(٤)</sup>) الْآيَةَ وَقَامَ سَمِيعُ  
 ابْنُ جَبْرِ لَيْلَةَ يَرُدُّ هَذِهِ الْآيَةَ (وَأَمَّا نَزْوَا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ <sup>(٥)</sup>) وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنِّي لَأَقْتَسِحُ  
 السُّورَةَ فَيُوقَفُنِي بَعْضُ مَا أَشْهَدُ فِيهَا عَنِ الْفِرَاقِ مِنْهَا حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ . وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ :  
 آيَةُ لَا أَتَقَهَّمُهَا وَلَا يَكُونُ قَلْبِي فِيهَا لَا أَعِدُّهَا ثَوَابًا . وَحَكَى عَنْ أَبِي سَلِيمَانَ الدَّارَانِي أَنَّهُ قَالَ :  
 إِنِّي لَأَتْلُو الْآيَةَ فَأَتَقِيمُ فِيهَا أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسَ لَيَالٍ وَلَوْلَا أَنِّي أَقْطَعُ الْفِكْرَ فِيهَا مَا جَاوَزْتُهَا  
 إِلَى غَيْرِهَا . وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ بَقِيَ فِي سُورَةِ هُودٍ سِتَّةَ أَشْهُرٍ يَكْرِرها وَلَا يَفْرُغُ مِنَ التَّدْبِيرِ  
 فِيهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : لِي فِي كُلِّ جُمُعَةٍ خِتْمَةٌ ، وَفِي كُلِّ شَهْرٍ خِتْمَةٌ ، وَفِي كُلِّ سَنَةٍ خِتْمَةٌ  
 وَلِي خِتْمَةٌ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا فَرَّغْتُ مِنْهَا بَعْدَ ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ دَرَجَاتِ تَدْبِيرِهِ وَتَقْتِيشِهِ . وَكَانَ  
 هَذَا أَيْضًا يَقُولُ : أَقَمْتُ نَفْسِي مَقَامَ الْأَجْرَاءِ فَأَنَا أَعْمَلُ مِثْلَ مِثْلِهِ وَمِثْلَ مِثْلِهِ وَمِثْلَ مِثْلِهِ  
 الْخَامِسُ : التَّفْهِيمُ ، وَهُوَ أَنْ يَسْتَوْضِحَ مِنْ كُلِّ آيَةٍ مَا يَلِيْقُ بِهَا إِذَا قُرِئَ أَنْ يَشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ  
 صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَذِكْرِ أَعْمَالِهِ ، وَذِكْرِ أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَذِكْرِ أَحْوَالِ  
 الْمَكْذِبِينَ لَهُمْ وَأَنْهُمْ كَيْفَ أَهْلَكُوا ، وَذِكْرِ أَوْامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ ، وَذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ  
 أَمَّا صِفَاتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَكَقُولُهُ تَعَالَى : ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ <sup>(٦)</sup> )  
 وَكَقُولُهُ تَعَالَى : ( الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْغَزِيرُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ <sup>(٧)</sup> ) فَلْيَتَأَمَّلْ  
 مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لِيَنْكَشِفَ لَهُ أَسْرَارُهَا ، فَتُحْتَجَّ مَعَانٍ مَدْفُونَةٌ لَا تَنْكَشِفُ إِلَّا  
 لِلْمُؤَفِّقِينَ ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ <sup>(٨)</sup> « مَا أَسْرَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا  
 كَتَمْتُهُ عَنِ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُؤْتِيَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فَهِيَ فِي كِتَابِهِ » فَلْيَكُنْ حَرِيصًا عَلَى طَلَبِ ذَلِكَ الْفَهْمِ

( ١ ) حَدِيثُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي حَسْبٍ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَرَدَّهَا عِشْرِينَ مَرَّةً : رَوَاهُ أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ فِي مَعْجَمِهِ مِنْ حَدِيثِ  
 أَبِي هُرَيْرَةَ بِسَنَدٍ صَعِيفٍ

( ٢ ) حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةِ بَايَةَ يَرُدُّهَا وَهِيَ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ : نَحْوُ سَنَدٍ صَحِيحٍ

( ٣ ) حَدِيثُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَوَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا كَتَمْتُهُ عَنِ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُؤْتِيَنِي اللَّهُ عَبْدًا فَهِيَ فِي كِتَابِهِ

( ٤ ) الْمَائِدَةُ : ١١٨ (٢) الْجَانَّةُ : ٢١ (٣) يَسْ : ٥٩ (٤) الشُّورَى : ١١ (٥) الْحُشُرُ : ٣٣

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن، وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته، إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لا ثقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها

وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها. فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل وجلاله، إذا لفعل يدل على الفاعل، فتدل عظمته على عظمته، فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه في كل شيء، إذ كل شيء فهو منه واليه وبه وله، فهو الكل على التحقيق، ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه، ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، لأنه سيبطل في ثاني الحال، بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو، إلا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله عز وجل وقدرته، فيكون له بطريق التبعية ثبات، وبطريق الاستقلال بطلان محض. وهذا مبدأ من مبادئ علم المكاشفة. ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله عز وجل: (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ<sup>(١)</sup>) (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ<sup>(٢)</sup>) (أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ<sup>(٣)</sup>) (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ<sup>(٤)</sup>) فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرب والمني، بل يتأمل في المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء، ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب، وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة، كما قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ<sup>(٥)</sup>) فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الأعاجيب، فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع

ن من رواية أبي حنيفة قال سألنا علياً فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فيها في كتابه - الحديث - وهو عند البخاري بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس في القرآن وفي رواية وقال مرة ما ليس عند الناس ولأبي داود والنسائي فقلنا هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعده إلى الناس قال لا إلا ما في كتابي هذا - الحديث - ولم يذكر الفهم في القرآن

(١) الواقعة: ٦٣، ٥٨، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٧

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام: فإذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فلبفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيئا، وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدره الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق وأما أحوال المكذبين: كعاد وشمود وما جرى عليهم، فيمكن فهمه منه استعمار الخوف من سطوته وتقمته، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فرجا تدركه النعمة وتنفذ فيه القضية، وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القراء، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأن ذلك لانهائية له، وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه، فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. ( قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا <sup>(١)</sup> ) ولذلك قال على رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب. فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه، ومن لم يكن له فهم ما في القراء ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى: ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ <sup>(٢)</sup> ) والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم، وقد قيل: لا يكون المريد مریدا حتى يجد في القراء كل ما يريد، ويعرف منه النقصان من المزيد، ويستغنى بالمولى عن العبيد

السادس: التخلي عن موانع الفهم، فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القراء لأسباب وحجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القراء قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «لَوْ لَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحْمُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى الْمَلَائِكَةِ» معاني القراء من جملة الملوكوت، وكل مانع عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهذه من الملوكوت وحجب الفهم أربعة:

أولها: أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخليل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمله مقصورا على خارج الحروف

(١) حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملوكوت: تقدم في الصلاة

(١) الكهف: ١٠٩ (٢) محمد: ١٦

فأني تنكشف له المعاني ؟ وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التليس  
 ثانيها : أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد  
 الانباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة ، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه  
 فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده ، فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق  
 على بصد وبذله معنى من المعاني التي تبين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال :  
 كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك ؟ فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد  
 منه ويحترز عن مثله ، ولمثل هذا قالت الصوفية إن العلم حجاب ، وأرادوا بالعلم العقائد التي  
 استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد ، أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب  
 وألقوها إليهم ، فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون  
 حجابا وهو منتهى المطلب ؟ وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا : كمن يعتقد في الاستواء  
 على العرش التمكن والاستقرار ، فان خطر له مثلا في القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز  
 على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ، ولو استقر في نفسه لانبجر إلى كشف  
 ثان وثالث ، ولتواصل ، ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضة تقليده الباطل ،  
 وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده  
 له مراتب ودرجات ، وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول  
 إلى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب قواعد العقائد

ثالثها : أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر ، مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع  
 فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرأة فيمنع جليلة الحق من أن يتجلى فيه  
 وهو أعظم حجاب للقلب ، وبه حجب الأكترون . وكلما كانت الشهوات أشد تراكما  
 كانت معاني الكلام أشد احتجابا ، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه ،  
 فالقلب مثل المرأة ، والشهوات مثل الصدا ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرأة ،  
 والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصفيل الجلاء للمرأة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>  
 « إِذَا عَظَّمْتَ أُمَّتِي الدِّينَارَ وَالذَّرْهَمَ نَزَعَ مِنْهَا هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ ، وَإِذَا تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) حديث اذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبه الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي : رواه  
 ابن أبي الدنيا في كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم

وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ جُرْمٌ مُوَا بَرَكَةُ الْوَحْيِ ، قال الفضيل : يعنى حرّموا فهم القراءان . وقد شرط الله عز وجل الانابة في الفهم والتذكير فقال تعالى ( تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ <sup>(١)</sup> ) وقال عز وجل ( وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ <sup>(٢)</sup> ) وقال تعالى ( إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ <sup>(٣)</sup> ) فالذى أثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الأبواب ، ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب رابعها : أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القراءان إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى ، وأن من فسر القراءان برأيه فقد تبوأ مقعده من النار ، فهذا أيضاً من الحجب العظيمة . وسنبين معنى التفسير بالرأى في الباب الرابع وأن ذلك لا ينافض قول على رضى الله عنه : إلا أن يؤتى الله عبداً فهماً في القرآن ، وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه

السابع : التخصيص ، وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القراءان ، فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه المنهى والمأمور ، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك ، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود ، وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضعيفه ما يحتاج اليه ، فما من قصة في القراءان إلا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمتيه ولذلك قال تعالى ( مَا تَنْبِتُ بِهِ فُؤَادَكَ <sup>(٤)</sup> ) فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء ، وصبرهم على الأذى ، وثباتهم في الدين لا انتظار نصر الله تعالى ، وكيف لا يقدر هذا القراءان ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة ، بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ، ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى : ( وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ <sup>(٥)</sup> ) وقال عز وجل ( أَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ <sup>(٦)</sup> ) ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ <sup>(٧)</sup> ) ( كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ <sup>(٨)</sup> ) ( وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ <sup>(٩)</sup> ) ( هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ <sup>(١٠)</sup> ) ( هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ <sup>(١١)</sup> ) وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قسد الأحاد ، فهذا القارىء

(١) ق : ٨ (٢) غافر : ١٣ (٣) الرعد : ١٩ (٤) هود : ١٢٠ (٥) البقرة : ٢٣١ (٦) الأنبياء : ١٠

(٧) الجحل : ٤٤ (٨) محمد : ٣ (٩) الزمر : ٥٥ (١٠) الجاثية : ٢٠ (١١) آل عمران : ١٣٨

الواحد مقصود، فإله ولسائر الناس؛ فليقدر أنه المقصود قال تعالى ( وَأَوْحِيَ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنُ )<sup>(١)</sup> لَأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ<sup>(٢)</sup> قال محمد بن كعب القرظي : من يأنز القرآن فكانما كتابه الله . وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عملاً ، بل يقرأه كما يقرأ الصبي كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ، ولذلك قال بعض العلماء : هذا القرآن رسائل أُنْتِنَا من قبل ربنا عز وجل بعهوده ، تندبرها في الصلوات ، ونقف عليها في الخلوات ، وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات . وكان مالك بن دينار يقول : ما زرع القرآن في قلوبكم يأهل القرآن ؟ إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض . وقال قتادة : لم يخالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان ، قال الله تعالى : ( هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا )<sup>(٣)</sup> الثامن : التأثر ، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات ، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ، ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه ، فإن التضييق غالب على آيات القرآن ، فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرّناً بشروط يقصر العارف عن نيلها ، كقوله عز وجل ( وَإِنِّي لَفَقَارٌ )<sup>(٤)</sup> ثم أتبع ذلك بأربعة شروط ( لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ) وقوله تعالى ( وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُ خُشْرٍ )<sup>(٥)</sup> الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بالصَّبْرِ<sup>(٦)</sup> ذكر أربعة شروط ، وحيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال تعالى ( إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ )<sup>(٧)</sup> فلا حسان يجمع الكل . وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك . فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن ، ولذلك قال الحسن : والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا أكثر حزنه وقلَّ فرحه ، وكثر بكأؤه وقلَّ ضحكته ، وكثر نصبه وشغله ، وقلَّت راحته وبعثاته

وقال وهيب بن الورد : نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق للقلوب ولا أشد استجلاً بالحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره ، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعد والتوبيخ بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت ، وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرج ، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لمظمته

(١) الانعام : ١٩ (٢) الاسراء : ٨٢ (٣) طه : ٨٢ (٤) العصر (٥) الاعراف : ٥٦



وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذا كرم الله عز وجل ولدا وصاحبة يضر صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقاتلهم ، وعند وصف الجنة ينعمت بباطنه شوقا اليها ، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها . ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) لابن مسعود : اقرأ على قال فافتحت سورة النساء فلما بلغت ( فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ) (٢) رأيت عينه تذرفان بالدمع ، فقال لي : حسبك الآن . وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية

ولقد كان في الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ، ومنهم من مات في سماع الآيات . فمثل هذه الأحوال يخرج عنه أن يكون حاكيا في كلامه فاذا قال ( إِنِّي أَنَا فُتْنٌ ) عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣) ولم يكن خائفا كان حاكيا ، واذا قال ( عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَتْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ) (٤) ولم يكن حاله التوكل والاناة كان حاكيا ، واذا قال ( وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا ) (٥) فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللحن على نفسه في قوله تعالى ( أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ) (٦) وفي قوله تعالى ( كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ) (٧) وفي قوله عز وجل ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ) (٨) وفي قوله ( فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ) (٩) وفي قوله تعالى : ( وَمَنْ لَمْ يُتِيبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) (١٠) الى غير ذلك من الآيات ، وكان داخلا في معنى قوله عز وجل : ( وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ) (١١) يعنى التلاوة المجردة ، وقوله عز وجل : ( وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ) (١٢) لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض . ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها . ولذلك قيل : إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى : مالك ولكلامي وأنت معرض عني ! دع عنك كلامي إن لم تُتِيبْ إِلَيَّ

( ١ ) حديث انه قال لابن مسعود اقرأ على : الحديث تقدم في الباب قبله

(١) النساء : ٤١ (٢) الانعام : ١٥ (٣) المتحنة : ٤ (٤) ابراهيم : ١٢ (٥) هود : ١٨ (٦) الصف : ٣ (٧) الانبياء : ١ (٨) النجم : ٣٩ (٩) الحجرات : ١١ (١٠) البقرة : ٧٨ (١١) يوسف : ١٠٥

ومثال العاصي اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه ، فلم له لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت . ولذلك قال يوسف ابن أسباط : إني لأهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار . والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل ( فَبَدَّوْهُ وَرَأَوْهُمُ ظُهُورَهُمْ وَأَشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّعًا قَلِيلًا فَبَشَّرْنَاهُمْ بِمَا يَشْتَرُونَ <sup>(١)</sup> ) ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا اتَّخَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَلَهُ جُلُودُكُمْ فَإِذَا اُخْتَلَفْتُمْ فَلَسْتُمْ تَقْرَءُونَهُ » وفي بعضها ( فَإِذَا اُخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ ) قال الله تعالى : ( الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ <sup>(٣)</sup> ) وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأَ رَأَيْتَ أَنَّهُ يُخْشَى اللَّهُ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « لَا يُسْمَعُ الْقُرْآنُ مِنْ أَحَدٍ أَشْهَى مِنْهُ مِمَّنْ يَخْشَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » فالقرءان يبراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به ، وإلا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة . ولذلك قال بعض القراء : قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فانهرنى وقال : جمعت القرآن على عملاً ، اذهب فاقراً على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك . وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة

( ١ ) حديث اقرؤوا القرآن ما اتخلفت عليه قلوبكم ولا تله جلودكم فاذا اختلفتم فليست تقرأونه وفي بعضها فاذا اختلفتم

فقوموا عنه : متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي في اللفظ الثاني دون قوله ولا تله جلودكم

( ٢ ) حديث ان احسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى : ه بسند ضعيف

( ٣ ) حديث لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى : رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره

أبو القاسم العافق في كتاب فضائل القرآن

( ٤ ) حديث مات رسول الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف

منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والاعمال من

علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفاً لعله أراد بالمدينة والافقذرونياعن أبي زرعة الرازي

انه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى

(١) آل عمران : ١٨٧ (٢) الأفعال : ٢

اختلف في اثنين منهم . وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين . وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم <sup>(١)</sup> ولما جاء واحد ليتعلم القراءة فأنتهى إلى قوله عز وجل ( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ <sup>(٢)</sup> ) قال يكفي هذا وانصرف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو فقيه . وإنما العزيز مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية ، فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى ، بل التالى باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى : ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى <sup>(٣)</sup> ) وبقوله عز وجل ( كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى <sup>(٤)</sup> ) أى تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها ، فإن المقصر في الأمر يقال إنه نسي الأمر

وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحفظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحفظ العقل تفسير المعاني ، وحفظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والالتزام . فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ

وأما من حفظ القرآن في عهده في الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قلت ومن أبو زيد قال أحد عمومي وزاد ابن أبي شيبة كالمصنف من رواية الشعبي مراسلا وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرءوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الأثير بسنده إلى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة ونحوها - الحديث : وسنده ضعيف ولترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل ما معه من القرآن فأتى على رجل من أحدهم سنا فقال ما معك يا فلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم - الحديث :

( ١ ) حديث الرجل الذي جاء ليتعلم فأنتهى إلى قوله تعالى - فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ - فقال يكفي هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه : دن في الكبرى وحبك وصححه من حديث عبد الله بن عمرو وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقترئني يا رسول الله - الحديث : وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا ثم أدير الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرويحل وأفلح الرويحل ولا حمدون في الكبرى من حديث صعدة عم الفرزدق أنه صاحب القصة فقال حسبى لأبالي أن لا أسمع غيرها

(١) الزلزلة : ٨ ، ٧ ، ٢ ، ٣ طه : ١٢٤ ، ١٢٦

التاسع الترقى : وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام ، من الله عز وجل ، لا من نفسه .  
فدرجات القراءة ثلاث .

أدناها : أن يقدر العبد كانه يقرؤه على الله عز وجل ، واقفا بين يديه ، وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهاال .  
الثانية : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطفه ، ويناجيه بانعامه وإحسانه فقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم

الثالثة : أن يرى في الكلام المتكلم ، وفي الكلمات الصفات ، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الأنعام به من حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره ، وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين ، وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين . وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال : والله لقد تجلى الله عز وجل خلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون ! وقال أيضاً . وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشياً عليه فامسرى عنه قيل له في ذلك فقال : ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته . ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة . ولذلك قال بعض الحكماء : كنت أقرأ القرآن فلا أجده حلاوة حتى تلوته كأنني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على أصحابه ، ثم رفعت الى مقام فوقع فكنت أتلوه كأنني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به ، فعندها وجدت له لذة ونعماً لا أصبر عنه . وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما : لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن . وإعاقوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام . ولذلك قال ثابت البناني : كابدت القرآن عشرين سنة ، وتنعمت به عشرين سنة . وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون المبد ممتثلاً لقوله عز وجل : ( فَقرُّوا إِلَى اللَّهِ <sup>(١)</sup> ) ولقوله تعالى : ( وَلَا تَجْمَعُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ <sup>(٢)</sup> ) فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره ، وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته

شيئاً من الشرك الخفى ، بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل  
 العاشر : التبرى ، وأعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرئى  
 والتزكية ، فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك . بل يشهد الموقنين  
 والصديقين فيها ، ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم . وإذا تلا آيات المقت وذم  
 العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه مخاطب خوفاً وإشفاقاً . ولذلك كان ابن  
 عمر رضى الله عنهما يقول : اللهم إني أستغفرك لظلمى وكفرى . فقيل له : هذا الظلم فما بال  
 الكفر ؟ فتلا قوله عز وجل : ( إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ <sup>(١)</sup> )

وقيل ليوسف بن أسباط : إذا قرأت القرآن بماذا تدعو ؟ فقال : بماذا أدعو ؟ أستغفر  
 الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير فى القراءة كان رؤيته  
 سبب قربه ، فإن من شهد العبد فى القرب لطف به فى الخوف حتى يسوقه الخوف إلى  
 درجة أخرى فى القرب وراءها ، ومن شهد القرب فى البعد مكر به بالأمن الذى يفضيه  
 إلى درجة أخرى فى البعد أسفل مما هو فيه ، ومهما كان مشاهداً نفسه بعين الرضا صار محجوباً  
 بنفسه ، فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى فى قراءته كشف له سر  
 الملكوت . قال أبو سليمان الدارنى رضى الله عنه : وعدتني أنك تقطر عندي فأخلفت  
 فأبطأ عليه حتى طلع الفجر ، فلقى أخوه من الغد فقال له : وعدتني أنك تقطر عندي فأخلفت  
 فقال : لو لا ميعادى معك ما أخبرتك بالذى حبسنى عنك : إني لما صليت العتمة قلت أوتر  
 قبل أن أجيئك لآنى لا آمن ما يحدث من الموت ، فلما كنت فى الدعاء من الوتر رفعت  
 إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فمارلت أنظر إليها حتى أصبحت

وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات إليها وإلى هواها  
 ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف : فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على  
 حاله الاستبشار تكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عياناً ، وإن غلب عليه الخوف  
 كشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها ، وذلك لأن كلام الله عز وجل يشمل على السهل اللطيف

(١) إبراهيم : ٣٤

والشديد العسوف والمرجو والخوف ، وذلك بحسب أوصافه ، إذ منها الرحمة واللفظ والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقار بها الذي يستحيل أن يكون حال المستمع واحداً والمسموع مختلفاً إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل .

## الباب الرابع

في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل

لعلك تقول : عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القراء وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه ، فكيف يستحب ذلك . وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المفسرين المنسوين إلى التصوف في تأويل كلمات في القراء على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين ، وذهبوا إلى أنه كفر ، فان صح ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القراء سوى حفظ تفسيره ؟ وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »

فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقراء إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه ، وهو مصيب في الإخبار عن نفسه ، ولكنه مخطيء في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه <sup>(٢)</sup> بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القراء متسعاً لأرباب الفهم ، قال على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبداً فهماً في القراء . فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟ وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْرًا وَبَطْنًا وَحَدًّا وَمَطْلَعًا » ويروى أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه وهو من علماء التفسير ، فما معنى الظهر

﴿ الباب الرابع في فهم القراء وتفسيره بالرأى من غير نقل ﴾

( ١ ) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم في الباب الثالث من العلم

( ٢ ) حديث الأخبار والآثار الدالة على أن في معاني القراء متسعاً لأرباب الفهم تقدم في قول على في الباب

قبله إلا أن يؤتى الله عبداً فهماً في كتابه

( ٣ ) حديث ابن القراء أن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً تقدم في قواعد العقائد

والبطن والحد والمطلع ؟ وقال علي كرم الله وجهه : لو كانت لأوفرت سبعين بعيراً من تفسير فائمة الكتاب ، فما معناه وتفسير ظاهرها في ثاية الاختصار ؟ وقال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها . وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم وما يقى من فهمها أكثر . وقال آخرون : القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم ، اذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وسند ومطلع . وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عشرين مرة لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها ، والافتزجتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد علم الأولين والآخريين فليتدبر القرآن . وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر

وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته . وهذه العلوم لانهاية لها ، وفي القرآن إشارة الى خبايعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن . ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك ، بل كل ما أشكل فيه على النظر واختلف فيه الخلائق في النظريات والمقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها ، فكيف ينى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ؟ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « اقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَاتَمَسُوا غَرَائِبَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> في حديث علي كرم الله وجهه « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَنْ أَصْلِ دِينِهَا وَجَمَاعَتِهَا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا ضَلَالَةٌ مُضِلَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ فِيهِ نَبَأً مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَنَبَأٌ مَا يَأْتِي بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا يَنْبَغِيكُمْ مَنْ خَالَفَهُ مِنْ الْجَبَابِرَةِ فَصَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ

( ١ ) حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم السئلة عشرين مرة تقدم في الباب قبله

( ٢ ) حديث اقراءوا القرآن واتمسوا غرائب ابن أبي شيبة في العنق وأبو يعلى الموصلى والبيهقى في الشعب

من حديث أبي هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف

( ٣ ) حديث علي والذى بعثني بالحق لتفترقن أمتي على أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة

مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من كان قبلكم - الحديث : بطوله هو عندت دون ذكر افتراق الامة بلفظ ألا انها ستكون فنة مضلة قتلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وأساده مجهول

الْمُتَيْنِ وَنُورُهُ الْمُبِينُ وَشِفَاؤُهُ النَّافِعُ ، عِصْمَةُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، لَا يَعْوَجُ فَيَقُومُ وَلَا يُرِيغُ فَيَسْتَقِيمُ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ التَّرْدِيدِ » الحديث . وفي حديث جُذَيْفَةَ لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> بالاختلاف والفرقة بعده قال : فقلت يا رسول الله فإذا تأمرني إن أدركت ذلك ؟ فقال : تَعْلَمُ كِتَابَ اللَّهِ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ فَهُوَ الْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ . قال : فأعدت عليه ذلك ثلاثاً فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : تَعْلَمُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ فَفِيهِ النِّجَاةُ وقال على كرم الله وجهه : من فهم القرآن فسر به جمل العلم ، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجاميع العلوم كلها : وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ( وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ) <sup>(٢)</sup> يعني الفهم في القرآن : وقال عز وجل : ( فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ) <sup>(٣)</sup> سمي ما آتاها علماً وحكماً ، وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم ، وجعله مقدماً على الحكم والعلم . فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه

فأما قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> مَنْ قَسَرَ الْقُرْآنَ رَأْيِهِ ، ونهيه عنه صلى الله عليه وسلم ، وقول أبي بكر رضي الله عنه أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأى إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأى فلا يخلو : إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم ، أو المراد به أمراً آخر . وباطل قطعاً أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه أحدها : أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُسْنَداً إليه ، وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ، ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم

(١) حديث حذيفة في الاختلاف والفرقة بعده فقلت ما تأمرني أن أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل

بما فيه - الحديث د ن في الكبرى وفيه تعلم كتاب الله وتبع ما فيه ثلاث مرات

(٢) حديث النهي عن تفسير القرآن بالرأى غريب

(٣) البقرة ٢٦٩ : (٤) الأنبياء : ٧٩



والثاني : أن الصنابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات . فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها ، وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ، ولو كان الواحد مسموعا لرُدَّ الباقي فتبين على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه ، حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقليل إن (الر) هي حروف من الرحمن وقيل : إن الألف لله ، واللام لطيف ، والراء رحيم . وقيل غير ذلك ، والجمع بين الكل غير ممكن ، فكيف يكون الكل مسموعا

والثالث : أنه صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> دعا لابن عباس رضي الله عنه وقال : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ » فان كان التأويل مسموعا كالتزويل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع : أنه قال عز وجل ( لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ<sup>(٢)</sup> ) فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع ، وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القراء ينافض هذا الخيال ، فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القراء أن بقدر فهمه وحد عقله وأما النهي فانه ينزل على أحد وجهين .

أحدهما : أن يكون له في الشيء رأى ، واليه ميل من طبعه وهواه ، فيتأول القراء على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ، ولولم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القراء ذلك المعنى ، وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القراء على تصحيح بدعته ، وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه ، وتارة يكون مع الجهل ، ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجع ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه ، أى رأيه هو الذى حمل على ذلك التفسير ، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه ، وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القراء ، ويستدل عليه بما يعلم أنه مأريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً » ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر ، وهو يعلم أن المراد به الأكل ، وكذلك يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى

( ١ ) حديث دعائه لا بن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل تقدم في الباب الثانى من العلم

( ٢ ) حديث تسحروا فان في السحور بركة تقدم في الباب الثالث من العلم

(١) النساء : ٨٣

يقول: قال الله عز وجل: ( اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى <sup>(١)</sup> ) ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون: وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الفاسدة لتغيير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل وهو ممنوع، وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغيير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القراء على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يمامون قطعاً أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي، ويكون المراد بالرأي الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى والوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القراء أن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القراء، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير. فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من يفسر بالرأى. فالتقل والسماع لابد منه في ظاهر التفسير أولاً، ليتقن به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ونحن نرمز إلى جمل منها، ليستدل بها على أمثالها، ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولاً، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر. ومن ادعى فهم أسرار القراء ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، أو يدعى فهم مقاصد الأثر من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك، فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لابد منها لفهمهم وما لابد فيه من السماع فنون كثيرة: منها الإيجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى: (وَأَتَيْنَا مُثُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا <sup>(٢)</sup>) معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها. فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولم يدرك أنهم بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم. وقوله تعالى: (وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ <sup>(٣)</sup>) أي حب العجل، فحذف الحب. وقوله عز وجل: (إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ <sup>(٤)</sup>) أي ضعف عذاب الأحياء، وضعف عذاب الموتى، فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى

(١) طه: ٢٤ (٢) الاسراء: ٥٩ (٣) البقرة: ٩٣ (٤) الاسراء: ٧٥

بذكر الحياة والموت ، وكل ذلك جائز في فصيح اللغة . وقوله تعالى : ( وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا <sup>(١)</sup> ) أى أهل القرية وأهل العير ، فالأهل فيها محذوف مضمّر . وقوله عز وجل ( ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ <sup>(٢)</sup> ) معناه خفيت على أهل السموات والأرض ، والشئ إذا خفى ثقل ، فأبدل اللفظ به وأقيم في مقام على ، وأضمر الأهل وحذف . وقوله تعالى : ( وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ <sup>(٣)</sup> ) أى شكر رزقكم . وقوله عز وجل : ( آتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ <sup>(٤)</sup> ) أى على السنة رسلك لحذف الألسنة . وقوله تعالى : ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ <sup>(٥)</sup> ) أراد القراءان وما سبق له ذكر . وقال عز وجل : ( حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ <sup>(٦)</sup> ) أراد الشمس وما سبق لها ذكر . وقوله تعالى : ( وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى <sup>(٧)</sup> ) أى يقولون ما نعبدهم . وقوله عز وجل ( قُلْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا . مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ <sup>(٨)</sup> ) معناه لا يفقهون حديثا ، يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله ، فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله ( قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ <sup>(٩)</sup> ) وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب : كقوله تعالى ( وَطُورِ سِينِينَ <sup>(١٠)</sup> ) أى طور سيناء (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ <sup>(١١)</sup> ) أى على الياس ، وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر : كقوله عز وجل : ( وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ <sup>(١٢)</sup> ) معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن . وقوله عز وجل : ( قَالِ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ <sup>(١٣)</sup> ) معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر : وهو مضنة الغلط . كقوله عز وجل : ( وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى <sup>(١٤)</sup> ) معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لازما ولولا لكان نصبا كاللزام . وقوله تعالى : ( يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَافِيَةٌ عَلَيْهَا <sup>(١٥)</sup> ) أى يسئلونك عنها كأنك خفي بها . وقوله عز وجل : ( لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ <sup>(١٦)</sup> )

(١) يوسف : ٨٢ (١٥، ٢) الاعراف : ١٨٧ (٣) الواقعة : ٨٢ (٤) آل عمران : ١٩٤ (٥) القدر : ١ (٦) ص : ٣٢ (٧) الزمر : ٣ (٨، ٩) النساء : ٧٩ ، ٧٨ (١٠) التين : ٢ (١١) الصافات : ١٣٠ (١٢) يونس : ٦٦ (١٣) الاعراف : ٧٥ (١٤) طه : ٢٩ (١٥) الأنفال : ٤ ، ٥

فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد إلى قوله السابق قل الانفال لله والرسول. كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، أى فصارت أنفال الغنائم لك ، إذا أنت راض بخروجك وهم كارهون ، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ، ومن هذا النوع قوله عز وجل : ( حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ )<sup>(١)</sup> الآية

ومنها المبهم: وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف ، أما الكلمة فكالمشئ والقرين ، والامة ، والروح ، ونظائرها . قال الله تعالى : ( ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ )<sup>(٢)</sup> أراد به النفقة مما رزق . وقوله عز وجل : ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ )<sup>(٣)</sup> أى الأمر بالعدل والاستقامة . وقوله عز وجل : ( فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ )<sup>(٤)</sup> أراد به من صفات الربوبية وهى العلوم التى لا يحل السؤال عنها حتى يتدنى بها العارف فى أوان الاستحقاق . وقوله عز وجل : ( أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ )<sup>(٥)</sup> أى من غير خالق ، فربما يتوهم به أنه لا يخلق شئ إلا من شئ وأما القرين . فكقوله عز وجل : ( وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ . أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ )<sup>(٦)</sup> أراد به الملك الموكل به ، وقوله تعالى : ( قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ )<sup>(٧)</sup> أراد به الشيطان وأما الأمة : فتطلق على ثمانية أوجه ، الامة الجامعة . كقوله تعالى : ( وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ )<sup>(٨)</sup> وأتباع الأنبياء ، كقولك نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجل جامع للخير يقتدى به . كقوله تعالى : ( إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ )<sup>(٩)</sup> والامة الدين . كقوله عز وجل : ( إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ )<sup>(١٠)</sup> والامة الحين والزمان . كقوله عز وجل ( إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ )<sup>(١١)</sup> وقوله عز وجل : ( وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ )<sup>(١٢)</sup> والامة القامة ، يقال فلان حسن الأمة أى القامة ، وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد . قال صلى الله عليه وسلم<sup>(١٣)</sup> « يُبْعَثُ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ نُفَيْلٍ أُمَّةً وَحْدَهُ » والامة الأم . يقال هذه امة زيد أى أم زيد والروح أيضا ورد فى القرآن على معان كثيرة فلا نطول بإيرادها

(١) حديث يعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده فى الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء بنت أبى بكر بإسنادين جيدين

(٢) للممتحنة : ٤ (٣، ٢) النحل : ٧٥ ، ٧٦ (٤) الكهف : ٧٠ (٥) الطور : ٣٥ (٦) ق : ٢٣ (٧) فى : ٢٧

(٨) القصص : ٢٣ (٩) النحل : ١٢٠ (١٠) الزخرف : ٢٢ (١١) هود : ٨ (١٢) يوسف : ٥٥

وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله عز وجل: ( فَأَنْزَلْنَاهُ نَقْعًا فَوْسَطُنَ بِهِ جَمْعًا <sup>(١)</sup> )  
فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي الموريات ، أى أنزل بالحوافر نقعا . والثانية كناية  
عن الاغارة ، وهي المغبرات صجحا فوسطن به جمعا ، جمع المشركين فأنزلوا بجمعهم . وقوله تعالى  
( فَأَنْزَلْنَاهُ بِالْمَاءِ <sup>(٢)</sup> ) بمعنى السحاب ( فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ <sup>(٣)</sup> ) يعنى الماء وأمثال  
هذا في القرآن لا ينحصر

ومنها التدريج في البيان . كقوله عز وجل: ( شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ <sup>(٤)</sup> )  
إذ لم يظهر به انه ليل أو نهار . وبأن بقوله عز وجل: ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي آيَةٍ مُبَارَكَةٍ <sup>(٥)</sup> ) ولم  
يظهر به أى ليلة فظهر بقوله تعالى: ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي آيَةٍ أُتْقَنٍ <sup>(٦)</sup> ) وربما يظن في الظاهر  
الاختلاف بين هذه الآيات ، فهذا وأمثاله مما لا يغنى فيه إلا النقل والسمع ، فالقرآن من  
أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس ، لأنه أنزل بلغة العرب ، فكان مشتملا على أصناف  
كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقدير وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم  
ومعجزا في حقهم ، فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية ، وبأدر إلى تفسير القرآن ولم  
يستظهر بالسمع والنقل في هذه الأمور ، فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه ، مثل أن  
يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه ، فيميل بلبه ورأيه إليه ، فإذا سمعه في موضع آخر مال  
برأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثير معانيه ، فهذا ما يمكن أن يكون  
منهيا عنه دون التفهم لأسرار المعاني كما سبق : فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم  
ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ، ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ، ويدرك الفرق  
بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بآمال ، وهو أن الله عز وجل : قال ( وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى <sup>(٧)</sup> ) فظاهر تفسيره واضح ، وحقيقة معناه غامض ، فانه أثبات للرعى ،  
ونفى له ، وهما متضادان في الظاهر ، ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه  
الذى لم يرم رماه الله عز وجل ، وكذلك قال تعالى: ( قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ <sup>(٨)</sup> ) فإذا  
كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب ، وإن كان الله تعالى هو المعذب  
بتحريك أيديهم : فامعنى أمرهم بالقتال ؛ حقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات

(١) العاذيات : ٥٠ ، ٥١ (٢) الاعراف : ٥٧ (٣) البقرة : ١٨٥ (٤) النحل : ٣ (٥) القمر : ١

(٦) الانفال : ١٧ (٧) التوبة : ١٤

لا يبغي عنه ظاهر التفسير ، وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدره الحادثة ، ويفهم وجه ارتباط القدره بقدره الله عز وجل حتى ينكشف بعد ايضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل : ( وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ) (١) ولعل العمر لو أنفق في استكشاف أسرار هذا المعنى ، وما يرتبط بمقدماته ولواحقه ، لا تنقضي العمر قبل استيفاء جميع لواحقه ، وما من كلمة من القرآن إلا وتحتفيها ملحوج إلى مثل ذلك ، وإنما ينكشف للراخين في العلم من أسرار به قدر غزارة علومهم ، وصفاء قلوبهم ، وتوفير دواعيهم على التدبر ، وتجردهم للطلب ، ويكون لكل واحد حد في الترقى إلى درجة أعلى منه ، فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار أفلاما ، فاسرار كلمات الله لانهية لها ، فتنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات الله عز وجل ، فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير ، وظاهر التفسير لا يبغي عنه ، ومثاله فهم بعض أبواب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم (٢) « أَعُوذُ بِرَبِّكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِمَا فَاتَكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ » أنه قيل له اسجد واقترب ، فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستأذ ببعضها من بعض ، فان الرضا والسخط وصفان ، ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى إلى الذات ، فقال « أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ » ثم زاد قربه بما استجابه من الاستعاذه على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فآثني بقوله « لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ » ثم علم أن ذلك قصور فقال « أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ » فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ، ثم لها أغوار وراء هذا ، وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ، ومعنى الاستعاذه من صفة بصفة ومنه به ، وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه ، وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ، ووصول إلى لبابه عن ظاهره ، فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم :  
تم كتاب آداب التلاوة ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد خاتم النبيين ، وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين ، وعلى آل محمد وحجبه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات ، والله المستعان لأرب سواه

( ١ ) حديث قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بما فاتك من عقوبتك  
الحديث : مسلم من حديث عائشة

# كتاب الأذكار والدعوات

## كتاب الأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاملة رأفته ، العامة رحمته ، الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى :  
( فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ <sup>(١)</sup> ) ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال ( ادْعُونِي أَسْتَجِبْ  
لَكُمْ <sup>(٢)</sup> ) فأطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله ، برفع  
الحاجات والأمانى ، بقوله ( فَأِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ <sup>(٣)</sup> ) والصلاة على  
محمد سيد أنبيائه ، وعلى آله وأصحابه خيرة أصفياه ، وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد : فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدي باللسان أفضل من ذكر  
الله تعالى ، ورفع الحاجات بالادعية الخالصة إلى الله تعالى ، فلا بد من شرح فضيلة الذكر على  
الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار ، وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ، ونقل المأثور  
من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة  
وغيرها ، ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة

الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائده جملة وتفصيلاً

الباب الثاني : في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث : في أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها

الباب الرابع : في أدعية منتخبة محذوفة الاستناد من الادعية المأثورة

الباب الخامس : في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث

## الباب الأول

في فضيلة الذكر وفائده على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار  
ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى : ( فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ <sup>(١)</sup> )  
قال ثابت البناني رحمه الله . اني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففرعوا منه وقالوا كيف  
تعلم ذلك ؟ فقال إذا ذكرته ذكرني ، وقال تعالى : ( اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا <sup>(٢)</sup> ) وقال تعالى  
( فَأَذَّا أَفْضَلُكُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ <sup>(٣)</sup> )

١- البقرة : ١٥٢ (٢) غافر : ٦٠ (٣) البقرة : ١٨٦ (٤) الأحزاب : ٤١ (٥) البقرة : ١٩٨



وقال عز وجل : (فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا<sup>(١)</sup>)  
وقال تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ<sup>(٢)</sup>) وقال تعالى : (فَإِذَا قُضِيَتْ  
الصَّلَاةُ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ<sup>(٣)</sup>) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي  
بالليل والنهار في البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر  
والعلانية ، وقال تعالى في ذم المنافقين (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(٤)</sup>) وقال عز وجل :  
(وَإِذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ  
وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ<sup>(٥)</sup>) وقال تعالى : (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ<sup>(٦)</sup>) قال ابن عباس رضي الله عنهما  
له وجهان ، أحدهما . أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه ، والآخر . أن ذكر الله أعظم  
من كل عبادة سواه ، إلى غير ذلك من الآيات

وأما الأخبار : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالشَّجَرَةِ  
الْحَضْرَاءِ فِي وَسْطِ الْمَهْشِيمِ<sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم : « ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالْمَلَأَتِلِ  
بَيْنَ الْفَارِزَيْنِ » وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> يقول الله عز وجل : « أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي  
وَتَحَرَّكَتْ شَفَتَاهُ بِي » وقال صلى الله عليه وسلم : « مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أُنجِيَ لَهُ  
مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال :  
« وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقُطِعَ ثُمَّ تَضْرِبَ بِهِ حَتَّى يَنْقُطِعَ ثُمَّ تَضْرِبَ  
بِهِ حَتَّى يَنْقُطِعَ » وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْتَفَعَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَلْيُكْثِرْ<sup>(٣)</sup> »

( ١ ) حديث ذكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط المهشيم : أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب

من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال في وسط الشجر - الحديث

( ٢ ) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدی ما ذكرني وتحركت بي شفاهه : هـ حب من حديث أبي هريرة

وك من حديث أبي الدرداء وقال صحيح الأسناد

( ٣ ) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أنجي له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد

في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات : ابن

أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بأسناد حسن

( ٤ ) حديث من أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى : ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني

من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبراني في الدناء من حديث أنس وهو عند ت بلفظه

إذا مررتم رياض الجنة فارتعوا : وقد تقدم في الباب الثالث من العلم

(١) البقرة : ٢٠٠ (٢) آل عمران : ١٩١ (٣) النساء : ١٠٣ (٤) النساء : ١٤٢ (٥) الاعراف : ٢٠٥

١ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « وَسئِلْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) أَى الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: « أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٢) « أَصْبَحُ وَأُمْسُ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ تُصْبِحُ وَتُمْسِي وَلَيْسَ عَلَيْكَ خَطِيئَةٌ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٣) « لَدِكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَدَاةِ وَالْعَشَى أَفْضَلُ مِنْ حَطْمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمِنْ إِعْطَاءِ الْمَالِ سُخًّا » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: « إِذَا ذَكَرْتَنِي عَبْدِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِذَا ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْ مَلِيهِ وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْئًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا مَشَى إِلَيَّ هَرَوَلْتُ إِلَيْهِ » يَعْنِي بِالْهَرَوَلَةِ سُرْعَةَ الْجَابَةِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » مِنْ جَمَلَتِهِمْ « رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » وَقَالَ أَبُو الدَّرَاءِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (٦) « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الْوَرِقِ وَالذَّهَبِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوهُمْ أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُونَ أَعْنَاقَكُمْ » قَالُوا وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ « ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دَائِمًا » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧) قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَ أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ

(١) حديث سئل أى الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى: حب وطيب في الدعاء

والبيهقي في الشعب من حديث مباد

(٢) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله نصبح وتسمى وليس عليك خطيئة: أبو القاسم الإصهاني

في الترغيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسى

ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف

(٣) حديث لذكر الله بالعدة والعشى أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سخا: رويناه

من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كراواه ابن عبد البر في التمهيد

(٤) حديث قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي - الحديث: متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٥) حديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه: متفق

عليه من حديث أبي هريرة أيضا

(٦) حديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم - الحديث: ت ه ك

وصحح إسناده من حديث أبي الدرداء

(٧) حديث قال الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيت أفضل ما أعطى السائلين: خ في التاريخ

والبزار في المسند والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا

ذكره حب في الضعفاء وفي الثقات أيضا

وأما الآثار: فقد قال الفضيل : بلغنا أن الله عز وجل قال : عبدى، اذكرنى بعد الصبح ساعة، وبعد العصر ساعة، أكفك ما بينهما . وقال بعض العلماء : ان الله عز وجل يقول : أيما عبد أطلعت على قلبه، فرأيت الغالب عليه التمسك بكبرى، توليت سياسته وكنيت جليسه، ومحادثه وأنيسه . وقال الحسن: الذكر ذكر ان، ذكر الله عز وجل، بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره، وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل. ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا إذا ذكر الله عز وجل . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء، إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها . والله تعالى أعلم

## فضيلة مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَحَبَّ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ قَوْمُوا مَغْفُورًا لَكُمْ قَدْ بَدَلْتُ لَكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ » وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال داود صلى الله عليه وسلم : « إِلَهِي إِذَا رَأَيْتَنِي أَجَاوِزُ مَجَالِسَ الذَّاكِرِينَ إِلَى مَجَالِسِ الْغَافِلِينَ فَاصْبِرْ رَجُلِي دُونَهُمْ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تُنْعَمُ بِهَا عَلَيَّ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> : « الْمَجْلِسُ الصَّالِحُ يَكْفُرُ عَنِ الْمُؤْمِنِ أَلْفَ مَجْلِسٍ مِنَ الْمَجَالِسِ السُّوءِ »

( ١ ) حديث ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله تعالى الاحصت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله

فيمن عنده : م من حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء

قوموا مغفور لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات : أحمد وأبو يعلى والطبرانى بسند ضعيف من حديث أنس

( ٣ ) حديث ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فيه الا كان عليهم حسرة

يوم القيامة : ت وحسنه من حديث أبي هريرة

( ٤ ) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء : ذكره صاحب المردوس

من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرج له ولده وكذلك لم أجده له أسناداً :

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم . وقال سفيان بن عيينة رحمه الله ، إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى ، اعتزل الشيطان والدنيا ، فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون ؟ فتقول الدنيا دعهم فانهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك .<sup>(١)</sup> وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه دخل السوق وقال : اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد ! فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق ، فلم يزوميراثا ، فقالوا يا أبا هريرة مارأينا ميراثا يقسم في المسجد ، قال فإذا رأيتم ؟ قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤون القرآن ، قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال<sup>(٢)</sup> « إن لله عز وجل ملائكة سيّاحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بُعيتكم . فيجيئون فيحشون بهم إلى السماء فيقول الله تبارك وتعالى أي شيء تركتم عبادي يصنعونه . فيقولون تركناهم يحمّدونك ويمجّدونك ويسبحونك . فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا . فيقول جلّ جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا أشدّ تسديحاً وتحميداً وتعجيداً . فيقول لهم من أي شيء يتعوذون . فيقولون من النار . فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها . فيقولون لو رأوها لكانوا أشدّ هرباً منها وأشدّ نفوراً . فيقول الله عز وجل . وأي شيء يطلبون ؟ فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا . فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشدّ عليها حرصاً . فيقول جلّ جلاله إني أشهدكم . أني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردّهم إنما جاء حاجة . فيقول الله عز وجل . هم القوم لا يشقى جليسهم »

( ١ ) حديث أبي هريرة أنه دخل السوق وقال اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق - الحديث : الطبراني في المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة أو انقطاع

( ٢ ) حديث الأعمش عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل

ملائكة سيّاحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس - الحديث : رواه من هذا الوجه والحديث في

الصحيحين من حديث أبي هريرة وحده وقد تقدم في الباب الثالث من العلم

## فضيلة التلبيح

قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَحُجِبَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمَسِّيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدًا بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> مَا مِنْ عَبْدٍ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ رَفَعَ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي نُشُورِهِمْ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الصَّيْحَةِ يَنْفُضُونَ رُؤُوسَهُمْ مِنَ التَّرَابِ وَيَقُولُونَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> أَيْضًا لِأَبِي هُرَيْرَةَ « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّ كُلَّ حَسَنَةٍ تَعْمَلُهَا تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهَا لَا تَوُضَعُ فِي مِيزَانٍ لِأَنَّهَا لَوْ وَضِعَتْ فِي مِيزَانٍ مِنْ قَالِهَا صَادِقًا وَوُضِعَتْ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ كَانَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَرْجَحَ مِنْ ذَلِكَ »

( ١ ) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله - الحديث : تقدم في الباب الثاني من الحج

( ٢ ) حديث من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد علي كل شيء قدير مائة مرة

الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

( ٣ ) حديث ما من عبد توضع فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله - الحديث

د من حديث عتبة بن عامر وقد تقدم في الطهارة

( ٤ ) حديث ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور - الحديث : أبو يعلى والطبراني

والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف

( ٥ ) حديث يا أبا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة أن لا اله الا الله فانها لا توضع في

ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع

وما فيهن كان لا اله الا الله أرحح من ذلك قلت وصية أبي هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث

رواه المستغفري في الدعوات ولو جعلت لا اله الا الله وهو معروف من حديث أبي سعيد

مرفوعاً لو أن السموات السبع وعمارهن غيرى والأرضين السبع في كفة مالت بهن

لا اله الا الله روائه في اليوم والليلة وجب ولك وصحة

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «لَوْ جَاءَ قَائِلٌ لِإِلَهِ الْإِلَهِ صَادِقًا بِقَرَابِ الْأَرْضِ ذُنُوبًا لَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ»  
وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ لَقَدْ أَلْمَوْتِي شَهَادَةً أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ  
هَذَا مَا» قلت يا رسول الله هذا الموتى فكيف للاخياء؟ قال صلى الله عليه وسلم هي أهدم وأهدم  
وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» وقال صلى الله عليه وسلم  
<sup>(٤)</sup> «لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلَّا مَنْ أَبِي وَشَرَّدَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شِرَادَ الْبَعِيرِ عَنْ أَهْلِهِ»  
فقل يا رسول الله من الذي يأبى ويشرد عن الله قال «مَنْ لَمْ يَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَكْثَرُوا  
مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ يَنْتَكُمُ وَيَنْتَافِئَهَا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ  
وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَهِيَ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى  
وَهِيَ ثَمَنُ الْجَنَّةِ» وقال الله عز وجل (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ <sup>(١)</sup>)

(١) حديث لو جاء حامل لا اله الا الله صادقا بقربا الارض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ وللمزمذى  
في حديث لانس يقول الله يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك  
بى شيأ لأبنيك بقرامها مغفرة ولأبى الشيخ في الثواب من حديث أنس يارب محزاء من  
همل مخلصا من قلبه فال جزاؤه أن يكون كيوم ولدت أمه من الذنوب وفيه انقطاع  
(٢) حديث ياأبا هريرة لئن الموتي شهادة أن لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب - الحديث : أبو منصور  
الدبلى في مسند الفردوس من طريق ابن المقرئ من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن  
وردان مختلف فيه وزواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في  
المختصرين من حديث الحسن مرسلا

(٣) حديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة : الطبراني من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف  
(٤) حديث لندخان الجنة كلهم الا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله : البخارى من حديث  
أبي هريرة كل أمق يدخلون الجنة الامن أبى : زادك وصحها وشرد على الله شرود البعير على  
أهله قال البخارى قالوا يا رسول الله وهن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصاني فقد  
أبى : ولا بن عدى وأبى يعلى والطبراني في الدعاء من حديثه أكثر من قول لا اله الا الله قبل  
أن يحال بينكم وبينها وفيه ابن وردان أيضا ولأبى الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن  
عمير الحالى مرسلا اذا قلت لا اله الا الله وهي كلمة التوحيد - الحديث والحكم ضعيف ولأبى بكر  
ابن الضحاك في التماثل من حديث ابن مسعود في إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة  
المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الاخلاص ولا بن عدى من حديث ابن عمر في إجابة  
المؤذن دعوة الحق وللطبراني في الدعاء عن عبد الله بن عمر وكلمة الاخلاص لا اله الا الله  
- الحديث : وللطبراني من حديث سلمة بن الأكوع وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله  
وللطبراني في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا اله الا الله وله عنه في قوله دعوة  
الحق قال شهادة أن لا اله الا الله وله عنه فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا اله الا الله ولا بن  
عدى والمستغفرى من حديث أنس ثمن الجنة لا اله الا الله ولا يصح شيء منها

فقل الاحسان في الدنيا، قول لا إله إلا الله، وفي الآخرة الجنة . وكذا قوله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْرَىٰ وَزِيَادَةٌ<sup>(١)</sup>) وروى البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال <sup>(١)</sup> «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ رَقَبَةٍ أَوْ قَالَ نَسَمَةً» وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَتِي مَرَّةً لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ وَلَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدَهُ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِأَفْضَلِ مِنْ عَمَلِهِ» وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ فِي سُوقٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» <sup>(٣)</sup> وروى أن العبد إذا قال لا إله إلا الله . أتت إلى صحيفته ، فلا تمر على خطيئة إلا محتها . حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها . وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> أنه قال «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> أنه قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي غُفْرًا لَهُ أَوْ دَعَا أُسْتَجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَصَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»

( ١ ) حديث البراء من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له - الحديث : الحاكم وقال صحيح على شرط

الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات

( ٢ ) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة

لا إله إلا الله وحده لا شريك له - الحديث : أحمد بلفظ مائة وكذا رواه كوفي المستدرک واسناده

جيد وهكذا هو في بعض نسخ الاحياء

( ٣ ) حديث ابن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها

فتجلس إليها: أبو يولى من حديث أنس بسند ضعيف

( ٤ ) حديث أبي أيوب من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر

مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل : متفق عليه

( ٥ ) حديث عبادة بن الصامت من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله - الحديث : رواه خ

## فضيلة التسبيح والتحميد

وبقية الأذكار

قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَبَّحَ <sup>(١)</sup> دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمْدَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَخَتَمَ الْمِائَةَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> : « مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » وروى أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> فقال : تولت عنى الدنيا ، وقللت ذات يدي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ وَتَسْبِيحِ الْخَلَائِقِ وَبِهَا يُرْزَقُونَ » قال فقللت وماذا يا رسول الله ؟ قال : « قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ تُصَلِّيَ الصُّبْحَ تَأْتِيكَ الذُّنُوبُ رَاغِمَةً صَاحِرَةً وَيَخْلُقُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مَلَكًا يُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَكَ ثَوَابُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> : « إِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الثَّانِيَةَ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الثَّالِثَةَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : سَلْ تُعْطَ »

(١) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين - الحديث : م من حديث أبي هريرة

(٢) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياهم وان كانت مثل زبد البحر : متفق عليه

من حديث أبي هريرة

(٣) حديث أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تولت عنى الدنيا وقللت ذات يدي فقال رسول الله عليه وسلم

فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون - الحديث : المستغفر في الدعوات

من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا في حديث مالك ولا أحمد

من حديث عبد الله بن عمرو أن نوحا قال لابنه آمرك بلا إله إلا الله - الحديث ثم قال وسبحان

الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وإسناده صحيح

(٤) حديث إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض وإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء

السابعة إلى الأرض وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعط : غريب بهذا اللفظ لم أجد



قال رفاعة الزرقى كنا يوما نصلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> فلما رفع رأسه من الركوع ، وقال سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال « مَنْ أُمْتُكَلِّمْ أَنْفَا ؟ » قال أنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ رَأَيْتُ بُضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَتَنَدَّرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلًا » وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :<sup>(٢)</sup> « الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ هُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِلَّا غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » رواه ابن عمر . وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :<sup>(٤)</sup> « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَحْمِيدِهِ يَنْعُطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ هُنَّ دَوَى كَدَوَى النَّحْلِ يَذْكُرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ أَوْ لَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ عِنْدَ اللَّهِ مَا يَذْكُرُ بِهِ » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> قال : « لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ » وفي رواية أخرى زاد « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ »

( ١ ) حديث رفاعة الزرقى كنا يوما نصلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع

الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه - الحديث : رواه خ

( ٢ ) حديث الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله

ن في اليوم والليلة وحب لك وصححه من : حديث أبي سعيد ون لك من حديث أبي هريرة دون

قوله ولا حول ولا قوة الا بالله

( ٣ ) حديث ما على الأرض رجل يقول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله

الاغفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر : لك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على

شرط مسلم وهو عند حسنه ون في اليوم والليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله

( ٤ ) حديث النعمان بن بشير الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتحميده وتنجيله وتحميده ينعطف

حول العرش له دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبه - الحديث : هو ك وصححه على شرط م

( ٥ ) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس

وزاد في رواية ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها : م باللفظ الأول وللمستغرق

في الدعوات من رواية مالك بن دينار ان أبا أمامة قال النبي صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله

والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أعظم القوم وهو مرسل جيد الاسناد

وَقَالَ هِيَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: <sup>(١)</sup> «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا يَضُرُّكَ بَائِسٌ بَدَأَتْ» رواه سمرة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> كان يقول: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ يَمْلَأُنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو. فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَوْقَ بَيْتِهَا. أَوْ مُشْتَرٍ نَفْسَهُ فَمَعْنَتِهَا». وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» وقال أبوذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> أَيُّ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اصْطَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ سُبْحَانَ اللَّهِ كَتَبَتْ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً وَنَحَطَتْ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً وَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ فِثْلُ ذَلِكَ» وذكر إلى آخر الكلمات. وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله

(١) حديث سمرة بن جندب أحب الكلام إلى الله أربع - الحديث: رواه

(٢) حديث أبي مالك الأشعري الطهور شرط الإيمان والحمد لله تملأ الميزان - الحديث: رواه وقد تقدم في الطهارة

(٣) حديث أبي هريرة كلمتان خفيفتان على اللسان - الحديث: منقح عليه

(٤) حديث أبي ذر أي الكلام أحب إلى الله قال ما صطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

رواه م دون قوله سبحان الله العظيم

(٥) حديث أن الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله - الحديث: ن في اليوم والليلة وك وقال صحيح على

شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الاثنيهما قالوا في ثواب الحمد لله كتبت له

ثلاثون حسنة ونحطت عنه ثلاثون سيئة

(٦) حديث جابر من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة: ت وقال حسن ون في اليوم والليلة

وحب وك وقال صحيح على شرط م وصححه

صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> ذهب أهل الدثور بالأجور، يصالون كما نصلي، ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال « أُولَئِكَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَاتَصَدَّقُونَ بِهِ إِنْ لَكُمْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَتَحْمِيدَةٍ وَتَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَتَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَرْبَعُونَ مَرَّةً صَدَقَةٌ وَهِيَ عَنْ مُشْكِرِ صَدَقَةٍ وَيَضَعُ أَحَدُكُمْ أَلْقَمَةً فِي فِي أَهْلِهِ فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال صلى الله عليه وسلم « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَمْ كَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ كَذَلِكَ إِنْ وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ » وقال أبو ذر رضى الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> « سَبَقَ أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِالْأَجْرِ. يَقُولُونَ كَمَا تَقُولُ وَيُنْفِقُونَ وَلَا يُنْفِقُ ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَفَلَا أَذْكَ عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنْتَ عَمَلْتَهُ أَذْرَكَتَ مِنْ قَبْلِكَ، وَفُتَّتَ مِنْ بَعْدِكَ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِكَ تُسَبِّحُ اللَّهَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ». وروى بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> أنه قال « عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ فَلَا تَغْفُلَنَّ وَاعْقِدَنَّ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهَا مُسْتَنْطَقَاتٌ » يعنى بالشهادة في القيامة. وقال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> يعقد التسبيح. وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري<sup>(٥)</sup> « إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَالَ تَعَالَى صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(١) حديث أبي ذر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصالون كما نصلي

الحديث : رواه م

(٢) حديث أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الاموال بالاجر يقولون كما تقول

وينفقون ولا تنفق - الحديث : رواه ه الا أنه قال قال سفيان لأدري أيهن أربع ولاحمد في هذا الحديث وتحمد أربعاً وثلاثين واسنادها جيد ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبر أربعاً وثلاثين كما ذكر المصنف

(٣) حديث بسرة عليكن بالتسبيح والتهلل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات : ذلك باسناد جيد

(٤) حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح قلت انما هو عبد الله بن عمرو بن العاص : كما رواه د ن ت وحسنه وك

(٥) حديث أبي هريرة وأبي سعيد إذا قال العبد لا اله الا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي - الحديث : ت وقال حسن ون في اليوم واليلة وهكذا وصححه

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ صَدَقَ عَبْدِي لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي وَمَنْ قَالَهُنَّ عِنْدَ الْمَوْتِ لَمْ تَمْسُهُ النَّارُ» وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> أنه قال أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فقل كيف ذلك يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: يسبح الله تعالى مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٢)</sup> «يا عبد الله بن قيس أو يا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة إلا بالله» وفي رواية أخرى «ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش لا حول ولا قوة إلا بالله» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <sup>(٣)</sup> «ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم» وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٤)</sup> «من قال حين يصبح رضى الله رباً وبالاسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة» وفي رواية «من قال ذلك رضى الله عنه» وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته، فقال بسم الله، قال الملك هديت، فإذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت، وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله، قال الملك وقيت فتفرق عنه الشياطين فيقولون ماتريدون من رجل، قد هدى وكفى ووقى لا سبيل لكم إليه فان قلت: فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان، وقلة التعب فيه، صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشتقات فيها

(١) حديث مصعب بن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وسلم - الحديث : م إلا أنه

قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح

(٢) حديث ياعبد الله بن قيس أو يا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة إلا بالله : متفق عليه

(٣) حديث أبي هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله أسلم عبدي واستسلم: ن في اليوم والليلة و لك من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقال صحيح الاسناد

(٤) حديث من قال حين يصبح رضى الله رباً - الحديث : د ن في اليوم والليلة و لك وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر ففيه سعد بن الرزبان ضعيف جدا .

فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة . والقدر الذى يسمح بذكره فى علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب ، فاما الذكر باللسان والقلب لا يفرو قليل الجدوى ، وفى الأخبار ما يدل عليه أيضاً <sup>(١)</sup> وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى ، بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو فى أكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات ، وهو غاية ثمرة العبادات العملية ، وللذكر أول وآخر ، فأوله يوجب الانس والحب ، وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه ، والمطلوب ذلك الانس والحب ، فإن المريد فى بداية أمره قد يكون متكافئاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل ، فإن وفق للمداومة انس به وانغرس فى قلبه حب المذكور ، ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد فى العادات أن تذكر غائباً غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيجبه ، وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ، ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولاً صار مضطراً إلى كثرة الذكر آخر بحيث لا يصبر عنه ، فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، ومن أكثر ذكر شيء وأن كان تكلفاً أحبه ، فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يشمر الانس بالمذكور والحب له ، ثم يمتنع الصبر عنه آخر فيصير الموجب موجبا والثر مشمراً ، وهذا معنى قول بعضهم كابدت القراءان عشرين سنة ، ثم تنعمت به عشرين سنة ، ولا يصدر التمتع إلا من الانس والحب ولا يصدر الانس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً ، فكيف يستبعد هذا ؟ وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه أولاً ، ويكابدأ كفه ، ويواظب عليه فيصبر موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه ، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف \* هى النفس ماعودتها تتعود \*

أى ما كلفتها أولاً يصير لها طبعاً آخر ، ثم إذا حصل الانس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله ، وما سوى الله عز وجل هو الذى يفارقه عند الموت ، فلا يبقى معه فى القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية . ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل

( ١ ) حديث الدال على أن الذكر والقلب لا ه قليل الجدوى : ت وقال حسن والحاكم وقال حديث مسقيم

الاسناد من حديث أبى هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه

فإن كان قد أنس به وتمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه ، إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولا يبق بعد الموت عائق ، فكانه خلى بينه وبين محبوبه فعمّمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به أنسه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي ، أَحْبَبُ مَا أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا ، فإن ذلك يفتى في حقه بالموت ، فكل من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، وانما تنفى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تنفى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله ، وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ، ويرتقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ، ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت ، فيقول انه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت ، وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « الْقَبْرُ إمَّا حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ أَوْ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ » وبقوله صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « أَرْوَاحُ الشَّهْدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضِرَ » وبقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « لَقَتْلِي بَدْرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » « يَافْلَانُ يَافْلَانُ » وقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم « هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَائِي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا » فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ، فقال صلى الله عليه وسلم « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَتَمُّ بِأَسْمَعٍ لِكَلَامِي مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا » والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في المشركين

(١) حديث ان روح القدس نفث في روعي أحب من أحب من أحب فاما مفارقة : تقدم في الكتاب السابع من العلم

(٢) حديث القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة : ت من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف

(٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر : م من حديث ابن مسعود انه سئل عن هذه الآية

.. ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا .. الآية قال أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال

أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ت أما أنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس ان ابن منيع صرح برفعه في مسنده

(٤) حديث ندائه لقتلي بدر من المشركين يافلان يافلان وقد سماهم اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا : م من حديث أنس -

فأما المؤمنون والشهداء فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضِرَ مُعَلَّقَةً تَحْتَ الْعَرْشِ» وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحَ حِينَ بَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ <sup>(٢)</sup>) الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة ، لأن المطالب الخاتمة ونزى بالخاتمة وداع الدنيا والقدم على الله ، والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع الملائق عن غيره ، فان قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل ، فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة الا في صف القتال ، فانه قطع الطمع عن مهبته وأهله وماله وولده ، بل من الدنيا كلها فانه يريد لها حياته ، وقد هوّن على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته ، فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة ، وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى ، فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاري يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> «لَا أَبْشُرُكَ يَا جَابِرُ قَالَ بَلَى بَشَرْتُكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحْيَا أَبَاكَ فَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سِرٌّ فَقَالَ تَعَالَى تَمَنَّ عَلَى يَاعَبْدِي مَا شِئْتَ أُعْطِيكَهُ فَقَالَ يَا رَبُّ أَنْ تُرَدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى أَقْتَلَ فِيكَ وَفِي نَبِيِّكَ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ سَبَقَ الْقَضَاءُ مِنِّي بِأَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ» ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة ، فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا اليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ، ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة ، فان القلب وان ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب ، لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ، ولا ينفك عن فترة تعثره ، فاذا تمثّل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا ، والحالة هذه ، فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيجن بعد الموت اليه ، ويتمنى الرجوع إلى الدنيا ، وذلك لقلة حظه في الآخرة ، إذ يموت المرء على ما عاش عليه ، ويحشر على مامات عليه ، فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة ،

(١) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش : ه من حديث كعب بن مالك

ان أرواح المؤمنين في طير خضر تعاقب بتسج الجنة وروى ن بلفظ انما سمع المؤمن طائر

ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح

(٢) حديث ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله أحيا أباك وأقعدته بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي - الحديث : ت وقال حسن وهك وصحح اسناده من حديث جابر

(١) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠ .

إذا لم يكن قصده الشهيد<sup>(١)</sup> نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر ، بل حب الله عز وجل ، وإعلاء كلمته ، فهذه الحالة هي التي عبر عنها بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا والآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك ، لا إله إلا الله ، فانه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود ، وكل معبود إله ، فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله ، إذ لا مقصود له سواه ، ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعد حاله فأصره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ، ولذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> « قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَى سَائِرِ الْأَذْكَارِ » وذكر ذلك مطلقاً في مواضع الترغيب ، ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله مخلصاً ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال .

فنسأل الله تعالى ، أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالاً ومقالاً ، وظاهراً وباطناً حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها ، بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله ، فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فهذه مراعى إلى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة .

## الباب الثاني

في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة

وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

## فضيلة الدعاء

قال الله تعالى : ( وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي<sup>(١)</sup> ) وقال تعالى : ( اذْعُبُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ<sup>(٢)</sup> )

( ١ ) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك : متفق عليه من حديث أبي موسى

قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للدكر والرجل يقاتل للنعيم

والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله فال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله

( ٢ ) حديث تفضيل لاله الا الله على سائر الاذكار : تواتر حسن و ن في اليوم واليلة و هم من حديث جابر .

(١) البقرة : ١٨٦ (٢) الاعراف : ٥٥



وَقَالَ تَعَالَى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ<sup>(١)</sup>) وقال عز وجل: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى<sup>(٢)</sup>) وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> أنه قال « إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ ». ثُمَّ قَرَأَ - ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ « الآية . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> « الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> قال « لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الدُّعَاءِ » وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَخْطِئُهُ مِنَ الدُّعَاءِ إِحْدَى ثَلَاثٍ إِلَّا مَذْنَبٌ يُغْفَرُ لَهُ وَإِمَّا خَيْرٌ يُعْجَلُ لَهُ وَإِمَّا خَيْرٌ يُدْخَرُ لَهُ » وقال أبو ذر رضي الله عنه ، يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح ، وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> « سَأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَنْ تَنْتَظِرَ الْفَرَجَ »

## آداب الدعاء

وهي عشرة

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة ، كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل ، قال تعالى : (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ<sup>(٦)</sup>) . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> « يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءٍ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي

الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله

- ( ١ ) حديث النعمان بن بشير أن الدعاء هو العادة : أحباب السنن و ك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح
- ( ٢ ) حديث الدعاء مخ العبادات : ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا يعرفه إلا من حديث بن لمية
- ( ٣ ) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء : ت وقال غريب و ه ح ك وقال صحيح الاسناد
- ( ٤ ) حديث أن العبد لا يخطئ من الدعاء إحدى ثلاث إما دنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له : الديلمي في الفردوس من حديث أنس وفيه روح بن مسافر عن أبيات بن أبي عياش وكلاهما ضعيف : ولأحمد وخ في الأدب والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي سعيد ما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من سوء مثله
- ( ٥ ) حديث سألوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادات انتظار الفرج : ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره .
- ( ٦ ) حديث ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة /

م - ٢١ - ثالث - إحياء

(١) غافر : ١٠٠ (٢) الإسراء : ١١٠ (٣) الباريات : ٢٨

فَأَعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ» . وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي<sup>(١)</sup>) ليدعو في وقت السحر ، فقيل : انه قام في وقت السحر يدعو ، وأولاده يؤمنون خلفه ، فأوحى الله عز وجل إليه ، أني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء

الثاني : أن يغتنم الاحوال الشريفة . قال أبو هريرة رضى الله عنه . إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى ، وعند نزول الغيث ، وعند إقامة الصلوات المكتوبة ، فاغتنموا الدعاء فيها ، وقال مجاهد . إن الصلاة جعلت في خير الساعات ، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات ، وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> « الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ » وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> أيضاً « الصَّائِمُ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ » وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً ، إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه ، وفراغه من المشوشات ، ويوم عرفة ويوم الجمعة ، وقت اجتماع ألهم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل ، فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها ، وحالة السجود أيضاً أجدر بالاجابة ، قال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثَرُوا فِيهِ مِنَ الدُّعَاءِ » وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> أنه قال « إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ إِذَا رَأَيْتُ كَيْمًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرَّكْعُ فَمَعْظُمُوهَا فِيهِ الرَّبُّ تَعَالَى وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ بِالدُّعَاءِ فَإِنَّهُ قَبْلُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ »

الثالث : أن يدعو مستقبل القبلة ، ويرفع يديه بحيث يرى يياض ابطيه ، وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> « أَتَى الْمَوْقِفَ بِعَرَفَةَ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَلَمْ يُزَلْ »

(١) حديث الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد : د ن في اليوم والليلة و ت وحسنه من حديث أنس وضعفه

ابن عدي وابن القطان ورواه في اليوم والليلة باسناد آخر جيد وحب وك وصححه

(٢) حديث الصائم لا ترد دعوته : ت وقال حسن و ه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه

(٣) حديث أبي هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء : رواه م

(٤) حديث ابن عباس انني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً الحديث : م أيضاً

(٥) حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى

غربت الشمس : م دون قوله يدعو فقال مكانها واقفاً و ن من حديث أسامة بن زيد كنت

ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات

(١) يوسف : ٩٨

يَدْعُو حَتَّى غَرُبَتِ الشَّمْسُ ». وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبِيدِهِ إِذَا رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صُفْرًا ». وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطِيهِ فِي الدُّعَاءِ وَلَا يُشِيرُ بِأَصْبُعِهِ » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> مر على انسان يدعو ويشير بأصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم « أَحَدًا أَحَدًا » أى اقتصر على الواحدة . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ارفعوا هذه الايدي قبل أن تغل بالاغلال

ثم ينبغى أن يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء . قال عمر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ » وقال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « إِذَا دَعَا ضَمَّ كَفَيْهِ وَجَعَلَ بَطُونَهُمَا مِمَّا يَلِي وَجْهَهُ » فهذه هيأت اليد . ولا يرفع بصره إلى السماء . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « لَيْتُنَّ هَيَّئَ أَقْوَامٌ عَنْ رَفِيعِ أَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ أَوْ لَتُخَطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ »

الرابع : خفض الصوت بين المخافتة والجهر . لما روى أن أبا موسى الأشعري . قال قدما مع رسول الله . فلما دنوا من المدينة كبروا وكبر الناس ورفعوا أصواتهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ لَيْسَ بِأَصَمٍّ وَلَا غَائِبٍ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ يَنْتَكُمُ وَيَنْ أَعْنَاقِ رِكَابِكُمْ »

( ١ ) حديث سلمان إن ربكم حي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه أن يردها صفرا : د ت وحسنه و ؛

ه ك وقال أسناد صحيح على شرطها

( ٢ ) حديث أس أن كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه فى الدعاء ولا يشير بأصبعه : م دون قوله ولا يشير

بأصبعه والحديث : متفق عليه لكن مفيد بالاستسقاء

( ٣ ) حديث أبي هريرة مر على انسان يدعو بأصبعه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد

أحد : ن وقال حسن و ه ك وقال صحيح الاسناد.

( ٤ ) حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه

ت وقال غريب و ك فى المستدرک وسكت عليه وهو ضعيف

( ٥ ) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه : الطبرانى

فى الكبير بسند ضعيف

( ٦ ) حديث ليتنهن أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم : م من حديث

أبي هريرة وقال عند الدعاء فى الصلاة

( ٧ ) حديث أبى موسى الأشعري يا أيها الناس ان الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب : متفق عليه مع

إختلاف اللفظ الذى ذكره المصنف لأبى داود

قالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل: ( وَلَا تَجْهَرُوا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ وَلَا تَتْلُوا مِنْ حِذْبِ رَبِّهِمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ غِشٌّ ) (١) أي بدعائك . وقد أتى الله عز وجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال : ( إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ) (٢) وقال عز وجل : ( اذْعُرُوا رِبْكَمْ تَضْرَعًا وَخُفْيَةً ) (٣)

الخامس : أن لا يتكلف السجع في الدعاء . فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه ، قال صلى الله عليه وسلم (٢) « سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ » وقد قال عز وجل : ( اذْعُرُوا رِبْكَمْ تَضْرَعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ) (٤) قيل معناه التكلف للاسجاع ، والاولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فإنه قد يعتدى في دعائه ، فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته ، فما كل أحد يحسن الدعاء ، ولذلك روى عن معاذ رضي الله عنه . أن العلماء يحتاج إليهم في الجنة . اذ يقال لأهل الجنة تمنوا ، فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (٣) « إِيَّاكُمْ وَالسَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ حَسَبُ أَحَدِكُمْ . أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ » وفي الخبر « سَيَأْتِي قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطُّهُورِ » ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع ، فقال له . أَعَلَى اللَّهِ تَبَالُغَ؟ أشهد لقد رأيت حبيباً العجمي يدعو وما يزيد على قوله . اللهم اجعلنا جديدين ، اللهم لا تفضحنا يوم القيامة ، اللهم وفقنا للخبر ، والناس يدعون من كل ناحية وراءه ، وكان يعرف بركة دعائه ، وقال بعضهم ادع بالسان الذلة والافتقار ، لا بالسان الفصاحة والانطلاق ، ويقال ان العلماء والابدال لا يزدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ، ويشهد له آخر سورة البقرة ، فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك

( ١ ) حديث عائشة في قوله تعالى - ولا تَجْهَرُوا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ وَلَا تَتْلُوا مِنْ حِذْبِ رَبِّهِمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ غِشٌّ - أي بدعائك : متفق عليه

( ٢ ) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية الطهور : ده حب لك من حديث عبد الله بن مغفل

( ٣ ) حديث إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل : غريب بهذا السياق وللبخاري

عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فأحبته فأتى عهدت أمحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعلون الا ذلك : وهكذا والعظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكمالات وفيه وأسألك الجنة الى آخره

(١) الاسراء : ١١٠ (٢) مريم : ٣ (٣) الاعراف : ٥٥

واعلم أن المراد بالسجع هو المنكلف من الكلام ، فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة ، وإلا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَسْأَلُكَ الْآمَنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ . وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ وَالرَّكْعَ السُّجُودِ الْمُؤَفِّينَ بِالْعَهْدِ إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ » وأمثال ذلك . فليقتصر على المأثور من الدعوات ، أوليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف ، فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل

السادس : التضرع والخشوع ، والرغبة والرهبة ، قال الله تعالى ( إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا <sup>(١)</sup> ) وقال عز وجل : ( ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً <sup>(٢)</sup> ) وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ حَتَّى يَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ »

السابع : أن يجزم الدعاء ، ويوقن بالإجابة ، ويصدق رجاءه فيه ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَعَا اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ أَرْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْرِمَ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلَبٍ غَافِلٍ » وقال سفيان بن عيينة . لا يمنع أحدكم

( ١ ) حديث أسألك الأمان يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين

بالعهد إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد : ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثاً طويلاً من جلته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى سبيء الحفظ

( ٢ ) حديث إذا أحب الله عبد ابتلاه حتى يسمع تضرعه : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث

أنس إذا أحب الله عبداً صب عليه البلاء صبا - الحديث : وفيه دعاه فأتى أحب أن أسمع صوته وللطبراني من حديث أبي أمامة أن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدى فصبوا عليه البلاء الحديث : وفيه فأتى أحب أن أسمع صوته وسندهما ضعيف

( ٣ ) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم أرحمني إن شئت ليعرم المسألة فإنه لا مكره له : منفق عليه من حديث أبي هريرة

( ٤ ) حديث إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء : حب من حديث أبي هريرة

( ٥ ) حديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل : ت من حديث أبي هريرة وقال غريب : وك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح المرى وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنه ضعيف في الحديث

من الدعاء ما يعلم من نفسه ، فان الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق ابليس لعنه الله ، إذ قال  
( رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ <sup>(١)</sup> )

الثامن : أن يلح في الدعاء ، ويكرره ثلاثاً ، قال ابن مسعود كان عليه السلام <sup>(٢)</sup>  
« إِذَا دَعَا دَعَاءَ ثَلَاثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا » وينبغي أن لا يستبطن ، الإجابة لقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup>  
« يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولْ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي فَإِذَا دَعَوْتُ فَأَسْأَلُ  
اللَّهَ كَثِيرًا فَإِنَّكَ تَدْعُو كَرِيمًا : وقال بعضهم . اني أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة  
وما أجابني وأنا أرجو الإجابة ، سألت الله تعالى أن يوفقني لنرك ما لا يعنيني ، وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup>  
« إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ مَسْأَلَةً فَتَعَرَّفَ الْإِجَابَةَ فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ  
وَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ »

التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله عز وجل ، فلا يبدأ بالسؤال . قال سامة بن الأكوع :  
« مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٥)</sup> يَسْتَفْتِحُ الدُّعَاءَ إِلَّا اسْتَفْتَحَهُ بِقَوْلِ سُبْحَانَ رَبِّيَ  
الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ » وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ، من أراد أن يسأل الله حاجة ،  
فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يسأله حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبي  
صلى الله عليه وسلم ، فان الله عز وجل يقبل الصلاتين ، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما ،  
وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> أنه قال « إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَةً  
فَابْتَدِئُوا بِالصَّلَاةِ عَلَى فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا  
وَيَرْذُ الْأُخْرَى » رواه أبو طالب المكي

( ١ ) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً ، رواه مسلم وأصله : متفق عليه

( ٢ ) حديث يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي : متفق عليه من حديث أبي هريرة

( ٣ ) حديث إذا سأل أحدكم مسألة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه

من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال : البيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة وللحاكم

نحوه من حديث عائشة مختصراً بإسناد ضعيف

( ٤ ) حديث سامة بن الأكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتحته وقال سبحان

ربي العلي الأعلى الوهاب : أحمد و ك وقال صحيح الأسناد قلت فيه عمر بن راشد اليمامي ضعفه الجمهور

( ٥ ) حديث إذا سألتم الله حاجة فابدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيعطى

أحدهما ويرد الأخرى : لم أجده مرفوعاً وإنما هو موقوف على أبي الدرداء

(١٢) الأعراف : ١٤ ، ١٥

العاشر : وهو الأدب الباطن ، وهو الأصل في الاجابة ، التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنهه المهمة ، فذلك هو السبب القريب في الاجابة ، فيروى عن كعب الأبحار أنه قال : أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج موسى ببني اسرائيل يستسقى بهم ، فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أني لاستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نعام ، فقال موسى يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا ، فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى أنها كم عن النيمة وأكون ناعما ، فقال موسى لبني اسرائيل توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النيمة فتابوا ، فأرسل الله تعالى عليهم الغيث ، وقال سعيد بن جبير . قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا ، فقال الملك لبني اسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أولئذينه ، قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء . فقال . أقتل أوليائه وأهل طاعته ، فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء . وقال سفيان الثوري بلغني أن بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل ، وأكلوا الأطفال ، وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال فيكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام ، لو مشيتم إلى بأقدامكم حتى تمخى ركبتكم وتبلغ أيديكم عنان السماء ، وتكل ألسنتكم عن الدعاء ، فاني لأجيب لكم داعيا ، ولا أرحم لكم باكيا ، حتى تردوا المظالم إلى أهلها ، ففعلوا فطروا من يومهم ، وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني اسرائيل قحط ، فخرجوا صرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم انكم تخرجون إلى بأبدان نجسة ، وترفعون إلى أ كفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام ، الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تردادوا مني إلا بعدا ، وقال أبو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمر بنملة ملقاة على ظهرها ، رافعة قوائمها إلى السماء ، وهي تقول . اللهم انا خلق من خلقك ، ولاغني بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا ، فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعي . خرج الناس يستسقون ، فقام فيهم بلال بن سعد . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال يا معشر من حضر أستم مقررّين بالاساءة ؟ فقالوا اللهم نعم ، فقال اللهم إنا قد سمعناك تقول (مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ<sup>(١)</sup>) وقد أقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك إلّا مثلنا ، اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا

فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا. وقيل لمالك بن دينار، ادع لنا ربك فقال أنكم تستبطلون المطر، وأنا أستبطل الحجارة، وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقى فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام. من أصاب منكم ذنبا فليرجع فارجعوا كلهم ولم يبق معه في المفاضة الا واحد، فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب؟ فقال والله ما علمت من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي، فمرت بي امرأة فنظرت إليها بعيني هذه فلما جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فاتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أوثر من على دعائك، قال فدعا فتجلت السماء سحابا، ثم صبت فسقوا، وقال يحيى النعماني. أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام، فاختروا ثلاثة من علمائهم، فخرجوا حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم. اللهم انك أنزلت في توراتك أن نعفو عمن ظلمنا، اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا، وقال الثاني. اللهم انك أنزلت في توراتك أن نعق أرقاءنا، اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا، وقال الثالث. اللهم انك أنزلت في توراتك أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا، اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا، وقال عطاء السلمي. منعنا الغيث فخرجنا نستسقى، فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر، فنظر إلى فقال يا عطاء أهذا يوم النشور أو بعثر ما في القبور؟ فقلت لا، ولكننا منعنا الغيث فخرجنا نستسقى، فقال يا عطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية. فقلت بل بقلوب سماوية، فقال هيهات يا عطاء قل للمشهرجين لا تتبهرجوا، فإن الناقد بصير، ثم رمق السماء بطرفه، وقال الهى وسيدى ومولاي، لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المسكون من أسمائك، وما وارت الحجب من آلائك إلا ماسقينا ماء غدقا فراتا تحي به العباد وتروى به البلاد، يا من هو على كل شيء قدير، قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت، وجاءت بمطر كأفواه القرب، فولى وهو يقول

أفلح الزاهدون والعابدون \* إذ لمولاهم أجاجوا البطونا  
أسهروا الأعين العلية حبا \* فاتقضى ليلهم وهم ساهرونا  
شغلهم عبادة الله حتى \* حسب الناس أن فيهم جنونا



وقال ابن المبارك : قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم : إذ أقبل غلام أسود عليه قطعنا خيش . قد اتزر باحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جنبي فسمعتة يقول : الهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك ، فأسألك يا حليما ذا أناة ، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجليل أن تسقيهم الساعة الساعة ، فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغيام وأقبل المطر من كل جانب ، قال ابن المبارك فجئت إلى الفضيل فقال ما لي أراك كئيبا فقلت أمر سبقتنا إليه غيرنا فتولاه دوننا ، وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه ، فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة قد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم ، وهذه أيدنا اليك بالذنوب ، ونواصينا بالتوبة ، وأنت الراعى لا تهمل الضالة ، ولا تدع الكسير بدار مضبعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فاغفرهم بغيثك قبل أن يقنطوا فيه لكونا ، فانه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون ، قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال

## فضيلة الصلاة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا <sup>(١)</sup> ) وروى أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشَيْرَى تُرَى فِي وَجْهِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَمَّا تَرْضَى يَا مُحَمَّدُ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً وَاحِدَةً إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ

( ١ ) حديث انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال انه جاني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ما ترضى يا محمد أن لا يصلى عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرين ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرين : ن وحب من حديث أبي طلحة باسناد جيد

إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَىَّ فَلْيُقْلِلْ عِنْدَ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي أَكْثَرُهُمْ عَلَىَّ صَلَاةً » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٣)</sup> « بِحَسَبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْبُخْلِ أَنْ أَذْكَرَ عِنْدَهُ فَلَا يُصَلِّيَ عَلَىَّ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٤)</sup> « أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَىَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٥)</sup> « مَنْ صَلَّى عَلَىَّ مِنْ أُمَّتِي كَتَبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَوُحِّيتَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٦)</sup> « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَاطِعَةُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَأَعْطِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالذَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ وَالشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( ١ ) حديث من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى فليقلل عبد من ذلك أوليسكثر : ه من حديث عامر بن ربيعة باسناد ضعيف والطبراني في الاوسط باسناد حسن

( ٢ ) حديث ان اولى الناس بى أكثرهم على صلاة : ت من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب

( ٣ ) حديث بحسب امرىء من البخل ان أذكرك عنه فلا يصلى على : قاسم بن أصبغ من حديث الحسن ابن علي هكذا : ون وحب من حديث أخيه الحسن البخيل . من ذكرت عنده فلم يصل على ورواه ت من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح

( ٤ ) حديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة : د ن ه ح ك وقال صحيح على شرط خ من حديث أوس بن أوس وذكره بن أبي حاتم في العلل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر

( ٥ ) حديث من صلى على من أمتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات : ن في اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه خلاصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعها بها عشر درجات وله في السير ولا بن جبان من حديث أنس نحوه دون قوله خلاصا من قلبه ودون ذكر نحو السيئات ولم يذكر ابن جبان أيضا رفع الدرجات

( ٦ ) حديث من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي : البخاري من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال النداء وللمستغفرى في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن علي المعمرى في اليوم والليلة من حديث أبي الدرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفرى في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه واذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة - الحديث : وزاد وتقل شفاعته في أمته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اذا سمعت المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة وفيه فن سأل بالوسيلة حلت عليه الشفاعة

«مَنْ صَلَّى عَلَىَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ»  
 وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «إِنَّ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يَبْلُغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»  
 وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> «لَيْسَ أَحَدٌ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»  
<sup>(٤)</sup> وقيل له يارسول الله كيف نصلى عليك فقال «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَعَلَى آلِهِ  
 وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ  
 عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد  
 موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان جذع  
 تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسميهم <sup>(٥)</sup> فغن الجذع لفراقك حتى جعلت  
 يدك عليه فسكن فامتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد  
 بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) <sup>(٦)</sup>

(١) حديث من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب : الطبراني في

الأوسط وأبو الشيخ في الثواب والمستغفر في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث ان في الارض ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام : تقدم في آخر الحج

(٣) حديث ليس أحد يسلم على الاراد الله على روجي حتى أرد عليه السلام : دمن حديث أبي هريرة بسند جيد

(٤) حديث قيل له يارسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آلته وأزواجه وذريته

الحديث : متفق عليه من حديث أبي حميد الساعدي

(٥) حديث عمر في حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والأسراء به على البراق الى السماء السابعة ثم صلاة

الصباح من ليلته بالابطح وكلام الشاة المسمومة وأنه دمي وجهه وكسرت رابعيته فقال اللهم اغفر

لقومي فانهم لا يعلمون وأنه لبس الصوف وركب الخمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالارض

ولعن أصابعه : وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى . حديث

حنين الجذع : متفق عليه من حديث جابر وابن عمر . وحديث نبع الماء من بين أصابعه : متفق

عليه من حديث أنس وغيره . وحديث الأسراء : متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة

الصباح بالابطح . وحديث كلام الشاة المسمومة : رواه دمن حديث جابر وفيه انقطاع . وحديث

أنه دمي وجهه وكسرت رابعيته : متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد . وحديث

اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة : والحديث في الصحيح من حديث

ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبي من الانبياء ضربه قومه . وحديث لبس الصوف

رواه الطيالسي من حديث سهل بن سعد . وحديث ركوبه الخمار وارداقه خلفه : متفق عليه

من حديث أسامة بن زيد . وحديث وضع طعامه بالارض : رواه أحمد في الزهد من حديث

الحسن مرسل والبخاري من حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط .

وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك

بأبي أنت وأمي يارسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالفضو عنك قبل أن  
يخبرك بالذنب، فقال تعالى: (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ<sup>(١)</sup>) بأبي أنت وأمي يارسول الله، لقد  
بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم، فقال عز وجل: (وَإِذْ أَخَذْنَا  
مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ نُوْحٌ وَإِبْرَاهِيمُ<sup>(٢)</sup>) الآية، بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من  
فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون (يَقُولُونَ  
يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ<sup>(٣)</sup>) بأبي أنت وأمي يارسول الله، لئن كان موسى بن عمران  
أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فاذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله  
عليك بأبي أنت وأمي يارسول الله، لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر  
ورواحها شهر فاذا بأعجب من البراق حين سررت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت  
الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك، بأبي أنت وأمي يارسول الله، لئن كان عيسى بن مريم  
أعطاه الله إحياء الموتى فاذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت  
لك الذراع لا تأكلني فاني مسمومة، بأبي أنت وأمي يارسول الله. لقد دعا نوح على قومه  
فقال (رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا<sup>(٤)</sup>) ولودعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقده  
وطيء ظهرك وأدى وجهك وكسرت رباعيتك فايبت أن تقول إلا خيرا، فقلت «اللَّهُمَّ اغْفِرْ  
لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» بأبي أنت وأمي يارسول الله، لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم  
يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل، بأبي  
أنت وأمي يارسول الله، لو لم تجالس إلا كفوؤك ما جالسنا: ولو لم تنكح إلا كفوؤك ما نكحت  
إلينا، ولو لم تأكل إلا كفوؤك ما أكلنا، ولقد والله جالسنا ونكحت إلينا وأكلنا، ولبست  
الصوف، وركبت الحمار، وأردفت خلفك، ووضعت طعامك على الأرض، ولعقت أصابعك تواضعا  
منك صلى الله عليك وسلم، وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه  
ولا أسلم، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي، أما تم الصلاة على في كتابك فما كتبت  
بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه، وروى عن أبي الحسن قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام  
فقلت يارسول الله يم جوزي الشافعي عنك، حيث يقول في كتابه الرسالة صلى الله عليه وسلم على محمد كلما  
ذكره الناكرون وغفل عن ذكره الغافلون، فقال صلى الله عليه وسلم جوزي عنى أنه لا يوقف الحساب

(١) التوبة : ٤٤ (٢) الأجزاء : ٧ (٣) الأجزاء : ٦٦ (٤) نوح : ٢٦

## فضيلة الاستغفار

قال الله عز وجل: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) (١)  
 وقال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم فى كتاب الله عز وجل آيتان  
 ما أذن به عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا  
 فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) (٢) الآية وقوله عز وجل (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ  
 يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (٣) وقال عز وجل (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) (٤)  
 وقال تعالى (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) (٥) وكان صلى الله عليه وسلم: (١) يكثر أن يقول  
 «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» وقال صلى الله عليه وسلم: (٢)  
 «مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ عَنْ وَجَلٍّ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا  
 وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» وقال صلى الله عليه وسلم: (٣) «إِنِّى لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَتُوبُ  
 إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً» هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر  
 وقال صلى الله عليه وسلم: (٤) «إِنَّهُ لَيُغَانُّ عَلَى قَلْبِي حَتَّى إِنِّى لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ»  
 وقال صلى الله عليه وسلم: (٥) «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِى  
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَى الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ  
 زَبَدِ الْبَحْرِ أَوْ عَدَدِ رَمْلِ عَالِيَجٍ أَوْ عَدَدِ وَرَقِ الشَّجَرِ أَوْ عَدَدِ أَيَّامِ الدُّنْيَا» وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي أنك أنت التواب الرحيم :

الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح ان كان أبو عبيدة سمع من أبيه . والحديث منفق عليه من

حديث عائشة انه كان يكثر أن يقول ذلك فى ركوعه وسجوده دون قوله أنك أنت التواب الرحيم

(٢) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث

لا يحتسب : دن فى اليوم والليالي هـ ك وقال صحيح الاسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان

(٣) حديث انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة : بخ من حديث أبى هريرة الا أنه قال أكثر

من سبعين وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره الصنف

(٤) حديث انه ليغان على قلبي حتى انى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة : م من حديث الاغر

(٥) حديث من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات

غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر - الحديث : ت من حديث أبى سعيد وقال غريب

لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى قلت الوصافى وان كان ضعيفا فقد تابعه عليه

عصام بن قدامة وهو ثقة . رواه بخ فى التاريخ دون قوله حين يأوى الى فراشه وقوله ثلاث مرات

(١) آل عمران : ١٣٥ (٢) النساء : ١١٠ (٣) النور : ٣ (٤) آل عمران : ١٧

(١) في حديث آخر . « مَنْ قَالَ ذَلِكَ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ قَارًا مِنَ الرَّحْفِ » وقال حذيفة (٢) كنت ذرب اللسان على أهلى ، فقلت يارسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ ، فَإِنِّى لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً ، وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « إِنْ كُنْتَ أَلَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُوبِ إِلَيْهِ . فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ النَّدَمُ وَالِاسْتِغْفَارُ » وكان صلى الله عليه وسلم (٤) يقول فى الاستغفار « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لى خَطِيئَتى وَجَهْلِى وَإِسْرَافِى فى أَمْرِى وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لى هَزْلِى وَحِدْى وَخَطَاىَ وَعَمْدِى وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لى مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » وقال على رضى الله عنه كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعتى الله عز وجل بما شاء أن ينفعتى منه ، وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف صدقته ، قال وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) « يَقُولُ مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا غُفِرَ لَهُ » ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ عَزَّوَجَلَّ ( وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ (١) ) الآية .

( ١ ) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان قارًا من الرحف : د ت من حديث زيد مولى النبى

صلى الله عليه وسلم وقال غريب . قلت ورجاله مؤنفون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين

( ٢ ) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلى - الحديث : وفيه أين أنت عن الاستغفار : ن فى اليوم

والليلة و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين

( ٣ ) حديث عائشة ان كنت ألمت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار : متفق

عليه دون قوله فان التوبة الخ وزاد أو توبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه : وللطبرانى فى الدعاء فان العبد اذا أذنب ثم استغفر الله غفر له

( ٤ ) حديث كان يقول اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى

جدى وهزلى : متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم

( ٥ ) حديث على عن أبى بكر ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ

الله الا غفر الله له أصحاب السان وحسنه ت

(١) آل عمران : ١٣٥

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> أنه قال « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَتَزَعَّ وَاسْتَغْفَرَ صُفِّلَ قَلْبُهُ مِنْهَا فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَغْلِفَ قَلْبُهُ فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) <sup>(١)</sup> »  
وروى أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> قال : « إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنْتَ لِي بِهَذِهِ فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدَيْكَ لَكَ »  
وروت عائشة رضي الله عنها أنها صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> قال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبَشَرُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٤)</sup> « إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ ذَنْبًا فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَأْخُذُ بِالذَّنْبِ وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ عَبْدِي أَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٥)</sup> « مَا أَصْرُ مَنْ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ مَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٦)</sup> « إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَفْعَلْ خَيْرًا قَطُّ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ إِنَّ لِي رَبًّا يَأْرَبُّ فَأَغْفِرْ لِي فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٧)</sup> « مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَيْهِ غُفْرَ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ »

( ١ ) حديث أبي هريرة أن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب وتزع واستغفر صقل

قلبه - الحديث : ت وصححه ون في اليوم والليلة و ه حب ك

( ٢ ) حديث أبي هريرة أن الله ليرفع العبد الدرجة في الجنة فيقول يا رب أنت لي هذه فيقول باستغفاره ولذلك

لك : رواه أحمد بإسناد حسن

( ٣ ) حديث عائشة اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا : ه وفيه علي بن

زيد بن جعدان يختلف فيه

( ٤ ) حديث إذا أذنب العبد فقال اللهم اغفر لي يقول الله أذنب عبدِي ذنبا فعلم أن له رباً يأخذ بالذنوب

ويغفر الذنب - الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

( ٥ ) حديث ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة : د ت من حديث أبي بكر وقال غريب

وليس أسنده بالقوى

( ٦ ) حديث أن رجلا لم يعمل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إن لي رباً يارب اغفر لي فقال الله تعالى قد

غفرت لك لم أقف له على أصل

( ٧ ) حديث من أذنب فعلم أن الله قد أطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر : الطبراني في الأوسط من حديث

ابن مسعود بسند ضعيف

(١) للطفنان : ١٤

وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(١)</sup> « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا عَبْدِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتَهُ فَاسْتَغْفِرُونِي  
أَغْفِرْ لَكُمْ وَمَنْ عَلِمَ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى أَنْ أَغْفِرَ لَهُ غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أَبَالِي » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup>  
« مَنْ قَالَ سُبْحَانَكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَعَمِلْتُ سُوءًا فَأَغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ  
غَفَرْتُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ كَكَدْبِ النَّمْلِ » وروى <sup>(٣)</sup> أن أفضل الاستغفار « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي  
وَأَنَا عَبْدُكَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ  
بِعَيْمَتِكَ عَلَىَّ وَأَبُوءُ عَلَى نَفْسِي بِذَنْبِي فَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَأَغْفِرْ لِي ذُنُوبِي مَا قَدَّمْتُ  
مِنْهَا وَمَا أَخَّرْتُ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا إِلَّا أَنْتَ »

الآثار: قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل ان أحب عبادي إلى المتحابون بحبي،  
والمعلقة قلوبهم بالمساجد. والمستغفرون بالاسحار، أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض  
بعقوبة ذكرتهم فتركتهم، وصرفت العقوبة عنهم، وقال قتادة رحمه الله القراء ان يدلكم على دائكم  
ودوائكم، أما دأؤكم فالدنوب، وأما دوائكم فالاستغفار، وقال على كرم الله وجهه. العجب  
ممن يهلك ومعه النجاة، قيل وما هي قال الاستغفار، وكان يقول: ما ألهم الله سبحانه عبدا  
الاستغفار وهو يريد أن يعذبه، وقال الفضيل. قول العبد أستغفر الله، تفسيرها أقلني

وقال بعض العلماء. العبد يذنب ونعمة لا يصلحها إلا الحمد والاستغفار، وقال الربيع بن خيثم  
رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنباً وكذبا إن لم يفعل، ولكن ليقول  
اللهم اغفر لي وتب عليّ، وقال الفضيل، رحمه الله. الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين،

(١) حديث يقول الله يا عبدك كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة

علي أن اغفر له غفرت له ولا أبالي: ت ه من حديث أبي ذر وقال ت حسن وأصله عندهم بلفظ آخر

(٢) حديث من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فأغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه

وان كانت كدب النمل: البيهقي في الدعوات من حديث علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ألا أعلمك كلمات تقولهن لو كان عليك كعد النمل أو كعد الدر ذنوبا غفرها الله لك فذكره

بزيادة لا اله الا أنت في أوله وفيه ابن لهيعة

(٣) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا على عهدك وأنا على عهدك ما استطعت - الحديث: خ

من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ودون قوله ذنوبي

ما قدمت منها وما أخرت ودون قوله جميعا



وقالت رابعة العدوية رحمها الله : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير ، وقال بعض الحكماء من قدّم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً بالله عز وجل وهو لا يعلم ، وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول . اللهم إن استغفاري مع إصراري للؤم ، وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لمجز ، فكيف تتجنب إلي بالنعم مع غناك عني ، وكيف أتبغض اليك بالمعاصي مع فقرى اليك ، يا من إذا وعد وفي ، وإذا أوعد عفا ؛ أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين ، وقال أبو عبد الله الوراق . لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوباً لحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصاً إن شاء الله تعالى . اللهم اني أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوف لك به ، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك ، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها عليّ فاستغنت بها على معصيتك ، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيت في ضياء النهار وسواد الليل ، في ملأ أو خلاء وسرور علانية ، يا حلیم . ويقال انه استغفار آدم عليه السلام وقيل انخضر عليه الصلاة والسلام

### الباب الثالث

في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها

فما يستحب أن يدعو بها المرء صباحاً ومساءً وبقلب كل صلاة

فمنها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر ، قال ابن عباس رضي الله عنهما بعثني العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسياً وهو في بيت خالتي ميمونة ، فقام يصلي من الليل فاما صلى ركعتي الفجر قبل صلاة الصبح<sup>(١)</sup> قال : « اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعبي وتردّ بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائي وترفع بها شاهدي وتركني بها عملي وتبيض بها وجهي وتليمني بها رشدي »

الباب الثالث في أدعية مأثورة

( ١ ) حديث ابن عباس اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعبي - الحديث :  
ت وقال غريب ولم يذكر في أوله بعث العباس لابنه عبد الله ولا نومه في بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني

وَتَعْصِمْنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ . اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيْمَانًا صَادِقًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ وَرَحْمَةً أَنْتَ الْبَاقِي  
شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ عِنْدَ الْقَضَاءِ وَمَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ  
وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْزِلْ بَكَ حَاجَتِي وَإِنْ  
ضَعُفَ رَأْيِي وَقَلَّتْ حِيلَتِي وَقَصُرَ عَمَلِي وَافْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَأَسْأَلُكَ يَا كَافِيَ الْأُمُورِ وَيَأْسَانِي  
الضُّدُورِ كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ وَمِنْ دَعْوَةِ الشُّبُورِ وَمِنْ فِتْنَةِ  
الْقُبُورِ ، اللَّهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي وَضَعُفَ عَنْهُ عَمَلِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي وَأُمْنِيَّتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتُهُ  
أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ وَأَسْأَلُكَهُ  
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ حَرْبًا لِأَعْدَائِكَ وَسِلَاحًا  
لِأَوْلِيَائِكَ تُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَطَاعَكَ مِنْ خَلْقِكَ وَتُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ  
اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ الْإِجَابَةُ وَهَذَا الْجُهْدُ وَعَلَيْكَ التَّسْكُلَانُ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ  
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ذِي الْحَبْلِ الشَّدِيدِ وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ  
يَوْمَ الْوَعِيدِ وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّرِينَ الشُّهُودِ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ الْمُؤَفِّينَ بِالْمُؤَدِّينَ إِنَّكَ  
رَحِيمٌ وَدُودٌ وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ ، سُبْحَانَ الَّذِي لَيْسَ الْغَرْزُ وَقَالَ بِهِ سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ  
بِالْحَبْدِ وَتَكْرَّمُ بِهِ ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ ، سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ ، سُبْحَانَ  
ذِي الْعِزَّةِ وَالْكَرَمِ ، سُبْحَانَ الَّذِي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي وَنُورًا  
فِي قَبْرِي وَنُورًا فِي سَمْعِي وَنُورًا فِي بَصَرِي وَنُورًا فِي شَعْرِي وَنُورًا فِي بَشْرِي وَنُورًا فِي لَحْمِي  
وَنُورًا فِي دَمِي وَنُورًا فِي عِظَامِي وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَنُورًا مِنْ خَلْفِي وَنُورًا عَنْ يَمِينِي  
وَنُورًا عَنْ شِمَالِي وَنُورًا مِنْ فَوْقِي وَنُورًا مِنْ تَحْتِي اللَّهُمَّ زِدْنِي نُورًا وَأَعْطِنِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا

دعاء عائشة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> لعائشة رضي الله عنها « عَلَيْكَ بِالْجَوَامِعِ الْكَوَامِلِ  
قُولِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَمِلْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ

( ١ ) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما عملت

منه وما لم أعلم - الحديث : هـ و لـ و صححه من حديثها

حَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ  
وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلْتُكَ  
عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْتَعِيذُكَ بِمَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشْدًا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

دعاء فاطمة رضى الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « يَا فَاطِمَةُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسْمَعِي مَا أَوْصِيكَ بِهِ أَنْ تَقُولِي  
يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ »

دعاء أبي بكر الصديق رضى الله عنه

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ  
بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَابْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ وَمُوسَى نَبِيِّكَ وَعِيسَى كَلِمَتِكَ وَرُوحِكَ وَتَوْرَةِ مُوسَى  
وِإِنْجِيلِ عِيسَى وَذُبُورِ دَاوُدَ وَفُرْقَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَبِكُلِّ وَحْيٍ  
أَوْحَيْتَهُ أَوْ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ أَوْ سَأَلٍ أَعْطَيْتَهُ أَوْ غَنَى أَفْقَرْتَهُ أَوْ فَقِيرٍ أَغْنَيْتَهُ أَوْ ضَالٍّ هَدَيْتَهُ وَأَسْأَلُكَ  
بِاسْمِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بَنَيْتَ بِهِ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ  
وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى الْأَرْضِ فَاسْتَقَرَّتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى السَّمَوَاتِ  
فَاسْتَقَلَّتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى الْجِبَالِ فَارْسَتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي اسْتَقَلَّ بِهِ  
عَرْشُكَ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الظَّهِيرِ الطَّاهِرِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الْوَحْدُ الْوَحْدُ الَّذِي فِي كِتَابِكَ مِنْ لَدُنْكَ  
مِنَ النُّورِ الْلَبِيبِ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ وَبِعَظَمَتِكَ  
وَكِبْرِيَا نِكَ وَبِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تَرْزُقَنِي الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ بِهِ وَتَخْلُطَهُ بِلَحْمِي وَدَمِي وَتَسْمِعَنِي  
وَبَصْرِي وَتَسْتَعْمِلَ بِهِ جَسَدِي بِخَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ فَإِنَّهُ لَأَحْوَلُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

( ١ ) حديث يافاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي

طرفة عين وأصاح لي شأني كله : في اليوم والليلة و لك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين

( ٢ ) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم اني أسألك

بمحمد نبيك و ابراهيم خليلك و موسى نبيك و عيسى كليمك الحديث : في الدعاء لحفظ القرآن :

رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عبثة عن

أبيه أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني أعلم القرآن و يتفلسف مني فذكره

أبو عبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبي بكر :

### دعاء بريدة الأسلمي رضى الله عنه

رُوي أَنَّهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> يَا بُرَيْدَةُ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا عَلَّمَهُنَّ إِيَّاهُ ثُمَّ لَمْ يُنْسِهِنَّ إِيَّاهُ أَبَدًا قَالَ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قُلْ «اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقْوِي رِضَاكَ ضَعْفِي، وَخُذْنِي إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِي، وَاجْعَلِ الْإِسْلَامَ مُتَمَتِّهِ رِضَايَ اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقْوِي وَإِنِّي ذَلِيلٌ فَأَعْزَّنِي وَإِنِّي فَقِيرٌ فَأَغْنِنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»

### دعاء قيصة بن المخارق

إِذْ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> عَلِمَنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا فَقَدْ كَبَّرْتَنِي وَعَجَزْتَ عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ كُنْتُ أَعْمَلُهَا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَمَّا لِدُنْيَاكَ فَإِذَا صَلَّيْتَ الْغَدَاةَ فَقُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَهُنَّ أَمِنْتَ مِنَ النَّفَمِ وَالْجُلْدَامِ وَالْبَرَصِ وَالْفَالِجِ . وَأَمَّا لِآخِرَتِكَ فَقُلْ اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ وَأَنْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا إِنَّهُ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ عِبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَدْعُهُنَّ فَيُشِحَّ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ »

### دعاء أبي الدرداء رضى الله عنه

قِيلَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ <sup>(٣)</sup> قَدْ احْتَرَقَتْ دَارُكَ ، وَكَانَتْ النَّارُ قَدْ وَقَعَتْ فِي مَحَلَّتِهِ ، فَقَالَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَهُوَ يَقُولُ . مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَنَّهُ آتَ فَقَالَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ . إِنْ النَّارُ حِينَ دَنْتَ مِنْ دَارِكَ طَفَقَتْ ، قَالَ قَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ مَا نَدْرِي أَىِّ قَوْلِكَ أَعْجَبَ ، قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ يَقُولُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ » وَقَدْ قُلْتُهُنَّ وَهِيَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

( ١ ) حديث بريدة ألعلمك كلمات من أراد الله به خير اعلمهن إياه - الحديث : كمن حديث بريدة وقال صحيح الاسناد

( ٢ ) حديث ان قيصة بن المخارق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت

سنى وعجزت - الحديث : ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد

فى السند مختصرا من حديث قبضة نفسه وفيه رجل لم يسم

( ٣ ) حديث قيل لأبى الدرداء أحرقت دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك - الحديث : الطبرانى فى المعجم

من حديث أبى الدرداء ضعيف

عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام

كان يقول إذا أصبح . اللهم ان هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك ، واختمه لي بغفرتك ورضوانك ، وارزقني فيه حسنة تقبلها مني ، وزكها وضعفها لي ، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم . قال ومن دعاء هذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه

دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم

كان يقول . اللهم اني أصبحت لا أستطيع دفع مأكره ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيري . وأصبحت مرتبها بعمل ، فلا فقير أفقر مني ، اللهم لا تشمت بي عدوي ، ولا تسوئني صديقي ، ولا تجعل مصيبتى في ديني ، ولا تجعل الدنيا أكبر همي ، ولا تسلط علي من لا يرحمني يا حي يا قيوم

دعاء الخضر عليه السلام

يقال إن الخضر والياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ، ماشاء الله كل نعمة من الله ، ماشاء الله الخير كله بيد الله ، ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله ، فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والفرق والسرق إن شاء الله تعالى

دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه

قال محمد بن حسان . قال لي معروف الكرخي رحمه الله ، ألا أعلمك عشر كلمات . خمس للدنيا وخمس للآخرة ، من دعا الله عز وجل بهنّ وجد الله تعالى عندهنّ ، قلت أكتبها لي ، قال لا ، ولكن أرددها عليك كما رددتها عليّ بكر بن خنيس رحمه الله ، حسبي الله لديني حسبي الله لدياي ، حسبي الله الكريم لما أهني ، حسبي الله الحليم القوي لمن بنى علي ، حسبي الله الشديد لمن كاذني بسوء ، حسبي الله الرحيم عند الموت ، حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر .

حسبي الله الكريم عند الحساب ، حسبي الله اللطيف عند الميزان ، حسبي الله القدير عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، وقد روى عن أبي الدرداء أنه قال : من قال في كل يوم سبع مرات ( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ <sup>(١)</sup> ) كفاه الله عز وجل مأهمه ، من أمر آخرته صادقاً كان أو كاذباً

#### دعاء عتبة الغلام

وقد رؤى في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات ، اللهم يا هادي المضلين ، ويا راحم المذنبين ، ويا مقيل عثرات العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأخيار والمرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين

#### دعاء آدم عليه الصلاة والسلام

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعاً ؛ وهو يومئذ ليس بمبني ربوة حمراء ، ثم قام فصلى ركعتين ثم قال ، اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي فأقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك أيماناً يباشر قلبي ، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته علي ، والرضا بما قسمته لي يا ذا الجلال والإكرام ، فأوحى الله عز وجل إليه أي قد غفرت لك ، ولم يأتني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له ، وكشفت غمومه وهمومه ، ونزعت الفقر من بين عينيه ، واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريد لها

#### دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> أنه قال « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْجِدُ نَفْسَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَقُولُ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَمْ أَدِّ وَلَمْ أُولَدْ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَلْعَفُوُ الْغَفُورُ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا مُبْدِي كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيَّ يَعُودُ ، أَلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ

( ١ ) حديث على أن الله تعالى يعجد نفسه كل يوم فيقول إني أنا الله رب العالمين إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي

القيوم - الحديث : بطوله لم أجده أصلاً

خَالِقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا الْفَرْدُ الْوَرْدُ  
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُتَعَزِّزُ الْغَزِيرُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ  
الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْكَبِيرُ الْمُتَمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ الْقَهَّارُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ أَهْلُ الشَّاءِ وَالْمَجْدِ أَعْلَمُ السِّرِّ  
وَأَخْفَى ، الْقَادِرُ الرَّزَّاقُ فَوْقَ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ .

وذكر قبل كل كلمة انى أنا الله لا إله إلا أنا كما أوردناه فى الأول ، فمن دعا بهذه الأسماء ،  
فليقل انك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا ، فمن دعا بهن كتب من الساجدين الخجبتين ،  
الذين يجاورون محمدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبیین ، صلوات الله عليهم فى دار الجلال  
وله ثواب العابدين فى السموات والأرضين ، وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى  
دعاء ابن المعتمد وهو سليمان التيمى وتسيحانه رضى الله عنه

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم ، فقال ما أفضل  
ما رأيت ثم من الأعمال ، قال رأيت تسيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهى هذه .  
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ،  
عدد ما خلق ، وعدد ما هو خالق ، وزنة ما خلق ، وزنة ما هو خالق ، وملء ما خلق ، وملء  
ما هو خالق ، وملء سمواته ، وملء أرضه ، ومثل ذلك وأضعاف ذلك ، وعدد خلقه وزنة  
عرشه ، ومنتهى رحمته ، ومداد كلماته ، ومبلغ رضاه حتى يرضى ، وإذا رضى ، وعدد ما ذكره به  
خلق فى جميع ماضى ، وعدد ما مذكروه فيما بقى فى كل سنة ، وشهر وجمعة ويوم وليلة  
وساعة من الساعات وشمّ ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبداً الدنيا وأبد  
الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره

دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

روى إبراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا  
أمسى ، مرحبا بيوم الزيد والصبح الجديد ، والكتاب والشهيد ، يومنا هذا يوم عيد ،  
اكتب لنا فيه ما نقول ، بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه ما يريد ، أصبحت  
يا الله مؤمنا ، وبلقائه مصدقا ، وبحجته معترفا ، ومن ذنبى مستغفرا ، ولربوبية الله خاضعا ،

ولسوى الله في الآلهة جاحدا ، وإلى الله فقيرا ، وعلى الله متكللا ، وإلى الله منيبا ، أشهد الله  
وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملته عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه ، بأنه هو الله الذي  
لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما ، وإن الجنة  
حق ، وأن النار حق ، والحوض حق ، والشفاعة حق ، ومنكرا ونكيرا حق ، ووعدك حق  
ووعدك حق ، ولقاءك حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ،  
على ذلك أحيأ وعليه أموت ، وعليه أبعث إن شاء الله ، اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى  
وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر  
كل ذى شر ، اللهم إني ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدنى  
لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف سيئها  
إلا أنت ، لبيك وسعديك ، والخير كله بيدك ، أنا لك وإليك ، أستغفرك وأتوب إليك ،  
آمنت اللهم بما أرسلت من رسول ، وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب ، وصلى الله على محمد  
النبي الأمى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا ، خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين  
يارب العالمين ، اللهم أوردنا حوض محمد ، واسقنا بكاسه مشربا رويأ سائغا هنيا لانظما بعده  
أبدا ، واحشرنا فى زمرة غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب  
علينا ولا ضالين ، اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله  
وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولا تضانى وإن كنت ظالما سبحانه  
ياعلى يا عظيم يا بارىء يا رحيم يا عزيز يا جبار ، سبحانه من سبحت له السموات باكتافها ، وسبحان  
من سبحت له البحار بأمواجها ، وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها ، وسبحان من سبحت  
له الحيتان بلغتها ، وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها ، وسبحان من سبحت  
له الأشجار بأصولها وثمارها ، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع  
ومن فيهن ومن عليهن ، سبحانه من سبح له كل شىء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانه ،  
سبحانك يا حي يا قيوم يا عليم يا حلیم ، سبحانه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحي  
وتميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير



## الباب الرابع

في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم  
وعن أصحابه رضي الله عنهم محدوفة الأسانيد منتخبة

من جملة ما جمعه أبو طالب المكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء كما سيأتي ذكره في كتاب الأوراد ، فإن كنت من المريدين لحث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك <sup>(١)</sup> أعقاب صلواتك <sup>(٢)</sup> « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » وقل <sup>(٣)</sup> « رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » وقل <sup>(٤)</sup> « اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَ » وقل <sup>(٥)</sup> « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي وَأَقِلْ عَثْرَاتِي وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي

﴿ الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

- ( ١ ) حديث افتتاح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب : تقدم في الباب الثانى فى الدعاء  
( ٢ ) حديث انقول عقب الصلوات لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء

قدير : متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة

- ( ٣ ) حديث رضىت بالله رباً - الحديث : تقدم فى الباب الأول من الأذكار

- ( ٤ ) حديث اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا اله الا انت  
أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه : دت وصححه وحب وك وصححه من  
حديث أبى هريرة أن أبابكر الصديق قال يا رسول الله مرنى بكلمات أقولهن اذا أصبحت  
واذا أمسيت قال قل اللهم فذكره

- ( ٥ ) حديث اللهم انى أسألك العافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عورتى وآمن روعتى وأقل  
عثرتى واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك  
أن أغتال من تحتى : دن هك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يذع

هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح

وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَغْتَالَ مِنْ تَحَنِّي، اللَّهُمَّ <sup>(١)</sup> لَا تُؤْمِنِي مَكْرَكَ وَلَا تُؤَلِّنِي غَيْرَكَ وَلَا تُزِغْ عَنِّي سَتْرَكَ وَلَا تُنْسِي ذِكْرَكَ وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ، وَقُلِ اللَّهُمَّ <sup>(٢)</sup> أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُو لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوهُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَقُلِ اللَّهُمَّ <sup>(٣)</sup> عَافِنِي فِي بَدَنِي وَعَافِنِي فِي سَمْعِي وَعَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَقُلِ اللَّهُمَّ <sup>(٤)</sup> إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أُعْتَدَى أَوْ يُعْتَدَى عَلَيَّ أَوْ أَكْسِبَ خَطِيئَةً أَوْ ذَنْبًا لَا تَغْفِرُهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ <sup>(٥)</sup> الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ فِي الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا خَاشِعًا سَلِيمًا، وَخُلُقًا مُسْتَقِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي <sup>(٦)</sup> مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّكَ أَنْتَ الْأَمْلَقُ، وَأَنْتَ الْخَوَّخُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَعَلَى كُلِّ غَيْبٍ شَهِيدٌ،

( ١ ) حديث اللهم لا تؤمنني مكرَكَ ولا تؤلنني غيرَكَ ولا تزغ عني سترك ولا تجعلني من الغافلين : رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا

تولني غيرَكَ واسناده ضعيف

( ٢ ) حديث اللهم أنت ربِّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدِكَ ووعدِكَ ما استطعت أعوذُ بِكَ

من شرِّ ما صنعت أبوءُ لك بنعمتك عليَّ وأبوءُ بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت : مخ

من حديث شدد بن أوس وقد تقدم

( ٣ ) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرَّات : دن في

اليوم والليلة من حديث أبي بكرة وقال ن جعفر بن ميعون ليس بالقوى

( ٤ ) حديث اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء - الحديث : الى قوله أو ذنبا لا يغفر : أحمد و ك من

حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الاسناد

( ٥ ) حديث اللهم اني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد - الحديث : الى قوله - وأنت علام الغيوب -

دن ك وصححه من حديث شدد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف

( ٦ ) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت - الحديث : الى قوله وعلى كل غيب

شديد - متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب

الثاني من هذا الكتاب

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ <sup>(١)</sup> إِيْمَانًا لَا يَرْتَدُّ وَنَعِيْمًا لَا يَنْفَدُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ أَبَدًا وَمُرَافَقَةً نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ <sup>(٢)</sup> الطَّيِّبَاتِ وَفِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يَقْرُبُ إِلَى حُبِّكَ ، وَأَنْ تُتُوبَ عَلَيَّ وَتَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ اللَّهُمَّ <sup>(٣)</sup> بَعْلَمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي مَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي ، أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالنَّغْصِ وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيْنًا تَزِينُهُ الْإِيْمَانُ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ <sup>(٤)</sup> اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ <sup>(٥)</sup> اَمْلَأْ وَجُوهَنَا مِنْكَ حَيَاةً ، وَقُلُوبَنَا مِنْكَ فَرَحًا ، وَأَسْكِنِ فِي نُفُوسِنَا مِنْ عَظَمَتِكَ مَا تُدْلِلُ بِهِ جَوَارِحَنَا لِحُدُودِكَ وَاجْعَلْكَ اللَّهُمَّ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِمَّنْ سِوَاكَ ، وَاجْعَلْنَا أَخْشَى لَكَ مِمَّنْ سِوَاكَ ،

( ١ ) حديث اللهم انى أسألك إيماناً لا يرتد ونعماً لا ينفد وقرة عين الابد - الحديث : ن في اليوم والليلة

وك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الابد وقال صحيح الاسنادون من

حديث عمار بن ياسر باسناد جيد وأسألك نعيماً لا يبيد وقرة عين لا تنقطع

( ٢ ) حديث اللهم انى أسألك الطيبات وفعل الخيرات - الحديث : الى قوله غير مفتون : ت من حديث معاذ

اللهم انى أسألك فعل الخيرات - الحديث : وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهى في الدعاء

للطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صيغة

( ٣ ) حديث اللهم انى أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما كانت الحياة خيراً لى - الحديث : الى

قوله واجعلنا هداة مهتدين : ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يدعو به

( ٤ ) حديث اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك - الحديث : ت وقال حسن ون

في اليوم والليلة وك وقال صحيح على شرطه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم

كان يخطب مجلسه بذلك

( ٥ ) حديث اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحاً - الحديث : الى قوله واجعلنا أخشى لك من

سواك لم أقف له على أصل

اللَّهُمَّ (١) اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِنَا هَذَا صَلَاحًا وَأَوْسَطَهُ فَلَاحًا وَآخِرَهُ نَجَاحًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَهُ رَحْمَةً وَأَوْسَطَهُ نِعْمَةً وَآخِرَهُ تَكْرِمَةً وَمَغْفِرَةً (٢) اَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ، وَخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِمُلْكِهِ، وَاسْتَسَلَّمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِهِ، وَأَظْهَرَ كُلُّ شَيْءٍ بِحُكْمَتِهِ وَتَصَاغَرَ كُلُّ شَيْءٍ لِكِبْرِيائِهِ، اللَّهُمَّ (٣) صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِ مُحَمَّدٍ وَذُرِّيَّتِهِ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ، اللَّهُمَّ (٤) صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ رَسُولِكَ الْأَمِينِ وَأَعْطِهِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ يَوْمَ الدِّينِ، اللَّهُمَّ (٥) اجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَاكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاسْتَعْمِلْنَا لِمَرْضَاتِكَ عَنَّا، وَوَفِّقْنَا لِحَابِّكَ مِنَّا، وَصَرِّفْنَا بِحُسْنِ اخْتِيَارِكَ لَنَا، (٦) نَسْأَلُكَ جَوَامِعَ الْخَيْرِ وَفَوَائِحَهُ وَخَوَاتِمَهُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ جَوَامِعِ الشَّرِّ وَفَوَائِحِهِ وَخَوَاتِمِهِ.

( ١ ) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكريمة : عبد بن حميد في المتخب والطبراني من حديث ابن أوفى بالشرط الأول فقط إلى قوله نجاحا وأسناده ضعيف

( ٢ ) حديث الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته - الحديث : إلى قوله وتصاغر كل شيء لكبريائه : الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله : والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته إلى آخره . وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا ( ٣ ) حديث اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته - الحديث : إلى قوله حميد مجيد : تقدم في الباب الثاني ( ٤ ) حديث اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسول الأميين وأعطه المقام المحمود يوم الدين : لم أجده بهذا اللفظ مجموعا ونحو من حديث أبي سعيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وحب قبطك هق من حديث ابن مسعود اللهم صل على محمد النبي الأمي ون من حديث جابر وابنه المقام المحمود الذي وعده وهو عند خ اللفظ وابنه مقاما محمدا قال فقط أسناده حسن وقال ك صحيح وقال هق في المعرفة أسناده صحيح

( ٥ ) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفليحين - الحديث : إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا : لم أقف له على أصل

( ٦ ) حديث نسألك جوامع الخير وفوائحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفوائحه وخواتمه : طب من حديث أم سلمة إنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم إني أسألك فوائج الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين : فيه عاصم بن عبيد لأعلم روى عنه الأوسي بن عقبة

اللَّهُمَّ <sup>(١)</sup> بِقُدْرَتِكَ عَلَى شَيْءٍ عَلَى إِيَّاكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، وَبِحِلْمِكَ عَنِّي اعْفُ عَنِّي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفَّارُ الْحَلِيمُ ، وَبِعِلْمِكَ بِي أَرْفُقْ بِي إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَبِمُلْكِكَ لِي مَلَكِي نَفْسِي وَلَا تُسَلِّطْهَا عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ ، <sup>(٢)</sup> سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لِي ذَنْبِي إِنَّكَ أَنْتَ رَبِّي وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، اللَّهُمَّ <sup>(٣)</sup> أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِي شَرَّ نَفْسِي ، اللَّهُمَّ <sup>(٤)</sup> ارْزُقْنِي حَلَالًا لَا تَعَاقِبُنِي عَلَيْهِ وَقِنْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي وَاسْتَعْمِلْنِي بِهِ صَالِحًا تَقْبَلُهُ مِنِّي ، <sup>(٥)</sup> اسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَحُسْنَ الْيَقِينِ ، وَالْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ <sup>(٦)</sup> يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ وَلَا تُنْقِصُهُ الْمَغْفِرَةُ ، هَبْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَأَعْطِنِي مَا لَا يَنْقُصُكَ (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) <sup>(١)</sup> ، (أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) <sup>(٢)</sup> (أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَارْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) <sup>(٣)</sup> (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) <sup>(٤)</sup> (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا قِسْمَةَ الْفَاسِقِينَ) <sup>(٥)</sup> (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا ،

(١) حديث اللهم بقدرتك على تب علي انك أنت التواب الرحيم وبحلمك على اعف عني - الحديث الى

قوله انك الملك الجبار : لم أقف له على أصل

(٢) حديث سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي أنت ربى انه

لا يغفر الذنوب الا أنت : حق في الدعوات من حديث على دون قوله ذنبي انك أنت ربى :

وقد تقدم في الباب الثانى

(٣) حديث اللهم ألهمنى رشدى وقبى شر نفسى : ت من حديث عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم

علمه لحصين وقال حسن غريب : ورواه ن فى اليوم واليلة وك من حديث حصين والد

عمران وقال صحيح على شرط الشيخين

(٤) حديث اللهم ارزقنى حلالا لا تعاقبنى فيه وقننى بما رزقنى واستعملنى به صالحا تقبله منى : ك من

حديث ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فنعنى بما رزقنى وبارك لى فيه

واخلف على كل غائبة لى بخير وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

(٥) حديث اللهم انى أسألك العفو والعافية والمعافاة وحسن اليقين فى الدنيا والآخرة : ت من حديث

أبى بكر الصديق بلفظ سلوا الله المعافاة فانه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة وفى رواية

للبهقى سلوا الله العفو والعافية واليقين فى الأولى والآخرة فانه ما أوتى العبد بعد اليقين خيرا

من العافية وفى رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية

(٦) حديث يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لى ما لا يضررك وأعطنى ما لا ينقصك : أبومنصور

الدبلى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف

(١) الأعراف : ١٢٦ <sup>(٢)</sup> يوسف : ١٠١ <sup>(٣)</sup> الأعراف : ١٥٥ ، ١٥٦ <sup>(٤)</sup> المتحة : ٤ <sup>(٥)</sup> يونس : ٨٥

رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(١)</sup>، (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا  
وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ<sup>(٢)</sup>)، (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ  
فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ<sup>(٣)</sup>)، (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا  
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا<sup>(٤)</sup>)، (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ<sup>(٥)</sup>)، (رَبَّنَا إِنَّنَا  
نَمِينَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ<sup>(٦)</sup>)، (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ  
نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا<sup>(٧)</sup>)، إلى آخر السورة<sup>(٨)</sup> رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَارْحَمْنِي بِمَا كُنْتُ ضَالًّا  
وَاعْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ<sup>(٩)</sup> رَبِّ اغْفِرْ  
وَارْحَمْ وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ وَأَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ  
وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ  
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا  
أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ<sup>(١٠)</sup> إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ  
وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا

(١) حديث رب اغفر لي ولوالدي وارضهما كما ريانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات

الأحياء منهم والأموات : ده باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدى قال رجل من  
بنى سامة هل بقى على من بر أبوى شىء قال نعم الصلاة عليها والاستغفار لهما - الحديث :  
ولأبى الشيخ حب فى الواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أنس من استغفر للمؤمنين  
والمؤمنات رد الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة  
وسنده ضعيف وفى صحيح حب من حديث أبى سعيد أيمارجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليل فى  
دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة

(٢) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين :  
أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم  
واهْدِنِ السَّبِيلَ الْأَفْوَمُ وفيه على بن زيد بن جدهان مختلف فيه وللطبرانى فى الدعاء من حديث  
ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا سعى فى بطن السيل اللهم اغفر وارحم وأنت  
الأعز الأكرم وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح

(٣) حديث اللهم انى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ  
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ : رخ من حديث سعد بن أبى وقاص

(١) المتخذه : ٥ (٢) آل عمران : ١٤٧ (٣) الحشر : ١٠ (٤) الكهف : ١٠ (٥) البقرة : ١٠١ (٦) آل عمران : ١٩٣ (٧) البقرة : ٢٨٦

(٧) البقرة : ٢٨٦

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ<sup>(١)</sup> إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَمَعٍ وَمِنْ طَمَعٍ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ وَمِنْ طَمَعٍ حَيْثُ لَا مَطْمَعٌ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ<sup>(٢)</sup> مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لَا يَسْمَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بئْسَ الضَّجِيعُ، وَمِنْ الْخِلْيَانَةِ فَإِنَّهَا بئْسَتِ الْبِطَانَةُ وَمِنْ الْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَمِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قُلُوبًا أَوْاهَةً خُجْبَةً مُبِينَةً فِي سَبِيلِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ<sup>(٣)</sup> مِنَ التَّرَدَّى وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النِّعَمِ وَالْفِرَقِ وَالْهَسَدِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي تَطَلُّبِ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ<sup>(٤)</sup> مِنْ شَرِّ مَا عَلِمْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ<sup>(٥)</sup> جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَدْوَاءِ وَالْأَهْوَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ<sup>(٦)</sup> مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ<sup>(٧)</sup> مِنَ الْكُفْرِ وَالذَّنِّ وَالْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ

( ١ ) حديث اللهم اني أعوذ بك من طمع يهدي الى طمع وطمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع : أخذك من حديث معاذ وقال مستقيم الأسناد

( ٢ ) حديث اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع - الحديث : الى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كاقال الا أنه ورد مفردا في أحاديث جيدة الأسانيد

( ٣ ) حديث اللهم اني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من النعم - الحديث : الى قوله وأعوذ بك أن أموت في طلب الدنيا : ذك وصحح أسنده من حديث أبي اليسر واسمه كعب بن عمر بن زيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت في طلب دنيا وتقدم من عند البخاري الاستعاذة من فتن الدنيا ( ٤ ) حديث اللهم اني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم : قلت هكذا في غير نسخة علمت وانما هو عملت وأعمل كذا رواه : م من حديث عائشة ولأبي بكر بن الضحاك في الثمائل في حديث مرسل في الاستعاذة وفيه وشر ما لم أعلم وشر ما لم أعلم

( ٥ ) حديث اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء : ت وحسنة وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك

( ٦ ) حديث اللهم اني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء : متفق عليه من حديث أبي هريرة

( ٧ ) حديث اللهم اني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنه الدجال : ذك وقال صحيح الاسناد من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفي رواية للنسائي من الكفر والفقر وسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة في حديث قال فيه ومن شر فتنه المسيح الدجال

مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ<sup>(١)</sup> شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَقَلْبِي وَشَرِّ  
 مَنِّي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ<sup>(٢)</sup> جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ ، اللَّهُمَّ  
 إِنِّي أَعُوذُ بِكَ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْفُسُوقِ وَالنَّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ وَضَيْقِ الْأَرْزَاقِ وَالسَّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ وَأَعُوذُ  
 بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبُكْمِ وَالْعَمَى وَالْجُنُونِ وَالْجَذَامِ وَالْيَرَصِ وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي  
 أَعُوذُ بِكَ مِنْ<sup>(٤)</sup> زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَمِنْ تَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَمِنْ خِفَافَةِ نِقْمَتِكَ وَمِنْ جَمِيعِ  
 سَخَطِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ<sup>(٥)</sup> مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ  
 وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغَنَى وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَغْرَمِ وَالْمَأْتَمِ  
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ<sup>(٦)</sup> مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَصَلَاةٍ لَا تَنْفَعُ وَدَعْوَةٍ لَا تُسْتَجَابُ  
 وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْغَمِّ وَفِتْنَةِ الصَّدْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ<sup>(٧)</sup> مِنْ غَلَبَةِ الْعَدُوِّ وَشِمَاتَةِ  
 الْأَعْدَاءِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى كُلِّ عَبْدٍ مُصْطَفَى مِنْ كُلِّ الْعَالَمِينَ آمِينَ

( ١ ) حديث اللهم انى أعوذ بك من شر سمى وشر بصرى وشر لسانى وقلبى وشر منى : دن ت وحسنه ك

وصحح أسنده من حديث سهل بن حميد

( ٢ ) حديث اللهم انى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول : دن ك من حديث

أبي هريرة وقال صحيح على شرط م

( ٣ ) حديث اللهم انى أعوذ بك من الفسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر

والفسوق والشقاق والنفاق والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام

والبرص وسىء الأسقام : دن مقتصرين على الاربعة الاخيرة وك بهامه من حديث أنس وقال

صحيح على شرط الشيخين

( ٤ ) حديث اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وخفأة نقيمتك ومن جميع سخطك : دن من حديث ابن عمر

( ٥ ) حديث اللهم انى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشرفنة الغنى وشر

فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المأثم والمغرم : متفق عليه من حديث عائشة

( ٦ ) حديث اللهم انى أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع و صلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ

بك من سوء العمر وفتنة الصدر : م من حديث زيد بن أرقم فى أثناء حديث اللهم انى أعوذ

بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها وصلاة لا تنفع وشك

أبو العتمر فى سماعه من أنس والنسائى بإسناد جيد من حديث عمر فى أثناء حديث وأعوذ بك

ود من حديث أنس اللهم انى أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر

( ٧ ) حديث اللهم انى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء : دن ك من حديث عبد الله

ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم



## الباب الخامس

في الأدعية الماثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث

إذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه ، وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه ، وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة ، فإذا خرجت إلى المسجد فقل «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي لِسَانِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا وَاجْعَلْ خَلْفِي نُورًا وَأَمَامِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا ، اللَّهُمَّ اعْطِنِي نُورًا . وَقُلْ أَيْضًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ <sup>(١)</sup> بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مُمْشَيْ هَذَا إِلَيْكَ فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً ، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، فَاسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تُغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ »

فإن خرجت من المنزل لحاجة فقل « بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ <sup>(٢)</sup> بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ بِسْمِ اللَّهِ التَّكْلَانُ عَلَى اللَّهِ » فإذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل « اللَّهُمَّ <sup>(٣)</sup> صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ » وقدم رجلك اليمنى في الدخول

﴿ الباب الخامس في الأدعية الماثورة عند كل حادث من الحوادث ﴾

( ١ ) حديث القول عند الخروج إلى المسجد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا - الحديث : متفق

عليه من حديث ابن عباس

( ٢ ) حديث اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك - الحديث : من حديث أبي سعيد

الخدري بإسناد حسن

( ٣ ) حديث القول عند الخروج من المنزل لحاجته بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل

أو يجهل علي : أصحاب السنن من حديث أم سلمة قالت حسن صحيح

( ٤ ) حديث بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله التكلان على الله : ه من حديث أبي هريرة أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال بسم الله فذكره إلا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف

( ٥ ) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك :

ت ه من حديث فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت حسن وليس أسنده بمتصل

ومسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب

رحمتك وزاد في أوله فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم

م - ٤٥ - ثالثه - أحياء

فإذا رأيت في المسجد<sup>(١)</sup> من يبيع أو يبتاع فقل «لَا أَرْبِحُ اللَّهَ تِجَارَتَكَ» وإذا رأيت من<sup>(٢)</sup> ينشد ضالة في المسجد فقل «لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ» أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> فإذا صليت ركعتي الصبح فقل: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي الدِّعَاءَ إِلَى آخِرِهِ كما أوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> فإذا ركعت فقل في ركوعك «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَلَكَ خَشَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسَلْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ أَنْتَ رَبِّي خَشَعَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَخُفِّي وَعَظْمِي وَعَصِي وَمَا اسْتَقَلْتُ بِهِ قَدَمِي اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» وإن أحييت فقل<sup>(٥)</sup> «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ<sup>(٦)</sup> أَوْ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»<sup>(٧)</sup> فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلَ السَّمَوَاتِ وَمِلَ الْأَرْضِ وَمِلَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ أَهْلُ الشَّعَائِرِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالُوا لِعَبْدِكَ عَبْدُكَ، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» وإذا سجدت فقل «اللَّهُمَّ<sup>(٨)</sup> لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسَلْتُ سَجَدْتُ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، اللَّهُمَّ سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخِيَالِي وَآمَنَ بِكَ فَوَادِي أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي وَهَذَا مَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أو تقول<sup>(٩)</sup> «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

(١) حديث القول إذا رأى من يبيع أو يبتاع في المسجد لا أربح الله تجارتك : ت وقال حسن غريب ون في اليوم واليلة من حديث أبي هريرة

(٢) حديث القول إذا رأى من ينشد ضالة في المسجد لا ردها الله عليك : م من حديث أبي هريرة

(٣) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ: قد تقدم في الدعاء

(٤) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلنت - الحديث : م من حديث علي

(٥) حديث القول فيه سبحان رب العظيم ثلاثا : د ت ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع

(٦) حديث القول فيه سبحان رب الملائكة والروح : م من حديث عائشة

(٧) حديث القول عند الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد - الحديث : م من حديث

أبي سعيد الخدري وابن عباس دون قوله سمع الله لمن حمده ففي اليوم واليلة للحسن بن علي

العمري وهي عند م من حديث ابن أبي أوفى وعند م من حديث أبي هريرة

(٨) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت - الحديث : م من حديث علي اللهم سجد لك سوادى

وخياي وآمن بك فوادي أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاعفري

فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الأسناد وليس كقال بل هو ضعيف

(٩) حديث سبحان ربى الأعلى ثلاثا : د ت ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع

فإذا فرغت من الصلاة فقل «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»  
وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها

فإذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل <sup>(٢)</sup> «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» فإذا دخلت السوق فقل <sup>(٣)</sup> «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»  
<sup>(٤)</sup> بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ السُّوقِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَصِيبَ فِيهَا يَمِينًا فَاجِرَةً أَوْ صَفْقَةً خَاسِرَةً  
فإن كان عليك دين فقل : اللَّهُمَّ <sup>(٥)</sup> اكْفِنِي بِحَمْلِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ  
فإذا لبست ثوباً جديداً فقل اللَّهُمَّ <sup>(٦)</sup> كَسَوْتَنِي هَذَا الثَّوبَ فَلَكَ الْحَمْدُ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ  
وإذا رأيت شيئاً من الطيرة تكرهه فقل <sup>(٧)</sup> «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَذْهَبُ بِالسَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»

( ١ ) حديث القول إذا فرغ من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام : من حديث ثوبان

( ٢ ) حديث كفارة المجلس سبحانهك اللهم وبحمديك أشهد أن لا إله إلا أنت : ن في اليوم واليلة من حديث

رافع بن خديج بإسناد حسن

( ٣ ) حديث الفول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت

بيده الخير وهو على كل شيء قدير : ت من حديث عمر وقال غريب و ك وقال صحيح على شرط الشيخين

( ٤ ) حديث بسم الله اللهم اني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني أعوذ بك من شرها وشر

ما فيها اللهم اني أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة : ك من حديث بريدة

وقال أقرها لسرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جار لشعيب بن حرب

ولعله حنص بن سلمان الأسدي يختلف فيه

( ٥ ) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بخلافك عن حرامك وبفضلك عمن سواك : ت وقال حسن غريب

و ك وقال صحيح الأسناد من حديث علي بن أبي طالب

( ٦ ) حديث الدعاء إذا لبس ثوباً جديداً اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خبره وخير ما صنع

له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له : د ت وقال حسن و ن في اليوم واليلة من حديث

أبي سعيد الخدري : ورواه ابن السني بلفظ المصنف

( ٧ ) حديث القول إذا رأى شيئاً من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسّيئات إلا أنت

لا حول ولا قوة إلا بالله : ابن أبي شيبة وأبو نعيم في اليوم واليلة وهن في الدعوات من حديث

عروة بن عامر مرسل ورجاله ثقات وفي اليوم واليلة لابن السني عن عقبه ابن عامر فجعله مسنداً

وإذا رأيت الهلال قتل « اللهم <sup>(١)</sup> أهله علينا بالأمن والإيمان والأبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما نحب وترضى، وأحفظ عمن نسخط، ربّي وربك الله » ويقول « هلال <sup>(٢)</sup> رشدي وخير، آمنت بخالقك، اللهم إني أسألك <sup>(٣)</sup> خير هذا الشهر وخير القدر، وأعوذ بك من شر يوم الحشر، وتكبر قبله أولاً ثلاثاً،

وإذا هبت الريح فقل « اللهم إني أسألك <sup>(٤)</sup> خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به »

وإذا بلغك وفاة أحد فقل <sup>(٥)</sup> « إنا لله وإنا إليه راجعون <sup>(٦)</sup> » (وإنا إلى ربنا لمنقلبون <sup>(٧)</sup>) اللهم اكُتبه في المحسنين، واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله « وتقول عند التصديق (ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم <sup>(٨)</sup>) وتقول عند الحشر ان: (عسى ربنا أن يبدلنا خير أمنها إنا إلى ربنا راجعون <sup>(٩)</sup>) وتقول عند ابتداء الأمور (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً <sup>(١٠)</sup>) (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري <sup>(١١)</sup>)

(١) حديث النكير عند رؤية الهلال ثلاثاً ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربّي وربك الله : الدارمي من حديث ابن عمر الا أنه أطلق النكير ولم يقل ثلاثاً : ورواه ت وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر النكير واليه في الدعوات من حديث قتادة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثاً

(٢) حديث هلال خير ورشد آمنت بخالقك : د مرسل من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك ثلاث مرّات وأسند الدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط من حديث أس وقال د وليس في هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح

(٣) حديث اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر : ابن أبي شيبة وأحمد في مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوي عنه حدثني من لا أنهم

(٤) حديث القول إذا هبت الريح اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به : ت وقال حسن صحيح و ن في اليوم والليلة من حديث أبي بن كعب

(٥) حديث القول إذا بلغه وفاة أحد ان الله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكُتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله : ابن السني في اليوم والليلة وحب من حديث أم سلمة إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل ان الله وانا اليه راجعون وسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه

(١) البقرة : ١٥٦ (٢) الزخرف : ١٤ (٣) البقرة : ١٢٧ (٤) ن : ٣٢ (٥) الكهف : ١٠ (٦) طه : ٢٥، ٢٦

وتقول عند النظر إلى السماء ( رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ )<sup>(١)</sup> ( تبارك الذي جعل في السماء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَرًّا مُنِيرًا )<sup>(٢)</sup> وإذا سمعت صوت الرعد فقل<sup>(٣)</sup> « سُبْحَانَكَ مَنْ يَسْبُحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَأَنْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مِنْ خِيفَتِهِ » فإن رأيت الصواعق فقل<sup>(٤)</sup> « اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ وَلَا تَهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ » قاله كعب فإذا طارت السماء فقل « اللَّهُمَّ سَقِّمَاهُنَا وَمُنِّبِنَا نَافِعًا اللَّهُمَّ أَحْقَاهُ<sup>(٥)</sup> صَبِّبْ رَحْمَةً وَلَا تَجْعَلْهُ صَيِّبَ عَذَابٍ » فإذا غضبت فقل اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم فإذا خفت قوما فقل ، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ، فاذا غزوت فقل اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل<sup>(٦)</sup> وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل : ذكر الله من ذكرني بخير<sup>(٧)</sup> ، فإذا رأيت استجابة دعائك فقل ، الحمد لله الذي بعزته وجلاله تيمم الصالحات ، وإذا أبطأت فقل الحمد لله على كل حال<sup>(٨)</sup> وإذا سمعت أذان المغرب فقل « اللَّهُمَّ هَذَا إِقبالُ لَيْلِكَ وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ وَأَصْوَاتُ دُعَايِكَ »

( ١ ) حديث القول إذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته : مالك في الموطأ

عن عبد الله بن الزبير موقوفاً ولم أجده مرفوعاً

( ٢ ) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك : توفال عريب

ن في اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السني بإسناد حسن

( ٣ ) حديث القول عند المطر اللهم سقنا هنيئاً وصيباً نافعاً : مخ من حديث عائشة كان إذا رأى المطر قال

اللهم اجعله صيباً نافعاً وسقياً بالسين أوله ون في اليوم والليلة اللهم اجعله صيباً هنيئاً وإسنادها صحيح

( ٤ ) حديث اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب : ن في اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلاً

( ٥ ) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم : ابن

السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف

( ٦ ) حديث القول إذا خاف قوما اللهم ابي أحملك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم : دن في اليوم والليلة من

حديث أبي موسى بسند صحيح

( ٧ ) حديث القول إذا غزا اللهم أنت عضدي ونصيري بك أقاتل : د ت من حديث أس قال ت حسن غريب

( ٨ ) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صلى على محمد ذكر الله بخير من ذكرني : الطبراني وابن عدي

وابن السني في اليوم والليلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف

( ٩ ) حديث القول إذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات : تقدم في الدعاء

( ١٠ ) حديث القول إذا سمع أذان المغرب اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور

صلواتك أسألك أن تغفر لي : ت د وقال غريب وك من حديث أم سلمة دون قوله وحضور

صلواتك فاتها عند الخرائطي في مكارم الأخلاق والحسن بن علي العمري في اليوم والليلة

( ١ ) آل عمران : ١٩١ ( ٢ ) الفرقان : ٦١

وَحُضُورُ صَلَوَاتِكَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي <sup>(١)</sup> ، وَإِذَا أَصَابَكَ هَمْ فَقُلْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ  
عَبْدِكَ وَابْنُ أُمِّتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ  
هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ أَوْ أُنْزِلَتْهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتُ بِهِ  
فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ غَمِّي وَذَهَابَ حُزْنِي وَهَمِّي  
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا أَصَابَ أَحَدًا حُزْنٌ فَقَالَ ذَلِكَ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا »  
فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تَعْلَمُهَا؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا »  
وَإِذَا وَجَدْتَ وَجْعًا فِي جَسَدِكَ أَوْ جَسَدَ غَيْرِكَ فَارْقِهِ بِرُقِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ قَرْحَةً أَوْ جَرَحًا وَضَعَ سَبَابَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا ،  
وَقَالَ <sup>(٢)</sup> بِسْمِ اللَّهِ تَرَبُّهُ أَرْضُنَا بِرُقِيَةِ بَعْضِنَا يَشْفِي سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا <sup>(٣)</sup> ، وَإِذَا وَجَدْتَ  
وَجْعًا فِي جَسَدِكَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَتَأَلَّمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ « بِسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ  
أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ <sup>(٤)</sup> ، فَإِذَا أَصَابَكَ كَرْبٌ فَقُلْ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
الْعَلِيُّ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ  
الْعَرْشِ الْكَرِيمِ <sup>(٥)</sup> » فَإِنْ أَرَدْتَ النَّوْمَ فَتَوَضَّأْ أَوَّلًا ، ثُمَّ تَوَسَّدْ عَلَى يَمِينِكَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، ثُمَّ  
كَبَّرِ اللَّهُ تَعَالَى أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ، وَسَبَّحَهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَاحْمَدَهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، ثُمَّ قُلْ <sup>(٦)</sup> ،  
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عِقَابِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ،

( ١ ) حديث القول إذا أصابه هم اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمك ناصيتي بيدك - الحديث : أحمد

وحبك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط من ان سلم من ارسال عبد الرحمن  
عن أبيه فانه مختلف في سماعه من أبيه

( ٢ ) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله تربة أرضنا برقية بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا :  
متفق عليه من حديث عائشة

( ٣ ) حديث وضع يده على الذي يألم من جسده ويقول بسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما  
أجد وأحاذر سبع مرات : م من حديث عثمان بن أبي العاص

( ٤ ) حديث دعاء الكرب لا اله الا الله العلي الحليم - الحديث : متفق عليه من حديث ابن عباس

( ٥ ) حديث التكبير عند النوم أربعا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين : متفق عليه من حديث علي

( ٦ ) حديث القول عند ارادة النوم اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ  
بك منك اللهم لا أستطيع أن أباع ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أنيت على نفسك :

النسائي في اليوم والليلة من حديث علي وفيه انقطاع

اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْلُغَ ثَنَاءَ عَلَيْكَ وَلَوْ حَرَصْتُ وَلَكِنْ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ،  
 اللَّهُمَّ<sup>(١)</sup> بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ . اللَّهُمَّ<sup>(٢)</sup> رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهَ فَالِقَ  
 الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ ، وَمِنْ  
 شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ  
 شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، أَفْضَى عَنِّي الدِّينَ  
 وَأَغْنِي مِنَ الْفَقْرِ ، اللَّهُمَّ<sup>(٣)</sup> إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا ، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَيَّاتُهَا ، اللَّهُمَّ  
 إِنْ أَمَتَهَا فَاعْفِرْ لَهَا وَإِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ<sup>(٤)</sup>  
 بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنَّتِي فَاعْفِرْ لِي ذَنْبِي ، اللَّهُمَّ<sup>(٥)</sup> قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادُكَ ،  
 اللَّهُمَّ<sup>(٦)</sup> أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ  
 رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَنَبِيِّكَ  
 الَّذِي أَرْسَلْتَ ، وَيَكُونُ هَذَا آخِرَ دَعَائِكَ فَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَلِيَقُلْ قَبْلَ ذَلِكَ  
 اللَّهُمَّ<sup>(٧)</sup> أَيْقِظْنِي فِي أَحَبِّ السَّاعَاتِ إِلَيْكَ وَاسْتَعْمِلْنِي بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْكَ تَقَرَّبُنِي إِلَيْكَ زُلْفَى  
 وَتُبْعِدْنِي مِنْ سَخَطِكَ بَعْدًا أَسْأَلُكَ فَتُعْطِنِي وَاسْتَغْفِرَكَ فَتَغْفِرَ لِي وَأَدْعُوكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي «

( ١ ) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت : خ من حديث حذيفة و م من حديث البراء

( ٢ ) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ، ومليكه فالق الحب والنوى الحديث : الى قوله

وأغنى من الفقر م من حديث أبي هريرة

( ٣ ) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها الحديث : الى قوله اني أسألك العافية م من حديث ابن عمر

( ٤ ) حديث باسمك ربى وضعت جنى فاعفِر لى ذنبى : ن فى اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو

بسند جيد وللشيخين من حديث أبى هريرة باسمك ربى وضعت جنى وبك أرفعه ان أمسكت

نفسى فاعفِر لها وقال بخ فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين

( ٥ ) حديث اللهم قنى عذابك يوم تجمّع عبادك : ت فى النماز من حديث ابن مسعود وهو عند د من

حديث حفصة بلفظ تبعث وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه

( ٦ ) حديث اللهم انى أسلمت نفسى اليك وفوضت أمرى اليك - الحديث : متفق عليه من حديث البراء

( ٧ ) حديث اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى فى أحب الأعمال اليك تقربنى اليك زلفى وتبعدنى

من سخطك بعدا أسألك فتعطينى واستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى : أبو منصور

الدبلى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابعثنا فى أحب الساعات اليك حتى

نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا واسأله ضعيف

وهو معروف من قول حبيب الطائى كما رواه ابن ابى الدنيا فى الدعاء

(١) فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » (٢) أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ اللَّهُ وَالْعِزَّةُ وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ وَالْعِزَّةُ وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ (٣) أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِلَّةِ آيِنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، اللَّهُمَّ (٤) إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنِي فِي هَذَا الْيَوْمِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ ، وَتَعُوذُ بِكَ أَنْ تَجْرَحَ فِيهِ سُوءًا أَوْ تَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ فَأَنْتَ قُلْتَ (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ) تَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِقَاضِي أَجَلٍ مُّسَمًّى (١) اللَّهُمَّ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا فِيهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا فِيهِ ،

(١) حديث القول إذا استيقظت منامه الحمد لله الذي أحيانا بعدما ماتنا وإليه النشور: من حديث حذيفة من حديث البراء

(٢) حديث أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله : الطبراني في الأوسط

من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحوال والقوة والقدرة والسلطان والسموات

والأرض وكل شيء لله رب العالمين وله في الدعاء من حديث ابن أبي أوفى أصبحت وأصبح

للملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيها لله واسنادها ضعيف ولمسلم

من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله

(٣) حديث أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة آيينا

ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين : ن في اليوم واللييلة من حديث عبد الرحمن بن ابيزى

بسنن صحيح ورواه أحمد من حديث ابن ابيزى عن أبي كعب مرفوعا

(٤) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير : أصحاب السنن وحب وحسنه

ت الا أنهم قالوا واليك النشور ولا بن السنن واليك المصير

(٥) حديث اللهم اننا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن تجرحنا فيه سوءا أو تجرحنا الى مسلم

الحديث : لم أجد أوله وت من حديث أبي بكر في حديث له وأعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان

وشره وأن تقترف على أنفسنا سوءا أو تجرحنا الى مسلم رواه دمن حديث أبي مالك الأشعري باسناد جيد

(٦) حديث اللهم فالق الاصبح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير

ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه : قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمي

في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق

الاصبح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين وأغنني من الفقر وقويني

على الجهاد في سبيلك ولدارقطني في الأفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير

ما بعده ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده و د من حديث أبي مالك الأشعري اللهم

انا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهداه وبركته وأعوذ بك من شر ما فيه وشر

ما بعده ويسنده جيد وللحسن بن علي المعمر في اليوم واللييلة من حديث ابن مسعود اللهم اني

أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده والحديث

عندم في المساء خير ما في هذه اللييلة - الحديث : ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضا

(١) الأنعام : ٩٠



«<sup>(١)</sup> بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كُلُّ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ  
بِيَدِ اللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ،<sup>(٢)</sup> رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا، (رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ<sup>(٣)</sup>)  
<sup>(٤)</sup> وَإِذَا أَمْسَى قَالَ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ أَمْسِينَا وَيَقُولُ مَعَ ذَلِكَ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ  
وَأَسْمَائِهِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ  
بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»  
<sup>(٥)</sup> وَإِذَا نَظَرَ فِي الْمِرَاةِ قَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَوَّى خَلْقِي فَمَدَّلَهُ وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِهِ وَحَسَّنَهَا  
وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

(١) حديث بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء  
الله لا يصرف السوء إلا الله : عد في الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعاً  
إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال يلتقي الخضر والياس عليها الصلاة والسلام كل عالم بالموسم  
بمى فيخلق كل واحد منها رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير  
كله بيد الله قال موضعها لا يسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين  
يمسى أمنه الله من الغرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب  
أورده في ترجمة الحسين بن زرير وقال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر

(٢) حديث رضى الله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً : تقدم في الباب الأول

(٣) حديث القول عند المساء مثل الصباح إلا أنك تقول أَمْسِينَا وتقول مع ذلك أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ  
وَأَسْمَائِهِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ وَبَرَأَ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا  
ان ربي على صراط المستقيم : أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف  
من قال حين يصبح أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ التي لا يعاودهن بر ولا فاجر من شر ما خلق  
وبراً وذرأً واعتصم من شر الثقلين - الحديث : وفيه وان قالهن حين يمسى كن له كذلك حتى  
يصبح وفيه ابن لهيعة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن في حديث أن جبريل قال،  
يا محمد قل أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ،  
الحديث : واسناده جيد ولمسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ  
كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا وللطبراني في الدعاء من حديث أبي البرداء اللهم إني أَعُوذُ بِكَ  
مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ الْخ - الحديث : وقد تقدم في الباب الثاني

(٤) حديث القول اذا نظر في المِرَاةِ الحمد لله الذى سوى خلقى فمدله وكرمه صورة وجهى وحسنها وجعلنى  
من المسلمين : الطبراني في الأوسط وابن السني في اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف

م - ٢٦ - ثالث - إحياء

(١) للمتحنة : ح

(١) وإذا اشتريت خادماً أو غلاماً أو دابة فخذ بناصيته وقل : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ »  
 (٢) وإذا هنأت بالنكاح قل : « بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ يَنْسُكَافِي خَيْرٍ »  
 . وإذا قضيت الدين فقل للمقضى له (٣) « بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ » إذا قال صلى الله عليه وسلم  
 « إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ »

فهذه أدعية لا يستغنى المريد عن حفظها ، وماسوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ، ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة  
 فإن قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له

فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، فلدعاء سبب لرد البلاء ، واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافمان ، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالمجان ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح ، وقد قال تعالى : ( خُذُوا حِذْرَكُمْ ) (١) وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر ، فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر ، وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلح البصر أو هو أقرب ، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سبباً ، فلا تناقض بين هذه الآءور عند من انفتحت بصيرته ،

ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي خضوع القلب مع الله وهو منتهى العبادات

( ١ ) حديث القول اذا اشترى خادماً أو دابة اللهم ائى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره

وشر ما جبل عليه : د هـ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد

( ٢ ) حديث التهنة بالنكاح برك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير : دت هـ من حديث أبي هريرة قال ت حسن صحيح

( ٣ ) حديث الدعاء لصاحب الدين اذا قضى الله دينه برك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف الحمد

والاداء : ن من حديث عبد الله بن أبي ربيعة قال استقرض مني النبي صلى الله عليه وسلم أربعين

ألفاً فجاءه مال فدفعه الى قال فذكره واسناده حسن

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «الدُّعَاءُ مُخِّ الْمَبَادَةِ»  
والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق مامة ، فإن الانسان إذا مسه الشر فذودعاء عريض ، فالحاجة تجوج إلى الدعاء ، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة ، فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ، وينع من نسيانه ، وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور ، فإن الانسان ليطنى أن رآه استغنى  
فهذا ما أردنا أن نورد من جملة الأذكار والدعوات، والله الموفق للخير ، وأما بقية الدعوات في الأكل والنسفر وعيادة المريض وغيرها ، فستأتى في مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان ،  
نجز كتاب الأذكار والدعوات بكماله ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

( ١ ) حديث الدعاء مخ العباداة : تقدم في الباب الأول

فهرست الجزء الأول

الصفحة	الصفحة
٨١	أقسام العلماء
٨٢	<b>الباب الخامس : في آداب المعلم والمعلم</b>
٩٠	مراتب العلوم
٩١	كلمة في القلب
٩٢	<b>بيان وظائف المرشد المعلم</b>
٩٨	<b>الباب السادس : في آفات العلم</b>
١٠١	علامات علماء الآخرة
	اجتناب المباح تورعا وانصاف العلماء
١١٤	للحق
١١٥	التحرز من مخالطة السلاطين
١١٧	التحرج من الفتيا
	معنى اليقين - اليقين في اصطلاح النظائر
١٢٣	والتكلمين
١٢٤	اليقين في اصطلاح الفقهاء والمنصوفة
١٢٦	مجارى اليقين
١٣٤	أوائل المصنفات في الاسلام
١٣٤	ابتداء تصنيف الكلام
١٣٥	مقباس العلم الصحيح
	<b>الباب السابع : في العقل وشرفه</b>
١٤٠	وحقيقته وأقسامه - بيان شرف العقل
١٤٥	<b>بيان حقيقة العقل وأقسامه</b>
١٤٩	<b>بيان تفاوت النفوس في العقل</b>
١٥٤	<b>كتاب قواعد العقائد</b>
	<b>الفصل الأول : في ترجمة عقيدة اهل</b>
١٥٤	السنة في كلمتي الشهادة والتنزيه
١٥٥	الحياة والقدرة و العلم
١٥٦	الإرادة والسمع والبصر والكلام
١٥٧	الأفعال
	<b>معنى الكلمة الثانية وهى الشهادة</b>
١٥٨	<b>لترسل بالرسالة</b>
	<b>الفصل الثانى : في وجه التدريج الى</b>
١٦١	الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد
١٦٧	التحقيق في حكم الجدل
١٧١	الحقيقة والشرعية
١٧٨	التأويل والتفويض
	<b>الفصل الثالث : في لوازم الأدلة للعقيدة</b>
١٨٠	التي ترجمناها بالقدس
	<b>الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة</b>
١٨٢	<b>ذات الله سبحانه وتعالى</b>
١٨٢	العلم بوجوده تعالى
١٨٣	البرهان العقلى على وجوده
١٨٤	القدم والبقاء والتنزه عن كونه جوهرا
١٨٥	التنزه عن الجسمية
	<b>مقدمة</b>
١	
٨	<b>كتاب العلم</b>
٨	<b>الباب الأول : في فضل العلم والتعلم</b>
٨	والتعلم وشواهد من النقل والعقل
١٥	<b>فضيلة العلم</b>
١٦	<b>فضيلة التعلم</b>
٢١	<b>فضيلة التعليم</b>
٢٢	<b>في الشواهد العقلية</b>
٢٢	أعمال الأدميين وحرفهم
٢٢	شرف السياسة
٢٤	<b>الباب الثانى : في العلم المحمود والمذموم</b>
٢٤	<b>بيان العلم الذى هو فرض عين</b>
٢٤	آراء الناس في العلم العينى
٢٥	أنواع المعاملة المكلف بها
١٨	<b>بيان العلم الذى هو فرض كفاية</b>
٢٨	منزلة العلوم الترعية
٢٩	أضرب العلوم الترعية
٣٠	منزلة الفقه ومهمة الفقهاء
٣٢	مراتب الورع
	تفصيل علم طريق الآخرة - علم
٣٤	الكاشفة
٣٦	علم المعاملة
٤٢	الإمام الشافعى
٤٦	الإمام مالك
٤٧	الإمام أبو حنيفة
٤٨	الإمامان أحمد والثورى
	<b>الباب الثالث : فيما يعده العامة من</b>
٤٩	العلوم المحمودة وليس منها
٤٩	<b>بيان علة ذم العلم المذموم</b>
٤٩	كلمة في السحر
٥٠	علم النجوم
٥٣	<b>بيان ما يدل من ألفاظ العلوم</b>
٥٨	ذم القصص
٥٩	المباح من القصص
٦٥	<b>بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة</b>
	<b>الباب الرابع : في سبب اقبال الخلق</b>
	على علم الخلاف وتفصيل آفات
٧٠	المنظرة والجدل وشروط إباحتها
	<b>بيان التلييس في تشبيه هذه المناظرات</b>
	<b>مساورات الصحابة ومفاوضات</b>
٧١	<b>أسلف</b>
٧٢	شروط المناظرة لطلب الحق
	<b>بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من</b>
٧٦	<b>مهلكات الأخلاق</b>

( احباء علوم الدين - الجزء الثالث )

الصفحة	الصفحة
١٨٨	التنزه عن الجسمية والتنزه عن كونه عرضا
١٨٩	الاستواء
١٩٠	الرؤية والوحدانية
١٩١	الركن الثاني : العلم بصفات الله تعالى
	القدرة

فهرست الجزء الثاني

الصفحة	الصفحة
٢٤٣	العلم بأفعال الله تعالى وكسب العبد
٢٤٦	ارادة الله فعل العبد
٢٤٧	تفضل الله بالخلق
٢٤٨	التكليف بما لا يطاق وجواز ألام الخلق
٢٤٩	عدم رعاية الأصلح عليه
٢٥٠	بعثة الأنبياء جائزة وثبوت نبوة خاتم النبيين
٢٥١	الركن الرابع في السمعيات وتصديقه
٢٥٢	صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به
٢٥٣	الحشر والنشر
٢٥٤	سؤال منكر ونكير عذاب القبر - الميزان
٢٥٥	الصراط - الجنة والنار - الأمانة الحق
٢٥٦	فضل الصحابة وترتيبهم - شروط الامامة
٢٥٧	انقضاء الامامة عند خوف الفتنة
٢٥٨	الفصل الرابع : في الايمان والاسلام
٢٥٩	شبهة المرجئة
٢٦٠	زيادة الايمان ونقصانه
٢٦١	اطلاقات الايمان
٢٦٢	الاستثناء في الاقرار بالايمان
٢٦٣	ارتباط الايمان بالبراءة من النفاق
٢٦٤	بعض الآثار التي وردت في التخلي عن النفاق
٢٦٥	انقسام النفاق
٢٦٦	كتاب أسرار الطهارة
٢٦٧	مراتب الطهارة
٢٦٨	القسم الأول : في طهاره الخث
٢٦٩	الطرف الأول في المزال
٢٧٠	الطرف الثاني في المزال به
٢٧١	الطرف الثالث في كيفية المزال
٢٧٢	القسم الثاني : طهارة الأحداث
٢٧٣	باب آداب قضاء الحاجة
٢٧٤	كيفية الاستنجاء
٢٧٥	كيفية الوضوء
٢٧٦	فضيلة الوضوء
٢٧٧	كيفية الفسل
٢٧٨	كيفية التيمم
٢٧٩	القسم الثالث : في النظافة والتنظيف
٢٨٠	
٢٨١	
٢٨٢	
٢٨٣	
٢٨٤	
٢٨٥	

( كتاب الشعب )

الصفحة	الصفحة
٣٤٧	بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب
٣٤٨	بيان المعاني الباطنة التي تتم بها الصلاة
٣٤٨	بيان الدواء النافع في حضور القلب
٣٤٨	بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب
٣٤٩	ما يراعى في الركوع والسجود
٣٥٢	ما يراعى في التشهد
٣٥٣	ثمرة الخشوع في الصلاة
٣٥٦	حكايات وأخبار في صلاة الغاشمين
٣٦٢	مم يتولد الخشوع وفيه يكون
٣٦٢	الباب الرابع : في الإمامة والقُدوة
٣٦٤	فضل الإمامة على الأذان
٣٦٦	الأجرة على الإمامة والأذان
٣٦٧	ما يحجر وما يسر به ومواطنهما
٣٦٧	سكتات الإمام وما يقرأ في الصلوات
٣٦٨	آخر صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم
٣٦٩	التخفيف في الصلاة والتطويل
٣٧٠	دعاء التشهد وحده
٣٧١	وظائف التحلل
٣٧٢	الباب الخامس : في فضل الجمعة وآدابها
٣٧٣	فضيلة الجمعة
٣٧٤	بيان شروط الجمعة
٣٧٤	بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة
٣٧٦	بدعة المقاصير - تحديد الصف الأول
٣٧٨	بيان السنن والآداب الخارجة عن
	الترتيب السابق
	الساعة الشريفة من يوم الجمعة
	فضل سورة الكهف في يوم الجمعة
	استحباب الصدقة يوم الجمعة
	الباب السادس : في مسائل متفرقة
	العمل القليل في الصلاة والصلاة في النعلين
	البزق في الصلاة
	كيفية وقوف المقتدى - صلاة المسبوق
	الصلاة الفائتة - الصلاة في النوب النجس
	ترك شيء من سنن الصلاة
	الوسوسة في نية الصلاة
	تقدم المأموم أو مساواته
	انكار المنكر وتنبه المسيء في صلاته
	كتاب أسرار الزكاة
	الفصل الأول : في أنواع الزكاة
	وأسباب وجوبها
	النوع الأول : زكاة النعم وشروط الزكاة
	زكاة الأبل وزكاة البقر
	زكاة الفهم
	النوع الثاني : زكاة المعشرات
	النوع الثالث : زكاة النقدين
	النوع الرابع : زكاة التجارة
	النوع الخامس : الركاظ والمعدن
	النوع السادس : صدقة الفطر
	الفصل الثاني : في الأداء وشروطه
	الباطنة والظاهرة
	بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة

## فهرست الجزء الثالث

الصفحة	الصفحة
٤٠١	أفضلية إخفاء الصدقة
٤٠١	مواطن استحباب العلانية في الصدقة
٤٠٢	محبطات الصدقة - المن ومصدره
٤٠٣	الأذى ومنعه
٤٠٣	تخير المصرف
	الفصل الثالث : في القابض وأسباب
٤٠٤	استحقاقه ووظائف قبضه
	بيان اسباب الاستحقاق
	مصارف الزكاة - الفقراء
	المساكين
	العاملون - المؤلفة قلوبهم - المكاتبون
	الفارمون
	الغزاة - ابن السبيل - حد التحرى
	عن الفقير

( احياء علوم الدين - الجزء الثالث )

الصفحة

٤٦١	الدعاء في عرفة
٤٦٤	بقية اعمال الحج
٤٦٥	كيفية الرمي
٨٦٦	التكبير يوم النحر وايام التشريق
٤٦٦	طواف الزيارة ووقته
٤٦٧	اسباب التخلل - خطب الحج
٤٦٨	العمرة ومواقينها
٤٦٩	طواف الوداع - زيارة المدينة وآدابها
٤٧٠	كيفية الوقوف امام القبر الشريف
٤٧٣	مشاهد المدينة ومساجدها وآبارها
٤٧٤	سنن الرجوع من السفر
	<b>الباب الثالث : الآداب الدقيقة والأعمال</b>
٤٧٥	الباطنة
٤٧٥	بيان دقائق الآداب
٤٨١	بيان الأعمال الباطنة
٤٨٢	فهم أصل الحج
٤٨٣	الشوق الى الحج
٤٨٤	العزم على الحج - التجرد للحج
٤٨٥	الزاد للحج - الراحة
٤٨٥	لباس الاحرام - الخروج للحج
٤٨٦	الدخول الى الميقات - الاحرام والتلبية
٤٨٧	دخول مكة - مشاهدة البيت
٤٨٧	الطواف بالبيت
٤٨٨	استلام الحجر الاسود
٤٨٨	التعلق بأستار الكعبة
	السعى بين الصفا والمروة والوقوف
٤٨٨	بعرفة
٤٨٩	رمي الجمار - زيارة المدينة
٢٩١	زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٩٣	<b>كتاب آداب التلاوة</b>
	<b>الباب الأول : في فضل القرآن وذم</b>
٤٩٥	المقصدين في تلاوته
٤٩٥	فضيلة القرآن
٤٩٧	في ذم تلاوة الغافلين
٤٩٩	<b>الباب الثاني : في ظاهر آداب التلاوة</b>
٤٩٩	آداب القارئ - مقدار القراءة
٥٠٠	تقسيم القرآن في الورد
٥٠١	كتابة القرآن
٥٠٢	ترتيل القرآن - البكاء في القرآن
٥٠٣	مراعاة السجادات - الاستعاذة
٥٠٤	الجهر بالقراءة
٥٠٦	تحسين الصوت في القراءة
٥٠٧	<b>الباب الثالث : في اعمال الباطن في التلاوة</b>
٥٠٧	فهم عظمة الكلام وعلوه
٥٠٩	التعظيم للمتكلم - حضور القلب
٥١٠	التدبر
٥١١	التفهم
٥١٤	التخلي عن موانع الفهم
٥١٥	التخصيص

الصفحة

٤٠٤	<b>بيان وظائف القابض</b>
٤٠٤	الأولى التجرد لعبادة الله
٤٠٥	الثانية الدعاء لمعطي الزكاة
٤٠٥	الثالثة التورع عن أخذ زكاة المال الحرام
٤٠٦	الرابعة التعفف في أخذ مال الزكاة
٤٠٧	مذاهب العلماء في مقدار الصدقة
٤٠٨	سؤال صاحب المال عن قدر الواجب عليه
	<b>الفصل الرابع : في صدقة التطوع</b>
٤٠٨	وفضلها وآداب أخذها واعطائها
٤٠٨	<b>بيان فضيلة الصدقة</b>
٤١٢	<b>بيان اخفاء الصدقة واطهارها</b>
٤١٢	مزايا اخفاء الصدقة
٤١٣	مزايا اظهار الصدقة
٤١٥	متى تخفى الصدقة ومتى تظهر
٤١٧	<b>بيان الأفضل من أخذ الصدقة والزكاة</b>
٤١٩	<b>كتاب أسرار الصوم</b>
٤٢٣	<b>الفصل الأول : في الواجبات والسنن الظاهرة</b>
٤٢٣	الواجبات الظاهرة
٤٢٥	سنن الصوم
	<b>الفصل الثاني : في أسرار الصوم</b>
٤٢٦	وشروطه الباطنة
٤٢٦	صوم الصالحين وإسراره غرض البصر
٤٢٧	حفظ اللسان - كف السمع كف الجوارح
٤٢٨	تقليل الطعام في الإفطار
	<b>الفصل الثالث : في التطوع بالصيام</b>
٤٣١	وترتيب الأوراد فيه
٤٣١	رواتب الصوم السنوية
٤٣٢	الأشهر الفاضلة والأشهر الحرم
٤٣٢	رواتب الصوم الشهرية
٤٣٢	رواتب الصوم الأسبوعية - صوم الدهر
٤٨٥	<b>كتاب أسرار الحج</b>
٤٣٦	<b>الفصل الأول : فضائل الحج ومكة والمدينة</b>
٤٣٧	فضيلة الحج
٤٤٠	فضيلة البيت ومكة المشرفة
٤٤٢	فضيلة المقام بمكة وكراهيته
٤٤٤	فضيلة المدينة على سائر البلاد
٤٤٤	زيارة المشاهد وقبور الأولياء
	<b>الفصل الثاني : في شروط الحج وأركانه</b>
٤٤٦	ومحظوراته وشروط الحج
٤٤٧	أركان الحج
٤٤٨	محظورات الحج والعمرة
٤٤٩	الظاهرة
٤٤٩	السير من أول الخروج الى الاحرام
٤٥٢	آداب الاحرام
٤٥٤	آداب دخول مكة
٤٥٥	الطواف
٤٥٨	السعى
٤٦٠	الوقوف وما قبله

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٦٧	دعاء فاطمة رضى الله عنها	٥١٦	النائب
٥٦٧	دعاء أبى بكر رضى الله عنه	٥٢٠	الترقى
	دعاء بريدة وقبيصة وأبى الدرداء رضى الله عنهم	٥٢١	التبرى
٥٦٨	دعاء أراهيم وعيسى والخضر عليهم السلام		<b>الباب الرابع : فى فهم القرآن وتفسيره</b>
	دعاء معروف الكرخى رضى الله تعالى عنه	٥٢٢	بالراى من غير نقل
٥٦٩	دعاء عتبة الغلام وآدم عليهما السلام	٥٢٥	النهى عن التفسير بالراى
٥٧٠	دعاء على رضى الله تعالى عنه	٥٢٦	الواجب علمه للمفسر
	دعاء ابن المعتز رضى الله تعالى عنه		<b>كتاب الأذكار والدعوات</b>
٥٧١	وتسبيحاته	٥٣١	وفائده
٥٧١	دعاء إبراهيم بن ادهم رضى الله عنه	٥٣٢	فضيلة مجالس الذكر
	<b>الباب الرابع : فى ادعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه</b>	٥٣٥	فضيلة التهليل
٥٧٣	<b>الباب الخامس : فى الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث</b>	٥٣٧	فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار
٥٨١	عند الذهاب الى المسجد	٥٤٠	<b>الباب الثانى : فى آداب الدعاء وفضله</b>
٥٨١	عند الخروج من المنزل لحاجة		وفضل بعض الادعية المأثورة
٥٨١	عند دخول المسجد	٥٤٨	فضيلة الدعاء
٥٨٢	فى الركوع - فى السجود	٥٤٨	<b>آداب الدعاء</b>
٥٨٣	عند الفراغ من الصلاة	٥٤٩	تخير الأوقات الشريفة
٥٨٣	عند القيام من المجلس	٥٤٩	اقتناء الأحوال الشريفة
٥٨٣	عند دخول السوق	٥٥٠	استقبال القبلة
٥٨٣	عند الدين	٥٥٠	انخفاض الصوت
٥٨٣	عند لبس ثوب جديد	٥٥١	عدم تكلف السجع
٥٨٣	عند رؤية ما يكره	٥٥٢	التضرع والخشوع - الأيقان بالاجابة
٥٨٤	عند رؤية الهلال	٥٥٣	الالحاح فى الدعاء - افتتاح الدعاء بالذكر
٥٨٤	عند هبوب الريح	٥٥٤	التوبة
٥٨٤	عند وفاة أحد	٥٥٥	النسيمة وانرها فى احباط الدعاء - رد الظالم - الاقرار بالاساءة
٥٨٤	عند التصديق	٥٥٦	كفارة النظر الى المرأة
٥٨٤	عند الخسران	٥٥٧	الاستسقاء بالعباس
٥٨٤	عند الابتداء فى أمر ما		فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٨٥	عند النظر الى السماء	٥٥٧	حئين عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
	عند سماع صوت الرعد والصواعق والمطر	٥٥٩	بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم
٥٨٥	عند الغضب - عند الخوف	٥٦٠	حكمه صلى الله عليه وسلم
٥٨٥	عند الفزوة - عند طن الآذن	٥٦٠	تواضعه صلى الله عليه وسلم
٥٨٦	عند الهم - عند الوجع - عند الكرب	٥٦١	<b>فضيلة الاستغفار</b>
٥٨٦	عند ارادة النوم	٥٦١	مزايا الاكثار من الاستغفار
٥٨٨	عند الاستيقاظ	٥٦٣	استغفار الولد رافع لدرجات والده
٥٨٩	عند المساء - عند النظر فى المرأة	٥٦٤	أحب العباد الى الله
٥٩٠	عند شراء الحاجة		<b>الباب الثالث : فى ادعية مأثورة ومعزية</b>
٥٩٠	عند التهنة بالنكاح - عند قضاء الدين	٥٦٥	الى اسبابها واربابها
٥٩٠	قائدة الدعاء	٥٦٦	دعاء الفجر
		٥٦٦	دعاء عائشة رضى الله عنها



كتاب الشعب

# إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

الجزء الرابع

دار الشعب

٩٤ شارع نوري بومدين - الجزائر ٣١٨١٠



# كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل أحياء الليل

## كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين  
وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الله على آلائه حمدا كثيرا ، ونذكره ذكر الأيغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ،  
ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ، ونصلي على نبيه  
الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا ، وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين ، الذين اجتهدوا في عبادة  
الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا ، حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا  
أما بعد : فإن الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده ، لا يستقروا في مناكبها بل ليتخذوها  
منزلا فيتزودوا منها إذا يحملهم في سفرهم إلى أوطانهم ، ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا  
وفضلا ، محترزين من مصادها ومعاطبها ، ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة  
براكبها ، فالناس في هذا العالم سفر ، وأول منازلهم المهد ، وآخرها اللحد ، والوطن هو الجنة  
أو النار ، والعمر مسافة السفر ، فسنة ومراحله ، وشهوره وفراسخه ، وأيامه وأمياله ، وأنفاسه  
خطراته ، وطاعته بضاعته ، وأوقاته رعو من أمواله وشبهواته وأغراضه قطاع طريقه ، وربحه  
النور بقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم ، وخسرانه البعد من الله تعالى  
مع الانكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم ، فالعافل في نفس من أنفاسه حتى  
ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لنبينة وحسرة ماله منتهى  
ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموقفون عن ساق الجد ، وودعوا بالكلية ملاذ  
النفس ، واغتنموا بقايا العمر ، ورتبوا بحسب تكرار الأوقات وظائف الأوراد ، حرصا على  
إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار ، فصار من  
مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التي سبق  
شرحها على مقادير الأوقات ، ويتضح هذا المهم بذكر باين  
الباب الأول : في فضيلة الأوراد ، وترتيبها في الليل والنهار  
الباب الثاني : في كيفية إحياء الليل ، وفضيلته وما يتعلق به

## الباب الأول

في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

### فضيلة الأوراد

وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى

اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لانبجاة إلا في لقاء الله تعالى ، وأنه لاسبيل إلى اللقاء إلا بان يموت العبد محبا لله تعالى ، وعارفا بالله سبحانه ، وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه ، وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله ، وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ، ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بدواع الدنيا وشهواتها ، والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة ، وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار ، والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر ، بل إذا زدّت إلى نخط واحد أظهرت الملل والاستئقال ، وإن الله تعالى لا يعمل حتى تملوا ، فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ، ومن نوع إلى نوع ، بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها ، وتعظم باللذة رغبتها ، وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها ، فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة ، فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها ، فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا ، فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تديبرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا ، والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا ، لموافقها الطبع ، إذ يكون الوقت متساويا فأنى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح ، إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد ، وأما الرد إلى العبادات فتكلف ، ولا يسلم اخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات ، فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ، ومن أراد أن ترجح كفة حسنة وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته ، فإن خلطا عملا صالحا وآخر سيئا فامرّه مخطر ، ولكن الرجاء غير منقطع ، والعفو من كرم الله منتظر ، فعسى الله تعالى أن يغفر له بمجوده وكرمه ،

فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة ، فان لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى  
لرسوله واقتبسه بنور الايمان ، فقد قال الله تعالى لا قرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه  
(إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا . وَإِذْ كُرِيسَمَ رَبُّكَ وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا<sup>(١)</sup>) وقال تعالى :  
(وَإِذْ كُرِيسَمَ رَبُّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا<sup>(٢)</sup>) وقال تعالى :  
(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُودِ<sup>(٣)</sup>)  
وقال سبحانه : ( وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ<sup>(٤)</sup> )  
وقال تعالى : ( إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا<sup>(٥)</sup> ) وقال تعالى : ( وَمِنَ آثَاءِ اللَّيْلِ  
فَسَبِّحْ وَاطَّرَافِ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى<sup>(٦)</sup> ) وقال تعالى : ( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ  
إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ<sup>(٧)</sup> ) ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم  
فقال تعالى : ( أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ . قُلْ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(٨)</sup> ) وقال تعالى : ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ  
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا<sup>(٩)</sup> ) وقال عز وجل : ( وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا<sup>(١٠)</sup> )  
وقال عز وجل : ( كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ<sup>(١١)</sup> )  
وقال عز وجل : ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ<sup>(١٢)</sup> ) وقال تعالى : ( وَلَا تَطْرُدِ  
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ<sup>(١٣)</sup> )

فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالايراد على سبيل  
الدوام ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم<sup>(١٤)</sup> « أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يَرَاغُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
وَالْأَظْلَةَ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى » وقد قال تعالى : ( الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ<sup>(١٥)</sup> ) وقال تعالى : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ  
كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا تُحْمِلُهُ الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا<sup>(١٦)</sup> )

كتاب الأوراد وفضل إحياء الليل

( الباب الأول في فضيلة الأوراد )

( ١ ) حديث أحب عباد الله إلى الله الذين يراغون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله : الطبراني و ك وقال  
صحيح الاسناد من حديث ابن أبي أوفى بافظ خيار عباد الله

(١) المزمل : ٧ ، ٨ (٢) الدهر : ٢٥ ، ٢٦ (٣) ق : ٣٩ ، ٤٠ (٤) الطور : ٤٨ ، ٤٩ (٥) المزمل : ٦  
(٦) طه : ١٣٠ (٧) هود : ١١٤ (٨) الزمر : ٩ (٩) السجدة : ١٦ (١٠) الفرقان : ٦٤ (١١) الناريات : ١٧ ، ١٨  
(١٢) الروم : ١٧ (١٣) الأنعام : ٥٢ (١٤) الرحمن : ٥ (١٥) الفرقان : ٤٥ ، ٤٦

وقال تعالى ( وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ <sup>(١)</sup> ) وقال تعالى ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ <sup>(٢)</sup> ) فلا تظن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ، ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا ، بل لتعرف بها مقادير الاوقات ، فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة ، يدلك عليه قوله تعالى ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا <sup>(٣)</sup> ) أى يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات في الآخر ، وبين أن ذلك للذكر والشكر لاخير ، وقال تعالى : ( وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَعُونَآ آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّبَسْتُمْ أَفْضَلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْجُحُوبِ <sup>(٤)</sup> ) وإنما الفضل المبني هو الثواب والمغفرة ، ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه

### بيان أعداد الأوراد وترتيبها

اعلم أن أوراد النهار سبعة ، فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد ، وما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان ، وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان ، وما بين العصر إلى المغرب وردان ، والليل ينقسم إلى أربعة أوراد ، وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ، ووردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به

فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس ، وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال ( وَالصُّبْحُ إِذْ أُنْفَسَ <sup>(٥)</sup> ) وعمدته به إذ قال ( فَالِقُ الْإِصْبَاحِ <sup>(٦)</sup> ) وقال تعالى : ( قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ <sup>(٧)</sup> ) وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى : ( ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا <sup>(٨)</sup> ) وهو وقت قبض ظل الليل بيسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه ، بقوله تعالى : ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ <sup>(٩)</sup> ) وبقوله تعالى : ( وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا <sup>(١٠)</sup> ) وبقوله عز وجل : ( وَمِنْ آثَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى <sup>(١١)</sup> ) وبقوله تعالى : ( وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا <sup>(١٢)</sup> )

(١) يس : ٣٩ (٢) الأنعام : ٩٧ (٣) الفرقان : ٦٢ (٤) الاسراء : ١٢ (٥) التكويد : ١٨ (٦) الأنعام : ٩٦ (٧) الفلق : ١ (٨) الفرقان : ٤٦ (٩) الروم : ١٧ (١٠) طه : ١٣٠ (١١) طه : ١٣٠ (١٢) الدهر : ٢٥

فأما ترتيبه: فليأخذ من وقت انتباهه من النوم، فإذا انتبه فينبغي أن يتنهد بذكر الله تعالى فيقول: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، إلى آخر الأدعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات، ويلبس ثوبه وهو في الدعاء، وينوي به ستر عورته إمتثالاً لأمر الله تعالى، واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة إلى بيت الماء، ويدخل أولاً رجله اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج، ثم يستاك على السنة كما سبق، ويتوضأ مراعيًا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة، فإننا إنما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط، فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر، أعني السنة في منزله <sup>(١)</sup> «كَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ويقرأ بعد الركعتين سواء أداها في البيت أو المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما، ويقول: اللهم <sup>(٢)</sup> «إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قاي، إلى آخر الدعاء، ثم يخرج من البيت متوجهاً إلى المسجد، ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد، ولا يسعى إلى الصلاة سعياً <sup>(٣)</sup> بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد به الخبر، ولا يشبك بين أصابعه، ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو <sup>(٤)</sup> بالدعاء المأثور لدخول المسجد، ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد مضمعاً، ولا يتخطى رقاب الناس ولا يراحم، كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاهما في البيت، ويشغل بالدعاء المذكور بعدهما، وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظراً للجماعة، والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> يفلس بالصباح، ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصباح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل،

(١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل: متفق عليه من حديث حفصة

(٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك - الحديث : تقدم

(٣) حديث المشي إلى الصلاة وعليه السكينة: متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٤) حديث الدعاء المأثور لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الأذكار

(٥) حديث التغليس في الصبح : متفق عليه من حديث عائشة



فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> أنه قال في صلاة الصبح « مَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْمَسْجِدِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ الصَّلَاةَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةٌ وَبِحِجْيِهِ عَنْهُ سِتَّةٌ وَالْحَسَنَةُ يَعْشُرُ أَمْثَلَهَا فَإِذَا صَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ شُعْرَةٍ فِي جَسَدِهِ حَسَنَةٌ وَانْقَلَبَ بِحِجَّةٍ مَبْرُورَةٍ فَإِنْ جَلَسَ حَتَّى يَرَكْعَ الضُّحَى كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ رَكْعَةٍ أَلْفًا أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَنْ صَلَّى الْعَتَمَةَ فَلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ وَانْقَلَبَ بِعُمُرَةٍ مَبْرُورَةٍ »

وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر، قال رجل من التابعين: دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقني، فقال لي يا ابن أخي لأى شيء خرجت من منزلك فى هذه الساعة، فقلت لصلاة الغداة فقال<sup>(٢)</sup> أبشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المسجد فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله تعالى، أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن على رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> طرقه وفاطمة رضى الله عنهما وهما نائمان فقال ألا تصليان؟ قال على، فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثها بعثها، فأنصرف صلى الله عليه وسلم فسمعتة وهو منصرف يضرب نخذه ويقول: « وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا »

ثم ينبغى أن يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح إلى أن تقام الصلاة فيقول: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة، ثم يصلى الفريضة مراعىا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقعدة، فإذا فرغ منها قعد فى المسجد إلى طلوع الشمس

(١) حديث أنس فى صلاة الصبح من توضع ثم توجه إلى المسجد يصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة

ومحى عنه ستة، والحسنة بعشر أمثالها، وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى ركع كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة لم أجده أصلا بهذا السياق وفى شعب الإيمان

للبيهق من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى المغرب فى جماعة كان له كحجة مبرورة وعمره متقبلة

(٢) حديث أبى هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المجلس فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله لم أقف له على أصل

(٣) حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال ألا تصليان؟ قال على

فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله - الحديث : متفق عليه

في ذكر الله تعالى كما سنرتبه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَأَنْ أُقْعِدَ فِي مَجْلِسِي إِذَا كُرِيَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ » وروى أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « كَانَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ » وفي بعضها « وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ » أي بعد الطلوع ، وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى ، وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال « يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا كُرِيَ فِي بَعْدِ صَلَاةِ الْفَجْرِ سَاعَةً وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفَكَ مَا بَيْنَهُمَا » وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس ، بل ينبغي أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع ، أدعية ، وأذكار ، ويكررها في سبحة ، وقراءة قرآن ، وتفكر

أما الأدعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، وإليك يعود السلام ، حيناً ربنا بالسلام ، وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، ثم يفتح الدعاء بما كان يفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> وهو قوله « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ (٥) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . اللَّهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَهْلُ النِّعَةِ وَالْفَضْلِ ، وَالنَّاءِ الْحَسَنِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا تَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » ثم يبدأ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه ، أو يحفظ من جاتها ما يراه أوفق بحاله ، وأرق لقلبه ، وأخف على لسانه

( ١ ) حديث لأن أفعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق

أربع رقاب : بد من حديث أنس وتقدم في الباب الثالث من العلم

( ٢ ) حديث كان إذا صلى الغداة قعد في صلاة حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين أي بعد الطلوع : م من

حديث جابر بن سمرة دون ذكر الركعتين وت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر في جماعة

ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمره تامة تامة تامة

( ٣ ) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه أنه قال يا ابن آدم اذكرني

من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما : ابن المبارك في الزهد هكذا مر سلا

( ٤ ) حديث كان يفتح الدعاء بسبحان ربّي العلي الأعلى الوهاب : تقدم

( ٥ ) حديث الفضل في تكرار لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير : تقدم من حديث أبي أيوب تكرارها عشرًا دون قوله يحيي ويميت وهو حي لا يموت

لا يموت بيده الخير فانها في اليوم والليلة للنساء من حديث أبي ذر دون قوله وهو حي لا يموت

وهي كلها عند البرار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها

مائة ومائتين وللطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وأسناده ضعيف

وأما الأذكار المكررة فهي كلمات وردت في تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها ، وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحدة منها ثلاثاً أو سبعا وأكثره مائة أو سبعون ، وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته ، وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأقصد أن يكررها عشر مرات ، فهو أجدر بأن يدوم عليه ، وخير الأمور أدومها وإن قل ، وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها ، فقليلها مع المداومة أفضل ، وأشد تأثيراً في القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفيرة ؛ ولو وقع ذلك على الحجر ، ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر ، وهذه الكلمات عشرة

الأولى : قوله : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو

حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير

الثانية : قوله <sup>(١)</sup> سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الثالثة : قوله <sup>(٢)</sup> . سبحو قدوس رب الملائكة والروح

الرابعة : قوله <sup>(٣)</sup> . سبحان الله العظيم وبحمده

الخامسة : قوله <sup>(٤)</sup> . أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة

( ١ ) حديث الفضل في تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله

ن في اليوم واليلة وحسب ما يحبه من حديث أبي سعيد الخدري استكثر وأمن الباقيات الصالحات فذكرها

( ٢ ) حديث تكرار سبحو قدوس رب الملائكة والروح : لم أجد ذكرها مكررة لكن عند من حديث

عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها في ركوعه وسجوده وقد تقدم ولأبي الشيخ في الثواب

من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح

( ٣ ) حديث تكرار سبحان الله وبحمده : متفق عليه من حديث أبي هريرة من قال ذلك في يوم مائة مرة

حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر

( ٤ ) حديث تكرار أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة : المستغفر في الدعوات من

حديث معاذ أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل

زبد البحر ولفظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه ت من حديث أبي سعيد في قولها

ثلاثاً وللبخاري من حديث أبي هريرة أني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين

مرة ولم يقل الطبراني أكثر ولمسلم من حديث الاعرابي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة .

تقدمت هذه الأحاديث في الباب الثاني من الأذكار

السادسة: قوله . اللهم <sup>(١)</sup> لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجحيم منك الجحيم  
السابعة: قوله . <sup>(٢)</sup> لا إله إلا الله الملك الحق المبين  
الثامنة: قوله <sup>(٣)</sup> بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم  
التاسعة: اللهم <sup>(٤)</sup> صل على محمد ، عبدك ونبيك ورسولك ، النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم  
العاشر: قوله <sup>(٥)</sup> أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، رب أعوذ بك من  
همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ،

فهذه العشر كلمات ، إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن  
يكرر ذكرا واحدا مائة مرة ، لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله ، وللقلب  
بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ ، وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل

( ١ ) حديث تكرر اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجحيم منك الجحيم: لم أجد تكرر لها في

حديث واتما وردت مطلقة عقب الصلوات وفي الرفع من الركوع

( ٢ ) حديث تكرر لا إله إلا الله الملك الحق المبين: المستغفر في الدعوات والخطيب في الرواة عن مالك من

حديث على من قالها في يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به  
الغنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن نافع ضعيف ولأبي نعيم في الحلية من قال ذلك في كل يوم

وليلة مائة مرة لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاه وفيه سليم الحواص ضعيف وقال فيه أظنه عن علي

( ٣ ) حديث تكرر بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم: أصحاب

السنن وابن حبان ولا وصححه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يسمى لم يصبه

بجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي قال حسن صحيح غريب

( ٤ ) حديث تكرر اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد: ذكره أبو القاسم

محمد بن عبد الواحد العافقي في فضائل الفقهاء من حديث ابن أبي أوفى من أراد أن يموت

في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند

الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء بلفظ من

صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة وفيه انقطاع

( ٥ ) حديث تكرر أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك

رب أن يحضرون: ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله

السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحنجر وكل الله به سبعين ألف

ملك - الحديث : ومن قالها حين يمسي كان بتلك الميزة وقال حسن غريب ولا بن أبي الدنيا من

حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجبر من الشيطان إلى الصبح

- الحديث : ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك بأحد كلمات تقولها ثلاث مرات

قل أعوذ بكلمات الله الباءة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وإن يحضرون

والحديث عند أبي داود وت وحسنه ولا وصححه فبقا يقال عند الفزع دوت تكرر لها ثلاثا

من حديث عبد الله بن عمرو

فأما القراءة : فيستحب له قراءة جملة من الآيات : وردت الاخبار بفضلها ، وهو أن يقرأ سورة الحمد <sup>(١)</sup> وآية الكرسي <sup>(٢)</sup> وخاتمة البقرة <sup>(٣)</sup> من قوله ( آمَنَ الرَّسُولُ <sup>(٤)</sup> ) ( وَشَهِدَ اللَّهُ <sup>(٥)</sup> ) ( وَقُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ <sup>(٦)</sup> ) الآيتين وقوله تعالى ( لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ <sup>(٧)</sup> ) إلى آخرها وقوله تعالى ( لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ <sup>(٨)</sup> ) إلى آخرها

( ١ ) حديث فضل سورة الحمد : خ من حديث أبي سعيد بن الملقى أنها أعظم السور في القرآن و م من حديث ابن عباس في الملك الذي نزل إلى الأرض وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أبشر بورين أوتيتها لم يؤتها نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منها إلا أعطيت

( ٢ ) حديث فضل آية الكرسي : م من حديث أبي ابن كعب يابا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الحديث و خ من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة ومحى الشيطان اليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقر آية الكرسي فانه لن يرال عليك من الله حافظ - الحديث : وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقك وهو كذوب

( ٣ ) حديث فضل خاتمة البقرة : متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث

( ٤ ) حديث فضل شهد الله : أبو الشيخ حب في كتاب الزواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله الاسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لى عنده وديعة جى . به يوم القيامة قليل له عبيد هداهد إلى عهدا وأنا أحق من وفى نالهد أدحلا عبدى الحنة وفيه عمر بن الخنار روى الاباطيل قاله ابن عدى وسيأتى حديث على بعده

( ٥ ) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآتين : المستغفرى في الدعوات من حديث على أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الاسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بعب حساب معلقات ماينهن وبين الله حجاب - الحديث : وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحدمن عادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه - الحديث : وفيه الحارث ابن عمير وفي ترجمته ذكره حب في الصغفاء وقال موضوع لأصل له والحارث يروى عن الإثبات الموضوعات قلت وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم ون وروى له خ تعليقا

( ٦ ) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها : طب في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف . عن ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر حديثا وفي آخره قتل حنبل الله إلى آخر السورة وذكر أبو القاسم الغافقى في فضائل القرآن في رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت ههما ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بجديدة وهو ضعيف

( ٧ ) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق : لم أجد فيه حديثا يخصها لكن في فضل سورة الفتح مارواء أبو الشيخ في كتاب من حديث أبي بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع

(١) البقرة : ٢٨٥ (٢) آل عمران : ١٨ (٣) آل عمران : ٢٦ (٤) التوبة : ١٢٨ (٥) الفتح : ٢٧

وقوله سبحانه <sup>(١)</sup> (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا <sup>(٢)</sup>) الآية <sup>(٣)</sup> وخمس آيات من أول الحديد <sup>(٤)</sup> وثلاثا من آخر سورة الحشر

وإن قرأ المسبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن <sup>(٥)</sup> كرز بن وبرة رحمه الله ، وكان من الأبدال قال أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية ، فانها نعمت الهدية فقلت يا أخي ومن أهدى لك هذه الهدية ، قال أعطانها إبراهيم التيمي ، قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه أياها قال . بلى ، قال كنت جالسا في فناء الكعبة ، وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءني رجل فسلم عليّ وجلس عن يميني ، فلم أر في زماني أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحاً منه ، فقلت يا عبد الله من أنت ، ومن أين جئت ، فقال أنا الخضر فقلت في أي شيء جئتني ، فقال جئتك للسلام عليك ، وحبالك في الله ، وعندى هدية أريد أن أهديها لك ، فقلت ما هي قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب ، سورة الحمد ، وقل أعوذ برب الناس ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون ، وآية الكرسي ، كل واحدة سبع مرات ، وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا ، وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا ، وتستغفر لنفسك

(١) حديث فضل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية: أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية كلها وأسناده ضعيف

(٢) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد: ذكر أبو النعاس الناقضي في فضائل القرآن من حديث علي إذا أردت تسأل الله حاجة فاقرا خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله عايم بذات الصدور ومن آخر سورة الحشر من قوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا وتدعو بما تريد

(٣) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر: ت من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا بورقة والبيهقي في البيعت من حديث أبي أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة

(٤) حديث كرز بن وبرة عن رجل من أهل الشام عن إبراهيم التيمي أن الخضر علمه السبعات العشرة وقال في آخرها أعطانها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته

(٥) الإسراء : ١١١

ولو الديك والمؤمنين والمؤمنات سبعا ، وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا يامولانا ما نحن له أهل انك غفور حلیم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر أن لاتدع ذلك غدوة وعشية

فقلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة ، فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ، فقلت أخبرني بشواب ذلك ، فقال إذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك ، فذكر ابراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءت به فاحتملته حتى أدخلوه الجنة ، فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه في الجنة ، قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا؟ فقالوا للذي يعمل مثل عملك ، وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب ، فسلم عليّ وأخذ يدي فقلت يارسول الله، الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث، فقال صدق الخضر ، صدق الخضر ، وكل ما يحكيه فهو حق ، وهو عالم أهل الأرض ، وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى في الأرض ، فقلت يارسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي ، هل يعطى شيئا مما أعطيت؟ فقال والذي بعثني بالحق نبيا إنه يعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم ير الجنة ، إنه ليفقر له جميع الكبائر التي عملها ، ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ، ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من السيئات إلى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ، ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا

وكان ابراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فإن أضاف إليها شيئا مما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن ، فإن القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة

وأما الأفكار فليكن ذلك إحدى وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكير من ربح المنجيات ولكن مجامعه ترجع إلى فنين أحدهما : أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة ، بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره

ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ، ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ، ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين

الفن الثاني : فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله تعالى ، وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة ، لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها ، أو في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الإله واستغنائها ، ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكير فيها على بعض الخلق دون البعض ، وإنما نستقصى ذلك في كتاب التفكير ، ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات ، إذ فيه معنى الذكر لله تعالى ، وزيادة أمرين

أحدهما : زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف

والثاني : زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ، ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ، ومعرفة قدرته ، وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ، ومن المعرفة التعظيم ، ومن التعظيم المحبة ، والذكر أيضا يوزن الانس ، وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم ، ونسبة محبة العارف إلى أنس الذكر من غير تمام الاستبصار ، كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما ، فليس محبته له كمحبة المشاهد ؛ وليس الخبر كالمعاينة ، فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالآيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور جلية يعتقدونها بتصديق من وصفها لهم ، والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر ، لأن أحدا لم يحط بكنهه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ، ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ، ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها ، وإنما عدد حجبيها التي استحققت أن تسمى نوراً وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سيعون حجابا



قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ لِلَّهِ سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلِّ مَا أَدْرَكَ بَصَرُهُ » وتلك الحجب أيضا مترتبة ، وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ، ويبدو في الأول أصغر هاشم ما يليه ، وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لأبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في ترقيه وقال : ( فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ) أى أظلم عليه الأمر ، ( رَأَى كَوْنًا ) أى وصل إلى حجاب من حجب النور ، فعبّر عنه بالكوكب ، وما أريد به هذه الأجسام المضيئة ، فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام ، بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضل العوام لا يضل الخليل عليه السلام ، والحجب المسماة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى : ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ <sup>(٢)</sup> ) الآية ولتجاوز هذه المعاني ، فإنها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي ، وقل من يفتح له بابه ، والتيسر على جماهير الحلائق الفكر فيما يفيد في علم المعاملة ، وذلك أيضا مما تغزر فائدته ، ويعظم نفعه

فهذه الوظائف الأربعة أعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ، ينبغي أن تكون وظيفة المرید بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة ، فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ، ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته ، والصوم هو الجنة التي تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد ، وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر ، وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضی الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار <sup>(٣)</sup> وهو الأولى ، إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به

الورد الثاني : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار ، وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ، وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع ، وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان

( ١ ) حديث ان لله سبعين حجابا من نور - الحديث : تقدم في قواعد العقائد

( ٢ ) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس : تقدم حديث جابر بن سمرة عندم في جلوسه

صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر

وانما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس

(١) النور : ٣٥

إحداها : صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة ، وأن الأولى أن يصلي ركعتين عند الاشراق ، وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ، ويصلي أربعاً أو ستاً أو ثمانياً إذا رمضت الفصال ، وضحت الأقدام ببحر الشمس ، فوق الركعتين هو الذى أراد الله تعالى بقوله : ( يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ <sup>(١)</sup> ) فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن مؤازاة البخارات والغبارات التى على وجه الأرض ، فانها تمنع إشراقها التام ، ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال : ( وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى <sup>(٢)</sup> ) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> على أصحابه ، وهم يصلون عند الاشراق ، فنادى بأعلى صوته « أَلَا إِنَّ صَلَاةَ الْوَايِينَ إِذَا رَمَضَتِ الْفِصَالُ » فلذلك نقول. إذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى ، وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتي الكراهة ، وهو ما بين ارتفاع الشمس بطاوع نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال فى ساعة الاستواء ، واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتي الاشراق تقع فى مبتدأ وقت الاذن فى الصلاة ، وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٢)</sup> « إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ فَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارْقَهَا » فأقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها ، وهذا يراعى بالتقريب

الوظيفة الثانية فى هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادات بكرة من عبادة مريض ، وتشيع جنازة ، ومعاونة على بر وتقوى ، وحضور مجلس علم ، وما يجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها ، فإن لم يكن شئ من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التى قدمناها من الأدعية ، والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها أن شاء ؛ فانها مكروهة بعد صلاة الصبح ، وليست مكروهة الآن ، فتصير الصلاة قسماً خامساً من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده ، أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها ، وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر

( ١ ) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الوايين إذا رمضت

الفصال طبع من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عندهم دون ذكر الاشراق

( ٢ ) حديث ان الشمس تطلع ومعهما قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقتها تقدم فى الصلاة

(١) ص : ١٨ (٢) الضحى : ٩

الورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ، ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل ، وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها ، وقبل مضيتها صلاة الضحى فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر ، فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالمغرب ، فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالمغرب ، ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمزلة العصر بين الزوال والغروب ، إلا أن الضحى لم تقرر لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم تخفف عنهم

الوظيفة الرابعة : في هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران

أحدهما : الاشتغال بالكسب وتدير المعيشة وحضور السوق ، فإن كان تاجرا فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة ، وإن كان صاحب صناعة فبصحة وشفقة ، ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته أيومه مهما قدر على أن يكتسب في كل يوم لقوته ، فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزود لآخرته ، فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد ، والتمتع به أدم ، فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، فقد قيل : لا يوجد المؤمن إلا في ثلاث مواطن ، مسجد يعمره ، أو بيت يستره ، أو حاجة لا بدله منها ، وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه ، بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بد أنه لا بد لهم منه ، وذلك لأن الشيطان يعدمهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء ، فيصغون إليه ، ويجمعون ما لا يأكلون ، خيفة الفقر ، والله يعدمهم مغفرة منه وفضلا ، فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه الأمر الثاني : القيولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل ، كما أن التسحر سنة يستعان به على صيام النهار ، فإن كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم أحب له ، إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع إلى الذاكر والوظائف المذكورة ، إذ في النوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم : يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم ، وكل من عابد أحسن أحواله النوم ، وذلك إذا كان يرأى بعبادته ولا يخلص فيها ، فكيف بالغافل الفاسق ؟ قال سفيان الثوري رحمه الله : كان يعجبهم إذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة ، فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغي أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء

وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة ، فان ذلك من فضائل الأعمال ، وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار ، لأنه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهوم الدنيا ، فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته ، وفضل ذلك كفضل إحياء الليل ، فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهوم الدنيا ، وأحد معني قوله تعالى : ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ <sup>(١)</sup> ) أى يخلف أحدهما الآخر في الفضل ، والثاني انه يخلفه فيتداركا فيه مافات في أحدهما

الورد الرابع : ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر ، وراتبته ، وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها ، فاذا كان قد توصاً قبل الزوال وحضر المسجد فهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ، ثم ليقيم إلى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي أراده الله تعالى بقوله ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ <sup>(٢)</sup> ) وليصل <sup>(١)</sup> في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة واحدة ، وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار تقل بعض العلماء . انه يصليها بتسليمة واحدة ، ولكن طعن في تلك الرواية ، ومذهب الشافعي رضي الله عنه : انه يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة وهو الذي صحت به الأخبار <sup>(٣)</sup> وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوع ، وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة المئين ، أو أربعاً من المثاني ، فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء ، وأوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة . كما سبق أو قصيرة لا ينبغي أن يدعها ، ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً ، فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ، ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي ، وآخر سورة البقرة ، والآيات التي أوردناها في الورد الأول ، ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت

( ١ ) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه انها فيها تفتح أبواب السماء وانها ساعة يستجاب

فيها الدعاء فأحب أن يرفع لي فيها عمل صالح : دهمن حديث أبي أيوب وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس

( ٢ ) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى : د وحب من حديث ابن عمر

(٣) الفرقان : ٦٣ (٢) الروم : ١٨

الورد الخامس : ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفا ، فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف ، وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويًا كدوي النحل من التلاوة ، فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهماه فالييت أفضل في حقه ، فاحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل ، وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار ، قال بعض العلماء : ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب ، والأكل من غير جوع ، والنوم بالنهار من غير سهر بالليل ، والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعا ، فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار ، وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار ، فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ، ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ، ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان ، وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه ، وقد ر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضى إلى اضطراب البدن ، الامن يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب ، وهذا الورد من أطول الاوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التي ذكرها الله تعالى اذ قال : ( وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ <sup>(١)</sup> ) وإذ اسجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات !

الورد السادس : إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس ، وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى (وَالْعَصْرِ <sup>(٢)</sup> ) هذا أحد معاني الآية ، وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين ، وهو العشي المذكور في قوله ( وَعَشِيًّا <sup>(٣)</sup> ) وفي قوله ( بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ <sup>(٤)</sup> ) وليس في هذا الورد صلاة الأربع ركعات بين الاذان والاقامة كما سبق في الظهر ، ثم يصلى الفرض ويستغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول إلى أن ترتفع الشمس إلى رءوس الحيطان وتصفّر ، والافضل فيه اذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم ، إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر ، فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة

(١) الرعد : ١٥ (٢) الروم : ١٨ (٣) العصر : ١ (٤) ص : ١٨

الورد السابع: إذا اصفرت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطي نورها النبارات والبخارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد ، وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع. وهو المراد بقوله تعالى (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ<sup>(١)</sup>) وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى (فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ<sup>(٢)</sup>) قال الحسن: كانوا أشد تعظيماً للعشى منهم لأول النهار، وقال بعض السلف: كانوا يعملون أول النهار للدينا وآخره للآخرة. فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الأول، مثل أن يقول: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم، وأسأله التوبة، وسبحان الله العظيم وبحمده، مأخوذ من قوله تعالى (وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ<sup>(٣)</sup>) والاستغفار على الأسماء التي في القرآن أحب كقوله أستغفر الله إنه كان غفارا، أستغفر الله إنه كان توابا، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا<sup>(٤)</sup>) (وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى<sup>(٥)</sup>) والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار، فإذا سمع الأذان قال اللهم هذا إقبال ليالك، وإدبار تمارك، وأصوات دعائك، كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتمل بصلاة المغرب، وبالغروب قد انتهت أوراد النهار، فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة، فإن ساوى يومه أمسه فيكون مغنونا وإن كان شرا منه فيكون ملعوناً فقد قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> «لَا بُورُكَ لِي فِي يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ خَيْرًا» فإن رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره، مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه، وإن تكن الأخرى فالليل خليفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات، وليشكر الله تعالى على صحة جسمه، وبقاء بقية من عمره طول ليله ليستغل بتدارك تقصيره، وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة، فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يفتلق باب التدارك والاعتذار، فليس العمر إلا أياما معدودة تنقضى لا محالة جملتها بانقضاء آحادها

(١) حديث لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا : تقدم في العلم في الباب الأول الا أنه قال علما بديل خيرا

(٢) الروم: ١٧ طه: ١٣٠ غافر: ٥٥ الشمس: ١ الليل: ٥

## بيان أوراد الليل

وهي خمسة

**الأول .** إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشاءين ، فأخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق ، أعنى الحمرة التي يغيبونها يدخل وقت العتمة، وقد أقسم الله تعالى به فقال ( فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ <sup>(١)</sup> ) والصلاة فيه هي ناشئة الليل، لأنه أول نشو ساعاته وهو أن من الآناء المذكورة في قوله تعالى ( وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ <sup>(٢)</sup> ) وهي صلاة الأوابين وهي المراد بقوله تعالى ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ <sup>(٣)</sup> ) روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل <sup>(١)</sup> عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم « الصَّلَاةُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ » ثم قال صلى الله عليه وسلم « عَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِمَلَاحَاتِ النَّهَارِ وَتُهْذِبُ آخِرَهُ » والملاغات جمع ملغاة من اللغو، وسئل أنس رحمه الله عن ينام بين العشاءين فقال: لا تفعل فإنها الساعة المعنية بقوله تعالى ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ <sup>(٤)</sup> ) وسيأتى فضل احياء ما بين العشاءين في الباب الثاني

وترتيب هذا الورد : أن يصلى بعد المغرب ركعتين أو لا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ، ويصليهما عقيب المغرب من غير تحلل كلام ولا شغل ؛ ثم يصلى أربعاً يطيلها، ثم يصلى إلى غيبوبة الشفق ما تيسر له، وإن كان المسجد قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته إن لم يكن عزمه العكوف في المسجد وإن عزم على العكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمناً من التصنع والرياء

( ١ ) حديث سئل عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره قال المصنف أسنده ابن أبي الزناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو إسماعيل بن أبي زياد بالياء الثناة من تحت رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش حدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني واسم أبي زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش وابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء والحديث عندت وحسنه بلفظ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة

\* قول العراقي ابن أبي الزناد هي نسخة وقعت له والا في النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فليتمأمل اهـ

الورد الثاني . يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حد نومة الناس ، وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال ( وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ <sup>(١)</sup> ) أى وما جمع من ظلمته وقال ( إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ <sup>(٢)</sup> ) فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته وترتيب هذا الورد بمرعاة ثلاثه أمور

الأول : أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات ، أربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذنين ، وستا بعد الفرض ، ركعتين ، ثم أربعا ، ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها

والثاني : أن يصلى <sup>(٣)</sup> ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر ، فإنه أكثر ما روئى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل ، والا كياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل : والاقوياء من آخره ، والحزم التقديم فإنه ربما لا يستيقظ أو يشغل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فأخر الليل أفضل ثم ليقرأ في هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس ، <sup>(٤)</sup> وسجدة لقمان ، وسورة الدخان ، وتبارك الملك ، والزمزم والواقعة ، فإن لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم ؛

( ١ ) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل وانه أكثر ما يصلى به النبي صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بأقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل وم كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفي رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولهما أيضا ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على احدى عشرة ركعة

( ٢ ) حديث أكثره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمزم والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثر فيه وحج من حديث جندب من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له وت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمزم وقاله حسن غريب وله من حديث أبى هريرة من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وقال غريب ولأبى الشيخ في الثواب من حديث عائشة من قرأ في ليلة ألم تنزيل ويس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا - الحديث : ولأبى منصور المظفر بن الحسين الغزنوى في فضائل القرآن من حديث على أعلى أكثر من قراءة يس - الحديث : وهو منكر والجارث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وت من حديث ابن عباس شيتنى هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب

(١) الانشقاق : ١٧ (٢) الاسراء : ٧٨



فقد روى ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> في كل ليلة أشهرها السجدة، وتبارك الملك، والزمر<sup>(٢)</sup> والواقعة، وفي رواية الزمر وبني إسرائيل، وفي أخرى انه كان يقرأ<sup>(٣)</sup> المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية، وكان العلماء يجعلونها ستاً فيزيدون سبح اسم ربك الأعلى، إذ في الخبر انه صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> كان يحب سبح اسم ربك الأعلى<sup>(٥)</sup>، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور، سبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، والاخلاص، فاذا فرغ قال: سبحان الملك القدوس ثلاث مرات الثالث: الوتر. وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام، قال أبو هريرة رضي الله عنه أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> أن لا أنام إلا على وتر، وإن كان معتادا صلاة الليل فالتأخير أفضل، قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup> «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنِي مَثْنِي فَإِذَا خَفَتِ الصُّبْحُ فَأَوْتِرْ بِرَكْعَةٍ» وقالت عائشة رضي الله عنها: أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٨)</sup> أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر، وقال على رضي الله عنه الوتر على ثلاثة أنحاء، إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين، يعني أنه يصير وترابعا مضى، وإن شئت أوترت بركة فاذا استيقظت شفعت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل، وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك، هذا ما روى عنه، والطريق الأول والثالث لا بأس به<sup>(٩)</sup> وأما نقص الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغي أن ينقص،

(١) حديث كان يقرأ في كل ليلة السجدة وتبارك الملك: ت وتقدم في الحديث قبله

(٢) حديث كان يقرأ في كل ليلة الزمر وبني إسرائيل: ت وتقدم أيضا

(٣) حديث كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن آية أفضل من ألف آية: د وتقال حسن ون. في الكبرى من حديث عرياض بن سارية

(٤) حديث كان يحب سبح اسم ربك الأعلى: أحمد والبخاري من حديث علي بسند ضعيف

(٥) حديث كان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون والاخلاص دن ه من حديث أبي بن كعب باسناد صحيح وتقدم في الصلاة من حديث أنس

(٦) حديث أبي هريرة أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر: متفق عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام

(٧) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركة: متفق عليه من حديث ابن عمر

(٨) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر: متفق عليه

(٩) حديث النهي عن نقص الوتر: قال المصنف صح فيه نهى قبلت وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله صحة كما رواه غ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة

وروى مطلقاً أنه صلى الله عليه وسلم قال : <sup>(١)</sup> « لَا وَتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ »  
ولمن يتردد في استيقاظه تلطّف استحسنه بعض العلماء، وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين  
جالسا على فراشه عند النوم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> يزحف إلى فراشه ويصليهما  
ويقرأ فيهما إذا زلزلت، وألهاكم لما فيهما من التحذير والوعيد، وفي رواية قل يا أيها الكافرون  
لما فيهما من التبرئة وإفراد العبادة لله تعالى، فقيل إن استيقظا مقام ركعة واحدة، وكان له  
أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل، وكأنه صار ماضى شفعا بهما وحسن استئناف الوتر  
واستحسن هذا أبو طالب المكي، وقال : فيه ثلاثة أعمال، قصر الأمل، وتحصيل الوتر  
والوتر آخر الليل، وهو كما ذكره لكن ربما يخطر فيهما لو شفعتا ماضى لكان كذلك وإن لم  
يستيقظ وأبطل وتره الأول، فكونه شافعا إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر، إلا أن  
يصبح من رسول الله صلى الله عليه وسلم إيتاره قبلهما وإعادته الوتر فيفهم منه أن الركعتين  
شفع بصورتهم وتر بمعنهما فيستحب وتر أن لم يستيقظ وشفعا إن استيقظ، ثم يستحب  
بعد التسليم من الوتر أن يقول : سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، جللت السموات  
والأرض بالعظمة والجبروت، وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت، روى أنه صلى الله عليه وسلم  
<sup>(٣)</sup> مامات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة، وقد قال <sup>(٤)</sup> « لِلْقَاعِدِ نِصْفُ أَجْرِ الْقَائِمِ  
وَلِلنَّائِمِ نِصْفُ أَجْرِ الْقَاعِدِ » وذلك يدل على صحة النافلة نائما

الورد الثالث : النوم . ولا بأس أن يعد ذلك في الأوراد، فإنه إذا روعيت آدابه احتسب  
عبادة، فقد قيل <sup>(٥)</sup> إن العبد إذا نام على طهارة، وذكر الله تعالى، يكتب مصليا حتى يستيقظ  
نويدخل في شعاره ملك، فإن تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعاه الملك واستغفر له الله،

- 
- ( ١ ) حديث لا وتران في ليلة : دت وحسنه ون من حديث طلق بن علي  
( ٢ ) حديث الركعتين بعد الوتر جالسا : تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة  
( ٣ ) حديث مامات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة : متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبي  
صلى الله عليه وسلم وثقل كان أكثر صلاته جالسا  
( ٤ ) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد : رخ من حديث عمران بن حصين  
( ٥ ) حديث قيل إنه إذا نام على طهارة ذكر الله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شعاره ملك - الحديث : حب  
من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر  
لمعبودك فلان فإنه بات طاهرا

وفي الخبر<sup>(١)</sup> « إِذَا نَامَ عَلَى طَهَارَةٍ رُفِعَ رُوحُهُ إِلَى الْعَرْشِ » هذا في العوام، فكيف بالخواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية، فانهم يكشفون بالأسرار في النوم، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> « نَوْمُ الْعَالِمِ عِبَادَةٌ وَنَفْسُهُ تَسْبِيحٌ »<sup>(٣)</sup> وقال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل؟ فقال أقوم الليل أجمع، لأنام منه شيئاً وأتفوق القراء فيه تفوقاً، قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم، وأحتسب في نومي ما أحتسب في قومي، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « مُعَاذُ أَفْقَةٍ مِنْكَ » وآداب النوم عشرة :

الأول الطهارة والسواك: قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « إِذَا نَامَ الْعَبْدُ عَلَى طَهَارَةٍ عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى الْعَرْشِ فَكَانَتْ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً وَإِنْ لَمْ يَنَمْ عَلَى طَهَارَةٍ قَصُرَتْ رُوحُهُ عَنِ الْبُلُوغِ، فَتِلْكَ الْمُنَامَاتُ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ لَا تَصْدُقُ » وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعاً، وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب.

الثاني: أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ، وكلما يتنبه يستاك، كذلك كان يفعله بعض السلف، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> أنه كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نومة، وعند التنبه منها، وإن لم تيسر له الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء، فإن لم يجد فليقعد، وليستقبل القبلة، وليستغل بالذكر والدعاء والتفكير في آلاء الله تعالى وقدرته، فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> « مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى يُصْبِحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى »

( ١ ) حديث إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش: ابن المبارك في الزهد موقفاً على أبي الدرداء وهو في الشعب

موقفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طب في الأوسط من حديث علي ما من عبد ولا أمة

ننام فشفل نوماً إلا عرج بروحه إلى العرش فإلن لا يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذب هو ضعيف

( ٢ ) حديث نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح قلت المعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم في الصوم

( ٣ ) حديث قال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال أقوم الليل أجمع لأنام منه شيئاً وأتفوق

القراء أن تفوقاً قال معاذ لكني أنام ثم أقوم وأحتسب في نومي ما أحتسب في قومي فذكر ذلك

للنبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك متفق عليه بنحوه من حديث أبي موسى وليس

فيه أنه ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولا قوله معاذ أفقه منك وإنما زاد فيه طب فكان معاذ أفضل منه

( ٤ ) حديث إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم

( ٥ ) حديث أنه كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم في الطهارة

( ٦ ) حديث من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى

وكان نومه صدقة من الله عليه: هـ من حديث أبي الدرداء بسند صحيح

الثالث : أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض في النوم ، فان مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة ، يتزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم ، فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية ، وذلك مستحب خوف موت الفجأة ، وموت الفجأة تخفيف ، إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم

الرابع : أن ينام تائباً من كل ذنب ، سليم القلب لجميع المسلمين ، لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على مبعصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ لَا يَتَوَى ظُلْمَ أَحَدٍ وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ غُفِرَ لَهُ مَا اجْتَرَمَ »

الخامس : أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الباعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه ، كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفاً ، وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً ، ويقولون منها خلقنا واليهما نرد ، وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم ، فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد

السادس : أن لا ينام مالم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل ، فقد كان نومهم غلبة ، وأكلهم فاقة ، وكلامهم ضرورة ، ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فليمن حتى يعقل ما يقول ، وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره النوم قاعداً ، وفي الخبر <sup>(٢)</sup> « لَا تُكَابِدُوا اللَّيْلَ » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « أَنْ فَلَانَةَ تَصِلُ بِاللَّيْلِ ، فَإِذَا غَلَبَهَا النَّوْمُ تَعَلَّقْتُ بِحِجْلِ فَهَيْ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ « لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيْسَّرَ لَهُ ، فَإِذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ فَلْيَبْرُقْ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « تَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَمْلَأَ حَتَّى تَمْلَأُوا »

(١) حديث من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجتزم ابن أبي الدنيا في كتاب

النية من أنس من أصبح ولم يهجم بظلم أحد غفر له ما اجتزم وسنده ضعيف

(٢) حديث لا تكابدوا الليل : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفي جامع

معيان الثوري موقوفاً على ابن مسعود لا تكالبوا هذا الليل

(٣) حديث قيل له فلانة تصلي فإذا غلبها النوم تعلقت بحجل فهاهن عن ذلك - الحديث : متفق عليه من حديث أنس

(٤) حديث تكلفوا من العمل ما تطيقون فانه الله لا يعلى حتى تعملوا متفق عليه من حديث عائشة بلفظ لا تكلفوا

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « خَيْرُ هَذَا الدِّينِ أَيْسَرُهُ » وقيل له صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « ان فلانا يصلي فلا ينام ، ويصوم فلا يفطر ، فقال « لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ ، وَأُصُومُ وَأَفْطِرُ هَذِهِ سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَلَيْسَ مِنِّي » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « لَا تُشَادُّوا هَذَا الدِّينَ فَإِنَّهُ مَتِينٌ فَمَنْ يُشَادَّهُ يَغْلِبْهُ فَلَا تُبْغِضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ »

السابع أن ينام مستقبل القبلة ، والاستقبال على ضربين ( أحدهما ) استقبال المختصر ، وهو المستلق على قفاه ، فاستقباله أن يكون وجهه وأخصاه إلى القبلة ( والثاني ) استقبال اللحد ، وهو أن ينام على جنب بان يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن الثامن : <sup>(٤)</sup> الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربّي وضعت جنبي وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات ، ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة ، مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرهما ، وقوله تعالى (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) إلى قوله (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) <sup>(٥)</sup> يقال ان من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ، ويقرأ من سورة الاعراف هذه الآية ( إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) إلى قوله ( قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ) <sup>(٦)</sup> وآخر بني اسرائيل ( قُلِ ادْعُوا اللَّهَ ) الآيتين ، فإنه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ، ويقرأ المعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده ، كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> وليقرأ أعشرا من أول الكهف ، وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل ، وكان على كرم الله وجهه يقول ما ترى ان رجلا مستكبرا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة ، وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة

- ( ١ ) حديث خير هذا الدين أيسره : أحمد من حديث مجن بن الأدرع وتقدم في العلم  
( ٢ ) حديث قيل له أن فلانا يصلي ولا ينام ويصوم ولا يفطر فقال لكنني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني : ن من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله هذه سنتي الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنتي فليس مني وهي منفق عليها من حديث أنس  
( ٣ ) حديث لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله : خ من حديث أبي هريرة لن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وللبيهقي من حديث جابر ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ولا يصح اسناده  
( ٤ ) حديث الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبي - الحديث : إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات  
( ٥ ) حديث قراءة المعوذتين عند النوم ينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة

التاسع : أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة ، والتيقظ نوع بعث ، قال الله تعالى :  
( اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا <sup>(١)</sup> ) وقال ( وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ <sup>(٢)</sup> )  
فسماه توفيا ، وكأن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم ، فكذلك  
المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ، ومثل النوم بين الحياة والموت مثل  
البرزخ بين الدنيا والآخرة ،

وقال لقمان لابنه : يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تتم ، فكما انك تنام كذلك تموت ،  
وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه ، فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك ،  
وقال كعب الأحبار : إذا نمت فاضطجع على شقك الايمن ، واستقبل القبلة بوجهك ، فانها وفاة  
وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> آخر ما يقول حين ينام  
وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته تلك « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ  
وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ مِّلِيكَهُ » الدعاء إلى آخره كما ذكرناه في كتاب الدعوات  
لحقى على العبد أن يفش عن ثلاثة عند نومه : انه على ماذا ينام ، وما الغالب عليه حب الله  
تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا ، ولتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على  
ما يتوفى عليه فان المرء مع من أحب ومع ما أحب

العاشر : الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقبلاته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله  
صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ  
الْغَفَّارُ » وليجهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى ، وأول ما يرد على  
قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى ، فهو علامة الحب ، ولا يلزم القلب في هاتين الحالتين  
الاما هو الغالب عليه ، فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فانها علامة تنكشف عن باطن  
القلب ، وإنما استحببت هذه الاذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى ، فاذا استيقظ  
ليقوم قال : الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور ، إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ

( ١ ) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع

<sup>١</sup> ورب العرش العظيم الحديث : تقدم في الدعوات ودون وضع اليد على اليد وتقدم من حديث حفصة

( ٢ ) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار

ابن السني وأبو نعيم في كتابها عمل اليوم والليلة من حديث عائشة

( ١ ) ما في : ٢٣ ، ( ٢ ) الأعمام : ٥٩

الورد الرابع : يدخل بمضى النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدس منه ، وعند ذلك يقوم العبد للتهجد ، فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوم وهو النوم ، وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط النهار ، وبه أقسم الله تعالى فقال : ( وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى <sup>(١)</sup> ) أى إذا سكن ، وسكونه هدوه فى هذا الوقت ، فلا تبقى عينه الاناعة ، سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، وقيل إذا سجد . إذا امتد وطال ، وقيل إذا أظلم . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> أى الليل أسمع فقال « جَوْفُ اللَّيْلِ » وقال داود صلى الله عليه وسلم : إلهى إنى أحب أن أتعبدك ، فأى وقت أفضل ؟ فأوحى الله تعالى إليه ، يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ، ومن قام آخره لم يقم أوله : ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك ، وارفع إلى حوائجك ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> أى الليل أفضل ؟ فقال « نِصْفُ اللَّيْلِ الْغَائِرِ » يعنى الباقي وفى آخر الليل وردت الأخبار <sup>(٣)</sup> بهتزاز العرش ، وانتشار الرياح من جنات عدن ، ومن نزول الجبار تعالى إلى سماء الدنيا ، وغير ذلك من الأخبار ،

وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التى للاستيقاظ ، يتوضأ وضوءاً كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ، ثم يتوجه إلى مصلاه ، ويقوم مستقبلاً القبلة ، ويقول : الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، ثم يسبح عشراً ويحمد الله عشراً ، ويهلل عشراً ، وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت ، والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة ،

( ١ ) حديث سئل أى الليل أسمع قال جوف الليل : دت وصححه من حديث عمرو بن عبسة

( ٢ ) حديث سئل أى الليل أفضل قال نصف الليل العابر : أحمد وحب من حديث أبى ذر دون قوله الغابر . وهو

فى بعض طرق حديث عمرو بن عبسة

( ٣ ) حديث الأخبار الواردة فى اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن فى آخر الليل ونزول

الجبار إلى سماء الدنيا . أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقي فهى آثار رواها محمد بن نصير

فى قيام الليل من رواية سعيد الجريرى قال قال داود يا جرير أى الليل أفضل قال ما أدري

غير أن العرش يهز من السحر وفى رواية له عن الجريرى عن سعيد بن أبى الحسن قال إذا

كان من السحر ألا ترى كيف تنفوخ وريح كل شجر وله من حديث أبى الدرداء مرفوعاً إن

الله تبارك وتعالى لينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر فى الساعة الأولى وفيه ثم

ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن - الحديث : وفيه مثله

وليقبل هذه الكلمات فإنها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت بهاء السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن ، أنت الخلق ، ومنك الخلق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنشور حق ، والنبئون حق ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق ، اللهم لك أسألت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فأغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، اللهم<sup>(٢)</sup> آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم<sup>(٣)</sup> اهْدِنِي لأحسن الأعمال ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، وأصرف عني سيئها لا بصرف عني سيئها إلا أنت ،<sup>(٤)</sup> أسألك مسألة البائس المسكين ، وأدعوك دعاء المفتقر الدليل ، فلا تجعلني بدعائك رب شقياً ، وكن بي رءوفاً رحيماً يا خير المسؤولين وأكرم الممطين ، وقالت عائشة رضى الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

(١) حديث القول في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض - الحديث : متفق عليه من

حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق

(٢) حديث اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها : أحمد بإسناد جيد من حديث

عائشة أنها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلبسته يدها فوقت عليه وهو ساجد وهو يقول وب أعط نفسي تقواها - الحديث :

(٣) حديث اللهم اهْدِنِي لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت وأصرف عني سيئها لا بصرف عني سيئها إلا

أنت : م من حديث علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله

(٤) حديث أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء للضرر الدليل - الحديث : الطبراني في الصغير من

حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة تقدم في الحج

(٥) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر

السموات والأرض - الحديث : رواه م



ثم يفتتح الصلاة ، ويصلي <sup>(١)</sup> ركعتين خفيفتين ، ثم يصلي مثنى مثنى ما يسر له ، ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ، ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ، ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة ، وقدصح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى أولا ركعتين خفيفتين ، ثم ركعتين طويلتين ، ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ، ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة ، وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> يجهر في قيام الليل أم يسر ؟ فقالت ربما جهر ، وربما أسر ، وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خَفَتِ الصُّبْحُ فَأَوْتِرْ بِرُكْعَةٍ » وقال : « صَلَاةُ » <sup>(٤)</sup> « الْمَغْرِبِ أَوْتِرَتْ صَلَاةُ النَّهَارِ فَأَوْتِرُوا صَلَاةَ اللَّيْلِ » وأكثر ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة ، ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن ؛ أو من السور المخصوصة ماخف عليه ، وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل ، الورد الخامس : السدس الأخير من الليل ، وهو وقت السحر ، فإن الله تعالى قال : (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ <sup>(٦)</sup>) قيل يصلون لما فيها من الاستغفار ، وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار ، وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره ، <sup>(٧)</sup> في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم ، فقال له سلمان نم فنام ، ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام ، فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن ، فقاما ففصلا ، فقال إن لنفسك عليك حقا ، وإن لضيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه ، وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل ، قال فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له ، فقال « صَدَقَ سَلْمَانُ »

( ١ ) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما

نم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة : م من حديث زيد ابن خالد الجهمي

( ٢ ) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر

وربما أسر : دن ه باسناد صحيح

( ٣ ) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركة : متفق عليه وقد تقدم

( ٤ ) حديث صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل : أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح

( ٥ ) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فإنه أكثر ماصح عنه : تقدم

( ٦ ) حديث زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام الحديث :

وفي آخره فقال صدق سلمان يخ من حديث أبي جحيفة

(١) الآثاريات : ١٨

وهذا هو الورد الخامس ، وفيه يستحب السجود ، وذلك عند خوف طلوع الفجر  
والوظيفة في هذين الوردين الصلاة ، فإذا طلع الفجر انتقضت أوراد الليل ، ودخلت  
أوراد النهار ، فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله تعالى ( وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ  
النُّجُومِ <sup>(١)</sup> ) ثم يقرأ ( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ <sup>(٢)</sup> ) إلى آخرها ثم يقول :  
وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه ، وشهدت به ملائكته ، وأولو العلم من خلقه ، وأستودع  
الله هذه الشهادة وهي لي عند الله تعالى وديعة ، وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها ، اللهم احفظ  
عني بها وزرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، واحفظها علي وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا  
فهذا ترتيب الأوراد للعباد ، وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين  
أربعة أمور ، صوم ، وصدقة ، وإن قلّت وعيادة مريض ، وشهود جنازة ، ففي الخبر <sup>(١)</sup> « مَنْ  
جَمَعَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَعِ فِي يَوْمٍ غُفِرَ لَهُ » وفي رواية « دَخَلَ الْجَنَّةَ » فان اتقى بعضها وعجز  
عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته ، وكانوا يكرهون أن ينقضى اليوم ، ولم تصدقوا فيه  
بصدقة ولو بتمر ، أو بصلصة أو كسرة خبز ، لقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « الرَّجُلُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ  
حَتَّى يَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ » ولقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » ودفعت  
فائشة رضي الله عنها إلى سائل عنبه فأخذها ، فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض ،  
فقال ما لكم أن فيها لثما قليل ذر كثير ، وكانوا لا يستحبون رد السائل ، إذ كان من أخلاق  
رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> ذلك ، فأسأله أحد شيئا فقال لا ، ولكنه إن لم يقدر عليه  
سكت ، وفي الخبر <sup>(٥)</sup> « يُصْبِحُ ابْنُ آدَمَ وَعَلَى كُلِّ سَلَاةٍ مِنْ جَسَدِهِ صَدَقَةٌ » يعني المفضل ،  
وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا ، « فَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ  
وَحَمْلُكَ عَنِ الضَّعِيفِ صَدَقَةٌ ، وَهِدَايَتُكَ إِلَى الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ، وَإِمَاطَتُكَ الْأَذَى صَدَقَةٌ »  
حتى ذكر التسبيح والتلهيل ثم قال « وَرَكْعَتَا الضُّحَى تَأْتِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ أَوْ تَجْمَعُنَّ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ »

(١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة

الجنة : م من حديث أبي هريرة ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة

(٢) حديث الرجل في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس : تقدم في الزكاة

(٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة : تقدم في الزكاة

(٤) حديث ما سأله أحد شيئا فقال لا إن لم يقدر عليه سكت : م من حديث جابر والبراز من حديث أنس أو سكت

(٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلاية من جسده صدقة - الحديث : م من حديث أبي ذر

## بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

اعلم أن المريد لحرق الآخرة ، السالك لطريقها ، لا يخلو عن ستة أحوال ، فإنه إما عابد ، وإما عالم ، وإمام متعلم ، وإمام وال ، وإمام محترف ، وإمام موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره ، الأول : العابد ! وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلاً ، ولو ترك العبادة لجلس بطالا ، فترتيب أوراده ما ذكرناه ، نعم لا يبعد أن تختلف وظائفه ، بأن يستغرق أكثر أوقاته ، إما في الصلاة ، أو في القراءة ، أو في التسبيحات ، فقد كان في الصحابة رضى الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة ، وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفاً ، وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة ، وإلى ألف ركعة ، وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة ، وكان بعضهم أكثر ورده القراءة ، وكان يحتم الواحد منهم في اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم ، وكان بعضهم يقضى اليوم أو الليلة في التفكير في آية واحدة يرددها ، وكان كرز بن وبرة مقياً بمكة ، فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعاً ، وفي كل ليلة سبعين أسبوعاً ، وكان مع ذلك يحتم القراءة في اليوم والليلة مرتين ، فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ، ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وخمسة عشر فراسخ

فان قلت : فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الاوقات من هذه الأوراد ؟

فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبر يجمع الجميع ، ولكن ربما تسر التواظبة عليه ، فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ، ومقصود الأوراد تركية القلب ، وتطهيره ، وتحليته بذكر الله تعالى ، وإيناسه به ، فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه ، فإذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره ، ولذلك نرى الأصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات ، كما سبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع ، لان الملل هو الغالب على الطبع ، وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضاً تختلف ، ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى ، فان سمع تسبيحة مثلاً وأحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها مادام يحدها وقماً ، وقد روى عن إبراهيم بن آدم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر ، فسمع صوتاً عالياً بالتسبيح ولم ير أحداً ، فقال من أنت

أسمع صوتك ولا أرى شخصك؟ فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر ، أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت ، قلت فما اسمك ؟ قال مهلمائيل ، قلت فما ثواب من قاله ؟ قال من قاله مائة مرة لم يميت حتى يرى مقعده من الجنة ، وأرى له ، والتسبيح هو قوله : سبحان الله العلي الديان ، سبحان الله الشديد الأركان ، سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار ، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن ، سبحان الله الحنان المنان ، سبحان الله المسبح في كل مكان ، فهذا أمثاله إذا سمعه المرید ووجد له في قلبه وقفا فيلازمه ، وأياماً وجد القلب عنده ، وفتح له فيه خير فليواظب عليه الثاني : العالم الذي ينفع الناس بعلمه ، في فتوى ، أو تدريس ، أو تصنيف ، فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد ، فانه يحتاج إلى المطالعة للكتب ، وإلى التصنيف والافادة ، ويحتاج إلى مدة لها لا محالة ، فان أمكنه استغراق الاوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل بعد المكتوبات ورواتها ، ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم ، وكيف لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى ، وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ، ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ، ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا ، وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا ، أو العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة ، إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تريد بها الرغبة في المال والجاه ، وقبول الخلق ، والأولى بالعلم أن يقسم أوقاته أيضاً

فان استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يختلفه الطبع ، فينبغي أن يخصص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد ، كما ذكرناه في الورد الأول ، وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار في الافادة والتعليم ، ان كان عنده من يستفيد علماً لأجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين ، فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهوم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ، ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة ، لا يتركها إلا في وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ، ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ، ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح ، فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان ، وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة

وورده الثالث إلى المصرف في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة ، وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين ، وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان ، فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه ، اذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول ، وثلثا للصلاة وهو الوسط الوسطى ، وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك الا إذا كان أكثر النوم بالنهار ، فهذا ما نستحبه من ترتيب أورد العلم

الثالث : المتعلم ، والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالادكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد ، ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالأفادة والتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ، ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب معلم يدل على ان ذلك أفضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه <sup>(١)</sup> « إِنَّ حُضُورَ مَجْلِسٍ ذِكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « إِذَا رَأَيْتُمْ رِيَاضَ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا فِيهَا فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : خَلْقُ الذِّكْرِ » وقال كعب الأحمري رضي الله عنه ؛ لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتلوا عليه ، حتى يترك كل ذي إمارة إمارته ، وكل ذي سوق سوقه ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة ، فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله ، وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء ، فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء ، وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو اليك تساوة قلبي ، فقال أدنه من مجالس الذكر ، ورأي عمار الزاهد مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواقبات على خلق الذكر ، فقال مرحبا يا مسكينة فقالت : هيبات هيبات ، ذهبت المسكينة وجاء الغنى ، فقال هيبه فقالت : ما تسأل عمن أبيع لها الجنة بخذا فيراها ، قال وبم ذلك ؟ قالت : بمجالسة أهل الذكر

(١) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة - الحديث : تقدم في العلم

(٢) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها - الحديث : تقدم في العلم

وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عُقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتغال القلب على حب الدنيا

الرابع: المحترف الذي يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات، بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق، والاشتغال بالكسب، ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى في صناعته، بل يواظب على التسيّحات والأذكار وقراءة القرآن، فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل، وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورا فانه لا يجز عن إقامة أوراد الصلاة معه، ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد، وإن داوم على الكسب وتصديق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التي ذكرناها، لأن العبادات المتعدية فائدها أنفع من اللازمة، والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه إلى الله تعالى، ثم يحصل به فائدة للغير وتجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر

الخامس: الوالي مثل الامام والقاضي والمتولى لينظر في أمور المسلمين، فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة، فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة، ويقيم الأوراد المذكورة بالليل، كما كان عمر رضي الله عنه يفعله، إذ قال: مالي وللنوم، فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين، ولو نمت بالليل ضيعت نفسي وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران، أحدهما العلم، والآخر الرفق بالمسلمين، لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه، وعبادة تفضل سائر العبادات، يتعدى فائدته وانتشار جدواه، فكانا مقدمين عليه

السادس: الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي أصبح ومهمومه هم واحد، فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه، ولا يتوقع الرزق من غيره، ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله تعالى فيه، فن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يقتصر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال، فلا يخطر بقلوبهم أمر، ولا يقرع سمعهم قارع، ولا يلوح لأبصارهم لائح، إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزید، فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى، فبؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون

سببا لازديادهم ، فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل ، كما قال تعالى :  
( لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ )<sup>(١)</sup> وتحقق فيهم قوله تعالى : ( وَإِذَا عَزَلْتَهُمْ مِنْهُمَا يَبْغِدُونَ  
إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ )<sup>(٢)</sup> واليه الإشارة بقوله : إني ذاهب  
إلى ربي سيهدين ، وهذه منتهى درجات الصديقين ، ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد  
والمواظبة عليها دهرًا طويلا ، فلا ينبغي أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ، ويفتر  
عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهجم في قلبه وسواس ، ولا يخطر في قلبه معصية ،  
ولا تزججه هو اجم الأحوال ، ولا تستغفزه عظام الشغال ، وأنى ترزق هذه الرتبة لكل  
أحد فيتمتع على الكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طريق إلى الله تعالى قال تعالى  
( قُلْ كُلٌّ يَجْعَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا )<sup>(٣)</sup> فكلهم مهتدون  
وبعضهم أهدى من بعض ، وفي الخبر<sup>(٤)</sup> « الْإِيمَانُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ وَثَلَاثَةٌ طَرِيقَةٌ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ  
تَعَالَى بِالشَّهَادَةِ عَلَى طَرِيقٍ مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » وقال بعض العلماء الإيمان ثلثمائة عشر خلقا بعدد  
الرسول ، فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله ، فإذا الناس وإن اختلفت  
طريقهم في العبادة فكلهم على الصواب ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ  
أَيُّهُمْ أَقْرَبُ )<sup>(٥)</sup> وإنما يتفاوتون في درجات القرب في أصله وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به ،  
وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبدهم له ، فمن عرفه لم يعبد غيره

والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس المداومة ، فإن المراد منه تغيير الصفات  
الباطنة ، وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها ، وإنما يترتب الأثر على المجموع  
فاذا لم يعقب العمل الواحد أثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انجلى الأثر الأول  
وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس ، فانه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير ، فلو  
بالغ ليلة في التكرار ، وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالع ليلة لم يؤثر هذا فيه ، ولو وزع

( ١ ) حديث الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة : ابن شاهين  
واللالكائي في السنة والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد  
عن أبيه عن جده الإيمان ثلثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهن دخل الجنة وقال  
الطبراني والبيهقي ثلثمائة وثلاثون وفي أسناده جهالة

( ٢ ) الداريات : ٤٩ ، ٦٠ : ( ٣ ) الكهف : ١٦ ( ٤ ) الإسراء : ٨٤ ( ٥ ) الإسراء : ٥٥

ذلك القدر على الليالى المتواصلة لأثر فيه ، ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ عَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> فَقَالَتْ كَانَ عَمَلُهُ دِيعَةً وَكَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> « مَنْ عَوَّذَهُ اللَّهُ عِبَادَةً فَتَرَكَهَا مَلَأَ لَهُ مَقْتَهُ اللَّهُ » وهذا كان السبب فى صلاته بعد العصر تداركاً لما فاته من ركعتين <sup>(٤)</sup> شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر، ولكن فى منزله لا فى المسجد كيلا يقتدى به روته عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما

فإن قلت فهل لغيره أن يقتدى به فى ذلك مع أن الوقت وقت كراهية فاعلم أن المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى الكراهية ، من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان ، أو الاستراحة عن العبادة حذراً من الملل ، لا يتحقق فى حقه، فلا يقاس عليه فى ذلك غيره، ويشهد لذلك فعله فى المنزل حتى لا يقتدى به صل الله عليه وسلم

## الباب الساف

فى الأسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب إحيائها  
وفى فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل

## فضيلة إحياء ما بين العشاءين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضى الله عنها <sup>(٥)</sup> « إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ لَمْ يَحْطُطْ عَنْ مُسَافِرٍ ، وَلَا عَنْ مُقِيمٍ ، فَتَحَّ بِهَا صَلَاةُ اللَّيْلِ وَخَتَمَ بِهَا صَلَاةُ النَّهَارِ : فَنَزَلَ صَلَّى الْمَغْرِبَ وَصَلَّى بَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ الرَّاوى لَا أَدْرِى مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ »

- ( ١ ) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل : متفق عليه من حديث عائشة ،
- ( ٢ ) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله دِيعَةً وكان إذا عمل عملاً أثبتته : رواء م
- ( ٣ ) حديث من عوده الله عبادة فتركها ملأ الله مقتته الله : تقدم فى الصلاة وهو موقف على عائشة
- ( ٤ ) حديث شغله الوفد عن ركعتين فصلهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر فى منزله : متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلنى ناس من عبد الفيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة متركها حتى لقي الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهما ولا يصليهما فى المسجد مخافة أن يثقل على أمته والله الموفق للصواب

﴿ الباب الثانى فى الأسباب الميسرة لقيام الليل ﴾

- ( ٥ ) حديث عائشة أن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطط عنها عن مسافر ولا عن مقيم : الحديث : رواء أبو الوليد بن عبيد الله الصغار فى كتاب الصلاة ورواه الطبرانى فى الأوسط مختصراً وأسناده ضعيف



« وَمَنْ صَلَّى بَعْدَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُ عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ قَالَ أَرْبَعِينَ سَنَةً »  
وروت أم سلمة وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> أنه قال :  
« مَنْ صَلَّى سِتَّ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الْمَغْرِبِ عَدَلَتْ لَهُ عِبَادَةُ سَنَةٍ كَأَلَةٍ أَوْ كَأَنَّهُ صَلَّى لَيْلَةَ الْقَدْرِ »  
وعن سعيد بن جبير عن ثوبان ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> « مَنْ عَكَفَ نَفْسَهُ  
فَمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ لَمْ يَتَّكَلَمْ إِلَّا بِصَلَاةٍ أَوْ قُرْءَانٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ  
أَنْ يُبْنِي لَهُ قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ كُلِّ قَصْرٍ مِنْهُمَا مِائَةُ عَامٍ ، وَيَغْرَسُ لَهُ بَيْنَهُمَا غَرِاسًا  
لَوْ طَافَهُ أَهْلُ الدُّنْيَا لَوَسِعَهُمْ » وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « مَنْ رَكَعَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ مَا بَيْنَ  
الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ » فقال عمر رضي الله عنه إذا تكثرت قصورنا  
يا رسول الله ، فقال « اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَفْضَلُ » أَوْ قَالَ « أَطْيَبُ » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه  
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « مَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا رَكَعَتَيْنِ  
وَلَمْ يَتَّكَلَمْ بِشَيْءٍ فَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَيَقْرَأُ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ  
وَعَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَآيَتَيْنِ مِنْ وَسْطِهَا ، (وَالْهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ<sup>(٥)</sup>) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)

( ١ ) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى

ليلة القدر : ت ه بلفظ اثنتي عشرة سنة وضعفت وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول  
كعب الأجار كما رواه أبو الوليد الصغار ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث  
ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا وضعت له في عليين وكان كمن  
أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى وسنده ضعيف

( ٢ ) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم

إلا بصلوة أو قرءان كان حقا على الله أن يبني له قصرين في الجنة : لم أجد له أصلا من هذا الوجه  
وقد تقدم في الصلاة من حديث ابن عمر

( ٣ ) حديث من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا في الجنة عمر إذا تكثرت قصورنا يا رسول

الله - الحديث : ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الكريم بن الحارث مرسل

( ٤ ) حديث أنس من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء قبل بين ذلك من امر

الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى بفتح الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها  
والهكُم إله واحد - الحديث : أبو الشيخ في الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع

اختلاف يسير وهو ضعيف

تَحْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ فَإِذَا قَامَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ وَآيَتَيْنِ يَمْدُهَا إِلَى قَوْلِهِ: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(١)</sup>) وَثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مِنْ قَوْلِهِ، اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَى آخِرِهَا وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَحْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَصَفَ مِنْ ثَوَابِهِ فِي الْحَدِيثِ مَا يَخْرُجُ عَنْ الْحَصْرِ،

<sup>(١)</sup> وَقَالَ كُرْزُبِنْ وَبَرَةٌ هُوَ مِنَ الْأَبْدَالِ، قُلْتُ لِلْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِمَنِي شَيْئًا أَعْمَلُهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فَقَالَ إِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَقُمْ إِلَى وَقْتِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ مُصَلِّيًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَكَلَّمَ أَحَدًا، وَأَقْبِلْ عَلَى صَلَاتِكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، وَسَلِّمْ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثًا، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ صَلَاتِكَ أَنْصَرِفْ إِلَى مَنْزِلِكَ وَلَا تَتَكَلَّمَ أَحَدًا وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَاقْرَأْ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ثُمَّ اسْجُدْ بَعْدَ تَسْلِيمِكَ، وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ تَعَالَى سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ مِنَ السَّجُودِ، وَاسْتَوِ جَالِسًا، وَارْفَعْ يَدَيْكَ وَقُلْ: يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا إِلَهَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا يَا رَبَّ يَا رَبَّ، يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ: ثُمَّ قُمْ وَأَنْتَ رَافِعُ يَدَيْكَ وَادْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ، ثُمَّ نَمْ حَيْثُ شِئْتَ بِمُسْتَقْبَلِ الْقِبْلَةِ عَلَى يَمِينِكَ، وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدِمِ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، حَتَّى يَذْهَبَ بِكَ النَّوْمُ، فَقُلْتُ لَهُ أَحَبُّ أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا فَقَالَ إِنِّي حَضَرْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ عَلِمَ هَذَا الدُّعَاءَ وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِهِ فَكُنْتُ عَنْدهُ وَكَانَ ذَلِكَ بِمَحْضَرِ مَنْ فَعَلْتَهُ مِنْ عِلْمِهِ إِيَّاهُ

وَيُقَالُ إِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ وَهَذِهِ الصَّلَاةَ مِنْ دَاوَمٍ عَلَيْهِمَا بِحَسَنِ يَقِينٍ، وَصَدَقَ نَبِيٌّ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنْامِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْضُ النَّاسِ فَرَأَى أَنَّهُ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ، وَرَأَى فِيهَا الْأَنْبِيَاءَ وَرَأَى فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلِمَةً وَعِلْمَهُ وَعَلَى الْجُمْلَةِ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ إِحْيَاءِ مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ كَثِيرٌ، حَتَّى قِيلَ <sup>(٢)</sup> لَعَبِيدُ اللَّهِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِصَلَاةٍ غَيْرِ الْمَكْتُوبَةِ

(١) حَدِيثُ كُرْزُبِنْ وَبَرَةٍ إِنَّ الْخَضِرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَفِيهِ أَنْ كُرْزَا سَأَلَ الْخَضِرَ مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا قَالَ إِنِّي حَضَرْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عَلِمَ هَذَا الدُّعَاءَ - الْحَدِيثُ: وَهَذَا بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ

(٢) حَدِيثُ عُبَيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ لَهُ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِصَلَاةٍ غَيْرِ الْمَكْتُوبَةِ قَالَ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَفِيهِ رَجُلٌ لَمْ يَسْمَعْ

قال ما بين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «مَنْ صَلَّى مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ قَدَلِكَ صَلَاةُ الْاَوَّابِينَ» وقال الأسود ما أتيت ابن مسعود رضى الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيتته يصلى ؛ فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة ، وكان أنس رضى الله عنه يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ، ويقول فيها نزل قوله تعالى ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ <sup>(٢)</sup> ) وقال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان الدراني أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحيي ما بينهما ؛ فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر قال أفطر وصل ما بينهما

## فضيلة قيام الليل

أما من الآيات فقوله تعالى : ( إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ <sup>(٣)</sup> ) الآية وقوله تعالى : ( إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً <sup>(٤)</sup> ) وقوله سبحانه وتعالى : ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ <sup>(٥)</sup> ) وقوله تعالى : ( أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آثَاءُ اللَّيْلِ <sup>(٦)</sup> ) الآية وقوله عز وجل : ( وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا <sup>(٧)</sup> ) وقوله تعالى ( وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ <sup>(٨)</sup> ) قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس

ومن الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٩)</sup> « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللَّهَ نَعَى انْخَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْخَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْخَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ » وفي الخبر <sup>(١٠)</sup> إنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح ، فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه ، وفي الخبر <sup>(١١)</sup> « إِنَّ الشَّيْطَانَ سَعُوطًا وَلَعُوقًا وَذُرُورًا ، فَإِذَا أَسْعَطَ الْعَبْدُ سَاءَ خُلُقُهُ ، وَإِذَا أَلْعَقَهُ ذَرْبُ لِسَانِهِ بِالشَّرِّ ، وَإِذَا ذَرَهُ نَامَ

( ١ ) حديث من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين : تقدم في الصلاة

( ٢ ) حديث يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد - الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

( ٣ ) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في أذنه : متفق عليه من حديث ابن مسعود

( ٤ ) حديث إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا - الحديث : طب من حديث أنس إن للشيطان لعوقا وكلا

فإذا لعن الانسان من لعوقه ذرب لسانه بالشرو إذا كمل من كله نامت عيناه عن الذكر ورواه

البراز من حديث سمرة بن جندب وسندهما ضعيف

( ١ ) السجدة : ٦ - ( ٢ ) الزمل : ٣ - ( ٣ ) الزمل : ٦ ( ٤ ) السجدة : ٩ ( ٥ ) الزمر : ٩ ( ٦ ) الفرقان : ٦٤ ( ٧ ) البقرة : ٤٥

الليل حتى يُصبح » وقال « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> رَكَعَتَانِ يَرَكُهُمَا الْعَبْدُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْلَا أَنْ أُشْتُ عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُهُمَا عَلَيْهِمْ » وفي الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ » وفي رواية : « يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ » وقال المغيرة بن شعبه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> حتى تفطرت قدماه ، فقبل له : أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة ، فإن الشكر سبب المزيد ، قال تعالى (لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ <sup>(٣)</sup>) وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « يَا أَبَاهُ رَيْرَةٌ أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيْكَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَمَقْبُورًا وَمَبْعُوثًا ؟ قُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلِّ وَأَنْتَ تُرِيدُ رِضَا رَبِّكَ يَا أَبَاهُ رَيْرَةٌ صَلِّ فِي زَوَايَا بَيْتِكَ يَكُنْ نُورُ بَيْتِكَ فِي السَّمَاءِ كُنُورُ الْكَوَاكِبِ وَالنَّجْمِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٥)</sup> « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ ذَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ فَإِنْ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَكْفِيرٌ لِلذُّنُوبِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ ، وَمَنْهَاقٌ عَنِ الْإِنِّمِ » وقال صلى الله عليه وسلم : <sup>(٦)</sup> « مَا مِنْ أَمْرٍ يَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِاللَّيْلِ فَعَلَبَهُ عَلَيْهَا النَّوْمُ إِلَّا كُتِبَ لَهُ أَجْرُ صَلَاتِهِ ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ »

(١) حديث ركَعَتَانِ يَرَكُهُمَا الْعَبْدُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَوْلَا أَنْ أُشْتُ عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُهُمَا عَلَيْهِمْ : آدم بن أبي أياس في الثواب ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية

حسان بن عطية مرسلًا ووصله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمرو لا يصح.

(٢) حديث المغيرة بن شعبه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه - الحديث : متفق عليه

(٣) حديث يا أباه رَيْرَةٌ أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيْكَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَمَقْبُورًا قُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلِّ وَأَنْتَ تُرِيدُ رِضَا رَبِّكَ يَا أَبَاهُ رَيْرَةٌ صَلِّ فِي زَوَايَا بَيْتِكَ يَكُنْ نُورُ بَيْتِكَ فِي السَّمَاءِ كُنُورُ الْكَوَاكِبِ وَالنَّجْمِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا : باطل لا أصل له

(٤) حديث عليكم بقيام الليل فإنه ذاب الصالحين قبلكم - الحديث : من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طب وهق من حديث أبي أمامة بسند حسن وقال ت أنه أصح

(٥) حديث ما من امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه : د ن من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سماء ن في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال ن ليس بالقوى ورواه ن ه من حديث أبي الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «لَأَبَى ذَرَّه لَوْ أَرَدْتَ سَفَرًا أَعَدَدْتَ لَهُ عُذَّةً؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ فَكَيْفَ سَفَرُ طَرِيقِ الْقِيَامَةِ. أَلَا أَنْبَتُكَ يَا أَبَا ذَرٍّ بِمَا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ قَالَ بَلَى يَا أَبَى أَنْتَ وَأَنْتَى قَالَ هُمْ نَوْمًا شَدِيدًا الْحَرَّ لِيَوْمِ النَّشُورِ، وَصَلَّ رَكَعَتَيْنِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لَوْحِشَةِ الْقُبُورِ، وَحُجَّ حَبَّةً لِعِظَائِمِ الْأُمُورِ، وَتَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ عَلَى مِسْكِينٍ، أَوْ كَلِمَةً حَقَّ تَقْوَاهَا أَوْ كَلِمَةً شَرَّ تَسَكُّتِ عَنْهَا وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> رَجُلٌ إِذَا أَخَذَ النَّاسُ مَضَاجِعَهُمْ، وَهَدَأَتِ الْعَيُونُ، قَامَ يَصَلِي وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَقُولُ: يَا رَبِّ النَّارُ أَجْرُنِي مِنْهَا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَادْنُونِي فَأَتَاهُ فَاسْتَمَعَ فَمَا أَصْبَحَ قَالَ يَا فُلَانُ هَلَّا سَأَلْتَ اللَّهَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَنْسِتُ هُنَاكَ، وَلَا يَبْلُغُ عَمَلِي ذَلِكَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا سِيرًا حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «أَخْبِرْ فُلَانًا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَارَهُ مِنَ النَّارِ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ» وَيُرَوَّى أَنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> «نِعْمَ الرَّجُلُ ابْنُ عُمَرَ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَكَانَ يُدَاوِمُ بَعْدَهُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ» قَالَ نَافِعٌ كَانَ يَصَلِّي بِاللَّيْلِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا نَافِعُ أَسْحَرْنَا فَأَقُولُ لَا، فَيَقُومُ لَصَلَاتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ يَا نَافِعُ أَسْحَرْنَا؟ فَأَقُولُ نَعَمْ فَيَقْعُدُ، فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، شَبَعَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ خَبَرِ شَعِيرٍ فَنَامَ عَنْ وَرْدِهِ حَتَّى أَصْبَحَ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ يَا يَحْيَى أَوْجَدْتَ دَارًا خَيْرًا لَكَ مِنْ دَارِي؟ أَمْ وَجَدْتَ جَوَارًا خَيْرًا لَكَ مِنْ جَوَارِي؟ فَوَعَزْتَنِي وَجَلَالِي يَا يَحْيَى لَوْ اطَّلَعْتَ إِلَى الْفَرْدُوسِ اطَّلَاعَةً لَذَابَ شَحْمِكَ، وَلَزَهَقَتْ نَفْسُكَ اشْتِيَاقًا، وَلَوْ اطَّلَعْتَ إِلَى جَهَنَّمَ اطَّلَاعَةً لَذَابَ شَحْمِكَ، وَلَبَكَيْتَ الصَّدِيدَ بَعْدَ الدَّمُوعِ، وَلَبَسْتَ الْجِلْدَ بَعْدَ الْمَسْوُوحِ،

(١) حديث أنه قال لأبى ذر لو أردت سفرا أعددت له عذة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبتك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي وأمي قال صم يوما شديدا الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور - الحديث : ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري ابن مخلد مرسل والسري ضعفه الأزدي

(٢) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فادنوني - الحديث : لم أقف له على أصل

(٣) حديث أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل - الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ فَقَالَ سَيِّئُهُ مَا يَعْمَلُ » وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٢)</sup> « رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَقْبَضَ أَمْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ » وقال صلى الله عليه وسلم « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَقْبَضَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَتْ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَقْبَضَ أَمْرَأَتَهُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ كُتِبَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ » وقال صلى الله عليه وسلم: <sup>(٤)</sup> « أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ بِاللَّيْلِ فَقَرَأَهُ بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ »

الآثار: روى أن عمر رضى الله عنه ، كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض ، وكان ابن مسعود رضى الله عنه : إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثوري رحمه الله : شبع ليلة فقال : إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله ، فقام تلك الليلة حتى أصبح ، وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتقل على فراشه كما تتقل الحبة على المقلاة ، ثم يثب ويصلى إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ، وقال الحسن رحمه الله : ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل ، ونفقة هذا المال ، فقليل له ما بال المهجدين من أحسن الناس وجوها ، قال لأنهم خلوا بالرجم فلبسهم نورا من نوره ، وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش ، فنام عليه حتى فاته ورده ، فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا ، وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جن الليل يأتى فراشه فيمر يده عليه ، ويقول إنك للين ، ووالله إن فى الجنة لألين منك ولا يزال يصلى الليل كله ، وقال الفضيل : إني لأستقبل الليل من أوله فيحولنى طوله فاقتح القرءان فأصبح وما قضيت نهمتى ، وقال الحسن : إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل

( ١ ) حديث قيل له إن فلانا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق قال سيئها ما يقول: ابن جبان من حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أقبض امرأته فصلت الحديث : د ح ب من حديث أبي هريرة

( ٣ ) حديث من استيقظ من الليل وأقبض امرأته فصليا ركعتين كتب من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كثيرا والذَّاكِرَاتِ :

د ن من حديث أبي هريرة وأبى سعيد بسند صحيح

( ٤ ) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل : م من حديث أبى هريرة

( ٥ ) حديث عمر من نام عن حربه أو عن شئ منه فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من الليل : رواه

وقال الفضيل : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم، وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله : يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال : إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ، ولكن أجرني برحمتك من النار ، وقال رجل لبعض الحكماء : إني لأضعف عن قيام الليل ، فقال له يأخى لاتعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل ، وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية ، فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر ؟ فقالت : وما تصلون إلا المكتوبة ؟ قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاي بعته من قوم لا يصلون إلا المكتوبة ردني فردها

وقال الربيع بت في منزل الشافعي رضى الله عنه ليلتي كثيرة ، فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا ، وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة رضى الله عنه ستة أشهر ، فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض ، وكان أبو حنيفة يحكي نصف الليل ، فر يقوم فقالوا ان هذا يحكي الليل كله ، فقال اني أستحي أن أوصف بما لا أفعل ، فكان بعد ذلك يحكي الليل كله ، ويروي أنه ما كان له فراش بالليل ، ويقال إن مالك بن دينار رضى الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح ( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) (١) الآية ، وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ، ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة ، فجعل يقول اللهم حرم شيبه مالك على النار ، إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين مالك ؟ وأى الدارين دار مالك ؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر ، وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردى ونمت ، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون ، وفي يدها رقعة ، فقالت لي أحسن تقر ؟ فقلت نعم ، فدفعت إلي الرقعة فاذا فيها

أألهتك الذائد والأمانى \* عن البيض الأوائس في الجنان

تعيش مخلدا لا موت فيها \* وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك إن خيرا \* من النوم التهجد بالقرآن

وقيل حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجدا ، ويروي عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال : رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا ، فقلت لها من أنت ؟ قالت جوراء فقلت زوجيني نفسك ، فقالت أخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت : وما مهر لك ؟ قالت : طول التهجد

وقال يوسف بن مهران : بلغنى أن تحت العرش ملكا فى صورة ديك برائته من لؤلؤ ، وصنصته من زبرجد أخضر ، فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقى وقال ليقم القامعون ، فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقى وقال ، ليقم المتهجدون ، فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقى ، وقال ليقم المصلون ، فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقى وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم ، وقيل إن وهب بن منبه البيماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة ، وكان يقول لأن أرى فى بيتى شيطانا أحب إلى من أن أرى فى بيتى وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من آدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها ، وخفق خفقات ، ثم يفرغ إلى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة فى النوم فسمعتة يقول : وعزتى وجلالى لأكر من مشوى سليمان التيمى ، فانه صلى لى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة ، ويقال . كان مذهبه أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى فى بعض الكتب القديمة عن الله تعالى ، أنه قال : إن عبدى الذى هو عبدى حقا الذى لا ينتظر بقيامه صباح الديكة

## بيان الأسباب التى بها يتيسر قيام الليل

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرًا وباطنًا فاما الظاهرة : فاربعة أمور

الاول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويشغل عليه القيام ، كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول : معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا ، فتشربوا كثيرا ، فترقدوا كثيرا ، فتتحسروا عند الموت كثيرا ، وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام :

الثانى : أن لا يتعب نفسه بالنهار فى الاعمال التى تعيا بها الجوارح ، وتضعف بها الأعصاب ، فان ذلك أيضا مجلبة للنوم

الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة <sup>(١)</sup> ، للاستعانة على قيام الليل

الرابع : أن لا يحتجب الأوزار بالنهار ، فان ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة

( ١ ) حديث الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل : هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم



قال رجل للحسن: يا أبا سعيد. إني أبيت معافى ، وأحب قيام الليل ، وأعد طهورى ، فما بالى لا أقوم ؟ فقال ذنوبك قيدتك ، وكان الحسن رحمه الله : إذا دخل السوق فسمع لخطهم ولغوهم ، يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقبلون ، وقال الثورى : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنوب أذنبته ، قيل وما ذاك الذنب ، قال رأيت رجلا يبيكى ، فقلت فى نفسى هذا مرء ، وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبيكى ، فقلت أنك نعى بعض أهلك فقال أشد ، فقلت وجع يؤلمك ، قال أشد ، قلت فماذا ؟ قال باني مغلق ، وسترى مسبل ، ولم أقرأ حزبي البارحة ، وماذا لك إلا بذنوب أحدثته ، وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير ، والشر يدعو إلى الشر ، والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني : لا تقوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنوب ، وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجناية بعدئذ ، وقال بعض العلماء : إذا صمت يامسكين فانظر عند من تقطر ، وعلى أى شئ تقطر فان العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ، ولا يعود إلى حالته الأولى ، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب ، وتمنع من قيام الليل ، وأخصها بالتأثير تناول الحرام ، وتأثير اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرهما ، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ، ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وكم من نظرة منعت قراءة سورة ، وإن العبد ليأكل أكلة ، أو يفعل فعلة ، فيحرم بها قيام سنة ، وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات ، وقال بعض السجانيين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة ، أسأل كل مأخوذ بالليل ، أنه هل صلى العشاء فى جماعة فكانوا يقولون لا ، وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور :

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسامين ، وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا ، فالمستغرق لهم بتدبير الدنيا لا يتييسر له القيام ، وإن قام فلا يتفكر فى صلاته إلا فى مهماته ، ولا يحول إلا فى وساوسه وفى مثل ذلك يقال

يخبرنى البواب أنك نائم \* وأنت إذا استيقظت أيضا فنام  
الثانى : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل ، فإنه إذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركات جهنم

طار نومه، وعظم حذرته، كما قال طاوس إن ذكر جهنم خير نوم العابدين، وكما حكى أن غلاما بالبصرة  
اسمه صهيب كان يقوم الليل كله، فقالت له مبيدته إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار، فقال إن  
صهيبا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم، وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل، فقال: إذا ذكرت النار  
اشتد خوفي، وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي، فلا أقدر أن أنام، وقال ذو النون المصري رحمه الله

منع القرآن بوعده ووعيده \* مقل العيون بليها أن تهجما

فهموا عن الملك الجليل كلامه \* فرقابهم ذلت إليه تخضعا

وأنشدوا أيضا: يا طويل الرقاد والغفلات \* كثرة النوم تورث الحسرات

إن في القبر إن نزلت إليه \* لزقادا يطول بعد الممات \* ومهادا ممهدا لك فيه

بذنوب عملت أو حسنات \* أأمنت البيات من ملك الموت \* بكم نال آمنا ببيات

وقال ابن المبارك: إذا ما الليل أظلم كابدوه \* فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا \* وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار، حتى يستحكم به رجاؤه  
وشوقه إلى ثوابه فيهبجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان، كما حكى أن بعض الصالحين

وجع من غزوته، فهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره، فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح

فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة، فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إنى كنت أتفكر

في محوراء من محور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمتم طول ليلتي شوقا إليها

الرابع: وهو أشرف البواعث المحببة لله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناجاة

ربه، وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه، وإن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه

فاذا أحب الله تعالى أحب لأحالة الخلوة به، وتلذذ بالمناجاة، فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام

ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل

فأما العقل: فيعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله، أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه

كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته، حتى لا يأتيه النوم طول ليله

فإن قلت إن الجليل يتلذذ بالنظر إليه، وإن الله تعالى لا يرى

فأعلم أنه لو كان الجليل المحبوب وراء سترة، أو كان في بيت مظلم، لكان المحب يتلذذ بمجاورته

المجردة دون النظر ودون الطمع في أمر آخر سواء ، وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه ، وإن كان ذلك أيضاً معلوما عنده

فان قلت إنه ينتظر جوابه ، فليتلذذ بسماع جوابه ، وليس يسمع كلام الله تعالى فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضاً لذة في عرض أحواله عليه ، ورفع سريره إليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته ، فيتلذذ به ، وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء إنعامه ، والرجاء في حق الله تعالى أصدق ، وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره . فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلاوات

وأما النقل : فيشهد له أحوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل ، واستقصاها له كما يستقصيها المحب ليلة وصال الحبيب ، حتى قيل لبعضهم : كيف أنت والليل ؟ قال ماراعيته قط ، يريني وجهه ثم ينصرف ، وما تأملته بعد ، وقال آخر : أنا والليل فرسارها ، مرة يسبقني إلى الفجر ، ومرة يقطعني عن الفكر ، وقيل لبعضهم كيف الليل عليك ، فقال ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته إذا جاء ، وأغم بفجره إذا طلع ، ما تم فرحى به قط ، وقال علي بن بكار : منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر ، وقال الفضيل بن عياض : إذا غربت الشمس فرحت بالظلام ، خلوتني بربي وإذا طلعت حزنت لدخول الناس علي ، وقال أبو سليمان : أهل الليل في ليهم ألد من أهل اللهو في لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا ، وقال أيضاً لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم ، وقال بعض العلماء : ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التلذذ في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة ، وقال بعضهم : لذة المناجاة ليست من الدنيا ، إنما هي من الجنة ، أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم ، وقال ابن المنكدر : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ، ولقاء الإخوان ، والصلاة في الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً ، فتد الفوائد على قلوبهم فتستدير . ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين ، وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين : ان لي عباداً من عبادي أحبهم ويحبونني ، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم ، ويدكرونني وأذكرونني ، وينظرون إليّ وأنظر إليهم : فان حذوت طريقهم أحببتك

وإن عدلت عنهم مقتك. قال يارب وما علامتهم؟ قال يراعون الظلال بالنهار. كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها. فإذا جنَّهم الليل، واختلط الظلام، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا إلى أقدامهم، واقتربوا إلى وجوههم، وناجوني بكلامي، وتعلقوا إلى بانامي فبين صارخ وباكي، وبين متأوه وشاكي، بمعنى ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي أول ما أعطيتهم، أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عني، كما أخبر عنهم، والثانية: لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما في موازينهم لاستقلتها لهم، والثالثة: أقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت بوجهي عليه أي علم أحد ما أريد أن أعطيه؟ وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل، وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب، وهذا سر وتحقيق ستأتي الإشارة إليه في كتاب المحبة وفي الأخبار عن الله عز وجل أي عبدي، أنا الله الذي اقتربت من قلبك، وبالغيب رأيت نوري، وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل، وطلب حيلة يجلب بها النوم، فقال أستاذه: يا بني إن الله نفحات في الليل والنهار، تصيب القلوب المتيقظة، وتخطىء القلوب النائمة، فتعرض لتلك النفحات، فقال ياسيدي تركتني لأنام بالليل ولا بالنهار واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل، وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> أنه قال «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وفي رواية أخرى «يَسْأَلُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وذلك كل ليلة، ومطلوب القاعين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان، وكساعة يوم الجمعة، وهي ساعة النفحات المذكورة، والله أعلم

## بيان طرق القسمة لأجزاء الليل

اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب الأولى: إحياء كل الليل: وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى، وتلذذوا بعبادته، وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم، فلم يتعبوا بطول القيام، وردوا المنام إلى النهار في وقت اشتغال الناس، وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء.

(١) حديث جابر إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة: رُواه م

حكى أبو طالب المكي أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واطب عليه أربعين سنة ، قال منهم سعيد بن المسيب ، وطفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ، ووهيب بن الورد المكيان ، وطاوس ، ووهب بن منبه اليمانيان ، والريبع ابن خيثم ، والحكم السكوفيان ، وأبوسليمان الداراني ، وعلي بن بكار الشاميان ، وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العباديان ، وحبيب أبو محمد ، وأبو جابر الساماني الفارسيان ، ومالك ابن دينار ، وسليمان التيمي ، ويزيد الرقاشي ، وحبيب بن أبي ثابت ، ويحيى البكاء ، البصريون وكهمس بن المنهال ، وكان يختم في الشهر تسعين ختمة ، ومالم يفهمه رجع وقرأ مرة أخرى وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم ، ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل ، وهذا لا ينحصر عدد الموابطين عليه من السلف ، وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل ، والسادس الأخير منه ، حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل ،

المرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل ، فينبغي أن ينام النصف الأول والسادس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب ، لأنه يذهب النعاس بالغداة ، وكانوا يكرهون ذلك ، ويقلل صفرة الوجه ، والشهرة به ، فلو قام أكثر الليل ، ونام سحراً قلت صفرة وجهه ، وقل نعاسه ، وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> إذا أوتر من آخر الليل ، فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم ، وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال ، فيؤذنه للصلاة ، وقالت أيضاً رضي الله عنها <sup>(٢)</sup> ، ما ألفتته بعد السحر إلا نائماً ، حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبل الصبح مسنة ، منهم أبو هريرة رضي الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب ، وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أورد النهار ،

( ١ ) حديث كان رسول الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا

اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة : م من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فإذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كان له حاجة ألم بأهله ولأبي داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلي ركعتين خفيفتين ثم يخرجني إلى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة وقال م إذا صلى ركعتي الفجر

( ٢ ) حديث عائشة ما ألفتته السحر الأعلى إلا نائماً : متفق عليه بلفظ ما ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى في بيتي أو عندي إلا نائماً يقل : بخ الأعلى وقال ما كنت ألقى أو ألقى النبي صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندي

وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم  
المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسة ، وأفضله أن يكون في النصف الأخير  
وقبل السدس الأخير منه

المرتبة الخامسة : أن لا يراعى التقدير . فإن ذلك إنما يتيسر لنبي يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر  
ويوكل به من يراقبه ، ويواظبه ، ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي النعيم ، ولكنه يقوم من أول الليل  
إلى أن يغلبه النوم ، فإذا انتبه قام ، فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان ، وقومتان  
وهو من مكادة الليل ، وأشد الأعمال وأفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم  
(٢) وهو طريقة ابن عمر ، وأولى العزم من الصحابة ، وجماعة من التابعين رضى الله عنهم  
وكان بعض السلف يقول : هي أول نومة ، فإذا انتهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لى عينا  
فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار ، فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان  
يقوم (٢) نصف الليل ، أو ثلثيه أو ثلثه ، أو سدسه ، يختلف ذلك في الليالي ، ودل عليه قوله تعالى في  
الموضعين من سورة المزمل ( إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ )  
فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ، ونصف سدسه فإن كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه  
فيقرب من الثلث والرابع ، وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضى الله عنها ، كان صلى الله عليه وسلم  
(٣) يقوم إذا سمع الصارخ يعني الديك ، وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد .  
أنه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) في السفر ليلا ، فنام بعد العشاء ما

( ١ ) حديث قيامه أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له في الليل

نومتان : دت وصححه وه من حديث أم سلمة كان يصلى وينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام  
ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح وللبخارى من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع  
ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيظه - الحديث

( ٢ ) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه : الشيخان من حديث ابن عباس قام

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ - الحديث : وفي  
رواية للبخارى فلما كان ثلث الليل الآخر قد فنظر إلى السماء - الحديث : ولأبي داود قام حتى إذا ذهب  
ثلث الليل أو نصفه استيقظ - الحديث : لمسلم من حديث عائشة رضى الله عنها أن يبعثه من الليل

( ٣ ) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ : متفق عليه .

( ٤ ) حديث غير واحد قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء ما

استيقظ فنظر في الأفق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه حتى بلغ إنك لا تخلف الميعاد ثم استل  
من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام - الحديث : ن من رواية

ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال ( رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا <sup>(١)</sup> ) حتى بلغ ( إِنَّكَ لَا تَخْلُقُ الْمَيِّتَ )  
ثم استل من فراشه سواك فاستاك به ، وتوضأ وصلى ، حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع  
حتى قلت نام مثل ما صلى ، ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة  
المرتبة السادسة: وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين ، أو تعذر عليه الطهارة ، فيجلس  
مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء ، فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله ، وقد جاء في الأثر  
<sup>(١)</sup> « صَلِّ مِنَ اللَّيْلِ وَلَوْ قَدَرُ حَلَبٍ شَاةٍ » . فهذه طرق القسمة فليختار المريد لنفسه ما يراه أسير عليه  
وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين ، والورد الذي بعد  
العشاء ، ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً ، ويقوم بطرف الليل وهذه  
هي الرتبة السابعة ، ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره  
وأما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما إلى القدر فليس يجرى أمرهما في التقدم والتأخر  
على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة

### بيان الليالي والأيام الفاضلة

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الأحياء في السنة خمس عشرة  
ليلة ، لا ينبغي أن يغفل المريد عنها ، فإنها مواسم الخيرات ، ومطان التجارات ، ومتى غفل التاجر عن  
المواسم لم يرجح ، ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح ، فستة من هذه الليالي في شهر رمضان  
خمس في أواخر العشر الأخير ، إذ فيها تطلب ليلة القدر ، وليلة سبع عشرة من رمضان ، فهي ليلة صبيحتها  
يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، فيه كانت وقعة بدر ، وقال ابن الزبير رحمه الله هي ليلة القدر ، وأما التسع الأخر  
فأول ليلة من المحرم ، وليلة عاشوراء ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف منه ، وليلة سبع وعشرين منه

حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا  
في سفر مع رسول الله عليه وسلم والله لأرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر نحوه وروى  
أبو الوليد بن مغيب في كتاب الصلاة من رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلاً  
قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر - الحديث : وفيه أنه أخذ سواكه  
من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضاً كان في سفر

( ١ ) حديث صل من الليل ولو قدر حلب شاة : أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعاً  
نصفه ثلثه ربه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولأبي الوليد بن مغيب من رواية أبي بن  
معاوية مرسل لا بد من صلاة الليل ولو حلبه ناقة أو حلبه شاة

(١) آل عمران : ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤

وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة<sup>(١)</sup> فقد قال صلى الله عليه وسلم « للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة. فمن صلى في هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن، ثم يقول: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مائة مرة، ثم يستغفر الله مائة مرة، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة، ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دينه وآخرته، ويصبح صائماً، فإن الله يستجيب دُعاه كله إلا أن يدعو في مَغْصِيَةٍ »  
وليلة النصف من شعبان، ففيها مائة ركعة، يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشر مرات كأنوا لا يتركونها كما أوردناه في صلاة التطوع، وليلة عرفة، وليلة العيدين قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> « مَنْ أَحْيَا لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ ». وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر، يستحب مواصلة الأوراد فيها: يوم عرفة، ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم، وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> قال « مَنْ صَامَ يَوْمَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ صِيَامَ سِتِّينَ شَهْرًا » وهو اليوم الذي أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان، وهو يوم وقعة بدر، ويوم النصف من شعبان، ويوم الجمعة ويوم العيدين والأيام المعلومات وهي عشر من ذى الحجة، والأيام المعدودات، وهي أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> أنه قال « إِذَا سَلِمَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ سَلِمَتِ الْأَيَّامُ، وَإِذَا سَلِمَ شَهْرُ رَمَضَانَ سَلِمَتِ السَّنَةُ » وقال بعض العلماء: من أخذ مهنة في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنة في الآخرة، وأراد به العيدين، والجمعة، وعرفة، وعاشوراء ومن فواصل الأيام في الأسبوع، يوم الخميس، والاثنين، ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى، وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم، فلا حاجة إلى الإعادة والله أعلم، وصلى الله على كل عبد مصطنق من كل العالمين

- ( ١ ) حديث الصلاة المأثورة في ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى المديني في كتاب فضائل الأيام والليالي أن أبا محمد الجباري : رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد ابن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعاً ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جداً والحديث منكرو  
( ٢ ) حديث من أحيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب : هـ باسناد ضعيف من حديث أبي أمامة  
( ٣ ) حديث أبي هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم : رواه أبو موسى المديني في كتاب فضائل الليالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه  
( ٤ ) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة : تقدم في الباب الخامس من الصلاة فيه كرم يوم الجمعة فقط وقد رواه بإجماله ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف



زربع العادات  
كتاب آداب الأكل

بسم الله الرحمن الرحيم

## كتاب آداب الأكل

وهو الأول من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات ، فخلق الأرض والسموات ، وأنزل الماء الفرات من المعصرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بأكل الطيبات . والصلاة على محمد ذى المعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تنوالى على ممر الأوقات ، وتتضاعف بتعاقب الساعات . وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فان مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى فى دار الثواب . ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل ، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ، ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرار الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين ( كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا )<sup>(١)</sup> فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ، ويقوى به على التقوى ، فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملا سدى ، يسترسل فى الأكل استرسال البهائم فى المرعى ، فان ماهو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ، ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه . وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التى يزم العبد بزمها ، ويلجم المتقى بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام فى إقدامها واحجامها ، فيصير بسبها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤَجَّرُ حَتَّى فِي اللَّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِيهِ وَإِلَى فِي امْرَأَتِهِ » وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين ، مراعى فيه آدابه ووظائفه . وهانحن نرشد الى وظائف الدين فى الأكل ، فرائضها وسننها وآدابها ومروءاتها وهيئاتها ، فى أربعة أبواب وفصل فى آخرها .

### ﴿ كتاب آداب الأكل ﴾

(١) حديث إن الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى فى امرأته : مخ من حديث لسعد بن أبي وقاص .  
وانك مهما أنفقت من نفقة فانها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك

١٤ للؤمنون : ٥١

الباب الأول : فيما لا بد للأكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل  
 الباب الثاني : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل  
 الباب الثالث : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين  
 الباب الرابع : فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهاها

## الباب الأول

فما لا بد للمنفرد منه  
 وهو ثلاثة أقسام : قسم قبل الأكل ، وقسم مع الأكل ، وقسم بعد الفراغ منه

## القسم الأول

في الآداب التي تتقدم على الأكل

وهي سبعة :

الأول : أن يكون الطعام بعد كونه حلالاً في نفسه ، طيباً في جهة مكسبه ، موافقاً  
 للسنة والورع ، لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ، ولا يحكم هوى ومداينة في دين ،  
 على ماسياتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام . وقد أمر الله تعالى بأكل  
 الطيب وهو الحلال ، وقدم النهي عن الأكل بالباطل على القتل ، تفخيماً لأمر الحرام ، وتعظيماً  
 لبركة الحلال ، فقال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ يَتَنَكَّمُ بِالْبَاطِلِ <sup>(١)</sup> ) إلى قوله  
 ( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ) الآية . فالاصل في الطعام كونه طيباً . وهو من الفرائض وأصول الدين  
 الثاني : غسل اليد ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَبَعْدَهُ  
 يَنْفِي اللَّيْمَ » وفي رواية « يَنْفِي الْفَقْرَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ » ولأن اليد لا تخلو عن لوث في  
 تعاطي الأعمال ، فغسلها أقرب إلى النظافة والزاهة ، ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين  
 عبادة ، فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة

### ﴿ الباب الأول ﴾

(١٦) حديث الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده مما ينفي الليم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده : القضاء في حسته  
 الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصل باللفظ الأول وللطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس الوضوء  
 قبل الطعام وبعده مما ينفي الفقر ولأبي داود وممن حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها ضعيفة

الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض ، فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> إِذَا أَتَى بِطَعَامٍ وَضَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ » فهذا أقرب إلى التواضع . فإن لم يكن فعل السفرة ، فإنها تذكر السفر ، ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى . وقال أنس ابن مالك رحمه الله ما كل رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> على خوان ولا في سُكْرُجَةٍ . قيل فلي ماذا كنتم تأكلون ؟ قال على السفرة وقيل أربع أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الموائد ، والمناخل ، والأشنان ، والشبع . واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى ، فلسنا نقول الأكل على المائدة منهي عنه نهى كراهة أو تحريم . إذ لم يثبت فيه نهى . وما يقال أنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منها ، بل المنهى بدعة تضاد سنة ثابتة ، وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته ، بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب . وليس في المائدة الارتفاع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل ، وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه . والأربع التي جمعت في أمها مبدعة ، ليست متساوية . بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة ، فإن الغسل مستحب للنظافة ، والاشنان أتم في التنظيف . وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم ، أولا يتيسر ، أو كانوا مشغولين بأمورهم من المبالغة في النظافة ، فقد كانوا لا يفسلون اليد أيضا ، وكانت مناديلهم أنخص أقدامهم . وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا ، وأما المنخل ، فالقصد منه تطيب الطعام وذلك مباح ، ما لم ينته إلى التعم المفرط . وأما المائدة . فتيسر للأكل وهو أيضا مباح ، ما لم ينته إلى الكبر والتعظيم . وأما الشبع ، فهو أشد هذه الأربعة ، فإنه يدعو إلى تهيج الشهوات ، وتحريك الأدواء في البدن ، فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ، ويستدعيها كذلك . « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> رُبَّمَا جَثَا لِلْأَكْلِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَجَلَسَ عَلَى ظَهْرِ قَدَمَيْهِ »

( ١ ) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على الأرض : أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسل ورواه

البراز من حديث أبي هريرة نحوه وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعه الدارقطني

( ٢ ) حديث أنس ما كل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة - الحديث : رواه شع

( ٣ ) حديث رُبَّمَا جَثَا لِلْأَكْلِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَجَلَسَ عَلَى ظَهْرِ قَدَمَيْهِ وَرُبَّمَا نَصَبَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى وَجَلَسَ عَلَى الْيُسْرَى

د من حديث عبد الله بن بشير في أثناء حديث أنوا تلك القصعة فالتقوا عليها فلما كثروا جثا رسول

الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه . رواه ابن من حديث أنس رأيت يا كل وهو متع من الجوع وروى

أبو الحسن بن المقرئ في الثمائل من حديثه كان إذا قعد على الطعام لاستوفى على ركبته اليسرى وأقام اليمنى

وَرَدْنَا نَصَبَ رَجُلَهُ الْيُمْنَى وَجَلَسَ عَلَى الْيُسْرَى وَكَانَ يَقُولُ <sup>(١)</sup> «لَا آكُلُ مُتَكِنًا» <sup>(٢)</sup> إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ  
 آكُلُ بِكَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ (والشرب متكئا مكروه للمعدة أيضا  
 ويكره الأكل نائما ومتكئا ، الا ما ينتقل به من الجوب . وروى عن علي كرم الله وجهه  
 أنه أكل كمكا على ترس وهو مضطجع ، ويقال منبطح على بطنه ، والعرب قد تفعله  
 الخامس : أن ينوى بأكله أن ينقوى به على طاعة الله تعالى ، ليكون مطيما بالأكل .  
 ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل . قال إبراهيم بن شيبان : منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئا  
 لشهوتي . ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل ، فانه إذا أكل لأجل قوة العبادة ، لم تصدق  
 نيته إلا بأكل ما دون الشبع ، فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها . فمن ضرورة هذه  
 النية كسر الشهوة ، وإثارة القناعة على الانساع . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ  
 وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ . حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يَقْمَنَ صَلْبُهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قُتِلَتْ طَعَامُهُ وَتُلُتْ  
 شَرَابُهُ وَتُلُتْ لِنَفْسِهِ » ومن ضرورة هذه النية أن لا يعد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع ،  
 فيكون الجوع أحد ما لا بد من تقديمه على الأكل . ثم ينبغى أن يرفع اليد قبل الشبع ، ومن  
 فعل ذلك استغنى عن الطبيب . وسياق فائدة قلة الأكل ، وكيفية التدرج في التقليل منه ،  
 في كتاب كسر شهوة الطعام من ربيع المهلكات

السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق ، والحاضر من الطعام ، ولا يجتهد في التنعم  
 وطلب الزيادة وانتظار الادم . بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الادم . « وَقَدْ وَرَدَ الْأَمْرُ  
 بِإِكْرَامِ الْخُبْزِ » <sup>(٤)</sup> فكل ما يديم الرق ، ويقوى على العبادة ، فهو خير كثير لا ينبغي أن  
 يستحق . بل لا ينتظر بالخبز الصلاة أن حضر وقتها ، إذا كان في الوقت متسع قال صلى الله عليه وسلم  
<sup>(٥)</sup> « إِذَا حَضَرَ الْعِشَاءَ وَالْعِشَاءُ قَابِئَةٌ وَابِالْعِشَاءِ » وكان ابن عمر رضي الله عنهما رجلا سمع قراءة الامام

ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد وأسناده ضعيف

- ( ١ ) حديث كان يقول لا آكل متكئا : رخ من حديث أبي جحيفة
- ( ٢ ) حديث : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ، تقدم قبله ، من حديث أنس  
 بلفظ وأفعل بدل وأجلس ، رواه البزار من حديث ابن عمر ، دون قوله وأجلس .
- ( ٣ ) حديث ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه . الحديث : وقال حسن بن ه من حديث المقاداد بن معديكرب
- ( ٤ ) حديث أكرموا الخبز : البزار والطبراني وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بأسناد ضعيف  
 جدا وذكره ابن الجوزي في الموضوعات
- ( ٥ ) حديث إذا حضر العشاء والعشاء قابئة : تقدم في الصلاة والمروق وأقيمت الصلاة

ولا يقوم من عَشَائِهِ . ومهما كانت النفس لا تتوق إلى الطعام ، ولم يكن في تأخير الطعام ضرر ، فالأولى تقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام ، وأقيمت الصلاة ، وكان في التأخير ما يبرد الطعام أو يشوش أمره ، فتقدمه أحب عند اتساع الوقت ، تأقت النفس أو لم تنق ، لعموم الخبر ، ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع ، وإن لم يكن الجوع غالباً السابع : أن يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام ، ولو من أهله وولده . قال صلى الله عليه وسلم «<sup>(١)</sup> اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ » وقال أنس رضي الله عنه « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> لَا يَأْكُلُ وَحْدَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم « خَيْرُ الطَّعَامِ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي »

## القسم الثاني

### في آداب حالة الأكل

وهو أن يبدأ بسم الله في أوله ، وبالحمد لله في آخره . ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن ، حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى . ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ، ومع الثانية بسم الله الرحمن ، ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم . ويجهر به ليذكر غيره ، ويأكل باليمين ، ويبدأ بالملح ويختم به ، ويصغر اللقمة ، ويجود مضعها ، وما لم يتلعبها لم يد اليد إلى الأخرى ، فإن ذلك عجلة في الأكل . وأن لا يذم ما كولا . كان صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « لَا يَعْيبُ مَا كُولا ، كَانَ إِذَا أُعْجِبَهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ » وأن يأكل مما يليه ، إلا الفاكهة فإن له أن يحيل يده فيها . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « كُلْ مِمَّا يَلِيكَ » ثم كان صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « يَدُورُ عَلَى الْفَاكِهَةِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَيْسَ هُوَ تَوَعَّادًا وَاحِدًا » وأن لا يأكل من دورة القصعة

( ١ ) حديث اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه : د ه من حديث وحشي بن حرب بإسناد حسن

( ٢ ) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده : رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف

( ٣ ) حديث أنس كان لا يعيب ما كولا إن أعجبه أكله . وإلا تركه : متفق عليه من حديث أبي هريرة

( ٤ ) حديث كل ما يليك : متفق عليه من حديث عمر بن أبي سامة

( ٥ ) حديث كان يدور على الفاكهة وقال ليس هو نوعاً واحداً : ت ه من حديث عكرashi بن دويب وفيه

وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكرashi كل من حيث شئت

رفاهه غير لون واحد قال ت غريب ورواه حب في الضعفاء ،

ولا من وسط الطعام ، بل يأكل من استدارة الرغيف ، إلا إذا قل الخبز فيكسر الخبز ، ولا يقطع <sup>(١)</sup> بالسكين ، ولا يقطع اللحم أيضا <sup>(٢)</sup> فقد نهى عنه ، وقال أنهشوه نهشاً ، ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها إلا مايؤكل به . قال صلى الله عليه وسلم « أكرموا الخبز فإن الله تعالى أنزله من بركات السماء ، ولا يمسح يده بالخبز . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمندبل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة » <sup>(٤)</sup> ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهى عنه ، بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترا مبعاً أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقبها وكذا كل ماله عجم وتفل وأن لا يترك ما استردله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع التفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أماناء الطعام ، إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه ، فقد قيل أن ذلك مستحب في الطب ، وإنه دباغ المعدة .

وأما الشرب فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ، ويقول بسم الله ، ويشربه مصالعباً . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « مضوا الماء مصاً ولا تعبوه عباً فإن الكباد من العب » ولا يشرب قائماً ولا مضطجماً ، فإنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « نهى عن الشرب قائماً » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> شرب قائماً » ولعله كان لعذر . ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه ، وينظر في الكوز

(١) حديث النهى عن قطع الخبز بالسكين : رواه حب في الضعفاء من حديث أبي هريرة في نوح بن أبي

مريم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سامة بسند ضعيف

(٢) حديث النهى عن قطع اللحم بالسكين : د من حديث عائشة وقال أنهشوه نهشاً قال أن منكر وت ه

من حديث صفوان بن أمية وأنهشوا اللحم نهشاً وسنده ضعيف

(٣) حديث إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده

بالمندبل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة : م من حديث أنس وجابر

(٤) حديث النهى عن النفخ في الطعام والشراب : أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي

داود وصححه ابن ماجه الا أنهم قالوا في الاناوت وصححه من حديث أبي سعيد نهى عن النفخ في الشراب

(٥) حديث مضوا الماء مصاً ولا تعبوه عباً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بالشرط

الأول ولأبي داود في المراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح إذا شربتم فاشربوا مصاً

(٦) حديث النهى عن الشرب قائماً : م من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة

(٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً : متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من رزم

قبل الشرب ، ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز ، بل ينحيه عن فمه بالحمد ، ويرده بالتسمية . وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> بعد الشرب « اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا اُجَاجًا يَذُوْبُنَا » والكوز وكل ما يدار على القوم يدار ينة . وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنًا ، وأبو بكر رضى الله عنه عن شماله ، واعرابي عن يمينه ، وعمر ناحية ، فقال عمر رضى الله عنه ، أعطأأبا بكر ، فناول الاعرابي ، وقال الأيمن فالأيمن . ويشرب في ثلاثة أنفاس ، يحمد الله في أواخرها ، ويسمي الله في أوائلها ، ويقول في آخر النفس الأول الحمد لله وفي الثاني يزيد رب العالمين ، وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدبافي حالة الأكل والشرب ، دلت عليها الأخبار والآثار

## القسم الثالث

ما يستحب بعد الطعام

وهو أن يمسك قبل الشبع ، ويلعق أصابعه ، ثم يمسح بالنديل ، ثم يغسلها . ويلتقط فئات الطعام . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « مَنْ أَكَلَ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْمَائِدَةِ عَاشَ فِي سَعَةٍ وَعُوفٍ فِي وَلَدِهِ » ويتخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال الا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه . أما المخرج بالخلال فيرميه ، وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلحق القصعة ويشرب ماءها ويقال : من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها . كان له عتق رقبة . وان التقاط الفتات مهوور الحور العين . وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى ( كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ )<sup>(٣)</sup> ومهما أكل حالًا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتنزل البركات .

(١) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعل الماء عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا اُجَاجًا يَذُوْبُنَا الطبراني في الدعاء مرسلًا من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين

(٢) حديث من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوف في ولده : أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحق وله من حديث الحاجب بن علاط أعطى سعة من الرزق ووفى في ولده وكلاهما منكبر جدلا

(٣) البقرة : ١٧٢



اللهم أطعمنا طيبا ، واستعملنا صالحا وإن أكل شبهة فليقل : الحمد لله على كل حال ، اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك . ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ، ولا يلاف قریش ، ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولا . فإن أكل طعام الغير فليدع له ، وليقل اللهم أكثر خيره ، وبارك له فيما رزقته ، ويسر له أن يفعل فيه خيرا ، وقنعه بما أعطيته ، واجعلنا وإياه من الشاكرين وأن أفطر عند قوم ، فليقل أفطر عندكم السائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة . وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ، ليطفىء بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها ، لقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> ( كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالْنَّارُ أُولَى بِهِ ) وليس من يأكل ويبكى كمن يأكل ويلهو . وليقل إذا أكل لبنا <sup>(٢)</sup> ( اللهم بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا وَزِدْنَا مِنْهُ )

فإن أكل غيره قال : اللهم بارك لنا فيما رزقنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبنة لعموم نفعه . ويستحب عقيب الطعام أن يقول : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، سيدنا ومولانا ، يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف ، فلك الحمد آويت من يثم ، وهديت من ضلالة ، وأغنيت من عيلة ، فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مبارك فيه ، كما أنت أهله ومستحقه ، اللهم أطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا ، واجعله عونا لنا على طاعتك . ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك

وأما غسل اليدين بالاشنان ، فكيفيته أن يجعل الاشنان في كفه اليسرى ، ويغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا ، ويضرب أصابعه على الأشنان اليايس ، فيمسح به شفثيه ، ثم ينعم غسل الفم باصبعه ، ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ، ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ، ثم يدلك ببقية الأشنان اليايس أصابعه ظهر او بطناً . ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم وإعادة غسلة .

( ١ ) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به : هو في شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ

سحت وهو عندت وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به

( ٢ ) حديث القول عند أكل اللبنة اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه : دت وحسنه وه من حديث ابن عباس إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ومن سقاء الله لبنا

فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه

## الباب الثاني

فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل وهي سبعة

الأول : أن لا يتدبىء بالطعام ومعه من يستحق التقديم ، بكبر سن أو زيادة فضل ، إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به ، فحينئذ ينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا أشرأبوا للأكل ، واجتمعوا له .

الثاني : أن لا يسكتوا على الطعام ، فإن ذلك من سيرة العجم ، ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها

الثالث : أن يرفق برفيقه في القصعة ، فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله ، فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا . بل ينبغي أن يقصد الإيثار ولا يأكل تمرتين في دفعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم . فإن قلل رفيقه نشاطه ورغبه في الأكل ، وقال له كل ، ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات ، فإن ذلك الحاح وافرط .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث وكان صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> يكرر الكلام ثلاثا فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الحلف عليه بالأكل فمنوع . قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : الطعام أهون من أن يحلف عليه

الرابع : أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له كل . قال بعض الأدباء : أحسن الآكلين أكلا من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقده في الأكل ، وحمل عن أخيه مؤنة القول . ولا ينبغي أن يدع شيئا مما يشتهي لأجل نظر الغير إليه ، فإن ذلك تصنع . بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته شيئا في الوحدة ، ولكن يعود نفسه حسن الادب في الوحدة ، حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع . نعم ، لو قلل من أكله أشارا لآخوانه ونظر لهم عند الحاجة إلى ذلك

﴿ الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل ﴾

( ١ ) حديث كان إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث : أحمد من حديث جابر في حديث طويل ومن حديث أبي حنيفة أيضا وأسنادهما حسن

( ٢ ) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثا : رخ من حديث أنس كان يعيد الكلمة ثلاثا

فهو حسن . وإن زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل ، فلا بأس به ، بل هو حسن . وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول : من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما وكان يمد النوى ، ويمطى كل من له فضل نوى بمسده دراهم ، وذلك لدفع الحياء ، وزيادة النشاط في الانبساط . وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما أحب إخوانى إلى أكثرهم أكلا ، وأعظمهم لقمة . وأثقلهم على من يحوجنى إلى نمده في الأكل . وكل هذا إشارة إلى الجرى على المعتاد وترك التصنع . وقال جعفر رحمه الله أيضا تتبين جودة محبة الرجل لآخيه بجودة أكله في منزله .

الخامس : إن غسل اليد في الطست لباس به ، وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده ، وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يفعل ذلك . فإذا قدم الطست إليه غيره إكراما له فليقبله . اجتمع أنس ابن مالك وثابت البناني رضى الله عنهما على طعام ، فقدم أنس الطست إليه ، فامتنع ثابت ، فقال أنس : إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردّها ، فأنما يكرم الله عز وجل : وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير ، فصب الرشيد على يده في الطست ، فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك ؟ فقال لا قال صبه أمير المؤمنين . فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته ، فأجلك الله وأكرمك كما أجلت العلم وأهله .

ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة ، فهو أقرب إلى التواضع ، وأبعد عن طول الانتظار . فإن لم يفعلوا ، فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد ، بل يجمع الماء في الطست . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> (اجتمعوا وضوءكم جمع الله شملكم) قيل إن المراد به هذا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار : لا يرفع الطست من بين يدي قوم الاملاء ولا تشبهوا بالعجم . وقال ابن مسعود : اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخدام الذى يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما ، وأحب أن يكون جالسا لانه أقرب إلى التواضع . وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب جالسا على يد واحد خادم جالسا

( ١ ) حديث اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم : رواه القضاى في مسند الشهاب من حديث أبى هريرة بإسناد لا بأس به وجعل ابن طاهر مكان أبى هريرة ابراهيم وقال انه معضل وفيه نظر

فقام المصوب عليه ، فقليل له لم قت ؟ فقال أحدا لا بد وأن يكون قائما وهذا أولى لانه أيسر للصب والغسل وأقرب إلى تواضع الذي يصب . وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك

ففي الطست اذا سبعة آداب : أن لا يزيق فيه . وأن يقدم به المتبوع . وأن يقبل الاكرام بالتقديم . وأن يدار عينة . وأن يجتمع فيه جماعة . وأن يجمع الماء فيه . وأن يكون الخادم قائما . وأن يمسح الماء من فيه ويرسله من يده برفق ، حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه . وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه . هكذا فعل مالك بالشافعي رضى الله عنهما ، في أول نزوله عليه ، وقال لا يروحك مارأيت مني ، فخدمة الضيف فرض .

السادس : أن لا ينظر إلى أصحابه ، ولا يراقب أكلهم فيستحيون . بل يفيض بصره عنهم ويشغل بنفسه . ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده . بل يد اليدوي قبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يستوفوا . فان كان قليل الأكل ، توقف في الابتداء وقل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيرا . فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضى الله عنهم فان امتنع لسبب فليعتذر إليهم ، دفعا للخجلة عنهم

السابع : أن لا يفعل ما يستقذره غيره . فلا يفيض يده في القصعة ، ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه . وإذا أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام ، وأخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ، ولا الخل في الدسومة ، فقد يكرهه غيره . واللقمة التي قطعها بسنه ، لا يغمس بقيتها في المرققة والخل . ولا يتكلم بما يذكّر المستقذرات

## الباب الثالث

في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان والزائرين

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير . قال جعفر بن محمد رضى الله عنهما : إذا قدمت مع الإخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس ، فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله : كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم ، يحاسب عليها ألبته إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام ، فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك .

هذا مع ماورد من الأخبار في الاطعام . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «لَا تَزَالُ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَتْ مَائِدَتُهُ مَوْضُوعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى تَرْفَعَ» وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرُونَ على أكل جميعه . وكان يقول : بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> أنه قال «إِنَّ الْإِخْوَانَ إِذَا رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الطَّعَامِ لَمْ يُحَاسَبْ مَنْ أَكَلَ فَضْلَ ذَلِكَ» فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم ، لنأكل فضل ذلك . وفي الخبر <sup>(٣)</sup> «لَا يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَى مَا يَأْكُلُهُ مَعَ إِخْوَانِهِ» وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقل إذا أكل وحده . وفي الخبر <sup>(٤)</sup> «ثَلَاثَةٌ لَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِمَا الْعَبْدُ أَكَلَةُ السَّحُورِ ، وَمَا أَفْطَرَ عَلَيْهِ ، وَمَا أَكَلَ مَعَ الْإِخْوَانِ» وقال على رضى الله عنه : لأن أجمع إخوانى على صاع من طعام ، أحب إلى من أن أعتق رقبة ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه . وكان الصحابة رضى الله عنهم يقولون : الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق . وكانوا رضى الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ، ولا يتفرقون إلا عن ذواق ، وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا ، وفي الخبر <sup>(٥)</sup> ( يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي : فَيَقُولُ كَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ جَاعَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، وَلَوْ أَطْعَمْتَهُ كُنْتَ أَطْعَمْتَنِي )

( ١ ) حديث : لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبرانى

في الأوسط ، من حديث عائشة ، بسند ضعيف

( ٢ ) حديث : ان الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أقف له على أصل

( ٣ ) حديث لا يحاسب العبد بما يأكله مع إخوانه . هو في الحديث الذى بعده بمعناه

( ٤ ) حديث : ثلاثة لا يحاسب عليها العبد : أكلة السحور ، وما أفطر عليه ، وما أكل مع الإخوان ،

الازدى في الضعفاء ، من حديث جابر ، ثلاثة لا يسألون عن العيم : الصائم ، والمنسحر ، والرجل يأكل مع ضيفه . أوردته في ترجمة سليمان بن داود الجزرى ، وقال فيه منكر الحديث

ولأبى منصور الديلى في مسند الفردوس ، نحوه من حديث أبى هريرة

( ٥ ) حديث : يقول الله للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني - الحديث . م . من حديث أبى

هريرة يلهبط استطعمتك فلم تطعمني

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «إِذَا جَاءَكُمْ الزَّائِرُ فَأَكْرِمُوهُ» وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، هِيَ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> «خَيْرُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ» وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> «مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَتَّى يُشْبِعَهُ، وَسَقَاهُ حَتَّى يَرَوْهُ بَعْدَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِسَبْعِ خَنَاقٍ، مَا يَبْنِي كُلَّ خَنَاقَيْنِ مَسِيرَةَ حَمْسِمِائَةِ عَامٍ»  
وأما آدابه : فبعضها في الدخول ، وبعضها في تقديم الطعام

## آداب الدخول للطعام

أما الدخول ، فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم ، فيدخل عليهم وقت الأكل ، فإن ذلك من المفاجأة ، وقد نهى عنه . قال الله تعالى ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّسِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاءً ) <sup>(١)</sup> يعني منتظرين حينه ونضجه . وفي الخبر <sup>(٥)</sup> «مَنْ مَشَى إِلَى طَعَامٍ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ مَشَى فَاسِقًا وَأَكَلَ حَرَامًا» ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على طعام ، أن لا يأكل ما لم يؤذن له ، فإذا قيل له كل ، نظر ، فإن علم أنهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد ، وإن كانوا يقولونه حياء منه ، فلا ينبغي أن يأكل ، بل ينبغي أن يتعلل . أما إذا كان جائعا ، فقصده بعض إخوانه ليطعمه ، ولم يتربص به وقت

( ١ ) حديث إذا جاءكم الزائر فأكرموه : الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس ، وهو حديث منكر . قاله ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه

( ٢ ) حديث : إن في الجنة غرfa يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها لمن أَلَانَ الْكَلَامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وصلى بالليل والناس نيام . ت . من حديث علي ، وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن اسحاق ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه

( ٣ ) حديث : خيركم من أطعم الطعام . أحمد ، والحاكم ، من حديث صهيب ، وقال صحيح الأسناد

( ٤ ) حديث : من أطعم أخاه حتى يشبعه ، وسقاه حتى يرويه ، بعده الله من النار سبع خنادق ، ما يبن كل خندقين مسيرة خمسمائة عام ، الطبراني ، من حديث عبد الله بن عمر . وقال ابن حبان ، ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الذهبي ، غريب منكر

( ٥ ) حديث : من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما . هق . من حديث عائشة نحوه ، وضعفه ولأبي داود ، من حديث ابن عمر ، من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج بغير الاستداه ضعيف

أكله ، فلا بأس به . قَصَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَنَزَلَ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ وَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ لِأَجْلِ طَعَامٍ يَأْكُلُونَهُ وَكَانُوا جِياعاً والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام . وهى عادة السلف وكان عون بن عبدالله المسعودى له ثلثمائة وستون صديقاً ، يدور عليهم فى السنة . ولا آخر ثلاثون يدور عليهم فى الشهر . ولا آخر سبعة يدور عليهم فى الجمعة . فكان إخوانهم معلومهم بدلا عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم

فان دخل ولم يجد صاحب الدار ، وكان واثقا بصداقته ، عالما بفرحه إذا أكل من طعامه : فله أن يأكل بغير إذنه . إذ المراد من الإذن الرضاء لاسيما فى الأطعمة ، وأمرها على السعة قرب رجل يصرح بالأذن ويحلف ، وهو غير راض ، فأكل طعامه مكروه . ورب غائب لم يأذن ، وأكل طعامه محبوب . وقد قال تعالى ( أَوْ صَدِّيقِكُمْ ) <sup>(١)</sup> وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> دَارَ بَرِيرَةَ وَأَكَلَ طَعَامَهَا وَهِيَ غَائِبَةٌ ، وَكَانَ الطَّعَامُ مِنَ الصَّدَقَةِ فَقَالَ بَلَغَتْ الصَّدَقَةُ مَحَلَّهَا » وذلك لعلمه بسرورها بذلك . لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان ، اكتفاء بعلمه بالأذن . فان لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولا ، ثم الدخول . وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن ، فيأكلون ما يجدون بغير إذن ، وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسربه ، ويقول هكذا كنا . وروى عن الحسن رضى الله عنه ، أنه كان قائماً يأكل من متاع يقال فى السوق ، يأخذ من هذه الجونة تينة ، ومن هذه قسبة . فقال له هشام : ما بالك يا أبا سعيد فى الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه ! فقال يا لكع ، اتل على آية الاكل . فتلا إلى

(١) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهم منزل أبى الهيثم بن التيهان ، وأبى أيوب الأنصارى لأجل طعام يأكلونه : أما قصة أبى الهيثم فرواهت من حديث أبى هريرة وقال حسن . غريب صحيح والفصة عند م لكن ليس فيها ذكر لأبى الهيثم وإنما قال رجل من الأنصار وأما حديث قصدهم منزل أبى أيوب فرواها الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهى غائبة وكان من الصدقة فقال بلغت الصدقة مكانها : متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية وأما قوله بلغت محلها فقال فى الشاة التى أعطيتها نسيئة من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية

قوله تعالى ( أَوْصِيكُمْ ) فقال فن الصديق يا أبا سعيد ؟ قال من استروحت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب . ومشى قوم الى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ، ففتحوا الباب ، وأنزلوا السفرة ، وجعلوا يأكلون . فدخل الثوري وجعل يقول : ذكرتموني أخلاق السلف ، هكذا كانوا . وزار قوم بعض التابعين ، ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم ، فذهب الى منزل بعض اخوانه ، فلم يصادفه في المنزل ، فدخل فنظر الى قدر قد طبخها ، والى خبز قد خبزته وغير ذلك ، فحمله كله ، فقدمه الى أصحابه ، وقال كلوا . فجاء رب المنزل فلم ير شيئا . فقيل له قد أخذه فلان ، فقال قد أحسن . فلما لقيه قال يا أخى إن عادوا فعد فهذه آداب الدخول

## آداب تقديم الطعام

وأما آداب التقديم فترك التكلف أولا ، وتقديم ماحضر . فان لم يحضره شيء ولم يملك ، فلا يستقرض لأجل ذلك ، فيشوش على نفسه . وان حضره ما هو محتاج اليه لقوته ، ولم تسمح نفسه بالتقديم ، فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل ، فقال : لولا انى أخذته بدين لأطعمتك منه . وقال بعض السلف في تفسير التكلف ، أن تطعم أخاك مالا تأكله أنت ، بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة . وكان الفضيل يقول : انما تقاطع الناس بالتكلف ، يدعو أحدهم أخاه ، فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه . وقال بعضهم : ما أبالي بمن أتاني من إخواني ، فاني لا أتكلف له ، انما أقرب ما عندي ، ولو تكلفت له لكرهت محيئه وملته . وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لي ، فيتكلف لي ، فقلت له إنك لا تأكل وحده هذا ، ولا أنا ، فابالنا اذا اجتمعنا أكلناه ! فاما أن تقطع هذا التكلف ، أو أقطع المجيء . فقطع التكلف ، ودام اجتماعنا بسببه

ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده ، فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم . روى ان رجلا دعا عليا رضى الله عنه ، فقال على : أجيبك على ثلاث شرائط : لا تدخل من السوق شيئا ، ولا تدخر ما في البيت ، ولا تجحف بعيالك . وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك



نوعاً إلا ويحضر شيئاً منه . وقال بعضهم <sup>(١)</sup> « دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَدَّمَ إِلَيْنَا خَبِزاً وَخَلّاً وَقَالَ لَوْلَا أَنَا نَهَيْنَا عَنْ التَّكْلِيفِ لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ » وقال بعضهم: إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر، وإن استزرت فلا تبة، ولا تذر . وقال سلمان « أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> أَنْ لَا تَتَكَلَّفَ لِلضَّيْفِ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا . وَأَنْ تُقَدِّمَ إِلَيْهِ مَا حَضَرَ » وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم أنه زاره إخوانه، فقدم اليهم كسراً، وجز لهم بقلًا كان يزرعه . ثم قال لهم كلوا ، لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة ، أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ، ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزراً ، الذي يحتقر ما يقدم إليه ، أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه

الأدب الثاني : وهو للزائر أن لا يقترح ، ولا يتحكم بشيء بعينه ، فربما يشق على المزور احضاره . فإن خيره أخوه بين طعامين ، فليخير أيسرهما عليه . كذلك السنة . ففي الخبر <sup>(٣)</sup> « أَنَّهُ مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا » وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي زور سلمان ، فقدم الينا خبز شعير وملحاجر يشا . فقال صاحبى لو كان في هذا الملح سعترا كان أطيب . فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا . فلما أكلنا قال صاحبى : الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا . فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه ، أو كراهته له . فإن علم أنه يسر باقتراحه ، ويتيسر عليه ذلك ، فلا يكره له الاقتراح . فعل الشافعى رضي الله عنه ذلك مع الزعفرانى ، إذ كان نازلاً عنده ببغداد ، وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ، ويسلمها إلى الجارية

( ١ ) حديث دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزاً وخلّاً وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم : رواه أحمد دون قوله لولا أنا نهينا وهي من حديث سلمان الفارسي وسيأتي بعده وكلاهما ضعيف والبخاري عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف

( ٢ ) حديث سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن تقدم اليه ما حضرنا : الخرائطى فى مكارم الأخلاق ولاحمد لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو لولا أنا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك وللطبراني نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتكلف للضيف ما ليس عندنا

( ٣ ) حديث ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما : متفق عليه من حديث عائشة وزاد ما لم يكن إنما ولم يذكرهما فى بعض طرقه

فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام ، وألقى بها أو نأ آخر بخطه . فلما رأى الزعفراني ذلك اللون ، أنكر وقال : ما أمرت بهذا فعرضت عليه الرقعة ملحقا فيها خط الشافعي . فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك ، وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه . وقال أبو بكر الكتاني : دخلت على السري ، فجاء بفيت وأخذ يجعل نصفه في القدح . فقلت له أي شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة ! فضحك وقال ، هذا أفضل لك من حجة . وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع : مع الفقراء بالاثار ، ومع الأخوان بالانبساط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب .

بالأدب الثالث : أن يشهى المزور أخاه الزائر ، ويلتمس منه الاقتراح ، مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح . فذلك حسن ، وفيه أجر وفضل جزيل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ صَادَفَ مِنْ أَخِيهِ شَهْوَةً غَفَرَ لَهُ . وَمَنْ سَرَّ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَقَدَسَ اللَّهُ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> فيما رواه جابر « مَنْ لَذَّ أَخَاهُ بِمَا يَشْتَهِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَنَحَى عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ وَأَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَلَاثِ جَنَّاتٍ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ ، وَجَنَّةَ عَدْنٍ وَجَنَّةَ الْجُلْدِ »

الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقدم لك طعاما؟ بل ينبغي أن يقدم إن كان . قال الثوري إذا زارك اخوك فلا تقل له أتناكل ؟ أو أقدم إليك ؟ ولكن قدم . فإن أكل والا فارفع . وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاما ، فلا ينبغي أن يظهرهم عليه ، أو يصفه لهم . قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكله ، فلا تحدثهم به ، ولا يرونه معك . وقال بعض الصوفية : إذا دخل عليكم الفقراء ، فقدموا إليهم طعاما . وإذا دخل الفقهاء ، فسلوهم عن مسألة . فإذا دخل القراء ، فدلوهم على المحراب .

( ١ ) حديث من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل : البزار والطران

من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمنا فأنما سر الله - الحديث : قال العقيلي باطل لأصل له

( ٢ ) حديث جابر من لذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة - الحديث ذكره ابن الجوزي في

الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد بن حنبل هذا باطل كذب

## الباب الرابع

### في آداب الضيافة

ومظان الآداب فيها ستة : الدعوة أولاً ، ثم الاجابة ، ثم الحضور ، ثم تقديم الطعام ، ثم الأكل ، ثم الانصراف  
ولنقدم على شرحها إن شاء الله تعالى فضيلة الضيافة .

قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «لَا تَكْلَفُوا لِلضَّيْفِ فِتْنَةً فَيَأْتِيَهُ مَنْ أَبْغَضَ الضَّيْفَ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَ اللَّهَ أَبْغَضَهُ اللَّهُ» وَقَالَ صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضَيِّفُ» وَمرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِرَجُلٍ لَهُ إِبِلٌ وَبَقَرٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ يُضَيِّفْهُ وَمرَّ بِامْرَأَةٍ لَهَا شُوبِيهَاتٌ فَذَبَحَتْ لَهُ . فَقَالَ صلى الله عليه وسلم انْظُرُوا إِلَيْهِمَا ، إِنَّمَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ يَبْدِ اللَّهُ فَنَ شَاءَ أَنْ يَمْنَحَهُ خُلُقًا حَسَنًا فَعَلَ » وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّهُ نَزَلَ بِهِ صلى الله عليه وسلم ضَيْفٌ فَقَالَ : قُلْ لِفُلَانِ الْيَهُودِيِّ نَزَلَ بِي ضَيْفٌ فَأَسْلَفَنِي شَيْئًا مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى رَجَبٍ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ وَاللَّهِ مَا أَسْلَفَنِي إِلَّا بِرَهْنٍ . فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ . وَاللَّهِ إِنِّي لَا مِينَ فِي السَّمَاءِ ، أَمِينَ فِي الْأَرْضِ ، وَلَوْ أَسْلَفَنِي لَأَدَيْتُهُ فَأَذْهَبُ بِدِرْعِي وَارْهَنُهُ عِنْدَهُ » وكان إبراهيم الخليل ، صلوات الله عليه وسلامه ، إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان . ولصدق نيته فيه ، دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا ، فلا تنقض ليلة إلا ويأكل عنده

### ﴿ الباب الرابع في آداب الضيافة ﴾

( ١ ) حديث لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه وفيه محمد بن الفرغ الأزرق متكلم فيه

( ٢ ) حديث لا خير فيمن لا يضيف أحمد من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة

( ٣ ) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه و مر بامرأة لها شوبيات فذبحت له - الحديث : الحرائطي في مكارم الأخلاق من رواية أبي للنهال مرسل

( ٤ ) حديث أبي رافع أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب - الحديث : رواه إسحق بن راهويه في مسنده والحرائطي في مكارم الأخلاق وابن مردويه في التفسير باسناد ضعيف

جماعة ، من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة . وقال قوام الموضع إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَا الْإِيمَانُ ؟ فَقَالَ إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « فِي الْكُفَّارَاتِ وَالْدَّرَجَاتِ إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » <sup>(٣)</sup> وسئل عن الحج المبرور « فَقَالَ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطَيْبُ الْكَلَامِ » وقال أنس رضي الله عنه : كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة . والأخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى فلنذكر آدابها

أما الدعوة : فينبغي للداي أن يعمد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « أَا كَلَّ طَعَامُكَ الْأَبْرَارُ » في دعائه لبعض من دعا له : وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « لَا تَأْكُلْ إِلَّا طَعَامَ تَقِيٍّ وَلَا يَأْكُلْ طَعَامُكَ إِلَّا تَقِيٌّ » ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ ، يُدْعَى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ دُونَ الْفُقَرَاءِ » وينبغي أن لا يهمل أقرابه في ضيافته ، فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم . وكذلك يراعى الترتيب في أصدقائه ومعارفه ، فإن في تخصيص البعض إيحاشا لقلوب الباقين . وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر ، بل استمالة قلوب الاخوان ، والتسني بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام ، وإدخال السرور على قلوب المؤمنين . وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الاجابة ، وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب . وينبغي أن لا يدعو الا من يحب اجابته . قال سفيان : من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الاجابة ،

( ١ ) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان قال إطعام الطعام وبذل السلام : متفق عليه من حديث عبدالله ابن عمرو بلفظ أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرى السلام على من عرفت ومن لم تعرف

( ٢ ) حديث قال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ت وصححه و ك من حديث معاذ وقد تقدم بعضه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث اللهم إني أسألك فعل الخيرات

( ٣ ) حديث سئل عن الحج المبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم في الحج

( ٤ ) حديث أكل طعامك الأبرار : د من حديث أنس باسناد صحيح

( ٥ ) حديث لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي : تقدم في الزكاة

( ٦ ) حديث شر الطعام طعام الوليمة - الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

فعلية خطيئة ، فان أجاب المدعو ، فعليه خطيئتان . لأنه حمل على الأكل مع كراهة ، ولو علم ذلك لما كان يأكله . وإطعام التقى إمانة على الطاعة . وإطعام الفاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك : أنا أخيط ثياب السلاطين ، فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال : لا ، إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة ، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم . وأما الاجابة فهي سنة مؤكدة : وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع : قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ»

## آداب إجابة الدعوة إلى الطعام

وللاجابة خمسة آداب

الأول : أن لا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهى عنه . ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الاجابة ، وقال ، انتظر المرفة ذل . وقال آخر ، إذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي . ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء دون الفقراء . وهو خلاف السنة . كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَدَعْوَةَ الْمُسْكِينِ . ومرو الحسن ابن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق ، وقد نشروا كسرا على الأرض في الرمل ، وهم يأكلون ، وهو على بقلته . فسلم عليهم . فقالوا له هلم إلى الغداء يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال نعم ، إن الله لا يحب المتكبرين . فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ، ثم سلم عليهم وركب ، وقال ، قد أجبتكم فأجيبوني قالوا نعم . فوعدهم وقتا معلوما ، فحضروا ، فقدم إليهم فاخر الطعام ، وجلس يأكل معهم . وأما قول القائل ، إن من وضعت يدي في قصعته ، فقد ذلت له رقبتي ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة ، وليس كذلك . فانه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ، ولا يتقلد بها منة ، وكانت يرى ذلك يداله على المدعو . ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعامة

(١) حديث : لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت . من حديث أبي هريرة

(٢) حديث : كان يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين : ت ه من حديث أنس دون ذكر المسكين وضعفت وصححه ك

أن الداعي له يتقصد منه ، ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة . فهذا يختلف باختلاف الحال . فمن ظن به أنه يستقبل الاطعام ، وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا ،<sup>(١)</sup> فَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ إِجَابَتُهُ . بل الأولى التعلل . ولذلك قال بعض الصوفية : لا تجب الإدعوة من يرى أنك أكلت رزقك ، وأنه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ، ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه . وقال سري السقطي رحمه الله : آه على لقمة ليس على لثمتها تبة ، ولا مخلوق فيها منة . فإذا علم المدعو أنه لامنة في ذلك ، فلا ينبغي أن يرد . وقال أبو تراب النخشي رحمه الله عليه ، عرض على طعام فامتنعت ، فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما ، فعلمت أنه عقوبته . وقيل لمعروف الكرخي رضي الله عنه ، كل من دعاك تمر إليه ؟ فقال أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني .

الثاني : أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة بعد المسافة ، كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه . بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع . لاجل ذلك يقال في التوراة أو بعض الكتب : سر ميلاعد مريلضا ، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة أميال أجب دعوة ، سر أربعة أميال زر أخا في الله . وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة ، لأن فيه قضاء حق الحى ، فهو أولى من الميت . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> ( لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ بِالْغَمِيمِ لَأَجَبْتُ ) وهو موضع على أميال من المدينة ، أَفْطَرَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٣)</sup> فِي رَمَضَانَ لَمَّا بَلَغَهُ وَقَصَرَ عِنْدَهُ فِي سَفَرِهِ<sup>(٤)</sup>

(١) حديث : ليس من السنة إجابة من يطعم مباهاة أو تسكنا . د . من حديث ابن عباس ، أن النبي صلى الله

عليه وسلم نهى عن طعام المنابر . قال . د . من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس . والعقيلي في الضعفاء ، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام المناهين ، والمنابر المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء ، قاله أبو موسى المدني

(٢) حديث : لو دعيت إلى كراع بالغميم لأجبت ، ذكر الغميم فيه لمعرفة ، والمعروف لو دعيت إلى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث . ويرد هذه الزيادة ما رواه . ت . من حديث أنس ، لو أهدى إلى كراع لقبلت

(٣) حديث : افطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغ كراع الغميم روزه . م . من حديث جابر في عام الفتح

(٤) حديث : قصره صلى الله عليه وسلم في سفره عند كراع الغميم ، لم أقف له على أصل ، وللطبراني في الصغير ، من حديث ابن عمر ، كان يقصر الصلاة بالعقيق ، يريد إذا بلغه ، وهذا يرد الأول ، لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر ، وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم

الثالث : أن لا يمتنع لكونه صاعاً . بل يحضر . فإن كان يسر أخاه إفطاره ، فليفطر . وليحتسب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ، ما يحتسب في الصوم وأفضل . وذلك في صوم التطوع . وإن لم يتحقق سرور قلبه ، فليصدق بالظاهر ، وليفطر . وإن تحقق أنه متكلف ، فليتعلم . وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> لمن امتنع بعذر الصوم ( تَكَلَّفَ لَكَ أَخُوكَ وَتَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ ) وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالافطار . فالافطار ، عبادة بهذه النية ، وحسن خلق ، فتوابه فوق ثواب الصوم . ومهما لم يفطر ، فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب . وقد قيل ، الكحل والدهن أحد القراءين

الرابع : أن يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة ، أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال ، أو كان يقام في الموضع منكر ، من فرش ديباج ، أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط ، أو سماع شيء من المزامير والملاهي ، أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والمهزل واللعب ، واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك ، فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستجابها ، ويوجب تحريمها أو كراهيتها . وكذلك إذا كان الداعي ظالماً ، أو مبتدعاً ، أو فاسقاً ، أو شريعياً ، أو متكلفاً طلباً للباهاء والفخر

الخامس : أن لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن ، فيكون عاملاً في أبواب الدنيا . بل يحسن نيته ، ليصير بالاجابة عاملاً للآخرة ، وذلك بان تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « لَوْدُعِيْتُ إِلَى كِرَاعٍ لَا جَبْتُ »  
وينوي الحذر من معصية الله لقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> ( مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ )

( ١ ) حديث : وقال لمن امتنع بعذر الصوم ، تكلف لك أخوك وتقول إنني صائم . هـ . من حديث أبي سعيد الخدري ، صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً ، وأتاني هو وأصحابه ، فلما وضع الطعام ، قال رجل من القوم إنني صائم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعكم أخوكم وتكلف لكم الحديث . ولدارقطني نحوه ، من حديث جابر

( ٢ ) حديث : من لم يجب الداعي فقد عصي الله ورسوله . متفق عليه ، من حديث أبي هريرة

وينوى إكرام أخيه المؤمن اتباعاً لقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَكَأَنَّ أَكْرَمَ اللَّهُ »

وينوى إدخال السرور على قلبه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « مَنْ سَرَّ مُؤْمِنًا فَقَدْ سَرَّ اللَّهَ » وينوى مع ذلك زيارته ، ليكون من المتحابين في الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> فيه التزاور والتبادل لله ، وقد حصل البذل من أحد الجانبين ، فتحصل الزيارة من جانبه أيضا

وينوى صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ، ويطلق اللسان فيه ، بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق ، أو استحقار أخ مسلم ، أو ما يجري مجراه

فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات آحادها ، فكيف مجموعها . وكان بعض السلف يقول : أنا أحب أن يكون لى في كل عمل نية ، حتى في الطعام والشراب . وفي مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَّا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » والنية إنما تؤثر في المباحات والطاعات ، أما المنهيات فلا ، فانه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر ، أو حرام آخر ، لم تنفع النية . ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات . بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة ، المباهاة وطلب المال ، انصرف عن جهة الطاعة . وكذلك المباح ، المرددين وجوه الخيرات وغيرها ، يلتحق بوجوه الخيرات بالنية . فتؤثر النية في هذين القسمين ، لافي القسم الثالث

( ١ ) حديث : من أكرم أخاه المؤمن فأنما يكرم الله تعالى . الاصفهاني في الترغيب والترهيب ، من حديث

جابر . والقبلي في الضعفاء من حديث أبي بكر . وأسنادها ضعيف

( ٣ ) حديث : من سر مؤمناً فقد سر الله . تقدم في الباب قبله

( ٤ ) حديث : وجبت محبة المتزاورين في والتبادلين في . م من حديث أبي هريرة . ولم يذكر المصنف

هذا الحديث ، وإنما أشار إليه

( ٥ ) حديث : الأعمال بالنيات . متفق عليه ، من حديث عمر بن الخطاب



## آداب المحضور للمنزل الداعي والجلوس فيه

وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ، ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن ، بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة . بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه ألبتة ، فإنه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد ، فخالفته تشوش عليه . وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما ، فليتواضع . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «إِنَّ مِنَ التَّوَاضُعِ لِلَّهِ الرِّضَا بِالذُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ» ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء وسترهم . ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام ، فإنه دليل على الشره . ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس .

وإذا دخل ضيف للمبيت ، فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما . وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم ، وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت أولى ، لأنه يدعو الناس إلى كرمه ، فحكمه أن يتقدم بالغسل . وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل ، لينتظر أن يدخل من يأكل ، فيأكل معه

وإذا دخل فرأى منكرا غيره إن قدر ، وإلا أنكر بلسانه وانصرف . والمنكر فرش الديباج ، واستعمال أواني الفضة والذهب ، والتصوير على الحيطان ، وسماع الملاحى والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه ، وغير ذلك من المحرمات . حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ، ينبغي أن يخرج . ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة ، وقال ، إذا رأى كلة فينبني أن يخرج ، فإن ذلك تكلف لافائدة فيه ، ولا تدفع حرا ولا بردا ، ولا تستر شيئا . وكذلك قال ، يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة وقال إذا كثرت يتنافيه صورة ، أو دخل الحمام ورأى صورة ، فينبني أن يحكمها ، فإن لم يقدر ، خرج

(١) حديث : إن من التواضع لله الرضا بالذون من المجلس . الخرائطي في مكارم الاخلاق ، وأبو نعيم

في رياضة المتعلمين ، من جاهيث طلحة بن عبيد ، بسند جيد

و كل ما ذكره صحيح وإنما النظر في السكلة وتزيين الحيطان بالديباج ، فإن ذلك لا ينتهي إلى التحريم إذ الجري يحرّم على الرجال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « هَذَانِ حَرَامٌ عَلَى ذِكُورِ أُمَّتِي حِلٌّ لِنِسَائِهِمَا » وما على الحائض ليس منسوب إلى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين السكبة . بل الأولى بأباحته لموجب قوله تعالى ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ <sup>(٢)</sup> ) لا سيما في وقت الزينة ، إذ لم يتخذ عادة للتفاخر ، وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه . ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج ، مهما لبسه الجوارى والنساء . والحيطان في معنى النساء ، إذ لسن موصوفات بالذكورة

## آداب إحضار الطعام

وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة

الأول : تعجيل الطعام . فذلك من إكرام الضيف . وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَنْ كَانَ يَوْمٌ مِنْ بِلَهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فليُكْرِمَ ضَيْفَهُ » ومهما حضر الأكرهون وغاب واحد أو اثنان ، وتأخروا عن الوقت الموعود ، فحق الحاضرين في التعجيل . أولى من حق أولئك في التأخير . إلا أن يكون المتأخر فقيراً ، أو ينكسر قلبه بذلك ، فلا بأس في التأخير . وأحد المعنيين في قوله تعالى ( هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ <sup>(٤)</sup> ) أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم . دل عليه قوله تعالى ( فَأَلْبَسَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ <sup>(٥)</sup> ) وقوله ( فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ <sup>(٦)</sup> ) والروغان الذهاب بسرعة ، وقيل في خفية . وقيل جاء بفخذ من لحم ، وإنما سمي بعجلاً لانه عجله ، ولم يلبث . قال <sup>(٧)</sup> حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة رسول الله

(١) حديث : هذان حرامان على ذكور أمتي . د . ن . هـ ، من حديث علي ، وفيه أبو أفلح الحميداني ، جهله ابن

القطان . و . ن . ت . وصححه ، من حديث أبي موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد

ابن أبي هند وأبي موسى ، فأدخل أحمد بينهما رجلاً لم يسم

(٢) حديث : من كان يومٌ من بِلَهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فليُكْرِمَ ضَيْفَهُ . متفق عليه ، من حديث أبي سريج

(٣) حديث حاتم الأصم : العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

إطعام الطعام ، وتجهيز البيت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنب . ت . ن . من

حديث سهل بن سعد : الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان . وسنده ضعيف . وأما الاستثناء

(١) الأعراف ٣٣ (٢) الذاريات ٢٤ (٣) هود ٩٦ (٤) الذاريات ٢٦

صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز الميت وترويض البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل في الوليمة . قيل الوليمة في أول يوم سنة ، وفي الثاني معروف ، وفي الثالث وياه الثاني : ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكة أولا ان كانت ، فذلك أوفق في الطب ، فانها أسرع استحالة ، فينبغي أن تقع في أسفل المعدة . وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكة ، في قوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون<sup>(١)</sup>) ثم قال (ولحم طير مما يشتهون<sup>(٢)</sup>) ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكة اللحم والتزيد . فقد قال عليه السلام «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» . فان جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات . ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى في ضيف ابراهيم ، إذ أحضر العجل الحنيد أى المنخوذ ، وهو الذى أجيد نضجه وهو أحد معنى الاكرام أعنى تقديم اللحم . وقال تعالى في وصف الطيبات (وأنزلنا عليكم المن والسلوى<sup>(٣)</sup>) المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادم ولا يقوم غيره مقامه . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «سيد ادم اللحم» ثم قال بعد ذكر المن والسلوى (كلوا من طيبات ما رزقناكم<sup>(٤)</sup>) فاللحم والحلاوة من الطيبات . قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أكل الطيبات يورث الرضا عن الله

وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل . قال المأمون شرب الماء بثلج يخلص الشكر . وقال بعض الادباء : إذا دعوت إخوانك فأطعمهم حصريمة وبورانية ، وسقيتهم ماء باردا ، فقد أكملت الضيافة . وأتفق بعضهم درايم في ضيافة فقال بعض الحكماء : لم تكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيدا ، وماؤك باردا ، وخلقك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم : الحلاوة بعد الطعام ، خير من كثرة الالوان ، والتمسك على المائدة

فروى . د . من حديث سعد بن أبي وقاص : التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة . قال الأعمش لا أعلم إلا أنه رفعه . وروى المزى في التهذيب ، في ترجمة محمد بن موسى بن نفع ، عن مشيخة من قومه ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : الأناة في كل شيء إلا في ثلاثة : إذا صبح في خيل الله ، وإذا نودي بالصلاة ، وإذا كانت الجنازة بالحديث . وهذا مرسل . و . ث . من حديث علي : ثلاثة لا تؤخرها : الصلاة إذا أتت ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت كفوا وسنده حسن .

(١) الواقعة ٢٤ (٢) الواقعة ٢٢ (٣) البقرة ٥٧ (٤) البقرة ٥٧

خير من زيادة لونين ويقال إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل ، فذلك أيضا مستحب ولما فيه من التزين بالخضرة ، وفي الخبر إن المائدة التي أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل ، وعند ذنبها ملح ، وسبعة أرغفة ، على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا إذا اجتمع حسن للموافقة :

الثالث : أن يقدم من الألوان ألطفها ، حتى يستوفي منها من يريد ، ولا يكثر الأكل بعده . وعادة المترفين تقديم الغليظ ، ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده . وهو خلاف السنة . فانه حيلة في استكثار الأكل . وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة ، ويصفنون القصاع من الطعام على المائدة ، ليأكل كل واحد مما يشتهي . وأن لم يكن عنده اللون واحد ، ذكره ، ليستوفوا منه ، ولا ينتظروا أطيب منه ويحكى عن بعض أصحاب المروءات ، أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ، ويعرض على الضيفان . وقال بعض الشيوخ : قدم إلى بعض المشايخ لونا بالشام ، فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخر ! فقال وكذا عندنا بالشام . ولم يكن له لون غيره . فحجبت منه وقال آخر : كنا جماعة في ضيافة ، فقدم لنا ألوان من الرؤوس المشوية ، طيخا وقديدا ، فكنا لانا أكل ، ننتظر بعدها لونا أو حملا . فجاءنا بالطست ، ولم يقدم غير هافنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا ، إن الله تعالى يقدر أن يخلق رءوسا بلا أبدان . قال ، وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا إلى السحور . فهذا يستحب أن يقدم الجميع ، أو يجرب بما عنده .

الرابع : أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء ، حتى يرفعوا الأيدي عنها . فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه ، أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل ، فيتغصص عليه بالمبادرة . وهي من التمكن على المائدة ، التي يقال انها خير من لونين . فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستفجال . ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان . حكى عن الستوزى ، وكان صوفيا مزاحا ، فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة فقدم اليهم حمل ، وكان في صاحب المائدة بخل ، فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ، ضاق صدره ، وقال ، يا غلام : ارفع إلى الصبيان . فرفع الحمل إلى داخل الدار . فقام الستورى

يعدو خلف الحمل ، فقليل له إلى أين ؟ فقال آكل مع الصبيان . فاستجيا الرجل وأمر برد الحمل  
ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم ، فأنهم يستحيون . بل ينبغي  
أن يكون آخرهم أكلا . كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ، ويتركم يستوفون .  
فاذا قاربوا الفراغ ، جثا على ركبتيه ، ومديده إلى الطعام وأكل ، وقال ، بسم الله ، ساعدوني  
بارك الله فيكم وعليكم . وكان السلف يستحسنون ذلك منه

الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفايه . فان التقليل عن الكفايه نقص في المروءة ،  
والزيادة عليه تصنع ومراءاة ، لاسيما إذا كانت نفسه لا تسمح بأن يأكلوا الكل ، إلا أن  
يقدم الكثير ، وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع رنوى أن يتبرك بفضلة طعامهم . إذ في  
الحديث : لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته .  
فقال سفيان ، يا أبا اسحق ، أما تخاف أن يكون هذا سرفا ؟ فقال إبراهيم ، ليس في الطعام  
سرف . فان لم تكن هذه النية ، فالتكثير تكلف . قال ابن مسعود رضى الله عنه : نهينا أن  
نجيب دعوة من يباهى بطعامه . وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة . ومن ذلك  
كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط ، لأنهم كانوا لا  
يقدمون إلا قدر الحاجة ، ولا يأكلون تمام الشبع

وينبغي أن يعزل أولانصيب أهل البيت ، حتى لا تكون أعينهم طامعة إلى رجوع شيء  
منه ، فلمله لا يرجع ، فتضيق صدورهم ، وتنطلق في الضيفان أسنتهم . ويكون قد أطلعهم الضيفان  
ما يتبعه كراهية قوّم . وذلك خيانة في حقهم

وما بقي من الأطعمة ، فليس للضيفان أخذه . وهو الذي تسميه الصوفية الزلة . إلا إذا  
صرح صاحب الطعام ، بالأذن فيه عن قلب راض ، أو علم ذلك بقرينة حاله ، وأنه يفرح  
به فان كان يظن كراهيته ، فلا ينبغي أن يؤخذ . وإذا علم رضاه ، فينبغي مراعاة العدل والنصفة  
مع الرفقاء . فلا ينبغي أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه ، أو ما يرضى به رفيقه عن طوع ، لا عن حياء

## آداب الانصراف

فاما الانصراف فله ثلاثة آداب :

الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار ، وهو سنة . وذلك من اكرام الضيف وقد أمر بها كرامه . قال عليه الصلاة والسلام « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » وقال عليه السلام « إِنْ مِنْ سُنَّةٍ الضَّيْفِ أَنْ يُشَيَّعَ إِلَى بَابِ الدَّارِ قَالَ أَبُو قَتَادَةَ قَدِمَ وَفَدُّ النَّجَاشِيِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ يَخْدُمُهُمْ بِنَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ نَحْنُ نَكْفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ كَلَّا إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِي مُكْرِمِينَ وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَكْفِيَهُمْ »

وتام الاكرام طلاقة الوجه ، وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة ، قيل للاوزاعي رضى الله عنه ، ما كرامة الضيف ؟ قال طلاقة الوجه ، وطيب الحديث . وقال يزيد بن أبي زياد ، ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا وأطعنا طعاما حسنا :

الثاني : أن ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير ، فذلك من حسن الخلق والتواضع ، قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » ودعى بعض السلف برسول ، فلم يصادفه الرسول ، فلما سمع حضر ، وكانوا قد تفرقوا وفرغوا ، فخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل ، وقال قد خرج القوم ، فقال هل بقي بقية ؟ قال لا ، قال فكسرة إن بقيت ، قال لم تبق ، قال فالبقدرا مسحها ، قال قد غسلتها ، قال ، نصرف بحمد الله تعالى فقليل له في ذلك ، فقال قد أحسن الرجل ، دعانا بنية ، ووردنا بنية ، فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق : وحكى ان أستاذ أبي القاسم الجنيد ، دعاه صبي الى دعوة أبيه أربع مرات ، فرده الأب في المرات الأربع ، وهو يرجع في كل مرة تطيبا لقلب الصبي بالحضور ، ولقلب الأب بالانصراف فبهذه نفوس قد ذلت بالتواضع لله تعالى ، واطمأنت بالتوحيد ، وصارت تشاهد في كل ودو قبول عبرة فيما بيننا وبين ربها ، فلا تنكسر بما يجرى من العباد من الازلال ، كما لا تستبشر بما يجرى منهم من الاكرام ، بل يرون الكل من الواحد القهار . ولذلك قال بعضهم ، أننا لأجب الدعوة الا لأنى أتذكر بها طعام الجنة ، أى هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه :

الثالث : أن لا يخرج الابريص صاحب المنزل واذنه ، ويراسى قلبه في قدر الاقامة . واذا نزل ضيقا فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه : قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة » نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب فله المقام اذا ذلك : ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « فراش للرجل ، وفراش للمرأة ، وفراش للضيف ، والرابع للشيطان »

## فصل

يجمع آداباً ومناهى طيبة وشرعية متفرقة

الأول : حكى عن ابراهيم النخعي أنه قال <sup>(٣)</sup> « ألا كل في السوق ذنابة » وأسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناده قريب : وقد نقل ضده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال <sup>(٤)</sup> « كنا نأكل كل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام » وروى بعض المشايخ من المتصوفة المعروفين بأكل في السوق ، فقليل له في ذلك ، فقال ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت : فقل تدخل المسجد ، قال أستحي أو أدخل بيته لا أكل فيه ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه . وهو مختلف بمادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله ، حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدر ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا

الثاني . قال علي رضي الله عنه ، من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ، ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ، ومن أكل كل يوم

(١) حديث الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي

(٢) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان م من حديث جابر

(٣) حديث الاكل في السوق ذنابة الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى في الكامل

من حديثه وحديث أبي هريرة

(٤) حديث ابن عمر كنا نأكل كل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام م . صحيح

احدى وعشرين زبينة حمراء لم يرفى جسده شيأ يكرهه واللحم ينبت اللحم، والثريد طعام العرب، والبسقارجات تعظم البطن وترخى الاليتين، ولحم البقر داء، ولبنها شفاء، وسمنها دواء، والشحم يخرج مثله من الداء. ولن تستشفى النفساء بشيأ أفضل من الرطب. والسمك بذييب الجسد. وقراءة القرآن والسواك يذهب البلم. ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالنعاء وليقدر العشاء ويلبس الخداء. ولن يتداوى الناس بشيأ مثل السمن، وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين

الثالث : قال الحجاج لبعض الاطباء، صف لى صفة آخذ بها ولا أعدوها، قال لا تنكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتيا، ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه، ولا تشرب دواء الا من علة، ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها، ولا تأكلن طعاما الا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام، ولا تشربن عليه، فاذا شربت فلا تأكلن عليه شيئا، ولا تحبس الغائط والبول، واذا أكلت بالنهار فقم، واذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة. وفي معناه قول العرب، تغد تمد، تعش تمش، يعنى تمدد. كما قال الله تعالى (مُحَمَّدٌ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمُطُّ<sup>(١)</sup>) أى يتمطط ويقال ان حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه

الرابع : فى الخبر<sup>(١)</sup> « قَطَعَ الْعُرُوقِ مَسْقَمَةٌ ، وَتَرَكَ الْعِشَاءَ مَهْرَمَةٌ » والعرب تقول ترك العشاء يذهب بشحم الكاذبة . يعنى الالية، وقال بعض الحكماء لابنه، يا بنى لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حائك . أى تتغذى، اذ به يبقى الحلم ويزول الطيش، وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى فى السوق . وقال حكيم لسمين، أرى عليك قطيفة من نسج أضرارك فيمم هي ؟ قال من أكل لباب البر، وصغاه المغز، وأدهن بجام بنفسج وألبس الكتان

الخامس : الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمرىض، هكذا قيل . وقال بعضهم من احتجى فهو على يقين من السكره، وعلى شك من العوافى . وهذا حسن فى حال الصحة ورأى رَسُولُ اللَّهِ

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهزمة ابن عدي فى الكامل من حديث عبد الله ابن جراد بالشر الأول و . ت من حديث أنس بالشر الثانى وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشر الثانى من حديث جابر



صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> «صُهَيْبًا يَا كُلُّ تَمْرٍ أَوْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ رَمَدَاهُ فَقَالَ أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وَأَنْتَ رَمَدٌ! فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا آكُلُ بِالشَّقِّ الْآخِرِ، يَعْنِي جَانِبَ السَّيْمَةِ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

السادس: أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل الميت<sup>(٢)</sup> «وَلَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ آلَ جَعْفَرٍ شَغِلُوا عَيْنَيْهِمْ عَنْ صُنْعِ طَعَامِهِمْ فَأَحْمِلُوا إِلَيْهِمْ مَا يَأْكُلُونَ». فذلك سنة. وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه، إلا ما هيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع، فلا ينبغي أن يؤكل معهم

السابع: لا ينبغي أن يحضر طعام ظالم، فإن أكره فليقل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب رد بعض المزيكين شهادة من حضر طعام سلطان، فقال كنت مكرها، فقال رأيتك تقصد الأطيب، وتكبر اللقمة، وما كنت مكرها عليه. وأجبر السلطان هذا المزيكى على الأكل، فقال أما أن آكل وأخلى التزكية، أو أركى ولا آكل. فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكى أن ذا النون المصري حبس ولم يأكل أياما في السجن، فكانت له أخت في الله فبعثته إليه طعاما من مغزله على يد السجنان. فامتنع فلم يأكل فعاتبته المرأة بعد ذلك، فقلل كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم. وأشار به إلى يد السجنان وهذا غاية الورع

الثامن: حكى عن فتح الموصلى رحمه الله، أنه دخل على بشر الحافي زائرا، فاخرج بشر درهما فدفعه لآحمد الجلاء خادمه، وقال اشتر به طعاما جيدا، وأدما طيبا. قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت: لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ» سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت إليه فأكل وأخذ الباقي. فقال بشر أتدرون لم قلت. اشترط طعاما طيبا؛ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر. أتدرون لم يقل لي كل لانه ليس

(١) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا واحدا عينية رمدة فقال له أأأكل التمر وأنت رمدة فقال إنما أضع بالشق الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم: هـ من حديث،

صهيب بإسناد جيد

(٢) حديث لما جاء نعي جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا بجميهم عن طعامهم فأحملوا إليهم ما يأكلون: د. ب. هـ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن ولا بن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس

(٣) حديث اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن؛ تقدم في آخر الباب الأول من آداب الأكل

للضيف أن يقول لصاحب الدار كل : أتدرون لم حمل ما بقي؟ لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل وحكى أبو على الروذباذى رحمه الله عز وجل ، أنه اتخذ ضيافة ، فلو قد فيها ألف سراج فقال له رجل قد اسرفت ، فقال له ادخل ، فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه . فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها . فانقطع . واشترى أبو على الروذباذى احمالا من السكر ، وأمر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر ، عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ، ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها .

التاسع : قال الشافعى رضى الله عنه ، الأكل على أربعة أنحاء : الأكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر ،<sup>(١)</sup> وثلاث أصابع من السنة ، وبأربع وخمس من الشره . وأربعة أشياء تقوى البدن : أكل اللحم ، وشم الطيب ، وكثرة الغسل من غير جماع ، ولبس الكتان أربعة توهن البدن : كثرة الجماع وكثرة الهضم ، وكثرة شرب الماء على الريق ، وكثرة أكل الحموضة وأربعة تقوى البصر : الجلوس تجاه القبلة ، والكحل عند النوم ، والنظر إلى الخضرة ، وتنظيف للملبس . وأربعة توهن البصر : النظر إلى القدر ، والنظر إلى المصلوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود في استدارة القبلة . وأربعة تزيد في الجماع : أكل العصافير ، وأكل الاطريفل الاكبر وأكل الستق وأكل الجرجير . والنوم على أربعة أنحاء : فنوم على القفا ، وهو نوم الأنبياء عليهم السلام بتفكرون في خلق السموات والأرض . ونوم على اليمين ، وهو نوم العلماء والعباد . ونوم على الشمال ، وهو نوم الملوك ليضم طعامهم . ونوم على الوجه ، وهو نوم الشياطين . وأربعة تزيد في العقل : ترك الفضول من الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصالحين ، والعلماء . وأربعة هن من العبادة : لا يخطو خطوة الا على وضوء ، وكثرة السجود ، ولزوم المساجد ، وكثرة قراءة القرآن

وقال أيضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ، ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت؟ وعجبت لمن احتجم ، ثم يبادر الأكل ، كيف لا يموت! وقال لم أر شيئا أنفع في الوباء من البنفسج ، يدهن به ويشرب ، والله أعلم بالصواب .

(١) حديث الأكل ثلاث أصابع من السنة من حديث كعب بن مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل ثلاث أصابع . وروى ابن الجوزى في الطل من حديث ابن عباس موقوفا كل ثلاث أصابع لأنه من السنة .

# كتاب آداب النكاح

## كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثاني من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأوهام في عجائب صنعه مجرى ، ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والهة حيرى ، ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى ، فهي تتوالى عليهم اختياراً وقهراً . ومن بدائع الطافه أن خلق من الماء بشراً ، فجعله نسباً وصهراً ، وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحرث جبراً ، واستبقى بها نسلهم إقهاراً وقسراً ، ثم عظم أمر الانساب وجعل لها قدراً ، فحرم بسببها السفاح وبالع في تقبيحه ردعاً وزجراً ، وجعل اقتحامه جريئة فاحشة وأمرأ إصراً ، وندب إلى النكاح وحث عليه استحباباً وأمرأ فسبحان من كتب الموت على عباده فأذلهم به هدماً وكسراً ، ثم بث بذور النطف في أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقاً وجعله الكسر الموت جبراً ، تنبيهاً على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضراً ، وخيراً وشرراً ، وعسراً ويسيراً ، وطبياً ونشراً ، والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالانذار والبشرى . وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدوا ولا حصراً ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ، ومهين للشياطين ، وحصن دون عدو الله حصين ، ومهبط التكبر الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين ، فإحراه بأن تتجرى السبابه وتحفظ مكنه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه ، وتفصل فصوله وأبوابه ، والقدر المهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب

الباب الأول : في الترغيب فيه وعنه

الباب الثاني : في الآداب المريعة في العقد والعاقدين

الباب الثالث : في آداب المعاشرة بعد العقد إلى الفراق

## الباب الأول

في الترغيب في النكاح والترغيب عنه

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح ، فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله ، واعترف آخرون بفضله ، ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله ، مهما لم تتق النفس إلى النكاح توقانا يشوش الحال ، ويدعو إلى الوقاع . وقال آخرون الأفضل تركه في زماننا هذا ، وقد كان له فضيلة من قبل ، إذ لم تكن الأكساب محظورة ، وأخلاق النساء مذمومة ، ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن يقدم أولا ماورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه ، والترغيب عنه ، ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله ، حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

## الترغيب في النكاح

أما من الآيات : فقد قال الله تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامِ مِنْكُمْ) <sup>(١)</sup> وهذا أمر . وقال تعالى (فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ) <sup>(٢)</sup> وهذا منع من العضل ، ونهى عنه . وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) <sup>(٣)</sup> فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل ، ومدح أوليائه بسؤال ذلك في الدعاء فقال (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) <sup>(٤)</sup> الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا المتأهلين ، فقالوا إن يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجمع ، قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة ، وقيل لنقض البصر . وأما عيسى عليه السلام ، فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له

وأما الأخبار : فقول له صلى الله عليه وسلم «النَّكَاحُ سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي سُنَّتِي فَقَدْ رَغِبَ عَنِّي» وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «النَّكَاحُ سُنَّتِي فَمَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلَيْسَتْ بِسُنَّتِي»

(١) حديث : النكاح سنتي ، فمن أحب فطرتي فليست بسنتي : أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير ، من حديث ابن عباس بسند حسن

(١) النوري : ٢٣ (٢) البقرة : ٢٣٢ (٣) الرعد : ٣٨ (٤) الفرقان : ٧٤

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « تَنَاجَوْا تَكْثُرُوا فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْيَوْمَ الْقِيَامَةَ حَتَّى بِالسَّقَطِ » وقال أيضا عليه السلام <sup>(٢)</sup> « مَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَإِنْ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحُ ، فَمَنْ أَحْبَبَنِي فَلَيْسَ بِنُسْنِي » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَنْ تَرَكَ التَّزْوِيجَ خَافَهُ الْعِيْلَةُ فَلَيْسَ مِنَّا » وهذا ذم لعلة الامتناع ، لا لأصل الترك . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَتَزَوَّجْ » وقال <sup>(٥)</sup> « مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَا فَلَْيُصُمْ ، فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وَجَاءٌ » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج . والوجاء هو عبارة عن رض الخصىتين للفحل حتى تزول خولته ، فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَأَمَاتَهُ فَزَوِّجُوهُ . إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ » وهذا أيضا تعليل الترغيب لخوف الفساد . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> « مَنْ نَكَحَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ اسْتَحَقَّ وَلَايَةَ اللَّهِ » وقال صلى الله عليه وسلم

( ٢ ) حديث : تناجوا تكثروا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالسقط . أبو بكر بن مردويه في

تفسيره ، من حديث ابن عمر ، دون قوله حتى بالسقط . واسناده ضعيف ، وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة ، عن الشافعي أنه بلغه

( ٣ ) حديث : من رغب عن سنتي فليس مني ، وإن من سنتي النكاح ، فمن أحبني فليس مني .

متفق على أوله ، من حديث أنس : من رغب عن سنتي فليس مني . وباقيه تقدم قبله بحديث

( ٤ ) حديث : من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا . رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس ،

من حديث أبي سعيد بسند ضعيف ، وللدارمي في مسنده ، والبيهقي في معجمه ، وأبي داود

في الراسيل ، من حديث أبي نجيع : من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا ، وأبو نجيع

اختلف في صحته

( ٥ ) حديث من كان ذا طول فليتزوج . هـ . من حديث عائشة ، بسند ضعيف

( ٦ ) حديث : من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث . متفق عليه ، من حديث ابن مسعود

( ٧ ) حديث : إذا أتاكم من ترضون دينه وأماتته فزوجه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير

ت . من حديث أبي هريرة ، وثقل عن خبائه لم يعده محفوظا ، وقال دانه خطأ ، ورواه

ت أيضا من حديث أبي حاتم للزني ، وحسنه ، ورواه في الراسيل ، وأعله ابن القطان

بارساله ، وضعف رواه

( ٨ ) حديث : من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل . أحمد بسند ضعيف ، من حديث

معاذ بن أنس : من أعطى الله ، وأحب الله ، وأغض الله ، وأنكح الله ، فقد استكمل إيمانه

« مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة ، تحصنا من الفساد . فكان المفسد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه ، وقد كنى بالتزويج أحدهما . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يَنْقُطِعُ إِلَّا ثَلَاثٌ : وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ - الْحَدِيثُ ، وَلَا يُوَصَّلُ إِلَى هَذَا إِلَّا بِالنِّكَاحِ وَأَمَّا الْآثَارُ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَنْعَمُ مِنَ النِّكَاحِ إِلَّا عَجْزٌ أَوْ جُورٌ . فَيَبِينُ أَنَّ الدِّينَ غَيْرُ مَانِعٍ مِنْهُ ، وَحَصْرُ الْمَانِعِ فِي أَمْرَيْنِ مَذْمُومَيْنِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : لَا يَتِمُّ نَسْكُ النَّاسِكِ حَتَّى يَتَزَوَّجَ : يَحْتَمِلُ أَنَّهُ جَعَلَهُ مِنَ النَّسْكِ ، وَتَمَتُّلَهُ ، وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ قَلْبُهُ لِنَلْبِهِ الشَّهْوَةِ إِلَّا بِالتَّزْوِيجِ ، وَلَا يَتِمُّ النَّسْكُ إِلَّا بِفِرَاقِ الْقَلْبِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ يَجْمَعُ غُلَمَاتِهِ لِمَا أَدْرَكُوا عَكْرَمَةَ وَكِرِيَاءَ وَغَيْرَهُمَا وَيَقُولُ : إِنْ أَرَدْتُمْ النِّكَاحَ أَنْ كَسَحْتُمْ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا زَانَى نَزَعَ الْإِيمَانَ مِنْ قَلْبِهِ . وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : لَوْلَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِي الْإِسْمَاعِيلُ أَيْامٌ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ لِكَيْلَا أَلْقَى اللَّهَ عَزَبًا . وَمَاتَ إِمْرَأَتَانِ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الطَّاعُونَ ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مَطْعُونًا فَقَالَ : زَوَّجُونِي فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ عَزَبًا . وَهَذَا مِنْهُمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا رَأَيَا فِي النِّكَاحِ فَضْلًا ، لَا مِنْ حَيْثُ التَّحَرُّزُ عَنْ غَائِلَةِ الشَّهْوَةِ وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْثُرُ النِّكَاحَ وَيَقُولُ : مَا أَتَزَوَّجُ إِلَّا لِأَجْلِ الْوَلَدِ . وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ قَدْ انْقَطَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> يَخْدُمُهُ ، وَبَيَّتَ عِنْدَهُ لِحَاجَةِ أَنْ طَرَقَتْهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا تَتَزَوَّجُ ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي فَقِيرٌ لَا شَيْءَ عَلَيَّ ، وَأَنْتَ قَدْ انْقَطَعَ عَنْ خِدْمَتِكَ ، فَسَكَتَ ، ثُمَّ عَادَ ثَانِيًا ، فَأَعَادَ الْجَوَابَ ثُمَّ تَفَكَّرَ الصَّحَابِيُّ وَقَالَ : وَاللَّهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ بِمَا يَصْلِحُنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي ، وَمَا يَقْرُبُنِي إِلَى اللَّهِ مَنِي ،

( ١ ) حديث : مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الْآخِرِ . ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْعِلَلِ ، مِنْ

حديث أنس ، بسند ضعيف . وهو عند الطبراني في الأوسط ، بلفظ قد استكمل نصف

الآيمان . وفي المستدرک ، وصححه أسناده بلفظ من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه الحديث

( ٢ ) حديث كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة ، فذكر فيه وولد صالح بدعوله . م . من حديث أبي هريرة بنحوه

( ٣ ) حديث : كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ قَدْ انْقَطَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَيَّتَ عِنْدَهُ لِحَاجَةِ إِنْ

طَرَقَتْهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا تَتَزَوَّجُ الْحَدِيثُ . أَحْمَدُ . مِنْ حَدِيثِ

ربيعة الأسلمي ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقِصَّةِ ، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ

ولئن قال لي الثلاثة لأفعلن . فقال له الثالثة أَلَا تَتَزَوَّجُ ؟ قال فقلت يا رسول الله زوجني ، قال  
أذهب إلى بني فلان ، فقل ان رسول الله صلى عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فتاتكم  
قال فقلت يا رسول الله لا شيء علي ، فقال لأصحابه «اجتمعوا لأخيكُم وَزَنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ» فجمعوا له  
فذهبوا به إلى القوم فانكحوه ، فقال له «أولم» وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة وهذا  
التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح  
وحكى ان بعض العباد في الأمم السالفة فاق أهل زمانه في العبادة ، فذكر لني زمانه  
حسن عبادته ، فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشيء من السنة ، فاعتم العابد لما سمع ذلك  
فسأل النبي عن ذلك فقال : أنت تارك للتزويج فقال لست أحرمه ولكني فقير ، وأنا  
عيال على الناس ، قال أنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته . وقال بشر ابن  
الحريث : فضل عليّ أحمد بن حنبل بثلاث . بطلب الحلال لنفسه ولغيره ، وأنا أطلبه لنفسى  
فقط . ولا تساعه في النكاح وضيق عنه . ولأنه نصب اماما للعامة . ويقال ان أحمد  
رحمه الله تزوج في اليوم الثاني من وفاة أم ولد عبد الله ، وقال أكره أن أبيت عزبا . وأما  
بشر ، فانه لما قيل إن الناس يتكلمون فيك لتركت النكاح ، ويقولون هو تارك للسنة ،  
فقال : قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة . وعوتب مرة أخرى ، فقال : ما يمنعني  
من التزويج إلا قوله تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ<sup>(١)</sup>) فذكر ذلك لأحمد فقال : وأين  
مثل بشر ؟ انه قعد على مثل حد السنان . ومع ذلك فقد روى أنه رأى في المنام ف قيل له ما فعل  
الله بك ؟ فقال رفعت منازل في الجنة ، وأشرف بي على مقامات الأنبياء ، ولم أبلغ منازل المتأهلين  
وفي رواية : قال لي ما كنت أحب أن تلقاني عزبا . قال فقلنا له ما فعل أبو نصر التمار ؟ فقال رفع  
فوق بسبعين درجة . قلنا بماذا ؟ فقد كنا نراك فوقه ، قال بصبره على بنياته والعيال . وقال  
سفيان بن عيينه : كثرة النساء ليست من الدنيا ، لأن عليا رضى الله عنه كان أزهد أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له أربع نسوة ، وسبع عشرة سرية . فالنكاح سنة  
ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء . وقال رجل لابراهيم بن أدهم رحمه الله : طوبى لك  
فقد فرغت للعبادة بالزوجة . فقال : لروعة منك بسبب العيال ، أفضل من جميع ما أنافيه



قال فما الذي يمنعك من النكاح؟ فقال مالي حاجة في امرأة، وما أريد أن أغرّ امرأة بنفسى وقد قيل فضل المتأهل على العزب، كفضل المجاهد على القاعد، وركعة من متأهل، أفضل من سبعين ركعة من عزب.

## الترهيب عن النكاح

وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح فقد قال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> «خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْمُسْلِمِينَ الْخَفِيفُ الْخُلْدُ الَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدَ» وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى بَدْوِ زَوْجَتِهِ وَأَبْوِيهِ وَوَلَدِهِ، يُعَيِّرُونَهُ بِالْفَقْرِ وَيُكَلِّفُونَهُ مَا لَا يُطِيقُ فَيَدْخُلُ الْمَدَاحِلَ الَّتِي يَذْهَبُ فِيهَا دِينُهُ، فَيَهْلِكُ»

وفي الخبر<sup>(٣)</sup> قلة العيال أحد اليسارين، وكثرتهم أحد الفقيرين. وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح، فقال: الصبر عنهن خير من الصبر عليهن، والصبر عليهن خير من الصبر على النار. وقال أيضا: الوحيد يجد من حلاوة العمل، وفراغ القلب، ما لا يجد المتأهل. وقال مرة: ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى. وقال أيضا: ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا: من طلب معايشا، أو تزوج امرأة، أو كتب الحديث. وقال الحسن رحمه الله: إذا أراد الله بعبد خيرا، لم يشغله بأهل ولا مال. وقال ابن أبي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث، فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكون له، بل أن يكون له ولا يشغلانه، وهو إشارة إلى قول أبي سليمان الداراني: ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد، فهو عليك مشؤم. وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا، إلا مقرونا بشرط. وأما الترغيب في النكاح، فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه، بمحصر آفات النكاح وفوائده.

(١) حديث: خير الناس بعد المسلمين الخفيف الخلد الذي لا أهل له ولا ولد. أبو يعلى. من حديث حذيفة

ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة، وكلاهما ضعيف

(٢) حديث: يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده، يعيرونه بالفقر،

ويكلفونه ما لا يطيق، فيدخل المداحل التي يذهب فيها دينه، فيهلك: الخطابي في العزلة، من

حديث ابن مسعود نحوه، والبيهقي في الزهد نحوه، من حديث أبي هريرة، وكلاهما ضعيف

(٣) حديث: قلة العيال أحد اليسارين، وكثرتهم أحد الفقيرين. القضاة في مسند الشهاب، من حديث علي

وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس، من حديث عبد الله بن عمر، وابن هلال الزني،

كلاهما بالشرط الأول، بسند بن ضعيفين.

## فوائد النكاح

وفيه فوائد خمسة : الولد ، وكسر الشهوة ، وتديير المنزل ، وكثرة المشيرة ، ومجاهدة النفس بالقيام بهن .

الفائدة الاولى : الولد : وهو الاصل ، وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل ، وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس ، وانما الشهوة خلقت يا عشة مستحثة ، كالموكل بالفحل في اخراج البذر ، وبالاتى في التمكن من الحرث ، تلتطف بهما في السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع ، كالتلطف بالطير في بث الحب الذى يشتهيه ليساق الى الشبكة . وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حرثة وازدواج ، ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب ، مع الاستغناء عنها ، اظهارا للقدرة ، واتماما لمعجائب الصنعة ، وتحقيقا لما سبقت به المشيئة ، وحقت به الكلمة ، وجرى به القلم . وفي التوصل الى الولد قربة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة ، حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزباء الأول . موافقة محبة الله بالسعى في تحصيل الولد ، لبقاء جنس الانسان . والثانى . طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباحاته . والثالث . طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده . والرابع . طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله .

أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه ، وأبعدها عن افهام الجماهير ، وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه : وبيانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث ، وهياله أرضا مهيأة للحرثة ، وكان العبد قادرا على الحرثة ووكل به من يتقاضاه عليها فإن تكاسل وعطل آلة الحرث ، وترك البذر ضائعا حتى فسد ، ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة ، كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده . والله تعالى خلق الزوجين ، وخلق الذكور والانثيين وخلق النطفة في الفقار ، وهيا لها في الأنثيين عروفا ومجاري ، وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة ، وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الأفعال والآلات ، تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها ، وتنادى لأرباب

الألباب بتعريف ما أعدت له ، هذا ان لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال ( تَنَآكَحُوا تَنَاسَلُوا ) فكيف وقد صرح بالأمر ، وباح بالسر . فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحرائة ، مضيع للبذر ، معطل لما خلق الله من الآلات المعدة ، وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة ، المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ، ليس برقم حروف وأصوات ، يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية . ولذلك عظم الشرع الأمر في القتل للاولاد ، وفي الوأد ، لأنه منع النمام الوجود . وإليه أشار من قال العزل أحد الوأدين فالنكاح ساع في اتمام ما أحب الله تعالى تماماً والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه . ولاجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس ، أمر بالاطعام وحث عليه ، وعبر عنه بعبارة الفرض فقال ( مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا <sup>(١)</sup> )

فان قلت : قولك ان بقاء النسل والنفس محبوب ، يوم ان فناءها مكروه عند الله ، وهو فرق بين الموت والحياة ، بالاضافة إلى ارادة الله تعالى ، ومعلوم ان الكل بمشيئة الله وأن الله غني عن العالمين ، فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم ، أو بقاءهم عن فناءهم ؟ فاعلم ان هذه الكلمة حق أريد بها باطل . فان ما ذكرناه لا ينافي اضافة الكائنات كلها إلى ارادة الله خيرها وشرها ، ونفعها وضرها ، ولكن المحبة والكرهية يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة ، فرب مراد مكروه ، ورب مراد محبوب ، فالمعاصي مكروهة ، وهي مع الكراهية مرادة ، والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية . أما الكفر والشر ، فلا نقول انه مرضي ومحبوب ، بل هو مراد . وقد قال الله تعالى ( وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ <sup>(٢)</sup> ) فكيف يكون الفنا بالاضافة إلى محبة الله وكرهته كالبقاء ؟ فانه تعالى يقول <sup>(٣)</sup> « مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ كَتَرَدَّدِي فِي قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُسْلِمِ ، هُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، وَلَا بَدَلَ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ » فقله لا بد له من الموت ، إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور في قوله تعالى ( نَحْنُ مُقَدِّرُونَ أَلَمَ نَكُنْكُمْ أَمْوَاتًا <sup>(٤)</sup> ) وفي قوله تعالى ( الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ <sup>(٥)</sup> ) ولا منافضة بين قوله تعالى

(١) حديث : انه تعالى يقول : ما ترددت في شيء كترددت في قبض روح عبدي المسلم يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه . بخ . من حديث أبي هريرة ، انفراد به خالد بن محمد القطواني ، وهو متكلم فيه

(١) البقرة ٢٤٥ (٢) الزمر ٧ (٣) الواقعة ٦٠ (٤) الملك ٢

(نَحْنُ قَدَرْنَا يَنْتَكُمُ الْمَوْتُ) وبين قوله وأنا أكره مساءته ولكن إيضاح الحق في هذا ، يستدعى تحقيق معنى الاردة والمحبة والكراهة ، وبيان حقائقها . فان السابق إلى الافهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكرهاتهم ، وهيئات فين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ، ما بين ذاته العزيز وذاتهم . وكما أن ذوات الخلق جوهر وعرض ، وذات الله مقدس عنه ، ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض ، الجوهر والعرض ، فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق . وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ، ووراءه سر القدر الذي منع من افشائه فلنقتصر عن ذكره ، ولنقتصر على ما نبهنا عليه ، من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه . فان أحدهما مضيع نسلا أدام الله وجوده من آدم صلى الله عليه وسلم عقبا بعد عقب إلى أن انتهى إليه ، فلمنتع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه ، فمات أبتر لا عقب له . ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة ، لما قال معاذ في الطاعون : زوّجوني لألّقي الله عزبا

فان قلت : فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت ، فما وجه رغبته فيه ؟ فأقول الولد يحصل بالوقاع ، ويحصل الوقاع بباعث الشهوة ، وذلك أمر لا يدخل في الاختيار . انما المعلق باختيار العبد ، احضار المحرك للشهوة ، وذلك متوقع في كل حال ، فمن عقد فقد أدى ما عليه ، وفعل ما اليه ، والباقي خارج عن اختياره . ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضا ، فان نهضت الشهوة خفية لا يطلع عليها ، حتى ان المسوح الذي لا يتوقع له ولد ، لا ينقطع الاستحباب أيضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلح امرار موسى على رأسه اقتداء بغيره ، وتشبها بالسلف الصالحين ، وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن ، وقد كان المراد منه أولا إظهار الجلد للكفار ، فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد ، سنة في حق من بعدهم . ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة إلى الاستحباب في حق القادر على الحرث ، وربما يزداد ضمنا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر ، فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر وهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح ، مع فتور الشهوة الوجه الثاني السعى في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه ، يتكثير ما به مباحاته

إذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ، ما روى عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيرا ويقول : إنما أنكح للولد ، وما روى من الأخبار في مذمة المرأة العقيم ، إذ قال عليه السلام <sup>(١)</sup> « خَصِيرٌ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ، خَيْرٌ مِنْ امْرَأَةٍ لَا تَلِدُ » وقال <sup>(٢)</sup> « خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَلُودُ الْوَدُودُ » وقال <sup>(٣)</sup> « سَوْدَاءُ وَلَوْ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَاءَ لَا تَلِدُ » وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة ، لأن الحسناء أصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة

الوجه الثالث : أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له ، كما ورد في الخبر : أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح . وفي الخبر <sup>(٤)</sup> « إِنَّ الْأَذْيَةَ تُعْرَضُ عَلَى الْمَوْتَى عَلَى أَطْبَاقٍ مِنْ نُورٍ » وقول القائل : إن الولد ربما لم يكن صالحا ، لا يؤثر . فإنه مؤمن ، والصالح هو الغالب على أولاد ذوى الدين ، لاسيما إذا عزم على تربيته ، وحمله على الصلاح . وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد ، برا كان أو فاجرا ، فهو مثاب على دعوته وحسناته فإنه من كسبه ، وغيره مؤاخذ بسينئاته ، فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى . ولذلك قال تعالى ( الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ ثَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ) <sup>(٥)</sup> أى ما نقصناهم من أعمالهم ، وجعلنا أولادهم مزيدا في إحسانهم الوجه الرابع : أن يموت الولد قبله ، فيكون له شفيعا . فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

( ١ ) حديث : خصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد . أبو عمر التوفاني في كتاب معاشر الأهلين ،

موقوفا على عمر بن الخطاب ، ولم أجده مرفوعا

( ٢ ) حديث : خير نساءكم الولود الودود . البيهقي . من حديث ابن أبي أديّة الصدفى ، قال البيهقي ، وروى

باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسل

( ٣ ) حديث : سوداء ولود خير من حسناء لا تلد . ابن حبان في الضعفاء ، من رواية بهز بن حكيم ، عن

أبيه ، عن جده ، ولا يصح

( ٤ ) حديث : إن الأذية تعرض على الموتى على أطباق من نور . رويناه في الأربعين المشهورة ، من رواية

أبي هدة عن أنس ، في الصدقة عن الميت وأبو هدة كذاب

(١) «إِنَّ الطِّفْلَ يَجْرُ بِأَبَوَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ» وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ (٢) «يَأْخُذُ بِثَوْبِهِ كَمَا أَنَا الْآنَ آخِذُ بِثَوْبِكَ» وَقَالَ أَيْضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ الْمَوْلُودَ يُقَالُ لَهُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَيَقِفُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيُظَلُّ مُحَبَّبًا أَيُّ مُمْتَلِكًا غَيْظًا وَغَضَبًا، وَيَقُولُ لَا أَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَأَبَايَ مَعِيَ، فَيُقَالُ أَذْخِلُوا أَبَوَيْهِ مَعَهُ الْجَنَّةَ» وَفِي خَبَرٍ آخَرَ (٣) «إِنَّ الْأَطْفَالَ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، عِنْدَ عَرْضِ الْخَلَائِقِ لِلْحِسَابِ فَيُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ اذْهَبُوا بِهِؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقِفُونَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُمْ مَرْحَبًا بِذُرَارِي الْمُسْلِمِينَ، ادْخُلُوا لِاحْسَابِ عَلَيْكُمْ؛ فَيَقُولُونَ: فَإِنَّ أَبَاؤَنَا وَأُمَّهَاتُنَا، فَيَقُولُ الْخَزَنَةُ إِنَّ آبَاءَكُمْ وَأُمَّهَاتَكُمْ لَيْسُوا بِمِثْلِكُمْ، إِنَّهُ كَانَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ وَسَيِّئَاتٌ فَهُمْ يُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا وَيُطَالَبُونَ، قَالَ فَيَتَضَاغُونَ وَيَضْجُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ضَجَّةً وَاحِدَةً، فَيَقُولُ اللَّهُ مُبَحَّانُهُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، مَا هَذِهِ الضَّجَّةُ؟ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا لَا نَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَعَ آبَائِنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى تَحَلَّوْا لَجْمَعٍ فَخَذُّوا بِأَيْدِي آبَائِهِمْ فَأَدْخِلُوهُمْ الْجَنَّةَ» وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) «مَنْ مَاتَ لَهُ اثْنَانِ مِنَ الْوَلَدِ فَقَدْ احْتَظَرَ بِخَطَارٍ مِنَ النَّارِ»

- (١) حديث : إن الطفل يجر أبويه إلى الجنة . ه . من حديث علي ، وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ ، إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة ، إذا هي احتسبت . وكلاهما ضعيف
- (٢) حديث : أنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك . م . من حديث أبي هريرة
- (٣) حديث : أن المولود يقال له ادخل الجنة ، فيقف على باب الجنة ، فيظل محببًا ، أي ممتلئًا غيظًا وغضبًا ويقول لا أدخل إلا وأبواي معي - الحديث . حب . في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، ولا يصح و . ن . من حديث أبي هريرة ، يقال لهم ادخلوا الجنة ، فيقولون حتى يدخل أبأؤنا ، فيقال ادخلوا الجنة أنتم وأبأؤكم . واسناده جيد
- (٤) حديث : إن الأبطال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب ، فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة ، فيقفون على باب الجنة ، فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ، ادخلوا لاحساب عليكم ، فيقولون أين أبأؤنا وأمهاتنا - الحديث بطوله . لم أجد له أصلا يعتمد عليه
- (٥) حديث : من مات له اثنان من الولد احتظر بخطار من نار . البرار ، والطبراني ، من حديث زهير ابن أبي علقمة : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ، انه مات لي ابنان سوى هذا ، فقال احتظرت من دون النار بخطار شديد . ولمسلم من حديث أبي هريرة ، في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة ، لقد احتظرت بخطار شديد من النار

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَتْلُغُوا الْجَنَّةَ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاثْنَانِ قَالَ وَاثْنَانِ»

وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره ، قال فانتبه من نومه ذات يوم ، وقال زوجونى زوجونى فزوجوه ، فسئل عن ذلك ، فقال لعل الله يرزقنى ولدا ويقبضه ، فيكون لى مقدمة فى الآخرة . ثم قال رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأنى فى جملة الخلائق فى الموقف ، وبى من العطش ماكاد أن يقطع عنقى ، وكذا الخلائق فى شدة العطش والسكر ، فنحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع ، عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة ، وأكواب من ذهب ، وهم يسقون الواحد بعد الواحد ، يتخللون الجمع ، ويتجاوزون أكثر الناس ، فمددت يدى إلى أحدهم ، وقلت اسقنى فقد أجهدتنى العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقى آباءنا ، فقلت ومن أنتم ؟ فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين . وأحد المعانى المذكورة فى قوله تعالى ( فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ <sup>(١)</sup> ) تقديم الأطفال إلى الآخرة

فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعه ، ان أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد الفائدة الثانية: التحصن عن الشيطان ، وكسر التوقان ، ودفع غوائل الشهوة ، وغض البصر وحفظ الفرج ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «مَنْ نَكَحَ فَقَدْ حَصَّنَ نِصْفَ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الْآخِرِ» وإليه الإشارة بقوله «عَلَيْكُمْ بِالْبَاءَةِ ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ الصَّوْمُ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وَجَاءٌ» وأكثر ما نقلناه من الآثار والخبار إشارة الى هذا المعنى ، وهذا المعنى دون الأول ، لان الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد ، فالنكاح كاف لشغله ، دافع لجمعه ، وصارف لشهر سيطوته . وليس من يجيب مولاه رغبة فى تحصيل رضاه ، كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل . فالشهوة والولد مقدران ، وبينهما ارتباط . وليس يجوز أن يقال المقصود اللذة والولد لازم منها ، كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل ، وليس مقصودا فى ذاته . بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة ، والشهوة باعثة عليه

( ١ ) حديث من مات له ثلاثة لم يتلغوا الجنة ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، قيل يا رسول الله واثنان ، قال واثنان : خ . من حديث أنس . ودون ذكر الاثنين . وهو عند أحمد بهذه الزيادة ، من حديث معاذ ، وهو متفق عليه ، من حديث أبي سعيد بلفظ أبا امرأة بنحو منه

وليعبرى في الشهوة حكمة أخرى سوى الارهاق الى الإيلاد ، وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت ، فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان ، اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذوقا لا ينفع ، فلو رغب العنين في لذة الجماع ، أو الصبي في لذة الملك والسلطنة ، لم ينفع الترغيب . واحدى فوائد لذات الدنيا ، الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله

فانظر الى الحكمة ، ثم الى الرحمة ، ثم الى التبعية الالهية كيف عييت تحت شهوة واحدة حياتان ، حياة ظاهرة وحياة باطنة ، فالحياة الظاهرة حياة المرء بقاء نسله ، فانه نوع من دوام الوجود ، والحياة الباطنة هي الحياة الاخرية ، فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام ، تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام ، فيستحث على العبادة الموصلة اليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها ، تيسر المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان . وما من ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا ، بل ذرات ملكوت السموات والارض ، الا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ما تحار العقول فيها ؛ ولكن انما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها ويقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها .

فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة ، وهم غالب الخلق ، فان الشهوة اذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى ، جرت الى اقتحام الفواحش واليه أشار بقوله عليه السلام عن الله تعالى «إِلَّا تَقَعْلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ» وان كان ملجما بلجام التقوى ، فغايتة أن يكف الجوارح عن اجابة الشهوة ، فيغض البصر ، ويحفظ الفرج ، فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر ، فلا يدخل تحت اختياره ، بل لا تزال النفس تجاذبه وتحذته بأمر الوقاع ، ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه في أكثر الاوقات ، وقد يمرض له ذلك في أثناء الصلاة ، حتى يجرى على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين يدي أخس الخلق لاستحيا منه ، والله مطلع على قلبه ، والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ، ورأس الأمور للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه ، والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق الا أن ينضاف إليه ضعف في البدن ، وفساد في المزاج ، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يتم نيك الناسك إلا بالنكاح



وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها . قال قتادة في معنى قوله تعالى ( وَلَا تُحْمَلْنَ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ <sup>(١)</sup> ) هو الغلظة وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالوا في معنى قوله تعالى ( وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا <sup>(٢)</sup> ) أنه لا يصبر عن النساء . وقال فياض بن نجيج : إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ، وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما ( وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ <sup>(٣)</sup> ) قال قيام الذكر . وهذه بلية غالبية ، إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين ، وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق ، فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم ، وإليه أشار عليه السلام بقوله « مَا رَأَيْتُ <sup>(١)</sup> مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أُغْلِبَ لِدَوِي الْأَلْبَابِ مِنْكُمْ » وإنما ذلك لهيجان الشهوة . وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللَّهُمَّ <sup>(٢)</sup> إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَقَلْبِي وَشَرِّ مَنِي » وقال « أَسْأَلُكَ <sup>(٣)</sup> أَنْ تُطَهِّرَ قَلْبِي وَتَحْفَظَ فَرْجِي » فا يستعيز منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره

وكان بعض الصالحين يكثر النكاح ، حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث ، فأنكر عليه بعض الصوفية ، فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة ، أو وقف بين يديه موقفا في معاملة ، فخطر على قلبه خاطر شهوة ؟ فقالوا يصيبنا من ذلك كثير ، فقال لو رضيت في عمري كله بمثل جالك في وقت واحد ، لما تزوجت ، لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي الانقذته ، فاستريح وارجع إلى شغلي ، ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية

وأنكر بعض الناس حال الصوفية ، فقال له بعض ذوى الدين : ما الذى تنكر منهم ؟ قال يا كلون كثيرا ، قال وأنت أيضا لو جمعت كما يجوعون ، لأكلت كما يأكلون ، قال ينكحون كثيرا ، قال وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون ، لنكحت كما ينكحون . وكان الجنيد يقول : أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت . فالزوجة على التحقيق قوت

( ١ ) حديث : ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لديوي الأبواب منك . م . من حديث ابن عمر ،

وانفقا عليه من حديث أبي سعيد ، ولم يسق لم لفظه

( ٢ ) حديث : اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشري مني . تقدم في الدعوات

( ٣ ) حديث : أسألك أن تطهر قلبي ، وتحفظ فرجي . هـ . في الدعوات من حديث أم سلمة رضي الله عنها

(١) البقرة : ٢٨٦ (٢) النساء : ٢٨ (٣) القلق : ٣

وسبب لطهارة القلب « ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> كُلَّ مَنْ وَقَعَ نَظْرُهُ عَلَى امْرَأَةٍ فَتَأَقَّتْ إِلَيْهَا نَفْسُهُ أَنْ يُجَامِعَ أَهْلَهُ » لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « رَأَى امْرَأَةً فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ فَقَضَى حَاجَتَهُ وَخَرَجَ » وقال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِصُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ ، فَإِنْ مَعَهَا مِثْلُ الَّذِي مَعَهَا » وقال عليه السلام <sup>(٣)</sup> لَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمَغِيْبَاتِ » وهي التي غاب زوجها عنها « فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ مَجْرَى الدِّمِ » قُلْنَا وَمِنْكَ قَالَ « وَمِنِّي وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ » قال سفيان بن عيينة : فاسلم معناه فاسلم أنا منه ، هذا معناه فإن الشيطان لا يسلم . وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم ، أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل ، وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ، ثم يغتسل ويصلى ، وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله ، وإخراج غدة الشيطان منه . وروى أنه جامع ثلاثاً من جواربه في شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة وقال ابن عباس <sup>(٤)</sup> خير هذه الأمة أكثرها نساء

ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب ، كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ، ولأجل فراغ القلب أيسر نكاح الأمة عند خوف العنت ، مع أن فيه أرقاق الولد وهو نوع إهلاك ، وهو محرم على كل من قدر على حرة ، ولكن أرقاق الولد أهون من إهلاك الدين ، وليس فيه إلا تنقيص الحياة على الولد مدة ، وفي اقتحام الفاحشة تقويت الحياة الأخروية التي تستحق الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها

وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس ، وبقي شاب لم يبرح ، فقال

( ١ ) حديث : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتأقت نفسه إليها أن يجامع أهله . أحمد . من حديث أبي كبشة الأنباري حين مرت به امرأة ، فوقع في قلبه شهوة النساء .

فدخل فأتى بعض أزواجه ، وقال فكذلك فافعلوا ، فإنه من أمثال أفعالكم اتيان الحلال واستاد جسد

( ٢ ) حديث جابر ، رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم ، والترمذي ، واللفظه وقال حسن صحيح

( ٣ ) حديث : لا تدخلوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم الحديث . ت . من حديث

جابر . وقال غريب . ولما من حديث عبد الله بن عمر ولا بدخله بعد يومى هذا على نفيحة

إلا ومعه رجل أو انسان

( ٤ ) حديث ابن عباس ، خير هذه الأمة أكثرها نساء يعنى النبي صلى الله عليه وسلم رواه . ح .

له ابن عباس هل لك من حاجة ؟ قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحيت من الناس ، وأنا الآن أهأبك وأجلك . فقال ابن عباس : ان العالم بمنزلة الوالد ، فما كنت أفضيت به الى أيك فافض الىّ به ، فقال اني شاب لازوجة لي ، وربما خشيت العنت على نفسي ، فربما استمنيت بيدي ، فهل في ذلك معصية ، فأعرض عنه ابن عباس ، ثم قال . أف وتف ، نكاح الامة خير منه ، وهو خير من الزنا . فهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مررد بين ثلاثة شرور ، أدناها نكاح الامة ، وفيه إرقاق الولد ، وأشد منه الاستمناء باليد ، وأفحشه الزنا ، ولم يطلق ابن العباس الإباحة في شيء منه ، لأنهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع في محذور أشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس ، فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة المطلقة ، ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتأكلة من الحشرات ، وإن كان يؤذن فيه عند أشراف النفس على الهلاك

فإذا في النكاح فضل من هذا الوجه ، ولكن هذا لا يعم الكل بل الأكثر ، فرب شخص قترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره ، فينعدم هذا الباعث في حقه ، ويبقى ماسبق من أمر الولد ، فان ذلك عام ، إلا للمسوح وهو نادر

ومن الطبائع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة ، فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع ، فان يسر الله له مودة ورحمة ، واطمأن قلبه بهن ، وإلا فيستحب له الاستبدال ، فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ، ويقال إن الحسن بن علي كان متكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امرأة ، وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد ، وبما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهن . وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن <sup>(١)</sup> « أَشَبَّهْتَ خَلْقِي وَخَلْقِي » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « حَسَنٌ مِنِّي وَحُسَيْنٌ مِنِّي عَلَى » فقيل إن كثرة نكاحه أخذ ما أشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث انه قال للحسن بن علي اشبهت خلقي وخلقى . قلت للعروف انه قال هذا اللفظ لجعفر بن ابى

طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ، ولكن الحسن ايضا كان يشبه النبي صلى الله

عليه وسلم ، كما هو متفق عليه من حديث ابى حنيفة ، ولترمذى ، وصححه ، وابن حبان من

حديث انس ، لم يكن احدا يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن

(١) حديث حسن منى وحسين منى على . لإحمد . من حديث المقداد بن معد يكرب ، بسند جيد

وتزوج المنيرة بن شعبة بثمانين امرأة ، وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ، ومن كان له اثنتان لا يحصى ، ومهما كان الباعث معلوما ، فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة ، فالمراد تسكين النفس ، فليُنظر اليه في الكثرة والقلة

الفائدة الثالثة . ترويح النفس وإيناسها بالمجاسة والنظر والملاعبة ، إراحة للقلب وتقوية له على العبادة ، فإن النفس ملول ، وهى عن الحق نفور ، لأنه على خلاف طبيعتها ، فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت ، وإذا روحت بالذات في بعض الأوقات قويت ونشطت : وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب ، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ، ولذلك قال الله تعالى ( لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا <sup>(١)</sup> ) وقال على رضى الله عنه ، روحوا القلوب ساعة ، فإنها إذا أكرهت عميت ، وفي الخبر <sup>(١)</sup> « عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٌ يُتَخَلَّوْ فِيهَا بِمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ » فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات . ومثله بلفظ آخر <sup>(٢)</sup> « لَا يَكُونُ الْعَاقِلُ ظَاعِنًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ ، تَزُودُ لِمَعَادٍ ، أَوْ مَرْمِيَةً لِمَعَاشٍ أَوْ لَذَّةً فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ » وقال عليه الصلاة والسلام <sup>(٣)</sup> « لِكُلِّ عَامِلٍ شِرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى » والشرية الجد والمكابدة بمحبة وقوة ، وذلك في ابتداء الارادة ، والفترة الوقوف للاستراحة . وكان أبو الدرداء يقول : إني لأستبجم نفسى بشيء من اللهو ، لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق

( ١ ) حديث : على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة فيها يناجي ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ،

وساعة يتخاوى فيها بمطعمه ومشربه . حب . من حديث أبي ذر ، في حديث طويل ، إن

ذلك في صحف ابراهيم

( ٢ ) حديث لا يكون العاقل ظاعنا إلا في ثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمية لمعاش ، أو لذة في غير محرم . حب

من حديث أبي ذر الطويل ، إن ذلك في صحف ابراهيم

( ٣ ) حديث : لِكُلِّ عَامِلٍ شِرَّةٌ ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى . أحمد ،

والطبراني ، من حديث عبد الله ابن عمر . وللترمذي نحو من هذا ، من حديث أبي هريرة

وقال حبيب صحيح

(٢) لأعراف : ١٨٩

وفي بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَنَّهُ قَالَ شَكُوتُ إِلَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَعْفِي عَنِ الْوَقَاحِ فُذِّلْنِي عَلَى الْهَرِيسَةِ » وهذا إن صح لا يحمل له إلا الاستعداد للاستراحة، ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة، فإنه استئثار للشهوة، ومن عدم الشهوة عدم الأكثر من هذا الأنس. وقال عليه الصلاة والسلام <sup>(٢)</sup> « حُبُّبَ إِلَى مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ الطَّيِّبِ، وَالنِّسَاءِ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ »

فهذه أيضا فائدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين، حتى أنها تطرد في حق المسوح ومن لا شهوة له، إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية، وقل من يقصد بالنكاح ذلك. وأما قصد الولد، وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو بما يكثر. ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجاري والخضرة وأمثالها، ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له

الفائدة الرابعة: تفرغ القلب عن تدير المنزل، والتكفل بشغل الطبخ والسكنس والفرش وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة. فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتمذر عليه العيش في منزله وحده، إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل، لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل. فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق، واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش. ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الزوجة الصالحة ليست من الدنيا، فإنها تفرغك للآخرة. وإنما تفرغها بتدير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا

(١) حديث: شكوت إلى جبريل ضعفي عن الوقاع فذلني على الهريسة. عد من حديث حذيفة وابن عباس والعقيلي من حديث معاذ وجابر بن سمرة وابن جبان في الضعفاء من حديث حذيفة والأزد في الضعفاء من حديث أبي هريرة، بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدي موضوع. وقال العقيلي باطل

(٢) حديث: حبيب إلى من دنياكم الطيب والنساء، وقرة عيني في الصلاة. ن. ك. من حديث أنس بإسناد جيد وضعفه العقيلي

وقال محمد بن كعب القرظي ، في معنى قوله تعالى ( رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً <sup>(١)</sup> ) قال المرأة الصالحة ، وقال عليه الصلاة والسلام <sup>(٢)</sup> « لِيَتَّخِذَ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا ، وَلِسَانًا ذَاكِرًا ، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً صَالِحَةً تُعِينُهُ عَلَى آخِرَتِهِ » فانظر كيف جمع بينها وبين الذكرو والشكر وفي بعض التفاسير في قوله تعالى ( فَلَنُحْيِيَنَّهَا حَيَاةً طَيِّبَةً <sup>(٣)</sup> ) قال الزوجة الصالحة ، وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول ما أعطى العبد بعد الايمان بالله خيرا من امرأة صالحة ، وإن منهن غما لا يحذى منه ، ومنهن غلا لا يفدى منه . وقوله لا يحذى أى لا يعتاض عنه ببطاء وقال عليه الصلاة والسلام <sup>(٤)</sup> « فَضَلْتُ عَلَى آدَمَ مِخْصَلَتَيْنِ : كَأَنْتَ زَوْجَتُهُ عَوْنًا لَهُ عَلَى الْعِصْيَةِ ، وَأَزْوَاجِي أَغْوَانٌ لِي عَلَى الطَّاعَةِ ، وَكَأَنَّ شَيْطَانَهُ كَافِرًا ، وَشَيْطَانِي مُسْلِمٌ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِخَيْرٍ » فعد معاونها على الطاعة فضيلة

فهذه أيضا من الفوائد التي يقصدها الصالحون ، إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ، ولا تدعو إلى امرأتين ، بل الجمع ربما ينقص المعيشة ، وتضطرب به أمور المنزل . ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها ، وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر ، فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة ، ولذلك قيل : ذل من لا ناصر له ، ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله ، وفرغ قلبه للعبادة ، فإن الذل مشوش للقلب ، والعز بالكثرة دافع للذل .

الفائدة الخامسة : مجاهدته النفس ورياضتها بالرعاية والولاية ، والقيام بحقوق الأهل ، والصبر على أخلاقهن ، واحتمال الأذى منهن ، والسعى في إصلاحهن ، وارشادهن إلى طريق الدين ، والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن ، والقيام بتربيته لأولاده . فكل هذه أعمال عظيمة الفضل ، فإنها رعاية وولاية ، والأهل والولد رعية ، وفضل الرعاية عظيم ، وإنما يحتوز

(۱) حدیث: لیتخذ أحدکم قلبا شا کرا ولسانادا کرا وزوجة مؤمنة تعينه علی آخرته . ت . وحسنه ، و . ه .

واللفظ له من حديث وفيه انقطاع

(٢) حديث: فضلت علي آدم صلى الله عليه وسلم بمخطين، كانت زوجته عوناً له على العصية، وأزواجي أعوان لي على الطاعة. وكان شيطانه كافراً، وشيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير. رواه الخطيب في التاريخ، من حديث ابن عمر، وفيه محمد بن وليد بن أبان بن القلاسي، قال ابن عدي كان يضع الحديث. وأسلم من حديث ابن مسعود، ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال بئنا بالذين لا نرى الله تعالى عليه فسلم ولم يأمرني إلا بخير.

منها من يحترز ، خيفة من القصور عن القيام بحقها وإلا فقد قال عليه الصلاة والسلام <sup>(١)</sup> « يَوْمٌ مِنْ وَالٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً » ثم قال <sup>(٢)</sup> « أَلَا كُلُّكُمْ رَايِعٌ وَكُلُّكُمْ مَسْتُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره ، كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط ، ولا من صبر على الأذى ، كمن رفه نفسه وأراحها ، ففكاسة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله . ولذلك قال بشر . فضل على أحمد بن حنبل ثلاث : إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره . وقد قال عليه الصلاة والسلام <sup>(٣)</sup> « مَا أَنْفَقَهُ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ فِي اللِّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِهِ » وقال بعضهم لبعض العلماء : من كل عمل أعطاني الله نصيبا ، حتى ذكر الحيج والجهاد وغيرهما ، فقال له أين أنت من عمل الإبدال ؟ قال وما هو ؟ قال كسب الحلال ، والنفقة على العيال . وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو : تعلمون عملا أفضل مما نحن فيه ؟ قالوا ما نعلم ذلك ، قال أنا أعلم ، قالوا فما هو ؟ قال رجل متعفف ذو عائلة ، قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه ، فعمله أفضل مما نحن فيه . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « مَنْ حَسَنَتْ صَلَاتُهُ ، وَكَثُرَ عِيَالُهُ ، وَقَلَّ مَالُهُ ، وَلَمْ يَغْتَبِ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وفي حديث آخر <sup>(٥)</sup> « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ » وفي الحديث <sup>(٦)</sup> « إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ

(١) حديث : يوم من وال عادل أفضل من عبادة تسعين سنة ، ثم قال ألا كلكم رايع وكلكم مسئول عن رعيته . طب و هو ، من حديث ابن عباس ، وقد تقدم بلفظ ستين سنة ، دون ما بعده فانه متفق عليه من حديث ابن عمر

(٢) حديث : ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة ، وإن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في امرأته ، خ . م . من حديث ابن مسعود ، اذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو محتسبها ، كانت له صدقة . ولها من حديث سعد بن أبي وقاص ، ومهما أنفقت فهو لك صدقة ، حتى اللقمة ترفعها الى في امرأتك (٣) حديث : من حسنت صلاته ، وكثر عياله ، وقل ماله ، ولم يغتب المسلمين ، كان معي في الجنة كهاتين .

أبو يعلى من حديث أبي سعيد الجذري ، بسند ضعيف

(٤) حديث : إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال . م . من حديث عمران بن حصين ، بسند ضعيف

(٥) حديث : إنا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها . أحمد من حديث عائشة ، إلا أنه قال في الحديث فيه ليث بن أبي سليم يختلف فيه

العبد، ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه» وقال بعض السلف : من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا النعم بالعيال . وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> أنه قال « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا اللهم يطلب المعيشة » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « من كان له ثلاث بنات فأفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة البتة البتة إلا أن يعمل عملاً لا يفقر له » كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال : والله هو من غرائب الحديث وغرره

وروى أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت ، فعرض عليه الزواج ، فامتنع وقال : الوحدة روح قلبي ، وأجمع لمي . ثم قال : رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها ، كأن أبواب السماء فتحت ، وكان رجالا ينزلون ويسرون في الهواء ، ينبع بعضهم بعضاً ، فكلمنا نزل واحد نظر إلى وقال لمن وراءه ، هذا هو المشثوم ، فيقول الآخر نعم ، ويقول الثالث كذلك ، ويقول الرابع نعم ، نخفت أن أسألهم هية من ذلك ، إلى أن مر بي آخرهم ، وكان غلاماً ، فقلت له يا هذا : من هذا المشثوم الذي تومثون إليه ؟ فقال أنت ، فقلت ولم ذاك ؟ قال كنا نرفع عملك في أعمال المجاهدين في سبيل الله ، فنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع الخالفين ، فاندري ما أحدثت ، فقال لاخوانه : زوجوني زوجوني فلم يكن تقارقه زوجتان أو ثلاث . وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام ، إن قومادخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم ، فكان يدخل ويخرج إلى منزله ، فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت ، فتعجبوا من ذلك ، فقال لا تعجبوا ، فاني سألت الله تعالى وقلت : ما أنت معاقب لي به في الآخرة ، فمجله لي في الدنيا . فقال إن عقوبتك بنت فلان تتزوج بها ، فتزوجت بها ، وأنا صابر على ماترون منها . وفي الصبر على ذلك رياضة النفس

(١) حديث : من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا اللهم يطلب المعيشة . الطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الحلية

والخطيب في التلخيص المتشابه ، من حديث أبي هريرة ، بإسناد ضعيف

(٢) حديث : من كان له ثلاث بنات فأفق عليهن ، وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه ، أوجب الله له الجنة

البتة ، إلا أن يعمل عملاً لا يفقر له . الخرائطي في مكارم الأخلاق ، من حديث ابن عباس ، بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر . ولأبي داود واللفظ له ، والترمذي من حديث أبي سعيد من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن ، فله الجنة ، ورجالته ماتت ، وفي سنده اختلاف



وكسر الغضب ، وتحسين الخلق ، فان المنفرد بنفسه ، أو المشارك لمن حسن خلقه ، لا تترشح منه خبائث النفس الباطنة ، ولا تنكشف بواطن عيوبه . فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه بالتعرض لأمثال هذه المحربات ، واعتياد الصبر عليها ، لتعتدل أخلاقه ، وترتاض نفسه . ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه . والصبر على العيال مع أنه رياضة ومجاهدة تكفل لهم ، وقيام بهم ، وعبادة في نفسها

فهذه أياضاً من الفوائد ، ولكنه لا ينتفع بها إلا أحد رجلين ، إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق ، لكونه في بداية الطريق ، فلا يبعد أن يرى هذا طريقاً في المجاهدة وترتاض به نفسه ، وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطل ، وحركة بالفكر والقلب وإنما عمله عمل الجوارح ، بصلاة أو حج أو غيره ، فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه ، التي لا تعدى خيرها إلى غيره ، فإما الرجل المذهب الأخلاق ، إما بكفاية في أصل الخلقة ، أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي أن يتزوج لهذا الغرض ، فان الرياضة هو مكني فيها . وأما العبادة في العمل بالكسب لهم ، فالعلم أفضل من ذلك لأنه أيضاً عمل وفائده أكثر من ذلك ، وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة

## آفات النكاح

أما آفات النكاح فثلاث

الأولى : وهي أقواها المعجز عن طلب الحلال . فان ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب المعاش ، فيكون النكاح سبباً في التوسع للطلب والاطعام من الحرام ، وفيه هلاكه وهلاك أهله ، والمتعزب في أمن من ذلك ، وأما المتزوج ففي الأكثر يدخل في مداخل سوء فيتبع هوى زوجته ، ويتبع آخرته بدياه ، وفي الخبر <sup>(١)</sup> «إِنَّ الْمَبْدَ

(١) حديث : إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ، فيسأل عن رعاية عياله والقيام

بهن . الخ . ثم أقف له على أصله

فَيُوقِفُ عِنْدَ الْمِيزَانِ وَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ فَيَسْأَلُ عَنْ رِقَايَةِ عَائِلَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهِمْ  
وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، حَتَّى يَسْتَعْرِقَ تِلْكَ الْمُطَالَباتِ كُلَّ أَعْمَالِهِ  
فَلَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ ، فَيُنَادِي الْمَلَائِكَةَ : هَذَا الَّذِي أَكَلَ عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَارْتَمَى  
الْيَوْمَ بِأَعْمَالِهِ ، وَيَقَالُ إِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالرَّجُلِ فِي الْقِيَامَةِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ ، فَيُوقَفُونَهُ بَيْنَ يَدَيِ  
اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا خُذْ لَنَا بِحَقِّنَا مِنْهُ ، فَانْهَ مَاعِلَمُنَا مَانَجْهَلُ ، وَكَانَ يَطْعَمُنَا الْحَرَامَ وَنَحْنُ  
لَا نَعْلَمُ ، فَيَقْتَصِرُ لَهُمْ مِنْهُ ، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ شَرِّهِ ، سُلْطَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا أَنْيَابًا  
تَنْهَشُهُ ، بِعَنِ الْعِيَالِ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ <sup>(١)</sup> : « لَا يَلْقَى اللَّهُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ أَكْثَرَ مِنْ جَهْلَةِ أَهْلِهِ »  
فهذه آفة عامة ، قل من يتخلص منها ، إلا من له مال موروث أو مكتسب من حلال  
يُنْفِقُ بِهِ وَأَهْلَهُ ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْقَنَاعَةِ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الزِّيَادَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَتَخَلَّصُ مِنْ هَذِهِ الْآفَةِ . أَوْ  
مَنْ هُوَ مُحْتَرِفٌ وَمُقْتَدِرٌ عَلَى كَسْبِ حَلَالٍ مِنَ الْمُبَاهَاتِ ، بِاحْتِطَابٍ أَوْ اصْطِيَادٍ . أَوْ كَانَ  
فِي صِنَاعَةٍ لَا تَتَعَلَّقُ بِالسَّلَاطِينِ ، وَيَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَعَامَلَ بِهِ أَهْلُ الْخَيْرِ . وَمَنْ ظَاهَرَهُ السَّلَامَةُ ،  
وْغَالِبَ مَالِهِ الْحَلَالُ . وَقَالَ ابْنُ سَالِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ سئلَ عَنِ التَّزْوِيجِ فَقَالَ : هُوَ أَفْضَلُ فِي زَمَانِنَا  
هَذَا لِمَنْ أَدْرَكَهُ شَبَقُ غَالِبٍ مِثْلِ الْحَمَارِ يَرَى الْأَنَانَ فَلَا يَنْتَهِي عَنْهَا بِالضَّرْبِ ، وَلَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ  
فَإِنْ مَلَكَ نَفْسَهُ فَتَرَكَهُ أَوَّلَى

الآفة الثانية : التصور عن القيام بحقوقهم ، والصبر على أخلاقهم ، واحتمال الأذى منهم  
وهذه دون الأولى في العموم فإن القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى ، وتحسين الخلق  
مع النساء ، والقيام بمحظوظهن أهون من طلب الحلال ، وفي هذا أيضا خطر ، لأنه راع  
ومسؤول عن رعيته . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ <sup>(٢)</sup> : « كُنْ بِالنِّسَاءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ »  
وَرَوَى أَنَّ الْمَهَارَ مِنْ عِيَالِهِ بِمَنْزِلَةِ الْعَبْدِ الْمَهَارَبِ الْآبِقِ لَا يَقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ حَتَّى يَرْجِعَ  
إِلَيْهِمْ ، وَمَنْ يَقْصُرُ عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّهِمْ ، وَإِنْ كَانَ حَاضِرًا ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ هَارِبٍ ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى

(١) حديث : لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله . ذكره صاحب الفردوس ، من حديث أبي سعيد  
والمعتمد عليه أبو منصور في مستدركه .

(٢) حديث : كن بالنساء إثمًا أن يضيع من يعول . د. ن. بلفظ من يقول ، وهو عند . م. بلفظ آخر

« قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا » أمرنا أن نقيم النار كما نقي أنفسنا ، والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه ، واذا تزوج تضاعف عليه الحق ، وانضافت الى نفسه نفس أخرى ، والنفس أمانة بالسوء ، ان كثرت كثرا الامر بالسوء ، غالبا ولذاك اعتذر بعضهم من التزويج ، وقال أنا مبتلى بنفسي وكيف أضيف اليها نفسا أخرى ، كما قيل

لن يسع الفأرة جحرها \* علق المكنس في دبرها

وكذلك اعتذر ابراهيم بن أدهم رحمه الله وقال : لا أغر امرأة بنفسي ، ولا حاجة لي فيهن أى من القيام بحقهن وتحسينهن وامتاعهن وأنا عاجز عنه . وكذلك اعتذر بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ » وكان يقول : لو كنت أعول وجاجة لحقت أن أصير جلادا على الجسر ، ورؤى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان ، فقيل له ما هذا موقفك ؟ فقال : وهل رأيت ذاعيال أفلح ؟ وكان سفيان يقول

يا حبذا العزبة والمفتاح \* ومسكن تحرقه الرياح \* لا صخب فيه ولا صياح

فهذه آفة عامة أيضا ؛ وان كانت دون عموم الاولى ، لا يسلم منها الا حكيم عاقل ، وحسن الأخلاق ، بصير بعبادات النساء ، صبور على لسانهن ، وقاف عن اتباع شهواتهن ، حريص على الوفاء بحقهن ، يتغافل عن زللن ؛ ويدارى بعقله أخلاقهن . والاعل على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش ، وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف . ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لاحالة ، فالوحدة أسلم له .

الآفة الثالثة : وهى دون الاولى والثانية ، أن يكون الأهل والولد شاغلين عن الله تعالى وجاذبه إلى طلب الدنيا ، وحسن تدبير المعيشة للاولاد ، بكثرة جمع المال وادخاره لهم ، وطلب التفاخر والتكاثر بهم . وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشؤم على صاحبه ، ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محذور ، فان ذلك مما اندرج تحت الآفة الاولى والثانية ، بل أن يدعو إلى التمتع بالمباح ، بل الاغراق في ملاعبة النساء وموانستن ، والامعان في التمتع بهن ، ويشور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس ، تستغرق القلب ، فينقض الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد لها . ولذلك قال

إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، من تمود أنفاذ النساء لم يحىء منه شيء . وقال أبو سلمان رحمه الله ، من تزوج فقد ركن إلى الدنيا . أى يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا  
فهذه مجامع الآفات والفوائد

فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور ، بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكما ، ويعرض المرید عليه نفسه فان انتفت في حقه الآفات ، واجتمعت الفوائد بان كان له مال حلال ، وخلق حسن ، وجد في الدين تام ، لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة ، فلا يمارى في أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى في تحصيل الولد . فان انتفت الفوائد واجتمعت الآفات ، فالعزوبة أفضل له . وان تقابل الامران وهو الغالب ، فينبغى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان منه ، فاذا غلب على الظن رجحان أحدهما ، حكم به . وأظهر الفوائد الولد ، وتسكين الشهوة ، وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله ، فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول

من لم يكن في أذية من الشهوة ، وكانت فائدة نكاحه في السعى لتحصيل الولد ، وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله ، فالعزوبة له أولى . فلا خير فيما يشغل عن الله ، ولا خير في كسب الحرام : ولا يبنى بنقصان هذين الامرين أمر الولد ، فان النكاح للولد سعى في طلب حياة للولد موهومة ، وهذا نقصان في الدين ناجز . لحفظه حياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعى في الولد ، وذلك ربح ، والدين رأس مال ، وفي فساد الدين بطلان الحياة الاخرية ، وذهاب رأس المال . ولا تقاوم هذه الفائدة احدى هاتين الآفتين . وأما اذا انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة ، لتوقان النفس إلى النكاح ، نظر ، فان لم يقو لجام التقوى في رأسه ، وخاف على نفسه الزنا ، فالنكاح له أولى . لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا ، أو يأكل الحرام ، والكسب الحرام أهون الشرين . وان كان يثق بنفسه أنه لا يزنى ؛ ولكن لا يقدم مع ذلك على غرض البصر عن الحرام ، فترك النكاح أولى لأن النظر حرام ، والكسب من غير وجهه حرام ، والكسب يقع دائما ، وفيه عصيانا وعصيان أهله

والنظر يقع أحيانا ، وهو يخصه ، وينصرم على قرب . والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام ، الا أن يخاف افضاء النظر إلى معصية الفرج ؛ فيرجع ذلك الى خوف العنت . واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ، ولكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب الى العفو أقرب ، وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه

فهكذا ينبغي أن توزن هذه الآفات بالفوائد ، ويحكم بحسبها : ومن أحاط بهذا لم يشكك عليه شيء مما نقلنا عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ، ورغبة عنه أخرى ، اذ ذلك بحسب الأحوال صحيح .

فان قلت . فمن أمن الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟

فأقول يجمع بينهما ، لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ، ولكن من حيث الحاجة الى الكسب . فان قدر على الكسب الحلال ، فالنكاح أيضا أفضل ، لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة ، والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرقا للأوقات بالكسب ، حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة ، فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلاة النافلة ، أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية ، فالنكاح له أفضل ، لان في كسب الحلال والقيام بالأهل ، والسعى في تحصيل الولد ، والصبر على أخلاق النساء ، أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات . وان كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن ، والكسب يشوش عليه ذلك ، فترك النكاح أفضل .

فان قلت . فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله ، وان كان الأفضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج ؟ فاعلم ان الأفضل الجمع بينهما في حق من قدر ، ومن قويت مته ، وعلت همته ، فلا يشغله عن الله شغل . ورسولنا عليه

السلام أخذ بالقوة ، وجمع بين فضل العبادة والنكاح ، ولقد كان مع <sup>(١)</sup> تسع من النسوة متخليا لعبادة الله ، وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع ، كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعاً لهم عن التدبير ، حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة ، وقلوبهم مشغوفة بهمهمهم ، غير غافلة عن مهماتهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته ، لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى <sup>(٢)</sup> فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ، ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره ، فلا يبعد أن يغير السواقي ما لا يغير البحر الخضم ، فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره .

وأما عيسى صلى الله عليه وسلم فإنه أخذ بالحزم بالقوة ، واحتاط لنفسه ، ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل ، أو يتعذر معها طلب الحلال ، أو لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فأثر التخلي للعبادة . وهم أعلم بأسرار أحوالهم ، وأحكام أعصارهم . في طيب المكاسب وأخلاق النساء ، وما على الناكح من غوائل النكاح ، وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال منقسمة ، حتى يكون النكاح في بعضها أفضل ، وتركه في بعضها أفضل . ففقدنا أن نزل أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال ، والله أعلم .

## الباب الثاني

فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد

## العقد

أما العقد فأركاناه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة :

الأول : إذن الولي ، فإن لم يكن فالسلطان .

الثاني : رضا المرأة إن كانت ثيباً بالغاً ، أو كانت بكرًا بالغاً ، ولكن يزوجها غير الأب والجد .

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة . خ . من حديث أنس ، وله من حديثه أيضا ، وهن إحدى عشرة

(٢) حديث : كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته . خ . من حديث أنس . يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة ، فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة متكنن غيرها .

الثالث: حضور شاهدين ظاهري العدالة ، فان كانا مستورين حكمنا بالانقضاء للحاجة .  
الرابع: إيجاب وقبول متصل به ، بانقضاء الإنكاح أو التزويج أو معناهما الخاص بكل لسان  
من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة ، سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما .

وأما آدابه ، فتقديم الخطبة مع الولي ، لافي حال عدة المرأة ، بل بعد انقضائها إن كانت  
معتدة ، ولا في حال سبق غيره بالخطبة ، إذ نهى عن الخطبة على الخطبة <sup>(١)</sup>

ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ، ومزج التحميد بالإيجاب والقبول ، فيقول المزوج :  
الحمد لله ، والصلاة على رسول الله ، زوجتك ابنتي فلانة . ويقول الزوج : الحمد لله ، والصلاة  
على رسول الله ، قبلت نكاحها على هذا الصداق . وليكن الصداق معلوما خفيفا . والتحميد  
قبل الخطبة أيضا مستحب

ومن آدابه أن يلقي أمر الزوج إلى سمع الزوجة ، وإن كانت بكرا . فذلك أخرى وأولى  
بالآلفة ، ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح ، فانه أخرى أن يؤدم بينهما .

ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح ، زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنا للصحة  
ومنها أن ينوى بالنكاح إقامة السنة ، وغض البصر ، وطلب الولد ، وسائر الفوائد  
التي ذكرناها . ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع ، فيصير عمله من أعمال الدنيا . ولا  
يمنع ذلك هذه النيات ، فرب حق يوافق الهوى . قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : إذا  
وافق الحق الهوى فهو الزبد بالزسيان . لا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس  
وحق الدين باعثا معا . ويستحب أن يعقد في المسجد ، وفي شهر شوال . قالت عائشة رضي  
الله عنها <sup>(٢)</sup> تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ، وبني بي في شوال .

وأما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان أحدهما للحل ، والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد .

النوع الأول ما يعتبر فيها الحل . وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح . والموانع تسعة عشر

(١) حديث : النهى عن الخطبة على الخطبة ، متفق عليه ، من حديث ابن عمر : ولا يخطب على خطبة أخيه

حتى يترك الخاطب قبله ، أو يأذن له

(٢) حديث عائشة : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ، وبني بي في شوال ، رواه . م

الأول : أن تكون منكوحة للغير .

الثاني : أن تكون معتدة للغير ، سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة . أو كانت في استبراء وطء عن ملك يمين .

الثالث : أن تكون مرتدة عن الدين ، لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر .

الرابع : أن تكون مجوسية

الخامس : أن تكون وثنية أو زندقية ، لا تنسب إلى نبي وكتاب . ومنهن المعتقدات لمذهب الإباضية ، فلا يحل نكاحهن . وكذلك كل معتقدة مذهباً فاسداً يحكم بكفر معتقده السادس : أن تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل ، أو بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فليست من نسب بني إسرائيل . فإذا عدت كلتا الخصلتين ، لم يحل نكاحها . وإن عدت النسب فقط ، ففيه خلاف .

السابع : أن تكون رقيقة ، والنكاح حراً قادراً على طول الحرية ، أو غير خائف من العنت

الثامن : أن تكون كلها أو بعضها مملوكاً للنكاح ملك يمين

التاسع : أن تكون قريبة للزوج ، بأن تكون من أصوله ، أو فصوله ، أو فصول أول أصوله ، أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل . وأعني بالأصول الأمهات والجذات ، وبفصوله الأولاد والأحفاد ، وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم ، وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والخالات دون أولادهن .

العاشر : أن تكون محرمة بالرضاع . ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كما سبق ، ولكن المحرم خمس رضعات ، وما دون ذلك لا يحرم

الحادي عشر : المحرم بالمصاهرة ، وهو أن يكون النكاح قد نكح ابنتها أو جدتها ، أو نكح بعقد أو شبهة عقد من قبل ، أو وطنهن بالشبهة في عقد ، أو وطئ أمها أو إحدى جدها بعقد أو شبهة عقد ، فجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ، ولا يحرم فروعها إلا بالوطء . أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل

الثاني عشر : أن تكون المنكوحة خامسة ، أي يكون تحت النكاح أربع سواها ،

إما في نفس النكاح أو في عدة بينونة لم تمنع الخامسة



الثالث عشر: أن يكون تحت النكاح أختها، أو عمته أو خالتها، فيكون بالنكاح جامعا بينهما. وكل شخصين بينهما قرابة، لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يحزن بينهما النكاح، فلا يجوز أن يجمع بينهما  
الرابع عشر: أن يكون هذا النكاح قد طلقها ثلاثا، فهي لا تحل له ما لم يطأها زوج غيره في نكاح صحيح

الخامس عشر: أن يكون النكاح قد لاعنها، فانها تحرم عليه أبدا بعد اللعان  
السادس عشر: أن تكون محرمة بحج أو عمرة، أو كان الزوج كذلك، فلا ينعقد النكاح إلا بعد تمام التحلل  
السابع عشر: أن تكون ثيبا صغيرة، فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ  
الثامن عشر: أن تكون يتيمة، فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ  
التاسع عشر: أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ممن توفي عنها أو دخل بها، فإِنَّهن أمهات المؤمنين. وذلك لا يوجد في زماننا  
فهذه هي الموانع المحرمة

أما الخصال المطيبة للعيش، التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم المقدر، وتتوفر مقاصده، ثمانية: الدين، والخلق، والحسن، وخفة المهر، والولادة، والبكارة، والنسب وأن لا تكون قرابة قريبة.

الأولى: أن تكون صالحة ذات دين، فهذا هو الأصل، وبه ينبغي أن يقع الاعتناء. فانها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها، أزرت بزواجها، وسودت بين الناس وجهه، وشوشت بالغيرة قلبه، وتنقص بذلك عيشه. فإن سلك سبيل الحمية والغيرة، لم يزل في بلاء ومحنة. وإن سلك سبيل التساهل، كان متهاونا بدينه وعرضه، ومنسوبا إلى قلة الحمية والانفة. وإذا كانت مع الفساد جميلة، كان بلاؤها أشد، إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها، ولا يصبر عليها، ويكون كالذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>

(١) حديث: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي امرأة لا ترد بد لاس قال طلقها الحديث  
ون من حديث ابن عباس قال ن ليس بثابت والرسول أولى بالصواب وقال أحمد حديث منكر  
وذكره ابن الجوزي في الموضوعات

وقال «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي امْرَأَةً لَا تَرْضِي لِي لَأَمْسِي، قَالَ طَلَّقْهَا. فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّهَا قَالَ أَمْسِكْهَا» وإنما أمره بامساكها، خوفاً عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه، وفسدها أيضاً معها فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى

وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله، أو بوجه آخر. لم يزل العيش مشوشاً معه. فإن سكنت ولم ينكره، كان شريكاً في المصيبة. بخلاف لقوله تعالى (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) (١) وإن أنكر وخصم، تنفص العمر. ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحريض على ذات الدين، فقال (١) «تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا وَحَسَبِهَا وَدِينِهَا، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبْتُ يَدَكَ» وفي حديث آخر (٢) «مَنْ نَكَحَ الْمَرْأَةَ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا حُرِّمَ جَمَالُهَا وَمَالُهَا وَمَنْ نَكَحَهَا لِدِينِهَا رَزَقَهُ اللَّهُ مَالَهَا وَجَمَالَهَا» وقال صلى الله عليه وسلم (٣) لَا تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِجَمَالِهَا فَلَعَلَّ جَمَالَهَا يُرْدِيهَا وَلَا لِمَالِهَا فَلَعَلَّ مَالَهَا يُطْغِيهَا وَأَنْكَحِ الْمَرْأَةَ لِدِينِهَا» وإنما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين. فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له.

الثانية: حسن الخلق. وذلك أصل مهم في طلب الفراغة والاستمئانة على الدين، فإنها إذا كانت سليطة بذية اللسان، سيئة الخلق كافرة للنعم، كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتجن به الأولياء، قال بعض العرب، لا تنكحوا من النساء ستة: لا أمانة ولا مئانة، ولا حنافة، ولا تنكحوا حداقة، ولا براقة ولا شداقة. أما الأمانة، فهي التي تكثر الأنين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة. فنكاح المراضة أو نكاح الممارضة لا خير فيه. والمئانة التي تمن على زوجها فتقول فملت لأجلك كذا وكذا. والحنافة التي تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر، وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه، والحدافة التي ترمي

(١) حديث: تنكح المرأة للمال وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين: متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث: من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم ما لها وجمالها والحديث: الطبراني في الأوسط من حديث أنس

من زوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقرًا ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغضب بصره ويحسن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب في الضعفاء .

(٣) حديث: لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرد بها من حديث عبد الله بن عمر وبمسند ضعيف .

هذا هو الصحيح : ٩

إلى كل شيء بمحدثها فتشبهه ، وتكلف الزوج شراؤه . والبراقة تحتل معنيين ، أحدهما أن تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ، ليكون لوجهها بريق يحصل بالصنع ، والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها ، وتستقل نصيبها من كل شيء ، وهذه لغة يمانية ، يقولون برقت المرأة ، وبرق الصبي الطعام ، إذا غضب عنده : والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام . ومنه قوله عليه السلام <sup>(١)</sup> « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْغُضُ الثَّرَائِرَ الْمُتَشَدِّقِينَ » وحكى أن السائح الأزدي لقي الياس عليه السلام في سياحة فأمره بالتزويج ونهاه عن التبتل . ثم قال ، لا تنكح أربعا : المختلة ، والمبارية ، والعاهرة ، والناشر . فأما المختلة ، فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب . والمبارية المباهية بغيرها ، المفاخرة بأسباب الدنيا . والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخن ، وهي التي قال الله تعالى « وَلَا تُتَخَذَاتِ أَخْدَانٌ » <sup>(٢)</sup> والناشر التي تملو على زوجها بالفعال والمقال . والنشر العالي من الأرض وكان على رضى الله عنه يقول : شر خصال الرجال خير خصال النساء ، البخل ، والزهو ، والجبن . فان المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها . وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب . وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة ، خيفة من زوجها

فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح

الثالثة : حسن الوجه . فذلك أيضا مطلوب ، إذ به يحصل التحصن . والطبع لا يكتفى بالديممة غالبا ؛ كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان . وما تقلناه من الحث على الدين وإن المرأة لا تنكح لجمالها ، ليس زجرا عن رماية الجمال . بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين . فان الجمال وحده في غالب الامر يرغب في النكاح ، ويهون أمر الدين . ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال ، أن الالف والمودة تحصل به غالبا ، وقد ندب

(١) حديث : ان الله يَغْضُ الثَّرَائِرَ الْمُتَشَدِّقِينَ : وتحسنه من حديث جابر وأن ابنه إلى وأبعدكم من يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والنفيعون ولأبي داود والترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن عمر وان الله يَغْضُ البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه لتحلل الباقرة بلسانها

الشرع إلى مراعاة أسباب الالفة، ولذلك استحب النظر. فقال «<sup>(١)</sup> إِذَا أَوْقَعَ اللَّهُ فِي نَفْسٍ أَحَدِكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَهُمَا» أى يؤلف بينهما، من وقوع الأدمة على الأدمة، وهى الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة. وانما ذكر ذلك للمبالغة فى الائتلاف

وقال عليه السلام «<sup>(٢)</sup> إِنْ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْهُنَّ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِنَّ» قيل كان فى اعينهن عמש. وقيل صغر

وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر، احترازاً من الغرور، وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فأخذه ثم وغم : ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال من القبح

وروى أن رجلاً تزوج على عهد عمر رضى الله عنه، وكان قد خضب، فنصل خضابه، فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر، وقالوا حسبناه شاباً فأوجعه عمر ضرباً. وقال غررت القوم وروى أن بلالاً وصهيباً أتيا أهل بيت من العرب، فخطبا اليهم، فقبل لهما من أتما؟ فقال بلال أنا بلال، وهذا أخى صهيب، كنا ضالين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا عائلين فأغنانا الله. فان تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فسبحان الله. فقالوا بل تزوجان، والحمد لله. فقال صهيب لبلال، لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال اسكت، فقد صدقت فأنكحك الصدق

والغرور يقع فى الجمال والخلق جميعاً، فيستحب إزالة الغرور فى الجمال بالنظر، وفى الخلق بالوصف والاستينصاف. فينبغى أن يقدم ذلك على النكاح، ولا يستوصف فى أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق، خبير بالظاهر والباطن، ولا يعيل إليها فيفرط فى الثناء،

- (١) حديث : اذا أوقع الله فى نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فانه أخرى أن يؤدم بينهما : ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة دون قوله فانه أخرى وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظر إليها فانه أخرى أن يؤدم بينهما
- (٢) حديث : إن فى أعين الانصار شيئاً فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن : مسلم من حديث أبي هريرة نحوه

ولا يحسدها فيقصر . فالطباع مائلة في مبادئ النكاح ، ووصف المنكوحات إلى الافراط والتفريط ، وقل من يصدق فيه ويقتصد ، بل المجداع والاغراء أغلب ، والاحتياط فيه منهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته

فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة ، أو الولد ، أو تدير المنزل ، فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب . لأنه على الجملة باب من الدنيا . وإن كان قديمين على الدين في حق بعض الأشخاص . قال أبو سليمان الداراني : الزهد في كل شيء حتى في المرأة ، يتزوج الرجل المعجوز إشاراً للزهد في الدنيا . وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول ، يترك أجسدم أن يتزوج يتيمة فيؤجر فيها ، إن أطعمها وكساها تكون خفيفة للمؤنة ترضى باليسير ، ويتزوج بنت فلان وفلان ، يعني أبناء الدنيا ، فتشتهي عليه الشهوات ، وتقول اكسني كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها ، وكانت أختها جميلة ، فسأل من أعقلهما ؟ فقيل العوراء ، فقال زوجوني إياها . فهذا دأب من لم يقصد التمتع

فأما من لا يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع ، فيطلب الجمال . فالتلذذ بالبلايح حصن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسنة ، خيرة الأخلاق ، سوداء الحدة والشعر ، كبيرة العين ، بيضاء اللون ، محبة لزوجها ، قاصرة الطرف عليه ، فهي على صورة الخور العين فان الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله ( خَيْرَاتٌ حِسَانٌ )<sup>(١)</sup> أراد بلخيبرات حسنات الأخلاق ، وفي قوله ( قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ )<sup>(٢)</sup> وفي قوله ( عُرُبًا أَتْرَابًا )<sup>(٣)</sup> العروب هي العاشقة لزوجها ، المشتبهة للوقاع ، وبه تم اللذة والخور البياض ، والخوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر . والعيناء الواسعة العين . وقال عليه السلام « خَيْرُ نِسَائِكُمْ مَنْ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا زَوْجُهَا سَرَّتْهُ ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا » وماله وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج

الرابعة : أن تكون خفيفة المهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَيْرُ النِّسَاءِ

(١) حديث : خير نساءكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته وأن أمرها اطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله النساء من حديث أبي هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تخالقه في نفسها ولا

مالها وعند أحمد في نفسها وماله ولأبي داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح

(٢) حديث : خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهراً ابن جابر من حديث ابن عباس خيرهن

(٣) الرحمن : ٧٠ (٢) الرحمن : ٥٦ (٣) الواقعة : ٥٧

أَحْسَنَهُنَّ وَجُوهًا وَأَرْخَصَهُنَّ مُهُورًا » وقد نهى <sup>(١)</sup> عن المغالة في المهر؛ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت ، وكان رحي يد ، وجرة ، ووسادة من آدم حشوها ليف . <sup>(٣)</sup> وأولم على بعض نسائه بمدين من شعير . وعلى أخرى <sup>(٤)</sup> بمدين من تمر ، ومدين من سويق

وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالة في الصداق ، ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> ولازوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم . ولو كانت المغالة بمهور النساء مكرمة ، لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> على نواة من ذهب ، يقال قيمتها خمسة دراهم . وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين ، ثم

أيسرهن صداقا وله من حديث عائشة من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها وروى أبو عمر التوفاني في كتاب معاشره الأهلين أن اعظم النساء بركة أصبحن وجوها واقلهن مهرا وصححه (١) حديث : النبي عن المغالة في المهر أصحاب السنن الاربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذى (٢) حديث : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يدوجرة ووسادة من آدم حشوها ليف أبو داود الطيالسى والبخارى من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البخارى ورأيت في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهما ورواه الطبرانى في الاوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصححه اسناده وابن حبان مختصرا .

(٣) حديث : أولم على بعض نسائه بمدين من شعير البخاري من حديث عائشة (٤) حديث : وأولم على أخرى بمدين تمر ومدين سويق الاربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يبيع بفضل التمر وفصل السويق وفي الصحيحين التمر والأقط والسمن وليس في شيء من الأصول تقييد التمر والسويق بمدين (٥) حديث : كان عمر ينهى عن المغالة ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم الاربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح (٦) حديث : تزوج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويمها بخمسة دراهم رواه البيهقي

سملها هو إليه ليلا ، فأدخلها هو من الباب ، ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام ، فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به . وفي الخبر <sup>(١)</sup> « مِنْ بَرَكَةِ الْمَرْأَةِ سُرْعَةُ تَزْوِيجِهَا وَسُرْعَةُ رَحِمِهَا ، أَيْ الْوِلَادَةُ ، وَيُسْرُ مَهْرِهَا » وقال أيضا <sup>(٢)</sup> « أَزْكُكُنَّ أَقْلُنَّ مَهْرًا »

وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة ، فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل . ولا ينبغي أن ينكح طمعا في المال . قال الثوري : إذا تزوج وقال أى شيء للمرأة فاعلم أنه لص وإذا أهدى اليهم فلا ينبغي أن يهدى ليضطرهم إلى المقابلة بأكثر منه . وكذلك إذا أهدوا إليه ، فنية طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادى فستحب ، وهو سبب المودة . قال عليه السلام <sup>(٣)</sup> « تَهَادَوْا تَحَابُّوا » وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ( وَلَا تَخْنُ تَسْكُنُ ) <sup>(٤)</sup> أى تعطى لتطلب أكثر . وتحت قوله تعالى ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّكَ لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) <sup>(٥)</sup> فإن الربا هو الزيادة . وهذا طلب زيادة على الجملة . وإن لم يكن في الاموال الربوية . فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح ، يشبه التجارة والقمار ، ويفسد مقاصد النكاح

الخامسة : أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالمعقر فليمتنع عن تزوجها . قال عليه السلام <sup>(٦)</sup> « عَلَيْكُمْ بِالْوُلُودِ الْوُدُودِ » فإن لم يكن لها زوج ، ولم يعرف حالها ، فإعراى صحتها وشبابها فإنها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين

(١) حديث : من بركة للمرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمتها أى الولادة وتيسير مهرها أحمد والبيهقي من

حديث عائشة من بين المرأة أن تتيسر خطبتها وإن يتيسر صداقها وإن يتيسر رحمتها قال عروة

يعنى الولادة واسناده جيد

(٢) حديث : أبركهن أقلهن مهرا أبو عمر التوفاني في معاشره الأهلين من حديث عائشة أن أعظم النكاح

بركة صبحن وجوها وأقلهن مهرا وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن أعظم النساء بركة أسرنهن

صداقا واسناده جيد

(٣) حديث : تهادوا تحابوا البخارى في كتاب الأدب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد

(٤) حديث : عليكم بالودود الودود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الودود

واسناده صحيح

(١) للدثر : ٦ (٢) الروم : ٣٩

السادسة : أن تكون بكرا . قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا<sup>(١)</sup> « هَلَا بِكَرًا  
ثَلَايَ عَلَيْهَا وَتَلَا عَلَيْكَ »

وفي البكارة ثلاث فوائد

احداها : أن تحب الزوج وتألفه ، فيؤثر في معنى الود : وقد قال صلى الله عليه وسلم  
« عَلَيْكُمْ بِالْوُدِّ » والطباع مجبولة على الانس بأول مألوف . وأما التي اختبرت الرجال  
وما رست الاحوال ، فربما لا ترضى بعض الاوصاف التي تخالف ما ألفته ، فتقل الزوج  
الثانية : أن ذلك أكمل في مودته لها ، فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما  
وذلك يشغل على الطبع مهما يذكر . وبعض الطباع في هذا أشد نفورا

الثالثة : انها لا تحن الى الزوج الاول ، وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا  
السابعة : أن تكون نسيبة . أعني أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح . فانها تستر في  
بناتها وبنيتها ، فاذا لم تكن مؤدبة ، لم تحسن التأديب والتربية . ولذلك قال عليه السلام<sup>(٢)</sup>  
« إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ » فقيل ما خضراء الدمن قال « الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ فِي الْمُنْتَبِتِ الشَّوْءُ »  
وقال عليه السلام<sup>(٣)</sup> « تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ فَإِنَّ الْعِرْقَ نَزَّاعٌ »

الثامنة : أن لا تكون من القرابة القريبة . فان ذلك يقلل الشهوة . قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>  
« لَا تَنْكِحُوا الْقُرَابَةَ الْقَرِيبَةَ فَإِنَّ الْوَلَدَ يُخْلَقُ ضَاوِيًا » أي نحيفا . وذلك لتأثيره في تضعيف

(١) حديث : قال لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر

(٢) حديث : إياكم وخضراء الدمن قليل وما خضراء الدمن قال للمرأة الحسنة في المنتبت الشوء الدار قطني  
في الافراد والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري قال الدار قطني تفرد به  
الواقدي وهو ضعيف

(٣) حديث : تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فان العرق  
وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا في الحجر الصالح فان  
العرق دساس وروى أبو موسى اللديني في كتاب تضييع العمر والايام من حديث ابن عمر  
وانظر في أي نصاب تضع ولدك فان العرق دساس وكلاهما ضعيف

(٤) حديث : لا تنكحوا القرابة فان الولد يخلق ضاويا قال ابن الصلاح لم أجده أصلا معتمدا . قلت انما  
يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب قد أضويتم فانكحوا في النوايع رواه ابراهيم الحربي  
في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب قال ويقال اغربوا ولا تضوا



الشهوة . فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس ، وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد . فأما المجهود الذى دام النظر اليه مدة ، فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة  
فهذه هى الخصال المرغبة فى النساء

ويجب على الولى أيضا أن يراعى خصال الزوج ، ولينظر لكريمته فلا يزوجه ممن ساء خلقه أو خلقه أو ضعف دينه ، أو قصر عن القيام بحقها ، أو كان لا يكافئها فى نسبها . قال ، عليه السلام <sup>(١)</sup> «النِّكَاحُ رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ أَيْنَ يَضَعُ كَرِيْمَتَهُ» والاحتياط فى حقها أهم ، لأنها رقيقة بالنكاح لا تخلص لها ، والزوج قادر على الطلاق بكل حال . ومهما زوج ابنته ظلما ، أو فاسقا ، أو مبتدعا ، أو شارب خمر ، فقد جنى على دينه ، وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار . وقال رجل للحسن قد خطب ابنتى جماعة ، فمن أزوجه ؟ قال ممن يتقى الله ، فان أحبها أكرمها ، وان أبغضها لم يظلمها . وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup> «مَنْ زَوَّجَ كَرِيْمَتَهُ مِنْ فَاسِقٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا»

### الباب الثالث

فى آداب المعاشرة وما يجرى فى دوام النكاح

والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة  
أما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب فى اثنى عشر أمرا : فى الوليمة ، والمعاشرة . والندابة والسياسة والغيرة ، والنفقة ، والتعليم والقسم ، والتأديب فى النشوز ، والوقاع ، والولادة ، والمفارقة بالطلاق .  
الأدب الأول : الوليمة وهى مستحبة : قال أنس رضى الله عنه «رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) حديث : النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمة رواه أبو عمر التوفانى فى معاشرة الاهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتى أبى بكر . قال البيهقي وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح  
(٢) حديث : من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحما ان جابن فى الضعفاء من حديث أنس ورواه فى الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح

وسلم<sup>(١)</sup> عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَثَرَ صُفْرَةٍ فَقَالَ مَا هَذَا؟ فَقَالَ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَافٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ . أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ « وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> على صفية بتمر وسويق ، وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « طَعَامُ أَوَّلِ يَوْمٍ حَقٌّ وَطَعَامُ الثَّانِي سُنَّةٌ ، وَطَعَامُ الثَّلَاثِ سُمْعَةٌ وَمَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ » ولم يرفعه الا يزيد ابن عبد الله ، وهو غريب

وتستحب تهنئته ، فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك<sup>(٤)</sup> ويستحب اظهار النكاح ، قال عليه السلام<sup>(٥)</sup> « فَصَلُّ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدَّفْ وَالصَّوْتُ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> « اَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالذُّفُوفِ » وعن الربيع بنت معوذ قالت ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup> فدخل على غداة بني بى ، فجلس على فراشي ، وجويرات لنا يضربن بدفهن ، ويندن من قتل من آبائي الى أن قالت إحداهن \* وفيما نبي يعلم ما في غد \* فقال لها ما سكنتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها »

الأدب الثاني : حسن الخلق معهن ، واحتمال الأذى منهن ، ترهما عليهن لقصور عقلمن قال الله تعالى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ<sup>(١)</sup>) وقال في تعظيم حقهن (وَأَخْذُنْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا<sup>(٢)</sup>) وقال (وَالصَّاحِبِ بِالنَّجَبِ<sup>(٣)</sup>) قيل هي المرأة . وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ما هذا

قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة متفق عليه

(٢) : حديث أولم على صفية بسويق وتمر الاربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم

(٣) حديث : طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به قال المصنف لم يرفعه الا يزيد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذي بعد ان أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه

(٤) حديث أبي هريرة في تهنئة الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما - في خير أبو داود والترمذي

وصححه ابن ماجه وتقدم في الدعوات

(٥) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذي وحسنه ابن ماجه من حديث محمد بن حاطب

(٦) حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفع الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي

(٧) حديث : الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني بى فجلس على فراشي

وجويريات لنا يضربن بدفوفهن الحديث رواه البخارى وقال يوم بدر وقع في بعض نسخ

الاحياء يوم بعث وهو وهم

(١) النساء : ١٩ (٢) النساء : ٣١ (٣) النساء : ٣٦

(١) ثلاث ، كان يتكلم بهن حتى تلجج لسانه ، وخفى كلامه ، جعل يقول « التَّسْلَاةُ الصَّلَاةُ ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ لَا تَكْلَفُوهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ ، اللَّهُ فِي النِّسَاءِ فَاتِهِنَّ عَوَانٌ فِي أَيْدِيكُمْ » يعني أسراء ؛ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ اللَّهُ وَاسْتَحْلَلْتُمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ » وقال عليه السلام (٢) « مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ أَيُّوبَ عَلَى بَلَاءِهِ وَمَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجَتِهِ أَعْطَاهَا اللَّهُ مِثْلَ ثَوَابِ آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ »

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل (٤) وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه عمر في الكلام فقال أتراجعيني يا لكاء ؟ فقالت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك . فقال عمر : خابت حفصة وخسرت ان راجعته . ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابن أبي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخوفها من المراجعة ، وروى أنه دفعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) فزبرتها أمها فقال عليه السلام « دَعِيهَا »

( ١ ) حديث : آخر ما أوصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجج لسانه

وخفى كلامه جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله في النساء فانهن عوان عندكم - الحديث النسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الموت جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم فازال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف ان ذلك كان في حجة الوداع رواه مسلم في حديث جابر الطويل وفيه فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله - الحديث

( ٢ ) حديث : من صبر على سوء خلق امراة أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب علي بلائه - الحديث لم أقف له على أصل

( ٣ ) حديث : كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل - الحديث بمسفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى - فان تظاهرا عليه -

( ٤ ) حديث : وراجعت امرأة عمر عمر في الكلام فقال أتراجعيني يا لكاء قالت أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك - الحديث هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله يا لكاء ولا قولها هو خير منك

( ٥ ) حديث : دفعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل

فَأَنَّهُنَّ يَصْنَعْنَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، <sup>(١)</sup> وجرى بينه وبين عائشة كلام ، حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما ، واستشهده . فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَكَلِّمِينِ أَوْ أَتَكَلَّمِ ؟ » فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها وقال ، يا عديّة نفسها أو يقول غير الحق ، فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا <sup>(٢)</sup> وقالت له مرة في كلام غضبت عنده ، أنت الذي تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها <sup>(٣)</sup> « إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكَ مِنْ رِضَاكَ » قالت وكيف تعرفه ؟ « قال إِذَا رَضِيتَ قُلْتِ لَا وَإِلَهُ مُحَمَّدٍ ، وَإِذَا غَضِبْتَ قُلْتِ لَا وَإِلَهُ إِبْرَاهِيمَ » قالت صدقت إنما أهرج اسمك <sup>(٤)</sup> ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها <sup>(٥)</sup> وكان يقول لها « كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأُمِّ زَرْعٍ غَيْرَ أَنِّي لَا أَطْلُقُكَ » وكان يقول لنسائه <sup>(٦)</sup> « لَا تَوْدُونِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي خِيفٍ أَمْرَأَةٍ مِنْكُمْ غَيْرَهَا » وقال أنس رضي الله عنه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> رحم الناس بالنساء والصبيان

( ١ ) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما - الحديث : الطبراني في الأوسط

والخطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف

( ٢ ) حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذي تزعم أنك نبي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن اسحق وقد عنعنه

( ٣ ) حديث كان يقول لعائشة اني لأعرف غضبك من رضاك - الحديث : متفق عليه في حديثها

( ٤ ) حديث : أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عائشة الشيخان من حديث

عمرو بن العاص انه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة - الحديث : وأما كونه أول فرواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس ولعله أراد بالمدينة كافي الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد في الإسلام يريد بالمدينة والافحجة النبي صلى الله عليه وسلم

لحديثه أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة

( ٥ ) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأبي زرع لأم زرع غير أني لأطلقك متفق عليه من حديث عائشة

دون الاستئنا ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب

( ٦ ) حديث لا تودوني في عائشة فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة متكن غيرها البخاري من

حديث عائشة

( ٧ ) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان مسلم بلفظ ما رايت احدا

كان ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على بن عبد العزيز والبغوي والصبيان

الثالث: أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة ، والمزح والملاعبة . فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن ، ويذل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق ، حتي روى أنه صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> كان يسابق عائشة في العدو . فسبقته يوما ، وسبقها في بعض الأيام ، فقال عليه السلام هذه بتلك . وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> من أفكه الناس مع نسائه . وقالت عائشة رضي الله عنها <sup>(٣)</sup> سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم ، وهم يلعبون في يوم عاشوراء . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَتَحِبِّينَ أَنْ تَرَى لِعَبِّهِمْ » قالت قلت نعم . فأرسل اليهم فجاءوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين ، فوضع كفه على الباب ، ومد يده ، ووضعت ذقني على يده . وجعلوا يلعبون وأنظر . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حَسْبُكَ » ، وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا . ثم قال « يَا عَائِشَةُ حَسْبُكَ » . فقلت نعم . فأشار اليهم فانصرفوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلَطْفُهُمْ بِأَهْلِهِ » وقال عليه السلام <sup>(٥)</sup> « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي » وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته : ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي ، فاذا التمسوا ما عنده وجد رجالا . وقال لقمان رحمه الله : ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي ، واذا كان في القوم وجد رجلا

(١) حديث مساقته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبقته ثم سبقها وقال هذه بتلك : ابو داود والنسائي من الكبرى وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح

(٢) حديث كان من أفكه الناس مع نسائه : الحسن بن سفيان في مسنده من حديث انس دون قوله مع نسائه ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط فقالا مع صبي وفي اسناده ابن لميعة

(٣) حديث عائشة سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترى لعبهم : الحديث : متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وإنما قال يوم عيد ودون قولها اسكت وفي رواية للنسائي في الكبرى قلت لا تعجل مرتين وفيه فقال يا حميراء وسنده صحيح

(٤) حديث : اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم بأهله الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواه ثقات على شرط الشيخين

(٥) حديث : خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم

وفي تفسير الخبر المروى <sup>(١)</sup> « إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْجَعْظَرِيَّ الْجَوَاطَ » قيل هو الشديد على أهله ،  
 المتكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى (عُتِلَّ <sup>(٢)</sup>) قيل العتل هو اللفظ اللسان  
 الغليظ القلب على أهله. وقال عليه السلام لجابر <sup>(٣)</sup> « هَلَا بِكَرَأْتُلَا عِبْهَا وَتُلَا عِبُكَ » ووصفت اعراية  
 زوجها وقدمات فقالت: والله لقد كان ضحوكا اذا دلج، سكتا اذا خرج آكلا ما وجد، غير مسائل عما فقد  
 الرابع : أن لا يتبسط في الدعابة وحسن الخلق والمواقفة باتباع هواها ، الى حد يفسد  
 خلقها ، ويسقط بالكلية هيئته عندها . بل يراعى الاعتدال فيه ، فلا يدع الهية والانتقاض  
 مهما رأى منكراً ، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات ألبتة . بل مهما رأى ما يخالف  
 الشرع والمروءة تنمر وامتنع . قال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى  
 إلا كبه الله في النار . وقال عمر رضى الله عنه : خالفوا النساء فان في خلافهن البركة . وقد  
 قيل شاوروهن وخالفوهن . وقد قال عليه السلام <sup>(٤)</sup> « تَعَسَّ عَبْدُ الزَّوْجَةِ » وإنما قال ذلك  
 لأنه اذا أطاعها في هواها فهو عبدها . وقد تمس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه ، فقد  
 عكس الامر ، وقلب القضية ، وأطاع الشيطان لما قال (وَلَا مَرْئِيهِمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ <sup>(٥)</sup>)  
 اذحق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا . وقد سمي الله الرجال قوامين على النساء ، وسمى  
 الزوج سيديا ، فقال تعالى (وَالْفَيَّا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ <sup>(٦)</sup>) فاذا انقلب السيد مسخرأ فقد  
 بدل نعمة الله كفراً

ونفس المرأة على مثال نفسك ، ان أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا ، وان أرخيت  
 عذارها فتراجذبتك ذراعا ، وان كبحتها وشدت يدك عليها في محل الشدة ملكتها .

(١) حديث : ان الله يبغض الجعظري الجواط أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث أبي هريرة  
 بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث جارية ابن وهب الخزاعي بلفظ ألا أخبركم بأهل  
 النار كل عتل جواط مستكبر ولأبي داود لا يدخل الجنة الجواط ولا الجعظري .

(٢) حديث : قال لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديثه وقد تقدم

(٣) حديث : تعس عبد الزوجة لم أقف له على أصل والمعروف تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه  
 البخاري من حديث أبي هريرة

(١) القلم : ١٣ (٢) النساء : ١١٩ (٣) يوسف : ٢٥

قال الشافعي رضي الله عنه : ثلاثة ان أكرمهم أهانوك ، وان أهنتهم أكرموك : المرأة ، والخادم ، والنبطي . أراد به أن محضت الاكرام ولم تمنح غلطك بليتك ، وفظاظتك برفقتك وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج . وكانت المرأة تقول لابنتها ، اختبري زوجك قبل الاقدام والجرأة عليه ، أنزعى زج رحمة ، فان سكت فقطعي اللحم على ترسه ، فان سكت فكسري العظام بسيفه ، فان سكت فاجعلي الاكاف على ظهره وامططيه ، فاعاها وحمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض . فكل ما جاوز حده انعكس على ضده . فينبني أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة ، وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن ، فان كيدهن عظيم ، وشرهن فاش ، والغالب عليهن سوء الخلق ، وركاكة العقل ، ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة . وقال عليه السلام <sup>(١)</sup> « مَثَلُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ فِي النِّسَاءِ كَمَثَلِ الْغُرَابِ الْأَعْصِمِ بَيْنَ مِائَةِ غُرَابٍ » والاعصم يعني الابيض البطن . وفي وصية لقمان لابنه : يا بني اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل الشيب ، واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير . وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup> « اسْتَعِيدُوا مِنَ الْفَوَاقِرِ الثَّلَاثِ » وعد منهن المرأة السوء ، فانها المشيبة قبل الشيب . وفي لفظ آخر « إِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهَا سَبَّتْكَ وَإِنْ غَبْتَ عَنْهَا خَانَتْكَ » وقد قال عليه السلام في خيرات النساء <sup>(٣)</sup> « إِنْ كُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ » يعني ان صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق الى الهوى . قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم

- (١) حديث : مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب الطيراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بئر الظهران فاذا بغيران كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء الا مثل هذا الغراب في هذه الغريبان واسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي
- (٢) حديث : استعينوا من الفواقير الثلاث وعد منهن المرأة السوء فانها المشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر أن دخلت عليها . لسنتك وان غبت عنها خانتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقير وذكر منها وامرأة ان حضرت أذنك وإن غبت عنها خانتك وسنده حسن
- (٣) حديث : انكن صواحيبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة

« (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) » أى مالت وقال ذلك فى خير أزواجه ، وقال عليه السلام « (لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمْ امْرَأَةٌ) » وقد زبر عمر رضى الله عنه امرأته لما راجعته ، وقال ما أتت الالعة فى جانب البيت ، ان كانت لنا اليك حاجة ، والالعة كما أنت . فاذن فيهن شر ، وفيهن ضعف ، فالسياسة والحشونة علاج الشر ، والمطايبة والرحمة علاج الضعف . فالطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء ، فلينظر الرجل أولا الى أخلاقها بالتجربة ، ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها

الخامس : الاعتدال فى الغيرة . وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الامور التى تخشى غوائلها ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن . فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم « (ان تتبع عورات النساء) » وفى لفظ آخر « (أَنْ تُبَعَّتَ النِّسَاءُ) » ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال « (١) قبل دخول المدينة « (لَا تَطْرُقُوا النِّسَاءَ لَيْلًا) » فخالفه رجلان فسبقا ، فرأى كل واحد فى منزله ما يكره . وفى الخبر المشهور « (٢) المرأة كالضلع إن قومته كسرتة فدعه تستميع به على عوج » وهذا فى تهذيب أخلاقها وقال صلى الله عليه وسلم « (٣) « (إِنَّ مِنَ الْغِيَرَةِ غَيْرَةٌ يَبْغِضُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ غَيْرَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ) » لان ذلك من سوء الظن الذى يهين عنه ، فان بعض الظن اثم

(١) حديث : نزول قوله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فى خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والمرأتان عائشة وحفصة

(٢) حديث لا يفلح قوم تملكهم امرأة البخارى من حديث أبى بكره نحوه

(٣) حديث : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النساء الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر نهى أن تتطلب عورات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى ان يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عوراتهم واقتصر البخارى منه على ذكر النهى عن الطروق ليلا

(٤) حديث انه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم ليلا فخالفه رجلان فسيا الى منازلها فرأى كل واحد فى بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد

(٥) حديث : المرأة كالضلع ان أردت تقيمه كسرتة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٦) حديث : غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية أبو داود والنسائى وابن جبان من حديث جابر بن عتيك



وقال على رضى الله عنه : لا تكثر الغيرة على أهلِكَ فترمى بالسوء من أجلك  
وأما الغيرة في محلها فلا بد منها ، وهى محمودة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup>  
« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ وَالْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَغَيْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ »  
وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup> « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعِدَ؟ أَنَا وَاللَّهِ أَغْيَرُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي »  
ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش مظهر وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله  
ولذلك بعث المنذرين والمبشرين، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ولأجل ذلك وعد  
الجنة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « رَأَيْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي فِي الْجَنَّةِ قَصْرًا  
وَفِيْنَاهُ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقِيلَ لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ  
يَا عُمَرُ » فبكى عمر وقال أعليك أغار يارسول الله . وكان الحسن يقول : أتدعون نساءكم  
يزاحمن العالوج في الاسواق ؟ قبح الله من لا يغار . وقال عليه السلام <sup>(٤)</sup> « إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا  
يُحِبُّهُ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يَبْغِضُهُ اللَّهُ ، وَمِنْ الْخِيَلَةِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يَبْغِضُهُ اللَّهُ ، فَأَمَّا الْغَيْرَةُ  
الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرَّبِّبَةِ ، وَالْغَيْرَةُ الَّتِي يَبْغِضُهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رَبِّبَةٍ ، وَالْاخْتِيَالُ  
الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدْمَةِ . وَالْاخْتِيَالُ الَّذِي يَبْغِضُهُ  
اللَّهُ الْاخْتِيَالُ فِي الْبَاطِلِ » وقال عليه السلام <sup>(٥)</sup> « إِنِّي لَغَيُورٌ وَمَا مِنْ أَمْرٍ لِي لَا يَغَارُ  
إِلَّا مَنكُوسُ الْقَلْبِ »

(١) حديث : الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى ان يأتى الرجل المؤمن ما حرم الله عليه متفق عليه من

حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى والمؤمن يغار

(٢) حديث : أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير منى الحديث متفق عليه من حديث البغيرة بن شعبة

(٣) حديث : رأيت ليلة أسرى بى في الجنة قصرًا وفيها جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر الحديث

متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بى ولم يذكر الجارية وذكر الجارية في

حديث آخر متفق عليه من حديث أبى هريرة بينا أنا نائم في الجنة رأيتني الحديث

(٤) حديث : ان من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله تعالى الحديث ابو داود والنسائي وابن جابر

من حديث جابر بن عتيك وهو الذى تقدم قبله بأربعة احاديث

(٥) حديث : اننى لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب تقدم اوله واما آخره فرواه أبو عمر

التوقانى في كتاب معاشره الاهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلًا وظاهره عبد الله بن الحنفية

والطريق المغنى عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال ، وهى لا تخرج الى الاسواق . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لا بنته فاطمة عليها السلام » أى شئ خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضعها اليه وقال (ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ <sup>(٢)</sup>) فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الكوى والثقب فى الحيطان ، لئلا تطلع النسوان الى الرجال . ورأى معاذ امرأته تطلع فى الكوة ، فضربها . ورأى امرأته قد دفعت الى غلامه تفاحة قد أكلت منها ، فضربها . وقال عمر رضى الله عنه ، أعروا النساء يزلن الحجال . وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثة وقال عودوا نساءكم لا وكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> للنساء فى حضور المسجد ، والصواب الآن المنع ، الا العجائز . بل استصوب ذلك فى زمان الصحابة . حتى قالت عائشة رضى الله عنها لو علم النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ » فقال بعض ولده ، بلى والله لمنعهن ، فضره وغضب عليه ، وقال تسمنى أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى : وانما استجراً على المخالفة لعلمه بتغير الزمان ، وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهراً من غير اظهار العذر . وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> قد أذن لمن فى الأعياد خاصة أن يخرجن ، ولكن لا يخرجن الا برضا أزواجهن . والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ، ولكن التعود أسلم . وينبغى أن لا تخرج الا لهم فان الخروج للنظارات والامور التى ليست مهمة ، تقدح فى المروءة ، وربما تقضى الى الفساد فاذا خرجت فينبغى أن تفرض بصرها عن الرجال ، ولسنا نقول ان وجه الرجل فى حقها عورة .

(١) حديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بنته فاطمة أى شئ خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا الحديث البزار والدارقطنى فى الأفراد من حديث على بسند ضعيف

(٢) حديث : الاذن للنساء فى حضور المساجد متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد

(٣) حديث : قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن من الخروج متفق عليه قال البخارى لمنعهن من المساجد

(٤) حديث ابن عمر : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه

(٥) حديث : الاذن لمن فى الأعياد متفق عليه من حديث أم عطية

(٦) آل عمران : ٣٤

كوجه المرأة في حقه ، بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل ، فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط . فان لم تكن فتنة فلا ، اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوف الوجوه والنساء يخرجن منتقبات . ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتنقيب أو منمن من الخروج إلا لضرورة

السادس : الاعتدال في النفقة . فلا ينبغي أن يقتصر عليهن في الاتفاق ، ولا ينبغي أن يسرف . بل يقتصد . قال تعالى ( وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا <sup>(١)</sup> ) وقال تعالى ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ <sup>(٢)</sup> ) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم « دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ أَهْلِكَ ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ أَهْلِكَ » وقيل كان لعلي رضي الله عنه أربع نسوة ، فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحماً بدرهم . وقال الحسن رضي الله عنه : كانوا في الرجال مخاصيب ، وفي الاثاث والاثياب مجاديب . وقال ابن سيرين : يستحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة فالودجة . وكأن الحلاوة وإن لم تكن من المهمات ، ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة .

وينبغي أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام ، وما يفسدلو تركه . فهذا أقل درجات الخير . وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج . ولا ينبغي أن يستأثر عن أهلها بما كوت طيب ، فلا يطعمهم منه . فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان مزماً على ذلك فليأكله بحفية ، بحيث لا يعرف أهله . ولا ينبغي أن يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه . واذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته . فقد قال سفيان رضي الله عنه : بلغنا ان الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته في الاتفاق أن يطعمها من الحلال ، ولا يدخل مداخل السوء

(١) حديث : خيركم خيركم لأهله الترمذي من حديث عائشة وصححه وقد تقدم

(٢) حديث : دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته

على أهلك أعظمها الدينار الذي أنفقته على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة

(١) الاعراف : ٣١ (٢) الاسراء : ٢٩

لأجلها، فإن ذلك جناية عليها إلا مراعاة لها . وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح

السابع . أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحتترز به الاحتراز الواجب . ويعلم زوجته أحكام الصلاة ، وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى ، فانه أمر بان يقيها النار بقوله تعالى ( قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا <sup>(١)</sup> ) فعليه ان يلقيها اعتقاد أهل السنة ، ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت اليها ، ويخوفها في الله ان تساهلت في أمر الدين ، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه

وعلم الاستحاضة يطول ، فاما الذي لابد من ارشاد النساء اليه في أمر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها ، فانها مهما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر . واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة ، فعليها قضاء المغرب والعشاء ، وهذا أقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها ، فليس لها الخروج لسؤال العلماء ، وان قصر علم الرجل ، ولكن ناب عنها في السؤال فاخبرها بجواب المفتي ، فليس لها الخروج ، فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال ، بل عليها ذلك ، ويعصى الرجل بمنعها ، ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها ، فليس لها أن تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الابرضاء ، ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة ، ولم يعلمها الرجل ، خرج الرجل معها وشاركها في الاثم الثامن : اذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهن ، ولا يميل الى بعضهن ، فان خرج الى سفر وأراد استصحاب واحدة ، أقرع بينهن . كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> : فان ظلم امرأة بليتها ، قضى لها ، فان القضاء واجب عليه ، وعند ذلك يحتاج الى معرفة أحكام القسم ، وذلك يطول ذكره ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ فَقَالَ إِلَى أَحَدَهُمَا دُونَ الْأُخْرَى ، وَفِي لَفْظٍ وَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شَقِيهِ مَائِلٌ » وانما عليه العدل في العطاء والمبيت ، واما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار

(١) حديث : القرعة بين أزواجه اذا أراد سفرًا متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث : من كان له امرأتان فقال الى احدهما دون الأخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل أحباب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن حبان قال مع احدهما وقال الترمذي فلم يعدل بينهما

قال الله تعالى ( وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ )<sup>(١)</sup> أى لا تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس ، ويتبع ذلك التفاوت فى الوقاع

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> يعدل بينهن فى العطاء والبيوتة فى الليالى ، ويقول « اللَّهُمَّ هَذَا جُهْدِي فِيْ أَمْلِكُ وَلَا طَاقَةَ لِيْ فِيْمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ » . يعنى الحب . وقد كانت عائشة رضى الله عنها<sup>(٢)</sup> أحب نسائه اليه ، وسائر نسائه يعرفن ذلك<sup>(٣)</sup> ، وكان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وكل ليلة ، فبييت عند كل واحدة منهن ويقول « أَيْنَ أَنَا غَدًا » ففطنت لذلك امرأة منهن . فقالت انما يسأل عن يوم عائشة . فقلنا يارسول الله قد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة ، فإنه يشق عليك أن تحمل فى كل ليلة . فقال « وَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ » فقلن نعم . قال « فَحَوِّلُونِيْ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ »

ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبها ، ورضى الزوج بذلك ، ثبت الحق لها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> يقسم بين نسائه ، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت ،

(١) حديث : كان يعدل بينهن ويقول اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك : أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه

(٢) حديث كانت عائشة أحب نسائه اليه : متفق عليه من حديث عمرو بن العاص انه قال أى الناس أحب اليك يارسول الله قال عائشة وقد تقدم

(٣) حديث : كان يطاف به محمولا فى مرضه كل يوم وليلة فبييت عند كل واحدة ويقول أين أنا غداً الحديث ابن سعد فى الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل فى ثوب يطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفى مرسل آخر له لما نقل قال أين أنا غداً قالوا عند فلانة قال فأين أنا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة الحديث والبخارى من حديث عائشة كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه أين أنا غداً أين أنا غداً يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه ان يكون حيث شاء وفى الصحيحين لما نقل استأذن أزواجه ان يعرض فى بيتي فأذن له

(٤) حديث : كان يقسم بين نسائه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة الحديث ابو داود من حديث عائشة قالت سودة حين اسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله يومى لعائشة الحديث والطبرانى فأراد ان يفارقها وهو عند البخارى بلفظ لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها يوم سودة والبيهقى مرسلًا يطلق سودة . فقالت اريد ان احضر فى أزواجك الحديث

فوهبت ليلتها لعائشة ، وسألته أن يقرأها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه . فتركها ، وكان لا يقسم لها ، ويقسم لعائشة ليلتين ، وسائر أزواجه ليلة ليلة . ولكنه صلى الله عليه وسلم ، لحسن عدله وقوته ، كان اذا تأقت نفسه الى واحدة من النساء في غير نوبتها ، فجامعها طاف في يومه أو ليلته على سائر نسائه . فن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> طاف على نسائه في ليلة واحدة . وعن أنس ، أنه عليه السلام <sup>(٢)</sup> طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار

التاسع : في النشوز . ومهما وقع بينهما خصام ، ولم يلتئم أمرهما . فان كان من جانبهما جميعاً ، أو من الرجل ، فلا تسلط الزوجة على زوجها ، ولا يقدر على اصلاحها ، فلا بد من حكيم ، أحدهما من أهله ، والآخر من أهلها ، لينظرا بينهما . ويصلحا أمرهما إن يريدان اصلاحاً يوفق الله بينهما . وقد بعث عمر رضى الله عنه حكا إلى زوجين ، فماد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة ، وقال ان الله تعالى يقول (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا<sup>(١)</sup>) فعاد الرجل وأحسن النية ، وتلطف بهما فأصلح بينهما

وأما اذا كان النشوز من المرأة خاصة ، فالرجال قوامون على النساء . فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهراً . وكذا اذا كانت تاركة للصلاة ، فله حملها على الصلاة قهراً . ولكن ينبغي ان يتدرج في تأديبها . وهو ان يقدم أولاً الوعظ والتحذير والتخويف ، فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع ، أو انفرد عنها بالفراس ، وهجرها وهو في البيت معها ، من ليلة الى ثلاث ليال . فان لم ينجع ذلك فيها ، ضربها ضرباً غير مبرح ، بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظماً ، ولا يدمى لها جسماً ، ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه ، وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث : عائشة طاف على نسائه في ليلة واحدة : متفق عليه بلفظ كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه

وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرماً ينضح طيباً

(٢) حديث : أنس أنه طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار : ابن عدى في الكامل والبخارى كان يطوف على

نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة

(١) النساء : ٣٥

(١) ما حق المرأة على الرجل ؟ قال « يُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمَ ، وَيَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى ، وَلَا يَقْبَحُ الْوَجْهَ وَلَا يَضْرِبُ إِلَّا ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَلَا يَهْجُرُهَا إِلَّا فِي الْمَسِيَّتِ »

وله أن يغضب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين ، إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر (٢) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه ، فقالت له التي هو في بيتها ، لقد أقفأتك اذ ردت عليك هديتك . أي أذلتك واستصغرتك . فقال صلى الله عليه وسلم « أَنْتُنَّ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ أَنْ تُقِمْنِي » ثم غضب عليهن كلهن شهراً إلى أن عاد إليهن المأشر : في آداب الجماع . ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ، ويقرأ قل هو الله أحد أولاً ، ويكبر ويهلل ، ويقول بسم الله العلي العظيم ، اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبى . وقال عليه السلام (٣) « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ » وإذا قربت من الانزال ، فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك (الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً) الآية وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته

ثم ينحرف عن القبلة ، ولا يستقبل القبلة بالواقع اكراما للقبلة وليغبط نفسه وأهله بثوب . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) يغطى رأسه ، ويغض صوته ، ويقول للمرأة عليك بالسكينة . وفي الخبر (٥) « إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلَا يَتَجَرَّدَانِ تَجَرَّدَ الْعَيْرَيْنِ » أي الحمارين

(١) حديث : قيل له ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب إلا ضرباً غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت : أبو داود وائسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية ابن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقبح وفي رواية لأبي داود ولا تقبح الوجه ولا تضرب

(٢) حديث : هجره صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً لما أرسل بهدية الى زينب فردتها فقالت له التي في بيتها لقد أقفأتك الحديث ذكره ابن الجوزى في الوفاء بغير اسناد وفي الصحيحين من حديث عمر كان أفسم ألا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن وفي رواية من حديث جابر ثم اعترظن شهراً

(٣) حديث : لو أن أحدكم اذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان : الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس

(٤) حديث كان يغطى رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة : الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف

(٥) حديث : إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين : ابن ماجه من حديث عتبة ابن عبد بنسند ضعيف

وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَا يَقَعَنَّ أَحَدُكُمْ عَلَى امْرَأَتِهِ كَمَا تَقَعُ الْبَهِيمَةُ . وَلْيَكُنْ بَيْنَهُمَا رَسُولٌ ، قِيلَ وَمَا الرَّسُولُ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ الْقُبْلَةُ وَالْكَلَامُ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « ثَلَاثٌ مِنَ الْعِزِّ فِي الرَّجُلِ ، أَنْ يَلْقَى مَنْ يُحِبُّ مَعْرِفَتَهُ فَيُفَارِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ اسْمَهُ وَنَسَبَهُ ، وَالثَّانِي أَنْ يُكْرِِمَهُ أَحَدٌ فَيُرَدِّ عَلَيْهِ كَرَامَتَهُ وَالثَّلَاثُ أَنْ يُقَارِبَ الرَّجُلُ جَارِيَتَهُ أَوْ زَوْجَتَهُ فَيُصِيبَهَا قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَهَا وَيُؤَانِسَهَا وَيُضَاجِعَهَا فَيَقْضِي حَاجَتَهُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَ حَاجَتَهَا مِنْهُ »

ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر : الأول ، والآخر ، والنصف . يقال أن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي . ويقال أن الشياطين يجامعون فيها . وروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضى الله عنهم

❦ ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته ، تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « رَحِمَ اللَّهُ مَنْ غَسَلَ وَأَغْتَسَلَ » الحديث

ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله ، حتى تقضى هي أيضاً نهمتها . فإن انزلها ربما يتأخر فيبيح شهوتها ، ثم القعود عنها إيذاء لها . والاختلاف في طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الانزال . والتوافق في وقت الانزال ألدعنها ، ليشغل الرجل بنفسه عنها ، فانه ربما تستحي . وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة ، فهو أعدل اذ عدد النساء أربعة ، فجاز التأخير الى هذا الحد . نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه ، وان كان لا يثبت المطالبة بالوطء ، فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في الحيض ، ولا بعد انقضائه وقبل الغسل . فهو محرم بنص الكتاب . وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد، وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ، ولا يأتيها في غير المائتي،

(١) حديث : لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة بعض الحديث : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر

(٢) حديث ثلاث من العجز في الرجل أن يلقي من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أخضر منه وهو الحديث الذي قبله

(٣) حديث : رحم الله من غسل واغتسل تقدم في الباب الخامس من الصلاة



إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى ، والأذى في غير المأني دائم ، فهو أشد تحريماً من اتیان الحائض . وقوله تعالى ( فَأَتُواخَرَجُكُمْ أَنِّي شَتُّمٌ <sup>(١)</sup> ) أى أى وقت شتتم . وله أن يستمنى يديها ، وأن يستمتع بما تحت الأزار بما يشتهي ، سوى الوقاع ، وينبغي أن تترك المرأة بازار من حقوها الى فوق الركبة في حال الحيض ، فهذا من الأدب . وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها ، وليس عليه اجتنابها

وان أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى ، فليفصل فرجه أولاً . وان احتلم فلا يجامع حتى يفصل فرجه أو يبول

ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة ، فان أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة فذلك سنة . قال ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> أيام أحدنا وهو جنب ؟ قال « نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ » ولكن قد وردت فيه رخصة ، قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> ينام جنباً لم يمس ماء ، ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجهه فراشه ، أو لينفضه ، فانه لا يدري ما حدث عليه بعده

ولا ينبغي أن يخلق ، أو يقلم ، أو يستحد ، أو يخرج الدم ، أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب ، اذ ترد اليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شعرة تطالبه بجنباتها ومن الآداب أن لا يعزل ، بل لا يشرح إلا الى محل الحرث وهو الرحم <sup>(٤)</sup> « فامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة » هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان عزل ، فقد اختلف العلماء في اباحتها وكرهتها ، على أربع مذاهب : فمن ميسح مطلقاً بكل حال ، ومن محرم بكل حال ، ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها ، وكأن هذا القائل يحرم الايذاء

(١) حديث ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أيام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ : متفق عليه من حديثه أن عمر سأل لأن عبداً لله هو السائل

(٢) حديث عائشة كان ينام جنباً لم يمس ماء : ابوداود والترمذي وابن ماجه وقال يزيد بن هارون انه وهم ونقل البيهقي عن الحفاظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية

(٣) حديث : ما من نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة : متفق عليه من حديث أبي سعيد

(٤) البقرة : ٢٢٣

دون العزل ، ومن قائل يباح في الملوكة دون الحرية

والصحيح عندنا أن ذلك مباح . وأما الكراهية فإنها تطلق لنهي التحريم ، ونهي التنزيه ، ولترك الفضيلة ، فهو مكروه بالمعنى الثالث . أى فيه ترك فضيلة . كما يقال يكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغاً لا يشتغل بذكر أو صلاة . ويكره للحاضر في مكة مقياً بها الإيحاء كل سنة : والمراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة فقط . وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ، ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَجَامِعُ أَهْلَهُ فَيُكْتَبُ لَهُ بِجَمَاعِهِ أَجْرُ وَلَدٍ ذَكَرٍ قَاتِلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقُتِلَ » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له ولد مثل هذا الولد ، لكان له أجر النسب إليه ، مع أن الله تعالى خالقه ومحبيه ومقويه على الجهاد والذي إليه من النسب فقد فعله ، وهو الوقاع ، وذلك عند الامناء في الرحم

وإنما قلنا لا كراهية بمعنى التحريم والتنزيه ، لأن إيجاب النهي إنما يمكن بنص ، أو قياس على منصوص . ولا نص ، ولا أصل يقاس عليه ، بل ههنا أصل يقاس عليه ، وهو ترك النكاح أصلاً ، أو ترك الجماع بعد النكاح ، أو ترك الانزال بعد الإيلاج . فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب نهى . ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ، ولها أربعة أسباب : النكاح ثم الوقاع ، ثم الصبر إلى الانزال بعد الجماع ، ثم الوقوف لينصب المنى في الرحم . وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض ، فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث ، وكذا الثالث كالثاني ، والثاني كالأول ، . وليس هذا كالأجهاض والوآد ، لأن ذلك جناية على موجود حاصل ، وله أيضاً مراتب ، وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم ، وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة . وإفساد ذلك جناية . فإن صارت مضغة وعلة ، كانت الجناية أخف وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ، ازدادت الجناية تفاحشاً . ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حياً

وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المنى في الرحم لا من حيث الخروج من الأرحام ، لأن الولد لا يخلق من منى الرجل وحده ، بل من الزوجين جميعاً . أما من مائه ومائها ، أو من مائه ودم الحيض . قال بعض أهل التشريع إن المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض

(١) حديث إن الرجل ليجامع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر يقاتل في سبيل الله : لم يجد له أصلاً

وان الدم منها كاللبن من الرائب ، وان النطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض وانعقاده ، كالأنفحة للبن ، إذ بها ينغقد الرائب . وكيفما كان فإماء المرأة ركن في الانعقاد، فيجري الماءان مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول ، لا يكون جانياً على العقد بالنقض والفسخ . ومهما اجتمع الايجاب والقبول، كان الرجوع بعده رفعاً وفسخاً وقطعاً . وكما أن النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد، فكذا بعد الخروج من الاخليل ما لم يمتزج بماء المرأة أو دمها ، فهذا هو القياس الجلي فان قلت: فان لم يكن العزل مكروهاً من حيث انه دفع لوجود الولد، فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه ، اذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة ، فيها شيء من شوائب الشرك الخفي ، فأقول النيات الباعثة على العزل خمس :

الأولى: في السرارى ، وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق ، وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ، ودفع أسبابه ليس بمنهى عنه  
الثانية: استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع ، واستبقاء حياتها خوفاً من خطر الطلق وهذا أيضاً ليس منهيّاً عنه

الثالثة: الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد ، والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء ، وهذا أيضاً غير منهي عنه . فان قلت الحرج معين على الدين . نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بزمان الله ، حيث قال ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا <sup>(١)</sup> ) ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ، ولكن النظر الى العواقب وحفظ المال وادخاره ، مع كونه منافضاً للتوكل ، لا تقول انه منهي عنه

الرابعة: الخوف من الأولاد الاناث ، لما يعتقد في تزويجهن من المرة ، كما كانت من عادة العرب في قتلهم الاناث ، فهذه نية فاسدة ، لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أتم بها ، لا بترك النكاح والوطء : فكذا في العزل . والفساد في اعتقاد المعرفة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد ، وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافاً من أن يعالوها رجل ، فكانت تنسبه بالرجال . ولا ترجع الكراهة الى عين ترك النكاح

الخامسة: أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة، والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع. وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه، حتى كن يقضين صلات أيام الحيض، ولا يدخلن الخلاء إلا عراة. فهذه بدعة تخالف السنة، فهي نية فاسدة. واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة، فلم تأذن لها، فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة

فان قلت: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ تَرَكَ النِّكَاحَ خَافَةَ الْعِيَالِ فَلَيْسَ مِنَّا ثَلَاثًا » قلتُ فالعزل كترك النكاح، وقوله ليس منا أى ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقةتنا، وسنتنا فعل الأفضل

فان قلت: فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> في العزل « ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ وَقَرَأْ ( وَإِذَا الْمَوْؤَدَةُ سُئِلَتْ <sup>(٣)</sup> ) وهذا في الصحيح، قلنا وفي الصحيح أيضا أخبار صحيحة <sup>(٤)</sup> في الإباحة وقوله الوأد الخفي، كقوله الشريك الخفي، وذلك يوجب كراهة لا تحريما

فان قلت: فقد قال ابن عباس، العزل هو الوأد الأصغر، فان المنوع وجوده به هو المؤودة الصغرى، قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه، وهو قياس ضعيف، ولذلك أنكره عليه على رضى الله عنه لما سمعه، وقال لا تكون مؤودة إلا بعد سبع، أى بعد الأخرى سبعة أطوار، وتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة، وهى قوله تعالى ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ <sup>(٥)</sup> ) الى قوله ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) أى فخلقنا فيه الروح. ثم تلا قوله تعالى في الآية ( وَإِذَا الْمَوْؤَدَةُ سُئِلَتْ ) وإذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار، ظهر لك تفاوت منصب على وابن عباس رضى الله عنهما في الغوص على المعانى ودرك العلوم

(١) حديث: من ترك النكاح خاف العيال فليس منا: تقدم في أول النكاح

(٢) حديث: قال النبي صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الخفي: مسلم من حديث جندوبة بنت وهب

(٣) أحاديث: إباحة العزل مسلم من حديث أبي سعيد أنهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تفعلوه

ورواه النسائي من حديث أبي صرمة وللشيخين من حديث جابر كنا نعزل على عهد رسول

الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وللنسائي من

حديث أبي هريرة سئل عن العزل قيل إن اليهود تزعم أنها المؤودة الصغرى فقال كذبته

يهود قال البيهقي رواية الإباحة أكثر وأحفظ

(٤) الكسوبي: ٨ (٥) المؤمنون: ١٢-١٣-١٤

كيف وفي المتفق عليه في الصحيحين عن جابر أنه <sup>(١)</sup> قال ، كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ينزل . وفي لفظ آخر كنا نزل ، فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ينهنا . وفيه أيضا عن جابر أنه قال ، إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> . فقال ان لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل ، وأنا أطوف عليها ، وأكره أن تحمل . فقال عليه السلام « اعزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا » فلبث الرجل ما شاء الله ثم أتاه فقال ، ان الجارية قد حملت . فقال « قَدْ قُلْتُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا » كل ذلك في الصحيحين الحادى عشر : في آداب الولادة وهي خمسة :-

الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر ، وحزنه بالأنثى . فانه لا يدري الخير له في أيهما . فكم من صاحب ابن يتمنى أن يكون بنتا . بل السلامة منهن أكثر ، والثواب فيهن أجل . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَنْ كَانَ لَهُ ابْنَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَغَذَّاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا وَأَسْبَغَ عَلَيْهَا مِنَ النِّعْمَةِ الَّتِي أُسْبِغَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَتْ لَهُ مِئْمَنَةٌ وَمَيْسَرَةٌ مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ » وقال ابن عباس رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْرِكُ ابْنَتَيْنِ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتْهُ إِلَّا أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « مَنْ كَانَتْ لَهُ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتْهُ

(١) حديث جابر المتفق عليه في الصحيحين كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو

كما ذكر متفق عليه الا أن قوله فلم ينهنا انفرد بها مسلم

(٢) حديث جابر ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية وهي خادمتنا وساقيتنا في النخل

وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها ان شئت - الحديث : ذكر المصنف أنه في

الصحيحين وليس كذلك وانما انفرد به مسلم

(٣) حديث : من كانت له ابنة فأدبها وأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها - الحديث : الطبراني في الكبير

والحرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(٤) حديث ابن عباس ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبته الا أدخلته الجنة ابن ماجه

والحاكم وقال صحيح الاسناد

(٥) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما صحبته كنت أنا وهو في الجنة كما بين

للحرائطي في مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من قال جاريته وقال حسن غريب

كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ خَرَجَ إِلَى سَوْقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ فَاشْتَرَى شَيْئًا فَحَمَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ فَخَصَّ بِهِ الْإِنَاثَ دُونَ الذَّكُورِ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَمَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « مَنْ حَمَلَ طُرْفَةً مِنَ السُّوقِ إِلَى عِيَالِهِ فَكَأَنَّمَا حَمَلَ إِلَيْهِمْ صَدَقَةً حَتَّى يَضَعَهَا فِيهِمْ وَلْيَبْدَأْ بِالْإِنَاثِ قَبْلَ الذَّكُورِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّحَ أَنْثَى فَكَأَنَّمَا بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَتِهِ حَرَّمَ اللَّهُ بَدَنَهُ عَلَى النَّارِ » وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَنْ كَانَتْ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ أَخَوَاتٍ فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَاهِنَّ وَضَرَائِهِنَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ » فقال رجل وثنان يارسول الله؟ قال « وَثْنَتَانِ » فقال رجل أو واحدة؟ فقال « وَوَاحِدَةٌ »

الأدب الثاني : أن يؤذن في أذن الولد ، روى رافع عن أبيه قال ، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> قد أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضى الله عنها . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> أنه قال « مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى دُفِعَتْ عَنْهُ أُمُّ الصَّبِيِّانِ » ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ، ليكون ذلك أول حديثه . <sup>(٦)</sup> والختان في اليوم السابع ورد به خبر

(١) حديث أنس من خرج الى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً فحمله الى بيته فخص به الاناث

دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه : الخرائطي بسند ضعيف

(٢) حديث أنس من حمل طرفة من السوق الى عياله فكأنما حمل اليهم صدقة : الخرائطي بسند ضعيف

جدا وابن عدي في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع

(٣) حديث أنى هريرة من كانت له ثلاث بنات أو اخوات فصر على لأوائهن : الحديث الخرائطي واللفظ

له والحاكم ولم يقل أو اخوات وقال صحيح الاسناد

(٤) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة : أحمد

واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه الا انهما قالا الحسن مكبرا وضعفه ابن القطاني

(٥) حديث : من ولد له مولود وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان : أبو يعلى

الموصلى وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الايمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف

(٦) حديث : الختان في اليوم السابع : الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم علق عن الحسن والحسين وخشما لسبعة أيام واسناده ضعيف واختلف في اسناده

ف قيل عبد الملك بن ابراهيم بن زهير عن أبيه عن جده

الأدب الثالث: أن تسميه اسماً حسناً فذلك من خلق الولد وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> « إِذَا سَمَّيْتُمْ فَعَبِّدُوا وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ<sup>(٢)</sup> » أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ » وقال<sup>(٣)</sup> « سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تُكْنُوا بِكُنْيَتِي » قال العلماء ، كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم اذ كان ينادى يا أبا القاسم . والآن فلا بأس . نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته ، وقد قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « لَا تَجْمَعُوا بَيْنَ اسْمِي وَكُنْيَتِي » وقيل ان هذا أيضاً كان في حياته . وتسمى رجل أبا عيسى ، فقال عليه السلام<sup>(٥)</sup> « إِنَّ عِيسَى لَا أَبَ لَهُ » فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى . قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، بلغني ان السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه ، فيقول أنت ضيعتي وتركنتي لا اسم لي . فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري أنه غلام أو جارية ؟ فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما ، كحمزة وعمار ، وطلحة ، وعتبة .

وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> « إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ » ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله . أبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup> اسم العاص بعبد الله . وكان اسم زينب برة فقال عليه السلام<sup>(٨)</sup> « تُزَكِّي نَفْسَهَا »

(١) حديث : اذا سميتم فعبدوا : الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ وصححه اسناده والبيهقي من حديث عائشة

(٢) حديث : أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن : مسلم من حديث ابن عمر

(٣) حديث : سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي : متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تسعوا

(٤) حديث : لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي : أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى باسمي فلا تكن بكنيتي ومن تكن بكنيتي فلا يتسمى باسمي

(٥) حديث : ان عيسى لا أب له : ابو عمر التوفاني في كتاب معاشره الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود أن عمر ضرب ابنه تكتي أبا عيسى وأنكر على المغيرة بن شعبه تكتيه بأبي عيسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانى واسناده صحيح

(٦) حديث : انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم واسماء آبائكم فأحسنوا اسماءكم : ابو داود من حديث أبي هريرة والدرداء قال النووي باسناد جيد وقال البيهقي انه مرسل

(٧) حديث : بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله : رواه البيهقي من حديث عبد الله ابن الحرث بن جزء الزبيدي بسند صحيح

(٨) حديث : قال صلى الله عليه وسلم لزيبب وكان اسمها برة تزكى نفسها فهاها زينب : متفق عليه من حديث أبي هريرة

فسمها زينب وكذلك ورد النبي في تسمية<sup>(١)</sup> أفلح ويسار ونافع وبركة لأنه يقال أنتم بركة فيقال لا .  
الرابع : العقيقة عن الذكر بشاتين ، وعن الانثى بشاة . ولا بأس بالشاة ذكرًا كان أو  
أنثى . وروى عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> أمر في الغلام أن  
يعق بشاتين مكافئتين ، وفي الجارية بشاة . وروى<sup>(٣)</sup> أنه عقى عن الحسن بشاة . وهذا  
وخصه في الاختصار على واحدة . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « مَعَ الْغُلَامِ عَقِيقَتُهُ فَأَهْرِيقُوا  
عَنْهُ دَمًا وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَى »

ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهبًا أو فضة . فقد ورد فيه خبر إسناده عليه السلام<sup>(٥)</sup>  
لأمير فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين ، أن تحلق شعره ، وتتصدق بزنة شعره فضة .  
قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم

الخامس : أن يحنكه بتمر أو حلاوة . وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما  
قالت ،<sup>(٦)</sup> ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
فوضعت في حجره ، ثم دعا بتمر فمضغها ، ثم ثقل في فيه . فكان أول شيء دخل جوفه  
ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم حنكه بتمر ، ثم دعا له ، وبرك عليه ،  
وكان أول مولود ولد في الاسلام ، ففرحوا به فرحًا شديدًا ، لأنهم قيل لهم إن اليهود قد  
سحرتكم فلا يولد لكم .

(١) حديث : النبي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة : مسلم من حديث سمرة بن جندب لأنه جعل مكان  
بركة رباحا وله من حديث جابر أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهي أن يسمى يعلى وبركة الحديث

(٢) حديث : عائشة أمر في الغلام بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة : الترمذي وصححه

(٣) حديث : عقى عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس إسناده متصل ووصله الحاكم إلا  
أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا

(٤) حديث : مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى : البخاري من حديث سلمان بن عامر الضبي

(٥) حديث : أمر فاطمة يوم سابع حسين أن يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة : الحاكم وصححه من

حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن وقال ليس إسناده متصل ورواه أحمد

من حديث أبي رافع

(٦) حديث : أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في  
حجره ثم دعا بتمر فمضغها ثم ثقل في فيه الحديث متفق عليه



الثاني عشر : في الطلاق . وليعلم أنه مباح ، ولكنه أبغض المباحات الى الله تعالى ، وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل . ومهما طلقها فقد آذاها . ولا يباح إيذاء الغير الا بجناية من جانبها ، أو بضرورة من جانبها . قال الله تعالى ( فَإِنْ أَطَعْتُمْكُمْ فَلَا تَتَّبِعُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ) أى لا تطلبوا حيلة للفراق . وان كورها أبوه فليطلقها . قال ابن عمر رضى الله عنهما (١) « كان تحتى امرأة أحبها ، وكان أبى يكرها ويأمرنى بطلاقها . فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يَا ابْنَ مَرْثَدَةَ طَلِّقِ امْرَأَتَكَ » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ، ولكن والد يكرها لا لغرض فاسد مثل عمر . ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهي جانية . وكذلك مهما كانت سيئة الخلق ، أو فاسدة الدين . قال ابن مسعود فى قوله تعالى (وَلَا يَخْرُجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ) مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أريد به فى العدة ، ولكنه تنبيه على المقصود

وان كان الأذى من الزوج فلها أن تقتدى ببذل مال ، ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى ، فان ذلك إحجاف بها وتحامل عليها ، وتجارة على البضع . قال تعالى (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) فرد ما أخذته فما دونه لائق بالفداء . فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة . قال صلى الله عليه وسلم (٢) « أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ لَمْ تَرْمَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » وفى لفظ آخر « فَالْجَنَّةُ عَلَيْهَا حَرَامٌ » وفى لفظ آخر أنه عليه السلام (٣) قال « الْمُخْتَلَعَاتُ هُنَّ الْمُنَاقِقَاتُ »

ثم ليراع الزوج فى الطلاق أربعة أمور

الاول : أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه ، فان الطلاق فى الحيض أو الطهر الذى جامع

(١) حديث : ابن عمر كانت تحتى امرأة احبها وكان أبى يكرها فأمرنى بطلاقها - الحديث أصحاب

السنن قال ت حسن صحيح

(٢) حديث : أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير ما بأس لم ترمح رائحة الجنة وفى لفظ فالجنة عليها حرام

أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان

(٣) حديث : المختلعات هن المناققات : النسائي من حديث أبى هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبى هريرة

قال ومع هذا لم أسمع إلا من حديث أبى هريرة قلت رواه الطبرانى من حديث عقبة

ابن عامر بسند ضعيف

فيه بدعى حرام ، وان كان واقعاً ، لما فيه من تطويل العدة عليها . فان فعل ذلك فليراجعها .  
 (١) طلق ابن عمر زوجته في الحيض ، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر « مره فليراجعها حتى  
 تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها » فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق  
 لها النساء . وانما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين ، لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط  
 الثاني : أن يقتصر على طلقة واحدة ، فلا يجمع بين الثلاث ، لأن الطلقة الواحدة بعد  
 العدة تفيد المقصود ، ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة . وتجديد النكاح ان أراد بعد العدة  
 واذا طلق ثلاثا ربما ندم ، فيحتاج الى أن يتزوجها محلل ، والى الصبر مدة . وعقد المحلل منهي  
 عنه . ويكون هو الساعى فيه . ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه ، أعنى زوجة المحلل  
 بعد ان زوج منه . ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة . وكل ذلك ثمرة الجمع . وفي الواحدة  
 كفاية في المقصود من غير محذور . ولست أقول الجمع حرام ، ولكنه مكروه بهذه المعاني  
 وأعنى بالكرامة تركه النظر لنفسه

الثالث : ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف ، وتطبيب قلبها  
 بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما جُمعها به من أذى الفراق . قال تعالى ( وَمَتَّعُوهُنَّ ) (١) وذلك  
 واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح . كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا  
 ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه ، وقال قل لهما اعتدا ،  
 وأمره ان يدفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم . ففعل . فلما رجع اليه ، قال ماذا فعلتا ؟  
 قال أما احدهما فنكست رأسها وتنكست ، وأما الأخرى فبكت واتجبت ، وسمعتها تقول  
 متاع قليل من حبيب مفارق . فأطرق الحسن وترحم لها ، وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد  
 ما فارقتها لراجعتها .

ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها . ولم  
 يكن له بالمدينة نظير . وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت ، لو لم أسر مسيرى  
 ذلك ، لكان أحب الي من أن يكون لي ستة عشر ذكراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) حديث : طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر . مره فليراجعها

الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر

(١) البقرة : ٢٣٦

مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام . فدخل عليه الحسن في بيته ، فعظمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه ، وقال ، ألا أرسلت الى فكنت أجيتك ؟ فقال الحاجة لنا : قال وما هي ؟ قال جئتك خاطبا ابنتك . فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال ، والله ما على وجه الأرض أحدي عشي عليها أعزّ عليّ منك ، ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني ، يسوءني ما ساءها ، ويسرتني ما سرها وأنت مطلق ، فأخاف ان تطلقها . وان فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك ، وأكره ان يتغير قلبي عليك ، فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج . وقال بعض أهل بيته ، سمعته وهو عشي ويقول ، ما أراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي . وكان على رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه ، فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته : ان حسنا مطلقا فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال : والله يا أمير المؤمنين لننكحه ما شاء ، فان أحب أمسك ، وان شاء ترك . فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب جنة \* لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء ، فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة . بل الأدب المخالفة ما أمكن ، فان ذلك أسر لقلبه ، وأوفق لباطن دائه والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح . وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعاً فقال ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِمِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ) وقال سبحانه وتعالى ( وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ )

الرابع : ان لا يفشى سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح . فقد ورد <sup>(١)</sup> في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم . ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة ، فقليل له ما الذي يريك فيها ؟ فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته . فلما طلقها قيل له لم تطلقها ؟ فقال مالي ولا امرأة غيري ؟ فهذا بيان ما على الزوج

(١) حديث الوعيد في افشاء سر المرأة : مسلم من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم يفشي سرها

(١) النور: ٣٢ (٢) النساء : ١٣

## القسم الثاني

من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها

والقول الشافي فيه ، ان النكاح نوع رق . فهي رقيقة له . فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كل ما طلب منها في نفسها ، مما لا معصية فيه . وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ » <sup>(٢)</sup> وكان رجل قد خرج الى سفر ، وعهد الى امرأته ان لا تنزل من العلو الى السفلى . وكان أبوها في الأسفل فرض ، فأرسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول الى أبيها . فقال صلى الله عليه وسلم « أَطِيعِي زَوْجَكَ » فمات . فاستأمرته ، فقال « أَطِيعِي زَوْجَكَ » فدفن أبوها . فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها ان الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها .

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ قُرْبَجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، دَخَلَتْ جَنَّةَ رَبِّهَا » وأضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> النساء فقال « حَامِلَاتٌ وَالِدَاتُ مَرْضِعَاتٌ رَحِمَاتٌ بَاوِلَادِهِنَّ لَوْلَا مَا يَأْتِيَنَّ إِلَى أَرْوَاجِهِنَّ دَخَلَ مُصَلِّيَانِهِنَّ الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « أَطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ » فقلن لم يارسول الله ؟ قال « يُكْثِرُنَ اللَّعْنَ وَيَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ » يعني الزوج المعاصر

(١) حديث أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة : الترمذى وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة

(٢) حديث : كان رجل خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفلى وكان أبوها في السفلى

فرض : الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف الا أنه قال غفر لأبيها

(٣) حديث : اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها : الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة

(٤) حديث : ذكر النساء فقال جاملات والديات مرضعات : الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث

أبي امامة دون قوله مرضعات وهى عند الطبراني في الصغير

(٥) حديث اطلعت في النار فاذا أكثر أهلها النساء : الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس

وفي خبر آخر <sup>(١)</sup> « اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء؟ قال شغلن الأحران الذهب والزعفران » يعني الحلى ومصبغات الثياب

وقالت عائشة رضى الله عنها أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> فقالت يا رسول الله، انى فتاة اخطب فاكهه التزويج، فما حق الزوج على المرأة؟ قال « لو كان من قوتي إلى قدميه صديده فلحسته ما أدت شكره » قالت أفلا أتزوج؟ قال « بلى تزوجي فإنه خير » قال ابن عباس أنت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> فقالت، انى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج؟ قال « إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها على نفسها وهي على ظهر بغير لا تمنعه، ومن حقه أن لا تعطى شيئاً من يتيه إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها ولا أجر له، ومن حقه أن لا تصوم تطوعاً إلا بإذنه فإن فعلت جاءت وعطشت ولم يتقبل منها، وإن خرجت من يتيه بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى يتيه أو تنوب » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « لو أمرت أحد أن يسجد لأحد حتى ترجع إلى يتيه أو تنوب » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « لو أمرت أحد أن يسجد لأحد حتى ترجع إلى يتيه أو تنوب »

(١) حديث اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلن الأحران الذهب والزعفران أحمد بن

حديث ابى امامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران وسلم من حديث عزة الأشجعية ويل

للنساء من الأحران الذهب والزعفران وسنده ضعيف

(٢) حديث عائشة أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله انى فتاة اخطب وانى أكره التزويج

فما حق الزوج على المرأة - الحديث الحاكم وصححه اسناده من حديث أبى هريرة دون قوله بلى

فتزوجى فإنه خير ولم أره من حديث عائشة

(٣) حديث ابن عمر أنت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى امرأة أيم وأريد

أن أتزوج فما حق الزوج الحديث البيهقي مقتصرأ على شطر الحديث ورواه بتمامه من

حديث ابن عمر وفيه ضعف

(٤) حديث: لو أمرت أحد أن يسجد لأحد لا أمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقها

عليها الترمذى وابن حبان من حديث أبى هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أرها وكذلك

رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث

ابن أبى اوفى

لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرَوْحِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا» وقال صلى الله عليه وسلم «<sup>(١)</sup> أَقْرَبُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا إِذَا كَانَتْ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا وَإِنْ صَلَاتُهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهَا فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا وَصَلَاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا» والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام «<sup>(٢)</sup> الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ» وقال أيضاً «<sup>(٣)</sup> لِلْمَرْأَةِ عَشْرُ عَوْرَاتٍ فَإِذَا تَزَوَّجَتْ سَتَرَ الزَّوْجُ عَوْرَةَ وَاحِدَةً فَإِذَا مَاتَتْ سَتَرَ الْقَبْرُ الْعَشْرَ عَوْرَاتٍ»

فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة ، وأهمها أمران ، أحدهما الصيانة والستر . والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة ، والتعفف عن كسبه إذا كان حراما . وهكذا كانت عادة النساء في السلف . كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته : اياك وكسب الحرام ، فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وهم رجل من السلف بالسفر ، فكره جيرانه سفره ، فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة ؟ فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وماعرفته رزاقا ، ولى رب رزاق ، يذهب الا كمال ويبقى الرزاق

وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحمد بن ابى الحوارى ، فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالى همة فى النساء لشغلى بحالى ، فقالت انى لأشغل بحالى منك ، ومالى شهوة . ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجى ، فاردت ان تنفقه على اخوانك ، وأعرف بك الصالحين ، فيكون لى طريقا الى الله عز وجل . فقال حتى استأذن أستاذى ، فرجع الى أبى سلمان الداراني ، قال وكان ينهاني عن التزويج ، ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير . فلما سمع كلامها قال تزوج بها ، فانها ولية الله ، هذا كلام الصديقين . قال فتزوجتها ، فكان

(١) حديث: اقرب ما تكون المرأة من ربها اذا كانت فى قعر بيتها فان صلاتها فى صحن دارها افضل من صلاتها فى المسجد - الحديث ابن جبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه ابو داود مختصرا من حديثه دون ذكر صحن الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلى فى الدار خير لها من ان تصلى فى المسجد واسناده حسن ولا بن جبان من حديث ام حميد نحوه

(٢) حديث: المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذى وقال حسن صحيح وابن جبان من حديث ابن مسعود

(٣) حديث: للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة - الحديث الحافظ ابو بكر محمد بن عمر الجعافى فى تاريخ الطالبين من حديث على بسند ضعيف وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وماهما قال الروح والقبر

في منزلنا كن من جص ، ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الاكل ، فضلا  
عمن غسل بالاشنان : قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة ، فكانت تطعمني الطيبات ،  
وتطينني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك . وكانت رابعة هذه تشبه في أهل  
الشام برابعة العدوية بالبصرة .

ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله ، بل تحفظه عليه . قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم <sup>(١)</sup> « لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تُطْعِمَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِلَّا الرُّطْبَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي يُخَافُ  
فَسَادُهُ فَإِنْ أَطْعَمَتْ عَنْ رِضَاهُ كَانَ لَهَا مِثْلُ أَجْرِهِ . وَإِنْ أَطْعَمَتْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ كَانَ لَهُ  
الْأَجْرُ وَعَلَيْهَا الْوِزْرُ »

ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج . كما روى ان  
أسماء بنت خزيمة الفزاري قالت لابنته عند الزواج : انك خرجت من العش الذي فيه درجت  
فصرت الى فراش لم تعرفيه ، وقرين لن تألفيه . فكوني له ارضا يكن لك سماء ، وكوني له مهادا  
يكن لك عمادا ، وكوني له أمة يكن لك عبدا . لا تلحقي به فيفلاك ، ولا تباعدى عنه فينساك ،  
ان دنا منك فاقربى منه ، وان نأى فابعدى عنه ، واحفظي أنفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك  
الا طيبا ، ولا يسمع الا حسنا ، ولا ينظر الا جميلا  
وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستدعى مودنى \* ولا تنطقى فى سورتنى حين أغضب  
ولا تنقرينى تقرك الدف مرة \* فانك لاتدرين كيف المغيب  
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى \* ويأباك قلبى والقلوب تقلب  
فانى رأيت الحب فى القلب والأذى \* اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب  
فالقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل ، أن تكون قاعدة فى قعر بيتها ، لازمة

(١) حديث لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الحديث ابو داود الطيالسي والبيهقي  
من حديث ابن عمر فى حديث فيه ولا تعطى من بيته شيئا إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان له  
الأجر وعليها الوزر ولأبى داود من حديث سعد قالت امرأة يا رسول الله اننا كل على آباءنا  
وابنائنا وازواجنا فما يحل لنا من الموالهم قال الرطب تأكله وتهديه وصحح الدارقطني فى العلل  
ان سعدا هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبى وقاص واختاره ابن القطان وشيخه من  
حديث عائشة اذا انفتحت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما انفتحت ولزوجها  
لأجره بما كسبه

لمغز لها ، لا يكثر صعودها واطلاعها ، قليلة الكلام لجيرانها ، لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول ، تحفظ بعلمها في غيبته ، وتطلب مسرته في جميع أمورها ، ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا بأذنه ، فان خرجت بأذنه فختفية في هيئة رثة ، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق ، محتززة من ان يسمع غريب صوتها ، أو يعرفها بشخصها ، لا تتعرف الى صديق بعلمها في حاجاتها ، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه ، همها صلاح شأنها ، وتدير بيتها ، مقبلة على صلاتها وصيامها . وإذا استأذن صديق لبعلمها على الباب وليس البعل حاضر لم تستفتحهم ، ولم تعاوده في الكلام ، غيره على نفسها وبعلمها ، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه على حق نفسها ، وحق سائر أقاربها ، متنظفة في نفسها ، مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها ان شاء ، مشفقة على أولادها ، حافظة للستر عليهم ، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج . وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَيْنِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ ، امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَحَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى بَنَاتِهَا حَتَّى تَأْبُوا أَوْمَاتُوا » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ الْجَنَّةَ يَدْخُلُهَا قَبْلِي . غَيْرَ أَنِّي أَنْظُرُ عَنْ يَمِينِي فَإِذَا امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَأَقُولُ مَا لِهَذِهِ تُبَادِرُنِي ؟ فَيَقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ امْرَأَةٌ كَانَتْ حَسَنَاءَ جَمِيلَةً وَكَانَ عِنْدَهَا يَتَايِي لَهَا فَصَبَرَتْ عَلَيْهِنَّ حَتَّى بَلَغَ أَمْرُهُنَّ الَّذِي بَلَغَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ »

ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها ، ولا تردى زوجها لقبه . فقد روى ان الاصمعي قال ، دخلت البادية فاذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها ، تحت رجل من أقبح الناس وجها . فقلت لها ياهذه ، أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله ، فقالت يا هذا اسكت ، فقد أسأت في قولك . لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ، أو لعل أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي . أفلا أرضى بما رضى الله لي ! فاسكتني . وقال الاصمعي وأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة ، ويدها سبحة . فقلت بما أبعد هذا من هذا ! فقالت :

(١) حديث أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين - الحديث ابوداود من حديث ابى مالك الأشجعي بسند ضعيف

(٢) حديث حرم الله على كل آدمي الجنة ان يدخل قبلى غير أنى انظر عن يمينى فاذا امرأة تبادرني الى

باب الجنة الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابى هريرة بسند ضعيف



ولله منى جانب لا أضيعه \* والله منى والبطالة جانب

فعلت انها امرأة سالحة لها زوج تزين له

ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها ، والرجوع الى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ، ولا ينبغي أن تؤذى زوجها بحال . روى عن معاذ ابن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ لَا تُؤْذِيهِ قَاتِلَكَ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوْشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا »

ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ، أن لا تحده عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر ، وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة . قالت زينب بنت أبي سلمة ، دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب ، فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره ، فدهنت به جارية ثم مست بعارضتها ، ثم قالت : والله مالى بالطيب من حاجة ، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> يقول « لَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَحْدَ عَلَى مَيِّتٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة ، وليس لها الانتقال الى أهلها ولا الخروج الا لضرورة .

ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها . فقد روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما أنها قالت : <sup>(٣)</sup> تزوجني الزبير ، وماله في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه ، فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه ، وأدق النوى لناضحه وأعلفه ، وأستقي الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن . وكنت أنقل النوى على رأسي من

(١) حديث معاذ لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الخور العين لا تؤديه . الحديث الترمذي

وقال حسن غريب وابن ماجه

(٢) حديث أم حبيبة لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على

زوج اربعة اشهر وعشرا متفق عليه

(٣) حديث أسماء تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضح فكنت

أعلف فرسه . الحديث متفق عليه

ثلاثي فرسخ ، حتى أرسل إلى أبو بكر بجزيرة ، فكفتني سياسة الفرس . فكأما أعتقني .  
ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ومعه أصحابه ، والنوى على رأسي . فقال صلى  
الله عليه وسلم « اخ اخ لينبيخ نأقتة ويحملي خلفه » فاستحييت أن أسير مع الرجال ،  
وذكرت الزبير وغيره ، وكان أغبر الناس . فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد  
استحييت . فجنبت الزبير ، فحكيت له ما جرى ، فقال والله لملك النوى على رأسك  
أشد على من ركوبك معه .

تم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى

# کتاب آداب الکسب والمعاش

## مكتاب آداب الكسب والعاش

﴿ وهو الكتاب الثالث من ريع العادات من كتاب إحياء علوم الدين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد موحداً نحقق في توحيد ماسوى الواحد الحق وتلاشى ، ونعجده تعجيد من يصرح بأن كل شىء ماسوى الله باطل ولا يتحاشى ، وإن كل من فى السموات والارض لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ولا فراشا ، ونشكره اذ رفع السماء لعباده سقفاً مبنيًا ومهد الارض بساطاً لهم وفراشا ، وكور الليل على النهار فجعل الليل لباساً وجعل النهار معاشاً ، لينتشروا فى ابتغاء فضله وينتمشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشاً . ونصلى على رسوله الذى يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشاً ، وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا فى نصرة دينه تشمراً وانكاشاً . وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . فإن رب الارباب ومسبب الأسباب ، جعل الآخرة دار الثواب والعقاب ، والديار دار التمحل والاضطراب والتشمر والاكتساب . وليس التشمر فى الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش ، بل المعاش ذريعة الى المعاد ، ومعين عليه ، فالديار مزرعة الآخرة ، ومدرجة اليها والناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين ، والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلزم فى طلب المعيشة منهج السداد ، ولن يتنهض من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب فى طلبها بآداب الشريعة وهانحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ، ونشرحها فى خمسة أبواب

( الباب الاول ) : فى فضل الكسب والحث عليه

( الباب الثانى ) : فى علم صحيح البيع والشراء والمعاملات

( الباب الثالث ) : فى بيان العدل فى المعاملة

( الباب الرابع ) : فى بيان الاحسان فيها

( الباب الخامس ) : فى شفقة التاجر على نفسه ودينه

## الباب الأول

﴿ في فضل الكسب والحث عنه ﴾

أما من الكتاب فقوله تعالى (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا<sup>(١)</sup>) فذكره في معرض الامتنان. وقال تعالى (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ<sup>(٢)</sup>) فجعلها ريبك نعمة، وطلب الشكر عليها، وقال تعالى (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ<sup>(٣)</sup>) وقال تعالى (وَأَخْرُؤْنَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>) وقال تعالى (فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ<sup>(٥)</sup>) وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> «مِنْ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لَا يَكْفُرُهَا إِلَّا اللَّهُ» في طلب المعيشة « وقال عليه السلام<sup>(٢)</sup> «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الصَّادِقِينَ وَالشَّهْدَاءِ» وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> «مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا وَتَعَطَّفًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَسَعْيًا عَلَى عِيَالِهِ وَتَعَطَّفًا عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» وكان صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> جالساً مع أصحابه ذات يوم، فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى. فقالوا ويح هذا، لو كان شبابه وجلده في سبيل الله. فقال صلى الله عليه وسلم «لَا تَقُولُوا هَذَا فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَكْفَهَا عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَيُغْنِيَهَا عَنِ النَّاسِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى أَبْوَيْنَ ضَعِيفَيْنِ أَوْ ذُرِّيَّةٍ ضِعَافٍ لِيُغْنِيَهُمْ وَيَكْفِيَهُمْ فَهُوَ

الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه

- (١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب المعيشة: تقدم في النكاح
- (٢) حديث التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء: الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد قال الترمذي حسن وقال الحاكم أنه من مراسيل الحسن ولا بن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر
- (٣) حديث من طلب الدنيا حلالاً تعطفاً عن المسألة وسعياً على عياله - الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبونعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف
- (٤) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان جلد في سبيل الله - الحديث الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب ابن عجرة بسند ضعيف

(١) النبأ: ١١ (٢) الحجر: ٢٠ (٣) البقرة: ١٩٨ (٤) الزمل: ٢٠ (٥) الجمعة: ٩٠

فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَإِنْ كَانَ يَسْعَى تَفَاخُرًا وَتَكَاثُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ يَتَّخِذُ الْمِهْنَةَ لِيَسْتَعْنِيَ بِهَا عَنِ النَّاسِ وَيَبْغِضُ الْعَبْدَ يَتَّعَلَّمُ الْعِلْمَ يَتَّخِذُهُ مِهْنَةً » وفي الخبر <sup>(٢)</sup> « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « أَحَلُّ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ ، وَكُلُّ يَتِيمٍ مَبْرُورٌ » وفي خبر آخر <sup>(٤)</sup> « أَحَلُّ مَا أَكَلَ الْعَبْدُ كَسْبُ يَدِ الصَّانِعِ إِذَا نَصَحَ » وقال عليه السلام <sup>(٥)</sup> « عَلَيْكُمْ بِالتَّجَارَةِ فَإِنَّ فِيهَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الرِّزْقِ » وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال ما نضع ؟ قال أتعبد . قال من يمولك ؟ قال أخى . قال أخوك أعبد منك . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « إِنِّي لَا أَعْلَمُ شَيْئًا يَقْرُبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا مَهْيَتُكُمْ عَنْهُ . وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ

(١) حديث أن الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس - الحديث لم أجده هكذا وروى أبو منصور

الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على أن الله يحب أن يرى عبده تعباً فى طلب الحلال

وفيه محمد بن سهل العطار قال الدارقطنى يضع الحديث

(٢) حديث أن الله يحب للمؤمن المحترف: الطبرانى وابن عدى وضعه من حديث ابن عمر

(٣) حديث أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور: أحمد من حديث رافع بن خديج قيل يارسول الله آتى

الكسب أطيب قال عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور ورواه البزار والحاكم من رواية

سعيد بن عمير عن عمه قال الحاكم صحيح الاسناد قال وذكر يحيى بن معين أن عم سعيد البراء

ابن عازب ورواه البيهقى من رواية سعيد بن عمير مرسلًا وقال هذا هو المحفوظ وخطأ قول

من قال عن عمه وحكاه عن البخارى ورواه احمد والحاكم من رواية جميع بن عمير عن

خاله أبى بردة وجميع ضعيف والله أعلم

(٤) حديث أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح: احمد من حديث أبى هريرة خير الكسب كسب العامل

إذا نصح واستاده حسن

(٥) حديث عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق: إبراهيم الحربى فى غريب الحديث من حديث نعيم

ابن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق فى التجارة ورجاله ثقات ونعيم هذا قال فيه ابن منده

ذكر فى الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازى وابن حبان انه تابعى فالحديث مرسل

(٦) حديث انى لا أعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه فان الروح الامين نفث فى روعى

أن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها - الحديث: ابن أبى الدنيا فى الفئاع والحاكم من حديث

ابن مسعود وذكره شاهداً لحديث أبى حميد وجابر وصحهما على شرط الشيخين وهما مختصران

ورواه البيهقى فى شعب الايمان وقال انه منقطع

رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْلُوا فِي الطَّلَبِ » أمر بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب . ثم قال في آخره « وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَعْصِيَتِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « الْأَسْوَاقُ مَوَائِدُ اللَّهِ تَعَالَى فَمَنْ أَتَاهَا أَصَابَ مِنْهَا » وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup> « لَا نَّ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ » وقال <sup>(٣)</sup> « مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابًا مِنَ السُّؤَالِ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفَقْرِ » وأما الآثار : فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر ، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال : رقة في دينه ، وضعف في عقله ، وذهاب مبروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به

وقال عمر رضى الله عنه ، لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . وكان زيد بن مسلمة يفرس في أرضه ، فقال له عمر رضى الله عنه أصبت . استغن عن الناس يكن أصون لديك ، وأكرم لك عليهم ، كما قال صاحبكم أحيحة فلن أزال على الزوراء أنهرها \* ان الكريم على الاخوان ذوالمال

وقال ابن مسعود رضى الله عنه انى لا كره أن أرى الرجل فارغاً لا فى أمر دنياه ولا فى أمر آخرته . وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة ؟ قال التاجر الصدوق أحب الى ، لانه فى جهاد ، يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ، ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده . وخالفه الحسن البصرى فى هذا . وقال عمر رضى الله عنه ، ما من موضع يأتي الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لأهلى ، أبيع واشترى ، وقال الهيثم ، ربما يلفنى عن الرجل يقع فى فا ذكر استغنائى عنه فيهنون ذلك على وقال أيوب ، كسب فيه شيء أحب إلى من سؤال الناس ،

(١) حديث الأسواق موائد الله من أتاها أصاب منها : روياه فى الطبوريات من قول الحسن البصرى ولم أجده مرفوعاً

(٢) حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً الحديث متفق عليه من حديث أنى هريرة

(٣) حديث من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر : الترمذى من حديث أبى كبشة الأنمارى ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وقال حسن صحيح

وجاءت ريح عاصفة في البحر ، فقال أهل السفينة لابراهيم بن آدم رحمه الله ، وكان معهم فيها ، أما ترى هذه الشدة ؟ فقال ما هذه الشدة ، انما الشدة الحاجة الى الناس . وقال أيوب قال لي أبو قلابة الزم السوق ، فان النني من العافية . يعني النني عن الناس . وقيل لأحمد ، ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيأ حتى يأتي رزقي ؟ فقد أحمد ، هذا وجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال <sup>(٢)</sup> « تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرْوُحُ بِطَانًا » فذكر أنها تغدو في طلب الرزق .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ، ويعملون في تخيلهم والقذوة بهم . وقال أبو قلابة لرجل ، لأن أراك تطلب معاشك أحب الى من أن أراك في زاوية المسجد . وروى ان الأوزاعي لقي ابراهيم بن آدم رحمه الله ، وعلى عنقه حزمة حطب ، فقال له يا أبا اسحق ، الى متى هذا ؟ اخوانك يكفونك . فقال دعني عن هذا يا أبا عمرو ، فانه يليني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة . وقال أبو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ، ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ، ينادى مناد يوم القيامة أين بنضاء الله في ارضه ؟ فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ، ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك الا الكسب والتجارة

فان قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَا أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ الْمَالَ وَكُنْ مِنَ التَّاجِرِينَ وَلَكِنْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ سَبِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » وقيل لسلمان الفارسي أوصنا ، فقال من استطاع منكم أن يموت حاجا ، أو غاريا . أو صامرا المسجد ربه ، فليفعل . ولا يموت تاجرا ولا خائنا

(١) حديث ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي . احمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي واسناده صحيح

(٢) حديث ذكر الطير فقال تغدو خماسا وتروح بطانا : الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي

حسن صحيح

(٣) حديث ما أوحى الي أن أجمع المال وكن من التجارين ولكن أوحى الي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين : ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين



فالحواب ان وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال . فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقاً من كل شيء ، ولكن التجارة اما أن تطلب بها الكفاية ، أو الثروة ، أو الزيادة على الكفاية . فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره ، لا يصرف الى الخيرات والصدقات ، فهي مذمومة . لأنه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة . فان كان مع ذلك ظالماً خائناً ، فهو ظلم وفسق . وهذا ما أراد سلمان بقوله ، لا تمت تاجراً ولا حائناً . وأراد بالتاجر طالب الزيادة . فأما اذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده ، وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال ، فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل . وان كان لا يحتاج الى السؤال ، وكان يعطى من غير سؤال ، فالكسب أفضل . لأنه انما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ، ومناد بين الناس بفقره . فالتعفف والتستر أولى من البطالة ، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية . وترك الكسب أفضل لأربعة : عابد بالعبادات البدنية ، أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات ، أو عالم مشغول بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم ، كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم ، أو رجل مشغول بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم ، كالسلطان والقاضي والشاهد . فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح ، أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء ، فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب . ولهذا أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن سبيح بحمد ربك وكن من الساجدين ، ولم يوح اليه أن كن من التاجرين ، لأنه كان جامعاً لهذه المعاني الأربعة الى زيادات لا يحيط بها الوصف . ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضي الله عنهم بترك التجارة لما ولي الخلافة ، اذ كان ذلك يشغله عن المصالح . وكان يأخذ كفايته من مال المصالح . ورأى ذلك أولى . ثم لما توفي أوصى برده الى بيت المال ، ولكنه رآه في الابتداء أولى

ولهؤلاء الأربعة حالتان أخريان ، احدهما أن تكون كفايتهم عند ترك المكسب من أيدي الناس ، وما يتصدق به عليهم من زكاة أو صدقة ، من غير حاجة الى سؤال . فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى ، اذ فيه إعانة الناس على الخيرات ، وقبول منهم لما هو حق عليهم وأفضل لهم .

الحالة الثانية الحاجة الى السؤال . وهذا في محل النظر . والتشديدات التي رويناهما

في السؤال وذمه، تدل ظاهراً على أن التعفف عن السؤال أولى . وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير . بل هو موكول إلى اجتهد العبد ونظره لنفسه ، بأن يقابل ما يلقي في السؤال من المذلة وهتك المروءة ، والحاجة إلى التثقيل والالاحاح ، بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره . فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم أو العمل ، ويهون عليه بأدنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية . وربما يكون بالعكس . وربما يتقابل المطلوب والمحذور . فينبغي أن يستفتى المرید فيه قلبه وإن أفتاه المفتون فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال

ولقد كان في السلف من له ثلثائة وستون صديقاً ، ينزل على كل واحد منهم ليلة . ومنهم من له ثلاثون . وكانوا يشتغلون بالعبادة ، لعلمهم أن المتكلفين بهم يتقلبون مئة من قبولهم لمبراتهم . فكان قبولهم لمبراتهم خيراً مضافاً لهم إلى عباداتهم . فينبغي أن يدقق النظر في هذه الأمور فإن أجر الآخذ كأجر المعطى ، مهما كان الآخذ يستعين به على الدين . والمعطى يعطيه عن طيب قلب . ومن اطلع على هذه المعاني أمكنه أن يتعرف حال نفسه . ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته

فهذه فضيلة الكسب . وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعاً لأربعة أمور ، الصحة والعدل ، والاحسان ، والشفقة على الدين . ونحن نعقد في كل واحد باباً ، ونبتدىء بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني .

## الباب الثاني

في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة  
وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكنتسب . لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه . والمكنتسب يحتاج إلى علم الكسب . ومهما حصل علم هذا الباب ، وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها ، وما شذ عنه من الفروع المشككة فيقع على

﴿ الباب الثاني في علم الكسب ﴾

سبب اشكالها ، فيتوقف فيها الى أن يسأل . فانه اذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جملي ، فلا يدرى متى يجب عليه التوقف والسؤال . ولو قال لأقدم العلم ، ولكنى اصبر الى أن تقع لى الواقعة ، فعندها أتعلم واستفتى ، فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جعل مفسدات العقود ؟ فانه يستمر فى التصرفات ويظنها صحيحة مباحة ، فلا بدله من هذا القدر من علم التجارة ، ليميز له المباح عن المحظور ، وموضع الاشكال عن موضع الوضوح . ولذلك روى عن عمر رضى الله عنه ، أنه كان يطوف السوق ، ويضرب بعض التجار بالدرّة ، ويقول لا يبيع فى سوقنا إلا من يفقه ، وإلا أكل الربا شاء أم أبى

وعلم العقود كثير ، ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها ، وهى البيع ، والربا ، والسلم ، والاجارة ، والشركة ، والقراض ، فلنشرح شروطها

## العقد الأول

### البيع

وقد أحله الله تعالى ، وله ثلاثة أركان : العاقد ، والمعقود عليه ، واللفظ .

الركن الاول : العاقد . ينبغى للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة : الصبي ، والمجنون ، والعبد والاعمى . لأن الصبي غير مكلف ، وكذا المجنون . وبمهما باطل . فلا يصح بيع الصبي ، وإن أذن له فيه الولي عند الشافعى . وما أخذه منهما مضمون عليه لهما ، وما ساهم فى المعاملة اليهما فضاع فى أيديهما فهو المضيع له . وأما العبد الباقل ، فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بأذن سيده . فعلى البقال والخباز والقصّاب وغيرهم ، أن لا يعاملوا العبيد ، ما لم تأذن لهم السادة فى معاملتهم ، وذلك بأن يسمعه صريحا ، أو ينتشر فى البلد أنه مأذون له فى الشراء لسيده ، وفى البيع له ، فيعول على الاستفاضة ، أو على قول عدل يخبره بذلك . فإن عامله بغير إذن السيد فعقده باطل ، وما أخذه منه مضمون عليه لسيده . وما تساهم به فى يد العبد لا يتعلق برقبته ، ولا يضمّنه سيده . بل ليس له الا المطالبة اذا عتق . وأما الأعمى فانه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح ذلك . فليأمره بأن يوكل وكىلا بصيرا ليشتري له أو يبيع ، فيصح توكيله ، ويصح بيع وكيله . فان عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة ، وما أخذه منه مضمون

عليه بقيمته ، وما سلمه اليه ايضاً مضمون له بقيمته . وأما الكافر فتجوز معاملته ، لكن لا يباع منه المصحف ، ولا العبد المسلم ، ولا يباع منه السلاح ان كان من أهل الحرب . فان فعل فهى معاملات مردودة ، وهو عاص بها ربه

وأما الجندية من الاثراك ، والتركانية ، والعرب ، والاكراد ، والسراق ، والخونة ، وأكلة الربا ، والظلمة ، وكل من أكثر ماله حرام ، فلا ينبغي أن يملك مما في أيديهم شيئاً لأجل أنها حرام ، الا اذا عرف شيئاً بعينه أنه حلال . وسيأتى تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام الركن الثانى فى العقود عليه : وهو المال المقصود نقله من أحد العاقلين الى الآخر ، مما كان أو مئثناً ، فيعتبر فيه ستة شروط :

الاول: أن لا يكون نجساً فى عينه ، فلا يصح بيع كلب وخنزير ، ولا بيع زبل وعذرة ، ولا بيع العاج والأوانى المتخذة منه ، فان العظم ينجس بالموت ، ولا يطهر الفيل بالذبح ، ولا يطهر عظمه بالتذكية . ولا يجوز بيع الخمر ، ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التى لا تؤكل ، وان يصلح للاستصباح أو طلاء السفن . ولا بأس ببيع الدهن الطاهر فى عينه ، الذى نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه ، فانه يجوز الانتفاع به فى غير الاكل ، وهو فى عينه ليس بنجس . وكذلك لا أرى بأساً ببيع بزرق القز ، فانه أصل حيوان ينتفع به ، وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان ، أولى من تشبيهه بالروث . ويجوز بيع فارة المسك ، ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية فى حالة الحياة

الثانى: أن يكون منتفعاً به ، فلا يجوز بيع الحشرات ، ولا الفأرة ، ولا الحية . ولا التفات الى انتفاع المشعبد بالحية ، وكذا لا التفات الى انتفاع أصحاب الحلق باخراجها من السلوة وعرضها على الناس . ويجوز بيع الهرة والنحل ، وبيع الفهد والاسد ، وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لأجل الحمل . ويجوز بيع الطوطى وهى الببغاء ، والطاوس والطيور المليحة الصور ، وان كانت لا تؤكل ، فان التفرج بأصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح ، وانما الكلب هو الذى لا يجوز أن يقتنى اعجاباً بصورته ، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه <sup>(١)</sup>

(١) حديث النهى عن اقتناء الكلب : متفق عليه من حديث ابن عمر من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو ضارباً نقص من عمله كل يوم قيراطان

ولا يجوز بيع العود والصنح والمزامير والملاهي ، فإنه لا منفعة لها شرعا . وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان ، فإن كسرها واجب شرعا . وصور الأشجار متسامح بها ، وأما الثياب والاطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها . وكذا الستور . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها (١) « اتَّخِذِي مِنْهَا نَارِقَ » ولا يجوز استعمالها منصوبة ، ويجوز موضوعة . وإذا جاز الانتفاع من وجهه ، صح البيع لذلك الوجه

الثالث أن يكون المتصرف فيه مملوكا للعائد ، أو مأذونا من جهة المالك . ولا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظارا للأذن من المالك . بل لورضى بعد ذلك وجب استئنافه العقد . ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ، ولا من الزوج مال الزوجة ، ولا من الوالد مال الولد ، ولا من الولد مال الوالد ، اعتمادا على أنه لو عرف لرضى به ، فإنه إذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع . وأمثال ذلك مما يجزى في الأسواق . فواجب على العبد المتدين أن يحتزم منه .

الرابع أن يكون المقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا ، فلا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه . كالأبق ، والسماك في الماء ، والجنين في البطن ، وعشب الفحل . وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان ، واللبن في الضرع لا يجوز فإنه يتعذر تسليمه ، لاختلاط غير المبيع بالمبيع . والمعجوز عن تسليمه شرعا ، كالرهن والموقوف والمستولدة ، فلا يصح بيعها أيضا . وكذا بيع الام دون الولد ، إذا كان الولد صغيرا . وكذا بيع الولد دون الأم ، لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام . فلا يصح التفريق بينهما بالبيع

الخامس أن يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف ، أما العلم بالعين فبأن يشير إليه بعينه ، فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أي شاة أردت ، أو ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك ، أو ذراعا من هذا الكرياس وخذه من أي جانب شئت ، أو عشرة أذرع من

(١) حديث اتخذي منه نارق بقوله لعائشة : متفق عليه من حديثها

هذه الأرض وخذه من أى طرف شئت ، فالبيع باطل . وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين ، إلا أن يبيع شائنا ، مثل ان يبيع نصف الشيء أو عشره ، فان ذلك جائز . وأما العلم بالتقدر ، فانما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر اليه . فلو قال بعثك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه ، وهما لا يدریان ذلك فهو باطل . ولو قال بعثك بزنة هذه الصنجة فهو باطل ، إذا لم تكن الصنجة معلومة . ولو قال بعثك هذه الصبرة من الخنطة فهو باطل . أو قال بعثك بهذه الصبرة من الدراهم ، أو بهذه القطعة من الذهب ، وهو يراها ، صح البيع ، وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار . وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الأعيان . ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها ، والوصف لا يقوم مقام العيان . هذا أحد المذهبين . ولا يجوز بيع الثوب في المنسج اعتمادا على الرقوم ، ولا بيع الخنطة في سنبلها . ويجوز بيع الارز في قشرته التي يدخر فيها . وكذا بيع الجوز واللوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين . ويجوز بيع الباقلاء الرطب في قشره للحاجة . ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الاولين به ، ولكن نجعله بإباحة بعوض ، فان اشتراه ليبيعه ، فالقياس بطلانه لأنه ليس مستتراستراخلقة ، ولا يبعد أن يتسامح به ، إذ في إخراجه إفساده كالرمان وما يستر بستر خلق معه السادس أن يكون المبيع مقبوضا ، ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة . وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> عن بيع ما لم يقبض . ويستوى فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فبيعه باطل . وقبض المنقول بالنقل ، وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم الابان يكتاله . وأما بيع الميراث والوصية والوديعة ، وما لم يكن الملك حاصل فيه بمعاوضة ، فهو جائز قبل القبض

الركن الثالث لفظ العقد . فلا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به ، بلفظ دال على المقصود منهم اما صريح أو كناية . فلو قال أعطيتك هذا بذاك ، بدل قوله بعثك ، فقال قبلته ، جاز مهما قصدا به البيع . لأنه قد يحتمل الاعارة إذا كان في ثوبين أو دابتين . والنية تدفع الاحتمال . والصريح أقطع للخصومة . ولكن الكناية تفيد الملك والحل أيضا فيما يختاره . ولا ينبغي أن يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئا آخر ، أو أن يحمل المبيع إلى داره ، كل ذلك فسد ، إلا إذا أفرد استجاره

(١) حديث النهى عن بيع ما لم يقبض : متفق عليه من حديث ابن عباس

على النقل ، باجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول . ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان ، لم ينعقد البيع عند الشافعي أصلاً ، وانعقد عند أبي حنيفة أن كان في المحقرات . ثم ضبط المحقرات عسير . فإن رد الأمر إلى العادات ، فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة . إذ يتقدم الدلال إلى البزاز يأخذ منه ثوباً يباها قيمته عشرة دنانير مثلاً ويحمله إلى المشتري ، ويعود إليه بأنه ارتضاه ، فيقول له خذ عشرة ، فيأخذ من صاحبه العشرة ، ويحملها ويسلمها إلى البزاز ، فيأخذها ويتصرف فيها ، ومشتري الثوب يقطعه ، ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلاً . وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البيع ، فيعرض متاعاً قيمته مائة دينار مثلاً فيمن يزيد . فيقول أحدهم هذا على تسعين ، ويقول الآخر هذا على بخمسة وتسعين ، ويقول الآخر هذا بمائة ، فيقال له زن ، فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول . فقد استمرت به العادات

وهذه من المضلات التي ليست تقبل العلاج ، إذا احتملت ثلاثة :

إما فتح باب المعاطاة مطلقاً في الحقيق والنفيس وهو محال ، إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه ، وقد أحل الله البيع ، والبيع اسم للإيجاب والقبول ، ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسليم . فبماذا يحكم بانتقال الملك من الحابسين ، لاسيما في الجوارى والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه ، إذ للمسلم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بعته ، إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم ، وذلك ليس ببيع

الاحتمال الثاني أن نسد الباب بالكلية ، كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان المقد . وفيه أشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات معتاداً في زمن الصحابة ، ولو كانوا يتكفون الإيجاب والقبول مع البقال والجهاز والقصاب لثقل عليهم فعله ، ولنقل ذلك نقلاً منتشراً ، ولو كان يشتهر وقت الاعراض بالكلية عن تلك العادة . فإن الأعصار في مثل هذا متفاوت والثاني أن الناس الآن قد انهمكوا فيه ، فلا يشتري الإنسان شيئاً من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة ، فأى فائدة في تلفظه بالمقد إذا كان الأمر كذلك

الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها ، كما قاله أبو حنيفة رحمه الله ، وعند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات ، ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه . وقد ذهب

ابن سريج إلى تخريج قول للشافعي رحمه الله على وفقه . وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لومنا إليه لمسيس الحاجات . ولعموم ذلك بين الخلق ، ولما يقلب على الظن بان ذلك كان معتادا في الأعصار الاول

فاما الجواب عن الاشكالين فهو أن نقول :

أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير ، فان ذلك غير ممكن . بل له طرفان واضحان ، إذ لا يخفى أن شراء البقل ، وقليل من الفواكه ، والخبز واللحم من المعداد من المحقرات التي لا يمتد فيها الامعاظة ، وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ، ويستبرد تكليفه لذلك ويستثقل ، وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ، ولا وجه له . فهذا طرف الحقارة . والطرف الثاني الدواب والعبيد ، والمقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيها . وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها ، هي في محل الشبهة . فحق ذى الدين أن يميل فيها إلى الاحتياط . وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة ، كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة ، وأوساط مشككة .

وأما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك . فهو أن يجعل الفعل باليد أخذا وتسليما سببا . إذ اللفظ لم يكن سببا لعينه ، بل لدلالته . وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة ، وانضم إليه مسيس الحاجة وعادة الاولين ، واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول ، مع التصرف فيها ، وأي فرق بين أن يكون فيه عرض أو لا يكون ؟ إذ الملك لا بد من نقله في الهبة أيضا ، إلا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقيق والنفيس ، بل كان طلب الايجاب والقبول يستتبع فيه كيف كان ، وفي المبيع لم يستتبع في غير المحقرات . هذا ما نراه أعدل الاحتمالات

وحق الورع المتدين أن لا يدع الايجاب والقبول ، للخروج عن شبهة الخلاف . فلا ينبغي أن يتمتع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول . فان ذلك لا يعرف تحقيقا ، فربما اشتراه بقبول وإيجاب . فان كان حاضرا عند شرائه ، أو أقر البائع به ، فليمتنع منه ، وليشتر من غيره . فان كان الشيء محقرا ، وهو إليه محتاج ، فليتلفظ بالايجاب والقبول فانه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه ، اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ، ومن الفعل ممكن .



فان قلت فان أمكن هذا فما يشتريه ، فكيف يفعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة ؟ وهو يعلم أن أصحابها يكفون بالمعاطاة في البيع والشراء ، أو سمع منهم ذلك أو رآه ، أوجب عليه الامتناع من الأكل ؟

فأقول يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا نفيساً ، ولم يكن من المحقرات . وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه . فإني أقول أن ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك ، فلا ينبغي أن لانجعله دلالة على الإباحة . فان أمر الإباحة أوسع ، وأمر نقل الملك أضيق . فكل مطعم جرى فيه بيع معاطاة ، فتسليم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال ، كإذن الحمامي في دخول الحمام . والإذن في الاطعام لمن يريده المشتري فينزل منزلة ما لو قال أبحت لك أن تأكل هذا الطعام ، أو تطعم من أردت ، فانه يحل له . ولو صرح وقال كل هذا الطعام ، ثم أغرم لي عوضه ، لحل الأكل ، ويلزمه الضمان بعد الأكل . هذا قياس الفقه عندي ، ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومثله ، فعليه الضمان وذلك في ذمته . والثمن الذي سامه إن كان مثل قيمته ، فقد ظفر المستحق بمثل حقه ، فله أن يملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه . وإن كان قادرا على مطالبته ، فانه لا يملك ما ظفر به من ملكه ، لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه ، فعليه المراجعة . وأما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم ، فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا ، بأن يستوفي دينه مما يسلم اليه فيأخذه بحقه . لكن على كل الأحوال جانب البائع أعمض ، لأن ما أخذه قد يريد المالك ليتصرف فيه ، ولا يمكنه التملك إلا إذا أ تلف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر إلى استئناف قصد التملك ، ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول . وأما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين ، فان ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ، ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ما أ تلفه ، وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البائع ما أخذه من المشتري فيسقط . فيكون كالتقاضى دينه والمتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها ، والعلم عند الله . وهذه احتمالات وظنون رددناها ، ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون . وأما الورع فانه ينبغي أن يستفتي قلبه ، ويتقى مواضع الشبه .

## العقد الثاني

### عقد الربا

وقد حرمه الله تعالى وشدد الأمر فيه . ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين ، وعلى المتعاملين على الأطعمة . إذ لاربا إلا في نقد أو في طعام . وعلى الصير في أن يحترز من النسيئة والفضل . أما النسيئة فإن لا يبيع شيئا من جواهر النقدين ، بشيء من جواهر النقدين إلا يدأ بيد . وهو أن يجري التقايض في المجلس . وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب ، وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النساء ومن حيث أن الغالب أن يجري فيه تفاصل ، اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه

وأما الفضل فيحترز منه في ثلاثة أمور : في بيع المكسر بالصحيح ، فلا تجوز المعاملة فيهما الا مع المائلة . وفي بيع الجيد بالردىء ، فلا ينبغي أن يشتري رديئا بجيد دونه في الوزن ، أو ببيع رديئا بجيد فوقيه في الوزن ، أعنى اذا باع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة . فان اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل . والثالث في المركبات من الذهب والفضة ، كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ، ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها أصلا ، الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد ، فانا نرخص في المعاملة عليه ، اذا لم يقابل بالنقد . وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس ، ان لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها ، لأن المقصود منها النقرة وهى مجهولة . وان كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لأجل الحاجة ، وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها . ولكن لا يقابل بالنقرة أصلا . وكذلك كل حلى مركب من ذهب وفضة ، فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة . بل ينبغي أن يشتري بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوما ، الا اذا كان مموها بالذهب تمويهها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار ، فيجوز بيعها بمثلها من النقرة ، وبما أريد من غير النقرة . وكذلك لا يجوز للصير في أن يشتري قلادة فيها خرز وذهب ، بذهب ، ولا أن يبيعه ، بل بالفضة يدا بيد ان لم يكن فيها فضة . ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب ، يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار ، بذهب . ويجوز بالفضة وغيرها

وأما المتعاملون على الأطعمة فعليهم التقابض في المجلس ، اختلف جنس الطعام المبيع والمشتري أو لم يختلف . فان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة . والمعتاد في هذا معاملة القصاب ، بان يسلم اليه الغنم ويشترى بها اللحم ، نقداً أو نسيئة ، فهو حرام . ومعاملة الخباز ، بان يسلم اليه الحنطة ويشترى بها الخبز ، نسيئة أو نقداً ، فهو حرام . ومعاملة العصار بان يسلم اليه البزر والسسم والزيتون ، ليأخذ منه الأدهان ، فهو حرام . وكذلك البنان ، يعطى اللبن ، ليؤخذ منه اللبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن ، فهو أيضاً حرام . ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام الا نقداً ، وبجنسه إلا نقداً ومثلاً . وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز أن يباع به مثلاً ولا متفاضلاً ، فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ، ولا باللبن سمن وزبد ونخيض ومصل وجبن . والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار ، فلا يباع الرطب بالرطب ، والعنب بالعنب ، متفاضلاً ومثلاً .

فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع ، والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثار الفساد ، حتى يستفتى فيها اذا تشكك والتبس عليه شيء منها . واذا لم يعرف هذا لم تفتن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري .

## العقد الثالث

### السلم

وليراع التاجر فيه عشرة شروط :

الاول أن يكون رأس المال معلوماً على مثله ، حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه أمكن الرجوع الى قيمة رأس المال . فان أسلم كفاً من الدراهم جزافاً في كر حنطة لم يصح في أحد القولين الثاني أن يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفريق ، فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم الثالث أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه ، كالحبوب والحيوانات والمعادن ، والقطن والصوف والأبريسم ، والألبان واللحوم ، ومتاع الطارين واشباهها . ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما يختلف أجزاؤه ، كالقسي المصنوعة ، والنبل المعمول ، والخفاف

والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعها ، وجلود الحيوانات . ويجوز السلم في الخبز . وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقتله ، يعنى عنه وينساح فيه الرابع أن يستقضى وصف هذه الأمور القابلة للوصف ، حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتاً لا يتغابن بمثله الناس الا ذكره . فان ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية في البيع الخامس أن يجعل الأجل معلوماً ان كان مؤجلاً ، فلا يؤجل الى الحصاد ، ولا الى ادراك الثمار ، بل الى الاشهر والأيام . فان الادراك قد يتقدم وقد يتأخر

السادس أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ، ويؤمن فيه وجوده غالباً فلا ينبغي أن يسلم في العنب الى أجل لا يدرك فيه ، وكذا سائر الفواكه . فان كان الغالب وجوده ، وجاء المحل ، وعجز عن التسليم بسبب آفة ، فله أن يمهله ان شاء ، أو يفسخ ويرجع في رأس المال ان شاء

السابع أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به ، كي لا يثير ذلك نزاعاً الثامن أن لا يعلقه بمعين فيقول من حنطة هذا الزرع ، أو ثمرة هذا البستان ، فان ذلك يبطل كونه ديناً . نعم لو أضاف الى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود ، مثل درة موصوفة يميز وجود مثلها ، أو جارية حسنة معها ولدها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالباً العاشر أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاماً ، سواء كان من جنسه أو لم يكن . ولا يسلم في نقد اذا كان رأس المال نقداً ، وقد ذكرنا هذا في الربا

## العقد الرابع

### الإجارة

وله ركنان ، الأجرة والمنفعة . فأما العاقد واللفظ ، فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع . والأجرة كالثمن ، فينبغي أن يكون معلوماً وموصوفاً بكل ما شرطناه في البيع ان كان عينا فان كان ديناً فينبغي أن يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بعمارتها فذلك باطل .

اذ قدر العماره مجهول ، ولو قدر دراهم و شرط على المكترى أن يصرفها الى العماره لم يجز ، لأن عمله في الصرف الى العماره مجهول

ومنها استئجار السلاح ، على أن يأخذ الجلد بعد السلخ . واستئجار جمال الجيف يجلد الجيفة ، واستئجار الطحان بالنخالة أو ببيض الدقيق فهو باطل . وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير ، فلا يجوز أن يجعل أجره

ومنها أن يقدر في اجاره الدور والحوانيت مبلغ الأجرة . فلو قال بكل شهر دينار ، ولم يقدر أشهر الاجاره ، كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجاره .

الركن الثاني المنفعة المقصودة بالاجاره ، وهى العمل وحده ان كان عمل مباح معلوم ، يلحق العامل فيه كلفة ، ويتطوع به الغير عن الغير ، فيجوز الاستئجار عليه . وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة . ولكننا لانطول بشرحها ، فقد طولنا القول فيها في السقيات . وانما نشير الى ماتم به البلوى ، فليراع في العمل المستأجر عليه خمسة أمور

الأول : أن يكون متقوماً ، بأن يكون فيه كلفة وتعب ، فلو استأجر طعاماً ليزين به الدكان ، أو أشجاراً ليحفف عليها الثياب ، أو دراهم ليزين بها الدكان ، لم يجز فان هذه المنافع تجري مجرى حبة سمس وحبة برمن الاعيان ، وذلك لايجوز بيعه . وهى كالنظر في مرآة النير ، والشرب من بئر ، والاستظلال بجداره ، والاقباس من ناره . ولهذا لو استأجر بياعاً على أن يتكلم بكلمة يروج بها سلعته ، لم يجز . وما يأخذه الباعون عوضاً عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع ، فهو حرام . اذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لاتعب فيها ، ولا قيمة لها . وانما يحل لهم ذلك اذا تعبوا بكثرة التردد ، أو بكثرة الكلام في تأليف أمر المعاملة . ثم لا يستحقون إلا أجره المثل ، فأما ما توطأ عليه الباعة فهو ظلم ، وليس مأخوذاً بالحق الثاني : أن لا تتضمن الاجاره استيفاء عين مقصودة ، فلا يجوز اجاره الكرم لارتفاقه ، ولا اجاره المواشى للبنها ، ولا اجاره البساتين لثمارها . ويجوز استئجار المزرعة ، ويكون اللبن تابغاً . لأن افراده غير ممكن . وكذا يتسامح بحبر الوراق وخط الخياط . لأنها لا يقصدان على حيالهما

الثالث: أن يكون العمل مقدوراً على تسليمه حساً وشرعاً ، فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ، ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه . وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه ، كاستئجار على قلع سن سليمة ، أو قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه ، أو استئجار الحائض على كنس المسجد ، أو المعلم على تعليم السحر أو الفحش ، أو استئجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن زوجها ، أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات أو استئجار الصائغ على صيغة الأواني من الذهب والفضة ، فكل ذلك باطل

الرابع: أن لا يكون العمل واجبا على الاجير ، أو لا يكون بحيث لا تجرى النيابة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الاجرة على الجهاد ، ولا على سائر العبادات التي لا نيابة فيها ، اذ لا يقع ذلك عن المستأجر . ويجوز عن الحج ، وغسل الميت ، وحفر القبور ، ودفن الموتى ، وحمل الجنازة . وفي أخذ الاجرة على امامة صلاة التراويح ، وعلى الاذان ، وعلى التصدي للتدريس ، واقرأ القرآن خلاف . أما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها ، أو تعليم سورة بعينها لشخص معين ، فصحيح الخامس: أن يكون العمل والمنفعة معلوما . فالخياط يعرف عمله بالثوب ، والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها ، وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة . وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز اهماله . وتفصيل ذلك يطول ، وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام ، ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسأل ، فان الاستقصاء شأن المفتي لا شأن العوام

## العقد الخامس

### القراض

وليراع فيه ثلاثة أركان

الركن الاول: رأس المال وشرطه أن يكون نقدا معلوما مسلما إلى العامل . فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض ، فان التجارة تضيق فيه . ولا يجوز على صرة من الدراهم ، لان قدر الربح لا يتبين فيه . ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز ، لان فيه تضيق طريق التجارة للركن الثاني. الربح وليكن معلوما بالجزئية ، بان يشرط له الثلث ، أو النصف ، أو ما شاء

فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي لي ، لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة ، فلا يجوز تقديره بمقدار معين ، بل بمقدار شائع

الثالث: العمل الذي على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقه عليه بتعيين وتأقيت . فالو شرط أن يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها فينقسمان النسل ، أو حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح ، لم يصح ، لأن القراض مأذون فيه في التجارة ، وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتهما فقط ، وهذه حرف ، أعني الخبز ورعاية المواشي . ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان ، أو لا يتجر إلا في الخبز الآخر ، أو شرط ما يضيق باب التجارة ، فسد العقد . ثم مهما انعقد ، فالعامل وكيل . فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء

ومهما أراد المالك الفسخ ، فله ذلك . فإذا فسخ في حالة والمال كله فيها نقد ، لم يخف وجه القسمة ، وإن كان عروضاً ولا ربح فيه رد عليه ، ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده إلى النقد ، لأن العقد قد انفسخ ، وهو لم يلتزم شيئاً . وإن قال العامل أبيع وأبى المالك ، فالتبوع رأى المالك ، إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال . ومهما كان ربح فعلي العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال ، لا بنقد آخر ، حتي يتميز الفاضل ربما فيشتركان فيه ، وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال . ومهما كان رأس السنة ، فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة ، فإذا كان قد ظهر من الربح شيء ، فلا قيس أن زكاة نصيب العامل على العامل ، وأنه يملك الربح بالظهور

وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك . فإن فعل صححت تصرفاته . ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعاً ، لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن المنقول . وإن سافر بالاذن جاز . ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض ، كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال . فاما نشر الثوب وطيه ، والعمل اليسير المعتاد ، فليس له أن يبذل عليه أجره

وعلى العامل نفقته وسكناءه في البلد ، وليس عليه أجره الخانوت . ومهما تجرد في السفر لمال القراض ، فنفقته في السفر على مال القراض . فإذا رجع ، فعليها أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرها

## العقد السادس

### الشركة

وهي أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة  
الأول شركة المفاوضة ، وهو أن يقولوا تفاوضنا لنشترك في كل ماننا وما علينا ،  
ومالاهما ممتازان ، فهي باطلة

الثاني شركة الابدان ، وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجرة العمل ، فهي باطلة  
الثالث شركة الوجوه ، وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول ، فيكون من  
جبهته التنفيل ، ومن جهة غيره العمل ، فهذا أيضاً باطل

وانما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان ، وهو أن يختلط مالاها بحيث يتعذر  
التمييز بينهما إلا بقسمه ، ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف . ثم حكمهما توزيع  
الربح والخسران على قدر المالين . ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ، ثم بالعزل يمنع التصرف  
عن العزول . وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك

والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتراة ، ولا يشترط النقد ، بخلاف القراض  
فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب ، والا اقتحم الحرام من حيث لا يدري  
وأما معاملة القصاب والخباز والبقال ، فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب  
والخلل فيها من ثلاثة وجوه : من إهمال شروط البيع ، أو إهمال شروط السلم ، أو الإقتصار  
على المعاظة . اذ العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ، ثم المحاسبة في كل  
مدة ، ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي . وذلك مما نرى القضاء باباحته للحاجة ، ويحمل  
تسليمهم على إباحة التناول مع انتظار العوض ، فيحل أكله . ولكن يجب الضمان بأكله  
وتلزم قيمته يوم الائتلاف ، فتجتمع في الذمة تلك القيم . فاذا وقع التراضي على مقدار ما ،  
فينبغي أن يلتزم منهم الإبراء المطلق ، حتى لا تبقى عليه عهدة ان تطرق اليه تفاوت في التقويم  
فهذا ما تجب القناعة به ، فان تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم  
وكل ساعة ، تكليف شطط . وكذا تكليف الإيجاب والقبول ، وتقدير ثمن كل قدر يسير  
منه ، فيه عسر . وإذا كثرت كل نوع سهل تقويمه ، والله الموفق .



## الباب الثالث

في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة

اعلم أن المعاملة قد تجرى على وجه يحكم المفتى بصحتها وانعقادها . ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى . إذ ليس كل نهى يقتضى فساد العقد وهذا الظلم يعنى به ما استضر به الغير . وهو منقسم الى ما يعم ضرره ، وإلى ما يخص المعامل

### البسم الأول

فيما يعم ضرره وهو أنواع

النوع الأول : الاحتكار : قبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار . وهو ظلم عام . وصاحبه مذموم في الشرع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنِ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ تَكُنْ صَدَقْتُهُ كَفَّارَةً لِاحْتِكَارِهِ » وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> أنه قال « مَنِ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَقَدْ بَرِيءَ مِنَ اللَّهِ وَبَرِيءَ اللَّهُ مِنْهُ » وقيل « فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا » وعن علي رضي الله عنه : من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه . وعنه أيضاً انه أحرق طعام محتكر بالنار وروى في فضل ترك الاحتكار عنه صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَنِ جَلَبَ طَعَامًا فَبَاعَهُ بِسَعْرِ

( الباب الثالث في بيان العدل )

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والخطيب في التاريخ من حديث أنس . بسندين ضعيفين

(٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برىء من الله وبرىء الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدي ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر

(٣) حديث من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة : ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ما من جالب يجلب طعاماً الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد والحاكم من حديث اليسع ابن المغيرة أن الجالب أن الجالب الى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله وهو مرسل

يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ بِهِ » وفي لفظ آخر « فَكَأَنَّمَا أُعْتِقَ رَقَبَةً » وقيل في قوله تعالى (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ<sup>(١)</sup>) ان الاحتكار من الظلم. وداخل تحته في الوعيد وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجيز سفينة حنطة الى البصرة ، وكتب الى وكيله ، بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ، ولا تؤخره الى غد . فوافق سعة في السعر . فقال له التجار ، لو أخرته جمعة رجحت فيه أضعافه . فأخره جمعة ، فربح فيه أمثاله ، وكتب الى صاحبه بذلك . فكتب اليه صاحب الطعام ، يا هذا ، إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا ، وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شيء من الدين ، فقد جنيت علينا جناية . فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة ، وليتني أنجو من اثم الاحتكار كفافا ، لأعلى ولا لى

واعلم ان النهى مطلق . ويتعلق النظر به في الوقت والجنس أما الجنس فيطرد النهى في اجناس الأقوات أما ليس بقوت ، ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله ، فلا يتعدى النهى اليه وإن كان مطعوما ، وأما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه ، وما يسد مسدا يغنى عن القوت في بعض الاحوال ، وان كان لا يمكن المداومة عليه ، فهذا في محل النظر . فن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجرى مجراه

وأما الوقت ، فيحتمل أيضا طرد النهى في جميع الاوقات . وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر . ويحتمل ان يخص بوقت قلة الاطعمة ، وحاجة الناس اليه ، حتى يكون في تأخير بيعه ضرر مّا فاما إذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ، ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة ، فانتظر صاحب الطعام ذلك ، ولم ينتظر قحطا ، فليس في هذا اضرار . وإذا كان الزمان زمان قحط ، كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها اضرار . فينبغي ان يقضى بتحريمه . ويعول في نفي التحريم واثباته على الضرر ، فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام . واذا لم يكن ضرر ، فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية ، فانه ينتظر مبادئ الضرر ، وهو ارتفاع الاسعار . وانتظار مبادئ الضرر محذور ، كانتظار عين الضرر ، ولكنه دونه . وانتظار عين الضرر أيضا هو دون الاضرار

فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم  
وبالجملة التجارة في الأقوات مما لا يستحب ، لأنه طلب ربح ، والأقوات أصول خلقت  
قواما ، والربح من المزايا فينبغي أن يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التي لا ضرورة  
للخلق اليها . ولذلك أوصى بعض التابعين رجلا ، وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ، ولا في صنعتين بيع  
الطعام وبيع الا كفان فإنه يتمنى الغلاء وموت الناس . والصنعتان أن يكون جزاءها ، فانها صنعة  
تقسي القلب ، أو صواعا ، فانه يزخر بالذهب والفضة

النوع الثاني تزويج الزيف من الدراهم في أثناء النقد ، فهو ظلم . إذ يستضربه المعامل ان  
لم يعرف ، وإن عرف فسيروجه على غيره ، فكذلك الثالث والرابع ، ولا يزال يتردد في  
الأيدي ، ويمم الضرر ، ويتسع الفساد . ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه . فانه هو  
الذي فتح هذا الباب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا  
مَنْ بَعْدَهُ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَمِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا » وقال بعضهم  
انفاق درهم زيف ، أشد من سرقة مائة درهم . لان السرقة معصية واحدة ، وقد تمت وانقطعت  
وانفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين ، وسنة سيئة يعمل بها من بعده ، فيكون عليه وزرها  
بعد موته الى مائة سنة ، أو مائتي سنة ، إلى أن يفنى ذلك الدرهم . ويكون عليه ما فسد من أموال  
الناس بسنته . وطوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه . والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه  
مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر ، يعذب بها في قبره ، ويسأل عنها الى آخر انقراضها قال تعالى  
( وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ) <sup>(١)</sup> أي نكتب ايضا ما أخروه من آثار أعمالهم ، كما نكتب  
ما قدموه . وفي مثله قوله تعالى ( يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَ يُخَذُّ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ) <sup>(٢)</sup> وانما آخر آثار أعماله  
من سنة سيئة عمل بها غيره

وليعلم أن في الزيف خمسة أمور

(١) حديث من سن سنة سيئة فعلم بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم  
شيء : مسلم من حديث جرير بن عبد الله

(٢) يس : ١٢ (٢) القيامة : ١٣

الاول: انه اذارد عليه شىء منه ، فينبغى أن يطرحه في بئر ، بحيث لا تمتد اليه اليد . واياه أن يروجه في بيع آخر . وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز  
الثانى : أنه يجب على التاجر تعلم النقد ، لالاستقصى لنفسه ، ولكن لثلا يسلم إلى مسلم ذيفاً وهو لا يدري ، فيكون آثماً بتقصيره في تعلم ذلك العلم . فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين ، فيجب تحصيله . ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد ، نظراً لدينهم لالدينام الثالث : أنه ان سلم وعرف المعامل أنه زيف ، لم يخرج عن الاثم . لأنه ليس يأخذه الاليروجه على غيره ولا يخبره . ولولم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلاً ، فاعما يتخلص من اثم الضرر الذى يخص معامله فقط

الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « رَجِمَ اللَّهُ أُمْرًا سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشَّرَاءِ سَهْلَ الْقَضَاءِ سَهْلَ الْاِقْتِضَاءِ » فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر . وإن كان عازماً على أن يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض الخير ، فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء

الخامس : أن الزيف نعى به مالا نقرة فيه أصلاً ، بل هو مموه ، أو ما لا ذهب فيه ، أعنى في الدنانير . أما ما فيه نقرة ، فان كان مخلوطاً بالنحاس وهو نقد البلد ، فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه ، وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك نقد البلد سواء ، علم مقدار النقرة أو لم يعلم . وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز ، الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها نا قصة عن نقد البلد ، فعليه أن يخبر به معامله ، وأن لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس . فأما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليطه على الفساد ، فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمرًا . وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه . وسالوك طريق الحق بمثال هذا في التجارة ، أشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلى لها . ولذلك قال بعضهم : التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك ، حتى روى عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال : حملت على فرسى لأقتل علجاً

(١) حديث رحم الله أمراً سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء : البخارى من حديث جابر

فقصر فرسى ، فرجعت . ثم حلت الثالثة ، ففر منى فرسى ، وكنت لأعتاد ذلك منه ، فرجعت حزينا ، وجلست منكس الرأس منكسر القلب ، لما فاتنى من العليج ، وما ظهر لى من خلق الفرس . فوضعت رأسى على عمود الفسطاط ، وفرسى قائم ، فرأيت فى النوم كأن الفرس يخاطبنى ويقول لى ، بالله عليك أردت أن تأخذ على العليج ثلاث مرات ، وأنت بالأمس اشتريت لى علفا ودفعت فى ثمنه درهما زائفا ؛ لا يكون هذا أدا . قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف ، وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال مايم ضرره وليقس عليه أمثاله

## القسم الثانى

### ما يخص ضرره المعامل

فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم . وإنما العدل أن لا يضر بأخيه المسلم . والضابط الكلى فيه أن لا يجب لأخيه إلا ما يجب لنفسه . فكل مالو عومل به شق عليه ، وثقل على قلبه ، فينبغى أن لا يعامل غيره به . بل ينبغى أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره . قال بعضهم من باع أخاه شيئا بدرهم ، وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دوانق ، فانه قد ترك النصيح المأمور به فى المعاملة ، ولم يجب لأخيه ما يجب لنفسه . هذه جملة ما تفصيله فى أربعة أمور : أن لا يثنى على السلعة بما ليس فيها ، وأن لا يكتن من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا أصلا ، وأن لا يكتن فى وزنها ومقدارها شيئا ، وأن لا يكتن من سعرها مالو عرفه المعامل لا تمتنع عنه

أما الأول : فهو ترك الثناء . فان وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب . فإن قيل المشتري ذلك فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا . وإن لم يقبل فهو كذب واسقاط مروءة ، إذ الكذب الذى يروج قد لا يقدح فى ظاهر المروءة . وإن أثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان ، وتكلم بكلام لا يعنيه . وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها . قال الله تعالى ( مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ <sup>(١)</sup> ) إلا أن يثنى على السلعة بما فيها

مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره . كما يصفه من خفي أخلاق العبيد والجواري والدواب . فلا بأس بذكر القدر الموجود منه ، من غير مبالغة واطناب ، وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته

ولا ينبغي أن يحلف عليه ألبتة . فإنه إن كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس ، وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع . وإن كان صادقا فقد جعل الله تعالى عريضة لأيمانه ، وقد أساء فيه ، إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويحها بذكر اسم الله من غير ضرورة . وفي الخبر <sup>(١)</sup> « وَيَلُ لِلتَّاجِرِ مِنْ بَيْلِ وَاللَّهِ وَلَا وَاللَّهِ ، وَوَيْلٌ لِلصَّائِعِ مِنْ غَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ » وفي الخبر <sup>(٢)</sup> « الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مُنْفِقَةٌ لِلْسَّلْعَةِ مُحَقَّةٌ لِلْبَرَكَةِ » وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> أنه قال « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عُتْلٌ مُسْتَكْبِرٌ ، وَمَنَانٌ بَعْطِيَّةٌ ، وَمُنْفِقٌ سِلْعَتُهُ يَمِينُهُ » فإذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها ، من حيث أنه فضول لا يزيد في الرزق ، فلا يخفى التخليط في أمر اليمين

وقد روى عن يونس بن عبيد ، وكان خزازا ، أنه طلب منه خبز للشراء ، فأخرج غلامه سقط الخبز ونشره ، ونظر اليه وقال ، اللهم ارزقنا الجنة . فقال لغلامه ، رده الى موضعه ولم يبعه ، وخاف أن يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة . فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ، ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم ، بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا الثاني : أن يظهر جميع عيوب المبيع ، خفيها وجليها ، ولا يكتتم منها شيئا . فذلك واجب . فإن أخفاه كان ظالما غاشا ، والغش حرام ، وكان تازكا للنصح في المعاملة ، والنصح واجب .

( ١ ) حديث ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد لم أقف له على أصل وذكر

صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بن مالك أسانحوه

( ٢ ) حديث اليمين الكاذبة منقبة للسلعة محقة للبركة : متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ الحلف

وهو عند البيهقي بلفظ الصنف

( ٣ ) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عاتل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته يمينه

سلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها العاتل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم رجل

حلف على سلعة لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب وسلم من حديث أبي ذر المنان

والصلح أزاره والمنفق سلعته . لحف الكاذب

ومهما أظهر أحسن وجهى الثوب وأخفى الثانى، كان غاشيا . وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة . وكذلك اذا عرض أحسن فردى الخلف أو النعل وأمثاله ويدل على تحريم الغش ما روى أنه مر عليه السلام <sup>(١)</sup> برجل يبيع طعاما ، فأعجبه ، فأدخل يده فيه ، فرأى بللا ، فقال « مَا هَذَا ؟ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ . فَقَالَ ؟ فَهَلَّا جَعَلْتُهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ ؟ مَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا »

ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> لما بايع جريرا على الاسلام ، ذهب لينصرف . ف جذب ثوبه ، واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها ، بصر عيوبها ، ثم خيره وقال ، ان شئت نخذه، وان شئت فاترك . فقيل له انك اذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع . فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وكان وائلة بن الاسقع واقفا ، فباع رجل ناقة له بثلاثمائة درهم ، ففعل وائلة وقد ذهب الرجل بالناقة ، فسعى وراءه وجعل يصيح به ، يا هذا اشتريتها للحم أو للظهر ، فقال بل للظهر . فقال ان بخفها نقبا قدر أيتها ، وانها لاتتابع السير . فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم ، وقال لو ائله ، رحمتك الله أفسدت على بيعي . فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> يقول « لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يَبِيعُ بَيْعًا إِلَّا أَنْ يُبَيِّنَ أَفْتَهُ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا تَبَيُّنُهُ » فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه ، ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات ، بل اعتقدوا أنه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم . وهذا أمر يشق على أكثر الخلق ، فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس ، لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة ، مجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بان يعتقد أمرين

أحدهما: أن تليسه العيوب وترويج السلع لا يزيد في رزقه ، بل يحققه ويذهب ببركته.

( ١ ) حديث مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بللا فقال ما هذا - الحديث: مسلم من حديث أبي هريرة

( ٢ ) حديث جرير بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم متفق عليه

( ٣ ) حديث وائلة لا يحل لأحد يبيع بيا لا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه: الحاكم وصححه الأئمة والبيهقي

وما يجمعه من مفرقات التليسات يهلكه الله دفعة واحدة . فقد حكى أن واحدا كان له بقرة يحلبها ، ويخلط بلبنها الماء ويبيعه ، فجاء سيل ففرق البقرة . فقال بعض أولاده ، ان تلك المياه المتفرقة التي صبتها في اللبن ، اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة . كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «الْبَيْعَانِ إِذَا صَدَقَا وَنَصَحَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا . وَإِذَا كَتَمَا وَكَذَبَا نَزَعَتْ بَرَكَتُهُ بَيْعُهُمَا» وفي الحديث <sup>(٢)</sup> «يَدُ اللَّهِ عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَتَخَاوَا فَإِذَا تَخَاوَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْهُمَا» فاذا لا يزيد مال من خيانة ، كما لا ينقص من صدقة : ومن لا يسرف الزيادة . والنقصان إلا بالميزان ، لم يصدق بهذا الحديث . ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدنيا والدين ، والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها ، بحيث يتنى الافلاس منها ويراه أصلح له في بعض أحواله ، فيعرف معنى قولنا : ان الخيانة لا تزيد في المال ، والصدقة لا تنقص منه

والمعنى الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليم له النصح ، ويتيسر عليه ، أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا . وان فوائد أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر ، وتبقى مظالمها وأوزارها . فكيف يستعجز العاقل أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، والخير كله في سلامة الدين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « لَا تَزَالُ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ تَدْفَعُ عَنْ خَلْقِ سُخْطِ اللَّهِ مَا لَمْ يُوْثِرُوا صَفْقَةَ دُنْيَاهُمْ عَلَى آخِرَتِهِمْ » وفي لفظ آخر « مَا لَمْ يُبَاكُلُوا مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاهُمْ بِسَلَامَةِ دِينِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ وَقَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَذَبْتُمْ لَسْتُمْ بِهَا صَادِقِينَ » وفي حديث آخر <sup>(٤)</sup> « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ

( ١ ) حديث البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما - الحديث : متفق عليه من حديث حكيم بن حزام

( ٢ ) حديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما : أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الأسناد

( ٣ ) حديث لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يوثروا صفقة دينهم على اخرهم - الحديث أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وفي رواية للترمذي الحكيم في النوادر حتى اذا نزلوا بالنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دينهم - الحديث والطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف أيضا

( ٤ ) حديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال تحجزه عما حرم الله : الطبراني

من حديث زيد بن أرقم في معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن



الجنة » قيل وما اخلاصه ؟ قال « أَنْ يُحْرِزَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ » وقال أيضا « مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مِنْ اسْتَحْلَ مَحَارِمِهِ » ومن علم أن هذه الامور قاذحة في ايمانه ، وان ايمانه رأس ماله في تجارته في الآخرة ، لم يضع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له ، بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة وعن بعض التابعين أنه قال ، لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله ، وقيل لي من خير هؤلاء ؟ قلت من أنصحهم لهم ؟ فاذا قالوا هذا ، قلت هو خيرهم . ولو قيل لي من شرهم ؟ قلت من أغشهم لهم ؟ فاذا قيل هذا ، قلت هو شرهم

والنش حرام في البيوع والصنائع جميعا . ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه . بل ينبغي أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب . فبذلك يتخلص . وسأل رجل حذاء بن سالم فقال ، كيف لي أن أسلم في بيع النعال ؟ فقال اجعل الوجهين سواء ، ولا تفضل الينى على الأخرى ، وجود الحشو ، وليكن شيئا واحدا تاما ، وقارب بين الخرز ، ولا تطبق احدى النعلين على الأخرى . ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لا يتبين ، قال لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه ، وانما يحل للرفاء اذا علم أنه يظهره ، أو أنه لا يريده للبيع

فان قلت : فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان أن يذكر عيوب المبيع فأقول : ليس كذلك . اذ شرط التاجر أن لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه . ثم يقنع في يعه بربح يسير ، فيبارك الله له فيه ، ولا يحتاج الى تلبيس . وانما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالربح اليسير ، وليس يسلم الكثير إلا بتلبس . فن تعود هذا لم يستر المبيع ، فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره ، وليقنع بقيمته . باع ابن سيرين شاة ، فقال للمشتري ، أبرأ اليك من عيب فيها انها تقلب ألعف برجلها . وباع الحسن بن صالح جارية ، فقال للمشتري ، انها تنخمت مرة عندنا دما .

فكذا كانت سيرة أهل الدين ، فن لا يقدر عليه فليترك المعاملة ، أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة .

( الثالث ) أن لا يكتف في المقدار شيئا ، وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه . وفي الكيل

فينبى أن يكيل كما يكتال . قال الله تعالى ( وَيُلْ لِلْمُطَفِّينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ <sup>(١)</sup> ) ولا يخلص من هذا الابان يرجع اذا أعطى وينقص اذا أخذ . اذ العدل الحقيقى قالماتصور . فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان ، فان من استقصى حقه بكاله يوشك أن يتعداه . وكان بعضهم يقول ، لا أشتري الويل من الله بحبة فكان اذا أخذ نقص نصف حبة ، واذا أعطى زاد حبة . وكان يقول ، ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والارض . وما أخسر من باع طوبى بويل . وانما بالغوا فى الاحتراز من هذا وشبهه ، لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها . اذ لا يعرف أصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدى حقوفهم . ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً <sup>(١)</sup> قال للوزان لما كان وزن ثمنه « زِنْ وَأَرْجِحْ »

ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد أن يصرفه ، ويزيل تكحيلاً وبنقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك . فقال يا بنى فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة . وقال بعض السلف ، عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو ، وزن ويحلف بالنهار ، وينام بالليل . وقال سليمان عليه السلام لابنه ، يا بنى كما تدخل الحبة بين الحجرين ، كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين . وصلى بعض الصالحين على نخث ، فقيل له انه كان فاسقا ، فسكت ، فاعيد عليه ، فقال كأنك قلت لى كان صاحب ميزانين ، يعطى بأحدهما ويأخذ بالآخر . أشار به الى أن فسقه مظامة بينه وبين الله تعالى ، وهذا من مظالم العباد . والمسامحة والعفو فيه أبعد . والتشديد فى أمر الميزان عظيم ، والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ( لَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِاللِّسَانِ وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ ) أى لسان الميزان ، فان النقصان والرجحان يظهر بميله

وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو فى كلمة ، ولا ينصف بمثل ما ينتصف ، فهو داخل تحت قوله تعالى ( وَيُلْ لِلْمُطَفِّينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ <sup>(١)</sup> ) الآيات .

( ١ ) حديث قال للوزان زن وأوجع اصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم

(١) الْمُطَفِّينَ : ١ - ٢ - ٣

فان تحريم ذلك في المكيل ليس لكونه مكيلا ، بل لكونه أمرا مقصوداً ترك العدل والنصفة فيه . فهو جار في جميع الاعمال . فصاحب الميزان في خطر الويل ، وكل مكلف فهو صاحب موازين في أفعاله وأقواله وخطراته ، فالويل له ان عدل عن العدل ، ومال عن الاستقامة . ولولا تمذر هذا واستحالاته لما ورد قوله تعالى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا<sup>(١)</sup>) فلا ينفك عبدليس معصوما عن الميل عن الاستقامة . الا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتاً عظيماً . فلذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى أوان الخلاص ، حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ، ويبقى بعضهم ألفاً وألوف سنين . فنسأل الله تعالى أن يقر بنا من الاستقامة والعدل ، فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه ، فانه أدق من الشعرة وأحد من السيف . ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار ، الذي من صفته أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف . وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط . وكل من خلط بالطعام تراباً أو غيره ثم كاله فهو من المطففين في الكيل . وكل قصاب وزن مع اللحم عظماً لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن . وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز ، فانه اذا اشترى أرسل الثوب في وقت الذرع ولم يده مدل واذا باعه مده في الذرع ليظهر تفاوتاً في القدر . فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل الرابع أن يصدق في سعر الوقت ولا يخفى منه شيئاً . فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> عن تلقي الركبان ونهى<sup>(٢)</sup> عن النجش .

أما تلقي الركبان فهو أن يستقبل الرفقه ويتلقى المتاع ، ويكذب في سعر البلد . فقد قال صلى الله عليه وسلم ، لَا تَتَلَقَّوْا الرُّكْبَانَ<sup>(٣)</sup> ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق . وهذا الشراء منعقد ، ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار . وإن كان صادقا في الخيار خلاف ، لتعارض عموم الخبر مع زوال التليس . ونهى أيضا<sup>(٣)</sup> أن يبيع حاضر لباد ،

( ١ ) حديث النهي عن تلقي الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة

( ٢ ) حديث النهي عن النجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة

( ٣ ) حديث النهي عن بيع الحاضر للبادي متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأنس

وهو أن يقدم البدوى البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع الى بيعه ، فيقول له الحضري اتركه عندي حتى أغالى في ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره . وهذا في القوت محرم . وفي سائر السلع خلاف . والأظهر تحريمه لعموم النهي ، ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولى المضيق

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش ، وهو أن يتقدم الى البائع بين يدي الراغب المشتري ، ويطلب السلعة بزيادة ، وهو لا يريد بها ، وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها . فهذا ان لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه ، والبيع منعقد . وان جرى مواطأة في ثبوت الخيار خلاف والأولى اثبات الخيار ، لانه تغير بفعل يضاهي التغير في المصراة وتلقى الركبان فهذه المناهى تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ، ويكتم منه أمر الوعاه لما أقدم على العقد . ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب . فقد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة ، وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر . فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة ، فاشتر السكر . قال فاشترى سكرا كثيرا ، فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا . فأصرف الى منزله فافكر ليلته ، وقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين . فلما أصبح غدا الى بائع السكر ، فدفع اليه ثلاثين ألفا ، وقال بارك الله لك فيها . فقال ومن أين صارت لي ؟ فقال انى كتمتك حقيقة الحال ، وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت ، فقال رحمك الله قد أعلمتني الآن ، وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله ، وتفكر وبات ساهرا ، وقال ما نصحتني ، فلعله استحيانا منى فتركها لي . فبكر اليه من الغد ، وقال عافاك الله ، خذ مالك اليك ، فهو أطيب لقلبي . فأخذ منه ثلاثين ألفا فهذه الاخبار في المناهى والحكايات تدل على أنه ليس له أن يغتنم فرصة ، وينتهز غفلة صاحب المتاع ، ويخفى من البائع غلاء السعر ، أو من المشتري تراجع الاسعار . فان فعل ذلك كان ظلما ، تاركا للعدل والنصح للمسلمين

ومهما باع مراوحة ، بان يقول بعث بما قام على ، أو بما اشتريته ، فعليه أن يصدق . ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ، ولو اشترى الى أجل وجب ذكره . ولو اشترى مساحمة من صديقه أو ولده يجب ذكره . لأن المعامل يعول على عادته في الاستقصاء لانه لا يترك النظر لنفسه ، فاذا تركه بسبب من الأسباب فيجب اخباره ، اذا الاعتماد فيه على أمانته

## فهرست الجزء الرابع

الصفحة	الصفحة
٦٢٠	تذكر أن النوم نوع وفاة
٦٢٠	الدعاء عند الاستيقاظ
٦٢١	الورد الرابع من أوراد الليل
٦٢١	ترتيب الورد الرابع
٦٢٣	الورد الخامس من أوراد الليل
٦٢٤	سنة السلف في أورادهم
٦٢٥	بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال
٦٢٥	أحوال المريد
٦٢٥	العابد
٦٢٦	العالم
٦٢٦	تقسيم نهار العالم
٦٢٧	تقسيم ليل العالم
٦٢٧	المتعلم
٦٢٨	المحترف
٦٢٨	الوالى
٦٢٨	الموحد
٦٢٩	أساس قول الأوراد
	<b>الباب الثانى : فى الأسباب الميسرة لقيام الليل وفى اللبالي التى يستحب أحيائها وفى فضيلة أحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل</b>
٦٣٠	فضيلة أحياء ما بين العشاءين
٦٣٠	فضيلة قيام الليل
٦٣٣	بسان الأسباب التى بها يتيسر فسام الليل
٦٣٨	بيان طرق القسمة لأجزاء الليل
٦٤٢	بيان اللبالي والأيام الفاضلة
٦٤٥	
	<b>ربيع العادات</b>
٦٤٨	<b>كتاب آداب الأكل</b>
٦٤٩	<b>الباب الأول : فيما لابد للمنفرده منه القسم الأول فى الآداب التى تنقدم على الأكل</b>
٦٤٩	الطعام الحلال الطيب
٦٤٩	غسل اليد قبل الطعام
٦٥٠	السفر والمائدة
٦٥٠	كيفية الجلوس على السفرة
٦٥١	نية التقوى على الطاعة بالأكل
٦٥١	الرضاء بالموجود من الطعام
٦٥٢	تكثر الأيدي على الطعام
	<b>كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل أحياء الليل</b>
٥٩٤	<b>الباب الأول : فى فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها</b>
٥٩٥	<b>فضيلة الأوراد</b>
٥٩٥	<b>بيان أعداد الأوراد وترتيبها</b>
٥٩٧	الورد الأول من أوراد النهار
٥٩٧	تسابق السلف الى المسجد قبل الفجر
٥٩٩	الاشتغال بالذكر بعد ركعتى الفجر
٥٩٩	أنواع العبادة بعد الصبح الى طلوع الشمس
٦٠٠	الأدعية
٦٠٠	الأذكار المكررة
٦٠١	القراءة
٦٠٣	المسبوعات العشر
٦٠٤	سند المسبوعات العشر
٦٠٥	الأفكار
٦٠٥	الورد الثانى من أوراد النهار
٦٠٧	الوظيفة الأولى
٦٠٨	الوظيفة الثانية
٦٠٨	الورد الثالث من أوراد النهار
٦٠٩	الوظيفة الرابعة
٦٠٩	الاشتغال بالكسب
٦٠٩	القيولة
٦١٠	الورد الرابع من أوراد النهار
٦١١	الورد الخامس من أوراد النهار
٦١١	الورد السادس من أوراد النهار
٦١٢	الورد السابع من أوراد النهار
٦١٣	<b>بيان أوراد الليل</b>
٦١٣	الورد الأول من أوراد الليل
٦١٤	الورد الثانى من أوراد الليل
٦١٦	الورد الثالث من أوراد الليل
٦١٧	آداب النوم
٦١٧	الطهارة والسواك
٦١٧	تحضير آلات الطهارة
٦١٨	كتابة وصيته
٦١٨	التوبة
٦١٨	الاقتصاد فى الفرش
٦١٨	عدم تكلف النوم
٦١٩	استقبال القبلة عند النوم وكيفيته
٦١٩	الدعاء

الصفحة

٦٧٥	أخذ الضيوف ما تبقى من الأكل
٦٧٦	آداب الانصراف
٦٧٦	طلاقة الوجه وطيب الحديث
٦٧٦	انصراف الضيف طيب النفس
٦٧٧	أدب خروج الضيف
٦٧٧	مدة الضيافة
٦٧٧	فصل يجمع آداباً ومناهى طبية
٦٧٧	الأكل في السوق
٦٧٧	من نصائح على رضى الله عنه
٦٧٨	نصائح طيب للحجاج
٦٧٨	ضرورة الغذاء قبل الخروج
٦٧٨	الحمية
٦٧٩	حمل الطعام الى أهل الميت
٦٧٩	الأكل عند الظلمة
٦٧٩	بعض آداب الضيافة
٦٨٠	من حكم الشافعى رضى الله عنه في الأكل

٦٨٢ **كتاب آداب النكاح**

٦٨٣	<b>الباب الأول : في الترغيب في النكاح وعنه</b>
٦٨٣	الترغيب في النكاح
٦٨٧	الترهيب عن النكاح
٦٨٨	فوائد النكاح
٦٨٨	التناسل
٦٨٨	تنفيذ سنن الله في الوجود
٦٩١	رجاء دعاء الولد الصالح
٦٩١	شفاعة الاطفال يوم القيامة
٦٩٣	دفع غوائل الشهوة
٦٩٤	دلالة لذة الدنيا على لذة الآخرة
٦٩٩	القيام بشؤون المنزل
٧٠٠	القيام بنصيب المرء من الواجبات الاجتماعية
٧٠٣	آفات النكاح
٧٠٣	العجز عن طلب الحلال
٧٠٤	احتمال التقصير في حقوق الزوجات
٧٠٥	الانشغال بالزوجة عن الله تعالى

**الباب الثاني : في العقد واحوال المرأة**

٧٠٨	عند العقد
٧٠٨	العقد وأركان العقد
٧٠٩	آداب العقد
٧٠٩	ما يراعى في الزوجة
٧١٠	موانع الزواج الشرعية
٧١١	ما يجب توفره في الزوجة
٧١١	قوة دينها
٧١٢	حسن خلقها
٧١٣	حسن وجهها
٧١٥	يسر مهرها
٧١٧	المرأة الولود

الصفحة

٦٥٢	القسم الثاني في آداب حالة الأكل
٦٥٣	آداب الشرب
٦٥٤	القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام
٦٥٥	غسل اليدين بالأشنان
٦٥٦	<b>الباب الثاني : فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل</b>
٦٥٦	من يتدىء الطعام
٦٥٦	الكلام على الطعام
٦٥٦	تنشيط الرفيق على الطعام
٦٥٦	ترك التصنع أثناء الأكل
٦٥٧	غسل اليد في الطست وآدابه
٦٥٨	عدم مراقبة أكل غيره
٦٥٨	التنزه عما يستقدره غيره
٦٥٨	<b>الباب الثالث : في آداب تقديم الطعام</b>

٦٥٨	الى الاخوان الزائرين
٦٦٠	آداب الدخول للطعام
٦٦٠	عدم التربص لوقت الطعام
٦٦٠	التورط في الدعوة
٦٦٢	آداب تقديم الطعام
٦٦٢	ترك التكلف
٦٦٣	اقتراحات الضيف في الطعام
٦٦٤	تشبيه المضيف لضيفه
٦٦٤	هل أقدم لك طعاماً ؟

**الباب الرابع : في آداب الضيافة**

٦٦٥	فضيلة الضيافة
٦٦٥	آداب الدعوة الى الطعام
٦٦٦	عدم تمييز الفنى بالإجابة عن الفقير
٦٦٧	عدم الامتناع من الإجابة لبعده المسافة
٦٦٨	إجابة الدعوة وصوم التطوع
٦٦٩	الامتناع عن الإجابة عند الشبهة
٦٦٩	النسبة الصحيحة عند إجابة الدعوة
٦٦٩	آداب الحضور لمنزل الداعي والجلوس فيه

**التقاليد الاسلامية في الجلوس في منزل الغير**

٦٧١	من رأى منكراً في منزل غيره
٦٧١	آداب احضار الطعام
٦٧٢	تعجيل الطعام
٦٧٢	تقديم الفاكهة أولاً
٦٧٣	شرب الماء المثلج وغسل اليد بالماء القاتر
٦٧٣	تقديم الطف الألوان أولاً
٦٧٤	كتابة قائمة بالألوان
٦٧٤	عدم رفع الألوان قبل الاستيفاء
٦٧٤	عدم قياس الداعي من الأكل قبل الضيوف
٦٧٥	تقديم الكفاية من الطعام



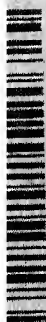












0488372